

كتاب

السُّلْطَانِ

بَيْنَ يَدَيْ نَيْرُوزِ وَكَبَشِنِ

Kotab al Sulṭān
بِالْيَدِ

ابراهيم فوزي باشا

الجزء الأول

طبع على نفقة مؤلفه وادارة جريدة المؤيد

حقوق الطبع والترجمة محفوظة لهما معا

(تم طبعه في شهر صفر سنة ١٣١٩ هجرية)

١٩٠١

﴿ فهرست الجزء الاول من كتاب « السودان بين غردون وكنشتر » ﴾

صحيفة	صحيفة
٨٣ تعيين جسي باشا مديراً على بحر الغزل	(بعد المقدمة)
٤٠ فصل المؤلف من مديرية خط الاستواء وتعيين أمين باشا بدله	١ تعيين الكولونيل غردون حاكماً على خط الاستواء
٤٢ قصة الايفال في خط الاستواء	٢ مرافقة مؤلف هذا الكتاب للكولونيل غردون في الخدمة
٤٤ ذكر ما حصل للمؤلف من الكولونيل غردون وسفره لمصر	١٠ عزل رؤف بك وتعيين الطيب بك عبد الله بدله
٤٤ ذكر ما حصل للمؤلف مع شاهين باشا ناظر الحربية	١٧ ذكر انشاء ديوان خط الاستواء في الخرطوم
٤٥ مقابله المغفور له خديو مصر اسماعيل باشا	٢٢ الملك أمتيسه وأمره في بلاده
٤٧ عودة الكولونيل غردون لمصر واستقالته	٢٣ كيفية فتح صرلي
٤٩ تعيين محمد رؤف باشا حاكماً على السودان	٢٨ تعيين المؤلف مديراً لبور والغربية
٤٩ ذكر وظائف المؤلف بعد ذلك	٢٩ تعيين غردون حاكماً عاماً لعموم خط الاستواء
٥١ ذكر ما وقع للمؤلف مع العراقيين	٣٠ مديريات بحر الغزال
٥٢ ذكر السجن المظلم	٣٢ بلاد نتم
	٣٤ شأن ادريس أتر بعد ذلك
	٣٥ استقالة المؤلف من مديرية بحر الغزال

صحيفة	صحيفة
٨٤ حملة راشد بك ايمن على المهدي	٤٥ مسألة احراق الاسكندرية
٨٤ ذكر من خلق بالمهدي من مشايخ کردفان	٥٥ تجريد المؤلف من رتبة وألقابه
٨٥ واقعه جبل الجراداة	٥٦ تاريخ السودان القديم
٨٥ تعيين عبد القادر باشا حلمي حاكما للسودان	٥٧ ضم السودان الى مصر
٨٦ حملة يوسف باشا حسن الشلالى	٦١ فتح كردفان
٩١ ذكر ترتيب جيش المهدي بعد ذلك	٦١ مقتل الامير اسماعيل باشا
٩٢ ذكر تحريم المهدي للدخان	٦٣ شخوص محمد على باشا الى السودان
٩٣ ذكر من لحق بالمهدي من أعيان السودان الاوسط	٦٤ ولاية السودان
٩٤ واقعة عامر بن المكاشفي مع سنار	٧٠ ترجمة المتمهدي
٩٧ واقعة الشريف أحمد طه	٧٣ حادثة الغلام بكر دفان
٩٨ ذكر وصول عبد القادر باشا حلمي الى الخرطوم	٧٤ وفاة الشيخ القرشي وتشيد قبعة على ضريحه
٩٩ ذكر تدبير مكيدة لقتل المهدي	٧٥ ذكر اجتماع عبد الله التعايشي بالمتمهدي
١٠٠ ذكر حوادث كردفان	٧٦ دعوة المتمهدي سرا
١٠٢ واقعة البركة بكر دفان	٧٧ ظهور دعوة المهدي
١٠٣ ذكر واقعة الطيارة	٧٩ واقعة جزيرة آبا
١٠٥ ذكر زحف المهدي من جبل قدير	٨٠ حملة على بك لطفي
	٨٢ ذكر جبل ماسة وقدير
	٨٣ ذكر جبال تقلى

صحيفة	صحيفة
من الابيض	الى الابيض
١٢٧ ذكر القبض على محمد سميد باشا	١٠٨ ذكر وصول المهدي الى كابه
والضباط وقتلهم	١٠٩ ذكر استحكام الابيض
١٢٩ ذكر ترتيب جيش المهدي	١١٠ ذكر هجوم المهدي على الابيض
واحكامه	١١١ حملة على بك لطفي مرة أخرى
١٣١ ذكر فضل عبد القادر باشا والغناء	١١٢ سقوط بارة
نظارة السودان	١١٣ ذكر كنيسة جبل الدلان
١٣٢ ذكر تعيين محمد علاء الدين	١١٤ ذكر واقعتي شات والمرايع
حكمدارا للسودان	١١٥ ذكر واقعة عبود
١٣٣ ذكر دارفور	١١٦ ذكر واقعة معتوق
١٣٤ تاريخ دارفور القديم	١١٦ ذكر واقعة الداعي
١٣٦ ذكر فتح دارفور	١١٧ ذكر واقعة سقدي مويه
١٤١ ذكر رأى عبد القادر باشا في دارفور	١١٨ ذكر رأى عبد القادر باشا في
١٤٣ ذكر قدوم محمد خالد زقل من	إنقاذ الابيض
دارفور	١٢٠ ذكر واقعة ابن عبد الغفار
١٤٥ ذكر حملة الجنرال هيكس باشا	١٢١ مأمورية الكولونيل ستيوارت
١٥٣ ذكر ترك السودان للفوضى	١٢٢ ذكر حصار الابيض
١٥٤ ذكر فرار وكيل مديرية الخرطوم	١٢٤ ذكر سقوط الابيض
ولحاقه بالمهدي	١٢٥ ذكر مقابلة المهدي حامية الابيض
١٥٥ ذكر سقوط دارفور	١٢٦ ذكر احصاء ما غنمه المهدي

صحيفة	صحيفة
١٨٥ ملحق لذلك المنشور	١٥٨ ذكر سقوط مديرية كبايه
١٨٧ ذكر لحاق الشيخ الطاهر بثمان	١٥٩ ذكر سقوط الفاشر
دقنه وذبح المسجونين	١٦٠ ذكر مسألة الجب خانة بدارفور
١٨٩ ذكر واقعة سنكات وقتل	١٦١ ذكر قتل عمرأغا ترحوه
توفيق بك	١٦٢ ذكر قدوم سلاطين باشا على
١٨٩ ذكر حملة محمود طاهر باشا	المهدي
١٩٠ حملة بيكر باشا	١٦٣ ذكر قتل آدم أم دبالومك تقلى
١٩٢ واقعة الجنرال جراهم في التيب	١٦٥ ذكر قتل الامه
١٩٤ ذكر تقدم عثمان دقنه الى سواكن	١٦٧ ذكر قتل التوم بن زعيم الكبابيش
١٩٤ ذكر واقعة طميه	وعجيل زعيم الرزبقات
١٩٦ ذكر تقدم الجنرال جراهم الى بربر	١٦٩ منشور المهدي الذي أصدره
١٩٧ ذكر حوادث كسلا	لاقتناع أهل بارة الخ
١٩٨ منشور رابع للمهدي	١٧٢ حوادث السودان الشرقي
٢٠٤ الخراطوم قبل قدوم غردوز اليها	١٧٣ ومن الطف النوادر التي سمعها الخ
٢٠٤ ذكر عصيان الشيخ العبيد بدر	١٧٥ ذكر الشيخ الطاهر المجذوب
٢٠٥ ذكر صفات الشيخ العبيد وما	١٧٦ ترجمة عثمان دقنه
اشهر عنه	١٧٨ ذكر وفود عثمان دقنه على المهدي
٢٠٧ ذكر كتاب من المهدي الى	١٧٨ منشور ثان للمهدي
الشيخ العبيد	١٨١ ذكر أوبة عثمان دقنه الى سواكن
٢٠٩ ذكر اتراف اتباع الشيخ العبيد	١٨٢ منشور ثالث للمهدي

صحيفة	صحيفة
٢٣٤ ذكر بنات محمد بن الحاج أحمد	الاسلاك التلغرافية بين الخرطوم
أم بربر	وبربر
٢٣٦ كتاب من المهدي الى محمد أحمد	٢١٠ كتاب آخر من المهدي للشيخ
أم بربر	العبيد
٢٣٧ ذكر نهب أموال النوم شيخ	٢١٢ كتاب المهدي الى اتباع الشيخ
عرب الكبايش	العبيد
٢٣٨ ذكر قدوم الشيخ الحسين زهرا	٢١٣ ذكر غارة الشيخ مضوي عبد
على المهدي	الرحمن على ارباص الخرطوم
٢٤٠ قصيدة الشيخ الحسين زهرا	ونهبه الماشية وهزيمته
التي قدمها للمهدي مشيراً فيها	٢١٤ ذكر الداعية محمد بن الطيب
الى وجوب اسناد الوظائف	البصير
الى الكفاة	٢١٥ ذكر واقعة العسكري باخلاوين
٢٤٦ ذكر انذارات المهدي للشيخ	٢١٦ كتاب المهدي الى الشيخ
محمد الامين	السنوسي
٢٤٨ ذكر كتاب من المهدي للشيخ	٢٢٠ ذكر نجر الدين مدعي الخلافة
محمد الامين	٢٢١ نص كتابين أرسلهما المهدي
٢٥١ كتاب ثان له أيضاً	لمدعي الخلافة
٢٥٤ سقوط شكا وحفرة النحاس	٢٢٤ ذكر جمع الغنائم وعسر بيت
٢٥٦ سقوط بحر الغزال وأسر لبتن	المال وما أصدره المهدي من
بك مديرها	المنشورات في ذم اخفاء الغنائم

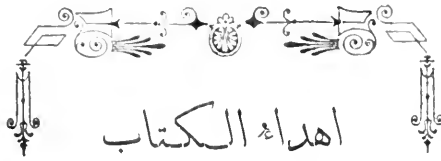
صحيفة

صحيفة

٢٥٨ كتاب من المهدي الى لبتن بك	٢٩٥ بالكتب والهدية
٢٥٩ ذكر عودة غردون الى السودان	٢٩٥ مأمورية غردون الحقيقية
٢٦٠ ذكر العفو عن المؤلف وارجاع رتبة وألقابه ووساماته اليه	٢٩٨ ذكر تلافات غردون الى السير بارنج وما أجابه به
ومرافقته غردون الى السودان	٣٠١ مقصد غردون بمخاطبته السير بارنج
٢٦٥ ذكر سفر غردون باشا	٣٠٢ أول حصار الخرطوم
٢٦٧ ذكر كتاب غردون الى المهدي وهديته	٣٠٣ واقعة الخفاية واصابة المؤلف برصاصة والاحسان اليه برتبة اللواء
٢٦٨ الخرطوم وغردون	٣٠٥ واقعة القبة
٢٦٩ ذكر وصول غردون الى أبو حمد	٣٠٦ ترجمة السعيد حسين وحسن ابراهيم
٢٧١ ذكر مغادرة غردون بربر	٣٠٧ واقعة الخفاية الثانية
٢٧٤ وصول غردون الى الخرطوم	٣٠٩ ذكر حصار الفكي المصطفي
٢٧٦ ذكر عبد القادر بن أم مريوم	الخرطوم من جهة الضفة الغربية
٢٧٧ ذكر عوض الكريم بن أبي سن	٣١٠ خطاب المهدي للفكي المصطفي
٢٧٩ كتاب المهدي الى عوض أبي سن وأسرته	٣١٢ حوادث بربر
٢٨٣ كتاب ثان لهم أيضا	٣١٤ ذكر محمد الخير داعية المهدي في بربر
٢٨٥ غردون وابن البصير	
٢٨٦ خطاب المهدي لـ غردون	
٢٩٤ قدوم رسولي المهدي الى غردون	

صحيفة	صحيفة
جبل الداير	٣١٥ ذكر حسين باشا خليفة مدير بربر
٣٣٦ ذكر صفات جبل الداير	٣١٦ ذكر قدوم محمد الخير بدعوة
٣٣٩ ذكر رد طالقة الثلاث	المهدي الى بربر
٣٤٠ منشور المهدي المتضمن حلّ	٣١٧ ذكر واقعة شندي
وطي طالقة الثلاث	٣١٨ سقوط بربر
٣٤٣ زحف أبي قرجة على الخرطوم	٣١٩ كتاب المهدي الى محمد الخير
٣٤٤ ذكر نقش الجدرى بين	والموعظة التي شفع بها ذلك
الدراويش	الكتاب
٣٤٥ واقعة الجريف	٣٢٧ ذكر إمارة أبي قرجة على البحرين
٣٤٦ واقعة الحلفاية وهزيمة الدراويش	من قبل المهدي
فيها	٣٢٨ ذكر حروب صالح بك المك
٣٤٧ واقعة أبي حراز	في فداسي
٣٤٨ واقعة القطينة وقتل ساتي	٣٣١ كتاب المهدي لصالح بك
٣٤٨ واقعة العيلقون	٣٣٢ كتاب آخر له
٣٤٩ واقعة أم ضبان وقتل محمد على	٣٣٣ ذكر زحف المهدي من الابيض
باشا وحملته	الى غدير الرهد
٣٥١ أوراق البون	٣٣٤ خطبة المهدي التي قال فيها «ان
٣٥٣ ذكر وصول البواخر الى سنار	الدجال سيأتي الى الابيض بعد
٣٥٤ ذكر خيانة ابراهيم رشدي كاتب	شخصي منها»
غردون	٣٣٥ ذكر حرب المهدي مع أعمال

صحيفة	صحيفة
٣٨٢ ذكر ارسال البواخر الي المتمة	٣٥٦ ذكر ماتداينه غردون من النقود
٣٨٢ ذكر المجاعة في الخرطوم	٣٥٧ ذكر مدالية حصار الخرطوم
٣٨٦ ذكر سقوط أم درمان	٣٥٨ وظائف المؤلف بعمد الاصابة
٣٨٨ كتاب المهدي الي فرج الله الزين وصاحبه عبد النبي	٣٥٨ ذكر أحمد العوام واحراقه الجبهه خانه وبقية حوادثه
٣٨٩ ذكر الاخبار التي تبودلت بين غردون والمهدي	٣٦١ بعثة الكولونيل ستيوارت ومقتله
٣٩٠ كتاب المهدي الاول الي غردون	٣٧١ ذكر أخبار كوتسيه الايطالي
٣٩١ الكتاب الثاني	٣٧٢ وصول عبد الرحمن النجومي الي الخرطوم
٣٩٢ الكتاب الثالث وهو الانذار الاخير	٣٧٥ ذكر مغادرة المهدي الرهد الي الخرطوم
٣٩٣ ذكر فرار الصنجنين عمر والمطا	٣٧٦ وفودا وليفريباين الفرنسي على المهدي
٣٩٤ ذكر مادبره غردون لاتقاذ الاوربيين	٣٧٧ ذكر وصول المهدي الي أم درمان
٣٩٦ ذكر سقوط الخرطوم ومقتل غردون	٣٧٨ كتاب المهدي اني أهالي الخرطوم يدعوهم الي التسليم والخضوع
٤٠٠ مقاله غردون لي حيث استدعاني الي غرفته قبل ان يحل به المنون	٣٧٩ هجوم المهدي على أم درمان
	٣٨١ واقعة لجريف



اهداء الكتاب

﴿ الى سدة مولاي وولى نعمتي الحديو المعظم ﴾

عباس باشا جلس الثاني

الافخم

« هذه يامولاي معلومات ومشاهدات شخص من رعيته فضى »
« في السودان أكثر عمره بين ضابط صغير . وقائد كبير . وسجين »
« أسير . رأى كل ضروب الرخاء والشقاء . خلال المدة التي قضاها »
« في تلك الارزاء . وهى حوالى الثلاثين سنة ماتسنت لمصري غيري . »
« ولذلك رأيت أن أجعلها بين دفتي كتابي هذا الذى سميته « السودان »
« بين يدي غردون وكتشتر » لان جميعها عبارة عن مقدمة ونتيجة »
« انطوتا في معنى هذا الاسم فتقبل يامولاي هذه الخدمة التي قام بها »
« جهد المستطاع عبد من أخلص مخلصي رعيته لسدتك . لم ينس في كل »
« أطواره واجب ولاء عبوديتك . (ابراهيم فوزي) »





﴿ مولانا الحديو المعظم عباس حلمي الثاني حفظه الله ﴾

مقدمة الكتاب

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم
« أما بعد » . فلما كنت أول من رافق غردون باشا في خدمة السودان
وأخر من ودعه عند الرمق الاخير من حياته في عاصمته . وأول أسير مصري
مسجون افتتحة كتشنر باشا . وآخر من عاد من أسرى المهديوية الى وطنه .
وكانت حوادث السودان في غضون هذه المدة التي انقضت بين أول عمل
قام به غردون باشا الذي فيه قبر . وآخر عمل من كتشنر باشا الذي طار به
ذكره ونشر . من أجل حوادث الزمان اعتبارا . وأعظمها ادكارا . منها يعرف
الانسان كيف يخطيء الحاكم في حكمه . وكيف يقضي على ساطانه بظلمه .
وكيف يطوي سجل النظام . وتقوم مقامه فوضى الاحكام في الانام . وكيف
تعمي الجهالة صحبها . وتغري الضلالة رهبها . بل كيف يقدم الرجل العظيم نفسه فداء
لمقاصد قوميه . وكيف تدخر الاقدام الراسخة في سياسة الامم هذا الفداء العظيم ليومه .



✧ غردرن فادى مهصلحة قومه بنفسه ✧

كل شىء من علو السياسة وسقوطها. وآيات رفعة الامم وهبوطها. مجتمع بين دفتى تاريخ السودان. كما يجمع النور والظلام في الليل اطالك. توقد فيه النار منارا للسالك ودليلا للحيران. لذلك رأيت من واجب قومى وأمتى بل ومن حقى على نفسى أن

أضع هذا الكتاب مشتملا على كل ما وقفت عليه أو اتصل بي من حوادث الاقطار
السودانية في خلال المدة التي اشرت اليها. وذقت طعوم السراء والضراء بين يديها.
ولم أكتف في سرد الوقائع بما بقي في خاطري من رسوما بل استعنت بجماعة
من كبار موظفي الحكومة السودانية الذين كانوا قبل دولة الدراويش الدائلة
متفرقين في أقسامها ليكون لنا على كل واقعة أو حادثة ومن كل جهة شاهد رؤية في
الاكثر. وكذلك قد اطلمت على أكثر ما كتب سلاطين باشا ومسيو نيوفيلد
وغيرها ممن شاركوني في مشاهدات حوادث السودان ومصائبه واستأنست
فيما غاب لفظه عني بشيء من المنشورات التي ثبتت بالتواتر روايتها كما ثبت في
نفسى من قبل مغزاها

وبالجملة فاني لم آل جهداً في تحقيق كل واقعة تسكمت عنها وحادثة رويتها
ومقصد يئتمه. ولنزحلته. حتى صرت بعد ذلك أعتقد انى وفيت التاريخ حقه كما
يستطيع عاجز مثلى قبيل البضاعة من الكتابة

وبعد ان وضعت مسودات الكتاب بالتفصيل والاسهاب. استمرت قلم بعض
الكتاب الفضلاء في تهذيب ألفاظه وتنقيح عباراته وحذف المكرر منه وترتيب
وقاعة على ما يناسب الموضوع زمانا وما كانا نجاء بحمد الله كما يراه القارى وله الحكم فيه
مخطئة أو تصويبا. على أنه لا يبعد ان يطلع عليه من يكون روى واقعة على غير مارويت
أو شاهد حادثة يعتقد أنها على خلاف ما شهدت لكنني أعذره من أول الامر كما
ينبغي له أن يعذرني فحوادث السودان ككل حوادث الثورات وعواصف الاضطرابات
لها عند كل واقف بينهما مهب ريح وفيها لكل ناظر وجه يتجلاها فيه. لكن هذا
الاختلاف لا يغير من حقيقة الحادثة عند من نظر اليها من الجهة التي اطلع عليها
كذلك كتاني هذا قد تضمن حقائق الحوادث من الوجه الذى شاهدتها عليه

ومن يزعم أنه رافق الطيب الذكر غردون باشا كما رافقت. وعرف مقاصده
 كما عرفت. وشاهد من دولة المهدي ماشاهدت. وكابد من اضطهادات التعالishi
 ما كابدت. فليكتب للقراء كما كتبت. وليقل انك أخطأت وما أصبت. والا فأنا قد
 أصبت وما أخطأت فيما خططت وبه عليه توكلت « ابراهيم فوزي »



﴿ ابراهيم فوزي باشا ﴾

كتاب خصوصي من شقيقة غردون باشا

من غريب الصدق اننا يوم شرعنا في طبع هذه المقدمة ورد لنا الكتاب الآتي

سوتها مبلتون في ١١ مايو سنة ١٩٠١

عززي فوزي باشا

انا شقيقة المرحوم الجنرال غردون باشا وكنت متشوفة منذ زيارة

(هيدينيوفيلد) أن اكتب لك

وقد استلمت أخيرا نسخة من جريدة اجبسيان غازيت وفيها خلاصة

محادثة معك وهي وان كانت محزنة الا أنها مفيدة ولذيذة

اني أشكرك من صميم قلبي على علو شرفك الذي أبديته وتبديه لذكرى

المرحوم غردون مع الصدق والاخلاص اللذين خدمته بهما حال حياته وبعد مماته

وعندي كتاب نيوفلد وأعرف منه تاريخك ويمكنك أن تعرف مقدار

اهتمامي بكل شيء يتعلق بتلك الحادثة المؤلمة ونهايتها المحزنة ولذلك أحب أن

اسمع منك كل ماتقدر أن تقوله لي عن رئيسك وصديقك

هل عندك صورة غردون والا فانا أرسلها لك ان كنت تريدها وأؤمل

أن هذا الكتاب يترجم لك كما أنني أحب أن أعرف كل شيء عن أصدقاء أخي

الذين خدموه بالاخلاص في مدة حياته . هل البستاني حي حتى الآن

آمل أن يصلني منك خبر ولا زلت (المخلصة المحبة)

هيلين موفيت

وقد وضعنا صورة هذا الكتاب في مقدمة كتابنا ليكون شبه سؤال

جوابه في خاتمة هذا الجزء التي وان تكن خاتمة محزنة الا أنها مفيدة ولذيذة

(ابراهيم فوزي)

تعيين الكولونيل غردون

حاجاً على خط الاستواء

لما مهدت انكثرا أمر التداخل في شؤون السودان واقنعت المرحوم اسماعيل باشا الحديو الاسبق بتعيين غردون في وظيفة سامية به فاقنعت أصدر أمره في أواخر سنة ١٢٩٠ هـ (يناير سنة ١٨٧٤) بانتدابه لمأمورية سامية في أعلى النيل وكان السير صوب بل بيكر مأموراً لخط الاستواء خاضعاً للحكمدارية عموم السودان فتم الاتفاق على أن يخلذه غردون في وظيفته ولكن ليكون الخلف مستقلاً في أعماله وقد كان ومنح مائة الف جنيه من الخزينة المصرية نفقة لحملته الابتدائية وكان غردون قد حضر قبل تعيينه نحو شهرين الى مصر فلما تم تعيينه وتلقى الاوامر من المرحوم الحديو الاسبق شرحا لبعض الاوامر التي تلقاها من خارجية انكثرا كما يعلم هذا بالبداية توجه الى السودان فوصل مدينة الخرطوم حيث كان المرحوم اسماعيل باشا أيوب حكمداراً لعموم السودان فاستقبله بابهة عظيمة واستعرض له فرقة من المساكر لاداء تحية القدوم واطلقت له المدافع فأكبر الناس شأن هذا القادم وعلموا أنه ليس كبقية حكام الاقاليم. وبديهي ان اسماعيل أيوب باشا لم يستقبله هذا الاستقبال الفائق محابة وتبرعا من قبيل الجمالات الشخصية بل لا بد ان تكون اوامر الحديو قد سبقت غردون الى الخرطوم فكان من الحكمدار انفاذها

وهو ما دخل بسببه شيء في نفس الحكمدار العام من هذا المأمور الجديد الذي سينازعه في سلطانه من جهة ويكون كرقب عليه من جهة أخرى

وقد أقام غردون في سراي الحكومة الكائنة في ضاحية المدينة من
الجانب الشرق المشهورة بقصر راسخ بك

مرافقة مؤلف هذا الكتاب

للكولونيل غردون في الخدمة

وبعد ثلاثة ايام من وصول غردون باشا طلب من حكمدار عموم السودان
فرز أربعة بلوكات من عساكر الجهادية أبناء العرب مسلحين بأسلحة رامنتون
وان يكون ضباطهم من المعروفين بالخبرة العسكرية والنشاط والاقدام فاجابه
الحكمدار الى طلبه ولكنه لم يحسن انتخاب العساكر والضباط ولا أعطي
الاسلحة من الطرز الجديد المطلوب . وفضلا عن ذلك فان اكثر الضباط
امتنعوا عن قبول هذه المأمورية لبعده الشقة ولعلمهم بما يقاسون من عذاب
السفر ومكافحة الاقوام المتوحشة التي يقصد غردون اخضاعها لسيطرته
. ويقال ان الخديو الاسبق لم يكن مع ذلك مرتاحاً لتعيين غردون في مأمورية
بالسودان خيفة ان يكون من ورائه تنفيذ مقاصد انكلترا التي كانت لا تخفى
عليه فعينه وهو كاره وأراد أن يحدث في طريقه العراقيل فاوعز الى اسماعيل
أيوب باشا سرا بما أوعز حتى اذا حصلت حركة ضده في السودان اعتذر
اسماعيل باشا بها وتخلص من ورطة ما يتوقمه . ولكن لست آخذ على مسئوليتي
تحقيق هذه الرواية التي كان يصعب على مثل وقتئذ تحقيقها

وكنت انا اذ ذاك ضابطاً صغيراً أوشبه ضابط برتبة الاسبران (وكانت
هذه من رتب الجيش فوق الصف ضابط وتحت الملازم الثاني) فظهرت
رغبة شديدة في مصاحبة غردون فاحتقر اسماعيل أيوب باشا مني هذه الرغبة

وكان أحد المستخدمين من أصحاب غردون حاضراً خلال الفرز .
 وشاهد ما كان مني ملاحظاً ما كان من الحكمدار العام فلما عاد الى مقر غردون
 أخبره بسوء انتخاب العساكر والضباط وذكر له قصة انهيار الحكمدار
 العام لي عند ما أبدت رغبتى فى السفر الى خط الاستواء فلم يكن منه الا ان
 بعث شكوى تلغرافية الى الخديو الاسبق قائلاً ان اسماعيل باشا أيوب
 يعرقل مساعى ويضع فى سبيل نجاح مأموريتى العقبات . وهو لذلك انتخب
 أسوأ العساكر وأردأ الاسلحة عدة لى فى مأموريتى . فورد فى الحال الرد الى
 اسماعيل أيوب باشا بتوييح شديد بأمره فيه أن يجيب طاب غردون
 فى كل ما يطلب حتى لو أمرك أن تصحبه وجب أن تمتثل أمره فوقه هذا
 فى نفس الحكمدار العام أسوأ وقع ووصلت صورة هذا التلغراف الى غردون
 باشا من قبل المعية السنية ليجيظ علماً بما كان من صدور الامر الجديد لحكمدار
 السودان حسب رغبته . ولا يبعد أن كتابة نص التلغراف على هذه الصورة
 كان بطلب من الوكالة الانكليزية فى مصر كما جرت العادة فى مثل ذلك
 والذى كان من اسماعيل أيوب باشا بعد ذلك أن دعانى اليه وطيب خاطر
 بكلام لطيف قائلاً انما كان انهارى لك شفقة عليك . ثم علمت ان الكولونيل
 غردون طلبنى منه بالاسم فاشار على أن أتوجه له فى سراى الشرق وان أذكر له
 عرضاً ان الذى أبلغه خبر معاكسة الحكمدار العام له مبالغ أو مخطيء فى النقل
 وعلى ذلك ذهبت الى سراى الشرق وتقابلت مع الطيب المذكور غردون
 فرأيت منه رجلاً حليماً شفوفاً كريم الاخلاق متواضعاً فى حديثه وحركاته
 وسكناته مع مخايل شرف النفس وعلو الهمة وبعد أن سلمت عليه فأحسن
 لقيائى خاطبني قائلاً « اذا كنت أنت الاسبران ابراهم فوزى الذى رغب

مصاحبتنا واتي من الحكمدار الاساءة من اجلنا فقد فوضت اليك امر فرز
الاربعة بلوكات وضباطهم وأسلحتهم «فاجبته يامولاي أنا الذي رغب خدمة
بلده بمرافقتك . وعندئذ أعطاني أمرا للمرحوم أسماعيل أيوب باشا بمضمون
ماقال فاستلمت الامر وتوجهت الى الحكمدار وسلمته المكتوب فأحسن
مقابلي وأمرني بالتوجه الي القشلاق لمباشرة فرز العساكر وضباطهم وأسلحتهم
من نوع الرامنتون حسب رغبة الكولونيل غردون ففعلت وأخذتهم الي سراي
الشرق حيث استعرضهم فأعجبهم من مآهم وتناسب أعضائهم وحركاتهم وجودة
أسلحتهم وخطبني أمام الجميع بعبارات الشكر والامتنان كما أنه خاطب الضباط
والعساكر بما طيب خواطرهم وأطلق وجوههم بالبشر

ثم أمرني أن أجهزهم جميعا للسفر الى جهات خط الاستواء ماعدا نحو
٥٠ نفرا يقون بمعيتة بصفة حرس خصوصي له

وعلى ذلك أعددنا أربعة وابورات لسفر العساكر المذكورة وهي (بردين)
(و تلحوين) و (الصافية) و (المنصورة) وانزلناهم في الوابورات التي سافرت
إلي مقصدها في شهر شعبان سنة ١٢٩١^(١)

أما أنا فقد تأخرت حسب أمره لاكون قومنداناً على حرسه . وبعد
بضعة أيام صدر أمره باعداد الوابور الرفاس المسمى (خديو) ليركبه ونحن
في معيتة وقد كان وسرنا على بركة الله في النيل الابيض فوصلنا (فشوده) بعد

(١) جاء في العدد ٦٩٦ من جريدة الجوائب الصادرة في يوم الاربعاء ٢٧ ربيع أول

عام ١٢٩١ هجرية تحت عنوان مصر ماياتي

ذكر في اجبت المطبوع في الاسكندرية ان الكولونيل غردون الذي عينه الخديو
المعظم والياً على خط الاستواء خلفاً عن السر صامويل باكر أر لمرقباً من الخرطوم
تسارح ١٤ ما س الى حضرة سعادتاو خبري باشا مهر دار الجناب الخديو قال فيه

قطع مسافة سبعة أيام. وهناك قابلنا مديرها الرحوم يوسف بك حسن كرده
 بالخفاوة اللائقة كما كان لغير دون مثل ذلك عند وصوله الى الخرطوم وأزيد. وشاهدنا
 ما وصلت اليه وقتئذ من درجة العمران والتقدم في الحضارة بعناية الحكومة
 وعلمنا أن أهاليها من العبيد الشلك والنوير والذنكا آمنون مطمئنون
 وبعد أن أقمنا بفسوده يومين تابعنا المسير الى محطة (سبت) وهي المحطة الكائنة
 على مقرن نهر سبت الآتي من بلاد الحبشة وتبعد هذه المحطة عن فسوده
 بنحو ١٨ ساعة بسير وابور البخار وهي أول جهات خط الاستواء من الشمال
 ولما القينا عصا التسيار هناك حيث العساكر كانت سبقتنا اليها عزم
 غردون على وضع أول حجر من أساس أعماله في وظيفته فلما مضى الليل وجاء

وصلت الى الخرطوم في ١٢ مارس ولقيت من حضرة اسماعيل أيوب باشا حاكم السودان
 من الاكرام والالطاف ما يستحق الذكر وقد فعل لمساعدتي كل ما في وسعه أن يفعله اما
 اعتناء بالعساكر فجدير بالثناء فقد راقني أحوالهم وأحوال ماواهم ومستشفاهم وهيئتهم
 وانتظامهم وكذلك اعتناء بالمكتب وما يتعلق به وقد شاهدت هذا المحل فوجدت فيه
 نحو مائتي تلميذ ورأيت أن معلمهم يمتنون بتعليمهم وتهذيبهم على أحسن منوال فراقني أن
 أرسل لي الجناب الخديو انموذجان من خطهم ولا بد من أن الحاكم الموما اليه قد أرسل الي
 جناب الخديو الخبر السار عن فتح الخليج في قوندو كورو (كوندكرو) مما سرني غاية
 السرور لعلمي بأن جنابه الرفيع يحسبه من الامور المهمة وهو في الواقع مفتاح الموقع
 فأرجو اني عن قريب أتوجه الى قوندو كورو فان كل ما لزمني من لوازم السفر قد حصل
 بهمة الحاكم المشار اليه فشكرآله علي ذلك ولست أقدر الآن على الحكم علي الباخرة
 الكبيرة الراسية اذ لا بد لي قبل الحكم عليها من رؤية البحيرة وفي عزمي أن أستصحب
 معي رجالا لانشاء سفن شراعية عند الوصول الي طوبو ويترجى عندي انه مع بذل
 الهمة والعناية يتيسر لنا مجاوزة الشلالات فالرجو من جنابكم أن تصدروا لنا اذنا من
 الحضرة الخديوية الى الحاكم المشار اليه عند انتهاء السفن في تسييرها الى البحيرة ولا
 بد لي من التلبث في قوندو كورو وطاليمودون التوغل في السبرو حيث ان جناب الحاكم
 قد بذل أقصى مجهوده في فتح الجنوب فأعظم المسرات عندي أن أكون أول قادم اليه

الصباح أمر بلوكات العساكر وجماعات الاهالي بحفر خندق لمحطة سبت وقرر للعمل أجرة فوق مرتبات العساكر لهم وللاهالي مثل ذلك فلم يمتض أسبوعان حتى تم ما أراد وشيدت عليه الطوابي كما رسمها ثم أنشأ مركزاً للحكومة فيها ناط به أحد الضباط الذين معنا وهو البوزباشي محمد أحمد أفندي فجعله محافظاً على محطة (سبت) تاركا له البلك الذي تحت قيادته وأمره بحسن المعاملة والرفق بالاهالي وشدد عليه في منع الاتجار بالرقيق وعدم مروره عليه ثم تركنا هذه المحطة قاصدين جبل الرجاف وكند وكرو حيث يقيم المرحوم رؤف بك (باشا) حاكما على تلك الجهة خلفا للسيرصوبيل بيكر باشا. فلما وصلنا في سيرنا الى مدخل (بحر الزراف) الذي يستقي من

وأرجوان انشاء السفن يتم بعد خمسة أشهر أو ستة وأول فرض واجب علي حسب ماتاقته هو ادخار المؤنة وهو من صعب الامور التي تقتضي حضوري في تلك الجهة ثم اني بحسب أمر الخديو أعلنت هذه الاوامر الآتية .

بمقتضى ما فوض الى الخديو المعظم من ادارة حكومة البحيرات الكائنة بخط الاستواء أعلن أولا . ان التجارة في العاج خاصة بالحكومة . ثانياً أنه لا يسوغ لاحد ان يأتي الي هذه النواحي من دون تذكرة من حاكم السودان العمومي وهذه التذكرة انما يعمل بها بعد النظر فيها من حكومة قوندو كورو وغيرها . ثالثاً أنه لا يسوغ لاحد ان يجمع رجالاً متسلحين داخل هذه الجهات . رابعاً ان جلب السلاح والبارود ممنوع . خامساً ان كل من يخالف هذا المرسوم يجرى عليه الجزاء بحسب القوانين العسكرية انتهى ثم ورد خبر بالتلغراف بتاريخ ٣ صفر من حضرة حاكم السودان الي حضرة خيرى باشا مضمونه انه في صباح هذا اليوم سافر الكولونيل غردون الي قوندو كورو في سفينة مخصوصة بعد ان أحضر له كل ما يلزمه وهو ممنون لفضل الخديو وشاكر له ثم ورد خبر آخر بتاريخ ٢٠ صفر مضمونه ان الباخرة المخصوصة التي سافرت بعد فتح الشلالات قد رجعت الي هنا وبشرت ببلوغ الارب وفي غد أرسل المحررات التي أرسلها المجردون لهذا العمل والتي حررها أيضاً الكولونيل المذكور عند ملاقاته الباخرة المذكورة

ميمة (أي بركة) كبرى تسمى (بحيرة السنيورا) ألقينا مراسينا عنده وركب
 غردون ونحن معه وابوره الحصوصي سائراً في ذلك النهر نحو عشر ساعات
 لاختبار الطریق هل هي سهلة أو فيها من العقبات ما يمنع وصولنا الى أعالي
 خط الاستواء فلما قطعنا هذه المسافة وجدنا النهر مسدوداً بالأعشاب الكثيفة
 فعدنا الى مرسى الوابورات أي الى مدخل بحر الزراف وحوالنا مسيرنا الى
 جهة خط الاستواء من جهة طريق البحر الأبيض ومازلنا سائرين حتى
 وصلنا الى تلك البحيرة وفيها من الجانب الغربي مدخل لبحر الغزال ومدخل
 آخر لخط الاستواء موصل الى جبل الرجاف فوقفنا عند ذلك المدخل حيث
 أمر غردون بقطع أخشاب لوقود الوابورات بدلا عن الفحم ثم سرنا نحن
 على وابوره الحصوصي للاستكشاف داخل بحر الغزال فقطعنا مسافة ثلاثة
 أيام وصلنا في نهايتها الى مشرع يقال له (مشرع الرق) وهو متصل بمشاعر
 بقمية البحار الموجودة ببحر الغزال لغاية مديرية (شكا) ولكن كان من
 المتعذر تجاوز هذا المشرع لانسداد النهر بالأعشاب الكثيفة الملتفة والحشائش
 المشتبكة من الشاطئ الى الشاطئ

على اننا لم نحاول اجتياز هذه العقبة الجديدة بل بقينا في مرسى المشرع
 السالف الذكر وأمر الكولونيل غردون أصحاب المشرع أن يحضروا بين
 يديه رؤساء الاهالي في تلك الجهة فأحضروهم وقابلهم بمقابلة حسنة ووزع عليهم
 الهدايا استمالة لقلوبهم ففرحوا وامتنوا وأظهروا تمام الاخلاص للحكومة
 الحديوية كما أنهم أحضروا لنا الاخشاب اللازمة وعدنا بعد ذلك الى البحيرة
 حيث اجتمعنا بوابوراتنا والعساكر وقمنا جميعا قاصدين مدخل البحر الموصل
 الى جبل (الرجاف) ولكن لم نلبث في سيرنا يومين حتى وقفت الغابات

الكثيفة والحشائش الملتفة سداً منيعاً في طريقنا وقد حاولنا كثيراً أن نفتح الطريق فلم نفلح ولذلك أمر الكولونيل غردون أحد الوابورات بالرجوع الى الخرطوم ليأتينا بالآلات التي تستعمل عادة لقطع حشائش النهر وقد كان وجاءتنا الآلات وباشرنا ففتح الطريق مدة أربعين يوماً حتى تمكننا من اجتياز الوابورات ونال العساكر ما نالهم في هذه الدفعة من العناء والتعب الذي لا مزيد عليه حيث الامطار كانت تنساب عليهم ليل نهار كأفواه القرب ولذلك كافأهم الكولونيل غردون بصرف مرتب ثلاثة أشهر فوق مرتباتهم وأجرتهم

وبعد ان تم فتح الطريق سرنا في النهر مسيرة يومين وصلنا بعدها بحيرة كبيرة جداً تسمى (مبيعة شانبيه) وعليها مشرع كبير يسمى (غابة شانبيه) كان كبار التجار مثل أبو عمورى وكوچك على وغطاس وغيرهم ينزلون فيه للالتجار بسن القيل فلما وصلنا الى هذا المشرع استقبلنا شيخه وهو رجل أسود دنكاوى مسن اسمه الشيخ الحداد استقبالا حسناً ونزلنا جميعاً في أرضه حيث أقننا الخيام وأرسينا الوابورات تجاهنا وبعد استراحة يومين رسم الكولونيل غردون محل خندق وأمر العساكر بحفره فتم لهم ذلك في مدة عشرين يوماً وأنشأ هناك مركزاً ترك به اليوز باشي مصطفى افندي فتجى ببلوكة وسماه مأمور جهات (شانبيه) وشدد عليه الاوامر في معاملة الاهالي بالرفق وبنح تجارة الرقيق منعاً باتاً كما انه أبلغ رؤساء هاته الجهات انهم صاروا تابعين لسلطة الحكومة الحديوية وان ذلك المأمور الذى يتركه عليهم يمثل شخص الحكومة فواجب عليهم أن يطيعوه

وبعد ان وطد نفوذ الحكومة في هذه الجهة اقلنا بوابوراتنا قاصدين

(الرجاف) فررنا في طريقنا على محطة كبيرة تسمى محطة (بور) والفيينا بها نحو
أربعمائة من العساكر بأسلحتهم مأجورين للتجار فاستقبلونا بالفرح ولبتنا عندهم
خمس أيام ثم أبلغ الكولونيل غردون رئيسهم بانهم صاروا تابعين للحكومة
وأن يقدموا له كسوفاً بالأسلحة والخبز والموجودات التي لديهم مما قررت
الحكومة احتكاره لنفسها فاحضروها وتم بعد ذلك تشكيل مديرية سميت
(مديرية بور) كما كان وعين على المديرية وكيلها رجلاً اسمه (آدم افندي
عامر) وهو ضابط سوداني كان من رجال حملة بيكر باشا ومقيماً في هذه
الجهة ثم قنا قاصدين جبل الرجاف وكندكرو حيث يقيم رؤف بك باشا
كما أسلفنا وقد وصلنا هاته الجهة بعد عشرة أيام سفراً في البحر من (بور)
وقابلنا رؤف بك بالعساكر المقابلة المعتادة في مثل هذا المقام وبعد الاستراحة
هنيهة من الزمان أخذ الكولونيل غردون يسأله عن أعمال حكومته وأحوال
الريعية فأخذ المرحوم رؤف بك يقص عليه أحداث محارباته مع أهالي البلاد
حتى قال اننا منذ ثلاث سنوات لم يستقر لنا بالسلم قرار فاجابه غردون بقوله
وأنا يظهر لي أن كل هذه الاضطرابات والحروب ناشئة من سوء ادارتكم
وعدم معاملتكم اياهم بالرفق والمدل وسترى أن كل هاته العساكر والضباط
الموجودة لديك ستسسل الى مأموريات أخرى ولا يبقى بدلها غير مئة من
العساكر يستتب بهم الامن العام تمام الاستتباب قال رؤف بك ان هذا
لا يمكن أن يتم لان مئة نفر اذا تركوا وحدهم هنا لا يلبث المبيدان ينزلوا
عليهم فيقتلوه عن آخرهم فقال الكولونيل غردون الآن حققت قول السير
صمويل بيكر فيك وما كنت أعهد ضابطاً حائزاً الرتبة الميرالاي يكون مثلك

بهذا الخور وهذا الضعف وسترى أنه يكفي لهذه المديرية خمسون رجلا بدل
مئة وفي الحال أمر أن يحضر لديه مشايخ القري ورؤساء القبائل وكانوا
حاضرين في مركز الحكومة فجاءه وأخذ يخاطبهم بالفاظ لينة وكلام لطيف
وأحسن عليهم بالكساوى الحمر والسيوف حتى انطلقت وجوههم بشرا
وفاضت صدورهم سرورا ثم قال لهم بعد ذلك انى تارك بين ظهرانيكم
خمسين نفرا فقط من عساكر الحكومة لحراسة رايها وتشخيص سلطتها
واتم المسؤولون بعد ذلك عن كل شيء يحدث في البلاد فاجابوه اننا عبيد
الحكومة وما دمنا لا يهضم لنا حق ولا يقع علينا ظلم فلا يجمل بنا أن نقوم
في وجه الحكومة ولا نحدث أقل تشويش وستسمع عنا كل خير ومحمدة
أما الباعث الحقيقى للكلونيل غردون على تقليل العساكر الى هذا
الحد فوجهان

أولها بعد الشقة وتعذر نقل الاوازم والمهمات للجيش. والثاني الانتفاع
بهاته العساكر فى نقطة (اللاذوه) المحتاجة كثيرا الى العناية والحذر

عزل رؤف بك وتعيين الطيب بك عبد الله بدله
وبعد أن انفضت حفلة مشايخ القبائل والقرى نفت الكلونيل
غردون الى رؤف بك وقال له نك لا تصلح لوظيفتك هنا فعليك بالسفر
الى القطر المصري وعين فى الحال بدله القائم مقام الطيب بك عبد الله وكان
هذا بكباشى أول الالاي وهو رجل سودانى من قبائل العبيد مثل الذى
عين لمديرية (بور) ثم أمر الوابورات بنقل العساكر الى جهة (اللاذوه) ثم
ترا تى له ان ينقل الطيب بك عبد الله مديرا الى اللاذوه وعبد الله أغا

الانسوي مديراً للرجاف وهذا الثالث من ضباط الجهادية السود أيضاً
وبعد أن قرر مبادئ النظام في هذه الجهة بارحناها قاصدين الجنوب
ومعنا نحو ستمائة عسكري من أولاد العرب والسودان ومررنا في طريقنا
على شلال أمامه جزيرة عالية جدا فيها أشجار كبيرة فاستحسنها الكولونيل
غردون لبناء مستشفى للمرضى لانها قريبة للرجاف بينها وبينه نحو ثلاث
ساعات وقد رتب لها سفنا صغيرة (فلايك) ربطها بأسلاك من الشاطئين
ليسهل اجتياز النهر الى الجزيرة من الشاطئين لكل انسان وأمر ببناء
منازل للعساكر فشرع الاهالي في بنائها بالفعل ولبننا نحن في هذه الجهة
ثلاثة أيام لم نشعر بعدها الا بالعبء قد هجموا علينا محاربين فانتشبت القتال
بيننا وبينهم نحو خمس ساعات انهزموا عقبها شر هزيمة فلما علموا أن لا فبل
لهم بمحاربتنا طلبوا الامان فامنعهم ثم سلموا طائعين فعفا عنهم (غردون) بعد
ما أخذ عليهم العهود والمواثيق وذلك بان حلفوا بالكجور وهو كلام
يعتقدون فيه أنه وسيط بينهم وبين الاله يدعون به فيستجاب لهم ان
لا يعودوا مرة أخرى لمثل ما فعلوا وبعد أن تم الامر على ذلك واستقر
السلام في هذه الجهة قمنا بعد اقامة نحو ثلاثة أسابيع فيها قاصدين البحيرة الكبرى
التي أمامنا فسرنا مسافة عشرين ساعة مضت علينا في أقطار تنزل من فوق
كالسيول المنهرة حتى وصلنا شلالا يسمى (شلال مقي) وهو اكبر من
الشلال السابق كثيراً والماء ينحدر عنه بدوى شديد يصم الآذان ولم يكن
أحد منا يسمع كلام الآخر عند ما اقتربنا منه ولذلك ابتعدنا عنه قليلا ونصبنا
خيامنا حيث رأى (الكولونيل غردون) لزوم انشاء محطة هناك وقد بعث
في طلب مشايخ البلاد والقري فلم يجبه أحد ولذلك أمر العساكر ان يشتغلوا

بالبناء والحفر كما أرادته ثم أنشأنا زريبة أمامها خندق لاننا توقعنا الشر من أهالي هذه الجهة وقد كان الذي توقعناه فاننا بينما كنا نعمل عملنا لم نشعر إلا وقد دقت الطبول وصاحت الابواق وتبعت ذلك حركة مزعجة من جموع كثيرة تحاول الهجوم علينا فسارعت العساكر للتأهب والاستعداد داخل الزريبة وانتظرنا حتى كان بيننا وبين أولئك المهاجمين صرهي الرصاص ولكننا أمسكنا عن اطلاق النيران حتى يبدووا بالعدوان فلما رمونا بالنبال والنشاب السامة رميناهم بنيران حامية لم يهتملوا فرجعوا الى الوراء ثم عادوا فعدنا وتقهقروا ثم عادوا الثالثة فحملنا عليهم حملة منكرة ارتدوا بها مكسورين ولكن أسههم قد أضرت بالعساكر كثيراً حتى لو أن سبهما منها أصاب رجلا بين ظفره ولحمه لما نجا بعد ذلك

وفي اليوم التالي لهذه المحاربة حضروا بأولادهم ونسائهم يحملون النيران في أيديهم ليلقوها على الزريبة كي تحترق وقد زحفوا علينا بسرعة غريبة وظللنا نحن نطلق النيران عليهم لنمنعهم من الوصول الى الزريبة فلم يرجعوا وتمكن بعضهم من الوصول اليها والقوا النيران عليها ولكن أخشاب الزريبة كانت رطبة فلم تحترق وتضاعفت خسائرهم فلجأوا الى الفرار وهدجروا ديارهم نازحين الى جبل (مقي) القريب من الشلال للاستعانة بشيخه فما كان من الكولونيل غردون الا ان أمر المرحوم عبد العزيز بك لينان (نجل المرحوم لينان باشا) أن يقتني أثرهم بستة بلوكات من العساكر مسلحة بالرامنتون وأعطاه الذخيرة اللازمة وساروخا حربيا فقام عبد العزيز بك بالقوة التي معه واجتاز النهر الى البر الشرقي وصار مع العساكر صاعداً الجبل ولكنه أخطأ اذ ترك بعض الجبهه خائفة وأخذ بعضها قائلاً إن ماخذ العساكر في جعابهم كاف لحين

العود ثم لم يلبث أن التحم القتال بينه وبين سكان الجبل واللاجئين اليه فانصر عليهم بعد نصف ساعة قتالا ثم امتلك الجبل بكل ما فيه وللقضاء الحتم صاح أحد المساكير عليه قائلاً يا بئك قد فرغت الجبهه خانه فأخبر بعض التراجمه السود اخوانهم من سكان الجهة بهذا السرفشارت الالهالى مرة ثانية على المساكير وحاصروهم حصاراً شديداً قطعت النيران في أثناءه ثم هجموا عليهم هجمة واحدة أفنواهم بها عن آخرهم وقد مثلوا بعبد العزيز بك تمثيلاً فظيماً سيأتى بيانه

وقد تمكن شخص بروجى أسود من الهرب وعاد الينا فاخبرنا بهذا الحادث المشؤم ولما رأى الكولونيل غردون ما أصاب المساكير طلب مدداً من الجهات الشمالية فجاءتنا في نحو عشرة أيام ستمائة نفر جرد منهم الكولونيل غردون ومن المساكير الذين كانوا لدينا حملة تحت قيادته اجتازها النهر وعند ما وصلنا أسفل الجبل قسم المساكير الى أربع فرق جعل على كل واحدة منها قائداً وكان هو القومندان العام وبذلك امتلكننا الجبل من الجهات الاربع وصعدنا بالتدرج فلما شـمروا بنا صاروا يرموننا بالنبال والنشاب فأحدثوا بنا اضراراً كثيرة لاشرافهم علينا من فوق وكان القائد العام ينتقل بيننا من مكان الى مكان مشجعاً مستنهضاً حتى صعدنا لاعلى قمة الجبل وتمكننا من قهرهم فقتل من قتل وأسر من أسر والذين بقوا على قيد الحياة طلبوا الامان فأمنهم غردون وأبطل اطلاق النيران عن الالهالى بالكافية وهناك رأينا جثث القتلي من عساكرنا محروقة بالنار ماعدا جثة عبد العزيز بك فقد رأيناها مصلوبة على جذع شجرة قد انفرست في جسمه نحو خمسمائة نشابة لاتزال مغروسة فيه فسألنا الاسرى عن سبب ذلك فقالوا اننا أمسكناه حياً واوثقناه بجذع

هذه الشجرة وأمرنا أولادنا الصغار الذين يتعلمون رمي النشاب أن يرموه به فصاروا يرمونه حتى مات كما ترونه . قالوا ولكن روحه لم تقض الا بعد ثمانية أيام من صلبه مع استمرار رميه بالنشاب كل يوم فأثر ذلك فينا تأثيرا شديدا وحاولنا أن نخرج من جسمه السهم فتعذر علينا ذلك الابتزيق الجسم ولذلك اخترنا الكولونيل غردون تكسير أيدي النشاب الخشبية بالمنشار مع بقاء أسلحته فيه ودفنه على هذه الحالة وقد كان ذلك

وبعد ان وطدنا نفوذ الحكومة بين أهل الجبل وأقننا بين ظهرانهم عدة أسابيع قمنا قاصدين البحيرة الكبرى وبعد مسيرة يوم وصلنا جهة يقال لها اللابودية بها شلال عظيم جدا وأرضها منحطة ولذلك بعد ان عزمنا على انشاء المحطة بها اخترنا ان تنشأها على ربوة عالية بينها وبين الشلال مسيرة ساعة من الزمان وقد حضر لنا أهالي هذه الجهة طائعين مسلمين قيادهم لنا باسم الحكومة الحديدية وساعدونا على حفر الخندق وبناء الاستحكام الذي انشأناه وبعد انجازة عين الكولونيل غردون لهذه المحطة مأمورا تاركا معه شذمة من العساكر ثم قمنا سائرين في وجهتنا وبعد مسيرة يومين من مغادرة شلال اللابودية صعدنا جبالا مملوءة بالعبيد السود وأرضها خصبة كثيرة المواشي من بقر وغنم وغيرها فلما رأنا السكان كانوا يسارعون الي قمم الجبال فيصعدون عليها ويقذفوننا بالحصى ويشتمون ويسبون ومحصل سبابهم (رجعوا يا ترك الي حيث جئتم ارجعوا أيها الجائعون الذين أتيتم لتأكلوا أبقارنا وأغنامنا ارجعوا الي بلادكم فلا تراحمونا في أرزاقنا) وقد خاطبناهم نحن باننا ماجئنا إلا للتفرج على بلادهم والسياحة الي البحيرة الكبرى فسألنا بعضهم ولماذا انشأتم المحطات وأقمتم الحصون وحفرتم الخنادق وتركتم النقاط العسكرية

في طريقكم ثم قالوا (اذا كنتم تريدون ان تقيموا بيننا مراكز ومتاريس فلا بد ان نهجمكم ونقلتكم عن آخركم واما اذا كنتم تريدون البحيرة الكبرى فهاهي الطريق امامكم مفتوحة)

أما نحن فقد ظللنا سائرين وعن كلامهم معرضين ومازلنا كذلك حتى وصلنا الي البحيرة وتسمي هناك البركة او الميعة العظمى ونعني بها (نيازنا) ولما اقبلنا عليها شاهدنا صحراء منسعة جدا مكتظة بالاشجار وانواع الخضرة وفيها نوع من النبق كبيض الدجاج في حلاوة العسل مع طيب الفاكهة فخططنا رحلتنا ونصبنا خيامنا للمبيت على شاطئ البحيرة وبتنا ليلتنا محترسين محاذرين من هجوم العبيد علينا ولكن لم ينتصف الليل حتي هاجمنا سيل نزل علينا من الجبال بقوة تيار جارف شديد فاخذ ما كان معنا من المؤنة والامتعة وألقاها في البحيرة وصرنا في حيرة شديدة حتى الصباح فوجدنا كل ما كان معنا قد ذهب طعمة للبحر الا الجبه خانة فاننا كنا احتطننا لها من أول الامر فوضعناها على أشجار عالية فلم يمسسها ضرر

وماطلع النهار حتي اغار علينا العبيد بقوة هائلة ظانين ان السيل قد أخذ منا الجبه خانة ولذلك لم نزل نطلق عليهم النار حتى لجؤا الي الفرار واكتسبنا منهم في هذه الواقعة نحو مائة رأس من البقر وخمسمائة من النعم وصار طعامنا بعد ذلك اللحم والنبق بلا كسرة خبز ثم استولينا على عشر مراكب من سفن العبيد استعملناها في خدمتنا وفي استكشاف شواطئ البحيرة

وفي ذات ليلة ركبنا هذه السفن وسرنا بالمجاديف للاستكشاف فقامت علينا زوبعة ذهبت بنا كل مذهب في البحيرة وقد خشينا الغرق الا أن الله عز وجل قد نجانا منه وجمعنا بعد انقضاء الليل في هذا التيه على بر السلامة

في نقطة يقال لها (ماقنقوه) ومن فضل الله جاءنا أهلها متوددين واستضافونا فاسترحنا عندهم واكلنا وشربنا مسرورين من حسن معاملتهم وفي خلال ذلك سأل الكولونيل غردون مشايخ الجهة عن أحوالهم فقالوا نحن في فوضى يأكل القوي منا الضعيف ويحكم العزيز الذليل فقال لهم غردون هل ترضون ان يأتكم حاكم مثل بقوة كبيرة وسلطة قادرة على توطيد الامن بينكم ودفع القوى عن الضعيف فقالوا اننا من الفريق المهضوم الجانب المظلوم الضعيف ولا ريب اننا نرضي بكل سلطة تأتي الينا لتساوي بيننا وبين ظالمينا ثم سألهم الكولونيل غردون أي فريق بينكم الاقوياء المتسلطون عليكم فقالوا له قبيلتنا (أريونجا وبكريك) ولو طلبت مشايخها تين القبيلتين ما أجابوك ولا خضعوا لك فقال لهم نحن الآن نطلبهم للحضور من قبيل التجربة وارسل لهم فابوا وقابلوا الرسل بالسباب والشتائم

أما نحن فقد اخترنا ان نرجع الي جهة (الدفليه) التي هي في البر الغربي للبحيرة وهي الجهة التي اخترناها لنقطة للحكومة ولذلك عدنا بـمـد يومين فرأينا عساكرنا في أشد القلق علينا لانهم ظنوا ان العاصفة التي هبت قد أغرقتنا في البحيرة

وبعد اقامة نحو عشرة أيام في تلك الجهة قمنا قاصدين مديرية العموم التي مقرها (اللادوه) وقد تركنا في الدفليه نقطة عسكرية تحت قومندان ومأمور الجهة وقد مررنا في عودتنا على كل المحطات التي انشأناها فوجدناها في أمن وسلام ولما وصلنا اللادوه اخذ الكولونيل غردون يخبر المعية السنية في القاهرة والـحـكـمـدـارـية في الخرطوم بطلب ما يلزمه من الوابورات والمهمات وسأل ترقى كثير من الضباط الذين معه فكان نصيبي من ذلك رتبة اليوزباشي

وبعد اقامة نحو الشهرين في اللادوه قام الكولونيل غوردون وانا في صحبته قاصدا الخرطوم وشاهدا ثمرات أعمالنا في عودتنا من فرح أهالي كل جهة مررنا عليها وسرورهم بما صاروا فيه من الامن والرغد وحسن النظام الى ان وصلنا الخرطوم وقبولنا فيها بما يقابل به الفاتح الظافر

وعقب وصولنا الى مدينة الخرطوم وكان ذلك في أوائل سنة ١٢٩٢ هجرية اتفق الكولونيل غردون واسماعيل باشا أيوب الحكمدار على قسم الواورات والصنادل ودار الصناعة وعمالها قسمين. أحدهما يكون لحكمداية عموم السودان. والثاني لحكومة خط الاستواء وعرضا عن ذلك للمعية السنية فصدر أمر الخديو لحكمدار السودان بتنفيذه وقد كان ذلك فأخذنا نصف عمال الترسانة ونصف عددها وآلاتها وأرسلناها معهم الي بحيرة (نيانزا) حيث أمر الكولونيل غردون بإنشاء دار صناعة في محطة الدفليه على شاطئ البحيرة الغربي ثم كان نصيبنا من الواورات (بوردين وتلجوين والصابيه والمنصوره وانبابه ونمرة ٩ ووابور الرفاس ووابور الاسماعيليه) الذي كانت أدواته في المخزن لاصلاحه وأخذنا أيضاً نحو أربعين سفينه بين كبيرة وصغيرة وخمس شلبات كبار وضمننا فيها كل ما يلزمنا من التمينات والمهام وجميع ما يحتاج لخط الاستواء



ذكر انشاء ديوان خط الاستواء في الخرطوم

وبعد ترحيل الواورات المذكورة والامتعة والادوات رأي الكولونيل غردون ان ينشئ ديوانا خاصاً باعمال خط الاستواء منفصلاً عن حكمداية السودان ورتب له الكتاب والموظفين وأوجد له الدفاتر اللازمة وسماه

(ديوان خط الاستواء في الخرطوم) وعين عليه رئيساً على افندي سراج المشهور (بتهته) بعنوان (ملاحظ أشغال خط الاستواء)

ومن ذلك التاريخ صارت حكومة خط الاستواء قائمة بنفسها وسمى الكولونيل غردون حكمداراً للعموم خط الاستواء وصارت واردات خط الاستواء من سن فيل وريش ومسك ترسل من فوق لرئيس ديوان خط الاستواء في الخرطوم وهو الذي يؤدي حسابها ويرسلها حسب الاوامر التي تصدر له من الحكمدار

وبعد ان أتم الكولونيل غردون ترتيب ديوانه الجديد في الخرطوم عدنا الى جهة خط الاستواء. وسرورا بنجاحه التمس لنا الاحسان علمينا برتبة صاغول أغاصى فلم يكن بينها وبين رتبة اليوزباشي غير شهرين أو ماحوالي ذلك ثم سافرنا على بركة الله بوابور (تلجوين) فلما وصلنا الى جبل اللادوه وكان عمال الترسانة قد وصلوا اليها وانتظرونا بها أمرهم بفك واپور الحديد ونقله قطعاً الى ترسانة البركة (دار صناعة) بالدفيه وتم ذلك في نحو أربعة أشهر وفي خلال هذه المدة كان بناء الترسانة جارياً على قدم وساق ولما تم اصلاح وتركيب الوابور ركبناه وسرنا به في لجج البركة نستكشف جهاتها حيث كان الاهالي يقفون على شواطئها كلما اقتربنا من واحد منها صفوفاً معجبين مندهشين من رؤية الوابورات اذ لم يكونوا رأوا السفن البخارية من قبل وكان يزيد عجبهم كلما شاهدوا ضخامته وتخيرون في كيفية نقله مع جسامته الى البركة

وفي اثناء سيرنا وصلنا الى جهة (ماقنقوا) التي كانت فيها واقعة المرحوم عبد العزيز ليمان فاستقبلونا استقبالاً حسناً وهناك ألقينا مراسينا

ونزلنا الى البر وأمر الكولونيل غردون أن نبشر انشاء محطة بها فأقنا نعمل ذلك وكنا قد أحضرنا معنا مدافع وجملة آلات ومهمات حربية فاخرجناها الى البر واطلقنا واحداً وعشرين مدفعاً اعلاناً بفتح هذه الجهة

وما سمع الاهالى أصوات المدافع حتى أطبقوا علينا جموعاً كثيرة

وكلهم شاكو السلاح من الحراب والنشاب كانهم قادمون على حرب

وقد توجس الكولونيل غردون خيفة من حالهم هذه فامر العساكر

ان تكون على التأهب والاستعداد للطوارئ ثم فكر في حيلة نافعة هي أن دعا

مشايخهم وأعيانهم اليه فادخلهم معنا داخل الزريبة التي كنا انشأناها حتى لا يتهم

علينا الاهالى. ولكي لا يتوهوا انهم رهائن عندنا أخذ يوزع عليهم الاعطية

من ملابس وسيوف وزجاجات خمر فقرحوا واطمئنوا كثيراً وسألهم عن

تجارة السن عندهم والقيم التي يتبادلونها فيها فقالوا انها النحاس الاصفر وانواع

الحرز والودع الابيض وكان منها كثير في مخازن السرصه بل بيكر باشا وكنا أحضرنا

جانبا منها معنا فلما راوها أعجبهم كثيراً

ولما وثق الكولونيل غردون بهم أذن لهم في الانصراف الي منازلهم

فانصرفوا شاكرين وبعد قليل أرسلوا لنا عددا وافرا من البقر والغنم هدية لنا

فاعطاهم الكولونيل غردون جانباً من الودع والحرز مقابل هديتهم فقرحوا

به فرحاً شديداً ثم أخذوا يتواردون علينا بالكميات الوفيرة من السن وهو

يعطيهم قيمتها من تلك البضائع الرائجة عندهم حتى اجتمع في مخزن الحكومة

في مدة عشره أيام نحو الخمس مائة قنطار وقد كثر التردد من الاهالى على

مركزنا ومن عساكرنا بينهم وكانوا بعد ذلك من أصدق رعايا الحكومة

وبواسطهم جرت فتوحات كثيرة في تلك الجهات وتمت المواصلات بين هذه

المحطة وبين محطة (الدفليه) بواسطة الوابور الذي معنا وبواسطة جملة سفن شرعية
انشئت خلال ذلك

وبعد أن اطمأن الكولونيل غردون على مركز الحكومة الذي شيدها
في جهة (ماقتقوا) عدنا الى محطة الدفليه ثم توجهنا الى محطة اللادوه مركز
العموم وكان قد تم صعود النيل فركبنا الوابورات الصغيرة التي معنا وعدنا
ثانيا بطريق البحر تارة والبر اخري الى جهة الدفليه كي ترتب الوابورات الصغيرة
والسفن بين كل شلال وآخر حتى تكون الملاحة متصلة بين اللادوه والدفليه تماما
أما الوابورات الصغيرة المذكورة فقد كانت الحكومة أرسلتها لنا قطعاً
داخل صناديق فركب بعضها بالخرطوم وبعضها حمل الي بركة (نيانزا) وصار
تركيبه هنالك في الترسانه كما أنشئت الشلبات الجديدة والسفن الشرعية الكبيرة
وبالجملة فقد صارت الملاحة بين البحر الابيض وبين بحيرة اليا نزا سهلة من
كل وجه وأمكن التجار الارباويين والسياح التردد بينهما كما سهى نقل الجنود
والمهمات والناوازم الحربية كلما أريد ذلك

وبعد أن عدنا الى الدفليه أخذنا أهبتنا من الذخائر الحربية والمؤنة الى
ماقتقوا الشرقية (البركة) حيث استأجرنا نحو ألفي عبد منها لحمل هذه الذخائر
والامتعة ورحلنا حملة الى جهة يقال لها (فاتوكه) وهي من بلاد (كبريكا وأريونجا)
والاول بمنزلة وال والثاني بمنزلة السلطان على بلاد فاتوكه المذكورة وعند
وصولنا اليها قابلنا مشايخها وأهلها بالعداء على بركة مياه خاربنا هم نحو
أربع ساعات فقتل منهم عدد كبير جداً ومن لم يمت منهم فرهاربا وبذلك
استولينا على البركة وأخذنا في انشاء محطة على شاطئها ورفعنا علم الحكومة
وأطلقنا المدافع اعلاناً بفتحها ومكثنا في الاستحكام الذي اقتناه نحو شهر من

الزمن كحضورين نخباء الاهلين بالتسليم والطاعة فيأبون

فلما مللنا الاقامة عنزم الكولونيل غردون على مهاجمتهم . ففي صبيحة يوم أخذ معه خمسة بلوكات مسلحة بالارمنتون وترك بلوكا واحداً لخمارة الاستحكام وتوجه اليهم في غلس الظلام فلم تسكد العين تقع على العين حتي أصلتهم جنودنا ناراً حامية فلم يصبروا عليها وولوا الادبار وامتلكنا ذرارهم وقرامهم بجميع ما فيها من ماشية ودواب وأثاث فأخذنا هذه الاسلاب كلها وعدنا الى المركز على البركة ومن جملة ما أخذنا عدد كثير من نساء وأولاد المشايخ والاهالي وكان وجود هؤلاء معناداعية الى عودة المشايخ والاعيان الى طلب الغفو عنهم على أن يكونوا عبيداً للحكومة عوناً لها على أعدائها

فلما جاءت رسالهم الى الكولونيل غردون عصر يوم الواقعة المذكورة قبل منهم توبتهم وأخذ عليهم العهود والمواثيق (وهم يعتقدون في الله فقط) على ما قالوه وسلمهم الاسرى والابقار والاعناب على أن يرسلوا مشايخهم وأعيانهم نجواً طائعين وعلامة الخضوع أنهم كانوا يضعون التراب في أفواههم كمادتهم ثم اتفق معهم على أن يسيروا به الى جهة (مرولي) من أراضي الملك أمتيسه وأن يأتيوا له بالرجال ليحملوا الامتعة والذخائر الحربية بالاجرة فأجابوه سمعاً وطاعة ولكنهم قالوا ان أمتيسه ملك جبار عظيم السطوة شديد البأس كبير القوة وعنده الاسلحة النارية والمدافع ونخشي أن يعرف منا اننا نحن أدلاءكم اليه فيرسل لنا بعدئذ قوة من رجاله يسفكون دماءنا وينهبون اموالنا ويهتكون أعراضنا فقال لهم الكولونيل غردون لا بأس عليكم فأنتم الآن رعية الحكومة المصرية ومن واجباتها أن تحفظكم من أعدائكم وتؤمنكم في دياركم وانا ذاهبون اليه ندعوه وقومه الى طاعة الحكومة الخديوية فان

الملك أمتيسه واحمره في بلاد

وعلى ذلك جردنا حملة قوية كثيرة العدد والعدد ولم تترك في مركز فاتوكه سوي بلوك واحد بضباطه وسرنا على بركة الله الى جهة (مرولى) وهي تبعد عن المركز الذي كنا فيه مسيرة ثلاثة أيام في البحر وكلما أتينا بلدا في طريقنا وجدنا أهلها قد هجروها ولم نعث الا على شيخ طاعن في السن ضعفت رجلاه عن الانتقال به وكانهم غفلوا عنه فلم يحملوه معهم فسألناه عن فرار الاهالى من وجهنا فأجاب انهم فروا حتى لا يقابلوكم بلا اذن من الملك أمتيسه وأنتم في مروركم لا بد أن تحتاجوا الى شىء من الطعام أو الى شربة ماء على الاقل فاذا بقوا في ديارهم لا يبعد أن يجيبوكم الى ما تسألون ولو بالدرهم وهذا مما يفضب الملك ويوجب نقمته عليهم كما حصل في أمر السباح الذين كانوا آتين من بلاد الزنجبار فقال له الكولونيل غردون اذن الاهالي غير ملومين على مهاجرتهم من بلادهم ثم التفت الى الرجل وقال اننا صرنا نخشى عليك السوء من ملكك لانك قابلتنا وجاوبتنا على سؤالنا فماذا تفعل اذا. فقال الرجل أما أنا فستري مني ماذا أصنع ثم قبض بيده على حربة صغيرة وقال ها أنا ألوذ بكم فاعتبروني واحداً منكم وقد صرت أخشى أن ينم على الحجر والمدر والشجر الى الملك الذي له من كل شىء واش ورقيب . فضحك غردون وقال قد بلغت أيها الرجل فكيف تصل سطوة أمتيسه الى هذا الحد وكيف يكون له من كل شىء رقيب عليكم . فقال الرجل لان جميع الاشجار التي ترونها لا بد وأن تكون مخبئة المدد العديد من أعوان الملك

أمتيسه وأرى أن أخباركم واصله اليه أولاً فأولاً عن كل حركة وسكون فاذا
شئتم نجاتي فاحملوني معكم واحسبوني منكم أنى سرتم فقبله الكولونيل
غردون وأكرمه وأمر بجملة على عنقریب من الحشب فوق أكتاف الرجال
وظل معنا الى أن فتحنا مديرية مرولي

كيفية فتح مرولي

لما وصلنا الى أول بلاد هذه المديرية من حوزة الملك وشرعنا فى بناء
مركز نتخذة محطة أولي لنا أخذ العبيد يناوشونا القتال حتى يشغلونا عن
تشيد المحطة وظلمنا على ذلك زمناً طويلاً فلا هم مجتمعون لقتالنا بانتظام ولا هم
تاركونا نهياً لنا مركزاً نقيم فيه مطمئنين

ثم بدا للكولونيل غردون أن يخبر أمتيسه فعاتبه على فرار الأهل
من وجوهنا وتركهم بلادهم حتى لا نستعين بهم على قضاء حوائجنا ثم أخطره
بأننا آتون باسم الحكومة المصرية وهى قوية السلطان شديدة البأس لا تريد
من هذه البلاد الا أن تعمم فيها المدنية والعدالة وتفتحها لخير التجارة التي بها
يتبادل الناس منافعهم فان كان الملك أمتيسه يريد لبلاده خيراً صافى الحكومة
المصرية واستظل تحت ظل علمها الوارف والآتته بجنود لا قبل له بها وأرته
من قوتها واقتدارها مايدك الجبال الرواسى ويرغم أنوف الجبارة . وهأنا
مقيم بمرولي انتظر منكم الرد بما تستصوبون

فلم تمض أربعة أيام حتى حضر رسول من عند الملك أمتيسه يلوم غردون
على تهديده الملك من حيث لا يعلم كنه قوته وهو فى بلاده وقادر على أن ينزل
به وبمن معه البلاء العظيم فلا تنفعه قوة الحكومة المصرية اذا استنجد بها

مهما كانت عظيمة. ثم سأل الكولونيل غردون عن سبب مجيئه الى بلاد الملك أمتيسه لينازعه فيها قائلًا عن لسان ملكه اننا راضون عن حالتنا وما بثنا لكم الشكوي أو العوز لحاجة ونحن في غنى عن مدينةكم التي تسلبنا نعيمانًا واستقلالنا الذي نحن فيه

وبعد مخابرات دارت على هذا النمط اذن الملك أمتيسه للكولونيل غردون أن يشيد المحطة التي يريد تشييدها في مرولي وأذن للاهالي أن يعودوا الى بلادهم وأن يتبادلوا مع العساكر البيع والشراء. وكان ذلك سببًا في زيارة مشايخ وأعيان البلاد للكولونيل غردون فأهداهم الهدايا الفاخرة وخلع عليهم الخلع النفيسة حتى استملهم كثيرا بجانبه واستعان بهم على حفر الخندق واقامة الاستحكام للذين اراد انشاءها وبعد أن أتم بناء المحطة بكل لوازمها رفع عليها العلم المصري وأطلق ٢١ مدفعا اعلانا بفتح هذه المديرية وكان الملك أمتيسه يتظاهر له تجاه كل ذلك بالحب والوداد ويقول اننا نكون يداً واحدة وأستمد قوتي من الحكومة المصرية في بسط سلطتي على الرعية وتأمينها واسعادها وكان الكولونيل غردون أرسل الى مصر ليستحضر للملك أمتيسه عربية

يركبها -- وهي التي كان يركبها التعاشي في أيام دولته كما سيجيء --

أما أراضي مديرية مرولي فهي من أخصب الاراضي الافريقية وكانت بلادها عامرة وأهاليها متقدمين في الزراعة وماشيتها من البقر والغنم كثيرة وملابس أهلها منسوجة نسيجاً دقيقاً من لحاء أشجار هناك يقشرونها ويدقونها دقا يصيرها أشبه شيء بالتيل في خيوطه الدقيقة. وألبستهم الازر يلفونها لثافي أوساطهم ليستروا بها انصافهم السفلي

أما الملك أمتيسه نفسه فكان يلبس القباطي الحريرية من صنع الزنجبار وعلى

رأسه عمامة كعمائم أهل مكة وفي رجله الجوارب والنعال الحمر ويسكن بناء منظماً وكان عنده شاب أصله من أبناء جنسه ولكنه تربى في زنجبار فعرف اللغتين الانكليزية والعربية فوق لغته الاصلية واسمه (مفتاح) فاتخذته ترجماناً له ولكثرة ما كان يأتيه السياح من جهة الزنجبار عرف الاخذ والعطاء ومبادلة الهدايا والسؤال عن الاحوال العمومية

لذلك كان الملك أمتيسه أقوى حكام مجاهل أفريقياه وكان أهله على درجة من التقدم نوعاً عن أهالي الجهات الاخرى وقد أحسنوا زراعة الكروم خلاف ما يخرج عندهم من أشجار الفواكه اللذيذة المديدة في غابات شامعة يتشى المسافر في ظلها أياماً طويلة لا يكاد ينتهي لآخرها

ولما استقرت قدمنا في بلاد الملك أمتيسه وتبادل الكولونيل غردون معه مخابرات المودة خطر على باله أن يدعو للاسلام لانه دين الحكومة المصرية الرسمي لان الملك أمتيسه وقومه مجوس يعبدون الاصنام والتماثيل فأجابه بالقبول وطلب منه أن يرسل اليه علماء لتعليمه وقومه أحوال الدين الاسلامي ففي الحال أرسل الكولونيل غردون له اثنين من أئمة الاورط واثنين من الخلاقين ليجريالهم طريقة الختان فاستقبلتهم الملك (أمتيسه) بالحنافاة والاكرام ثم ضرب موعداً لمقابلة الامامين فتوجها اليه وقابلاه ولكن قد وجد اعنده أربعة من القسوس وأصلهم من المبعوثين البروتستانت جاؤا اليه من ناحية الزنجبار فجعل هؤلاء عن يمينه والآخرين عن شماله وأخذ يسأل كل فريق عن أصول دينه وكأنه لما تحقق بالسؤال من الامامين أن غردون مسيحي دينه دين هؤلاء القسوس اختار الدين المسيحي وكتب الى غردون يستشير في دخوله في النصرانية بعد ما ترك دينك النقيمين ورفيقيهما الخلاقين أياماً عديدة مهملين

لا سائل عنهم حتي كانوا يمكنون الوقت الطويل بلا قوت يكاد يقتلهم الجوع
فاضطروا أن يرجعوا من حيث أتوا

ويظهر من ذلك أن (الملك أم تيسه) كان منافقا ينظر إلى مصلحة نفسه
ويستعمل كل غش وتدليس في طريق الحصول عليها فانه كان يرغب في الدين
الاسلامي قبل ان يتحقق من مسيحية غردون فلما عرف انه نصراني عول عن
رغبته الاولي واعتنق النصرانية دينا . ولذلك كانت عنده اليتان المصرية
والانجليزية فاذا حضر سياح من الانجليز ادعي انه خاضع لسلطة الانكاز
ورفع الراية الانجليزية واذا حضر أحد من قبل المصريين رفع العلم المصري
بحجة انه تابع للحكومة المصرية ولكن انتهى أمره لرفع العلم الانجليزي دائما
ولذلك تركه الكولونيل غردون على حاله واعتبر (مديرية مرولي)
آخر حدود السلطة المصرية وكانت هذه المدينة مركزا للمديرية المسماة باسمها
وأول من عين لها القائم مقام محمد ابراهيم بك وأصله من موالييد السودان
وشهرته ابن جميعه

وبعد تأسيس المديرية على هذا الاعتبار رجعنا إلى مركز (اللاذوه)
وكانت طريقنا آمنة مطمئنة وفرح أهالي اللاذوه بعودتنا فرحاً عظيماً وخصوصاً
لفتحنا البلاد الكثيرة حتى صارت مدينتهم عاصمة لقطر شاسع كثير الخيرات
والبركات يأملون ان يكون لها مستقبل عظيم كمواصم الممالك الكبرى
وتخلص هؤلاء الاهالي من سلطة التجار أصحاب الكبابين (الشركات)
المستبدين . وعقب أن وصلنا إلى اللاذوه ببضعة أيام جاءت الاخبار من (اللاتوكه)
وهي جهة بينها وبين (كندكرو) مسافة اثني عشر يوماً بان زرائب السيد أحمد
العقاد وجماعة من التجار الآخرين مضايقة من العبيد مضايقة شديدة وقد

اشتمد الحصار عليهم وقلَّ زادهم وعندهم تجارة واسعة وأموال كثيرة
ويطلبون النجدة في أقرب وقت والا وقعوا في الأسر والقتل ونهب مالههم
فاضطر الكولونيل غردون ان يجهز حملة بعث بها الى تلك الجهة تحت
قيادة الصاغ محمد اغا عبد الكافي وأصله من ضباط الجهادية السود فسار الي
(اللاتوكه) في طريق كلاها جبال وعرة يسكنها همج العبيد الذين كانوا يتعرضون
له فيقاتلهم ويظفر بهم بأسلحته النارية وما زال كذلك حتي وصل الى الجهة التي
يقصدها ورأى هناك وكيل السيد احمد العقاذ واسمه طه بن محمد ومعه
مصريون نخلصهم من الورطة التي كانوا فيها وجاء بهم وبأمتعتهم وبضعة آلاف
حمار من حمر اللاتوكه هي ذات ألوان خضراء تمشي الهوينيا كما تمشي البقر وتدر
البانها كما تدر البقر وهم يستعملونها لذلك لا للركوب والحمل وعادوا بجميع
ذلك الى (اللاذوه) وقد أخذ العجب منا كل مأخذ لرؤية هذه الحمر الغربية
في شكلها ومعيشتها ورأى الكولونيل غردون ان يوزعها على الضباط والعساكر
فأشار ان تدرّب شيئاً فشيئاً بالركوب والحمل وقد دربت حتى أمكن
استعمالها لذلك بكل صعوبة ثم رأى ان يترك نقطة (اللاتوكه) فلا تكون
تابعة للحكومة المصرية لبعدها وقلة خيراتها

ولما رأى الكولونيل غردون أن جهات خط الاستواء الشاسعة صارت
في قبضة الحكومة المصرية مع ترامي اطرافها وقلة الجنود الذين عنده اختار
ان يضم الى قوته بعض العبيد الذين كانوا عساكر مأجورين لزرائب التجار
وقد قبلوا ذلك فاخذ منهم ألفي عبد انخرطوا في سلك عساكرنا وصاروا
بعد ذلك أحسن الجنود دربة ونظاماً ولكن كان يراعى في اقامتهم بعدهم من
مراكزهم الاصلية فالذي أصله من جهة الغرب يبعث به الى نقطة في الشرق

والعكس بالعكس مراعيًا في ذلك تخالف الاميال ونفرة القبائل التي كانت
مستحكمة عملاً بقادة احكم كل جهة باعدادها وهكذا كلما احتاج الى عساكر
يرسلها الى جهة ينتخبهم من اعدادها لتأييد سلطته بذلك على الجميع

تعيين المولف مدير البور والغربية

وبعد مضي بضعة اسابيع على عودتنا من جهة (مرولى) أصدر غردون أمراً
بتعييني مديراً عمومياً على مديرتي بور والغربية وهما من اكبر مديريات خط
الاستواء وقد أعلن هذا التعيين في خطبة القاها على مجمع من الضباط
وكان تاريخ تعييني هذا تاريخ ترقية الى رتبة البكباشي في أوائل سنة ١٩٠٤ هجرية
وبعد ان استلمت الاوامر وكل ما يلزمي من قوت وذخيرة قمت على وابور
(المنصورة) الى مقر وظيفتي

وقد بقيت في هذه الجهة نحو ثلاثة أشهر أعمل طبق الاوامر التي
كان يصدرها لي مدير عموم خط الاستواء الكولونيل غردون الذي ظل هذه
المدة يغدو ويروح بين شمال القطر وجنوبه وشرقيه وغربيه
وفي خلال هذه السنة بعث لي أمراً بالنزول الى القطر المصرى في صحبته
وعين بدلى القاعقام الطيب بك الذى سيأتي الكلام عنه. وقد كان ذلك وعدنا
على بركة الله الى القاهرة وقابل الكولونيل غردون يوم وصولنا المرحوم الحديو
الاسبق وكنت معه في هذه المقابلة فأنتم علي برتبة القاعقام وكان ذلك في
شهر رمضان سنة ١٢٩٤ لان الكولونيل غردون أحسن الشهادة في حقي كثيراً
وبعد هذه المقابلة عدنا الى قصر الزهة حيث كان غردون نازلاً وظل

عشرة أيام في القاهرة ثم غادرها الى انكرا . وكنت أخذت اجازة منه أن أقيم في مصر مدة الثلاثة الأشهر التي عزم على قضائها في أوروبا الا أنه بعد مضي شهرين ورد لي منه وهو في انكرا تلغراف أن أبارح القاهرة قاصدا عموم خط الاستواء بصفة وكيل حكمداره العام فصعدت بالامر

تعيين غردون حكمدار العموم خط الاسواء

ولم أكد أصل الى بربر في طريقي حتى علمت من وكيل مدير تها بصدور أمر عال من الخديو يعين به الكولونيل غردون حكمداراً عاماً لجميع البلاد السودانية المصرية ولسواحل البحر الاحمر وبذلك فصل اسماعيل باشا أيوب من وظيفة حكمدارية السودان . ثم علمت أيضاً بورود تلغراف للمديرية يفيد عودة غردون باشا الى مصر وقضده مباشرة مصوع . ثم حصلت الخبارة بيني وبينه بالتلغراف فأشار عليّ أن أبقى بالخرطوم الى حين وصوله . وقد كان ذلك فاني بارحت بربر قاصداً الخرطوم وهناك انتظرت الكولونيل غردون حتي وصل اليها واستقبل الاستقبال اللائق بل الفائق من كل وجه وأكثر من الاعطية والانعامات على مشايخ القبائل والاعيان مما لم يروه قبل من حكمدار . وكان فرمان تعيينه يمنحه السلطة المطلقة التي يتصرف بها على ما يراه موافقا لعمارة السودان وتنظيم أحواله الخ

وعلى أثر ذلك صدر أمره بتعييني باشمعاوناً لحكمدارية عموم السودان وكانت هي الوظيفة التالية لوظيفة وكيل حكمدار عموم السودان وفي ذلك الحين صدر أمر خديوي بضم جهات بحر النزال الى أملاك الحكومة المصرية وكانت لاتزال في سلطة أصحاب الكبابين (الشركات)

مدير يات بحر الغزال

﴿ تعيين المؤلف مديرا لبحر الغزال - وبداية حوادث ادريس أبت ﴾
 حضر الي الخرطوم على أثر تعيين غردون حكمداراً لعموم السودان
 وخط الاستواء وسواحل البحر الاحمر من جهة بحر الغزال رجل اسمه
 « ادريس أبت » وهو دنقلاوى الاصل اشتغل بالتجارة مجتهداً فآثري وصار
 من رؤساء الكبابين . وطلب مقابلة غردون فأجيب طلبه وأخذ يقص
 على مسامعه من أعمال سليمان بن الزبير باشا - وكان رئيس قومانية أيضاً -
 ماهيج أعصابه من أعمال الظلم والقسوة والسلب والنك والتهتك الخ وحسن
 له ضم جهات بحر الغزال الي سلطة الحكومة الخديوية وذكر له من خيراتها
 ما حرك أمياله نحوها ولذلك سأل السدة الخديوية اصدار الامر الذي أشرنا
 اليه قبل فصدر ثم عقد مجلسا من كبار ضباط الجهادية هناك لانتخاب مدير
 لعموم بحر الغزال فاستقر رأيهم على تعييني مديرا لها وقد أسر الي غردون
 وقتئذ ان سليمان بن الزبير باشا طامح الي الاستقلال ببحر الغزال وانه يجند
 حوله جنوداً ويستطيل على الشركات التجارية هناك حتى أوجس التجار منه
 خيفة ولهذا رغب أن أستصحب معي قوة كبيرة وبعض المدافع والذخائر الحربية
 والاسلحة الكافية فاستصحبت ستة بلوكات بضباطهم وعددهم وأخذت جملة
 فصائل من الباشزوق بأسلحتهم ومدفعين جبليين وساروخين حربيين وبلوكين
 من الفرسان وسرنا هكذا على ثلاث وابورات وخمس عشرة سفينة شرعية
 قاصدين بحر الغزال بطريق البحر الابيض ولما وصلنا الي فشوده أخذنا من
 جندها ثلاثة بلوكات من الجهادية أيضاً وتابعنا سيرنا حتي وصلنا الي مشرع

يقال له (مشرع الرق) على الشاطئ الغربي من بحر العزال وهناك تعطل سير السفن بسبب الغابات الكثيفة التي تسد البحر في نقط كثيرة منه فطلعنا الى محطة المشرع وهي صحراء واسعة فأقمنا بها زريبة من الشوك مربعة الاضلاع ونصبنا بها الخيام ورفعنا عليها علم الحكومة اعلانا بفتح هذه الجهة ثم أرسلنا رسلا الى مشايخ القبائل فحضروا وأعلمناهم بدخولهم في ولاية الحكومة فأظهروا الخضوع والسرور وتبادلوا البيع والشراء مع المسافرين

ثم كتبنا منشوراً الى جميع الجهات اعلانا لوكلاء الكبابين (الشركات) والاهالي بصيرورتهم من رعايا الحكومة المصرية وأن يحضر أولئك الوكلاء والاعيان الى مركز (مشرع الرق) ولم تمض أيام قبائل حتى حضر قناوى بك أبو عمورى ونظاره (وكلاؤه) ومشايخه على القبائل طائعين وحضر أيضا وكلاء الحواجا غطاس وهو من مشاهير التجار وأصحاب القومانيات الكبيرة وهكذا أخذ رؤساء التجار يفدون واحداً بعد آخر اظهاراً لطاعتهم وسرورهم بامتداد سلطة الحكومة المصرية عليهم وكنا نأخذ من رجالهم الاسلحة وحصص الحكومة من أنواع التجارات المحتكرة لها كالريش والصمغ وسن الفيل ومقدار هذه الحصص كان مقدراً بثلاثة أخماسها الا أنهم كانوا يظهرون التضمر من قلة ما تتركه الحكومة والتمسوا في نظير ذلك ان تعفيهم الحكومة من أجره نقل بضائعهم على مراكبها بين بحر العزال والخرطوم

وقد استلزم الحال أن توجه الى أماكن هذه الشركات التجارية واحداً بعد آخر لقسم حصصها وضبط نصاب الحكومة منها واستصدرنا أمر من حكمدار عموم السودان باجابة ما التمس أولئك التجار فصدر الأمر بذلك وفي خلال ذلك تبينت من أمر (ادريس أبت) انه رجل غير مستقيم

مثير للفتن ذو سوابق سيئة بينه وبين جميع التجار فأريت أن أزجه في السجن
لأتدارك ما كنت أتوقع من شروره



ببلاد نمم

ومما يتصل بجزر الغزال بلاد النمام وبلاد (القورقرة) التي تكثر فيها
البغايا ذات الذنب الاحمر

ولذلك أخذت أنقل من مشاريع التجار حتى وصلت الى تلك الجهات
وأهل النمم حمر الالوان نحاسيون عراة الاجساد غير أن نساءهم يسترن
عوراتهن بالحشائش الخضراء التي يغيرنها كلما جفت وكل ما يملكون من انواع
الحيوانات وطيور الدجاج التي تفوق العد على قدر ما يناسب حال كل منهم
وكذلك الكلاب ولحمها عندهم أغزر ما يأكلون وهو طعام امراءهم ولذا
كانت قليلة عندهم

واراضيهم واسعة خصبة تنبت قصب السكر والذرة والموز ينبت وحده
في غابات شاسعة لكثرة نزول الامطار هناك

وفي طرف من هذه البلاد جبل يسمى (جبل الدنوب) لاهليه رجالا ونساء
شفف كبير بالغناء يضربون الالحان على السفافير وهي ضرب من الناي باتقان
عجيب ومن عادتهم أن ينزلوا في رأس كل عام وقت الحصاد ويمروا على البلدان
وأجران المحاصيل للتسول بغنائهم فيجمعون قوت عامهم ويعودون الى
بلادهم وهم يصطادون الوحوش والطيور والفيالة لاكل لحومها وهم أنعم
أهالي تلك الجهات مراسا وأضعفهم جانبا لا يعتدون على أحد كما لا يعتدي
أحد عليهم

وقد سألت عن الذين يأكلون لحوم البشر منهم فعلمت أنهم أهل قبيلتين فقط. من بلاد النَّمَم وليس ذلك من عادة القبائل كلها وأن أكل الانسان عند تينك القبيلتين ليس دائماً وفي كل حال بل اذا مرض أحدهم وغلب اليأس من شفائه أسلمته قبيلته الى الاخري لتأكله كما تفعل الثانية ببعضها مع الاولى ومن ذلك يتبين ان اكل لحوم البشر في بلاد نَمَم ليس غذاءً عادياً لهم كما يتوهم البعض بل هي طريقة اتخذوها لبيان معزة أحدهم عند الموت وironها اسمي شأننا من دفن الانسان في القبر أو احراقه بالنار مثلاً. ويرون في ذلك راحة لهم من عناء انشاء المقابر واحتياطاتها الصحية

أما سكان قورقورو وهي من ذلك الاقليم أيضاً فهم بيض الوجوه صفر الشعور زرق العيون كأنهم أوروبيون يعيشون في القارة الاوربية ولكنهم يخالفونهم في زيادة الشقرة في اللون حتي ان الرأي ليستغرب وجود مثل هؤلاء الناس في وسط القارة الافريقية وعلى القرب من خط الزوال

وفي هذه البلاد حيوان يسمى (البعام) أشبه شئء بالانسان في صوته وقامته يستأنس كالقرودة وله شعر مسترسل خلف ظهره وعلى جانبيه فائق في طوله جميل في منظره يتغزل به السودانيون كما تغزل العرب في عيون الجآذر والغزلان

وتجاور أهل قورقورو قبيلة تسمى (تيكتيكه) أهلها أقصر ما رأيت قامت وهم على غاية من الوحشية في معيشتهم ونفورهم من غير ابناء قومهم وبعد ما تجولت في هذه المديرية زمناً أصابني مرض شديد اضطررت معه الى الاستئذان في العودة الى الخرطوم فهدت وأخذت معي ما جمعت من سن القيل وريش النعام ولكن عند وصولي اليها كان الكولونيل غردون قد ذهب

الى سوا كن فاستأذنته تلغرافياً في اعطاء الشركات ما يخصها من تلك السلع فاذن
لى وبلغت قيمة ماخص الحكومة مما جلبت اليها مئة الف جنيه او دعت
بجزينة المالية بالخرطوم

شأن ادريس ابتر بعد ذلك

تقدم لى الكلام على ادريس ابتر وزجى اياه في السجن لما تبينته من
حاله فلما عدت الى الخرطوم جلبته معي اليها مخافة أن يكون في بقائه هناك
ما يجلب الشرور والمفاسد

وكانت عنده في بحر الغزال كمية وافرة من سن القيل أخذناها منه كما
أخذنا مثلها من الشركات الاخرى ونقدناه ثمنها بعد عودتنا الى الخرطوم .
والمال كما يقال اقوي شفيع للانسان في كل حال اذ تمكن ادريس ابتر لوجود المال
معه من استمالة قنصل المانيا بالخرطوم اليه وبالفعل خابر القنصل الكولونيل غردون
تلغرافيا بان ادريس ابتر قد سجن ظلماً وانه برىء من كل ما نسب اليه والقنصل
المذكور كان من اخص اصداقاء الكولونيل غردون ويشق به ثقة عمياء ولدى عودة
الكولونيل غردون من سوا كن ذهبت للقائه خارج المدينة على احدى البواخر
ومعي الفريق عثمان رفقي باشا القائد العام للجند السودانية وقتئذ فأول كلام
فاتحني به رغبتسه في عودة ادريس ابتر الى بحر الغزال فاخذت اشرح له بأدلة
ما عساه يقع من عودة هذا الرجل وبينت له باسباب أعماله السيئة الماضية فلم
يكترث بشيء من ذلك وأصر على ارجاءه وكان خطابه لى بالفاظ الاستعطاف لا
المرحى حتى انقطع حديثنا بالوصول الى المدينة والاشتغال بما أعد له من الاستقبال
الرسمى وعلى أثر وصوله الى سراى الحكمدارية طير رساله تلغرافية الى

الجناب الخديوي بالقاهرة التمس فيها الاحسان على برتبة الاميرالاي والوسام
الجيدى الثالث اه وماضى يومان حتى جاءت الاجابة من لدن الحضرة الفخيمة
الخديوية وكان ذلك فى شهر محرم سنة ١٢٩٥ هجرية

استقالة المؤلف

(من مديرية بحر الغزال)

« وتعيينه حاكماً على مديريات خط الاستواء وتعيين ادريس أبتربدله »
ذكرت مالم بصحتي من الانحراف بسبب سوء تأثير هواء بحر الغزال
عليها فلما رأيت اصرار غردون على الصنح عن ادريس أبتربدله واعدته الى بحر
الغزال رأيت الفرصة مناسبة لان أستقيل محتجاً باعتلال صحتي والظاهر ان
غردون رأى في هذه الاستقالة أيضاً فرصة مناسبة لارضائي وارضاء ادريس
أبتربدله معاً فقبل استقالتى وعينى في الحال حاكماً عاماً على أقاليم خط الاستواء
بدلاً من براوت بك الاميركاني الاصل الذى كان حاكماً عليها قبل ذلك . ثم
أصدر أمره بتعيين ادريس أبتربدله مديراً على بحر الغزال والتمس له من الجناب
الخديوي الرتبة الثالثة

ثم أمرت بمبارحة الخرطوم فأخذت فى أهبة السفر وعندئذ استدعاني
الكلونيل غردون للتوفيق بيني وبين ادريس أبتربدله ما يصلح ما بيننا . ويقيني أن مغبة
تعيينه ستكون وبالاعلى بحر الغزال ومع ذلك قد محضته النصيح فى أمور
كثيرة أخصها أن يكف عن مناوأة سليمان بن الزبير وأوضحته له صعوبة
عمله اذا لم يكن معه على صفاء

وبعد ذلك باردت الخرطوم قاصداً مقر وظيفتى على وابور (الاسماعيلية)

وسافر هو كذلك الي مقر وظيفته على وابور (الصابية) وظلنا سائرين معاً حتى وصلنا الى بحيرة تدعى (ميمية السنيوره) وهي التي بها مدخل بحر الغزال من الجهة الغربية وطريق خط الاستواء بالجهة الجنوبية وهناك افترقنا بعد ما كررت له النصيحة السابقة وما زلت سائرا في بحر خط الاستواء حتى وصلت الي (اللاذوه مركز عموم الاقاليم الاستوائية) وهناك أصدرت منشوراً عمومياً أبلغهم به الاوامر الجديدة بتعييني مديراً على تلك الاقاليم وقومندانا على عساكرها وبالاعمال اللازمة لاستتباب الامن العام وسعادة البلاد ثم رأيت أن لا اطيع الاقامة في مركز وظيفتي قبل أن أمر على مراكز المديرية لتفقد حالة المال والاهالي وهكذا سرت أنتقل من جهة الى جهة مدة أربعين يوماً ثم عدت الى اللاذوه ثانية وأقت بها نحو خمسة عشر يوماً ثم بعدها متابعاً المرور شمالاً قاصداً مديرتي (بور وسبت) وبينما كنت سائراً بوابور الاسماعيلية في مروري هذا شمال مديرية (بور) قبل أن أدرك محطة (شانيه) بنصف ساعة اذ سمعت لغطاً كثيراً من العساكر الذين معي فسألتهم عن سببه فأخبروني ان أناساً سائرين على الشاطئ حاملين راية حمراء يستغيثون بنا وهم يطلقون بنادقهم في الهواء استتفاً لنا فقممت وأخذت منظاري بيدي وتحققت من أمرهم فأمرت برسو الوابور وانتظارهم وبعد هنيهة وصلوا اليها واذا بادريس بك أبت مديراً بحر الغزال مقبلاً علينا فاندشت لرؤيته في هذا المكان وسألته عن سبب قدومه فأخبرني ان سليمان بن الزبير قد هجم على مركز المديرية وأخذ كل ما فيه من الاسلحة والذخائر فاستفهمت منه عن السبب الذي حمله على فعله هذا مع انه أقام في هذه المديرية سنة كاملة لم يقدم في خلالها على مثل هذا الامر فأنكر إدريس بك السبب الحقيقي قائلاً

انه أقدم على هذا الامر من تلقاء نفسه ولا أعلم له من سبب ورجاني اعطاه
 عساكر لمقارمة عصيانه وردده عن طغيانه فقلت له لا بد أن تكون أنت
 السبب في عصيان هذا الرجل ثم استفهمت عن حقيقة ماجرى من القاضى
 والضابط اللذين اصطحبهما معه ادريس بك فحاولا أولاً مداراة مديرهم ثم رأيا
 أن لا سبيل الى المداراة ولا مصلحة فيها فأقرا بما كان. وهو أن ادريس أبتز لما
 وصل الى زربية شركة المعلم غطاس أدب له مستخدمو الشركة وجاهلهم من الدناقلة
 بنى جلده مأة حوت كثيراً من أنواع المسكرات فلما لعبت بعقله بنت الحان
 أخذ يقول انه تعين مديرارغماً عن ابراهيم بك فوزي وانه أنفق في هذا السبيل
 ألف جنيه للقنصل فريدريك الذي تقدم لنا ذكر شأنه معه ولا بد من استعاضته
 بتوزيعه على موظفي المديرية ثم لا بد من تجريد حملة عسكرية لقهر سليمان بن
 الزبير وتخريب زربية وقتله وصار يتفوه بألفاظ السباب والشتائم في حق ابن
 الزبير فلما بلغ ذلك سليمان بن الزبير قام هاجماً على مركز المديرية وكان منه ما كان
 مما أخبر به ادريس أبتز وكان ذلك قبل وصول ادريس أبتز الى مركز المديرية
 فلما نحى اليه الخبر اعتصم بالفرار لينجو بحياته وكان من أمر اجتماعه بنا في
 الطريق ما ذكرناه

وعلى أثر ذلك أرسلت ادريس أبتز الى غردون مخفورا بعبثرة من العساكر
 وواحد من الضباط وكذلك أرسلت له الاوراق التي باشرت فيها التحقيق
 وفيها «ان ادريس ابتز كان قد أخذ العهد على أولئك الذين قصدوا مدارته في أول
 الامر بكتفهم ما حصل منه ثم عادوا الى الاعتراف بالحقيقة» وما بلغ ادريس ابتز
 الخراطوم حتى زجه غردون باشا في السجن

تعيين جسي باشا مديراً علي بحر الغزال
وبعد أن زج ادريس أبتري في السجن أصدر غردون باشا أمراً بتعيين
جسي باشا وهو ايطالي الاصل مديراً علي بحر الغزال وعهد اليه اخضاع سليمان
ابن الزبير ومقاومة عصيانه ولدى وصوله الي بحر الغزال بدأ بمطاردته وحشد
عشرة آلاف جندي لمقاومته وجرت بينهما وقائع عديدة كان النصر في جميعها
حليف جنود الحكومة وفر سليمان بن الزبير الي برية بين بحر الغزال
ودارفور تدعى (حفرة النحاس) فتأثره جسي باشا حتى أدركه وليس معه
أكثر من أربعائة مقاتل من المبيد البازنجار خارت قواهم ولم يعودوا
قادرين علي مداومة القتال وكان رابع الذي قيل انه مملوك الزبير باشا من
ضمن أولئك البازنجار فاستمال اليه نحو نصفهم وزين لهم الفرار والالتجاء
الي القلوات الواقعة بين دارفور وبحر الغزال ريثما يتناسي الناس أمرهم
فيعودوا الي أوطانهم بعد انطفاء جذوة غضب رجال الحكومة علي تجار الرقيق
فاطاعوه وفروا الي جهة الجنوب الغربي من حفرة النحاس وقبل أن يتعدوا
عن معسكر ابن الزبير بعشرة أميال انقض عليه جسي باشا وقبض علي من
فيه وقتل ابن الزبير واثنين وعشرين رجلاً من أشهر النحاسين الذين معه ^(١) ولم

(١) جاء في العدد ٩٨٤ من جريدة الجوائب بتاريخ ٢٥ محرم سنة ١٢٩٧ نقلًا عن
الجرائد المصرية . وقد قال أحد مكاتب التيمس ان الاخبار الواردة من غردون
باشا عند ما كان في دارفور تفيد ان القائم مقام جسي انتصر أخيراً علي تجار الرقيق
في اقليم بحر الغزال كما انتصرت الانكليز علي الزولوس وذكر المسترجسي خبر نصرته
بالايجاز . وخواه انه لما هجم سليمان أحد زعماء العصاة هزمه المسترجسي واقنق أثره
مدة أميال فانقلب سليمان الي حصنه ولم يمكن المسترجسي أن يستمر مقتنياً أثره بسبب
عدم وجود المؤنثة معه فمكث لغاية ٢٨ ابريل الي أن أتته الذخيرة الكافية فشرع في

تعثر الحكومة على شيء يذكر من أسلابه وغاية ماغنمته لا يتجاوز سبع قناطير من سن الفيل ونحو خمسة آلاف من الريالات المجيدى واستولت على سندات بقيمة عشرين الف ريال بمواعيد مختلفة يؤديها بعض تجار الرقيق لابن الزبير وعثر على أوراق دلت على ان أسباب العصيان كانت مدبرة بينه وبين والده ويقصد هذا من ذلك أن تكلفه الحكومة باخضاع ابنه حيث يبلغ أربه من العودة الي بحر الغزال

ثم عاد جسي باشا الى مقر وظيفته وقتل خلقاً كثيرين من النخاسين والذين لهم علاقة بابن الزبير ومكث مديراً على بحر الغزال سنة كاملة ثم استقال لاعتلال صحته فاقل وسار من بحر الغزال الي الخرطوم فسواكن حتي ادركته المنية بالسويس قبل ان يبلغ القاهرة وخلفه في وظيفته (موسي باشا شوقي) من الضباط المصريين فاستقر قدمه فيها لخلوها من النخاسين الذين هم مصدر كل الشرور والفتن . أما راجح فانه من أولاد العساكر السود

الاقدام والهجوم وكان معه نحو ١٠٠٠٠٠ نفر فاتهم سليمان الفرصة وجمع ٣٠٠٠ نفر من الرقيق غير ان جسي اعتق بعض أنفاره مكافأة لهم علي خدمتهم ثم حصلت مناوشات انتصر فيها جسي وفي ٥ مايو حصلت ماحمة عظيمة انهزم فيها العدو شر هزيمة فعزم جسي على أخذ القاعة بالهجوم ففاز بذلك وهرب سليمان نفسه ومعه نفران وترك جميع الذخائر والمكاتبات التي يستفاد منها خيانة أبيه زبير باشا وكذلك ترك ألف جنيه من ريالات فضة و ٦٣٠ رطل عاج وكيس ذهب وحوالات كانت مع التجار المصريين لشراء الرقيق والعاج وريش النعام يبلغ مقدارها نحو ٢٠٠٠٠ ريال أي ٤٠٠٠ جنيه وغير ذلك من المواد والمهمات وأصدر جسي أمراً بقتل كل من يتعدي علي أحد من الاهالي وشنق تسعة من كبار المذنبين عبرة ليعتبر بها باقي تجار الرقيق وقتل ثمانية من الزعماء في الواقعة الاخيرة وفي عزم جسي تجريد الاهالي من الاسلحة بدون فرق وطردهم جميع تجار الرقيق

الذين يسمونهم في اصطلاح العساكر (غلمان الجهادية) ولم يكن مملوكا للزبير
باشا ولا لغيره قاده الطمع وحب الكسب الي الانتظام في سلك تجار الرقيق
فاتظم في حملة أبي عموري التاجر وكان حليفا للزبير باشا ثم لابنه من بعده .
ومدة الحرب بين جسي وابن الزبير لم تبلغ أسبوعين كان يدعو جسي باشا في
خلالهما الى الطاعة والابتعاد عن سبل العصيان

فصل المؤلف

﴿ من مديرية خط الاستواء وتعيين أمين باشا بدله ﴾

وبعد عودتي من الرحلة التي لقيت فيها ادريس ابتر جاءني سائح اسمه
الدكتور (ينكر) يطلب مني ان اجمع له مائة شخص من الاهالي يحملون أثقاله
مدة تجوله في انحاء خط الاستواء وكانت العادة المتبعة عندنا اذ ذاك ان نسمح
بمثل ذلك لكل سائح على شرط ان يؤدي أجرة كل شخص ثلاثة غروش
من العملة الصاغ عن كل يوم وان يدفع لكل شخص أجرة ثلاثة شهور سلفاً
وان يكون مكلفاً بلوازمهم اليومية من الطعام فعرضت عليه هذه الشروط
فاكبرها وادعى ان لديه أوامر من غردون باحتساب كل نفقات سياحته على
جانب الحكومة فطلبت منه الرقيم الصادر من غردون فلم أجد عنده شيئاً
من ذلك وأخيراً دفع أجرة شهر واحد لكل حامل من الذين جمعناهم له
وتعهد بدفع الباقي عند عودته وبعد ثلاثة شهور عاد من سياحته وامتنع عن
دفع ما بقى في ذمته من أجرة الحمالين وبعد محاورات كثيرة دفع لهم أجرة
الشهرين الباقيين ثم أخذ في أهبة السفر ومعه شيء كثير من العلاج
فاخبرته باحتكار الحكومة هذا الصنف ومنعها الاتجار به وحمله الي الجهات

الشمالية وأهيمته ما تقضى به الاوامر من ضبط مامعه وأخذه لجانب الحكومة فامتنع أولاً ثم رضع ثانياً وكان كثير الالفة والتودد الى طبيب الحكومة الدكتور شنيترز الذي سمي نفسه بعد باسم (محمد أمين) ثم صار حاكماً على أقاليم خط الاستواء باسم أمين باشا

وفي غضون اقامة هذا السائح بخط الاستواء نقل الى كثير من تجار الاوروبيين هناك أنه مصمم على الوشاية بي عند غردون وانه لا بد من ان وشايتي ستفضى الى فصلى وانه يرشح أمين افندي طبيب الحكومة لولاية الحكم على أقاليم خط الاستواء بعد فصلى

على أنني لم اكرث بهذا القول وعددته من قبيل الهوس وخصوصاً ما ذكر من أمر أمين افندي الطبيب لاني وسائر من معي من الموظفين نعتقد فيه فقدان الروية وعدم الخدق حتي في صناعته التي انقطع لها ودرسها فكيف يكون شأنه اذا عين بوظيفة حاكم لاقاليم بخط الاستواء ادارتها عسكرية ومدار عملها على الحركات العسكرية والمهارة الحربية ثم غادر الدكتور (ينكر) خط الاستواء على احدى البواخر فكتبت الى الكولونيل غردون أعلمه بكل ما وقع بيني وبين الدكتور (المذكور) وشرحت له معاملته من أولئك التجار من نوايا و نوايا أمين افندي الطبيب ولما وصات الباخرة الى مكان يدعي (شيشه) يبعد عن الخرطوم بنحو مائة ميل أصابها خلل أوقف متابعة سيرها فخرج السائح منها واستأجر نوقا وصل على ظهورها الى الخرطوم وقابل الكولونيل غردون وأتني عليه ماشاء من الاكاذيب والوشايات فاحتمهم غيظاً جرياً على عادته حيث كان من طباعه أن يصغي لسكل واش سبق غيره بالشكوي اليه من غير أن يتحرى صدقه ويقف على كنه قصده

وبعد بضعة أيام أصلح خلال الباخرة فاستأنفت سيرها الى الخرطوم
وبعد وصولها ذهب صاحب البريد ليسلمه للكولونيل غردون فامتنع من
استلامه وأصدر أمراً بفصلي من مديرية خط الاستواء وتعيين أمين افندي
الطبيب وكيلاعني حتى تصدر أوامراًخري . ثم غادرت خط. الاستواء قاصداً
الخرطوم حيث أصدر الكولونيل غردون أمراً بتعيينه حاكماً عاماً على أقاليم
خط. الاستواء فوق ذلك موقع الدهشة والاستغراب لدى الموظفين الذين
لا يرفون لهذا الرجل أهلية ادارية أو عسكرية تبوؤه هذا المنصب الخطير وأيقن
الكل بأن الدكتور (ينكر) هو الذي مهد له هذا السبيل وبوآه هذا المنصب
ولا غرابة في ذلك فان الدكتور شنيتر قدر على اخفاء دينه وتسمى
بمحمد أمين فليس ببعيد علي منافق كهذا استمالة مثل الدكتور ينكر ماداما
علمين من الكولونيل غردون الاصغاء لكل مبادرٍ بالوشاية ولو كان
ذا قصد سيء



قصة الافيال في خط الاستواء

ومن الاعمال التي تدل على جهالة أمين افندي وبعده عن أصالة الرأي
بعد السماء من الارض ان الكولونيل غردون كان اشترى من أفيال الهند
الداجنة عدة وجلبها الى خط الاستواء ولما عينت حاكماً على خط الاستواء
سلمها اليّ وأمرني أن أقم لها زريبة من الشوك علي بعد ألف ومائتي متر
من مدينة (اللاذوه) وكنافى غداة كل يوم نخرجها من الزريبة ونسرحا في
الفلاة تقف بالخشائش وتختلط بالافيال الوحشية وفي أصيل النهار تعاد
الي الزريبة فيتبعها منها بضعة أفيال أو أزيد بعد ادخالها في الزريبة فيقتل

العساكر الافيال الوحشية رميا بالنبل فتأخذ الحكومة أسنانها وتأكل العساكر لحومها اذ هي لذيدة جداً ومحبوبة عندهم وبذلك تقتصد الحكومة ثمن اللحوم التي تجريها على العساكر. وفضلا عن ذلك فان الاقاليم الاستوائية لا توجد بها دواب للحمل ونقل الأثقال من مكان لآخر فكانت هذه الافيال تؤدي وظيفة الحمل في زمن الحروب ونقل الذخائر من أهم حوائج الجند اذ يحمل الواحد منها اكثر من حمل خمس من الابل

وغير هذا وذاك اني لما غزت بعض البلاد لادخالها في طاعة الحكومة وحملت الأثقال على تلك الافيال كان الاهلون في كل جهة مررنا بها يقابلوننا بالاعجاب ويتساءلون كيف أخضع هؤلاء الناس الفيل الذي هو أكبر حيوان وكيف ذلوه لارادتهم وقادوه كما تقاد الشاة ولما وصلت الي بلاد العصاة لم يقابلوني بغير تقديم الطاعة والتسليم هم وملوكهم وصرحوا لي بأنهم لا يستطيعون قتالي وقتال جنودى الذين ذلوا الافيال وكان ذلك شأنى مع كل بلاد غزوتها بالافيال وأطلق الجنود اسم بلاد الافيال وقبائل الافيال على كل بلاد وقبائل دانت بطاعة الحكومة رهبة للافيال وأطلق الاهلون على اسم (الحاكم صاحب الافيال) وبعد مبارحتى خط الاستواء خيل لامين افندي باشا أن يذبح الافيال الداجنة ليتحقق الفرق بين لحومها ولحوم الافيال الوحشية ولاجراء تحليلات كيميائية وقد فعل فانظرالى هذه السخافة

وكان في خط الاستواء ثيران من البقر تبلغ الالفين ذلت بأزمة حتى صارت قابلة لحمل الأثقال والركوب كالجمل فذبحها كلها ولو كانت الافيال والثيران باقية لما هلك اكثر الذين رافقوه مع المسترستانالى الرحالة عند مغادرته خط الاستواء كما سنذكر ذلك في موضعه ان شاء الله

ذكر ما حصل للمؤلف من الكولونيل غردون وسفره لمصر
ولما وصلت الخرطوم قصدت سراي الحكومة واتمست مقابلة
الكولونيل غردون فلم يأذن لي بمقابلته فمدت الى منزلي وأنا مصر على مناداة
السودان وعدم قبول أى خدمة فيه بعد الاهانة التى لحقتني من السائح الذي
سعي بالوشاية فيّ عند من لم يتحر الحقيقة ولم يعتقد في الاوروبيين انهم بشر
يجوز في حقهم الكذب والحيانة والغرض فعرضت اليه التمس التصريح لي
بالشخص الى مصر فاستدعاني وخطبني بأفنة فإلأنت تريد السفر الى مصر
قلت نعم قال ولماذا قلت اني مكثت سبع سنوات هنا وأود العودة الى وطني
لتبديل الهواء والفرار من وجه السياح الكذابين مثل (ينكر) فقال أهو كذاب
قلت نعم ولو أطلعتني على سمائته بي عندك لا ظهرت لك كذبه وانني ماعاملته
الآن بما لا مندوحة لي منه وهي واجبات وظيفتي وختمت حديثي باعادة
الالتماس بالتصريح بالسفر الى مصر على نفقة الحكومة فقال قد أذنت لك
وأمر بكتابة الاوامر بسفري على نفقة الحكومة ثم طلبت منه كتابا الى الحربية
المصرية مؤذنا باحالي عليها فأعرض عن الاجابة فألححت في الطلب وصمم
على الرفض فانصرفت عنه وهو مغمم من الغضب وأنا مغمم من الغيظ والكدور
وما مضت أيام حتى غادرت الخرطوم وما زلت سائراً حتى وصلت القاهرة

ذكر ما وقع للمؤلف مع شاهين باشا ناظر الحربية
وفي ثاني يوم وصى لمصر ذهبت لديوان الحربية لابسا الملابس الرسمية
حيث قابلت شاهين باشا ناظر الحربية والبحرية المصرية فتمثل لي واقفا بشاشة
وطلاقة وجه وبمد تناول القهوة سألني وأمارات الدهشة والاستغراب بادية على

وجهه أنت حائز لرتبة أمير ألاي فقلت نعم فقال ومن أين قدمت فأجبت من السودان فقال ما اسمك قلت ابراهيم فوزي فقال هل عندك كتب من حاكم السودان قلت كلاً فقال وبماذا تعرفك فقصصت عليه ما كان من امتناع حاكم السودان من اعطائي كتاباً فقال ولاي شيء كان ذلك فلت لا أعلم ثم سألتني عن براءة الرتبة التي أنا حائز لها فأجبتته بأن لدي البراءة من رتبة الملازم ثاني حتى رتبة الامير الاي فقال أود الاطلاع عليها وعند ذلك لم أتمالك كظم غيظي حيث قلت له أظن بأنني مختلس هذه الرتبة فان كان كذلك فان لديك القربق عثمان رفقي باشا الذي كان قائداً عاماً لمسافر السودان فسله عني ينبئك اليقين واذا شئت فان معية الجناب الحديوي تحبرك بما يجعلك في غنى عن توجيه هذه الاسئلة اليّ ثم انصرفت عنه وهو يلاطفني ويرجوني أن أقابله في الغد



مقابلة المغفور له خريو مصر اسماعيل باشا

وبعد انصرا في عن ناظر الحربية ذهب هو الي سراي عابدين العامرة وتشرف بمقابلة الجناب الحديوي وقص على مسامعه الكريمة حديثي فأمر ناظر الحربية باستدعائي بين يديه في الغد لمقابلة سموه وفي الغد ذهبت الي ديوان الحربية كما أمرت ولما دخلت على الناظر كان أول خطاب وجهه الي «أنت جئت» كأنه يرتاب في محيئي ثم قال. بعد ساعتين نتشرف بمقابلة الجناب الحديوي المعظم فظهرت السرور وبعد انقضاء الساعتين ركبت معه عربته ولما مثلت بين يدي الحديو قابلني بالبشاشة والاكرام وكان ناظر الحربية قد سبقني الي ذلك وبعد الجلوس سألتني عن اسمي فقلت ابراهيم فوزي الذي قابل

سموكم مع الكولونيل غردون وأنا يومئذ حائز لرتبة الصاغقول اغاسي
وقد أحسن سموكم على رتبة البكباشي في غضون تلك المقابلة وقد تنازل
سموكم بإبلاغي ممنوية الكولونيل غردون مني وشانه على بالنسبة لما كان
مني من الخدم التي أدتها في فتوحات خط الاستواء وتنازل سموكم أيضا وخاطبني
بالفاظ التشجيع والوعد بالترقي اذا ظلمت على النهج الذي أوجب ثناء الكولونيل
غردون على

فالتفت سموه الى ناظر الحربية وقال له لو رأيت الكتب التي وردت
على من الكولونيل غردون باللغتين العربية والفرنسوية بالثناء على هذا
الرجل لعلمت انه مستحق لرتبة الفریق مثلك فاعتذر ناظر الحربية وأمره
الجناب الخديري بمعاملي اسوة امثالي فانصرفت بمداء الشكر للحضرة
الفضيمة الخديوية وانصرف معي ناظر الحربية وفي نفسه شيء مني فدعاني
لركوب عربته للعودة الى نظارة الحربية وبينما نحن سائرون لمحت منه امتعاضاً
على الكولونيل غردون لانه يكيل الرتب جزافاً فانكرت عليه ذلك وقلت
له بلغني انك لما كنت حائز الرتبة أميرالاي كنت أصغر سناً مني فقال كلاً
فاني لما رقيت الى رتبة أميرالاي كان سني اثنين وثلاثين عاماً فقلت له وما
تحسب سني قال عشرين سنة أو اكثر بقليل فقلت ان عمري ثلاثون سنة
وقد نلت الرتب باستحقاق حيث كابدت مشقات وقاسيت صعوبات في فتح
بلاد جديدة وانتهى الحديث بيننا بالوصول الى الديوان حيث أمرني بالتردد
عليه ريثما يجد لي وظيفة تليق بي فكثت متردداً نحو شهرين لم يعرض
على ناظر الحربية وظيفه تليق أولاً تليق بي

قدوم الكولونيل غردون مصر واستقالته

وفي أواخر سنة ١٢٩٦ هجرية قدم الكولونيل غردون الى مصر لمقابلة الخديو فتوجهت لزيارته بقصر الزهراء بشبرا حيث كان نازلا فيه ضيفاً على الحكومة المصرية فقابلني بفتور وكان معه ضابطان أوربان كانا موظفين بخطط الاستواء حينما كنت مديراً. ولما رأيت منه هذا الفتور استأذنته بالانصراف فخرجت وأنا مصمم على عدم العود الى زيارته وبعد خروجي انكر عليه الضابطان ما قابلني به من الجفاء وكانا قد بارحا خط الاستواء لتبديل الهواء في الباخرة التي سافر عليها الدكتور ينكر وغادرا الخرطوم الى القاهرة فأوروباً قبل ان يقفا على شيء من أمري ثم انهما كانا عائدين من أوروبا ولما رأيتني مع الكولونيل غردون كانا يظنان انني قدمت معه كالمرة الاولى والضابطان المذكوران يدعي احدهما الكولونيل (مارنو بك) والثاني الكولونيل (منسون بك) فسألا الكولونيل غردون عن سبب هذا الجفاء فقص عليهما كل شيء من أمر ينكر فكداه تزييف كل ماوشى به ينكر وقصا عليه الحقيقة من أولها الى آخرها فلم يقتنع حتى أطلعا على مخاطبات من السائح ينكر والدكتور أمين تدل على انهما كان يلحان عليهما ليوافقاهما على دسائسهما ووشاياتهما على فابيا ترفعاً وأنفة من مثل هذه الدنآت وعقيب ذلك ارسل الى الكولونيل غردون وبالغ في الاعتذار ورجاني ان اعتقد بان منزلتي لديه صارت أجل وأرفع مما كانت عليه وانه يتأسف كثيراً على ما لحقني من الاهانة فيما مضى فقبلت عذره واكدت حفظ الوداد فكتب في الحال الي نظارة الحربية والى المعية السنوية رسالتين يثنى عليّ فيهما ويسألها توظيفي بوظيفة لا ثقة

ولما وصل كتاب الكولونيل غردون الي الممية السنية أمر الجناب
الخدوي ناظر الحربية بتوظيفي فاعتذر بعدم وجود وظيفة لأتة فامر دباحاتي
على الاستيداع بنصف الراتب الذي هو خمسة وعشرون جنيتها
ولم تمض ثلاثة أيام علي احالي على الاستيداع حتي استدعاني الكولونيل
غردون وعينني بوظيفة قائد عام لجنود السودان الشرقي فاخذت في الابهة
للسفر لمقر وظيفتي

وبينا أنا كذلك اذ بلغني ان الكولونيل غردون قد استقال من وظيفته
وأقالته الحكومة الخديوية فاسرعت وسألته ان يتوسط لي في قبول الاقالة
من هذه الوظيفة ففعل وقبلت وساطته وصدر الامر بعودتي الي الاستيداع
أما الاسباب التي بنيت عليها استقالة الكولونيل غردون فلم أقف على
شي منها و غاية ما علمته من أخبار الصحف وقتئذ أن الخلاف الذي كان قائماً
بين مصر والحبشة في مسألة تحديد التخوم لم يعمل فيه الكولونيل غردون بما
كانت تجنح اليه الحكومة الخديوية من حسم الخلاف بالطرق الودية وملافاة
الشحناء بالخبايا السلية بل كان يود غير ذلك وكانت حالة الحكومة الخديوية
اذ ذلك في ارتباك داخلية لا يجملها القارئ وهي التي بدت طلائعها قبل
استقالة المغفور له الخديو اسماعيل باشا ويقرب من العقل تصديق
هذه الرواية

وقررت الحكومة منحه عشرين الف جنيه مكافأة له على خدمته التي
اداءها بالسودان فاعتذر عن قبولها وأظهر شما اذ قال انني ما خدمت الحكومة
الخديوية لانال منها مكافأة بل كان قصدي خدمة المدينة ونفع النوع البشري
وغاية ما يمكنني قبوله هو مرتب شهرين باق لي لم أقبضه حتي الآن فندفعت

له الحكومة مرتب الشهرين فوزعه على الخدام والطهارة الذين كانوا يتولون خدمته في قصر النزهة ولم يدخر منه غير نفقة وصوله الي بلاده ثم بارح القاهرة الي الاسكندرية فلوندره



تعيين محمد رؤف باشا حاكماً علي السودان
وبعد استقالة غردون باشا عينت الحكومة خلفه المرحوم محمد رؤف باشا الذي جعل ادارته قاصرة على الغاء أكثر الخاميات اقتصاداً للنفقات وأنزل مرتبات الموظفين الي النصف ورافقه ضباط مصريون روى لنا واحد منهم هو القائمقام اسكندر بك محمد أنه سمعه يقول لم يحسن الجناب الحدو بتوليقي على عموم السودان لانني أعرف من نفى عدم القدرة على ادارة شؤون هذه الاقاليم وكان الاحسن أن يبينني مديراً علي اقليمى « بربر و دنقله » فقط. وفي أيامه ظهر المهدي وكان من أمره ما نأتي على شرحه

ذكر وظائف المؤلف بعد ذلك

وفي أوائل سنة ١٢٩٧ تعيين المرحوم عثمان رفقي باشا ناظر للجريدة المصرية فعينني في وظيفة مامور عمليات اقليم الغربية بمرتب خمسين جنيهاً مصرياً في الشهر غير نفقات السفر وبعد انتهاء العمليات عينت ماموراً لتعداد النفوس باقليم الجيزة ثم عدت الي الغربية لفرز انفار القرعة ثم انتدبت لتحقيق مسألة دعوي جماعة من الضباط على دولة البرنس ابراهيم باشا أحمد بأنه غصب منهم تفتيش الزنكولون من أعمال الشرقية وبعد مباشرة التحقيق ظهر كذبهم وفساد دعواهم ثم فصل عثمان رفقي باشا من نظارة الحربية وعين خلفه له محمود سامي

(باشا) البارودي وبدت حوادث العرايين

وفي ابان ذلك أرسلت حكمدارية السودان الى المعية السنية تلغرافاً تخبرها
 ببول حادثة جرت لها مع المهدي فامرت الحكومة بمحشد أربعة طواير
 نصفها من السودانيين والنصف الآخر من المصريين وتاليف الاي منهم
 لارساله الي السودان وتعيين المؤلف أمير الأي عليه وبمدهشدا الجنود أخذنا
 في تمرينهم على اطلاق النار بضواحي العباسية ثم بعد ثلاثة شهور أرسلت
 الحكمدارية تلغرافاً الى المعية السنية تقول فيه إن ميزانيتها لا تتحمل نفقات هذا
 الأي وانها انتدبت لقتال المهدي يوسف باشا الشلالي وجعلت تحت إمرته
 جنوداً نظامية وباشبوزق وأكدت لها قدرته على مقاومة العصاة وإخضاعهم
 وأنه لا بد أن يقضي القضاء الاخير على دعوة المهدي قبل أن تشب من طوقها.
 ولما كنت عارفاً بيوسف باشا المذكور التزمت أن أعرف المعية عنه بأنه كان
 نوتياً ثم صار نخاساً من الذين كانوا ببحر الغزال ولم يكن عسكرياً ولا ادارياً ياقط
 فلم تلتفت لاقوالى وصدرت الاوامر بحل الأي وكان من أمر يوسف باشا
 مايجي ذكره في حوادث المهديوية وأضيف طابورا السودانيين الي لواء عبد
 المال حلمي (باشا) وقتئذ والآخران الي ألوية المصريين ثم عينت بوظيفة
 باشمعاون نظارة الحرية ومكثت بهذه الوظيفة حتى اطلاق الدونمة الانكليزية
 القنابل على الاسكندرية ثم عينت أمير الأي على أعد الايات التي جندت
 وقتئذ وهو الأي الاول من الفرقة الثالثة وكانت اقامة هذا الاي بشعر
 رشيد ثم أمرنا بالتوجه الي أبوقير وعسكرنا بها الي ما بعد واقعة التل
 الكبير

ذكر ما وقع للمؤلف مع العرايين

لا أتوخي في هذا المقام شرح حادثة العرايين بل أبين للقاري ما لحقني من السجن والمحاكمة لدخولي في زميرتهم فاقول
لما انهزم عرابي في واقعة التل الكبير وتأثره الانكليز أرسل الينا تلغرافا بابوقيرينبناهن بيمته وانكساره النهائى ولم نلبث أن جاءنا بعد ذلك تلغراف من المغفور له توفيق باشا الخديوى السابق يخبرنا فيه بالقبض على عرابي وزجه في السجن ويامرنا بالنوجه الى كفر الدوار وتسليم الاسلحة والذخائر لقائد الجنود الانكليزية هناك فامتلنا وذهبنا الى تلك الجهة فوجدنا بها الجنرال (وود) الذي صار بعد ذلك سردارا للجيش المصرى وعند ما ابصرنا أمر جنوده باخذ الالهة والحدرفتقلدوا الاسلحة ولذلك تركت عساكرى وذهبت بنفسى الى مكانهم عند قنطرة المحمودية و معى فارسان فقابلنا الجنرال (وود) وسألني عن نفسى فقلت له الميرالاي ابراهيم فوزى قائد الألاى الاول من الفرقة الثالثة فقال وماذا تقصد الآن فاخبرته بتلغراف الخديو فقال أنت خاضع له قلت نعم فقال ترجل عن جوادك وسلم سيفك ففعلت فرد الى السيف وأمرني بالعودة الى عسكري لامر بهم في وسط صفوف عساكره ونجري تسليم الاسلحة والذخائر عند محطة كفر الدوار وانصرف العساكر الى بلادهم فرجعت الى عساكرى وألقيت عليهم التعليمات المذكورة واكدت عليهم بلزوم الادب وقلت لهم في عرض كلامى اذا لم تكونوا شجعانا بواسل في بداية الحرب فكونوا مؤدبين في نهايتها فاطاع العساكر أو امرى واجتازوا صفوف الجنود الانكليزية بكل هدوء وسكينة وكانت الجنود الانكليزية تؤدى وقت

مرورنا للتحية العسكرية حتى جاءنا أحدياوران الجنرال وأمرنا بوضع الاسلحة
والذخيرة في عربات السكة الحديدية ثم انصرف العساكر الى بلادهم وتلطف
الياور في سؤالنا تسليم سيوفنا وأسلحتنا الخصوصية ورايات الالوية فقلعنا
وعقب ذلك ساقونا وجميع الضباط وكانوا نحو مائتي ضابط الى سراي
الرميل بصفة مسجونين وخفراءنا من الجنود الانكليزية وكانت معاملتهم لنا
حسنة سيما تقديم الاغذية النظيفة والشاي والقهوة وبعد اتقضاء أسبوع جاءنا
الفرق اسماعيل كامل باشا ومعه ضباط من المعية فاطلقوا صفار الضباط وأبقوا
كل حائر لرتبة القنصل فاقامها فوقها وبعضا من الحائزين لرتبة البكباشي وأبلغوهم
جميعا خبر تجريدهم من رتبهم وألقاهم ونياشيدهم وأنهم كسائر افراد الاهلين ثم
ساقونا الى الاسكندرية فدرى رأس التين وبها وجدنا المغفور له الخديو توفيق
باشا واقفا على شرفة مطلة علينا وعلامات الاسف ظاهرة عليه حيث كانت
الجنود الانكليزية محيطة بنا احاطة السوار بالمعصم



ذكر السجن المظلم

وبعد وقوفنا تحت الشرفة بسراي رأس التين جاءنا عثمان باشا عمر في
محافظ الاسكندرية وقادانا الى سجن باب شرقى بالاسكندرية وأدخلنا من
سرداب لايسع اكثر من شخص واحد الى سجن مظلم لا ترى فيه نور
النهار ولا يبصر بهضنا بعضا من شدة الظلام وفي هذا السجن حشرات من
نوع البراغيث والبق تتسابق على انتزاف دمنا ولشدة تراكهم بعضنا على بعض نحس
بحمل ثقيل فوق جسمنا فاضلا عن الآلام التي نتكبد بها من امتصاصها حيث يستحيل
معها أن نزور الكرى اجفاننا . وبتنا تلك الليلة ولا فراش لنا غير الارض التي

تثور منها الحشرات وغطاؤها السقف الذي يطرنا الكثير منها وزد على ذلك الظما فأننا قضينا تلك الليلة ستغيث ونطلب جرعة ماء فلا نجدها حتى مطلع الشمس فدخل علينا الخفراء وكانوا ايطاليين لا يعرفون كلمة واحدة من اللغة العربية كما أننا لانعرف مثلها من لغتهم والمكاملة بيننا بالاشارة والايماء وبعد مضي ليلتين في هذا المذاب جاءنا خبر قدوم خدامنا حاملين فرشنا واغطينا وبعض ملابس فتناولها الخفراء والقوها بين ايدينا بغير تمييز فأخذ كل واحد منا يميز فرشه وملابسه وأما الغذاء فان الخفراء حينما يأتيهم الخادم بطعام ويخبرهم باسم سيده يدفعونه لآخر ولسنا نعلم لذلك سببا سوى الاهمال وعدم الاعتناء ولم ندفع ضرر هذه المسألة الا بالاتفاق بيننا على تادية ثمن الاغذية من جيبنا حيث صار المتعهد يؤدي لكل واحد غذاءه دون أن يلحقه حيف وبعد خمسة وعشرين يوما غادرنا السجن الى مصر وقد حملنا على عربات العفش ولما وصلنا المحطة وجدنا شردمة من العساكر المصرية تنتظر قدومنا بها فاحاطت بنا حتى أوصلتنا سجن الضبطية حيث وجدنا به عمراي (باشا) ورفقاه وكل الذين وقعت عليهم تهمة معاضدته وما قابلت الوجوه ببعضها حتى أقبل بعضنا على بعض نتلاوم متخاذلين كما هو شأن المخدولين وبعد ثلاثة أيام نقلنا الى الدائرة السنية وسجننا فرادي حيث كان خفراؤنا من الجراكة فانتقموا منا شر انتقام وكانوا يهينوننا بالدفع واللطم والشتائم القبيحة وغير ذلك من انواع سوء المعاملة حتى أنه لم يكن يؤذن للواحد منا بالذهاب الى المراض الا بعد اللتيا والتي ويقفون بالباب ويدعونه للخروج قبل قضاء الحاجة وان لم يبادر بالاجابة يلجون عليه ويخرجونه مسجوبا على وجهه. وقد اتصل بنا هذه المعاملة السيئة برجال الاحتيال فقاموا وقعدوا وشددوا الزكير على الخفراء وحالوا بينهم وبين متابعة هذه

الفضائع واتسبوا واحدا من ضباطهم صار يمر على السجن كل يوم وسأل
المسجونين فردا فردا عن راحتهم ويتولى بنفسه قطع أسباب الشكوى وإذا
أبلغه مسجون شكوى من أحد الحفراء عاقبة عقابا صار ما

وفي غضون ذلك قبض على عدد ليس بقليل من العلماء الازهريين
بتهمة موالاته العربيين وسجن كل واحد منا مع واحد منهم وكان حبسي مع
واحد منهم يسمى الشيخ احمد عبد النبي وكان فاضلا وكنت حسبت اني أجد
منه أنيسا يسري عني بحديثه الهموم فنقضي معا وقتنا بشيء من التسلية لكنه
لم يكن ذلك لانه كان يقضى اكثر أوقات الليل والنهار نائما لا يكاد ينتبه
الا لاداء فريضة الصلاة أو تناول الطعام فعتبت عليه يوما وطلبت منه أن يقلل
من نومه فاعتذر بانه مادام متكديرا فلا يفارقه النوم فتمعجت من هذه العادة
التي فطره الله عليها وتمنيت أن أكون مثله في هذه الحالة

وكتنا في كل يوم نساك للاستنطاق وكان صاحبي الشيخ احمد عبد النبي
يدافع عن نفسه دفاعا كانت نتيجه سرعة الافراج عنه فبقيت بعده منفردا
أتمني رفيقا بدله ولو كان نواما مثله أنس برؤيته وأسمع ترديد أنفاسه. وبعد
ذلك ببضعة أسابيع أفرج عني بالضمانه بعد استيفاء المجلس أسئلتى

مسألة احراق الاسكندرية

وبعد خروجي من السجن أخذت الي الاسكندرية لاستنطاق عن حادثه
الحريق التي حدثت بها فذهبت اليها وتوجهت الي المجلس الذي شكل به التحقيق
هذه المسألة تحت رئاسة محمد رؤف باشا حيث ادعى القائمقام سليمان داود بك
أن (عرابي) أرسلني اليه بأمره باحراق الاسكندرية فإظهورت كذبه في ذلك

وبينت للمجلس الحقيقة وهي أن سليمان داود بك أحرق الاسكندرية من تلقاء نفسه وان عرابي لما بلغه هذا الخبر أرسلني اليه ومعى القائم مقام نسيم بك الطوبجي قبل غروب الشمس بساعة وقال لنا قولاً له ان هذه المدينة مصرية وفيها نزلاء أجنب و ليست انكليزية حتى يجوز لنا احراقها انتقاماً من فعل مدرعاتهم باستحكاماتنا وقال ادعوا لي حضر بلوائه الى باب شرقى فلما ذهبنا اليه وجدناه واقفاً في ساحة المنشية يملأ الطلابات بزيت البترول ويقذفه على المدينة ويأمر عساكره بنهب ما في المنازل ولما أبلغناه الاوامر كان جوابه لنا « اني أرفض سماع هذه الاوامر ولا أفعل غير ما في ارادتي » و ختم كلامه بقوله « يرى الحاضر ما لا يرى الغائب » فتركناه وعدنا لعرابي فاخبرناه فاستشاط غيظاً وأرسل اليه جماعة من الضباط. وأمرهم بنصحه فان لم يرضخ الامر طوعاً رضى كره انخاف العاقبة وترك الاسكندرية ولحق بعرابي في باب شرقى فعمفه واكثر من لومه وبعد ان أخذ المجلس أقوالى واجهنى به فاعدته في وجهه فأنكر فجئء بالقائم مقام نسيم بك فأيد ما قلته ثم استشهد بضباط آخرين من ضباط. لوائه قال انهم سمعوا منى ومن نسيم بك ابلاغه أو امر عرابي بحرق الاسكندرية فجئء بهم فشهدوا عليه مؤيدين كل أقوالنا ولم يكتب بهؤلاء حتى استشهد بغيرهم فشهدوا عليه لاله وأخيراً حكم عليه بالاعدام شنقاً



تجر يد المؤلف من رتبة وألقابه

وعلى أثر ذلك أشخصت من الاسكندرية للقاهرة كما أمرني المجلس وبعد عشرين يوماً أتمها فيها صدر أمر عال بالتصديق على بعض الاحكام الصادرة

على الضباط والتعمدبل في بعضها فكان نصيبي من هذا الامر التجريد من كل رتبي والقبابي ونياشيني التي احرزتها بالمتاعب والمشقات واقنجام لاهوال في فتوحات خط الاستواء وبيد الله كل شيء واليه مصير كل شيء ولا حول ولا قوة الا به

تاريخ السودان القديم

أورد في هذا الباب طرفا من تاريخ السودان القديم نقلا عن مصادر يتمذر ايرادها في مثل هذا الكتاب اذ لا يوجد تاريخ لهذه البلاد لم كانت عليه من البداوة فسكانها الاقدمون زنوج يطلق عليهم اسم (النوبة) وفي القرون الوسطي دخلها اعراب من صعيد مصر واختلطت أنسابهم بالنوبة وقامت منهم دولة عربية اخضعت لسلاطنتها كل السودان المصري عدا كورد فان ودارفور وتدعي هذه الدولة بدولة (الفون) نسبة الى مؤسسها وكان مقرها بمدينة سنار التي تبعد عن الخرطوم مسيرة عشر مراحل جهة النهر الازرق وروى لنا شيخ من السودان ان العرب الذين استوطنوا السودان انتشر الجهل بينهم بعد انقراض جيلهم الاول وأصبحوا لا يعرفون من الاسلام غير الشهادتين فكانت المرأة اذا طلقت في الصباح تزوجت باخر قبل المساء وحي لنا ان شاعرا ينظم القصائد باللغة العامية دخل على أحد ملوك الفون فانشده قصيدة مدحه فيها وجاء في آخرها ذكر (طه) صلى الله عليه وسلم فانكر الملك هذا الاسم وسأله مستفهما أمن الصحابة طه هذا فسكت الشاعر فاعاد عليه السؤال قائلا كيف لا تعرف طه فقال أظنه من صفار الصحابة لانني أعرف الاكابر كليل وعمر وأبي بكر وقس على ذلك من أمثال هذه الجهالة

وأما مظالم هذه الدولة فحدث عنها ولا حرج فان الملك وسائر قواده وذوى قرابته لهم ان يأخذوا كل بنت حسناء ويتمتعوا بها كوطوءة بملك اليمين ولا يمكن ان يقل عدد المحظيات في بيت الملك عن الالف ومن دونه عن والمائتين

وكانت البلاد الواقعة وراء سنار غنية بكثرة معادنها الذهبية ويحجي الى اولئك الملوك من خراجها القناطير المقنطرة فيصنعون منها الخلي التي من بينها شكل على هيئة راس (سفنكس) الذي هو من قدماء المصريين ويسمون هذا الشكل « دجاجة » وكان أهل الطبقة العالية من النساء لا يلبسن نعلاً الا من الذهب ولا ينن الاعلى أسرة من التبر

وكانت البلاد منقسمة الى مقاطعات ولكل مقاطعة منها وال يحجي الخراج بغير حد معلوم. وقد حدث في بعض السنين ان الملك صادر كل محصولات البلاد فوقعت في مجاعة بلغ فيها ثمن اوقية الذرة مثلامن الذهب وما حال الحول حتي هلك من الناس ما يربو على ثلاثة ارباع السكان

ومن عوائد هؤلاء الملوك ان لا يدخل عليهم أحد وعلى راسه قطنسوة أو عمامة بل يدخل مكشوف الراس حافي الاقدام حاسرا ملابسه الى مافوق سرته ويجثو على ركبته ويقول « مانجل » اي ملك الملوك ويردها حتى يأمره الملك بالجلوس فيجلس على الارض جائساً على ركبته وهذه التحية واجبة على كل أحد للملك وسائر افراد اسرته من ذكر أو انثى

وكان من عوائد بنات الملوك أن يخرجن مكشوفات الوجوه كالافرنج وخلفهن اثبات من الجوارى بحلى كحلى سيداتهن تحمل كل واحدة على راسها طبقاً من الخوص فيه من ضروب الزينة كالذي عليها وعلى مولاتها ومن

أشهر ملوك هذه الدولة الملك (العجيب بن المانجلك) وتسمي هذه الدولة باسم الزرقاء لان ملوكها كانوا يلبسون فلنسوة سوداء لهاقرنان طويلان

ثم دالت هذه الدولة بعد أن مضي عليها قرنان وقامت دولة الهمج وهم مماليك (الفون) ناروا على مواليهم ونزعوا الملك من أيديهم وكانت دولتهم شبيهة بسابقتها الا أنهم أبطالوا الولاية ومنحوا كل شيخ قرية أو رئيس قبيلة سلطة مطلقة يحكم في قريته أو قبيلته بما يشاء بشرط أن يؤدي للملك كل ما يفرضه عليه من الخراج في كل عام فاغترف أولئك المشايخ من المظالم والمغارم مالا يحصى . ومن انواع هذه المظالم أن شيخا من مشايخ قرى الجميلين قبض على عشرين رجلا من رعاياه بتهمة أنهم سعوا به عند الملك فلما أوقفوا بين يديه قال لهم من لم يتمخض منكم كما يتمخض المرأة وولد بيضة كبيضة الدجاجة ضربت عنقه وبعد هنيهة ضرب اعناقهم بعد أن تمخضوا ولم يلدوا بيضا

وأمثال هذه الافعال الوحشية كثيرة يضيق المقام دون ايرادها وآخر ملوك هذه الدولة (عدلان بن ادريس) الذي سيأتي ذكره وأنه اسلم سيفه الي الامير اسماعيل باشا بن محمد علي باشا . وقبل الختام نور دنكته للملك عدلان ابن ادريس وهي أنه كان يد من الخمر في نهار رمضان وكانت له وصيفة اسمها (تام زينه) فاذا جلس في مجلسه والناس حوله دعاها وسألها أغربت الشمس فتجيبه غربت شمسك وشمس رعيتك لم تغرب فيتناول الكأس منها ويشربه وقد صدق هذا القائل عليه وغربت شمس ملكه والدوام لله

ضم السودان الي مصر

قضى ساكن الجنان محمد علي باشا محي الديار المصريه لبائتين من فتح

السودان بل تخلص من ورطتين كبيرتين فقد علمت من شيخ ذى منصب معاصر لمحمد على باشا أن دولة أوربية كانت تسعى لمعارضته باحتلال منابع النيل فاهتم لهذا الخبر أكبر اهتمام واستشار كثيرا من المهندسين الأوربيين الذين جاء بهم من بلادهم إلى هذا القطر فاقروا بالاجماع على أن وقوع منابع النيل تحت برائن هذه الدولة مما لا تحمد مغيبته حيث تصير حياة مصر في يدها فصمم على انفاذ حملة إلى السودان وكانت جنوده من النزر غير النظاميين وكان يقاسى أهوالا من عدم انقيادهم له فيما كان يتوخاه من انشاء جنود نظامية على الطراز الأوروبي فمولى على انفاذهم إلى مجاهل السودان ليستريح من مشاكستهم وهناك احدي الخطتين اما الموت أو الظفر. فان كان الاول لا يعدم من جنوده الذين ينظمهم على الشكل الأوروبي عوضاً عن هؤلاء وان كان الثاني فيكون قد أمن الخطر التي تهدد حياة بلاده. وظلّ أولئك الفاتحون يجنون خيرات البلاد المفتوحة بأيديهم وانطلقت يد العزيز يجند كيف يشاء ويدرب الكتائب وينظمها بلا معارض ولا عدول

هذان هما السببان اللذان وجه اعزيمة المغفور له محمد على باشا إلى فتح السودان فهيات المقادير له قضاء اللبائتين والتخلص من الورطتين فوفد عليه زعيم قرية من قرى الجميلين بأقليم بربر اسمه (بشير بن عقيد) وقرية اسمها (العقيدة) في الضفة الغربية من النيل شمالي قرية (شندي) بنحو عشرين ميلا فاستقبله بالاكرام وعرض هذا الزعيم على محمد على باشا انفاذ حملة لفتح السودان وقص عليه سبب قدومه وهو ان زعيما يدعى (الملك نمر) وشي به عند الملك فارسل إليه يستقدمه فاعتذر فارسل خلفه شردمة من رجاله وأمرهم بضرب عنقه

عند وقوع بصرهم عليه فقر مهمم ولجأ الى مصر فاخذ محمد على باشا في الابهة وسير الحملة وجعل قيادتها لابيه الامير اسماعيل فنادت القاهرة في اواخر عام خمس وثلاثين بعد الالف ومائتين من الهجرة فاجتازت اقليم دنقله من الشمال بدون مقاومة وفي جنوب هذا الاقليم تألبت قبيلة الشايقية وحاربت الجيش المصرى فرجعت مقهورة وسار الجيش الى الجنوب فقابله سكان اقليم (بربر) بالخضوع واجتاز النهر الى جزيرة الخرطوم فاعجب الامير منظر الخرطوم وموقعها بين النيلين وكتب الى والده بما أحرزه من النصر ثم زحف قاصداً (سنار) ولما دنا منها كتب الى الملك عدلان بن ادريس يدعو الى التسليم ويحذره سوء العاقبة فكتب اليه الملك كتابا يقول له فيه «ان مدينة سنار محروسة بالحيول الرومية. وفيها شبان يحبون القتال بكرة وعشية. فلا تغتر بالتصارك على الشايقية. بل تيقن اننا نحن الملوك وهم الرعية.» وما وصل الكتاب الى الامير اسماعيل حتى زحف بخيله ورجله عليه فالتقي الجيشان في وسط غابة «ابى سقرة» ولا سلاح لدى السودانيين غير الحراب والسيوف فاصلتهم العساكر المصرية ناراً حامية فانهزموا وتأثر الامير اسماعيل بمن معه المنهزمين حتى دخلوا مدينة سنار فقصد الامير دار الملك فالفاه جالساً في إيوانه فدخل عليه فوقف خاضعاً بين يديه وصالفه وأسلمه سيفه علامة على الطاعة والخضوع وأجلسه على فراشه وجلس على الارض كواحد من الناس وكان يلتفت الى من حوله من اتباعه ويقول لهم «هكذا أراد الله فلا راد لقضائه» وبعد هنيهة قام اليه الامير اسماعيل وادناه منه واجلسه بقربه وحفظ له حرمة ولم يسلبه شيئاً غير الامر والنهي وحذا حدو الامير في اكرام هذا البيت كل الذين تولوا الحكم على السودان

فتح كردفان

وبعد استيلاء المصريين على سنار أنفذ الامير اسماعيل صهره الدفتردار بجيش لفتح كردفان ودار فور وكان فيها قائد من قبل سلطان دارفور يدعي (المقدم مسلّم) جمع لقتال المصريين سبعين ألف مقاتل من أهل دارفور فتلقاهم الدفتردار ومن معه بنيران حامية فانهزموا وهم وجلون من فرقة المدافع واكثرهم يظنون أن الله أرسل الرعد والصواعق تحاربهم مع المصريين وأخذوا يكررون الآية (ويسبح الرعد بحمده والملائكة من خيفته) واستولى الدفتردار على كوردفان وأخذ في الالهبة للزحف على دارفور ففاجأه نبأ مقتل الامير اسماعيل في (شندي) فمدل عن متابعة الزحف وقصد شندي محل الواقعة وكان ذلك في أواسط سنة ١٢٣٧ هجرية

مقتل الامير اسماعيل باشا

بعد اتمام فتح مدينة سنار واعلان ضمها لاملاك الحديوية المصرية عاد الامير الى شندي ليجمع المال لنفقة اتمام فتح السودان الغربي فنزل ضيفاً عند زعيم شندي (الملك نمر) وهنا أبسط للقاريء حقيقة أرى من الواجب عليّ تقريرها فان الاقوال تباينت في ايضاح السبب الذي من أجله قتل الملك نمر الامير اسماعيل باشا. فروي بعضهم ان الامير رأى امرأته هي أخت هذا الزعيم فسأله عنها فقال انها احدي جواري فقال له ممازحاً أطلب منك مائة مثلها فلم يحمل الزعيم هذا القول على المزاح بل ظن ان الامير انما يود التناول لهتك عرضه فأصر له الشر وفعل مكيدته التي تراها في هذا المقام

على ان هذه الرواية لا تخلو من انتقاد لان المطلع على اخلاق وعوائد
 اعيان السودان يرى أنهم من الرفيع الي الوضع لا يأنفون من تقديم الجوارى
 لاي ضيف ولو وضعافضلاً عن حاكم ذي مقام سام كالا مير اسماعيل باشا وبذلك
 يمكننى ان اؤكد فساد هذه الرواية وبعدها عن الحقيقة بمداً شاسعاً. وهناك
 رواية أخرى اوردها هنا لانني اعتقد قربها من الحقيقة ان لم تكن هي
 الحقيقة عينها على ان السبب الذي أدى الى هذا الاختلاف هو أن الامير وسائر الذين
 كانوا يرافقونه ذهبوا ضحية تلك المكيدة ولم يفلت منهم أحد ولا ريب ان كل
 رواية عن هذا السبب يرجع اسنادها الى قاتليه ولا ريب أيضاً أنهم لا يقولون
 الا ما يبرر فعلتهم ويختلقون اسباباً تمحو عنهم عاراً ارتكبوه بقتل الامير في
 ضياقتهم وليس معه غير نحو عشرين مملوكا من الجراكسة خدامه الخصوصيين
 أما الرواية التي أشرت الي أنها القريبة من الحقيقة فهي ان (الملك
 نمر) عرض على الامير اسماعيل باشا اموالاً طائلة وسأله أن يبعده عنه (الملك
 بشير بن عقيد) الذي تقدم لنا ذكر وفوده الى مصر ومرافقته الامير
 فيها وقد ذكرنا ان الاسباب التي أدت الى فراره هي احنة بينه وبين
 الملك نمر وانه سعى به الى الملك الذي ارسل في طلبه ففر من وجه طالبيه. وفي
 رواية وان يمكنه من قتله ففضب الامير عليه وانتهره فصمم على اغتيال الامير
 والقدر به قبل ان تأتي رجاله لانه كان يخشي ان يلحقه مكروه من الامير
 بعد ذلك فجمع قدراً كبيراً من البوص حول الغرفة التي ينزل فيها الامير
 وفي منتصف الليل أضرم النار فمات الامير من الاختناق بالدخان وفي غداة
 النهار أخرجت جثته وليس بها أثر من النار وجردت من ملابسها وأخذ
 النسوة يهينونها بالضرب والبصق والسحب على الارض وفي آخر النهار

أخذها رجل من التجار وكان الفساد قد دب فيها فطلاها بالصبر وخبأها في بيته وبعد اسبوعين جاءت الاخبار بقرب وصول الدفتردار وأخذ الملك نمر في الالهبة للفرار من وجه الدفتردار الذي قتل من عشيرة الملك نمر ما يربو على عشرين ألف رجل وسببا من الصيادان والنساء ما يزيد على هذا العدد وأرسلهم الى القاهرة ولا تزال ذراريتهم موجودة بجمه (حوش الجاموس) وفي كثير من البيوتات القديمة . وتأثر الدفتردار الملك نمر وقتل من رجاله خلقاً كثيراً وانتهى الامر بالتجاء الملك نمر الى بلاد الحبشة وبقي فيها حتى مات حميراً ذليلاً

وهبت ثورة من حزب ضد الملك يعرف باسم (الشفائيه) فقتل عمر ابن الملك نمر واستأمن بقية أولاده الحكومة فأمنتهم وأذنت لهم بالاقامة في جهة الصوفي عند نهر (أبهره) ويقال ان تصدى حزب الشفائيه لقتل ابن الملك نمر واضطرار أولاده لمفارقة الحبشة والسكنى في بلاد الحكومة كان بدسيسة من حكام السودان ليرتاحوا من مفسدهم لانهم كانوا يوالون الفارة على بلاد الحكومة وينهبون ويسلبون ويمشون في الارض الفساد وبموتهم انقطعت هذه المفساد واستتب الامن وعادت السكينة وانقطعت القلاقل

شخص محمد علي باشا الى السودان

وعلى أثر المذابح التي أتاها جنود الدفتردار في شندى تمكن الرعب والفرع من قلوب السودانيين وعول كثير منهم على الهجرة ومغادرة البلاد التي وقعت تحت سلطة المصريين فشنخص المغفور له محمد علي باشا الى السودان ليتدارك الحالة قبل اتساع الحرق وتعدر رتقه فسافر على طريق النيل فوصل

الى الخرطوم وتمدها الى ماوراء سنار وعاد بقناطير مقنطرة من التبر وتمكن بحكمته من اعادة الامن الى ربوع السودان وبدل ماخالج ائمة السكان من الرعب بالامن والاخلاق الى السكينة اه

ولاية السودان

في اوائل سنة ١٢٣٨ هجرية اسندت حكمةدارية السودان الى المرحوم عثمان بك فعمل لتسكين خواطر الاهلين واجتهد في تأمينهم واعانهم على حراثة اراضيهم ليتسنى لهم الخلاص من مخاب القحط الذي كان فاشيا في السودان عامئذ وشرع في تعمير مدينة الخرطوم وجعلها عاصمة السودان المصرى وكان مركز الحكومة منذ الفتح في مدينة (ولد مدني) التي تبعد عن الخرطوم مسيرة اربعة ايام على ضفة النيل الازرق وهي ذات هواء جيد بالرغم عن كثرة نزول الامطار بها ولا تزال تلك المدينة موطناً لكثير من المصريين

وفي سنة ١٢٣٩ خلف (موحوبك) عثمان بك في الحكمدارية ولا بد ان يلاحظ القارى ان مدة عثمان لم تطل اكثر من سنة مع العلم بان مدة الذهاب والاياب بين مصر والخرطوم تستغرق نصف سنة على الاقل فتكون مدة الاقامة ومباشرة الاعمال هو النصف الباقى فنقول له ان اولئك الولاية كانوا على الدوام طامحين للاستقلال بالسودان وساكن الجنان محمد على باشا كان كثير الخنز منهم ولذلك كان يبادر بعزل كل من ارتاب في نواياه وقليل منهم من لم تكن نواياه مريبة وقد وجه موحوبك همته الى اتمام عمارة الخرطوم فشاد فيها القشلاقات لاقامة الجنود وأسس بناء دور الحكومة وغرس الاشجار الظليلة في السبل

تستظل بها السابلة وحفر الآبار في الطرقات المعطشة ليستقي منها ابناء السبيل ولا تزال هذه الآثار باقية ومنسوبة الى (موحوبك) رحمه الله وجزاه الجزاء الحسن

وخلفه خورشيد باشا سنة ١٢٤١ هجرية وكان ذا دين وورع واستقامة شيد المساجد وأحسن الى العلماء وكان يخرج في كل ليلة متنكرا يتفقد حال الجنود والرعية وفي ذات يوم خرج على عادته آخر الليل فمثر على أمة تصنع رقاقاً من خمير الذرة يسميه السودانيون (القرف) فدخل عليها وسألها عن هذا النوع فاخبرته فطلب منها شيئاً منه فجزته له مع الابن تأكله واستلذه فازالت تعرض عليه وهو يأكل حتى رأى انه كاد يستنفد ما عندها فامتنع وهم بالانصراف بعد أن ألما عن مولاها وكان ذلك في شهر رمضان فاستدعاه من الغد ليستسمحه من طعامه فظهر له مزيد السرور والفرح من هذه الضيافة التي لم يكن يتوقعها وبقي خورشيد باشا حاكماً على السودان مدة اثنتي عشرة سنة أي الى سنة ١٢٥٣ حيث خلفه المرحوم أحمد باشا ابودان فافتتح السودان الشرقي وطارد عصائب اللصوصية من قبائل (البارية) وأسس مدينة (كسلا) وحصنها وكان مشهوراً بالشدة على المفسدين وأهل السودان يطلقون عليه اسم (المنصور) وفي أيامه انقطع دابر الفتن والفتاقل وأنشئت سبع مديريات في السودان وفي أواخر سنة ١٢٥٧ هجرية عزل أحمد باشا ابودان وخلفه احمد باشا المنيكلي فسار على سيرة سلفه الا انه اعتنى بتأسيس أطيان تكون ملكاً للحكومة بزرع فيها قصب السكر فنجحت ولكنها أهملت ممن خلفوه وحاول انفاذ كثير من المشروعات الزراعية ومنها زراعة النيلة لكن من الاسف أن أعماله قوبلت بدمم الاكثراث ممن خلفه

وفي أوائل سنة ١٢٦١ عزل منيكي باشا وخلفه خالد باشا فبقي الى سنة ١٢٦٥ حيث فصل وتولى خلفا له عبد اللطيف باشا وفي هذه المدة بعث بعد ساكن الجنان عباس باشا الاول عزيز مصر المرحوم رفاعة بك فأسس مدرسة بالخرطوم على نمط المدراس المصرية وقتئذ وكان التعليم فيها حسنا ولكن ما لبثت أن عادت القهقري بعد عودة رفاعة بك الى مصر

وفي مستهل سنة ١٢٦٦ فصل خالد باشا وخلفه رستم بك فأسس المجالس في البلاد السودانية لأحكام بين الناس على طريقة المجالس المصرية اذ ذاك ولم تطل مدة ولايته فقد أدركته المنية في ربيع الاول من السنة التالية لولايته أي سنة ١٢٦٧ بالخرطوم ودفن فيها وتعين خلفاً له سليم باشا الذي اكره على قبول هذا المنصب من قبل المغفور له عباس باشا الاول

وفي أواسط سنة ١٢٦٩ عين على باشا سرى حكمداراً للسودان بدل سليم باشا الذي كان يكثر من الضراعة والاسترحام ليعافى من هذه الوظيفة وفي ولاية هذا الحكمدار في سنة ١٢٧٣ شخص ساكن الجنان محمد سعيد باشا والي مصر الى الخرطوم فوصلها في شهر جمادى الاولى من هذه السنة وتعداها الى ما وراء سنار وقفل راجعاً الى القاهرة بعد ان خفف كثيراً من الضرائب وألغى البعض وكان رحمه الله ذا ميل شديد لمسكة حديد الى البلاد السودانية وفي سنة ١٢٧٤ تعين حسن بك سلامه حاكماً على السودان وسعي باسم (مدير عموم قبلي وبحري السودان) وألغيت الحكمة مداريه بأمر المرحوم محمد سعيد باشا ولم تعد الا بعد تولية المغفور له اسماعيل باشا وفي سنة ١٢٧٧ عزل حسن بك وخلفه محمد بك فلم يلبث اكثر من سنة حتى عزل وخلفه موسى باشا حمدي فجند عسكرياً كثيفاً ونازل كثيراً من قبائل الجبال

بقصد اخضاعها فلم يفلح في أكثر غزواته وأخيراً رمى بأنه طامح للاستقلال
وبقي الى سنة ١٢٨٠ حيث توفي بالخرطوم ودفن بها ويقال ان بعض الموظفين
دسوا له السم لما آانسوا منه الرغبة في الاستقلال وهو أول من وضع الضرائب
على الاهلين وقسم الخراج الى قسمين. قسم على العقارات. وقسم على الاشخاص
اما ضرائب العقارات فكانت مخصوصة بالبلاد الواقعة شمال الخرطوم. واما
ضرائب الاشخاص فهي مخصوصة بسائر البلاد السودانية لانهم صالحوه على
ذلك وفرض ضريبة سنوية على القبائل الرحالة وتعين بدله عثمان بك نغرى
وفي سنة ١٢٨١ عزل وخلقه جعفر باشا صادق وفي ايامه نار اللسواء
الرابع من الجنود السودانية بمدينة (كسلا) وقتلوا ضباطهم ونهبوا المدينة وقتلوا
كل ابيض واحتلوا مواقع المدينة من الحصون المحيطة بها واستفحل امرهم
فانفذ المغفور له الخديو اسماعيل باشا المرحوم جعفر مظهر باشا ومعه آدم
باشا السوداني فتمكنوا من قهر العصاة والقبض عليهم واستئصال شأفتهم
واصدر الخديو دستورا بمنع تأليف قوة من الاسلحة الراكبة من السودانيين
وان لا يملو فن اطلاق المدافع (الطوبجية) وان لا يحتلوا مواقع منيعة
وان لا يرقى منهم ضباط عظام. وبعد معاقبة الثوار عاد جعفر مظهر باشا الى
الخرطوم واسند اليه منصب الحكمدارية فرفع كثيرا من المظالم وسعي في
نشر العلوم بين الشعب ورفع منزلة العلماء واجرى عليهم المرتبات ولاغرو
فانفضل يعرفه من الناس ذووه اذ كان عالماً تقياً ورعاً فارق الخرطوم وعليه
دين يربو على الالف جنيه لان راتبه لم يقم بحاجاته لكثرة انفاقه على
الفقراء والمعوذين ومن كرمه الخاتمي أنه كان يدعو لتناول الطعام على مائدته
الفاخرة اكثر من مائة شخص جلهم من العلماء في كل غداء وعشاء ولا يزال

السودانيون يذكرون له هذه المبرات ويتبركون بسيرته في اكثر الاوقات وهم
 مجمعون على ان ايام ولايته كانت غرة في جبهة السودان رحمة الله عليه . وخلفه
 ممتاز باشا في سنة ١٢٨٨ فارتكب من المظالم شيئاً لم يسبقه اليه احد حيث
 أحل الظلم لنفسه وحرمه على من دونه وأوعز الى الاهلين أن يطالبوا الحكام
 والمأمورين بالرشاوى التي تناولوها منهم منذ ضم السودان لمصر ومن امتنع
 من أولئك الحكام أوقع به البلاء وضربه أكثر من خمسمائة جلدة ولم يمض
 سوى أيام قليلة حتي اجتمع عندد من المال شيء كثير ثم سافر الي سنار فعاد
 منها بما يقرب من خمسمائة ألف ريال وفي آخر الامر ظهر سوء عمله فسجن
 حتي توفي ولم يحسن في شيء مدة توليته غير تعليم الاهلين زراعة القطن

وفي مستهل سنة ١٢٩٠ خلفه في وظيفته اسماعيل أيوب باشا فتضاعفت
 المظالم وتوالت المصائب على السودان وبالرغم عن حنكته في الادارة كان ذا شغف
 شديد بجمع المال فزادت الضرائب في عهده حتى أصبح من المتعذر احتمالها ومن
 هاته المظالم تمكن في نفوس الاهلين الجنوح الى الثورة والعصيان

وخلف غردون باشا اسماعيل أيوب باشا وقد تقدم لنا ذكره فسعي في إزالة
 المظالم فلم يفلح لانه كان بسبب جهله باللغة العربية منقاداً الي كاتب أسرار التهامي
 بك وكان ظالماً يفوق اسماعيل أيوب باشا بمراحل فكان يقلب الحقائق
 لغردون باشا ويحسن القبائح وزاد الطين بلة ماجاء به غردون من تحرير
 الارقاء ومنع الاتجار بهم فان الاهلين عجزوا عن تحمل هذه المصيبة وباتوا
 آيسين من اصلاح معيشتهم لاسباب كثيرة . منها ان الاتجار بالارقاء معين
 ثروة كبيرة لهم . ومنها ان أهالي السودان لم يتعودوا فلاحه أراضيهم بأيديهم
 كما ان نساءهم لا يخدمن خدما يتيمة بأيديهن فكانت مفاجأتهم بأمر تحرير

الارقاء سيئة المنفعة وكان مما لا ريب فيه استيائهم من هذا الامر وخصوصاً ان القائمين بتحرير الارقاء كانوا أوروبيين ولشدة كراهتهم لهذا الامر حملوه على سوء القصد وظنوه اضطهاداً من المسيحيين للمسلمين وقد سمعت واحداً من المشايخ كان يفهم من حوله أن مسألة تحرير الارقاء لم يكن لها أصل من القوانين بل هي اضطهاد ديني كالذي حل بمسلمي الاندلس فقصدت مراجعته في هذا القول فصمت وتظاهر بعدم المعرفة ولما انصرفت عنه قال لمن حوله وهذا كافر أيضاً

وفي مدة حكم اسماعيل أيوب باشا اختلفت النظم التي كانت تسير عليها المجالس التي تأسست في سنة ١٢٦٦ وتلاعب بها حيث جعل كل أعضائها من رجال السودان الجهلاء الذين لا يعرفون غير تجارة الصمغ والمنسوجات وعهدت الرئاسة الى رجال لا يفقهون كلمة من الكلمات التي تتركب منها جمل القانون وفي اكثر الاوقات يكونون أميين والقضايا لا يفصل فيها مع طول المدة فيظل الخصمان يتناظران بالرشوة حيث يحرص المجلس ويشدد على الخصم في الاستنطاق فيحذو حذو خصمه ويقدم المال فينقلب التشديد على الآخر وهكذا حتى يملا الانفاق فيتصالحان

وأما الحكام الاداريون فان أغلبهم من أهل البلاد وهم علة كل خراب وأصل جميع المظالم فقد كانوا يشتررون الوظائف بالاموال ولذلك لا يرون بدا من اعتياض ما أنفقوه أضعافاً مضاعفة ولا ريب ان من فوقهم من الحكام لا يصنفون لشكوي من أولئك الظالمين ماداموا قد تناولوا رشوة باهظة

منهم

وسألت تصرفات المأمورين الى حد أن المطالب باداء الضريبة يجوز

ضربه خمسة جلدة أو يؤدي ولو بضعة قروش ويتفنون في طرق التعذيب حتى
ابتدعوا مسألة (القط) حيث يوثق الرجل كتافا ويدخل قط في سراويله فضلا
عن تناول أولئك الظلمة على أعراض الناس فيقبضون على كل امرأة حسناء
عجز وليها عن اداء الضريبة ولهذا الاسباب امتلأت قلوب السودانيين بالضغينة
وباتوا ولاهم لهم غير تدير ثورة يتيها لهم بها الخلاص من هذا النير فاغتم
محمد أحمد المتمهدي هذه الفرصة وادعى المهديونية فقبول بالتصديق والرضى من
كل انسان حتى ان بعض المشايخ قال له أعاهدك سواء صدقت في دعواك
أو كذبت مادمت على عداء الحكومة وحررها

ترجمة المتمهدي

ولد محمد أحمد المتمهدي في جزيرة (الخناق) الواقعة جنوب مدينة (العرضي)
قاعدة اقليم دنقلة من أبوين دنقلاوين (بربريين) من قبيلة تدعى الخناقية
تسكن هذه الجزيرة وكان أبوه يدعى عبد الله بن فحل وصناعته النجارة ينشئ
السفن الشراعية ويصنع آلات السواقي وكان مولده في سنة ١٢٥٠ هجرية وله أخوان
يدعيان محمدا وحامدا كانا نجارين كايهما وأخت اثني تدعى أمينة واسم أمه (جاره)
وفي هذه السنة أجذبت بلادهم بسبب انخفاض النيل فهاجر أبوه وأخوته وهو
رضيع لم يبلغ عمره ثلاثة شهور واستوطنوا قرية تدعى (كررى) شمال أم درمان
بنحو خمسة عشر ميلا ولم يحل عليه الحول حتى مات أبواه وتركاه يتيما تحت
كفالة أخويه اللذين ذكراهما. ولما بلغ السابعة من عمره كانا يصطحبانه معهما
ليعلماه صناعة المراكب ففي يوم رأي غلمانا ذاهبين الى الكتاتيب وبايديهم
الالواح فرغب في ان يكون منهم فعنفه اخواه وحسنا له صناعة

المراكب فقر منهما ولحق بكتاب في شرقي النيل بقريّة محاذية لقريّة كرري
وصاحب هذا الكتاب يدعى (الفكي الهاشمي) كان مشهوراً في تلك الجهة
بتعليم القرآن بغير أجر فادركه اخواه واخرجاه من الكتاب وحذراه من
المودة اليه فلم يكثر بتحذيرها وعاد الى ما كان فيه فقيده فتغيرت حاله
ولازم الحزن والبكاء فرقا له وأعاداه الى الكتاب بعد ان اشترط عليه العود
لتعليم صناعتها بعد حفظه القرآن الشريف وبعد بضع سنوات عاد اليهما وتعلم
صناعة المراكب وأخذ في الاشتغال بها. ويقول الذين كتبوا سيرته انه لم يشتغل
بهذه الصناعة زمناً بل صنع مركبا صغيرة فقط وتصدق بها على امرأة ثكلت
ابنها ولكن الحقيقة انه اشتغل بهذه الصناعة زمناً كبيراً خلافا لزمعهم ثم فارق
اخوته الى جهة مجهولة فلم يهدوا المكانه وماتت اخته آمنة غما لفراقه ولحق
بمدرسة لرجل من أهل شنقيط يدعي الشيخ محمود كان يعلم الناس الفقه
وبعض العلوم الشرعية ثم فارق تلك المدرسة ولحق بمدرسة أخرى لرجل
من أهالي ضواحي بربر يدعى « محمد الضكير » وهو الذي سيحيى انه صار
داعية له ببربر واسقط المديرية بيده وكان ذا كراهة شديدة لعلم الفقه فانقطع
لدروس التفسير والحديث

وفي سنة ١٢٧٩ هجرية عاد الى وطنه وذهب الى الشيخ محمد شريف
نور الدائم حفيد الشيخ احمد الطيب أحد خلفا الشيخ محمد السمان
المدني وكان معه بالمدينة المنورة فاخذ على يده عهد الطريقة السمانية ومكث
ملازما لخدمته الى درجة أنه كان يطحن غذاءه بيده ويبلخ طعامه لا من
قلة من يقوم بها بل ليتزلف بهذا الى استاذه وكان ملازما للصوم والعبادة
حتى تحصل من استاذه على اجازة الخلافة ثم جاءه اخواه وأخا عليه بالعودة

لمزاولة صناعة المراكب كي يتحصل منها على مال يتزوج به ابنة عم له يدعى فاطمة بنت حاج فامتنع أولاً ثم رضخ بعد الإلحاح وذهب الى مدينة الخرطوم واقترب بها وفي ليلة دخوله اجتمع النسوة والرجال ليرقصوا مختلطين كما دة السوادانيين فقام بينهم ومنهم من الرقص وابان حرمته فأنصرفوا غضابا منه وكان في كل معاملاته يظهر الورع والتقوى والزهد والتشف وعلی أثر اقترانه بابنة عمه انقطع عن العمل فكان أخواه يحرضانه عليه ويستعينان عليه بزوجته التي كانت تهجره ليقبل نصحتها ويسير طوع ارادتها فلم يكثر بشيء من أقوالها ولم يتأثر من هجرها واخيرا جاءته في يوم من الايام وهو يقرأ في المصحف الشريف فأمسكته منه وألقته في الارض فاستشاط غيظا وطلقها في الحال وخرج من منزلها وافتتح مكتبا لتعليم الغلمان القرآن الشريف ثم أبطل المكتب ولحق بجزيرة (آبا) في البحر الابيض علي مسيرة عشر مراحل من الخرطوم جهة الجنوب وكان بها رجل من قبيلته يدعى أحمد شرفي فتزوج ابنته وكان يقوم بكل ضرورياته من حرفته التي هي صناعة المراكب الشراعية أيضا وكان أستاذه الشيخ محمد شرف نازلا بمكان يدعى (المرايع) لا يبعد عن هذه الجزيرة الا بضعة أميال

وفي أوائل سنة ١٢٩٥ وقع نفور عظيم بينه وبين أستاذه بسبب انه كان يري منه الميل الى دعوي المهذوية وكثيراً ما كان هو يحرضه على دعواها فأصدر الاستاذ منشوراً الى أتباعه يبلغهم فيه انه عز عن محمد احمد التمهدي من الخلافة وأبعده عن طريقته وذكر فيه عيوبه وطموحه الى الدعاوي الكاذبة توصلا الى الملك والرئاسة فكبر الامر علي محمد احمد وكاد مريدوه يفضون من حوله لولا أنه ذهب الي رجل مسن يدعى الشيخ القرشي من تلاميذ الشيخ احمد

الطيب جد الشيخ محمد شريف فأدخله في سلك الطريقة وجدد له اجازة الخلافة وكان الشيخ القرشي هذا بالغاً من العمر نحو تسعين عاماً فاقداً للقوي المميزة وبؤكدون انه ذو يد مع المهدي في تدبير الدعوى وانه مهد له اتحاليها بما أخذ يتكلم به عنه من الشهادات الحسنة وانه يعلم ذلك بطريق الكشف والاطلاع على الغيب وأشار عليه بالسياحة في انحاء السودان لاستطلاع أفكار الناس وأخذ العمود عليهم بنصرته وموازرته اذا صدع بدعوته ففعل ووجد من قلوب سكان كوردفان المملوءة بكرهه الحكومة ما قوى أمه بالنجاح

حادثة الغلام بكوردفان

ثم عاد المتمهدي من الخلاوين محل اقامة أستاذه الجديد الشيخ القرشي الى محله بجزيرة آبا والخلاوين اسم لقرى عديدة على ضفة النيل الازرق على بعد ست مراحل من الخرطوم جهة الجنوب وسكان هاته القرى يطلق عليهم اسم (الخلاوين) وهم عرب تناسلو من قبيلة عربيية تسكن في جنوب سنار تدعى (جهينة) وسناتي على ذكر شيء من أخلاق وعادات هذه القبيلة بعد اذ هي من أكبر أنصار المتمهدي ومنها داعيته محمد بن البصير ولنعد الى ذكر المتمهدي بعد عودته الى جزيرة آبافانه. شخص الى اقليم كوردفان فصادف نجاحاً عظيماً من الاهالي الذين عاهدوه على موازرته ونصرته ثم عرج على الابيض عاصمة كوردفان فنزل ضيفاً على أحد المشايخ الدنافلة

وفي ذات يوم سمع ضوواء الطبول والموسيقىات بمنزل بجوار منزله ورأى من الناس الدهشة والاستغراب فسأل عن الاسباب فقيل له ان فلانا النخاس يريد ان يتزوج بغلام اسمه (قرفه) فلم يصدق واخيراً دعي اثنين من

أتباعه وذهبوا الى محل البدعة فوجدوا المدعويين والموائد ممدودة والموسيقى تصدح والدفوف السودانية (الدلوكة) تمزف وجيء بشخص يلبس عمامة وطيلسانا كالعلماء فاجري صيغة العقيد ودخل النخاس بالغلام فامسك المتهمدى سيفه وهم بضرب عنق النخاس وكل من قابله من أولئك الفسقة الضالين فامسكه صاحباة وحمله الى منزله فاجتمع معه جماعة من المشايخ وذهبوا الى محل الحكومة يشكون اليها أمر هذه المنكرات فقبولوا بالاهاة والازدراء وقال لهم مامور الضبطية (الدنيا حرية) فجاءت هذه الحادثة من الاشياء التي يتسك بها المهدي على فساد وكفر رجال الحكومة فعاهده كثير من أعيان ووجوه المدينة بالطاعة لاول اشارة تبدو منه وقفل راجعا الى جزيرة (آبا) وبالبحث واجراء التحقيق من رجال الحكومة تحقق ان المسألة العوبة لم يكن لها أثر من الحقيقة

وفاة الشيخ القرشي وتشيد قبة علي ضريحه

تقدم لنا القول بان الشيخ القرشي من الذين ساعدوا المهدي على دعواه بما نطق به من الشهادات المسندة الي الكشف والاطلاع على المغيبات في حقه وانه هو الذي اشار عليه بالسياحة في البلاد ولدى عودته الى جزيرة آبا وافاه نعي هذا الشيخ وانه ترك وصية قال فيها « ان زمن ظهور المهدي المنتظر قد حان وان الذي يشيد على ضريح قبة ويختن أولادى هو الامام المهدي المنتظر » فلما سمع المتهمدى ذلك طار فرحا وجمع نحو ثلثمائة رجل من أتباعه وذهب معهم الى الخلاوين وشيد القبة من اللبن الاخضر وختن أنجال الشيخ القرشي بعد أن أخذ اليهود على كثير من الناس بتصديق دعواه قبل أن يصدع بها

ذكر اجتماع عبد الله التعايشي بالتمهدي

لا نورد في هذه السطور شيئاً من ترجمته وذلك لأناتي بها عند افضاء الخلافة اليه وانما نذكر هنا طرفاً من اجتماعه به نقلاً عن الاستاذ الشيخ محمد شريف نور الدايم قال «في سنة ١٢٩٥ جاءني رجل من البقارة يروم سلوك الطريقة السمانية على يدي فلقنته أورادها ومكث ملازماً لخدمتي واخبرني انه جاء مع والده من بلاد (السكاكة) جنوب مقاطعات دار فورقاصدين الاقطار الحجازية لتأدية فريضة الحج وانهما فقيران لا يملكان غير عجل من انبقر ذللاه بزمام وامتطياه على مألوف عادة أهالي تلك البلاد ولما وصلا الى بلاد الجمع من تخوم كوردفان الشرقية مات أبوه ولحق به العجل فأقام بمنزلي نحو عامين فكان اكثر كلامه معي قوله انك المهدي المنتظر من ارتاب في ذلك فقد كفر فكنت انباه عن هذا القول ولا ينتهي وفي ذات يوم قلت له انا لست مهدياً وأبغض شيء الى سماع هذه الكلمة التي لا يسير بها غير تلميذي الذي طردته محمد أحمد وقلت له على سبيل السخرية والازدراء اذا كنت ممن يتوقعون ظهور المهديه فعليك به وفي اليوم التالي سألت عنه فلم أجده وأخيراً علمت أنه لحق بجمحمد أحمد التمهدي وهو في الخلاوين يشيد قبة الشيخ القرشي وانه حينما وقعت عينه عليه خر على الارض مدعياً انه أنعمي عليه وبعد حين رفع رأسه فسأله الحاضرون عن سبب اغمائه فقال نظرت أنوار المهديه على وجهه فصعقت من شدة تأثيرها على حواسي ومن ثم صاحبه وعاد معه الى جزيرة آبا وكان الدنقلدون أقارب التمهدي يضطهدونه ويزدرونه وهو يقابلهم بالحلم والصبر حتى أفضت اليه الخلافة فاتمهم منهم شر

انتقام» هذه قصة اجتماع عبد الله التماشي بمحمد احمد المتهدي ومنها يعلم أنه ذودهاء وحيل ومكر وخداع وسنأتي على ترجمته وبقية أعماله في غير هذا المكان

دعوة المتهدي سرا

وبعد عودة المتهدي من الحلاوين أخذ يدعو الناس للمهدية سراً وبايمه على الطاعة خلق كثير من قبائل الاعراب النازلين حول جزيرة آبا منهم قبيلتا دقيم وكنانة وكان سبب اقبال هاتين القبيلتين على دعوته هـ الخليفة (علي بن حلو) الذي لقبه بخليفة الفاروق وكان دقيماً صاحب محمد احمد المتهدي وكان يستخلفه على محله بجزيرة آبا كلما سافر الى مكان وكان في أول عهده يعلم الصبية القرآن الشريف

وقبيلتا دقيم وكنانة يقال لهم (البقارة) وهذا الاسم يطلق على كل قبيلة ماشيتها من البقر ورجالهم معروفون بالشجاعة وقوة الباس وعاداتهم تقرب من عادات قبائل كوردفان حيث لا تزوج البكر قبل ان يكون لها أولاد من الزنا يعينون أباها وكل ولد من هذا القبيل يدعى (عينة خاله) ونساؤهم مشهورات بالتربص في السبل وقطع الطرق على المارة لا لاخذ المال بل للفسق ومن امتنع من الرجال أمسكوه من مذاكيره حتى تفيض روحه أو يقع مغشياً عليه وقد أبطلت المهديّة هذه العادة منهم فذهبت كأن لم تكن

وعاهده كثير من موظفي الحكومة السودانيين على موافاته بالاخبار واجتمع حوله زهاء ثلاثة آلاف رجل من الاعراب وعمال الحكومة لاهون

عنه وانبرى اتكذبه أناس من نفس اتباعه ومريديه فأخذوا يبلغون مأمور المركز حقيقة فيردهم عنه لانه سوداني من قبائل الاعراب التي دخلت في دعوة وأخيراً رفع أولئك المبلغون العرائض الى الحكمدار محمد رؤف باشا الذي أحال النظر فيها على (الطيب بك) مدير فشوده فسافر من مقر وظيفته على باخرة حتى بلغ جزيرة (آبا) فامسك المتهدي وزجه في السجن فقام اتباعه وقدموا للمدير رشوة مائة أردب من القمح وسفينته شرعية تحمل هذه الرشوة فاطلقه وهدد الذين أبلغوا الحكمدار وتوعدهم بكل مكروه اذا عاينوا لمعارضته. وقال المهدي للمدير في غضون التحقيق ان الخضر عليه السلام هو الذي بشرني بالمهدية فقال المدير للمبلغين اتركوا صاحب الخضر وقفل راجماً الى فشوده والمدير هذا هو الذي ذكرنا انه عين مديراً في أحد أقاليم خط الاستواء بدل المرحوم محمد رؤف بك (باشا)

ظهور دعوة المهدي

قلنا انه كان يدعو الناس سرا الي أوائل سنة ١٢٩٨ ثم كان من أمره مع مدير فشوده ماقوي عزيمته فأرسل الي جميع الذين عاهدوه بالطاعة منشوراً ختمه بخاتم نقش فيه محمد احمد عبد الله قال في طالعه بعد البسملة والحمدلة « جاءني النبي صلى الله عليه وسلم في اليقظة ومعه الخلفاء الراشدون والاقطاب والخضر عليه السلام وأمسك بيدي صلى الله عليه وسلم وأجلسني على كرسيه وقال لي أنت المهدي المنتظر ومن شك في مهديتك فقد كفر وان الترك كفار وهم أشد الناس كفراً لانهم ساعون في اطفاء نور الله وبأي الله الا أن يتم نوره ولو كره الكافرون وأخبرني صلى الله عليه وسلم

بأن النصر يسير بين يديّ أربعين ميلاً وأنه صلى الله عليه وسلم يحضر
 بذاته الكريمة أمام جيشي ومعه الخلفاء الراشدون وأن الله تعالى أيدني بالاولياء
 والشهداء والصالحين من لدن آدم عليه السلام الى زماننا هذا ومؤمني الجن
 يجاهدون معي ولا يهزم لي جيش وان الله ناصرى ومؤيدى على كل من
 حاربني من الثقلين وان أصحابي كأصحابه صلى الله عليه وسلم وعامتهم اكبر
 مقاما في دار الخلد من الشيخ (عبد القادر الجيلي) وختم منشوره بالحض
 على الهجرة اليه ومفادرة الخرطوم للحاق به والجهاد معه وأرسل نسخا
 عديدة من هذا المنشور الى أناس في الخرطوم منهم الشيخ الامين الضير
 رئيس العلماء بالسودان فاطلع عليها الحكمدار محمد رؤف باشا الذي انتدب
 (أبا السعود بك المقاد) أحد معاونيه وأصحابه جماعة من الدنقليين سكان
 الخرطوم وأنفذهم رسلا اليه يدعونه الى الطاعة ويحذرونه الفتنة وبلغونه
 أوامر الحكمدار بدعوته الى الحضور عنده فذهبوا على الباخرة (الفاشر)
 فلما وصلوا الى جزيرة آبا قابلهم كل من فيها بالتكبير على الكفار وكان المهدي
 يتعبد في سرداب في الارض فامتنع من مقابلتهم أولا ثم اذن لهم بلقائه فدخلوا
 عليه والسيوف مسلولة على رأسه فسألوه عن دعواه فاجابهم بما أوردناه
 من منشوره فقال له أبو السعود بك ان الحكمدار يدعوك الى الحضور
 عنده فقال لا اذهب فقال له ياسيدي أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي
 الامر منكم فقبض على سيف كان على خذه الايسر وكشر أنيابه وقال أنا ولي
 الامر الآن علي سائر الانس والجان فاستأذن الرسل وهم الناس بضرهم
 لولا ان شدد عليهم في الكف عنهم وقفلوا راجعين الى الخرطوم

واقعة جزيرة آبا

ولما عاد الرسل الى الخرطوم وقصوا على الحكمدار نتيجة مأموريتهم صمم علي ارسال قوة عسكرية تقبض عليه فانتدب بلوكين من المشاة المنظمين معهم مدفع من الطراز الجبلى وعين ضابطين من رتبة الصاغقول اغاسى (ابراهيم افندى علي وعلى افندي عزمي) وسير معهما أبا السعود بك العقاد وقال لكل واحد منهم انت قائد الحملة فسافروا على باخرتين في أوائل شهر رمضان سنة ١٢٩٧ فوصلوا الى جزيرة آبا قبيل غروب الشمس

هذا ما فعلته الحكومة أما المهدي فان اكثر الناس تفرقوا عنه ولم يبق معه غير نحو أربعائة رجل جلهم من الدنقلين أقاربه علي أثر عودة الرسل عنه لانهم أيقنوا بان الحكومة لا بد ان تخضعه بالقوة

ولما لقت الباخرتان مراسيهما بالجزيرة هبط الجنود الى الشاطي وأخذوا في الاهبة والاستعداد للزحف على محلة المهدي وكان السير متمذراً عليهم بسبب الاوحال المجتمعة من الامطار اذ كان الفصل صيفاً فبدأ الضابطان في العمل هذا يأمر الجنود والآخر ينكر عليه هذا الامر ويقول له انا الرئيس وأنت المرؤس فيحتم غيظاً ويجاوب زميله بالشم ويقول لابل انا الرئيس فتحاكما الى أبي السعود بك معاون الحكمدار فكان حكمه أنه الرئيس على كليهما فازداد الاشكال عقدةً ومكثوا على هذه الحال الي ما بعد نصف الليل فداهمهم المهدي بمن معه من المقاتلة فقتك بهم ولم يفلت منهم غير بضعة اشخاص منهم أبو السعود بك وقتل الضابطان وغنم المهدي اسلحتهم وذخيرتهم وترامت الاخبار في انحاء السودان بملو كثير فيها واعتقد البسطاء انها من الاعاجيب السماوية

بل من الكرامات التي خص بها . وعاد أبو السعود بك بالباخرتين ووقع
 الرعب في قلوب السكان وأيقن الكل ان أولئك الجنود الابرياء ذهبت
 ارواحهم ضحية سوء تصرف الحكمدار وقلة رويته وهجر الخرطوم عدد
 كبير من السودانيين ولحقوا بالضواحي

حملة علي بك لطفي

ولما وصل أبو السعود بك الي الخرطوم كان نبأ الفتك بالبلوكين قد سبقه
 اليها بالتلغراف فأرسل الحكمدار الي العلماء والاعيان وقص عليهم
 ما ذكرناه من أمر المهدي فأشار عليه الشيخ شاعر الرئيس مفتي الاستئناف
 بان يتوجه بنفسه علي البواخر الي جزيرة آبا ولا يكل أمر هذه الفتنة لتسيره
 فزجره الحكمدار وأغلظ عليه القول . ويروي عن بعض الحاضرين انه قال له
 أريد أن تترمل امرأتي ويفقدني أولادي ثم ان الحكمدار عين القائمقام علي
 بك لطفي الشهير (بابي كوكه) ومعه بلوكان من المشاة ومدافع وسواريح ليخفر
 جزيرة آبا ويمنع وصول الامداد اليها من ضفتي النيل . وقد يندعش الانسان
 من هذه الاعمال الخرقاء وتدركه الحيرة من عمل الحكمدار هذا . اذ كيف
 يعقل أن باخرتين تقومان بحراسة جزيرة يزيد طولها عن خمسة عشر ميلا وما
 هي الفائدة من هذا الحصر . وأغرب من هذا وذلك أن المتمهدي قام بين
 أتباعه وقال لهم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم أمره أن يصنع من (الطورر)
 أو (العبيج) وهو نوع يشبه الفلين خفته وطفيانه على الماء شبهه مرآكب
 يجتاز بها النيل الي الضفة الغربية وان الله سيأخذ علي ناصية الترك الكفار فلا
 يستطيعون ايصال الاذي الينا حتى نبلغ مأمنا من الشاطئ الغربي ومن هناك

نتوجه الي دار هجرتنا بجبال (ماسة وقدير) وهي دار هجرة الانبياء كلهم الي
 نبينا محمد صلوات الله عليه وعليهم فطير القائمقام على بك لطفى رسالة برقية الي
 الحكمدار يخبره بما عزم عليه وسأله أن يأذن له بتدمير سفنهم بالقنابل
 وسط لجة النهر فكان جواب الحكمدار له (اياك أن تعترضهم وقد خابرت
 محمد سعيد باشا مدير كردفان وأمرته بالحملة عليهم براً. وبين كوردفان والمكان
 الذي يهبط اليه المهدي من الضفة الغربية مسيرة أكثر من عشر مراحل
 فاجتاز المهدي النهر والجنود تنظره ولا تستطيع اىصال السوء اليه فجاءت هذه
 المسألة كرامة ثانية له ولو امكنها نتيجة عمل الحكمدار ويعتقد كثير من الناس
 بسبب هذه الحادثة ان الحكمدار مصدق بمهدي محمد أحمد. أما نحن فلانصدق
 ذلك بل نجزم بصحة مقاله عن نفسه من عدم القدرة على ادارة بلاد واسعة
 كالسودان كما أثبتناه في مبحث توليته على السودان

ولما هبط المهدي الي الشاطيء التف حوله كثير من رجاله دقيم وكنانة
 وقدموا له الاقوات وبايعوه على الطاعة والجهاد في سبيل الله وهذا نص البيعة
 « بايما الله ورسوله وبايعناك علي طاعة الله وأن لانسرق ولا نزنى ولا نأتى
 بهتان نفترية ولا نعصيك فى امر بمعروف ونهى عن منكر بايعناك على زهد
 الدنيا وتركها وأن لا نفر من الجهاد رغبة فيما عند الله » ويبلغ عدد الذين رافقوه
 نحو عشرة آلاف مقاتل سلاحهم السيوف والرمح وجلهم فرسان. أما محمد سعيد
 باشا مدير كوردفان فانه سار بقوة كبيرة ولم يقابل المهدي ولم يقف له على
 أثر وذلك لان الجهة التي كان بها المهدي واقعة فى الجنوب الشرقي من الابيض
 قاعدة كوردفان وتبعد عنها بعشر مراحل ووجهة سير المهدي كانت الي الجنوب
 الغربى فادراكه اذاً من المستحيلات وغاية الامر ان مدير كوردفان انضم الي

على بك لطفي واتحدا ودخلا جزيرة آبا وقبضا على أناس أبرياء لم يكن لهم
علاقة مع المهدي ونكلاهم شر تنكيل وقتلا راجعين هذا الى الخرطوم
وذاك الى كوردفان وسار الرجل الى قدير وتوغل في وسط الجبال

ذكر جبل ماسة وقدير

يوجد في الشمال الغربي من فشوده جبل لا يزيد ارتفاعه عن علو جبل
المقطم وشكله كزاوية مستديرة مع فرجة من جهة الشرق وفي داخل الدائرة
بركة يجتمع فيها ماء المطر يسمى هذا الجبل بجبل (القدير) ثم حذفت اداة التعريف
فصار جبل قدير . ولم يكن اسم (ماسة) معروف لهذا الجبل قبل ظهور دعوة
المهديّة وانما اتفق ان المرحوم الشيخ حسن العدوي من أشهر علماء
المالكية بالازهر الشريف ذكر في كتابه مشارق الانوار « ان المهدي
المنتظر ستكون هجرته الى جبال ماسة » فادعي المهدي ان ماسة اسم لجبل
قدير مع ان كل السكان ينكرون هذا اذ لم يعرف به قبل هذا الوقت وبالنسبة
لما للشيخ حسن العدوي من الشهرة في بلاد السودان راجت حيلة المهدي
عند كثير من من البسطاء وعدوها من الآيات الدالة على صدق دعواه
ويحيط بجبل قدير جبال كثيرة سكانها من السود يطلق عليهم اسم
(النوبة) وبلادهم خصبة وفيها الماشية من البقر والغنم بكثرة والخنازير وهي
أحب ما يؤكل اليهم والخنزير الواحد يعدل ثلاثة من البقر وفي هذه البلاد النحل
بكثرة والعسل يكاد يضارع الماء كثرة ويسكن في سفوح هاتيك الجبال قبائل
من الاعراب حلفاء للنوبة وبينهم صلوات المصاهرة واعراق القرابة وبعض
الاعراب استوطنوا الجبال وتشبهوا بالنوبة في كل اخلاقهم واطوارهم

وقوبل المهدي في مسيره الى جبل قدير بمقاومات كثيرة أكثرها من النوبة. والاعراب تذبذبوا بين النوبة والمهدى واتسهي الامر بفوزه على جميع الذين ناهضوه ولما وصل الى جبل قدير أظهر السكان تخوفهم من بقائه بين ظهراينهم وحاربوه فظهر عليهم ونزل بجيشه داخل دائرة الجبل واقام حرسا من أتباعه على الفرجة الشرقية وأخذ يدعو السكان للإسلام لأنهم لا دين لهم والاعراب يزعمون أنهم مسلمون وأكثرهم لا يعرف الشهادتين فضلا عن غيرها

ذكر جبال تقلي

في الشمال الغربي من جبل قدير جبال تبلغ المائة متدانية من بعضها يطلق عليها اسم جبال تقلي وسكانها عنصر يعرف بهذا الاسم متناسلون من قبائل العرب والنوبة ولغة أكثرهم العربية وكلهم يخضعون لملك يدعونه (الملك) وبلادهم خصبة وفيها معادن التبر وقد حاولت الحكومة اخضاعهم فلم تفلح وفي الايام الاخيرة استمالت ملكهم (ناصر) فسافر الى مصر ليقدم خضوعه للمغفور له اسماعيل باشا خديو مصر فاجتمع قومه وملكوا عليهم ابن اخيه وحالوا بينه وبين العودة الى بلاده فاقطعته الحكومة أرضا بجهة (معتوق) من أعمال الخرطوم فبقى بها حتى أدركه الموت وبقيت هذه المملكة مرتجة الابواب في وجه الحكومة فحاول المهدي ايقاعها في قبضته بحيلة دعوته فلم يفلح حيث تصدى لتكذيبه واظهار افتراءه على الله ورسوله علماؤها سبوا القاضي وحصل اجتماع بين المهدي والملك فسأله الدخول في دعوته فاعتذر من ذلك عملا بنصائح العلماء وسيأب أن المهدي قتل هذا القاضي وظفر التعايشي بهذه

المملكة وخرّبها ثم لمت شعثها وعادت كما كانت

~~~~~

### حملة راشد أمين بك علي المهدي

كانت الحكومة عزلت الطيب مدير فشوده الذي ذكرنا قصة اطلاقه المهدي وخلفه في وظيفته المرحوم راشد أمين بك وكان ذلك قبل واقعة (آبا) ببضعة شهور

فلما وصل المهدي الى جبال قدیر الذي يبعد عن فشوده بنحو ثمان مراحل جهة الغرب والطريق اليه كثيرة الوعر والغابات قام راشد من تلقاء نفسه وسار بحملة الى جبال قدیر ومعه (كيكوم بك) زعيم قبائل (الشلك) فهض اليه المهدي وقتك بجنوده وكانوا يزيدون عن ثلاث فصائل (بلوكات) وغنم اسلحتهم وذخيرتهم وجاءت هذه المسألة ضغنا على إبالة حيث زادت في قوة المهدي فاصبح لديه من الاسلحة النارية ما يزيد عن الف بندقية من طراز رامنجتون وقتل راشد بك المدير وكيكوم بك زعيم قبائل الشلك

### ذكر من لحق بالمهدي من مشايخ كوردفان

قلنا ان المهدي لقي من سكان إقليم كوردفان لما زارهم ما قوي عزيمته على ادعاء المهديوية وقد أخذ عليهم العهود والمواثيق بنصرته والقيام بدعوته وقت الحاجة. ولما شخص الي (قدیر) وترامت أخبار انتصاراته على جنود الحكومة في جزيرة آبا وعلى الذين اعترضوا سيره من سكان الجبال قبل أن يصل جبال قدیر ثم كان من أمره الانتصار على حملة راشد بك مدير فشوده رفع أهالي إقليم كوردفان رؤسهم للفتنة وهرع ألوف منهم الى قدیر ليايعوا المهدي

ووفد اليه كل من الشيخ (نواى) زعيم قبيلة الحوازمة التي تسكن بين دارفور وكوردفان وماشية هذه القبيلة من البقر ولذا يطلق عليها اسم (البقارة) وهي كسائر قبائل السودان الغربى في القوة والشجاعة والميل الى الهياج والحروب ووفد عليه (اسماعيل بن الامين دلندوك) زعيم قبيلة (القديات) التي هي كالحوازمة فى الاخلاق والعادات ومع كل واحد منهما ماأتافارس من قومه وبايعاه على الطاعة وقال له الشيخ نواى أبايعك على المهديّة وان لم تكن مهديا أبايعك على قتال الحكومة وخلع طاعتها

### واقعة جبل الجرادّة

جبل الجرادّة واقع في الشمال الشرقى من جبل قدير ويبعد عنه نحو ١٥ ميلا وسكانه خليط من اعراب ونوبيين كانوا قد امتنعوا من مقابلة المهدي والدخول فى دعوته لما احتل جبل قدير وقد اظهروا عداؤهم له وتحفزوا للوثبة عليه فعاجلهم بعد انهزام راشد بك وزحف عليهم وأصلحهم حربا دارت دائرتها عليهم وأباح أموالهم غنيمة لانصاره ثم صفح عنهم ورد اليهم أموالهم بعد ماأذعنوا له بالطاعة وانتظموا فى سلك اتباعه. ثم تابع غزواته فى سكان الجبال وكثرت عنده الاقوات

تعيين عبد القادر باشا حلبي حاكماً للسودان  
 وفي ربيع الثانى سنة ١٢٩٩ فصل محمد رؤف باشا من الحكمدارية  
 وخلفه عبد القادر باشا حلبي حيث جمات له وظيفة لم تكن معروفة قبل  
 وهي اعتبار حاكم السودان كاحد نظار الحكومة الحديوية ويدعى ناظر

وحكمدار عموم السودان

وبعد عشرين ليلة مضت غادر محمد رؤف باشا الخرطوم قاصداً مصر  
وناب عنه في ادارة شؤون الحكمديرية وكيلها ججلر باشا الالماني

### جملة يوسف باشا حسن الشلاي

تقدم لي القول اني كنت بمصر لما أرسلت الحكومة حملة الي المهدي  
تحت قيادة يوسف باشا حسن الشلاي حيث عرفتها حقيقته وأنه رجل نوتي  
جاهل بالفنون العسكرية كجهله بالكتابة والقراءة فلم تلتفت لنصحي بناء  
على الشهادات الحسنة التي شهداه له وكيل الحكمديرية ججلر باشا وانه تعهد  
للحكومة بالقبض على المهدي فجردت الحكومة ستة آلاف جندي تحت  
قيادته منهم نحو الثلث من الجنود النظامية وضابط برتبة قائمقام واثان برتبة  
بكباشي واثان من مشاهير السناجق قواد للجنود غير النظامية (الباشبوزق)  
فشخص من الخرطوم في منتصف جمادى الاولى سنة ١٢٩٩ هجرية على  
عدة بوآخر قاصداً فشوده ومنها الي جبل قدير فلحقه في الطريق عبد الله  
ابن دفع الله ومعه نحو الف مقاتل من متطوعي كوردفان وانضم اليه وتابعوا  
سيرهم حتى فشوده ومن هناك ارسل القائد العام بكتاب الي المهدي يدعوه  
فيه الي الطاعة ويحذره مغبة العصيان وعرض في خطابه بشيء كثير من  
الشتائم التي لا تليق فرد عليه المهدي بكتاب مشهور نقله هنا ليطلع القارئ  
عليه اتماماً للفائدة وهو بنصه

«بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله المنتقم القهار . والصلاة على سيدنا محمد  
وآله الاخيار مع السلام . وبعد فمن العبد المعتمم بالله محمد المهدي بن السيد

عبد الله الي يوسف حسن الشلالى ومن معه من الجموع وصل الينا كتابك  
وصار معلوما لدينا وقوفكم على الاذار. ومجاهرتكم بالانكار. وكان قصدنا أن  
نضرب عن افادتكم صفحا . ونطوي دون اجابتكم كشحا . ولكن أردنا  
أن نبين لكم غلطكم فيما ادعيتموه بالبراهين السواطع. أما قولك إن إرسال  
الطلائع ينافى دعوي المهديّة لان علم الغيب ضرورى لها فنقول لك هذا جهل  
منك بسيرة الرسول عليه الصلاة والسلام فانه كان يرسل الطلائع كخديفة  
اليمني وبلال والزبير بن العوام فلم يكن ذلك منافيا لرسالته صلى الله عليه وسلم  
فكيف يكون منافيا لمهديتنا . وقتلنا جملة من المتوطنين بهذا المكان  
ظلما وعدوانا فهذا كذب صريح لاننا لم تقتل الا أهل جبل الجرادة بعد أن  
كذبونا وحاربونا وقد أخبرني النبي صلى الله عليه وسلم بان كل من شك في  
مهديتي كافر ودمه مهدور وماله واولاده غنيمة للمسلمين ولما انقاد من بقى  
منهم لحكمنا رددنا عليهم أموالهم من أيدي اصحابنا مع انها حلال لهم. وقتلنا  
انا وقتلنا العساكر غدرا في الوقعتين (آبا وراشد بك) وهو قول باطل لاننا  
ما بددناهم بالقتال بل هم الذين بدؤنا بالقتال ولما اجتمعت أرواحهم في الدار  
الآخرة شكروني الى الله عز وجل وقالوا ياربنا إن المهدي قتلنا بغير انذار فقلت  
يا ربي أنذرهم فلم يسمعوا لي واتبعوا ساداتهم وعلماءهم وشهد علي صحة قولي  
سيد الوجود صلى الله عليه وسلم وقال ان المهدي أنذرهم فلم تسمعوا له واتبعتهم  
سادتكم وعلماءكم فاضلوكم السبيل وأمر بهم فسيقوا الى جهنم. وقتلنا ان هؤلاء  
العساكر ما أرسلتهم الحكومة لحربنا بل ليقفوا على ما عندنا من الادلة وهو  
باطل ايضا لان الحكومة لو كانت تقصد ذلك لما أرسلت العساكر الاغبياء  
وأعطتهم السلاح الناري بل كانت أرسلت العلماء وأهل الدراية بهذا الشأن

وقولكم قوموا وتوجهوا الى مكة المكرمة محل المهدي فقول لكم  
اعلموا ان توجهنا اليها يكون باصر النبي صلى الله عليه وسلم في الوقت الذي يختاره  
الله فاني عبد مأمور وقد أجلسني صلى الله عليه وسلم على كرسيه وقال لي أنت  
المهدي المنتظر ومن شك فيك فقد كفر وقال لي ان الترك كفر وهم أشد  
الناس كفراً لانهم ساعون في اطفاء نور الله ويأبى الله الا ان يتم نور ولو كره  
الكافرون

وقلم اطلبوا من الله اظهار كرامه تدل على مهديتكم فاعلموا اننا لا نطلب ذلك  
لقوله تعالى «ولو أنزلنا من السماء ماء كالمغصى الاصر» ومع ذلك قد اظهر الله كرامه لمدينتنا  
حيث وجد اسمنا منقوشا على ورق اشجار ويصير الدجاج ونحن لا نطلب  
من الله اظهار كرامه لمدينتنا بل نقف معه عند حد عبوديتنا فان اظهر لنا  
كرامات كانت بمشيئته وحكمه يعلمها سبحانه وتعالى ونجهلها

وقلم ما تبعنا غير الجهلاء وأراذل البقارة فاعلم ان أتباع الرسل عليهم  
الصلاة والسلام كانوا كذلك وقد قال تعالى حاكياً عن قوم نوح «وما نراك اتبعك  
الا الذين هم أراذلنا» الآية ولا بد ان يجعلك الله ومن معك غنيمه للبقارة  
وقلت لا تستر باسما عيل الامين ونواى فاعلم اني منصور على كل من  
ناوانى من أهل الثقلين وقد أخبرني النبي صلى الله عليه وسلم بانه يحضر بذاته  
الكريمة أمام جيشى وان عزرائيل ملك الموت عليه السلام يحمل راية سوداء  
أمام جيشي

وقلم إنكم امسكتكم أربعة رجال من طليعتنا وأرهمتموهم تعديباً فاعلم أنهم  
مأجورون على ذلك ولا بد ان يوقعكم الله بايدينا وتذوقوا العذاب بما صدقتم  
عن سبيل الله



وقالتم ان افندينا ولى النعم أمركم بعدم محاربتنا حتى تمتدي الحدود وهذا قول لا يفوه به غير ضعفاء العقول لاننا تمدينا حدودكم وخالفنا مقصودكم من يوم قتلنا عساكركم بابا وبعد هذا ليس بيننا وبينكم خطاب غير الحرب والطعان والسيف والسنان والسلام على من اتبع الهدى وخشى عواقب الردي ولعنة الله على من كذب وتولى اه

هذا ما كتبه المهدي الى يوسف باشا وقد وقفنا عليه في المجلد الاول من مجموعة منشورات المهدي التي طبعت بالخرطوم بعد سقوطها في قبضة المهدي ولم نقف على صورة الكتاب الذي بعثه له يوسف باشا

وزحف يوسف باشا بحملته من فشوده في العشر الاخيرة من شهر جمادي الآخرة وانضم اليه جنود من حامية فشوده واحصي المهدي من معه من المغاللة فكانوا اثني عشر الف مقاتل وزحف بهم للقاء يوسف باشا في الطريق وبات المهدي عند سفح جبل الجرادة والحملة تبعد عنه بمسافة عشرة أميال فلما أصبح كتب منشوراً وزعه بين اتباعه يقول فيه

ان النبي صلى الله عليه وسلم أخبرني بان جميع أصحابي الذين باتوا بسفح جبل الجرادة باتت أرواحهم في الجنة ومن دخل الجنة لا يخرج منها لقوله تعالى (وما هم منها بمخرجين )

وفي اليوم التالي زحف على الحملة وكانت قد أحست بزحفه عليها فتحصنت داخل زريبة من الشوك وبدأ الهجوم عليها من جهة الجنود النظامية فتهقر بخسارة عظيمة وقتل أخوه حامد وجماعة من مشاهير رجاله الذين ساعدوه على دعواه ومنهم الشيخ آدم بن الاعيسر وأصله من بلاد (فلاتة) بالسودان الغربي وكان صهر المهدي علي ابنته زينب وأهزم الدراويش راجمين

الى الجراداة ووقع بقلوبهم رعب شديد فاخذ أحمد بن سليمان أمين بيت المال بلجام دابة المهدي وحوّله راجعاً الى الجراداة فوجم المهدي لشدة ما أصابه من الدهول حتي أدركه الخليفة محمد شريف الذي لقبه بخليفة الكرار وسأل احمد ابن سليمان الى أين تذهب بالمهدي فقال الى الجراداة لنحشد جيشاً آخر نعود به الى الحرب فضعه وأمسك بلجام الدابة وقال للمهدي نذهب ياسيدي لنموت وأخذ يكررها ويقول نذهب لنموت والذين كانوا حوله يقولون انه كان في ذهول صيره لا يبي شيئاً

ولما اتى محمد شريف ما أتاه انتبه المهدي كانه أفاق من سبات وأدرك انه اذا رجع الى الجراداة مهزوماً وثب عليه سكان الجبال سيما أهل الجراداة نفسها واغتنموا فرصة ضعفه وقضوا عليه وعلي دعوته القضاء الاخير فوطن نفسه على اقتحام المربع ليموت أو ينتصر فتراجع عليه المنهزمون وزحف امامهم تحت نار حامية حتى دنوا من الزريبة فنزل عن راحلته واستقبل القبلة وصلى ركعتين وما كاد يفرغ من الصلاة حتى رأي انصاره اقتحموا المربع وولجوا في الزريبة وقتل صاحب رايته أبو هداية وكان دنقليا من أقاربه وقتل القائد يوسف باشامولياً وكان أراد الفرار بشخصه من جهة الشرق راجعاً الي فشوده فلم يتم له وبعد ذلك دخل المهدي الزريبة وأمر برؤس يوسف باشا ومشاهير القواد فنصبت حول الزريبة وأقام ثلاثة أيام مشتغلاً بجمع الغنائم ثم عاد الى محلته بجبل قدير ونجا نحو مائة جندي ولحقوا بفشوده فاخبروا بما شاهدوه وقد استتجنامن أقوالهم ان جهل القائد بالفنون العسكرية كان السبب القوي في هلاك الحملة

علي أن يوسف باشا المذكور كان قبل هذه الحملة مديراً لسنار فأحدث فيها من المظالم شيئاً لم يسبقه إليه احد وذلك انه قبض على سكان قريتين وباعهم واولادهم ارقاء فمزله رؤف باشا وابقاه في الخرطوم ريثما تتم التحقيقات ويساق الي المحاكمة وبعد عزل رؤف باشا عهد اليه ججلر باشا وكيل الحكمدارية قيادة هذه الحملة التيمسية

### ذكر ترتيب جيش المهدي بعد ذلك

ولما ظفر المهدي بحملة يوسف باشا رتب جيشه على ثلاث فرق فالفرقة الاولى مؤلفة من قبائل السودان الغربي ورايتها سوداء وقائدها الخليفة عبد الله التعايشي . والفرقة الثانية رايها خضراء وقائدها الخليفة علي بن محمد حلو وهي مؤلفة من القبائل التي تسكن ضفتي النيل الابيض والقبائل التي تسكن الجبال التي حول جبل قدير والفرقة الثالثة من قبائل السودان الاوسط. أي أقاليم الخرطوم وبربر ودنقله وسنار وجعل قيادتها الى ابن عمه الخليفة محمد شريف بن حامد الذي لقبه بخليفة الكرار ولقب التعايشي بخليفة الصديق والخليفة علي بخليفة الفاروق وجعل القيادة العامة لاختيه محمد عبد الله ولقبه بامير جيش المهديه وأسند القضاء بين الناس الى الشيخ احمد بن جباره أفا واصله ضابط. في الجيش المصري القديم سوري الاصل له من الاولاد اكثر من سبعة ذكور لحق بالمهدي اكثرهم وصاروا من أمرائه وخواص دولته وسنأتي على شيء من سيرتهم بعد ولقبه بقاضي الاسلام وعقد له راية على ذوي قرابته ومواطنيه وجعلها تابعة لفرقة الخليفة محمد شريف وانتدب أحمد ابن سليمان أمينالبيت المال وهو من قبيلة تدعى ( المحسن ) بمديرية دنقله وبالغ

في مدحه حتى انه كتب اليه يقول ان اتدابه لهذه الامانة كان من الله ورسوله وان اسمه مكتوب تحت ساق العرش احمد بن سليمان أمين الله ورسوله ومهديه وكان مقربا لديه لوقوفه على دخائل اسراره وكان المهدي يمنع أهل بيته من الطبخ والخبز مبالغة في الزهد ويمنع ان توقد في بيته نار لهذا الغرض وكان احمد بن سليمان يصنع له في منزله الاطعمة الفاخرة ويبتئها له فيأكل منها وكان بعض جبهة الاعراب يظنون ان المهدي يعيش بلا كل وفي آخر الامر ظهر أمره مع أحمد بن سليمان ظهور الشمس في رابعة النهار وكان يختار له النساء ويبعث بهن اليه وبالجملة فقد كان صاحب سره ومشيريه في كل شيء وسيأتي ذكر قتله في أيام التمايشي وذكر ما افشاه من الاسرار المهمة

### ذكر تحريم الدخان

أصدر المهدي وهو في (قدير) منشورا قال فيه بجرمة الدخان وتغالي في تحريمه حتى قال اذا وقع رجل على أمه في جوف الكعبة كان سخط الله عليه أخف من سخطه على مستعمل الدخان ووضع حدا لمن يستعمله ثمانين جلدة وحبس سبع ليال ولم نعلم لذلك من سبب دعاه الى هذه البدعة ووضع حد على شيء لم يعرف تحريمه قطعا من جهة الشريعة الغراء وقضى مرة على مدخن بمصادرة أمواله وأخري باسترقاقه وبيعه كما تباع الارقاء. وعقابه على شرب الخمر لا يختلف في شيء عن عقاب مستعملي الدخان. أما القاعدة التي سار عليها التمايشي بعده فهي مصادرة أموال وسبي ذراري السكيرين والمدخنين على السواء مع عقوبة الجلد

وأعلن المهدي ابطال تقليد الأئمة الاربعة وقال انه مجتهد وأخذ يكتب

المنشورات متضمنة كثيراً من أحكام العبادات والمعاملات وكان يسمى الزمن الذي قبله زمن الجاهلية أو الفترة

(ونقل) لنا بعض مشايخه انه كان مكبا على مطالعة كتاب إحياء علوم الدين تأليف حجة الاسلام الغزالي وقد أيد ذلك مطابقة بعض مشتملات منشوراته لما في هذا الكتاب. وكتب منشورا يحث فيه الامراء والقضاة على قطع يد السارق قال فيه مانصه (تقطع يد السارق وان لم يبلغ ماسرقة نصابا بل أقول لكم اقطعوا يده ولو كان ماسرقة أقل من بيضة دجاجة لا بارك الله في وال تركه ولا في أمير استعان به)

ذكر من لحق بالمهدي من اعيان السودان الاوسط ما كاد المهدي يصل الى جبل قد يرحى حتى لحق به كثير من اعيان السودان الاوسط وبعدان بايعوه على الطاعة وحرب الحكومة كتب لبعضهم بالولاية علي جهات من بلادهم وأمرهم باشهار الحرب وكان من هؤلاء المهدي ابن أبي رؤف زعيم قبيلة (جهينة) التي تسكن جنوب سنار وهي قبيلة كبيرة رحالة ماشيتها من الابل ورجالها معروفون بالجبن والكسل وغالب أفرادها ذووقامات قصيرة كالاقرام ومن الامثال السائرة في السودان (ان كل عشرة من جهينة لا يصرعون رجلا واحداً) فكتب له المهدي عهدا بالامارة على قومه ومحاربة رجال الحكومة وطردهم من بلاده.

ومنهم أحمد بن المكاشفي أذن له بمبايعة الناس له ودعوتهم له وسيأتي الكلام على ترجمة احمد بن المكاشفي. ومنهم الشيخ مضوي المحسي وأصله من قرية (العيلقون) القريبة من الخرطوم وكان طالب علم بالازهر الشريف ثم عاد الى

السودان وهجر مسقط رأسه واستوطن في قرية بجنوب سنار ثم لحق بالمهدي منها فكتب اليه عهداً أن يبايع له ويجمع سكان القرى حوالى الخرطوم علي طاعة المهدي وحرب الحكومة. وغير هؤلاء كثير لم نذكرهم فراراً من التطويل وقد أصدرت الحكومة الاوامر بمصادرة أملاك كل الذين لحقوا بالمهدي من الاهلين ولكن الحكام أساؤا التصرف وجعلوا أوامر الحكومة وسيلة لملء جيوبهم بالاموال كما سنبينه في حادثة سنار



### واقعة عامر بن المكاشفي مع سنار

بالقرب من مدينة سنار قرية المكاشفي والد عامر هذا وأحمد الذي ذكرنا نبأ لحاقه بالمهدي ووالدهما المكاشفي كان شيخاً معتقداً وأصله من قبيلة (الكواهلة) التي تسكن حوالى سنار وتعيش بالبان الماشية والزرع ورجالها مشهورون بالكرم والشجاعة وعددهم قليل كما شيتهم وفي أواخر شهر جمادى الاولي علمت المديرية بشخص أحمد بن المكاشفي الى المهدي فارسلت مندوباً لمصادرة أمواله فلم يعثر له على مال فامسك أخاه عامراً وأوسعه ضرباً واهانة ولم يطلق سراحه حتى اقتدى منه بالف ريال هي كل ما يملكه من عقار وماشية فبلغ الخبر ناظر القسم محمود سعد الله فاحتدم غيظاً وقال كيف يدفع هذا القدر لمندوب المديرية وأنا ناظر القسم فذهب الى القرية وقبض على عامر وبالغ في ضربه وتعذيبه حتى اجتمع جماعة من مريديه ودفعوا له مائة وخمسين ريالاً ووعده بمثلها بعد أسبوع ثم ان عامراً لما رأي ذهاب كل ما يملكه وانه أصبح فقيراً عزم على مهاجرة دياره واللاحق بالبادية لان له أصدقاء ومريدين فيها من اعراب جهينة فتصدق عليه أناس من أهل القرية

بعض دواب يحمل عليها نساءه وأولاده فخرج من القرية وانتهى الخبر  
الى محمود سعد الله ناظر القسم فاقتفى أثره بنحو عشرين راكباً من عبيده فادركوه  
عند حى اعراب وأمسكوا نساءه وبناته والختوا بهن العار على مرأى منه ومن  
سكان الحى وسلبوا ما معهم من الحلى وقطعوا آذانهن وهو موثق كتافا امامهن  
وسلبوه والنساء الملابس وتركوهم عراة كيوم ولدتهم امهاتهم وانصرفوا بالدواب  
وما عليها وكان عامر لا يفتقر عن تلاوة الآية (أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا  
وان الله على نصرهم لقدير) وما بارح مكانه حتى تأب حوله نحو ألف مقاتل  
فادعى انه وزير المهدي ونسل اليه الناس من كل حدب وباموه على  
طاعة المهدي ومحاربة الحكومة وزحف في اليوم التالي على مدينة سنار في  
سنة آلاف مقاتل والتقى في طريقه بمندوب المديرية الذي أخذ منه الالف  
ريال ومعه أحد الصناجق المدعو محمد أغا النمر تلب فقصد الايقاع بهما فقرا  
وأعلم المدير بأمره ولم يكن عالماً بشيء من ذلك فارسل يعلم الحكمة مديرية على  
جناح البرق فورد عليه الخبر بارسال اثنين من أعيان سنار بكتاب له فالتدب  
محمد عبد القادر الفاذنى متمهد طلبات أقوات الحامية ومعه آخر من أعيان  
سنار كان صديقاً حميماً لعامر بن المكاشفى وسلمهما المدير كتاباً مملوءاً بالتهديد  
والوعيد واليك ما قالاه بعد عودتهما وأرسل الى الحكمة مديرية بالتغراف  
لم يتعمد عن منازل المدينة أكثر من ميل واحد حتى قبضت علينا طليعة  
العدو واوسعتنا ضرباً وانزلتنا عن دوابنا ومزقت ملابسنا وساقتنا الى (الديم)  
أى المسكر والسيوف مسلولة حولنا وأوقفنا بين يدي عامر بن المكاشفى  
فرايناه في حالة جنون ولا يتكلم الا بالآية الشريفة «أذن للذين يقاتلون  
بأنهم ظلموا وإن الله على نصرهم لقدير» وسيفه موضوع على خلفه الايسر

فقبض عليه وقال لنا ما الذي جاء بكما فقلنا سمعنا بخبرك وجئنا بآيكم فقال  
 احسبنا ودنونا منه وبايعناه ولشدة ما صابه من الدهول قال لصاحبى ما سمك  
 مع أن المعرفة قديمة بينهما وكان منذ بضعة ايام ضيفا بمنزله وبعد هنيهة قلنا له  
 ان المدير اعطانا كتابا لك فصاح باعلى صوته مزقوا كتاب الكافر فتناوله اتباعه  
 من أيدينا ومزقوه وقال لنا فى الغد ادخل المديرية فرجونا ان يكتب لنا امانا  
 ففعل وأمرنا بالانصراف الى منازلنا فالنصر فناهاه وكانت المدينة خلوها من  
 التحصين وليس بها سوى ثكنة يقيم بها نحو مائة جندي ومدفع من الطراز  
 الجبلي وفي الغد خرج المدير للقائه خارج المدينة بمائة جندي فانقض عليهم  
 بمن معه وقتلهم ووقف محمد اغا النمر تلب عند المدفع حتى قتل ونجا المدير ووكيله  
 ولحقا بسفينة في البحر ودخل المدينة عامر بن المكاشفي وقصد دار محمود  
 سمع الله فقتله واتهب ما فيها ودخل دار المديرية ووقف على باب الخزانة  
 وكان بها نحو مائتي ألف جنيه وقال اكسروا الاقفال فتقدم اليه رجل من  
 أعيان مديرية المنيا كان منفيًا هناك اسمه الشيخ مصطفى أبو اسماعيل وقال له  
 انها صارت لك فلا تتلف الاقفال بل اجعل عليها حراسا فاستحسن قوله  
 ووضع عليها حراسا مسلحا بحربة طويلة وذهب الى سلامك المديرية وبينما  
 هو صاعد عليه فاجأته رصاصة لم يعرف المسكان الذي جاءت منه فأصاب  
 احشاءه ووقع مغشياً عليه فاحتمله أصحابه وعادوا به الى معسكرهم وتراجع  
 المهزمون وعاد المدير ورتب الاهالي بكيفية دافعوا بها عن أنفسهم اذ حولوا  
 رؤس المنازل الى متاريس والذي ساعدهم على الدفاع ان عامر بن المكاشفي  
 كان يقول لقومه لا تحاربوا بالبنادق لانها سلاح الكفار ومكث العدو يهاجم  
 المدينة ويضيق عليها الحصار ثمانية أيام حتى وصل اليها السر سوارى صالح



الملك بمائة وخمسين جندياً فدخلها بعد حرب خسر فيها العدو نحو ألف نسمة  
وغادر ججلر باشا الخرطوم على باخرتين ومعه السر سوارى عثمان بك الدالي  
والملك يوسف لانتقاد سنار

### واقعة الشريف احمد طه

بينما كان ججلر باشا سائراً مجتهداً لامداد سنار اذ سمع الصياح من  
الضفة الشرقية فألقت البواخر مراسيها ثم وجد عمال الحكومة فأخبروه برجل  
يدعى ( الشريف احمد بن طه ) جمع نحو خمسة آلاف مقاتل وعسكر بهم عند  
أبو حراز وهى منتصف الطريق بين الخرطوم وسنار فأرسل اليه السر سوارى  
الملك يوسف بكتاب يدعو فيه الى الطاعة فقتله وجنوده واتصل بججلر باشا  
ان الاهلين متحفزون لخلع طاعة الحكومة فبكت بأبو حراز وأرسل تلغرافاً  
الى القضايف يطلب طابوراً من الجنود النظامية لان الجنود التى بالخرطوم  
قليلون جدا وبقاؤهم بها لحراسة المدينة ضرورى وأنفذ السر سوارى  
عثمان بك الدالي الى نقطة ( فداسى ) ليمنع الناس من اللحاق بالمعصاة وجاء  
الشيخ عوض الكريم أبو سن زعيم قبيلة الشكرية بنحو ألفين من قبيلته  
ومعه الشيخ محمد الفيل شيخ طريقة المركين وحاصروا المعصاة ولما وصل  
الطابور الي أبو حراز كان عبده القادر باشا حلمي قد وصل الي بربر فابلق  
الحادثة بالتلغراف فتوجه الى المحطة وأخذ فى الاستفهام عن مركز العدو فأخبر  
به فرسم كيفية الهجوم عليه ورتب القوة كأنه يقودها بشخصه وتقدمت  
نحو العدو الذى قابلها ببسالة شديدة فأوقعت به وقتل الشريف أحمد بن طه  
وحملت رأسه الى الخرطوم وتابع ججلر باشا مسيره الى سنار فوجد العدو قد

بعد عنها مسيرة مرحلتين فشرع في تحصينها وخندق عليها وأرسل حملة على العدو فشنت شمله وعاد الى الخرطوم بعد ان ترك بها حامية تقوم بحراستها ولما اتصل بالمهدى خبر قتل الشريف احمد بن طه استاء وكتب الى الشيخ عوض الكريم ابي سن والشيخ حمد النيل كتابا قال فيه (قتلتموه خذلة للدين ونصرة للكافرين فاعلموا أن ثأره بعد حين) وقبيلة الشكرية هذه قبيلة كبيرة رحالة تسكن شرق الخرطوم بين النيل الازرق ونهر اتره وما شيتها من الابل وهي كقبيلة جهينة الا أن رجالها معروفون بالشجاعة وقد بقيت هذه القبيلة على ولاء الحكومة وسيأتي ذكر رؤسائها الذين ماتوا في سجن التعاليش وما آل اليه أمرها من الاضمحلال والقضاء. والشيخ حمد النيل من أسرة تدعى (العركين) واجداده معتمدون في السودان ومعرفون بالصلاح منذ ثلاثة قرون تقريبا وقد صادر المهديون ماله ومات حقيرا ذليلا في اسرهم انتقاما منه حيث ساعد الحكومة في قتل الشريف احمد بن طه

### ذكر وصول عبد القادر باشا حلبي الخرطوم

قدم عبد القادر باشا حلبي الخرطوم وقلوب السكان مملوءة بالخوف لقلعة الجنود في الخرطوم وخلو المدينة من كل تحصين ووجود كثير من عصابات الاشقياء حول المدينة متحفزين للوثبة عليها طمعا في السلب والنهب وكان السكان يقضون الليل في حراسة انفسهم فوق أعالي المنازل حذرا من أن يأخذهم العدو على غرة كآخذة سنار

ولما وصل عبد القادر باشا الخرطوم قصد ظاهر المدينة فوجد المير الاي حسن بك حلبي ومعه نحو خمسمائة جندي وثلاثة مدافع من الطراز الجلي

وقد نصبوا لهم سرادقا وصفوا المدافع في رحبته وليس حولهم متاريس ولا شيء من معدات الدفاع فسأله ماذا تقصد بهذا العمل فقال الدفاع عن المدينة فضحك عبد القادر باشا وأمر بالسرادق فقوض ورتب عسسا لحراسة المدينة وأخذ في جمع عدد من الأرقاء وأنشأ ثلاثة طوابير منهم وكان يباشر تمرينهم على الحركات العسكرية بنفسه في كل غدو ورواح واختبر كل الضباط الذين كانوا في الخرطوم فلم يجد فيهم كفاءة ولا أهلية لما يشغلونه من الوظائف حتى أن ضباط الطوبجية كانوا لا يعرفون إطلاق المدافع إلا إذا كانت من النوع الذي يطلق في أيام الأعياد والمواسم

وشرع في تحصين المدينة وخذق عليها ووضع على الأبراج الحراس فذهب كل خوف من قلوب السكان وتوطدت السكينة وانتشر الأمن حوالي الخرطوم

وكان في حدود الحبشة نحو ستة طوابير من الجنود النظامية فاستدعاهم للدفاع عن البلاد

### ذكر تدبير مكيدة لقتل المهدي

لما وصل عبد القادر باشا الخرطوم كان المهدي قد تقوت شوكرته في جبل قدير فاتفق عبد القادر باشا مع شخصين من أهالي كوردان مشهورين بالشجاعة والمخاطرة في سبيل أحرار المال يدعي أحدهما (عبدالله بن إبراهيم) والآخر (أحمد بن الحسين) ودفع لهما ثلاثة آلاف ريال ووعدهما بثلاثين ألف ريال مجيدي يقبضانها أو ورثتهما على أن يذهبا إلى المهدي في جبل قدير ويقتلاه رمياً بالرصاص فاذا نجوا من شر الأعداء قبضا المال وان وقعا في أيديهم قبض

المال ورثتها وقد كتب صك بينهما وبين محمد سعيد باشا مدير كوردفان  
 بالنيابة عن عبد القادر باشا الحكمدار وكان ممن حضر هذا التدبير (الياس باشا  
 أم برير) أحد تجار كوردفان وكان هوام مع المهدي وذهب الرجلان . صرين  
 على انفاذ هذا العزم فارسل الياس باشا راكباً سبقهما بكتاب الي المهدي أوقفه  
 فيه على ما دبره عبد القادر باشا لاغتيا له فاخذ حذره ولما بلغه قرب وصول  
 الرجلين من معسكره قام بين أصحابه خطيباً وأخبرهم ان النبي صلى الله عليه  
 وسلم أخبره باصر الرجلين وما اتفقا عليه مع الكفار وأمرهم بلقائهما وإخبارهما  
 بان المهدي عالم بما جاء به فلما فعلوا اندهش ذلك الرجلان ولم يداخلهما شك  
 في ان الامر كما هو وان المهدي علمه من هذا الوجه واعتقدا صدق مهديته  
 وأقياما بأيديهم من السلاح وقصداه تائبين من ذنبيهما وعاهداه على الاخلاص  
 له وبأيامه بيعته المعلومة وصاروا من خيرة انصاره واكابر قواد جيشه . والامة  
 تبالغ في رواية هذه القصة وتزعم أن الرجلين اطلقا الرصاص على المهدي فلم  
 يصبه وخضعا له عند رؤيتهما هذه المعجزة والحقيقة هي التي أوردناها  
 وسيأتي ذكر قتل الياس باشا صبراً في سجن التعاشي

### ذكر حوادث كوردفان

وفي غضون اشتغال الحكومة بامر الشريف أحمد بن طه وعامر بن  
 المكاشفي قام بدعوة المهدي في كوردفان رجل اسمه عبد العزيز بجهة (دارحمر)  
 وكان المهدي أرسله بكتاب الي ابراهيم بن اسماعيل منعم شيخ قبيلة حمر  
 وابنه اسماعيل

وقبيلة حمر هذه قبيلة كبيرة تسكن في المنطقة التي بين كوردفان ودارفور

وهي رحالة في أوقات معلومة من السنة وتنزل القري في إبان الزرع وأكثر بلادها لأماء فيها ويتقنون حاجتهم من الطبخ والحبز بماء البطح وكل من عطش اكل منه وفي بعض الجهات يخزنون ماء المطر في جوف أشجار عظيمة تسمى ( التبلدى ) وعوائدهم كموائد من ذكرناهم قبل من قبائل كوردفان ويكثر في هذه البلاد ريش النعام لان الاهلين يقتنونه بكثرة في منازلهم ولذا يكثر تردد التجار على بلادهم للحصول على هذا الصنف

ولنرجع الي ذكر عبد العزيز داعية المهدي فنقول. انه قوبل بالاجابة والنفق قبيلة حمر حوله وأول عمل أناه انه هجم على البكباشي نظيم افندي مأمور تحصيل الاموال الاميرية بهذه الجهة على غرة وسلب كل مامعه من هذه الاموال وجرده من كل شيء حتى من ملابسه وقال له اشهد أن الله واحد وان المهدي المنتظر حق ففعل وكان في قلة من الجنود ولم يستطع الدفاع عن نفسه . وكان هذا الداعية جاهلا ابتدع من عندياته مسألة هذه الشهادة وكان يقول ان الشهادة لمحمد رسول الله قد ابطلت والغيت

ثم ان البكباشي نظيم جاءه اثنان من شيوخ حمر وحمله الى بلدة ابو حراز التي تبعد عن الابيض عاصمة كوردفان بنحو أربعين ميلا وهناك جمع جنوده المتفرقة وتحصن بداخل زريبة من الشوك . وعاد عبد العزيز الى جبل قدير حيث استدعاه المهدي ليؤدي ما عنده من الاموال التي اتهمها من نظيم افندي . ثم عزله وخلقه عبد الله بن النور فنادر جبل قدير ومر على نقطة ( فوجة ) بين دار حمر ودارفور فقتل من فيها من الجنود وقتل عمال التلغراف وقطع الاسلاك ثم قصد أبو حراز وناهض البكباشي نظيم أفندي فلم يظفر به وتقهقر من وجهه حتى بلغ الابيض بعد عناء شديد ووقعت بلاد

حمر كلها في قبضة المهديوية

وتقدم عبد الله النور الى البلاد الواقعة شرق الابيض وقصد نقطة اسحف التي تبعد عن مركز ( باره ) بنحو خمسة مشر ميلا وكان بها الصنجد محمد آغا ياسين المشهور ( بشبوا ) ومعه النور بك عنقره من نحاسي بحر الغزال فداهما عبد الله النور ففر النور بك عنقره وترك امتعته ونساءه وتقهقر محمد آغا ياسين بمن معه حتي وصل الى نقطة باره ونعم عبد الله النور طبلأً حربياً كبيراً كان عنده النور عنقره من أحد ملوك دارفور وقت فتح تلك البلاد وقد ظل هذا الطبل موجوداً عند المهديين حتى سقوط أم درمان .  
والتقي عبد الله النور ودرأويشه بشرذمة من الجنود المصرية كان انفذها مدير كوردفان تحت قيادة نظم افندي واشتبك معها بحرب اسفرت عن انتصار الجنود وهزيمة الدراويش وخسارتهم الفاً وخمسمائة قتيل ثم رأي قائد الحملة ان لا فائدة من هذه الحرب مادام الاهلون كلهم مع العدو محاررين الحكومة مظهرين عدم طاعتهم لها فصدر الامر لها بالعودة الى الابيض

### واقعة البركة بكوردفان

اجتمع نحو مائة الف مقاتل من قبائل البديرية رئيسها عبد الصمد ابن أبي صافية ومن قبيلة حمر وغيرهم في جنوب مكان يدعى ( البركة ) وبينهم وبين الابيض مسافة خمسين ميلاً وجملوا يوالون الغارة على اطراف المدينة ونيهون الماشية فارسل لهم محمد سعيد باشا مدير كوردفان حملة تحت قيادة البكباشي نظم افندي مؤلفة من طابور من المشاة النظاميين وانضم اليها أربعة الوية من الجنود الباشبوزق والمتطوعين المعروفين باسم ( كباين )

أى شركات كما تقدم لنا ذكرها في خط الاستواء وبحر الغزال وسارت  
الجملة فمكن لها المدونى الطربق ليحولوا بينها وبين الماء وناوشوها القتال ثم  
هجموا على أحد جناحيها فوجوا منه واشتغلوا بالنهب والسلب وقبضوا على  
الذخيرة فتمكن القائد من إعادة النظام بين الجنود وسار بهم غير ملتفت الى  
شئ حتى بلغ مكان الماء فخصه واستراح هو وجنوده من وعناء السفر  
وتجمع الصادة حوله فهاجمهم في الغلس وقتل منهم أكثر من ألفى مقاتل واسترد  
كل ما أخذوه منه لدى هجومهم عليه فى الطربق

وقتل من قواد الجنود غير النظاميين بشير أغا الازيرق وسيف النصر  
أغا قائد المغاربة ومن قواد المتطوعين واحدا وعادت الجملة الى الابيض



### ذكر واقعة الطيارة

(الطيارة) مدينة تجارية واقعة على مسافة مائة ميل جنوب الابيض عاصمة  
كوردفان يقصدها التجار لا بتياع الصمغ الذي هو من محصولات البلاد  
الواقعة بين الابيض والنيل الابيض وهى قاعدة مركز الطيارة وسكان  
هاته البلاد قبيلتنا (الجمع والجوامع) والاولى يطلق عليها اسم (بقاره) لان  
اكثر ماشيتها من هذا النوع والثانية تنزل القري وتشتغل بالزرع والضرع  
معاً وكتلتها مشهورتان بالشجاعة والاقدام مثل سائر قبائل كوردفان وعاداتهم  
متشابهة ويكثرون من شرب المسكرات والفاحشة شائعة بين نساءهم حتى  
ان الرجل يبصر ابنته وأخته وسائر محارمه يباشرن الفاحشة بلا مبالاة ولا  
استحياء وانما العيب ان تزني المرأة بعد ان تزوج ومن اكبر العار ان تزوج  
قبل ان تلد اكثر من ثلاثة اولاد ذكور تدفعهم لا كبر اخوتها ليعينوه على

حراثة ارضه أو رعاية ماشيته وهؤلاء الاولاد يسمونهم ( عينة خالهم ) كما سبق ذلك ولا عيب في ذلك كله عندهم وبعد ان تزوج المرأة تحرص على الوفاء لزوجها وتنف عن الزنا. وقد أبطل المهديون هذه العادة وأقاموا الحدود الشرعية على مرتكبيها فبطل التظاهر بها وان ارتكبت خفية

ودخل هاتان القبيلتان في دعوة المهدي وخلفتا طاعة الحكومة على يد رجل يدعي ( المنه ) كان يعلم الصبيان القرآن في احدى القرى وكان متظاهراً بالصلاح على جهل كثير فكتب اليه المهدي يمهده بالخلافة فاجتمع حوله من قبيلتي الجمع والجوامعة ما يربو على خمسين ألف مقاتل هجم بهم على مدينة الطيارة وكان بها نحو خمسمائة جندي تحت قيادة الليوزباشي محمد افندي شافعي ونحو عشرة آلاف من التجار فقتل المساكين كلهم ولم ينج من التجار الا نحو عشرين نسمة وبقربطون نحو ألف امرأة حبلى وقتل الاطفال شرقتلة حيث كانوا يقذفونهم في الجو ويتلقونهم بالرماح وأحرق بضائع التجار ولم يسلم محل تجاري في كل انحاء السودان من خسارة بالغة في واقعة الطيارة لانها المدينة الوحيدة التي يقصدها تجار الصمغ من كل مكان للحصول عليه . وكان من الذين نجوا من هذا الخطب رجل من ( شنقيط ) فسأل سائل عما شاهده فقال جاء في الحديث الشريف ما اجتمع ثلاثة من أمي الا وفي أحدهم الخير وقد رأيت عشرة آلاف من الجمع والجوامعة يجتمعون على قتل صبي وكلهم يجرّض على قتله ولا يقولون الا شراً — كأنهم ليس فيهم ثلاثة من أمة محمد — وكانت هذه الواقعة في شهر رمضان سنة ١٢٩٩ وكانت المديرية ارسلت مائتي جندي من الباشبوزق وبلوكا من المشاة النظاميين ومعهم مدفع من الطراز الجبلي لتعزيز حامية الطيارة وبينما كانت هذه الحملة سائرة في طريقها



اذ وثب عليها رحمة بن نوفل شيخ قبيلة الجوامعة في التين من قومه فثبت الجنود وانتشبت الحرب ثمان ساعات أسفرت عن هزيمة الجوامعة وانتصار المصريين وفقد العدو عدداً كبيراً من جيشه وأرسل الشيخ رحمه يستصرخ قومه فتألب منهم اكثر من خمسة آلاف وأحاطوا بموقع الحملة وفي الغد بدأوا بالهجوم عليها من الامام والخلف وساعدتهم وعورة المكان وكثرة الانخفاض والارتفاع في أرض تلك الجهة فانقضوا على الجنود وذبحوهم عن بكرة أبيهم وغنموا كل ما معهم من الاسلحة والذخيرة وكانت هذه المذبحة بمسد مذبحه الطيارة بليتين ولم تقف المديرية على شيء مما أصاب الطيارة الا بعد هلاك الحملة حيث اتصل بها الخبران معا



ذكر زحف المهدي من جبل قدير الى الابيض

لما رسخت قدم المهدي في جبل قدير وتغلب على كل الذين ناهضوه اجتمع عليه خلق كثير من الاعراب سكان تلك الجبال وكان ما ذكرناه من أمر انتشار دعوته في اقليم كوردفان عدا الابيض عاصمة الاقليم وبعض المراكز التي تحتها حاميات الحكومة وكان تجار كوردفان كلهم يكاتبونه ويستحثونه على القدوم اليهم وفي مقدمة أولئك التجار (الياس باشا أم برير) وكان شديد الكره للحكومة كثير الميل لجهة المهدي وقد ذكرنا انه اطلعه على خبر المكيدة التي دبرها عبد القادر حلمي باشا لاغتتيال حياته

ولما ظفر المهدي بحملة يوسف باشا اللشلاي جمع كل ما غنمه من الساعات والاشياء ذات القيمة وأرسلها الى الياس باشا فباعها وأرسلها ثمنها له . واني أرى اتماماً للفائدة أثبت ترجمة هذا الرجل فاقول . هو من قبيلة الجعليين

التي تسكن اقليم بربر من احداً أخذها المدعو (النفيماب) سافر الى كوردفان في العهد القريب من فتحها فآثري من التجارة وكان له تداخل مع الحكام وميل منهم له بما يقدمه لهم من الرشا فاطلقوا يده حتي انه كان يقتل وينهب أموال الناس وفي الايام الاخيرة بذل مالاطائلا لاحدالحكام فمينه مديراً على اقليم كوردفان فارخي العنان لنفسه وأصاب من الاموال وارتكب من المظالم ما أوجب عزله قبل مضي شهرين على ولايته وقد شق عليه العزل فسمى مجدأليمود الي المنصب فلم يفلح وفقد وراء هذا السعي جل ثروته ولما أدركه اليأس علل نفسه بمساعدة المهدي عساه أن ينال منه ما لم يناله من الحكومة نخاب ظنه وانتم الله منه بعبد الله التعايشي حيث قتله صبراً ونفى اولاده وقتلهم مثله (ومن أعان ظالماً سلط عليه)

وكان بين الياس باشا وبين احمد بك دفع الله من تجار كوردفان عداوة شديدة لانه يشاطره النفوذ وأحمد بك من قبيلة الجعلدين أيضا وكان شديد الولاء للحكومة وسيأتي ذكر قتله مع مدير كوردفان وكان ذا شهامة وشجاعة رحمه الله يمحض الحكومة النصيح ويحذرهما من الياس باشا فكانت تقابل أقواله بعدم الاصغاء نظراً لما اشتهر بينهما من العداوة

ولما أحس عبد القادر باشا بنوايا المهدي عن كوردفان أخذ يطلب من الحكومة الامداد لحشد جيش جرار في كوردفان يستطيع مقاومة المهدي واخماد الثورة التي عمت البلاد وكانت الحكومة اذذاك واقعة في الفتنة العراقية ومن جهة أخرى في الازمة المالية المعروفة في ذلك العهد فلم تجبه ولكنه مع ذلك لم يترك حيلة بل جند كثيرا من الصناجق الباشبوزق وسيرهم الى كوردفان وبمئ بطابور من الجنود النظامية سيأتي خبر الفتك به في الطريق

قبل بلوغه الابيض واجتمع تجار كوردفان بايعاز الياس ورفعوا عريضة الى عبد القادر باشا يسألونه عزل محمد سعيد باشا مدير كوردفان وتولية الياس باشا بدله وكان قصدهم من ذلك أن يسلم المديرية الى المهدي بغير مقاومة متي صار الأمر الناهي عليها فادرك عبد القادر باشا الحيلة واجاب طلبهم وعزل محمد سعيد باشا وولي بدله على بك شريف وكيل المديرية وبعد بضعة ايام اعاد محمد سعيد باشا لانه كان لايري في علي بك شريف كفاءة عسكرية لمقاومة تيار المهدي

ولما وطن المهدي عزمه علي الزحف ارسل دعاة كثيرين حوالى الخرطوم ليشغلوا عبد القادر باشا عن امداد كوردفان وقد أفلحت سياسته حيث اشتعلت نيران الحروب واضطر عبد القادر باشا الي العدول عن الاهتمام بامر كوردفان وانقطع ارسال المدد اليها وماتم له الانتصار على أولئك الدعاة الا بعد أن تم للمهدي الاستيلاء على عاصمة كوردفان والقضاء الاخير علي سلطة الحكومة فيها وسيأتي تفصيل ذلك على حدة

نعود الى المهدي فنقول انه ترك ائقاله ونساءه في جبل قديرو واكل خراستهم الي عمه السيد محمود بن عبد القادر

على ان المهدي لم يكن واثقاً بالقلبة على كوردفان لقربها من الخرطوم وكانت عزمته متجهة الي الزحف على دارفور واخضاعها حيث يتخطاها الي جهات السودان الغربي كمالك بورقو وبورنو وأبو ريشه وغيرها من تلك الجهات وبالفعل كانت دعوته قد بلغت ديار (فلاته) من نواحي (تمبكتو) ولكن الياس أم بربر كان يقلقه بكثرة الحاحه عليه بالقدوم الي كوردفان ويوقفه على مافيه الحكومة المصرية من الفوضى بسبب الفتنة العرابية فتقدم نحو كوردفان

وترك أثقاله بجبل قدير ليعود مخفياً إذا قدرت له الهزيمة والفشل

## ذكر وصول المهدي الي كابه

(كابه) منهل جنوب البحر الابيض بمسافة عشرة أميال وماؤه من الامطار  
تجتمع في مكان منخفض ويقصده الاعراب لسقي ماشيتهم وهو أقرب منهل  
الي الابيض في طريق المهدي وقد استقبله فيها خلق كثير من أهالي كوردفان  
ومعه من المقاتلة مائتا ألف أوزيدون منهم نحو ثلاثين ألف فارس وما كاد يصل  
الي كابه حتى بعث رسولين بكتاب الي محمد سعيد باشا مدير كوردفان ومن معه  
من ضباط الحامية وجميع سكان الابيض يدعوهم فيه الي التسليم ويحذرهم من  
بطشه وفي ذلك الكتاب ما في غيره من الدعاوى التي ينتحلها لنفسه ككفر من لم  
يصدق بهديته وغير ذلك مما تقدم لنا ذكره وكنفتش اسمه على ورق الاشجار  
وبيض الدجاج فدخل الرسولان علي محمد سعيد باشا ودفعا له الكتاب وجلسا  
بجانبه بغير اذن وأخذنا يسبانه ويتوعدانه بكل مكروه حتى قال له ان خيل  
المهدي لا بد أن تطأ موضع قدميك وتروث علي بساطك هذا. وما وقفت  
سفاهة ذينك الرسولين عند هذا الحد بل تناولا شخص الجناب الخديوى  
فاستدعى المدير كل الضباط ووجوه السكان وقرأ عليهم كتاب المهدي  
فكان جواب الضباط انا لانسلم لهذا الشقي وفينا قطرة دم ووقف احمد بك  
دفع الله التاجر الذي تقدم لنا ذكره وقال كما قال الضباط وزاد عليهم انه أقسم  
بالوفاء. أما الياس باشا أم برير وسائر التجار فانهم سكتوا ولم يفوهوا بكلمة  
والرسولان مسترسلان في ميدان السفاهة والشتائم مما هيح غضب الضباط  
الذين ألحوا علي المدير بقتلهما فأمر قومندان الجنود اسكندر بك محمد بقتلهما

رمياً بالرصاص ففعل وأخذ المدير في اتمام حفر الخندق واعداد ما يلزم من  
المعاقل والطوابي ومعدات الدفاع . ومكث المهدي أياما ينتظر عودة رسوله  
ثم علم بقتلهما فأرسل ألف فارس تفرقوا في أطراف المدينة يرفعون أصواتهم  
بدعوة الناس الى اللحاق بالمهدي في كابه فخرج اليهم محمد بن العرق من  
التجار وكان رئيس المجلس المحلي واشتغل المدير بأعمال الدفاع

### ذكر استحكام الابيض

مدينة الابيض كبيرة وسكانها يزيدون عن مائة ألف نسمة وكانت  
الحكومة خندقت عليها ولكن رأى محمد سعيد باشا ان هذا الخندق لا يقوم  
بحراسته أقل من ستين ألف جندي وبداخل هذا الخندق آخر محيط  
بالاماكن الاميرية ومنازل الضباط وأعيان المصريين وقد أعدت الحكومة  
منازل لالياس باشا وغيره من التجار داخل الخندق الصغير وشدت عليهم  
في نقل أمتعتهم الى المنازل التي أعدت لهم فقرروا ولحقوا بالمهدي في كابه عدا  
أحمد بك دفع الله و ابراهيم بن عدلان وهاهي أسماء أولئك التجار الذين كانوا  
سببا في اغارة المهدي على كوردفان بل كانوا السبب في شقاء السودان كله  
وسفك دماء مئات الالوف من البشر لان المهدي كما قدمنا كان لا يتفنى غير  
طريق الى السودان الغربي وقد انتقم منهم كما انتقم من الياس باشا وسيأتي  
ذكر ذلك في مكانه وهم ( الياس باشا أم برير . محمد بن العريق . الحاج  
بان النقا ) ولحق بهم من مستخدمي الحكومة ( الریح حامد ) باشكاتب المجلس  
المحلي ومن قواد الباشبوزق ( طه بن الجملي ) و ( ابن تاي الله ) و ( ابن الحسين )

## ذكر هجوم المهدي علي الابيض

لما لحق الياس باشا ومن معه من التجار بالمهدي في كابه حرضوه على الهجوم على المدينة فامر أخاه محمد بن عبد الله قائد جيشه ان يزحف بالجيش بعد منتصف ليلة الجمعة لست ليال بقين من شهر شوال عام ١٢٩٩ هـجرية وأن يتدنى بالهجوم في الغلس وخطب المهدي على الناس وحشهم علي الجهاد وقال لهم ان نيران البنادق لا تصيبكم وانها تحول ماء كما تحولت نار الخليل برداً وسلاماً فزحفوا واستاقوا غزلان القلابة وغيرها من الحيوانات امامهم وفي الغلس بدأ هجومهم فوقف لهم الجند وقفة الاسود وأصلوهم نيراناً حامية حتى انتصف النهار وتكاثف الدراويش على الخندق مما يلي الجبهه خانات فوجوا وتقهقر الجنود بانتظام وحالوا بينهم وبينها ثم هادوا الى مواقعهم الاولي من الخندق بعد ان قتل كل الذين ولجوا الخندق وفي منتصف النهار تمت الهزيمة علي العدو وخسر اثني عشر ألف قتيل عدا المجروحين حيث كانوا يبلغون ثلاثة أضعاف هذا المدد وسقط محمد بن عبد الله شقيق المهدي وقائد جيشه قتيلين وقتل يوسف شقيق عبد الله التعايشي وقتل قاضي المهديه أحمد بن جباره وقتل الشيخ الامين أحد مؤسسي دعوة المهديه وانفض الامراب من حول المهدي وارتابوا في صدقه بعد اخباره لهم ان نيران البنادق تحول ماءً ولحقوا بديارهم ولم يعودوا الي معسكر المهدي بكابه . وقد وقعت هذه الهزيمة اسوأ موقع عنده ولم يبق حوله غير نفر قليل من ذوي قرابته والذين لحقوا به من مدينة الابيض فصمم علي العودة الي جبل قدير أو الاعتصام بجبال دارفور وأوديتها السحيقة فأشار عليه الياس باشا بالدنو من الابيض ومحاصرتها

لانها في حاجة عظيمة الى القوات وأوعز اليه بان يكتب منشوراً الي جميع الفارين يخبرهم بان الذين ماتوا احياء في الجنة وسيلقاهم اهلوم فيها وان النبي صلى الله عليه وسلم وعسده ان لا يقع لانصاره مكروه حتى يفتح الله عليهم المدينة وانه قد اباح لهم الغنيمة يأخذونها دون بيت المال فتراجع كثير من المنهزمين فزحف في اليوم الثالث وعسكر في جهة (عند العود) التي تبعد عن حصون المدينة بنحو خمسة آلاف متر وأقام المتاريس حول المدينة وضيق عليها الحصار وسنعود الى تمة ذلك

### حملة علي بك لطفي

في شهر ذي القعدة سنة ١٢٩٩ انفذ عبد القادر باشا حلمي طابوراً من الجنود النظامية تحت قيادة القائمقام علي بك لطفي لتعزيز حامية كوردفان حيث انتهت اليه ابناء تقدم المهدي نحوها وكان مع الطابور نحو الفين من الجنود الباشبوزق تحت قيادة افراد من عمد القرى المجاورة للمدينة وقصد عبد القادر باشا من تجنيد الباشبوزق ان يكونوا على الدوام في طليعة الجنود يستكشفون العدو وينهبون الحملة علي كل كمين في طريقها ولولا ذلك لم تكن فائدة لاؤلئك الجنود الذين يجولون المنظمات العسكرية وفي كثير من الوقائع كانوا السبب الاعظم في فشل الجنود بما ياتونه من الحركات التي لا تنطبق على الفنون العسكرية وما كادت الحملة تبلغ حدود كردفان حتى تألب لناواتها قبائل الجمع والجوامع فاضطرت الى تشكيل قلعة تدافع بها الهاجمين وهي سائرة في الطريق التي يكثر فيه الماء وهو منحرف لجهة الشمال وينتهي سيره عند نقطة (باره) وبعد بضعة أيام وصلت الحملة الى مكان يقرب من باره يدعي (كوا)

والجنود على آخر رمق فقد وامعه الصبر لانهم لم يذوقوا النوم والراحة منذ وصلوا حدود كوردفان وهجمات العدو متوالية عليهم ليل نهار وكان العدو قد تجمع منه زهاء ثلاثين الف مقاتل ووثبوا على الحملة وبالرغم مما ابده الجنود من الصبر تمكن العدو من الولوج في المربع وقتل القائد والجنود كلهم الا كوكبة تزيد على المائة قادها اليازباشى السيد أفندي القوال وتمكن بها من الوصول الى باره وكان لعبد القادر باشا عيون يسرون خلف الحملة وهم الذين أبلغوه خبر القضاء عليها حيث أذاع عكسه تسكيننا للخواطر وتطمينا لسكان الخرطوم

### سقوط باره

باره مدينة كبيرة في الشمال الشرقى من الابيض تبعد عنها بمسيرة أربع مراحل وفيها بساتين كثيرة بسبب وفرة مياهها وقربها اذ البئر لا يتجاوز عمقها مترين وأكثر سكانها من المصريين والأتراك ويوجد بها من الدنقلين عدد كبير

ولما قامت ثورة المهديين حصنتها الحكومة ووضعت فيها حامية فاغار العدو عليها عدة غارات ورجع مقهوراً منها ولما ثبتت قدم المهدي في محاصرة الابيض سقطت باره في قبضته علي شرط ان لا يمس الاهلين بسوء في أموالهم وذرائعهم ولم يوف لهم بل تناول امراؤه الاموال ومدوا أيديهم الى النساء فذهبوا اليه وهو يومئذ محاصر للابيض متظلمين فاحال ظلامتهم على عبد الله التعايشي فجمعهم وقال لهم ان الحضر عليه السلام قال له لا ترد اليهم ما أخذ منهم لانهم يخسرون الآخرة ويعودون الى ما كانوا فيه من شرب الخمر وأغلظ عليهم القول وتوعدهم ان عادوا الي التظلم. وكان المهدي أصدر منشورا ضمنه



الثناء على عبد الله التعايشي وقال فيه انه أوتي الحكمة وفصل الخطاب وان  
الحضر عليه السلام رفيقه ووزيره ومن رأى في حكمه اعوجاجا ظاهرا ففي  
باطنه من الحكمة كالتى فى قصة موسى عليه السلام مع الحضر وكان الذى  
أشار على المهدي بكتابة هذا المنشور أحمد بن سليمان أمين بيت المال تمهيدا  
لحكمه على أهالى باره والمنشور فيه اختلاف بين نسخه فالنسخة التى بيد امين  
بيت المال تخالف التى بيد التعايشي وهى التى طبعت فى مجلد المنشورات  
ويقول أمين بيت المال ان عبد الله التعايشي هو الذى أوعز الى كاتب سره  
فوزى بن محمود باريه باحداث الزيادة وسيأتي ذكر قتل فوزى وأمين بيت  
المال وانهما اقرا بالحقيقة عند القتل اه

### ذكر كنيسة جبل الدلن

كان جماعة من القسوس الكاثوليك شخصوا الى كوردفان وشادوا بها  
كنائس وتوغلوا فى بلاد المتوحشين وجباهم يدعون القبائل الى النصرانية  
وبنوا كنيسة فى جبل الدلن من أعمال كوردفان وكان بهذا الجبل حامية  
وضعتها الحكومة للمحافظة على أولئك الدعاة ولتنع الاتجار بالارقاء تحت  
قيادة رجل من الاوربيين وكان كاتبه مصريا اسمه خليل حسنين وكان ميالا  
الى المهدي فى ذات يوم أصبح يقص على الجنود رؤيا منامية فخواها انه رأى  
المهدي وأنه بشره وسائر الذين فى الجبل بانهم من خيرة انصاره وصفوة محبيه  
وكسام حلا سندسية ووضع على رؤسهم تيجانا زمردية فوقعت هذه الرؤيا  
موقع القبول عند الجنود ومالت قلوبهم نحو المهدي وبمث خليل حسنين  
بكتاب الى المهدي يقص عليه الرؤيا ويعرض به دخولهم فى طاعته فارسل

لهم مائة فارس من الاعراب ومعهم كتاب يقول فيه ان النبي صلى الله عليه وسلم أخبره بصدق رؤيا خليل حسنين وانه يبذل الامان لكل الذين في الجبل حتى القسوس الذين تمهد لهم بالحرية الدينية ودعاهم للتقدم اليه فلبوا جميعاً ولما مثلوا بين يديه قابلهم بالبشاشة وطيب خواطرهم أما خليل حسنين فكوفئ بادخاله ضمن عمال بيت المال وبقى القسوس حتى سقوط الابيض ثم صودرت أموالهم واجبروا على اعتناق الاسلام بعد تمذيب شديد اه

### ذكر واقعتي شات والمرايع

(شات) قرية تبعد عن النيل الابيض بنحو عشرة أميال وهي أول منزل ينزله المسافرون من الدويم الى كودفان وبها تجار لا يتباع الصنغ ويسكنها مصريون من أهالي مديرية أصوان وكان بها حامية من الجنود خندقوا على القرية فرّ بهم أحمد المكاشفي قادمًا من قبل المهدي بالولاية على سنار وقد عززه بأمراء كثيرين من أهالي البحر الابيض أشهرهم ابن كريف عهد اليه المهدي بجمع قبائل البحر الابيض ونشر دعوته بينهم ونصرة أحمد ابن المكاشفي الذي تقدم لنا ذكر أخيه عامر بن المكاشفي وما أتاه في سنار ولما وصل أولئك الأمراء الى شات التف حولهم الوف من رجال ابن كريف فجمعوا على شات وذبحوا من فيها من الحامية وقتلوا النساء والاطفال وأتوا من المنكرات ما لم يسمع بمثله انسان حيث كانوا يسوقون الاسرى من النسوة عمراة كيوم ولا دهن ويتركن عرضة للحر والبرد حتى يمتن من الجوع والظما مقرنات في الاغلال يضربهن كل من ضربهن ثم اجتازوا النهر الابيض الى الجزيرة وكانت بها حامية من الجنود في مكان يدعي المرايع ففتكوا بها

وانتشرت دعوة المهدي في الجزيرة وعلى الخصوص في البلاد المتوسطة بين النيلين الازرق والأبيض مثل معتوق وعبود

## ذكر واقعة عبود

عبود قرية تبعد عن النيل الازرق بمسيرة خمس مراحل وكان فيها نقطة عسكرية فهب الأهلون وحاصروا من فيها من الجنود فأرسل عبد القادر باشا الى طابور من المصريين كان ممسكراً في مدينة المسلمية يأمره بالتقدم لانتقاذ (عبود) فتمرد الجند لوشاية وصلت اليهم وقالوا لا نتقدم وحسبوا ان المسألة حيلة يقصد بها هلاكهم في وسط الصحراء لانهم من المساكر العربيين الذين بعثهم الحكومة بعد اخماد نار الثورة فتدارك عبد القادر باشا الامر وشخص بنفسه الى المسلمية فاستقبله الجنود وقصوا عليه ما بلغهم فطيب خواطرم وقال لهم اني سائر معكم بنفسى فتابوا الى الطاعة وزحف معهم الى عبود ومعه من الجنود الباشبوزق عثمان بك الدالى فلما اقتربوا من عبود فر العدو من حولها وانقذت حاميتها وما كادت تمضي عليه بضع ساعات حتى وافاه نواباً بان الداعية ابن كريف جمع نحو ثلاثين ألف مقاتل في معتوق التي تبعد عنه بمسيرة نحو يومين ووجهة سيره مجهولة ويخشى أن يقصد بهم الخرطوم ووافاه نواباً آخر بتضيق احمد بن المكاشفي الحصار على سنار وجاءه ثالث بظهور عصائب حول الخرطوم يقودها الشيخ مضوي عبد الرحمن المحسى الذي ذكرنا نواباً شخوصه الى المهدي في جبل قدير ثم جاءه تلفراف من المعية السنية مضمونه ان الحكومة قد عينت الجنرال هيكس باشا رئيساً لاركان حرب الجيوش السودانية فيجب ايقاف جميع الحركات العسكرية الى حين

وصوله وانه سيفادر القاهرة بعد بضعة أيام هذا ما كتبتة الممية في حين أن  
ايقاف الحركات العسكرية بضع ساعات أقل نتأجه وقوع الخرطوم وسنارفي  
خطر ربما كان اتقازها من مخالفه عسيراً

### ذكر واقعة معتوق

لم تقف على شيء مما أقنع به عبد القادر باشا الممية بضرورة متابعة  
الحركات الحربية فقد زحف بجنوده في اليوم التالي والتقى بابن كريف في غابة  
معتوق واصلاه ناراً حامية ففر منهزماً تاركاً نحو أني قتيل في ساحة الحرب  
وتأثره حتى تفرق أنصاره وبلغ عبد القادر باشا (السكره) على شاطئ النيل  
الايض ومن هناك قصد الخرطوم على احدى البواخر وطارد المصائب التي  
ظهرت حوالي الخرطوم وقبض على جماعة من زعمائها وأودعهم السجن  
وأخذ في الابهة للحملة على احمد بن المكاشفي واتقاز سنار

### ذكر واقعة الداعي

زحف عبد القادر باشا من الخرطوم في ثلاثة آلاف من الجنود  
المصريين النظاميين لاتقاز سنار وكان أحمد بن المكاشفي محاصر ألهما منذ  
شهر تقريباً ومعه نحو ثمانين ألف مقاتل التفوا حوله من قبائل ( جهينة  
والسكواهلة ) وغيرهم ولما وصلت الحملة الي مدينة ولد مدني لحق بها الشيخ  
عوض الكريم بن أبي سن زعيم قبيلة الشكرية التي تقدم لنا تعريفها ومعه  
عدد كبير من فرسان قومه كانوا يسرون في طليعة الحملة يستكشفون المواقع  
والمكامن وبعد اقامة بعض أيام في ولد مدني رتب عبد القادر باشا هيئة  
الزحف وجعل صفوف القتال أربعة واعتي بأمر الجناحين اللذين يدافعان

عن القلب وكان العدو في حماس شديد يقتحم النيران بجيئه وبصبر تحت  
 تطاير المقذوفات ويلتحم بالجنود فدبر عبد القادر باشا حيلة قاومت اقتحام  
 فرسانه حيث صنع آلة صغيرة من الحديد عليها ثلاثة مسامير فاذا ألقيت على  
 الارض وقف أحدها وبهذه الحيلة خفت اضرار فرسان العدو حيث يضع  
 الجنود بينهم وبينه هاته الآلة وزحف عبد القادة باشا من ولد مدني في أواخر  
 ربيع الآخرة سنة ١٣٠٠ هجرية فالتقي باحمد بن المكاشق في مشرع الداعي  
 ومعه ثمانون ألف مقاتل فانتشب القتال بينهما بضع ساعات أصيب في  
 خلالها عبد القادر باشا برصاصة خرقت ثيابه ودخات في جوف ساعته ولم  
 تصبه بأذى وانهزم ابن المكاشق وتكبد خسارة تزيد على عشرة آلاف قتيل  
 وتابع عبد القادر باشا سيره نحو سنار ورفع عنها الحصار ولحق ابن المكاشق  
 بجبل (سقدى مويه) الذي يبعد عن سنار بمسيرة ست مراحل وأقام عبد  
 القادر بسنار يرتب معدات الدفاع ويلقى على الحكام الاوامر

### ذكر واقعة سقدى مويه

وبعد أيام انفذ عبد القادر باشا حملة من الجنود الباشبوزق تحت قيادة  
 صالح اغا الملك ومعه صنجقان عثمان بك الدالي والملك الحسين الى (سقدى  
 مويه) فذهبت الحملة والتقت بابن المكاشق هناك وثبت القواد وأصلوا العدو  
 ناراً حامية وفر ابن المكاشق في عدد قليل من أنصاره وغنموا كل مافي معسكره  
 من الذخيرة والرايات والطبول التي يدقونها وقت الحروب وعادت الحملة الى  
 سنار وأقيم لها احتفال باهر وزينت المدينة وبينما كان الناس يتبادلون عبارات  
 التهئة والسرور ويقدمونها الي عبد القادر باشا اذ ورد عليه نبأ برقي من الخرطوم

بان الجواسيس اخبروا بسقوط مدينة الابيض عاصمة كوردفان في قبضة المهدي فاستاء لهذه الفاجعة ولكنه تجلد ولم يوقف من كانوا حوله على شيء من هذه المصيبة التي نعتت سروره

## ذكر رأي عبد القادر باشا في انقاذ الابيض

ذكرنا ما كان من أمر المهدي وانه لما وطن عزمه على الزحف الى كوردفان أرسل دعائه ليهبوا بالثورة والعصيان حوالى الخرطوم كي يشغلوا عبد القادر باشا عن الاهتمام بأمر كوردفان وتميز حمايتها وقدقرت سياسته هذه بالنجاح حيث لم يستطع عبد القادر باشا الفلبية على أولئك الدعاة الأبعد أن تم للمهدي الاستيلاء على عاصمة كوردفان والقضاء الاخير على نفوذ الحكومة في ذلك الاقليم

على انه بعد أن نال عبد القادر باشا الظفر في واقعة (سقدي مويه) لم تزل امامه عقبة أخرى وهي وجود داعية يدعي ابن عبدالغفار جمع حوله جيشا جرارا في جهة (كر كوج) جنوب سنار يخشي من تقدمه نحوها وقد لحق ابن المكاشفي بعد هزيمته من سقدي مويه بجهة النيل الابيض ولكن معاودته الكرة على سنار كانت متوقمة وقد اطمان في هذا الوقت عبد القادر باشا على مدينة الخرطوم حيث وصل اليها عدة الوية من الجنود المصرية التي يقودها الخبرال هيكس باشا وزحفت فرقة منها لمطاردة ابن المكاشفي في جهات النيل الابيض كلت حركاتها بالنجاح

كان رأي عبد القادر باشا ان تمدد الحكومة بالمال والرجال فيترك حامية تقاوم دعاة المهدي في الجزيرة وحول الخرطوم ويتقدم هو نحو

كردفان في الطريق الشمالية التي يكثر فيها الماء بعكس الطريق الجنوبية  
 التي سارت فيها حملة الجنرال هيكس بحيث تكون جنوده كافية لحفظ خط  
 الرحمة وتأليف قوة تكون هاجمة ولا ريب ان هذا التدبير كان كافلاً لتقاذ  
 كردفان وارجاع المهدي بصفة الخاسر المغبون لو مدت الحكومة له يد المساعدة  
 ولكن من أين لها ذلك وهي واقعة وقتئذ تحت برائن الثورة المرابية  
 ومخالب الازمة المالية وقد كانت الجنود التي ناهض بها عبد القادر باشا  
 العدو في حروبه كلها في حالة يرثي لها من شظف العيش وقلة الملابس فقد  
 كانوا يلبسون الجلود ويقتاتون بلحوم الماشية التي يفتنونها من العدو ويلبسون  
 في أرجلهم أحذية من جلدها مع كثرة الحشرات والشوك في تلك البلاد التي  
 يجتازونها ومع هذا كله كانوا على جانب عظيم من الصبر والسكينة لا يتدمرون  
 ولا يتضجرون وقد مضى عليهم بضعة شهور لم يقبضوا مرتباتهم في خلالها  
 وقد بلغني ان عبد القادر باشا بعث يسترحم الحكومة في ارسال ثلاثين  
 الف جنيه لصرف تلك المرتبات وقال انه لا يليق بنا ان نسوق الجند وضباطهم  
 الى مواطن الموت وأولادهم ونساءهم يتضورون جوعاً فلم يلتفت الي قوله  
 حتي انه كان يسأل الحكومة المكافآت بالرتب والنياشين لكثير من الضباط  
 فتقابل مطالبه بالرفض والاباء . ويقولون ان سبب ذلك كله هو اسماعيل  
 أيوب باشا الذي كان وقتئذ أحد الوزراء فقد أوقف نفسه لما كسة عبد  
 القادر باشا وحمل الحكومة على عدم الاصغاء لاقواله وهو أمر في غاية الغرابة  
 يبعد على الانسان تصديقه وقبوله لولا تواتر روايته وتصحيحها عند السكل .  
 وقد وقف القلم خجلاً عند هذه المسألة ولولا أن تقرير حقيقة تاريخية ساقه  
 لما طوعني في هذا المجال اذ يبعد كل البعد أن يكون وزير من وزراء يقف

نفسه لا خفاق مساعي آخر في مسائل عمومية قد لا يلحقه منها ضرر بل أضرارها لاحقة بالحكومة ومادعاه الى هذا كله غير انه يكره لبغيضه احراز الفخار ونيل شرف الانتصار فان الله وانا اليه لراجعون

وقد كان في امكان عبد القادر باشا لو اجابت الحكومة مطالبه ان يحول بين المهدي وبين كوردفان بوضع الحاميات في جميع المناهل التي على طريقه وقصارى القول أن عبد القادر باشا كان ذاتد بيرات جميلة يستحيل معها على المهدي أن يبلغ اربه من كوردفان ولو اتبعت الحكومة آراءه في العدول عن ارسال حملة الجنرال هيكس الى كوردفان لاستطاعت القضاء على المهديوية في ذلك الاقليم وسنين ذلك كله فيما يأتي

### ذكر واقعة ابن عبد الغفار

وبعد واقعة سمدى مويه زحف عبد القادر باشا بجيش جرار الى جهة سنار للقاء الداعية ابن عبد الغفار الذي جمع حوله ثمانين الف مقاتل من قبائل جهينة والكواهلة وغيرهم وأغار بهم على مدينة ( كركوج ) وقتل خلقاً كثيرين من التجار وأحرق شيئاً كثيراً من بضاعتهم. ( و كركوج ) هذه مدينة كبيرة على ضفة النيل الازرق يقصدها التجار من كل انحاء السودان للحصول على الصمغ الذي هو من اكثر حاصلاتها ولكن ثمنه ينقص نحو الثلث عن ثمن صمغ كردفان لجودة هذا ورداءة ذلك والصمغ في كردفان صنف واحد وهو المعروف باسم ( المشاب ) بعكس صمغ كركوج فان أنواعه كثيرة يتفاضل بعضها عن بعض وأما السمسم فانه من اكثر حاصلات تلك البلاد و ثمنه لا يتجاوز أربعين قرشاً لكل أردب ويطلب هذا الصنف لحاجة جميع الاقاليم الشمالية



السودانية لانه لا ينبت بارضها  
 نعود الى ذكر الحملة فنقول إن العدو ناوشها عدة مرات مناوشات صغيرة  
 كان يقصد بها أن يفرر بها حتى يبلغ الا ماكن الوعرة كثيرة الغابات فادرك  
 عبد القادر باشا هذه الحيلة وأرسل جواسيسه الى معسكر العدو وحيث تمكنوا من  
 الوشاية بين القائد وأنصاره حتى الحوا عليه بوجود الهجوم على الحملة فهاجها  
 في الغلس وقبيل منتصف النهار تمت الهزيمة عليهم وتركوا في ساحة القتال  
 أكثر من عشرة آلاف قتيل عدا المجروحين وتابعت الحملة السير جنوبا حتى  
 تمكنت من تفريق العدو والقضاء عليه وقفلت راجعة الى سنار وجرح  
 أربعة من أكابر قواد العدو جروحا بالغة واتم عبد القادر باشا تحصين سنار  
 وانقطعت أسباب القلاقل من الجزيرة وانحصرت المهديوية في إقليم كوردفان  
 وانتشع كل خطر عن الخرطوم التي احتشدت فيها جنود حملة الجنرال هيكس

### مأ مورية الكولونيل ستيوارت

كانت الحكومة انتدبت الكولونيل ستيوارت بمأ مورية الى السودان  
 وكانت سرية فلما وصل الى بربر عرض كتابا على مديرها من المعية السنية  
 وطلب التصريح له باجراء تفتيش عام على كل دفاتر الحكومة ومصالحها فارسل  
 المدير على جناح البرق يعلم عبد القادر باشا الذي أمره بالانقياد لكل ما امره  
 به الكولونيل ثم قصد الخرطوم وكان معه ايطالى اسمه موسيو داليه سبق  
 له التوظف في حكومة السودان وكان ذا بغض لجنرل باشا الالماني وكيل  
 الحكمدارية فأخذ يسمي مجذافى الايقاع به عند الكولونيل ستيوارت الذي  
 كان يهده بتبواً منصب وكالة الحكمدارية بعد فصل وكيلها جنرل باشا الالماني

وفي ذات يوم زار الكولونيل ستيورات عبد القادر باشا في سراى الحكمة مديرية  
 مجلس معه وابتدر ججلر باشا بكلام أغضبه وتبادلا عبارات الشتم وتطاولا على  
 بعضهما بالمضاربة بالكراسى فوقف بينهما عبد القادر باشا ومنهما من المضاربة  
 وقصد محادثتها وبعد أيام ترجيا المدول عن معاقبتها حيث اصطلحا واعتذر كل  
 منهما لصاحبه. ثم غادر الكولونيل ستيورات الخرطوم قاصدا سنار قالكضارف  
 فكسلا فمصوع فمصر وأثنى على عبد القادر باشا واستحسن ادارته وأعماله العسكرية  
 ويقول البعض ان مأمورية الكولونيل المذكور كانت الوقوف على  
 حقيقة ما ذاعه ذوو المقاصد السيئة عن عبد القادر باشا حيث قالوا انه طامح  
 للاستقلال بالسودان وقد فند الكولونيل هذه الاشاعة وأظهر سوء قصد  
 الذين اذاعوها وروي بعضهم أن ساكن الجنان الخديو توفيق باشا كان يوالي الاسئلة  
 عن أعمال الكولونيل مما يدل على أن مأموريته كانت ذات اهمية عظيمة

### ذكر حصار الايض

تركنا الكلام على المهدي وقد زحف بخيله ورجله وعسكر في (عد العشر) وتراجع  
 اليه المنهزمون ورتب مقاتلته حول المدينة وأعد المتاريس والطوابي ومنع  
 دخول الاقوات

أما الجنود فكانوا يخرجون الى منازل الاهالي وياخذون ما فيها من  
 الغلال والاقوات اذ لا ميرة في مخازن الحكومة ودام الحال على ذلك حتى غاية  
 شهر ذى الحجة سنة ١٢٩٩ هجرية فنهدت الاقوات

وفي مستهل محرم سنة ١٣٠٠ ابتدؤا يذبجون المشية والحجاجة آخذة في  
 التفتش وذبحوا الحمر الاهلية وبلغ ثمن الاقوة من لحمها مائتين وخمسين ريالا

وكذلك ثمن الاقعة من لحوم السكلاب وبلغ ثمن الكيلة من الغلة سبعمائة ريال  
وأخيراً عدم كل شيء من ذلك وحكى لنا واحد من المحصورين أن خادم أحمد  
بك دفع الله كان يوماً حاملاً مائة ريال يطلب بها شراء دجاجة لمولاه فلم  
يجدها مع أن ثمن الدجاجة في الابيض كان لا يتجاوز نصف قرش مصري وثمان  
أردب الغلة لا يبلغ الريال وحكى لنا ضابط من المحصورين أن اربعة ضباط اشتروا  
دجاجة ضئيلة بمائة وخمسين ريالاً واقتسموها بينهم

وكان الجنود يخرجون على شكل مربع في كل غداة الى حوالي المدينة  
ليأخذوا حشيشاً اسمه ( الحسكنيت ) وهو كالخسك وفي جوفه حبوب تشبه  
الغلة يقتاتون بها ثم نفد هذا الحشيش واشتدت المجاعة على الجنود الذين  
أكثروا من أكل الصمغ وتفشت امراض الاسهال والدوسنطاريا بينهم وازداد  
عدد الوفيات

ولما وصلت الحالة الى ماتقدم جمع المدير الضباط والموظفين والوجهاء  
وشاورهم في الامر فقرروا جميعاً أن يشاطروا الحكومة ما ذخروه لقوتهم  
وأن يحسب لهم ثمن الاردب بمائة وستة وتسعين ريالاً فتحصلت الحكومة  
على ثلاثمائة أردب وزعتها على الجنود فأصاب كل واحد أقل من كيلة كانوا  
يخطونها مع الصمغ ويقتاتون بها ثم فرغت هذه الاقوات وعاد المدير  
مفاوضة أولئك الناس فتحصل على كمية يسيرة من الغلة أصاب كل واحد من  
الجنود نحو رطلين منها ثم فقد الكل الاقوات وفر كثير من الجنود وأسلموا  
نفوسهم للمهدى واختل النظام وتمرد العساكر على ضباطهم حتى انهم كانوا  
يضربونهم ويهينونهم وتألفت عصابات من الجنود يوالون الهجوم على المنازل  
في المدينة ليسلبوا ما يجدونه من الطعام وصار الخندق خالياً من المدافعين

ولولا ما وقع في قلب العدومن الفرع والخوف بعدهزيمته الاولى لاستطاع الاستيلاء على المدينة بلاغناء

على أن الجنود كان ينتظر رفع الحصار بواسطة نجدة تقدم عليه من الخرطوم وقد كان ذلك متوقعا من عبد القادر باشا الذي تقدم لنا أن الحكومة لومته بالمال والجنود كان في استطاعته انقاذ الابيض واستئصال الثورة من اقليمها كله وقد كان المهدي في غضون حصاره الابيض يروعه كل يوم ما يرفعه اليه دعائه من توالى هزيمتهم امام عبد القادر باشا لكنه كان يتعزي برسوخ قدمه في كوردفان عموما والاييض خصوصا



### ذكر سقوط الابيض

وفي أواخر شهر ربيع الآخرة سنة ١٣٠٠ هجرية عقد الضباط ومحمد سعيد باشا مدير كوردفان مجلسا للمداولة فقر رأى السكل على طلب الامان من المهدي بعد أن ايقنوا أنهم غير قادرين على البقاء على هذه الحالة فكتبوا كتابا يسألونه أن يؤمنهم على ما يملكونه وأن لا يمد يده لغير الاموال الاميرية فكتب لهم بذلك وزاد أن حلف على المصحف الشريف أمام الملاء بالمحافظة على هذه الشروط . وفي اليوم التالي خرج محمد سعيد باشا ومن معه من الضباط ومن بقي من الجنود وقابلوا المهدي فامرهم باكواخ انزلوا فيها وأمر بمصادرة أموالهم وأموال كل الذين في المدينة فشرع عمال بيت المال في التنفيذ وأخرج الناس من منازلهم واوقف الحاج خالد العمراني بقبيلته على الابواب يفتشون كل خارج وينزعون ملابسهم ووضعوا نسوة تفتش النساء فكن يجردن نساء المصريين من ملابسهن ويفتشن عوراتهن ويقبضن على كل حسناء منهن

وأخرج كل سكان المدينة وأقيم عليهم الحراس في صعيد واحد حيث يأخذهم عمال بيت المال الى منازلهم ويضربونهم ويعدبونهم ليدلوا على أموالهم الخبوءة ودفائنهم المستورة وكثير منهم مات من شدة التمزيب وقيد المدير محمد سعيد باشا ليدل على ماخبأه من ماله

### ذكر مقابلة المهدي حامية الابيض

وفي صبيحة اليوم الذي ضرب أجلا للتسليم خرجت الحامية من المدينة على هيئة طابور والموسيقى تصدح أمامها فقابلها المهدي راكبا ولما دنت منه وقفت وترجل هو عن حصانه وجلس على فروة وأذن لمحمد سعيد باشا وضباطه في الجلوس فجلسوا بين يديه وقبلوا يده ثم سأل واحدا من الضباط اسمه يوسف شعله عن اسمه فاجابه وكان يوسف شعله مامورا بضواحي المدينة وكان مشهورا بالشدة فاجتمع تجار الابيض ساعتئذ حول المهدي وأشاروا عليه بقتل يوسف شعله الذي خاطب المهدي وقال له أنت خليفة الرسول والغفو منك مأمول فعفى عنه ونزع جيبته والبسه اياها ثم التفت الى محمد سعيد باشا وقال له أنت قتلت رسولى فاجابه القائمقام اسكندر بك انا الذي قتلتها فقال انهما كان يرغبان في الشهادة وقد من الله عليهما بها ثم التفت الى أحمد بك دفع الله وقال له ان أخاك عبد الله مات كافرا مع يوسف باشا الشلالى وقد نصحته بالتسليم لى فلم يفعل وأخشى عليك أن تموت كافرا مثله وتحرم من دخول الجنة فقال له لا احب دخول جنة لم يدخلها أخى عبد الله ثم انصرف عنهم ودعاهم الى طعام فأكلوا وحلفهم على المصحف أن لا ينجأوا أموالهم لانها صارت غنيمة له خففوا ودخل المهدي المدينة وأقام بسر اى المدير

## ذكر احصاء ما غنمه المهدي من الايضا

أحصي ما اجتمع في بيت المال فبلغ ثلاثة ملايين ونصفاً من  
الريالات ومائتين وخمسين ألفاً من الجنيهات وأربعة آلاف أوقية من الذهب  
قيمتها ستة عشر ألف جنيهه ومن أصناف البندقي والمجر والخيري ما يقدر  
بخمسة قناطر وأربعة آلاف أوقية من الذهب المصنوع حلياً وأكثر من  
أربعين قنطاراً من الفضة

وكان محمد سعيد باشا قد خبأ ماله الذي يبلغ نحو عشرة آلاف جنيهه  
وأبي أن يظهره للمهدي وكان أمين بيت المال استدل على مكانه من احدى  
جوارى الباشا فأسر هذا الخبر للمهدي فكتمه وجلس في محرابه ودعا محمد  
سعيد باشا وأخذ يذكره بنعيم الجنة وخسة الدنيا ويقول له أظهر مالك فيقول  
له ليس عندي مال وأخيراً دعا أمين بيت المال وقال له على رؤس الاشهاد  
ان النبي صلى الله عليه وسلم أخبرنى بالمكان الخبوء فيه مال محمد سعيد باشا  
فأذهب الى مكان كذا من الدار وأنبشه تجده فيه فذهب ومعه خلق كثير  
فأخرج المال وأذيعت الاخبار بهذه الكرامة وعددها كثير من الناس من  
أكبر كرامات المهدي

وبلغ عدد الارقاء الذين غنمهم الفين وجمع من الملابس والفروشات  
وأثاث المنازل شيئاً لا يدخل تحت حصر وانتدب أمين بيت المال  
ابراهيم رمضان من أهالي أصوان لبيع الفروشات وانتدب ابراهيم بن  
عدلان لبيع الارقاء والماشية وعين كثيراً من كتبة الحكومة كتبة في بيت  
المال وجلهم من الاقباط

ذكر القبض علي محمد سعيد باشا والضباط وقتلهم

لم يمض أسبوعان على سقوط الابيض حتي قبض على محمد سعيد باشا  
وعلي بك شريف وجميع الضباط عدا القائمقام اسكندر بك والملازم الثاني  
يوسف منصور ودفع كل واحد منهم الي أحد المشايخ وجمع التمايشي الضباط  
وقال لهم ليذهب كل واحد منكم مع أحد المشايخ ليقوم بحاجاته وأوعز الي  
أولئك المشايخ أن يشددوا المراقبة عليهم وبقوهم كأرقاء عندهم وبعد أيام  
أصدر أمراً بقتل محمد سعيد باشا وعلي بك شريف ومحمود افندي حسن  
فقتل كل واحد منهم بالضرب بالعصى الغليظة على رأسه وبقي صغار الضباط  
في الاسر الي ما بعد هلاك الجنرال هيكس وزحف المهدي على الخرطوم  
وقد تضاربت الروايات عن الاسباب التي حملت المهدي على الايقاع  
بهؤلاء الضباط ونحن نورد هنا ما قالوه بايجاز فنقول

روي سلاطين باشا ان محمد سعيد باشا وجميع الضباط كتبوا كتابا بعد  
سقوط المدينة الي عبد القادر باشا يخبرونه بما حل بهم وشرحوا له الاسباب التي  
أدت الي هذا السقوط. وكان من الذين وقعوا على هذا الكتاب الضابط يوسف  
منصور الذي ألح على اسكندر بك وأقنعه بالذهاب معه الي المهدي وتقديم أعدارها  
عما فرط منهما فأطاعه اسكندر بك لانه أيقن بأن المهدي ينتقم منه مع الباقين  
مادام يوسف منصور مصراً على اخباره وعند وصولها اكب يوسف منصور  
على أقدام المهدي يقبلها واعتذر فصنح عنه وكافأه بتعيينه قومنداناً على الطوبجية  
وعدل عن معاقبة اسكندر بك ولم يكافأه بشيء هذا مارواه سلاطين باشا  
وقد سمعت من الحاج خالد العمرابي أحد تجار الابيض الذين انضموا

الى المهدي وجعله أميراً من أكبر قواده ان ابن أخته عمر أزرق رأى مناما بعد سقوط الابيض. وهو ان الدراويش الذين قتلوا في واقعة يوم الجمعة وقفوا بين يدي الله عز وجل وقالوا ياربنا ان محمد سعيد باشا وضباط الابيض قتلونا ظلماً وكان النبي صلى الله عليه وسلم حاضراً فالتفت الى المهدي وقال له لك الخياريين قتل أولئك الظلمة أو نفيهم من الارض أو قطع أيديهم وأرجلهم من خلاف فقال المهدي أقتل محمد سعيد باشا وعلى بك شريف وانف بقية الضباط وقد قص على عمر أزرق هذه الرؤيا فامرته بتدوينها على قرطاس قدمته للمهدي في مجلس كان التعاشي حاضراً فيه ومعه الفقيه جلال الدين الفوراوي وكان من المعتقدين فقراً المهدي عليهم الرؤيا وقال حقاً اني كنت حاضراً بهذه الحضرة ثم أمر بالضباط ومحمد سعيد باشا ففعل بهم ما بيناه

وقال آخرون انهم قتلوا بشار محمد عبد الله شقيق المهدي ويوسف شقيق التعاشي لان المهدي لما دخل المدينة وأخذ يفتش على جثة أخيه فعر عليها زرفت عيناه واستل سيفه وقال سيؤخذ بشارك في الآخرة ليوهم من حوله أنه لا ينتقم لنفسه

هذا وقد مكث الضباط في الاسترقاق وكتب التعاشي منشوراً أباح فيه أخذ كل حسناء من زوجها وقال ان النبي صلى الله عليه وسلم أمره بالحيلولة بينهم وبين أزواجهن الكفار

وقبض على أحمد بك دفع الله ومحمد ياسين وهذا كان ناظر أحد الأقسام بتهمة أنهما غير مصدقين بالمهدية فنفيهما ثم قتلا وكانا مسجونين عند الحاج خالد ويقال انه الذي رماهما بهذه التهمة وأخذ المهدي أم الحسن بنت أحمد بك دفع الله موطوءة بملك اليمين وكتب منشوراً قال فيه ان هاتفا الهيا قال



له لا بأس عليك منها وإنما غنمة النبي صلى الله عليه وسلم  
على ان المهدي والتعايشي كانا راغبين في استحياء أحمد بك دفع الله  
وارضائه حتى ان التعايشي كان يود اعطائه راية يجمع حولها كل ذوى قرابته  
ويكون أميراً عليهم فاغتاظ الياس باشا أم برير من ذلك وحذر التعايشي من  
هذا الامر وقال له ان أحمد بك دفع الله اذا رفعت له راية وانضم اليه محمد  
يس فانهما بلا شك يعملان ضد المهدي وبعده مداوات كثيرة بين المهدي  
والتعايشي أصدر المهدي منشورا قال ان النبي صلى الله عليه وسلم أمره بقائهما  
فانتدب التعايشي قريبه يونس بن الدكيم ومعه خمسون فارساً وسار بهم الى  
منفاها وضرب عنقيهما بعد ان صليا ركعتين وروى يونس بن الدكيم  
ان محمد يس لما قدم للقتل أظهر جبيناً وهدماً فانهره أحمد بك وقال له اخساً  
فالى أين تفر يا جبان ثم قال للسياف تقدم نحوى يا ابن الفاعلة فتقدم وضرب  
عنقه رحم الله الجميع

### ذكر ترتيب جيش المهدي واحكامه

ذكرنا ما كان من أمر المهدي وترتيب جيشه في جبل قديرو أنه جملة فرقا  
ثلاثاً يقود كل واحدة منها خليفة من خلفائه الثلاثة وجعل القيادة لآخيه  
محمد بن عبد الله الذي قتل بواقعة الابيض ونقول الآن انه بعد انتشار نفوذه  
في اقليم كوردفان كله واستيلائه على الابيض تكاثفت جيوشه وأسند القيادة  
العامة على جيشه للتعايشي وجعله مستشاره الذي لا يقطع أمراً دونه وعين  
أحمد بن علي قاضيا بدل أحمد بن جباره الذي قتل في واقعة الابيض ونصب  
أربعة رجال دعاهم الامناء وفوض اليهم النظر في كل العرائض التي ترفع اليه

والفصل فيها وانتدب نحو عشرة رجال دعاهم النواب وفوض اليهم النيابة عنه في نظر المسائل المعظمة التي لها دخل في بيت المال فكان كل فريق من النواب والامناء يحكمون فيما يعرض عليهم من المسائل بغير تمديد

وأخذ يوالي اصدار المنشورات بعضها في ذم الدنيا وخستها وبعضها في الاحكام الشرعية من عبادات ومعاملات وفي ذات يوم جاءه أحد خدامه ( الملازميه ) وقال له انه رأى امرأة تزني خلفه على المصحف الشريف وأمر بالمرأة فقتلت رجلاً بالحجارة وخطب في الناس وقال لهم ان أصحابه لا يكذبون ولا داعي لاربعة شهداء مادام الشاهد الواحد يحلف وقضي ان كل المظالم التي اقترفتها الحكام قبل ظهور دعوته لا يسمع فيها ادعاء وذلك لان ما اغتصبه أولئك الحكام صار ملكاً لبيت ماله وورده يفقد بيت المال كل ما يملكه . وكان لكثير من الناس ودائع عند تجار الابيض فأمر بعدم ردها الي أصحابها اكراما لحواطر أولئك التجار

هذا حال جيشه وأحكامه وأما تقدمه لامتلاك الخرطوم فقد انحلت عزيمته عنه على اثر ما توالى على دعائه من الهزيمة والفشل وعدا ذلك فان الخرطوم أو ائذ كان فيها نحو عشرين الف جندي وامتلاء قلب المهدي فرعاً وخوفاً من عبد القار باشا وصرح في كثير من خطاباته بان النبي صلي الله عليه وسلم أخبره بترك التقدم على الخرطوم مادام عبد القادر باشا حاكماً على السودان وكان يرفع يديه عقب كل صلاة ويقول ( يا قادر اكفنا عبد القادر ) وقد وجه عزيمته نحو دارفور ورآى ان امتلاكها اقل صعوبة من امتلاك الخرطوم وسيأتي ذكر تفصيل استيلائه عليها

## ذكر فصل عبد القادر باشا والغاء نظارة السودان

في شهر جمادى الاولى سنة ١٣٠٠ أثر انتصارات عبد القادر باشا على دعاة المهدي في جنوب سنار صدر امر عال بفصله عن حكمداية السودان والغاء النظارة وانشاء قلم مخصوص بنظارة المالية لمراقبة حسابات السودان وقد وقع بأفصله اسوأ وقع عند أهالي الخرطوم وسائر مستخدمي الحكومة والاعراب الموالين لها وقد رفعوا العرائض تباعا الى المغفور له الخديوى توفيق باشا يسألونه العدول عن هذا الامر فلم يفعل ولم يكن هذا الاسترحام قاصراً على من ذكرنا بل تناول النزلاء الاوروبيين وقناصلهم فانهم اشتركوا في هذا الالتماس وما ذلك الا لان الكل موقنون بان الطريقة التي اتبعها عبد القادر باشا كانت السبب الوحيد في نجاة الخرطوم وسنار والجزيرة كلها وكان من وراء أعماله ما قنط المهدي من التغلب على الخرطوم وقد أصدر منشورات لكل دعائه في الجزيرة يأمرهم بكتمان الدعوة مادام عبد القادر باشا حاكماً على السودان وقال لهم ان النبي صلى الله عليه وسلم أخبره بان دعوته لا تفلح الا بعد مغادرته السودان على ان الانسان يحار من اقدام الحكومة على هذا الامر الذي فتح بابا للقليل والقال حيث أوله كثيرون بانها غضبت عليه لانتصاره على العدو أو أنها كانت لا ترى بأساً في تقلص نفوذها من السودان وبسط سلطان المهدي عليه وقد محضها النصح ووبين لها ان ارسال حملة الجنرال هيكس ضرب من الجنون وأن غلبة المهدي عليها ضربة لازب فلم تلتفت الى نصحه وضربت باقواله عرض الحائط كما فعلت معي حين نصحتها في شأن يوسف باشا الشلالى

## ذكر تعيين محمد علاء الدين حكمدارا للسودان

وخلف عبد القادر باشا محمد علاء الدين باشا وأعيدت نظمات الحكمديرية والنيت النظارة وكان علاء الدين باشا حكمداراً للسودان الشرقي وله مع سكانه صداقة مذكان مديراً على كسله فلما قبض على زمام الحكمديرية وعهدت اليه الحكومة بشراء الجمال للعملة كان أول عمل أتاه انه أخذ من مال الخزينة نحو مائتي الف ريال وشخص بنفسه الى السودان الشرقي لشراء الجمال مع ان مثل هذه المأمورية يقوم بانجازها متمهد من التجار ولكن علاء الدين باشا سرب المال الي جيبه والزم مشائخ القبائل بتقديمها له مجاناً ولا غرابة في ذلك لان الجمال كثيرة عند أولئك الاعراب ويوجد منها عند كل شخص ما يربو على مائة راس وقد اشتهر عن علاء الدين باشا تناول المسكرات بكثرة ونقل لنا واحد من خدامه الذين كانوا معه بحملة هيكس انه شرب زجاجة كنيك قبل ان يقتل بعشرين دقيقة

وتلاعب علاء الدين باشا باثمان الاقوات التي تقدم للعامة حيث اتفق مع المتمهدين على اثمان تبلغ ثلاثة أضعاف الاثمان الحقيقية وقبض أموالا طائلة من ذلك

وقد سار على سنته حسين باشا الذي ناب عنه في الحكمديرية ونشأ من وراء تلاعبه مآضر بالخرطوم في غضون حصارها وسيأتي ذكر ذلك في مكانه ومن سن سنة سيئة فمليه وزرها ووزر من عمل بها. وباع علاء الدين باشا وظائف الحكومة الى كثير من التجار السودانيين فاغتموا الفرصة وتعلقوا للمهدي بايقانه على أسرار الحكومة وعهد بالرئاسة على مجلس

الاستئناف الي تاجر بربري اسمه (حمد التلب) لازري له اقل أهلية ترشحه لهذا المنصب غير أهلية الاصفر الزنان ومثل هذه المخرقة أشياء كثيرة لايسع المقام تفصيلها وقصاري القول ان الحكومة كانت لا تهتم بغير انفاذ حملة الجنرال هيكس ومحمد علاء الدين باشا كان لا يهتم بغير جمع الاموال من وراء نفقات تلك الحملة التعميسة هذا ما عولت عليه الحكومة وأما المهدي فانه وقف وقفة المدافع ينتظر قدوم الحملة عليه وأرسل دعاة كثيرين الي دارفور يجمعون الناس على دعوته ويناهضون الحكومة فيها وسنأتني على سرد كل ما يهيم القاريء الاطلاع عليه ثم نعقبه بذكر حملة الجنرال هيكس ويبد الله التوفيق

## ذكر دارفور

دارفور بلاد واسعة في الجنوب الغربي من كوردفان وسكانها ينقسمون الي ثلاثة أقسام قسم يسكن القرى والساكر. والثاني يسكن البوادي ويعيش بألبان المشاية كألوف عوائد الاعراب. والقسم الثالث يسكن رؤس الجبال وبين هؤلاء وسكان القرى تشابه في الاخلاق والعادات والمعيشة حيث يشتغل الفريقان بفلاحة الارض وافتراق حيث تجد سكان القرى منغمسين في الملذات ولهم مهارة في اجادة طبخ الاطعمة وتعدد الالوان الامر والذي يجهله أهل السودان كلهم وهم مشهورون بالكرم وقرى الضيوف وبلادهم خصبة وأراضيهم تجود بمحصولات كثيرة وثمن القوت منخفض فيها جداً حتى أن الاردب من الدخن الذي هو اكثر محصولاتهم لا يتجاوز بضعة قروش مصرية والقمح يكاد يكون أبخس ثمننا من الدخن ويوجد بدارفور تجار أغنياء

لهم أعظم صلاة التجارة مع القطر المصري يجلبون العاج وريش النعام وغيرها  
من سلع السودان

وهؤلاء السكان تناسلوا من عنصر عربي استوطن دارفور منذ أجيال  
وسنأتي على ايضاح ذلك حتي يكون القارىء على بينة منه

وفي دارفور جبال كثيرة أشهرها ( جبل الحلة ) وبه قبور الملوك وفيها  
مدن كبيرة أشهرها ( الفاشر ) عاصمة تلك البلاد ومدينة ( داره ) و( كبايه )  
( كلـكل )

وفيها معادن كثيرة من النحاس والحديد والرصاص وأهل دارفور  
ميالون للهرج والقتل والحروب

### تاريخ دارفور القديم

لخصنا للقارىء تاريخ السودان القديم ونرى اتماماً للفائدة أن نثبت له  
تاريخ دارفور القديم اني انحلال دولتها وضمها الى الاملاك الخديوية فنقول  
نرح الي السودان الغربي أعراب من تونس وما جاورها من البلاد  
الافريقية في أواخر القرن الثامن للهجرة واستوطنوا بلاد وادامى وبرقو  
ويحكي أن أخوين من أولئك النازحين وصلا الي دارفور اسم أحدهما علي  
والآخر احمد المعقور الذي أطلق عليه هذا الاسم بسبب ان أخاه علياً عقر  
رجليه بضربة سيف

وتحري القصة أن علياً كان متزوجاً بامرأة بارعة الجمال وكان يحب أخذ احمد  
حتى كاشفته بهذا الحب وهو أنكره عليها وتعالى في تعنيفها حتي اضمرت له الشر  
وصممت على الايقاع به عند أخيه لئلا يسبقها بابلاغه شفقتها به فتقع هي تحت

خطر العقوبة فابانت بعلمها أن أخاه راودها عن نفسها فاستشاط غيظا ونادى  
 بالرحيل فرحل الحى وانفرد هو باخيه في الغلاة وضربه بالسيف حتى عقر  
 رجله وتركه مصروعا على الارض ولحق بالظمن وأمر أتباعه ومواليه بلحافه  
 وطلق المرأة وتابع مسيره الى واداي وأدرك الموالى احمد المعقور فى وسط  
 الغلاة فضمدا جراحه وأبلغوه أمر اخيه وأنه كان لا يقصد قتله بل أن يفترق  
 وسار احمد المعقور مع مواليه ونزلوا على ملك من الزنوج كان متسلطا على قسم  
 كبير من دارفور وكان كسانز زنوج افريقيا لادين له فاكرم وفادتهم وقرب  
 احمد منه وكان فادهاء وشجاعة فاحبه سكان البلاد ولم يعض أمد طويل  
 حتى توفي السلطان فاختر الشعب احمد المعقور ملكا عليهم فقام بالسلطنة  
 أحسن قيام وأخضع كل الاقاليم المجاورة له وترامت أخباره حتى بلغت الاعراب  
 النازلين بوداي فنزحوا اليه وشدوا عضده وانتشروا فى البلاد واستأثروا  
 بخيراتهم وانقرض السكان الاقدمون ولم يبق غير قليل منهم استوطنوا بين  
 دارفو وبرقو وأسسوا مملكة هناك تعرق باسم (ابوريشه) وطالت ايام احمد  
 المعقور حتى ازال كل الصعوبات من المملكة وجعلها ميراثا لولده من بعده  
 وسار خليفته على سيرة والده ثم حفيده السلطان دالى وكان عالما فاضلا رفع  
 منزلة العلماء ورتب القضاة ليحكموا بالشريعة الغراء وانتشر نفوذ سلطان  
 دارفور حتى بلغ كوردفان وضاغاف النيل الابيض وانتشرت الدعوة الاسلامية  
 حتى عمت البلاد التى يحكمونها  
 وفي أوائل القرن الثالث عشر من الهجرة افتتح الدفتردار كوردفان  
 وضمها الى املاك مصر  
 ولما دخلت كوردفان فى حوزة الحكومة المصرية لزم سلاطين دارفور

حدودهم وحشدوا جيوشا لصد تيار المصريين من بلادهم وكان الدهر دار  
 ينوي التقدم الى بلادهم والقضاء على سلطنتهم فلم يثن عزمه غير نبأ قتل  
 الامير اسماعيل باشا في شندي حيث قفل راجعا الى شندي كما تقدم لنا  
 ذكر ذلك وبقيت مملكة دارفور حافظة لاستقلالها ولا يكن تجار المصر بين  
 الذين كانوا يألون الشركات في النيل الابيض قوضوا سلطتها من بحر النزال وكانت  
 خاصة لها وقلت وطأة أولئك الحكام على الالهين حيث ضاعفوا الضرائب  
 على أثر فدم كوردفان وبحر النزال وتوالت الحروب الاهلية والثورات  
 الداخلية فضعفت المملكة وكانت نخل عزائم رجالها وأشهر هاته الثورات  
 ثورة الرزيقات وهي قبيلة من البقارة يزيد عدد نفوسها على خمسمائة الف  
 نسمة تسكن بادية جنوب دارفور وكانت هذه القبيلة شديدة الحمية وكثيرة  
 الرغبة في الاستقلال وقد ناهضت مملكة دارفور مرات عديدة وفي كل  
 مرة تدور عليها الدائرة فتثوب الى الطاعة ريثما تسترد قوتها فتعود الى الثورة  
 والحروب

### ذكر فتح دارفور

يعلم الكل ما كان عليه المغفور له الخديوي اسماعيل باشا من حب  
 اتساع المملكة ومتابعة الفتوحات ولذا وجه عناية لفتح دارفور واستمال اليه  
 كثيرا من تجارها وأغنيائها وذوى النفوذ في بلاط سلطانها  
 وكان اقليم بحر النزال يومئذ بايدي التجار لم تنشر الحكومة الخديوية  
 تقوؤها عليه وقد تقدم لنا ان غردون هو الذي أدخلها ضمن أملاك الخديو  
 وقد باشرت انفاذ ذلك حيث انني أول حاكم عين لها وفي سنة ١٢٨٢ هجرية



وفد على المغفور له اسماعيل باشا رجل اسمه البلالي من أقرب مقربي سلطان دارفور وأصله من أهالي بورنو فاكرم وفادته واستشاره في أمر فتح دارفور فاخبره بأمر الشركات التجارية التي كانت متسلطة على دارفور وكان الزبير باشا وكيلاً لشركة أبو عموري وهو تاجر مصري وكان يوسف باشا الشلالى وكيلاً لاحدى الشركات وكذا النور بك عنقره ومع الزبير باشا نحو الفين من الجنود المعروفين باسم ( باذقر ) ومع كل من يوسف باشا والنور بك عنقره اكثر من هذا العدد

وقصد البلالي ان يكون رسولا من قبل الحديو الى هؤلاء الثلاثة ويمدهم بارائهم كي يهاجموا مملكة دارفور من الجنوب ليسهل على جنود الحديو مهاجمتها من الشرق وعلى هذا العزم غادر القاهرة بعد ان انعم عليه الحديوي بالرتبة الثانية ثم غادر الخرطوم ولحق ببحر الغزال ونزل ضيفا على الزبير باشا وقبل انقضاء ايام الضيافة الثلاثة أرسل له بعض اتباعه في منتصف الليل وأمرهم بقتله فذبحوه على فراش نومه وحملوا رأسه الى الزبير

ولما علم الحديو بذبح رسوله امتلأ غيظاً وصمم على الانتقام من قاتله ومفاجأته بحملة كبيرة تقتص منه فانتدب اسماعيل ايوب باشا لقيادة هذه الحملة وجعله حاكماً على السودان وماكاد يبلغ الخرطوم حتى ندم الزبير على فعلته وأخذ يكتب الى الحكومة ويمدها بالاغارة على جنوب دارفور فارتأى اسماعيل ايوب باشا قبول وعده وتأجيل معاقبته لفرصة أخرى

وفي غضون ذلك كتب الزبير الى سلطان دارفور يقول ان العبيد لادين لهم وهم عبدة أوثان يحل استرقاقهم شرعا فكتب اليه سلطان دارفور يقول

صدقت انه ليحل لنا استرقاق العبيد وبأئبي (الشطيطة) لان الزبير من قبيلة  
الجمليين واهل دارفور يسمونهم بهذا الاسم لانهم يذهبون الى بلادهم تجارا  
بهذا الصنف.

وفي أوائل سنة ١٢٩١ كان الزبير باشا والنور بك عنقره قد بلغا حدود  
دارفور وكان عرب الرزيقات التي تقدم لنا ذكرهم اعتدوا على قافلة من  
التجار كانت مجتازة بين دارفور وبحر الغزال فقتلوا رجالها ونهبوا متاعها فتذرع  
الزبير بهذا السبب وسأل سلطان دارفور تعويضاً عنها فامتنع وأرسل اليه  
بجيش جرار تحت قيادة وزيره أحمد شتا فتحالف الزبير مع عرب الرزيقات  
وقال لهم ان غلبني سلطان دارفور فكونوا معي علي وتأثروني بخيلكم واغنموا  
اسلابي وان أنا غلبته فكونوا معي عليه وافعلوا به ما تقدم فرضي الرزيقات  
بهذا الشرط وتقدم الوزير احمد شتا ورجاله في تيه عظيم نحو الزبير وسلاحهم  
الرماح والسيوف لا يعرفون ما البندقية وسروجهم مصفحة بالذهب فصب  
عليهم رصاصاً كالسيل فكانوا يظنونهم رعداً قاصفاً ويتلون الآية « ويسبح الرعد  
بحمده والملائكة من خيفته » وسقط ألوف منهم قتلى وقتل قائدهم وأكابر  
قواده وانهمز الباقي وتمزق شملهم كل ممزق وتأثرهم فرسان الرزيقات  
وأثخنهم قتلاً ونهباً وأرسل الزبير يعلم اسماعيل أيوب باشا ويطلب منه المدد  
فسافر اليه مدير كوردفان في ثلاثة طواير من الجنود النظاميين ومعه مدافع  
وسوار يخ فاجتمع عليه وفتحوا مدينة (داره) وتحصنوا فيها وحذف اسماعيل أيوب  
باشا بمسكر كشيء من الخرطوم قاصداً دارفور ولما تحصن الجند في داره  
جمع السلطان ابراهيم جنده وتقدم نحو داره حتى صار على مقربة من الحصن  
فقاهاه الجنود بنار حامية اضطرت به الى التقهقر فرماه قومه بالجنين فقبض

على كثيرين منهم وزجهم في السجون وضرب أعناق كثير منهم ثم هاجته الجنود فحمل هو وجماعة من بطانته وآل بيته ممسكا بيده سيفاً حتى دخل وسط الجنود وهو يصيح أين صاحبكم الزبير بائع الشطيطة فصبوا عليه الرصاص كالطر فسقط قتيلاً هو وبطانته وذوو قرابته ودفنت جثته بالاكرام اللائق وتقدم الجنود نحو الفاشر عاصمة البلاد واستولوا عليها ونهبوا ما فيها حتى كانت الريالات مبعثرة على وجه الأرض والطرق مملوءة منها وفي اليوم التالي وصل اسماعيل أيوب باشا الفاشر ونال حظاً كبيراً من الغنيمة واشتد الخلاف بينه وبين الزبير باشا الذي شخص الى القاهرة لمقابلة الحديو فنعمه من العودة وكان من أمره ما نحن في غنى عن إيراده ومن ثم خضعت بلاد دارفور للحكومة وقسمت ادارتها الى ثلاثة أقاليم (الفاشر) وهي مقر الحاكم العام و (داره) و (كبكايه) ولسكل اقليم مدير وعلى السكل المدير العام

ولما أبعد الزبير عن دارفور ظن ابنه سليمان انه وارثه وانه سيكون حاكماً مستقلاً على دارفور فغاب ظنه وفي غضون سياحة غوردون في اقليم دارفور دبر ابن الزبير مكيدة لقتله قبل أن يبلغ حصن (داره) وبينما كان ابن الزبير واعوانه يتشاورون في الامر اجتاز صفوفهم غوردون ودخل الحصن فاندھشوا حين سمعوا اطلاق المدافع للترحاب به

ولم يمض غير بضع دقائق حتى بعث يستدعي النور عنقره والسعيد حسين وكانا نخاسين مع ابن الزبير فحضر ا وبعده أن جلسا أمر لهما بالقهوة والسجائر ثم سألهما عما دبراه مع ابن الزبير لاغتيال حياته فقالا ان ابن الزبير يريد القبض عليك واخذك أسيراً يستفك بك أباه من مصر فقال لهما ولماذا لم تصحاه وتبيننا

له مغبة مثل هذا الجنون فقلا انه محاط باشرار من رجال النخاسة وانه لا يصنى  
 لنصحنا الا اذا كان موافقا لما يشير به أولئك الاشرار فصدقهما وأمر السعيد  
 حسين بالنوجه الي (شكا) وجعله حاكما عليها وولي رفيقه جهة أخرى ثم استدعي  
 ابن الزبير ومحضه النصح وحذره وخامة عاقبة الخروج علي الحكومة فتظاهر  
 بالطاعة فامره بمغادرة دارفور والحقا يجر الغزال ثم كان من أمره فيها  
 ما تقدم لنا ايراده

ولما خرج ابن الزبير من عند غوردون استطال بالشتم على النور عنقره والسعيد  
 حسين فردا عليه أقبح رد وقال له لولا اننا لم يبلغ أبوك ذرة مما بلغ وانا  
 سبب كل خير له وها نحن فارقناه وسيكون من وراء فراقنا اياه ما يذهب بحياته  
 وقد صدقت الايام قولها وسيأتي ذكر السعيد الحسين وقتله في غضون حصار  
 الخرطوم لحياة ارتكبتها

وقبل انصراف اسماعيل ايوب باشا من دارفور عين حسن حلمي باشا  
 الجويسر حاكما علي اقاليمها وحشد فيها جيشا كثيفا كانت نفقاته عبثا ثقيلا علي  
 كاهل الحكومة الحديوية لان دخل البلاد لا يقوم بعشرتلك النفقات لاسباب  
 منها ان الضرائب موزعة علي القبائل بنير قيد فيؤدي الجباة جزأ طفيفا مما  
 يجبونه ويأخذون الباقي لانفسهم

علي ان التعامل لم يكن بالذهب ولا بالفضة بل بقطع من القماش صنع  
 أوروبا وكل ثلاثة أذرع قيمتها خمسة غروش مصرية و بقطع من خرق تصنع  
 هناك اسمها (الدمور) ومن الاسباب المداعية لزيادة النفقة توالي الحروب  
 الاهلية والثورات الداخلية من المطالبين بالملك من وزراء السلاطين بالرغم  
 عما اتخذته الحكومة من الحيطة بالقبض على اكثرهم وارسالهم للقاهرة

وما كادت سلطة الحكومة تم تلك البلاد حتى قام رجل من سلالة ملوكها يدعى هارون وعقد البيعة علي حربها ولقب نفسه بالرشيد واستصرخ سكان الجبال وبعد حروب كثيرة تمكنت الحكومة من طرده من البلاد حيث لجأ الي الجبال فاغتم غردون هذه الفرصة لتقليل الحامية واقتصاد النفقات ثم تمكن غردون بدهائه من القاء النفرة والشقاق بين النخاسين ليتمكن من اراحة دارفور منهم وذلك بما أتاه مع النور عنقره والسميد حسين وابن الزبير

وعلى أثر ذلك ثابت البلاد الي السكينة وأخذت الي الطاعة فجاجاتها المهديوية بدعوتها وحروبها كما تبين ذلك

### ذكر راي عبد القادر باشا في دارفور

قبل ان نذكر استيلاء المهدي عليها نأتي على ذكر رأى عبد القادر باشا في دارفور لكيلا يفوت القارئ الوقوف عليه فنقول . قد ذكرنا ان عبد القادر باشا كان يري ان المهديوية يمكن حصرها في اقليم كوردفان حتي تدب عقارب الاختلاف بين انصارها وحينذاك يكون القضاء عليها كما قدمنا ان المهدي كان ذاموح شديد لدارفور لتكون طريقة الي السودان الغربي أو ملجأ يعتمص به من وجه الحكومة اذا أحس بالفشل وقد كان في غضون حصاره الابيض يوالى ارسال الرواد ويسعي مجدداً لاستمالة البيوت القديمة ويمد من بقي من ذراري الملوك بارجاع الملك الي نصابه فقام دعاة كشيرون وجمعوا عصابات كثيرة في امكنة مختلفة

على انهم لم يأتوا أمراً جلاب بل جل ما أتوه انهم قطعوا الطرق بين المدن

وعطلوا سير البريد الذي لا يقدر علي السير الا اذا كان حراسه نحو الخمسة  
وقد كان عبد القادر باشا يبحث على طريقة تعيد خطوط المواصلات مع  
دارفور ولو بطريق الصحراء المعروف بطريق الاربعين أو عن طريق بحر  
الغزال فاذا تم له عمل كهذا كان أقل نتاجه تعزيز حامية دارفور حتي تصبح  
قادرة على مطاردة دعاة المهديّة من البلاد والوقوف في وجه المهدي والحيلولة  
بينه وبين دارفور

ولو اتخذت الحكومة من الخيطة ما يمنع تقدمه على الخرطوم واتبعت  
مشورة عبد القادر باشا وعدلت عن ارسال حملة الجنرال هيكس كما سيأتي  
ذلك في محله لكانت النتيجة مرضية وقاضية على المهديّة في كوردفان ولكن  
سبق السيف العذل

على انني أقول كلمة وهي ان الحكومة الخديوية بعد اخذها لنصائح عبد القادر  
باشا مكنت المهدي من السودان ورضيت بالمذابج والفظائع التي  
ارتكبها المهدي وأول هذه المذابج حملة الجنرال هيكس التي أرسلتها كقطعان  
من النعم تنتابها الذئاب من كل جهة

نقول ان حملة الجنرال هيكس أول هذه المذابج اذا قلنا ان الحكومة  
كانت معذورة بسبب الثورة العرابية وغير قادرة على ملافاة ما تقدم من المذابج  
التي أولها واقعة (آبا) الى سقوط الابيض

هذا وقد علمت ان المال الذي كان يطلبه عبد القادر باشا للقيام بهذه  
الاعمال لا يتجاوز مائة الف جنيه وبهذا القدر الزهيد كانت الحكومة تقتصد  
بقية النفقات التي انفقها مؤخرًا على ازالة دولة المهديّة بعد ان دمرت البلاد  
وصيرتها خرابًا لا تسترد حالتها الاولي الا بعد قرن

## ذكر قدوم محمد خالد زقل من دارفور

وفي أواخر سنة ١٣٠٠ هجرية وفد محمد بك خالد زقل وكيل مديرية (داره) على المهدي قادمًا من دارفور برسالة من سلاطين باشا مدير عموم دارفور فاستقبله المهدي خارج المدينة وأطلق له مائة مدفع واستعرض جيوشه امامه ووقدم له هدايا كثيرة من الجوارى الحسان وقرأ كتابا من سلاطين باشا على رؤس الاشهاد في المسجد يقول فيه « اني تركت النصرانية منذ زمان مديد واعتنقت الاسلام ديننا وانى مسلم ومؤمن بالمهدى ومصديق بدعواه وأنا مستعد لتسليم البلاد والدخول في دعوة المهدي » فآثني علي سلاطين باشا ودعا له بخير وكان ذلك قبل هلاك حملة الجنرال هيكس ببضعة شهور وهنا نورد ترجمة محمد خالد تماما للفائدة فنقول انه دنقلي من أقارب المهدي يجتمع معه في الجد الرابع استوطن أبوه دارفور وولد المترجم بها وكان يشتغل بالتجارة حتى حصل علي ثروة عظيمة ثم صار وكيل المديرية (داره) وكان ذا دهاء وحيل وزقل لقب له

نعود الى ذكر كتاب سلاطين باشا فنقول يوجد هناك كتاب بعثه سلاطين باشا ولكن مضمونه لم يكن كما قرأه المهدي وليس بعيد ان يكون حرفه كما دته ليبعث به طمأنينة في قلوب انصاره حيث كانوا على وشك مناجزة الجنرال هيكس

وهنا نقل تلك الاسباب عن سلاطين باشا نفسه فقد قال انه لما أحس بكثرة دعاة المهدي في البلاد أيقن أنه اذا عمد الى اعادتهم الى الطاعة بالقوة لاتبث الذخيرة أن تنفذ ولا يمكن الحصول على غيرها وحينئذ تكون

## العاقبة بالاريب وبالآ

وكان على (داره) مدير ايطالى توفى بالحى وناب عنه فى وظيفته وكيله محمد خالد زقل وكان سلاطين باشا عالما بقرابته للمهدى وقد نمت اليه أخبار ميله اليه ودعوته له سرّاً تخاف سلاطين باشا العاقبة فشخص الى (داره) من الناشر وهناك بث العيون على محمد خالد فتحققت ظنونه وزادت هواجسه منه وزاد الطين بلة انه تحقق نفاقم الحطب وأحس بميل كثيرين من الاهالي لجانب المهدي وعلم ان المهدي لا يمنعه من ارسال جيش لاخذ دارفور عنوة الا تربصه لحملة الجنرال هيكس فنتاح محمد خالد فى مابلغه عنه فلم يجحد قرابته للمهدى ولكنه حلف ايماناً غليظة على انه باق على ولاء الحكومة والاخلاص لها فساله سلاطين باشا أن يكون رسوله لدى المهدي ويحمل كتابه له ويعمل لتأخير زحفه على دارفور حتى الفراغ من حملة الجنرال هيكس فاذا كانت الغلبة عليها أسلم سلاطين باشا البلاد للمهدي وان كانت عليه كانت الحكومة جديدة بمكافئته وعلى ذلك بارح محمد خالد زقل دارفور وافداً على المهدي وكان من أمر الاحتفاء به ماأوردناه

هكذا مارواه سلاطين باشا وقد أصحب محمد خالد احمد آغا الجريدي  
قاوش أغاسى المديرية

وحكي لنا من نثق بروايته ان وفود زقل الي المهدي كان من الاشياء التي قدر بها المهدي على تسكين خواطر كثير من أنصاره الذين كانوا يحسبون ألف حساب لحملة الجنرال هيكس التي وصلت اليهم انباءها بغلو كثير فكانوا يتحدثون بما لديها من الاسلحة ومعدات القتال بكلام يبعد عن العقل مثل قولهم ان الجنود لا يحملون اسلحة بل الرصاص يتخذ من أفواههم وعيونهم



وأنوفهم وان لديهم نيرانا تسير في الجو كالسحاب ولا تترك شيأ مرت عليه من شجر ومدرا الاجملته رماداً ومثل ذلك كثير لو أردنا ايراده لضاقت عنه المجلدات. ويقول كثير من ضباط حامية دارفور انهم كانوا يستطيعون النجاة والفرار من وجه المهدي بطريق الاربعين حيث ينتهي سيرهم في دنقله وهذا زعم باطل لان حامية مؤلفة من بضعة آلاف شخص عدا عائلاتهم التي تبلغ أكثر من اثني عشر ألف نسمة كيف تستطيع الهرب في وسط صحراء لا يقطعها الراكب في أقل من أربعين يوماً وليس في هذه المسافة ماء غير أربعة مناهل فقط

وبقي محمد خالد في الابيض مع المهدي حتى فرغ من حملة الجنرال هيكس فأعادته الى دارفور وجعله حاكماً عاماً عليها وسيأتي ذكر ذلك بحد حملة الجنرال هيكس

### ذكر حملة الجنرال هيكس باشا

لما قررت الحكومة بصفة رسمية ارسال حملة الجنرال هيكس ابلغ المهدي جواسيسه ماعولات عليه الحكومة فأصدر منشوراً يحض الناس فيه على الجهاد في سبيل الله وأمر المقاتلة أن يعسكروا خارج المدينة فكانوا يقضون الليل في المعسكر ويعودون في الغداة الى المدينة وكان هو وخلفاؤه يفعلون كذلك. وأصدر منشوراً الى القضاة والنواب بتأجيل نظر ما يرفع اليهم من القضايا لي ما بعد الفراغ من الجهاد وكان ذلك قبل قدوم الحملة بنحو ستة شهور وأخذ يستعرض جيشه مرتين في الاسبوع. وصفة هذا الاستعراض أن

كل قبيلة تقف تحت رايتها وهو يمر عليهم ويقف عند كل راية يمظمن حولها  
 ويحضهم على الجهاد في سبيل الله فينتحبون بالبكاء ويمضون الانامل شوقا  
 الى الجهاد وفي الحقيقة ان الرجل كان واعظا بلينا يعرف كيف يتمكن من الإلانة  
 قلوب أولئك الجهلاء الا أن مواءمته كانت مشوبة باكاذيب وخرافات  
 لا يقبلها غير أولئك الجهلاء ويكاد يكون وعظه خلوا من الحكم الدينية ويرجع  
 إسنادها الى دعاويه الطويلة العريضة أمثال أن النبي صلى الله عليه وسلم أخبرني  
 بكيت وكيت

على أن جميع هذه الاخبار المختلفة لا يخفى اختلافها على جاهل من عامة  
 المسلمين مثال ذلك أنه كان يقول لهم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم  
 أخبرني بان اصحابي أفضل من أصحابه لانهم يحاربون النيران ويخوضون  
 صفوف القتال والرصاص بخلاف أصحابه صلى الله عليه وسلم فانهم ما حاربوا  
 غير السيوف والرمح ولم يخوضوا غير صفوفها ولا يخفى ما في ذلك من الكذب  
 عمدا على الله ورسوله

وأدهى من ذلك كله دعواه أن فضله كفضل رسول الله صلى الله عليه وسلم  
 لا ينقص عنه شيئا وأن خليفته عبد الله التيمي أفضل من ابراهيم الخليل صلوات الله  
 وسلامه عليه والخليفة على بن حلو أفضل من موسى كليم الرحمن عليه السلام  
 والخليفة محمد شريف أفضل من عيسى روح الله وكلمته عليه السلام

ودخل عليه مرة شاعر ينظم اشعارا باللغة العامية يدعى ابن التويم وكان يتغالى  
 في مدح المهدي حتى افتي كثير من العلماء بكفره واسروا فتواهم حيث أيقنوا أنهم  
 ان اظهروها حكم عليهم بالكفر وقتلوا شر قتلة وقال للمهدي اطلب منك  
 اعطائي مقاما فقال له اعطيتك مقام حسان بن ثابت رضي الله عنه فخفقته

العبرة وبكى وقال ياسيدي إن حسان كان شاعرا مثلي ولكنه كان جباناً لا يقاتل مع مولاه وأنا شجاع اخترق صفوف القتال وأنا قائد عشيرتي فكيف أرضي بمقام حسان فقال له المهدي قد اضفنا لك مقام خالد بن الوليد رضي الله عنه على مقام حسان فانت اذن حائز للمقامين فاستبشر وقبل يد المهدي. ومنح أحد الموالى مقام زيد بن حارثة وسمى نساءً بالمهات المؤمنين وسيأتي بيان ذلك في غير هذا الموضوع

ومن هاته الاكاذيب انه قال ان النبي صلى الله عليه وسلم أخبره بان حملة الجنرال هيكس مخذولة وان ارواح كل جنودها تحت مصلاه وانه اذا شاء قبض على تلك الارواح فيموت الجند جميعه قبل ان يغادر الخرطوم وانه اختار ان يتركها حتى تقدم عليه ليحرز أصحابه ثواب المجاهدين في سبيل الله ويفوز من أراد الله به خيراً بالشهادة

وكان أولئك الجهلاء يتلقون هذه الاكاذيب بالارتياح والقبول ولا يجسر أحد على اظهار الشك فيها لان عقابه القتل فورا

وأرسل المهدي قائداً من قواده اسمه الحاج محمد أبو قرجه وعمر بن الياس أم برير ومعهما أربعون الف مقاتل من الجمليين والداقلة وأمرهم ان يمسكروا في مكان يدعى (البساطه) بالقرب من أم درمان فاذا غادرت الحملة أم درمان ساروا من خلفها بمسافة لا تزيد كثيراً عن مرمى المقذوفات النارية وهنا نورد طرفاً من ترجمة الحاج محمد أبو قرجه فنقول هو أول من حاصر الخرطوم ثم صار أميراً على السودان الشرقي واصله دنقلى استوطن اسلافه قرية (القطنية) التي تبعد عن الخرطوم بنحو خمس مراحل على النيل الابيض وكان تاجراً متوسط الحال لحق بالمهدي في جبل قدير وصار قائداً من

قواد فرقة الخليفة شريف وكان من احزم امراء المهدي واعقلهم تزوج ابنت  
حامد شقيق المهدي وكان الامراء يرمونه بالانفماس في الملاذ والمكوف على  
الشهوات لانه كان لا يجاريهم في التغالى في الظهور بالزهد والنقشف كما عليه  
المهدي وخلفاؤه وقواده وجميع المقربين منه

وابتدأت الحملة سيرها من أم درمان براً وبحراً حتى بلغت (الدويم)  
وهي قرية على ضفة النيل الابيض تبعد عن الخرطوم بنحو عشر مراحل وهناك  
اجتمعت الالوية كلها وأخذت في الالهبة للمسير في الصحراء الى الابيض وكان  
ذلك في شهر ذي الحجة سنة ١٣٠٠ هجرية

وأكره علاء الدين باشا نحو ثلاثين رجلاً من التجار والموظفين المملوكيين  
على مرافقته واناب عنه في ادارة شؤون الحكممدارية وكيلها حسين  
باشا سرى

ورافقه ديلان أصلهما من قبيلة الجمع قدما الخرطوم بايماز من المهدي  
وصارا دليلين لها ليسلكا بها الطريق المعطشة المملوءة بالغابات

وغادرت الحملة الدويم في أواخر شهر ذي الحجة وكان عدد مقاتليها  
أربعة الوية مصرية نظامية كل لواء يتبعه اربعة آلاف مقاتل فالجملة ستة  
عشر الفا ومعها الف جندي من السواري لابسى الدروع والخود ونحوالف  
جندي سودانى وجنود أترک غير نظاميين كلهم فرسان تحت قيادة الصناجق  
عبد العزيز بك ويحيى كامل بك وخير الدين بك

ورافق الحملة مكاتبان حريان لجريدتي التيمس والدالنيوز الانكليزيين  
وكان عدد الجمال المعدة لحمل الأثقال يربو على ثلاثين الفا عدا البغال واسلحتها  
من طرزرا منجوتون واربعة مدافع كروب قطار تسعة وستة مدافع متريوز

انكليزي بست طلقات وثلاثون مدفعا من الطراز الجبلي وستة عشر ساروخا  
 حربياً أما الذخيرة الحربية فيكثيرة جداً والاقوات كافية لمؤنة ستة شهور  
 وسارت الحملة من (الدويم) الى (شاة) ومنها الى عقبه وما كادت تغادر  
 ضفة النيل حتى رأت العدو يلقها بالجلبة والصياع فاضطرت ان تسير  
 في شكل مربع يحيط بدواب الحمل وكانت لا تقدر على المبيت الا في داخل زريبة  
 من الشوك وكل جنود يتعدون الزريبة عن جلب الحشائش لعلف الدواب  
 يقعون في يد العدو وقد مات اكثر الدواب من قلة العلف ولحق الجنود تعب  
 كثير من قلة النوم لان العدو كان يلقهم بصياحه في كل ليلة مرات عديدة  
 فيتمون للاهبة لصد هجمته فيعود بغير قتال وهكذا حتى مطلع الفجر  
 ولما بلغت الحملة مهلاً اسمه (الرهد) يبعد عن الابيض مسيرة أربع  
 مراحل قام المهدي يحرّض قومه على الجهاد ويقول لهم اذا رأيتم العدو فكبروا  
 ثم قولوا ( اللهم نواصينا ونواصيهم بيدك وأنت القاتل لهم ) وقبض العدو  
 على الماني كان مهندساً في الحملة بينما كان يرسم بعض الغابات فارسله الي المهدي  
 واكد سلاطين انه هو الذي بلغه ما يقاسيه الجنود من التعب وما هم فيه من  
 الحور واعتنق هذا الالماني الاسلام وبقي أسيراً بيد المهدي حتى مات ببلاد  
 الحبشة فاراً من الاسر

وكان الخلاف مستحكماً بين الجنرال هيكس وعلاء الدين باشا حتى قيل  
 ان اكثر الجنود والضباط كانوا يظهرون لهيكل الكراهة وعدم الطاعة  
 وفي يوم الجمعة مستهل محرم سنة ١٣٠١ هجرية وصلت الحملة الى (شيكان)  
 وكان بها غدير مملوء بماء المطر وفي اليوم التالي زحف المهدي وعسكر في  
 (البركة) على غدير ماء كان يخشى ان تسبقه الحملة اليه وكان عدد مقاتله المشاة

نحو خمسمائة الف مسلحين بالحراب والسيوف ونحو ستين الف فارس من  
المسلحين بالبنادق وأصلهم من جنود الحكومة السود الذين غنمهم منها  
وكان يقودهم حمدان أبو غنجه

وفي صبيحة الاحد ثالث محرم هجم حمدان ابو غنجه بالفرسان على ركن  
من أركان الزرية فوقف له الجنود وقفه الابطال فرجع بخسارة وقتل في  
هذه الهجمة الميرالاي رجب صدبق بك وجورجي بك طيبب الحملة وغم  
العدو مدفعين من طرز متر ليوز ونحو عشرين جملاً وبالرغم عما كان فيه  
الجند من المتاعب تمكنوا من دحر العدو واعادة النظام وأصيب عبد  
الله بن النور من اكبر قواد المهدي برصاصة في نخذه الايمن وقتل محمد  
فوزي كاتب المهدي وأصله رقيق ربه الحكومة في مدرستها حتي صار  
تلغرافياً وأخيراً طرد من خدمة الحكومة لاسباب قانونية ثم لحق بالمهدي  
وقتل نحو الفين من مقاتلة العدو

وفي ذلك اليوم أي يوم الاحد فر جندي اسود وأبلغ المهدي ان الحملة  
قعدت الماء منذ أمس وان غدیر (شيكان) نفذ ماؤه ولم يبق فيه غير الوحل  
وان الجنود يأكلون الطين والاو حال من شدة الظمأ وقد تمردوا على  
ضباطهم وسقطت هيبة النظام من قلوبهم حتي أن الضابط اذا أمر الجنود  
بشيء لا يجاوبونه بغير الضرب وقد مضى عليهم اكثر من أربع وعشرين ساعة  
لم يذوقوا فيها طعم الماء وفي صباح الغد أي الاثنين رابع محرم ربما زحفوا  
على الابيض لانهم علموا بوجودكم في البركة وخلو المدينة من المدافعين  
فلما سمع المهدي هذه الانباء جمع خلتاءه وقواده والتي عليهم خطبه قال  
فيها ان النبي صلى الله عليه وسلم أخبره بهلاك الحملة في صبيحة الغد لو لم

تقدموا نحوها

وفي صباح يوم الاثنين الرابع من محرم صلي المهدي بغلس وقسم جنده على ثلاث فرق وأمرهم بالهجوم على الحملة التي كانت غادرت شيكان سائرة إلى الأبيض بنحو ميل وكانت تسير بغير انتظام بسبب ما يقاسيه رجالها من الظمأ فهاجم عليها العدو في غضون السير فلم تستطع المقاومة فانقض عليها وذبح كل الجنود ولم ينج منهم الا مائة وعشرون جنديا مصريا وضابطان من رتبة ملازم اسم أحدهما محمد حلمي والآخر محمد عزمي وأخذ الدراويش يجردون القتلى من ملابسهم ويطلقون النيران في أجسامهم مدعين ان النار انما تأكل أجسامهم اظهاراً لكفرهم وكرامة من كرامات المهدي وزعم المهدي ان احراق النار علامة على ان الملائكة هم الذين قتلوهم لانهم حاربوا معه في هذه الواقعة كما حاربوا مع النبي صلي الله عليه وسلم في بدر. وقتل علاء الدين باشا والجنرال هيكس وحسين باشا مظفر ونجا تاجر من الأبيض اسمه عبد الرحمن بان النقا وهو ابن الحاج بان النقا الذي تقدم لنا ذكره مع تجار الأبيض وكان المهدي أوصى بعدم قتله لانه كان مسجوناً مع الحملة حيث ثبتت خيانتة وانه كان عيناً للمهدي عليها

وفرق المهدي الناجين من رجال الحملة عبيدا للامراء واكد عليهم باستخدامهم في خدمة خيولهم وأقام ستة أيام في البركة ريثما أتم بيت المال جمع الغنائم والاسلحة وقفل راجعاً إلى الأبيض

هذه تفاصيل مهلكة حملة الجنرال هيكس التي لا يخفى ما خامر الناس من الحزن والذهول لما اتصلت بهم أنباءها في الخرطوم ومصر وقد كان عبد القادر باشا يرى أن لا لزوم لارسال هاته الحملة بمد ان سقطت

الايض في قبضة المهدي وان خير طريقة ليس تستخدم فيها هذا الجيش هو اقامة معسكرات منيعة على ضفة النيل الايض عند حدود كردفان لمنع تقدم المهدي على الخرطوم من جهة ومن جهة أخرى تناوش حدوده لتضطره الى مهاجمتها اذ لا شك انه يعود مدحوراً منها وقد أدرك القاريء انه كان لا يستطيع الغلبة على حاميات الحكومة بغير الحصار وقد الاقوات أو الماء كما حصل في سقوط الايض ومهلك هاته الحملة التعيسة وبديهي ان المهدي كان لا يستطيع الغلبة عليها مادامت محصنة على ضفة النيل وذخيرتها وميرتها تصل اليها من الخرطوم على طريق النيل

وبهذه الطريقة ينجو بقية السودان من الوقوع تحت براثن المهدي ويصبح من المستحيل عليه لاستيلاء على الخرطوم ونشر نفوذه في السودان كله على ان حصر المهدي في اقليم كردفان بضع سنين كان ذا نتيجة مرضية لجانب الحكومة لو لم ترسل الجنرال هيكس لان المهدي جمع حوله من المقاتلة مثل العدد الذي ذكرناه ولا بد له من نفقات تقوم بجاجات هذه النفوس ومن أين يقوى اقليم كردفان على القيام بهذه الاشياء وقد تناقص محصول الزراعة بسبب ان اكثر المزارعين صاروا جنداً وهجر المزارع وسكنوا الايض مع المهدي وكانت تجارة الصمغ معين ثروة كبيرة لهذا الاقليم وقد أبطلها المهدي

وعليه لا يلبث المهدي اذا منع من التقدم الى الخرطوم ان يضطر الى وضع ضرائب فادحة على الاهالي لتقوم بنفقاته وحاميته ولا ريب ان تلك الضرائب تستنفد كل ثروة كردفان في عام واحد وفي الثاني تكون مجاعة يعجز معها من تقديم الاقوات للذين جاؤا معه من القبائل المستوطنة في



جبال فدير وفي أطراف دارفور ولا بد أن أكبر القواد يمدون أيديهم  
وينهبون ما بأيدي قبائل كوردفان فتقع النفرة بينهما ولا يخفي أن المهدي كان  
يقسم كل ما غنمه لاستمالة الناس وليوهمهم أنه منزّه عن ادخار المال وأن  
أمنيته هي الدار الآخرة

وبناءً على هذه الأسباب يرى المتأمل أن الحكومة أخطأت الصواب  
بارسال هذه الحملة بل قدمت السودان لقمة دسمة للمهدي ثم هي أصرت على خطئها  
ولم تشأ انقاذ السودان بعد هذه الحملة وذلك أنها صمتت آذانها عن ارسال  
جنود مع غوردون باشا حيث كان في الامكان إعادة حفظ الحالة التي كان عليها  
المهدي قبل ارسال الحملة ولكن ارادة الله غالبية على كل شيء لا اراد لقضائه  
ولا حائل دون مشيئته

### ذكر ترك السودان

فقدت الحكومة كل جلد لما اتصل بها نبأ فشل حملة الجنرال هيكس  
وكان أول عمل آتته ان كتبت الى الحكمديرية تأمرها باجلاء الحاميات من  
الدويم والكوة وفشوده وسنار لتعزب حامية الخرطوم وأمرت بترحيل  
المصريين على نفقاتها تدريجاً للاجلاء عن الخرطوم فأخلت مراكز الدويم والكوة  
وفشوده من حامياتها وكان ذلك بمثابة أمر صريح من الحكومة لموم سكان  
السودان بالانضواء الى راية المهدي والخضوع لجبروته

وكان دعاة المهدي حوالى الخرطوم وسنار لا يجرأون على الظهور بالدعوة  
خوفاً من الحكومة فكتب لهم المهدي يبشرهم بما أتيح له من الفوز ويأمرهم  
بإظهار الدعوة ومناوأة الحكومة وسيأتى تفصيل ذلك على حدة

ووثب احمد بن المكاشفي الذي تقدم لنا ذكره وحشد نحو سبعين ألف مقاتل حاصر بهم سنار ومنع الحامية من انفاذ أمر اخلائها وسيأتي ذكر ذلك وزاد الطين بلة صدور أمر عال بترك السودان وأخذ أهل الخرطوم ينزحون الى بربر وأحصى من فيها من المصريين فبلغوا أكثر من مائتي ألف نسمة يتعذرا جلاؤهم عن الخرطوم في أقل من سنتين وعادت القلاقل ودخل السكان أجمعون في طاعة المهدي فكانوا يجتمعون خارج القرى والمدن ويضربون الطبول ويخلعون ملابسهم ويستبدلونها بالجلب المرقعة التي هي شعار المهدي ويرسلون منهم وفداً الى المهدي لتقديم الطاعة والخضوع ولم يعد للحكومة نفوذ وسقطت هيبتها وكان المهدي لا يقطع بان الحكومة عاجزة عن ارسال جنود تمنع تقدمه على الخرطوم ولذلك عاد الى الأبيض وصوب عزمته لاسقاط دارفور كما سيأتي ذكر ذلك في مكانه

ذكر فرار وكيل مديرية الخرطوم وحماقه بالمهدي  
أشرنا الى أعمال محمد علاء الدين باشا حيث أباح وظائف الحكومة الى تجار السودانيين فجعلوا يتلفون الى المهدي بايقافه على الاسرار التي تدبرها الحكومة وكان من بين أولئك التجار رجل اسمه محمد الجزولي توصل لمنصب وكالة المديرية مع عدم الاهلية ثم أرسلته الحكومة لجباية الضريبة من جهة المسلمية التي هي وطنه الاصيل فاجتمع لديه أكثر من اثني عشر الف جنيه ثم اتصل به صدور أمر الحكومة بترك السودان فقبض على من معه من موظفي الحكومة وشخص الى المهدي بالأبيض ودفع له المال وأطلعه على ماعولت عليه الحكومة من ترك السودان فكاد يطير من الفرح وأطلق مائة مدفع

وادعي ان النبي صلى الله عليه وسلم بشره بالاستيلاء على الخرطوم وأن اصحابه  
 سيفنمون اموالهم كما غنم اصحابه صلى الله عليه وسلم أموال الفرس والروم  
 وكان لمحمد الجزولي عم يدعى حمد التلب مات مع حملة الجنرال هيكس  
 وكانت له أموال فاستولى عليها ابن أخيه هذا وادعها تاجراً ذهب بها الى مصر  
 ولما ولي التعايشي قبض على محمد الجزولي وشدد عليه في اداء مال عمه  
 لانه لبيت المال وتقى معذباً في السجن عدة سنوات حتى مرض به ومات  
 بعد اخراجه منه بايام يسيرة ولم ينتفع بنوه بشيء مما اغتاله من مال عمه بل  
 ذهب كل ما كان يملكه لبيت المال واغتال التاجر ما اودعه من المال وهكذا  
 مغيبة الظلم ومصير الظلمة

### ذكر سقوط دارفور

ذكرنا ما كان من أمر سلاطين باشا وانفاذه محمد خالد زقل للمهدي  
 ولما هلكت حملة الجنرال هيكس رفع أهالي دارفور رؤسهم الى الثورة  
 وجأهروا بخلع طاعة الحكومة واجتمع جيش كبير من الثوار وحاصروا  
 سلاطين باشا في داره فشاورة ضباط الخامية وسائر الموظفين الذين  
 رأوا عدم قدرتهم على الدفاع وانهم اذا دافعوا لا يمكن ايصال نجدة اليهم بعد  
 هلاك حملة الجنرال هيكس وتقلص نفوذ الحكومة من كوردفان فكتب  
 سلاطين باشا كتابا الى المهدي عرض فيه التسليم على شرط ان يكون عمال  
 الحكومة آمنين على ارواحهم وأموالهم فاستدعى المهدي محمد خالد زقل  
 وكتب له منشوراً بالولاية على دارفور من قبله وأوصاه باستتفاء أموال  
 عمال الحكومة عدا سلاطين باشا نقد أوصاه باكرامه ومراعاته وأن لا يمس

بسوء وانتدب عمر بن الياس أم برير ومعه نحو عشرة آلاف مقاتل لمرافقة  
محمد خالد وعززده بجيش يزيد على أربعين ألفاً وخرج لوداعهم مسيرة ستة  
أميال ثم عاد الى الأبيض

ولما وصل محمد خالد الى ظاهر داره خرج للقائه سلاطين باشا ومعه  
الضباط والمساكرو ودخلوا المدينة وأبرز محمد خالد كتاباً من المهدي الى سلاطين  
يعلمه فيه بأنه عين أميراً على دارفور وأكد عليه في طاعته وبعد تلاوة  
الكتاب شرع محمد خالد في استلام الجبه خانات والاسلحة وما في خزينة  
الحكومة وبعد الفراغ قبض على عموم الضباط والموظفين وصادر أموالهم  
وشرع في تعذيبهم ليدلوا على ما خبأوه من أموالهم وقتل كثيرين منهم بالتمذيب  
وكان من بين الضباط رجل اسمه حماده افندي رتبته صاغقول أغاسي  
وكان ذا ثروة تبلغ الخمسة آلاف جنيه غادر القاهرة بنحو ألفين منها وحصل  
على الباقي من الاقتصاد لانه كان مشهوراً بالبخل والحرص فأمسكه الدراويش  
وشرعوا في تعذيبه عدة أيام فكان يتحمل التعذيب بثبات غريب ويشتم  
معذبيه ويقول لهم لماذا تضربونني فيقولون له لتدل على مالك فيقول اذا كان  
مالي فأنى دخل لسك في اخفائه أو اظهاره فيقولون انه مال المهدي فيقول لهم  
هل مات أبوه وتركه عندي أم كيف تقولون ماله فيشتدون عليه بالضرب  
والتعذيب ولسانه لا يسكت عن سب المهدي عليه وأخيراً توفي من شدة  
التعذيب ولم تسمح نفسه أن يدلهم على ماله وقال لهم لو كان مهديا لعرف  
المسكان المحبوء فيه المال

ولما فرغ محمد خالد من مصادرة أموال المصريين بعث بالاموال الى  
المهدي وخلفائه وأرسل ألوفا من نساء المصريين كمحظيات للمهدي وخلفائه

واستكتب سلاطين كتابا الى السيد بك جمعه مدير الفاشر يأمره بالتسليم  
 للمهدي وجمع محمد خالد أموالا كثيرة وبني دارا لسكناه وتزوج بأخت سلطان  
 دارفور وابتسم له ثغر السعادة وأخذ في الاهبة والاستعداد للزحف على الفاشر  
 وروى عن بعضهم ان سلاطين باشا لما أنفذ محمد خالد لم يشأ ابلاغ  
 الضباط بما كان بينهما من الاتفاق وما دبراه لدفع شرور المهدي عن دارفور  
 ريثما ينظران عاقبة حملة الجنرال هيكس فثار الجنود وهجموا على دارمحمد خالد  
 ونهبوها حتى ألقوا العار ببنايه وسجنوا كثيرآ من ذوي قرابته والمنتمين  
 اليه وما زالوا مسجونين حتى أطلقهم سلاطين باشا يوم خروجه للقاء محمد خالد  
 ونقل لنا واحد من أولئك المسجونين ان محمد خالد لم يعمد الي نهب أموال  
 الضباط عملا بأوامر المهدي كما أشيع بل لينتقم منهم على فعلهم بال بيته  
 ونهبهم داره

على ان هذه الرواية قريبة من الصحة وقد سألتنا لماذا لم يشرك معهم  
 سلاطين باشا فقال لاني كنت عالما بانه غير راض عن فعلتهم وانهم كانوا قد  
 هددوه ظنا منهم انه أرسل محمد خالد ليسلم البلاد الى المهدي في حين أن إرساله  
 كان خدعة ليؤخر تقدم المهدي الى دارفور ريثما ينظرون ما يصير بينه وبين  
 حملة الجنرال هيكس وعلى كل حال كان وقوع دارفور في قبضة المهدي  
 ضربة قاضية

ونقل لنا كثير من الضباط ان سلاطين باشا لما رأي ما أتاه محمد خالد  
 مع المصريين من العذاب الاليم كادت نفسه تزهق وفقد صوابه وذهب الى  
 دار محمد خالد وقال له على رؤوس الاشهاد لو كنت اعلم انكم تعاملون  
 ضباطي بهذه المعاملة لاصليتكم حربا يشيب لها الطفل الرضيع ولسمحت

بموت هؤلاء الرجال في ساحة الحرب وانا على يقين بان الواحد منهم لا يموت  
الا بعد ان يقتل عشرة منكم فاخذ محمد يلاطفه ويلين له الكلام وأوصي  
بتخفيف العذاب عن بعض الضباط وأطلق البعض . وكان بعض الحاضرين  
يتوقع شرا يصيب سلاطين باشا على أثر تهديده لمحمد خالد نخاب ظنهم ولم  
يلحظه مكروه

### ذكر سقوط مديرية كيكاييه

كيكاييه قاعدة الاقليم الشمالى من الفاشر وقد تقدم لنا ذكرها وكان  
حاكمها ضابطا سودانيا يدعى آدم أفندي عامر وكان رفيقاً ثم انتظم في سلك  
الجنديّة النظامية حتى بلغ رتبة البكباشي

ولما استولى محمد خالد على داره كتب آدم أفندي الى سلاطين باشا  
بصفته مديرا عاما يستشيرهم عما يفعله فوق الكتاب في يد محمد خالد فامر  
سلاطين باشا ان يكتب له كتابا يضمنه انه مصدق بمهدية المهدي وانه لا طاعة  
له بمقاومته وينصح له ان يفعل مثله حذراً من ان يخسر الدنيا والآخرة فاطاع  
سلاطين باشا وكتب كما شاء محمد خالد

ولما وصل الكتاب انى آدم أفندي اعلن دخوله في طاعة المهدي وخلع  
طاعة الحكومة وأرسل وفدا الى المهدي ليبلغوه الامر فتقبل الوفد  
بالخفاوة وكتب منشورا انى فيه على آدم أفندي وجعله أميرا من قبله على  
الاقليم وقائدا على الجنود وأرسل له راية عليها شعاره وأمر ان يزحف بمن  
معه من المقاتلة والاسلحة والمدافع وينضموا الى محمد خالد الذي كان وقتئذ  
على وشك الزحف على الفاشر

وكتب المهدي أماناً لعامر أفندي ومن معه من الضباط والموظفين  
واكد ان لا يمسهم أحد بسوء في أموالهم واعراضهم وقد كان ذلك ولم يصيبهم  
ما أصاب غيرهم من الظلم والحيف ومصادرة الاموال وهتك الاعراض  
وما ذاك الا لانهم سودانيون غير مصريين

## ذكر سقوط الفاشر

مدينة الفاشر هي عاصمة دارفور منذ دخولها في حوزة المصريين وكانت  
مقر السلاطين دارفور  
وقد ذكرنا ان سلاطين باشا كان مقياً بها ولكنه غادرها على اثر وفاة  
مدير (داره) الايطالي وكان السيد بك جمعه مديراً عليها وقومنا حاميتها  
وهو ضابط مصري

ولما استولى محمد خالد علي (داره) خاطب مدير الفاشر ودعاه للتسليم  
والدخول في طاعة المهدي على الشرط الذي قبلته حامية داره فاجابه بالرضا  
والقبول ولما اتصل به نبأ مافعله محمد خالد بحامية داره وما عامل به الضباط  
من النهب والسلب وأنواع التعذيب صمم على نكث العهد والدفاع حتى آخر  
لحظة من الحياة فتقدم نحوه بجيش جرار ومعه مدافع وسواريح وجميع الاسلحة  
التي انفذها معه المهدي والتي غنمها من حاميات دارفور وهجم على الفاشر  
ليأخذها عنوةً فقابلته ببسالة عظيمة والزمته التقهقر بخسار جمّة

وكانت الآبار التي تستقي منها الحامية خارج الاستحكامات ولا آبار  
بداخله فهجم العدول على تلك الآبار وردمها وأصبحت الحامية بلا ماء تقاسي  
الظماً ثلاثة ايام فاضطرت الي التسليم ودخل محمد خالد المدينة وضاعف عذاب

الحامية ونهب أموال رجالها وسبي نساءهم وواق منها قطعاناً كالغنم بث بها  
الى المهدي وخلفائه

وقبض على السيد بك جمعه وكان محمد خالد ينوي قتله ولكنه عدل  
عن ذلك ونفاه بجهة (كوى) وبقي منفياً حتى غادر محمد خالد دارفور فأطلقه

### ذكر مسألة الحب خانة بدارفور

كان بحامية (داره) ضابط صغير اسمه محمد سليمان وهو من الارقاء الذين  
ترقوا تحت السلاح وبهد سقوط الفاشر جعله محمد خالد قائداً على الجنود  
السود الذين غنمهم من الحكومة وجعل على حراسة الجب خانات ضابطا  
مصريا اسمه محمد أفندي اللقاني فاقره محمد خالد في وظيفته ومعه عشرة من صف  
ضباط مصريون يشتغلون في الجب خانات بمثل تعبئة الخرطوش وغيرها  
وكان محمد سليمان طامحا لوظيفة محمد اللقاني ليكون ذا وظيفتين فاعزز الى  
رجل من اتبائه أن يتدف في الجب خانة قبسا من النار في الوقت الذي يكون  
العمال مشغولين فيه باشغالهم ففعل والتب البارود وتقاذفت القنابل واحترق  
محمد اللقاني وخمسة من عماله ونجا خمسة منهم كانوا قد تغيبوا عن الجب خانة  
في قضاء حوائج لهم فدخل محمد سليمان على محمد خالد وقال له المأمضك  
النصح باجتنب اللقاني وسائر قومه المصريين فانهم احرقوا الجب خانة من  
تلقاء انفسهم ليموتوا ويتلفوها اضرارا بنا وان الخمسة الذين كانوا خارج الجب  
خانة هم الذين رموها بقبس النار فقبض عليهم وضربت اعناقهم لانهم كفار  
مصريون رحمة الله عليهم أجمعين



## ذكر قتل عمر اغا ترحوه

ذكرنا أن المهدي بعث عمر بن الياس أم برير مع محمد خالد الى دارفور  
وقد تقدم لنا الاشارة الى المنكرات التي كان يأتيها ابوه الياس ام برير والى  
ما كان منه من الانحياز لجانب المهدي وشدة بغضه للحكومة

وكان في دارفور صنيجق اسمه عمر اغا ترحوه مشهور بالشجاعة والاقدام  
وله اليد البيضاء في الحروب التي رفعت أوزارها بين الحكومة والمسمي هارون  
الرشيد المطالب بعرش دارفور وانه هو الذي قتل وزيره سعد الذي جاء قتله  
سبب فشل مولاه ولذلك قصة لاباس من ايرادها هنا

وهي أن القائمقام على بك شريف شهيد كوردفان الذي تقدم لنا ذكر  
قتله مع محمد سعيد باشا كان يقود قوة لمطاردة هارون ووزيره فقر آمنه واوغلا  
في الغابات فتأثرهما حتى لحق التعب فرسانه فأحجموا عن المطاردة الا عمر  
أغا ترحوه فانه تابع المطاردة بنفسه بالرغم عما لحقه من التعب وفقدان الرفيق  
حتى أدرك الوزير وقتله وحز رأسه فنازعه خشم الموس (أغا) وقتها (باشا)  
وادعى انه الذي قتله وبعد التحقيق ظهر فساد دعواه فكافأت الحكومة  
عمر اغا ترحوه وجعلته قائداً على أربع مائة جندي من الباشبوزق

ولما استولى محمد خالد على (داره) أكرمه وجعله قائداً من قواده وبعثه  
مع عمر بن الياس لمصادرة أموال قبيلة من الاعراب أظهرت عدم الطاعة  
للمهدوية فجعل عمر بن الياس همه في احراز المال وانفاذه الي آبيه في الابيض  
ويقال انه أنفذ أكثر من ثلثمائة ألف ريال نخاف أن يكون عمر اغا ترحوه  
عيناً عليه من قبل محمد خالد فرماه عنده بأنه يدبر مكيدة ضده وانه ينوي

الخروج عليه فقبض عليه وعلى الملازم الاول ابراهيم زيان ويعتوب رمزي  
باشكاتب المجلس وكانا صديقين حميمين له وضربت أعناقهم وقيل عن الاخيرين  
انهما شريكاه في تدبير المكيدة وانهما يجمعان له الاسلحة والذخيرة رحم  
الله الجميع

### ذكر قدوم سلاطين باشا على المهدي

لما تم لمحمد خالد الاستيلاء على دارفور كلها أرسل خطاباً الي المهدي  
ببشره بما أتيج له من النصر وقدم له أشياء كثيرة من الغنائم وأرسل له  
خيولاً عربية تعد بالآلاف فأطلق مائة مدفع ومدفعا اظهاراً للسرور وكتب  
له كتاباً بالتفويض العام في كل ما يراه لازماً لتلك البلاد بغير قيد ولا شرط  
وأذن له بالمبايعة وأمره بارسال سلاطين باشا فأدركه وقد غادر الأبيض ونزل  
( الرهد ) كما سيأتي ذكر ذلك في مكانه فخرج للقاءه جمع من الناس وكان  
ممتطياً فرساً ومتابطاً كنانة ملووءة بالنبل

ولعل هذا الفرس هو الذي أخبر سلاطين باشا ان الشيخ مادبو أحد  
شيوخ العربان أهده له فاعتسذر عن قبوله بأن حالته الحاضرة تمنعه من  
ركوب الخيل فلاطفه مادبو وقال له العبارة التي نقلها بحر وفها واتخذها مثلاً وهي باللغة  
العامية (إلي عمره طويل يشوف كثير) وقبل منه الفرس ورد له طبولاً  
حربية كان غنمها منه في احدي وقائمة وقال سلاطين باشا ان هاته الطبول  
عندهم بمثابة رايات الحرب عند الاوروبيين

ولما مثل سلاطين باشا بين يدي المهدي قبل يده وباعه البيعة التي

تقدم لنا ذكرها وسماه عبدالقادر سلاطين وأمره بلزوم باب التعايشي والاثمار  
بأمره وسيأتي ذكر بقية أخباره

والفرس التي أهداها له مادبو تسمى (صقر الدجاج) أي أنها سريعة  
في اقتفاء أثر النعام وادراك الصيد لان صاحبها كان يقتنص بها

### ذكر قتل آدم ام دبالومك تقلي

ذكرنا فيما تقدم بعض الايضاح عن جبال تقلي وهنا نذكر ان المهدي  
لما كان فاراً من وجه الحكومة الى جبل قدير تقابل مع آدم ام دبالومك جبال  
تقلي فأكرم وفادته وأضافه خمسة وعشرين يوماً وأهدي اليه شيئاً كثيراً من  
التبر والماشية وأمدّه بخمسة مائة فارس من قومه أوصلوه الى جبل قدير ووقفوا  
راجعين الى جبال تقلي

ولما ظفر المهدي بحملة الجنرال هيكس رغب الى الملك آدم أن يزوره  
في الابيض فأجاب الدعوة وقدم في عدد كبير من قومه ومعه مائتا فارس  
مسرلين بالدروع واخود وخيولهم مغطاة بمخيشات من القطن فخرج المهدي  
للقائه بجميع جيشه وأطلق له مائة مدفع ترحيباً بمقدمه واستعرض له جيشه  
وأطلقت نيران البنادق أيضاً ونصبت له السرادقات ونحرت النوق لطعامهم  
ومكثوا أكثر من أربعة أسابيع وبلغت درجة اكرام المهدي له انه كان يحمل  
قصة طعامه بنفسه الى أن يضمها بين يديه حتى حسده التعايشي الذي كان  
يخافه على مركزه من أي انسان يحس باقبال المهدي عليه

وكان الملك آدم استأذن المهدي في العودة الى بلاده فاعتزم التعايشي هذه

الفرصة وأشار على المهدي أن لا يأذن له في العودة ويسأله مرافقته الى الخرطوم  
للجهاد معه فانكر عليه المهدي هذا الرأي فاقنعه بأنه لا يرغب في هذا الامر  
وانما يقصد اختباره ويتأكد من طاعته للمهدي ففعل المهدي فلم يظهر من  
المك آدم غير الاستحسان والطاعة ثم عاد التعايشي لانفاذ بقية مقاصده  
فنقل الى المهدي ان المك آدم ممتعض منه وانه ساخط من فعلته وقد أظهر سخطه  
لكثير من الامراء حيث قال لهم ان مهديكم كذاب ولا وعد له وقد غرر بي  
وابعدني من بلادي ثم انه يريد مرافقتي له حتى يفرغ من الخرطوم وقد نكث  
العهد الذي أعطانيه حيث وعدني بالأوبة بعد ايام يسيرة وما زال التعايشي  
يسعي به حتى أصدر المهدي منشوراً زعم فيه ان النبي صلى الله عليه وسلم  
أمره بقتل المك آدم أم دبالو وقاضيه الفقيه أحمد لانهما غير مصدقين بدعوته  
فضربت اعناقهما وسط الجيش الذي استقبلا فيه واستعرضاه والي الله  
تصير الامور

وهنا نورد صورة كتاب أصدره المهدي نقلاً عن الجزء الثاني من كتاب  
منشورات المهدي المطبوع بعد سقوط الخرطوم صحيفة ٣٦ ومنه يفهم ان  
جبال تقلى دانت بالطاعة للمهدي وانه يعتبر ملكها حكام من قبله وهو  
« بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الوالي الكريم والصلاة على سيدنا  
محمد وآله مع التسليم وبعد فمن عبد ربه محمد المهدي بن عبد الله الي أهل جبل  
السكرودو والصبي والمندل والتم نل وكافة أهل الجبال المؤمنين بالله ورسوله  
وتابعين لامرنا فقد أمرنا عليكم عمر بن المك آدم فقوموا كلكم بحروبكم  
معه الى قتال الدلج الترك والنصاري ولا تتأخروا عن القيام مع الملك عمر

فن خالفه فقد خالفنا ولا عهد له عندنا ولا يلومن الانفسه والسلام التاريخ  
١٢ شوال سنة ١٢٩٩ »

## ذكر قتل المنه

ذكرنا ما كان من أمر المنه وقيامه بدعوة المهدي في كوردفان واستيلائه  
على الطيارة وقد بنا ما أتاه من الفظائع والمنكرات  
وكان المهدي يعده بتبوأ منصب خلافة عثمان بن عفان رضى الله عنه  
ولما زحف المهدي على الأبيض اجتمع عليه «المنه» وزاد في اكرامه وكان يروح  
ويغدو الي المهدي وحوله نحو عشرين من خدامه شاهري السيوف حوله  
خلافا لما كانت عليه عادة المهدي من عدم السماح لغير الخلفاء ان يحيط بهم  
أناس كخراس اظهار ألعو مراتهم  
وكان المنه يضابق المهدي ويستنجزه ما وعده به من منصب الخلافة  
فبعده من يوم لآخر لانه كان ينوى خدعة السيد محمد المهدي بن السنوسي  
المشهور بهذا المنصب كما سيأتي ذكر ذلك على حدة  
وقد اغتر المنه بوعود المهدي وأخذ يذيع بين الناس انه رابع الخلفاء  
وكان شديد البغض للخليفة عبد الله التعايشي ويكثر من الوشاية به عند  
المهدي الذي كان لا يتبدل ثقته في التعايشي ولسكنه كان يدارى المنه ويخادعه  
لماله من المنزلة عند قبيلتي (الجمع والجوامع) اللتين تسكنان شرق اقليم كوردفان  
الذي هو طريق حملة الجنرال هيكس حيث كان المهدي يخشي انتقاض هاتين  
القبيلتين عليه وانضمامهما الى الحملة

ولما فرغ المهدي من أمر هذه الحملة لم يعد قادراً على احتمال ما وقر في نفسه من المنه فاشخصه الى جهة الطيارة وكتب له بالامارة المطلقة عليها فغادر الابيض وخلق بقية له خارج المدينة وبعد أسبوع انتدب التعايشي التي مقاتل من حملة البنادق والقي من الفرسان تحت قيادة حمدان ابي عنجه وسلمه كتاباً من المهدي يأمره فيه بمغادرة الابيض بمن معه من المقاتلة ولا يشعر أحداً بوجهة سيره حتى يدرك المنه ويقبض عليه على غرة ويضرب عنقه ويأتبه برأسه ويصادر جميع أمواله فسار حمدان وبلغ القرية قبيل الفجر واحاط بها احاطة السوار بالمعصم وقبض عليه على فراش نومه وقبض على أخيه ووكيله واوثقوا كتفا وقادهم الى الطيارة وضرب اعناقهم بجانب الحصن الذي ذبح فيه المنه حامية الطيارة

ولما دنا الجلاد ليضرب عنقه رفع رأسه وقال للحاضرين « اشهدوا أنني لم أذنب ذنباً غير قتلي للمصريين الذين كانوا بهذا الحصن وقد اغتررت بوعود الظالم المهدي وأعتته فانتقم الله مني وسلطه على ومن أعان ظالماً سلط عليه » وحملت الرأس للمهدي الذي أعلن بان النبي صلى الله عليه وسلم أخبره بان المنه منافق ايمانه لا يتجاوز رفاقه وانه ادعى الخلافة كذبا وبهتاناً ولذلك قتله وأظهر التعايشي كتاباً من المنه الى المهدي يقول فيه ان النبي صلى الله عليه وسلم أخبره بانه الخليفة الرابع وانه وارث مقام ذي النورين عثمان بن عفان عليه سحائب الرضوان وانه صلى الله عليه أمره بمقاومة المهدي اذالم يرضخ لهذا القول

على أن هذا الكتاب ملفق لم يكتبه المنه بل اختلق ذريعة لتبرير عملهم وتسكين خواطر الذين ساعدوا المهدي على امتلاك البلاد واذلال العباد

## ذكر قتل التوم بن زعيم

الكبايش وعجيل زعيم الرزيقات

الكبايش اسم لقبيلة بدوية رحالة تسكن صحراء بيوضة الواقعة بين دنقلة وكوردفان وماشيتها من الابل ويشتغل رجالها بنقل سلع التجار من كوردفان الى دنقلة وبالعكس وهي قبيلة كبيرة يربو عدد نفوسها على نصف مليون نسمة وعندهم الخيول بكثرة والسيوف والخود والدروع وسائر آلات الحرب التي من هذا القبيل وزعيمها فضل الله بن سالم

ولما وصلت دعوة المهدي الى كوردفان لم يصادف القائمون بها نجاحا عند الكبايش الذين كانوا يجاهرون بولاء الحكومة والبقاء على طاعتها ولما استولى المهدي على الابيض عاصمة كوردفان قصد الانتقام منهم لانهم كانوا يوالون الاعتداء على القبائل التي خضعت لنفوذه ومن ذلك ان الكبايش اعترضوا ظمنا لقبيلة من جهينة كانت تدين بطاعة المهدي ونهبوها فكتب المهدي كتابا الى التوم وصالح ابني فضل الله زعيم الكبايش وعلي بن قریش من مشايخهم ننقله هنا بنصه كما هو مثبت في صحيفة ٢٥ من الجزء الثاني من مجموعة المنشورات وهو

« بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الوالي الكريم والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله مع التسليم وبعد فن عبد ربه محمد المهدي بن السيد عبد الله الى صالح ولد فضل الله والتوم أخيه وعلي ولد قریش انه ان كنتم منقادين لامر الله ورسوله وتابعين لامرنا في المهدي سلموا الدفع الله وولد محمد الجبيني وأهله جميع ما نهبتموه منهم من مال ورقيق ومواش ونهبوا على جميع أهاليكم

السكبايش ومن معهم ان يتركوا جميع العوائد المخالفة للكتاب والسنة  
 واركوا نهب أموال المسلمين ولا تعرضوا لأحد بعد ذلك وأقيموا الصلوة  
 في أوقاتها واخرجوا زكاة أموالكم واحضروا عندنا سرعياً بدار الهجرة فإنها  
 واجبة على كل مسلم فاذا فهمتم ما ذكر فافعلوا جميع ما أمرناكم به وارجموا  
 جماعة جهينة ما لهم كله فان سمعتم ما ذكر فعليكم امان الله ورسوله وتفوزوا  
 برضاء الله وان خالفتم أمرنا هذا فعليكم غضب الله ورسوله بمخالفتكم لامر  
 الله ولا بد من مجازاتكم وخراب دياركم والسلام التاريخ ٢٠ رجب سنة ١٢٩٩ هـ  
 ولما وصل الكتاب الى المرسل اليهم اذعنوا بالخضوع للمهدي وهم يظنون  
 له العداة وفعولوا ما أمرهم به ووفد على المهدي التوم بن فضل الله تائباً عما  
 فرط من قومه واثقاً بامان المهدي

وفي اليوم الثاني عشر من ربيع الاول سنة ١٣٠١ قبض التعاشي على  
 التوم وعجيل زعيم قبيلة الرزيقات التي ذكرناها في الكلام على دارفور وضرب  
 عنقهما فتأثر الناس لانهم لم يعلموا من سبب لذلك واجتمع الخليفة شريف  
 ابن عم المهدي وعمه عبد القادر ساتي على ومحمود عبد القادر وغيرهم من  
 ذوى قرابته ودخلوا على المهدي وسألوه هل أمر التعاشي بقتل ذينك  
 الرجلين فاجابهم سلباً وانحدرت الدموع من عينيه فقالوا له ان التعاشي  
 فعل هذه الفعلة لينفر الناس من مهديتك ويشوه سمعتك فاعزله وول  
 أحدنا مكانه وهاهو محمود عبد القادر خير كفو لهذه الخالفة فلم  
 يجهم بغير الاسترسال في البكاء وأخيراً أمرهم بالانصراف حتى يأتيه  
 النبي صلى الله عليه وسلم ويرشده الى حل هذه المشكاة وزاره  
 التعاشي فامرهم بلزوم بيته ريثما يأتيه النبي صلى الله عليه وسلم



وفي اليوم التالي خرج ومعه منشور هو الذي أوردنا نخواه عند الكلام على  
سقوط (باره) وقد اشرفنا الى ما كان من أمر هذا المنشور وانه أصدره ليقنع  
أهالي باره عن المطالبة بحقوقهم

وقد تضاربت الاقوال في أمر هذا المنشور فقربق قال ان هذا المنشور  
أصدره المهدي لاقتناع أهل باره وقال آخرون انه أصدره في هذا اليوم وعلى  
كل حال فان المهدي خرج على قومه في اليوم التالي بهذا المنشور وتلاه عليهم  
ليكفوا عن توجيه اللوم ونسبة الظلم لعبد الله التعايشي  
ويدل هذا المنشور أيضاً على انهما كانا متفقين باطناً على هذا العمل  
وهاهي صورة المنشور بالحرف الواحد نقلنا عن الجزء الاول من كتاب  
المنشورات

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

الحمد لله الوالي الكريم والصلاة على سيدنا محمد وآله مع التسليم وبعد  
من العبد المقتدر الى الله محمد المهدي بن عبد الله اعلاما منه الى كافة عباد الله  
المؤمنين بالله وبكتابه أما بعد اعلموا أيها الاحباب ان الخليفة عبد الله خليفة  
الصدوق المقلد بقلائد الصدوق والتصديق فهو خليفة الخلفاء وأمير جيش  
المهدية المشار اليه في الحضرة النبوية فذلك السيد عبد الله بن السيد محمد  
حمد الله عاقبته في الدارين فحيث علمتم ذلك يا احبابي ان الخليفة عبد الله  
هو مني وانا منه وقد أشار اليه سيد الوجود صلى الله عليه وسلم فتأدبوا  
معه كتأدبكم معي وسلموا اليه ظاهراً وباطناً كتسليمكم لي وصدقوه في قوله  
ولا تهموه في فعله بجميع ما يفعله بامر النبي صلى الله عليه وسلم أو باذن منا  
لا بمجرد اجتهاد منه ولا هو عن هوى بل هو نائب عنه في تنفيذ أمره صلى

الله عليه وسلم والقضاء بإشارته فان فعله بكم وحكمه فيكم بحسب ذلك واعلموا  
يقيناً ان قضاءه فيكم هو قضاء رسول الله صلى الله عليه وسلم كما قال الله تعالى  
« وما كان لمؤمن ولا مؤمنة اذا قضى الله ورسوله أمراً أن تكون لهم الخيرة  
من أمرهم ومن يعص الله ورسوله فقد ضلّ ضلالاً مبيناً » فمن كان في صدره  
حرج لاجل حكمه فذلك لعدم إيمانه وخروجه من الدين بسبب غفلته وذلك  
بشاهد قوله تعالى « فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم  
لا يجدوا في أنفسهم حرجاً مما قضيت ويسلموا تسليماً » ولا شك في شرك من  
استنكف عن حكم الله ورسوله سيما بقوله صلى الله عليه وسلم « ان أخوف  
ما أخاف عليكم الشرك الخفي » الخ الحديث مع انه خليفة الصديق وأول  
المصدقين في المهديّة فانظروا لمكانة الصديق عند الله ورسوله بنص القرآن  
العظيم وانظروا لمكانة من أورثه الله مكان الصديقين ووازره بالباطن بالخضر  
عليه السلام فهو مسدد مؤيد من الله ورسوله ويد من أيادي الله لنصر دينه  
بإشارة سيد الوجود صلى الله عليه وسلم وقد ورد في فضله كثير فحيث فهمتم  
ذلك فالتكلم في حقه يورث الوبال والخذلان وسلب الايمان واعلموا أن  
جميع أفعاله وأحكامه محمولة على الصواب لانه أوتي الحكمة وفصل الخطاب  
ولو كان حكمه على قتل نفس منكم أو سلب أموالكم فلا تعرضوا عليه  
فقد حكمه الله فيكم بذلك ليظهركم ويزكيكم من خبائث الدنيا لتصفي قلوبكم  
وتقبلوا الى ربكم ومن تكلم في حقه ولو بالكلام النفسى جزماً فقد خسر  
الدنيا والآخرة ذلك هو الحسران المبين ويخشي عليه من الموت على سوء  
الحاتمة والعمياء بالله لانه خليفة الصديق الذي قال الله في حقه « اذ يقول لصاحبه  
لا تحزن ان الله معنا » وقال صلى الله عليه وسلم ان أمن الناس على في الصعبة

أبو بكر وقال عليه السلام ما طلعت شمس على أحد بعد النبيين أفضل من  
أبي بكر وحيث علمتم فهو بمنزلة الآن لأن أصحابنا كاصحاب رسول الله  
صلى الله عليه وسلم وهو المذكور خليفتنا في الدين وخلافته بامر النبي صلى الله  
عليه وسلم فمن كان منكم يؤمن بالله واليوم الآخر ومصداقاً بمهديتي فليسلم  
للخليفة عبد الله ظاهراً وباطناً وإذا رأيتم منه أمراً مخالفاً في الظاهر فاحملوه  
على التنويض بعلم الله والتأويل الحسن واعتبروا يا أولى الأبصار بقصة موسى  
والخضر عليهما السلام حكاهما الله في كتابه العزيز حكيم داود وسليمان عليهما  
الصلاة والسلام لتسلموا من الشكوك والاهوام وإنما أنذرتكم بهذا رحمة  
لكم وشفقة عليكم وليبلغ الشاهد منكم الغائب لئلا تسبوه وتنسبوا إليه  
الظلم والجور فهلكوا فاذنروا عن أذية أولياء الله فإنها أذية الله ورسوله وقد  
لعن الله ذلك في كتابه فقال «ان الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله في الدنيا  
والآخرة» كما أن من آذى لي ولياً فقد آذنته بالحرب فإن الله غيور على أوليائه  
فقد علمتم أنه ورد من نقض الكعبة حجراً حجراً ثم حرقها بالنار أهون عند  
الله من أن يؤذى ولياً من أوليائه وإن الخليفة هو قادة المسلمين وخليفتنا النائب  
عنا في جميع أمور الدين وإياكم والوسوسة في حقه وظن السوء وعدم الامتثال  
إليه في قوله والمشاجرة له أو لاحكامه والخلاف والحسد فتوبوا إلى الله وارجعوا  
قبل أن تذهب حسناتكم وتسلبوا ثواب الايمان وإنما حملني على هذا البيان  
النصيحة في الله وحمایتكم من الوقوع في هاوية الانفس والاماني فمن تاب  
تاب الله عليه ومن عاد فينتقم الله منه ويسلط عليه وهذا أمر الله ورسوله  
فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب اليم ولا  
حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم والسلام

## حوادث السودان الشرقي

السودان الشرقي عبارة عن فيافي مترامية الاطراف تمتد من شرق وشمال نهر (أتبره) حتى شطوط البحر الاحمر كمصوع وسواكن وغيرها من تلك الشطوط ومتاخم للاحباش من جهات كثيرة وهو عبارة عن اقليم (التاكا) وقاعدته مدينة (كسلا) ومحافظة الشواطي' كمصوع وسواكن وغيرها وسكانه قبائل ضاربة ألوانهم الى لون النحاس أو بعبارة أخرى كلون زنوج أفريقية الجنوبية الذين تختلف ألوانهم عن زنوج السودان الاوسط وهاته القبائل تشبه بعضها في الاخلاق والعادات مع بعض فروع وكلها لا تتكلم باللغة العربية بل بلغات أعجمية لا كتابة لها وتعيش اكثر القبائل كما يعيش الاعراب الرحالة بالبان المشاية ولحومها وماشيتهم جلبها من الابل وتسكن بعض القبائل رؤس الجبال وبعضها يأوي الى كهوف في الارض متسعة تسع عدة قرى في داخلها

ومن القبائل التي تعيش كعيشة الاعراب قبائل (الهدندوه) وبنو عامر والهباب وأما رار فالهدندوه تسكن حوالي كسلا وبنو عامر والهباب يسكنان حوالي مصوع وأما رار تسكن ضواحي سواكن وهناك قبائل كثيرة اضربنا عن ذكرها فراراً من التطويل

واكبر هاته القبائل قبيلة الهدندوه وعدد نفوسها يتجاوز مليون نسمة وماشيتها من الابل كثيرة جداً ورجالها ميالون الى الحروب وسفك الدماء والغارة على جيرانهم عكس بنو عامر والهباب المعروفتين بالميل الي الدعة والسكون ونوقهم مشهورة بعظم السنم حتى ان الواحدة منها لا تستطيع القيام

بغير مشقة ومن أشهر القبائل التي تسكن رؤس الجبال وبطون الكهوف ( الباريه ) وهي قبيلة أعجمية ديانتها مجوسية ولم تخضع للحكومة ورجالها ذووبأس وشجاعة يقطعون السبل على المارة ويغيرون على بلاد الحكومة ومنهم قبائل كثيرة تدين بالاسلام وعوائدها تشبه عوائد طوائف الدرور واليزيدية

وتنسب قبائل بني عامر والهاباب الى رجال من الاكراد سجنهم سلاطين العثمانيين في سواحل البحر الاحمر منذ أربعة قرون أو أكثر فتزوج أولئك المسجونون نساء من الاحباش والزنج وانتشر نسلهم وعاشوا بعمليتهم البدوية كالسلافهم الاكراد

أما الزراعة في جميع أنحاء السودان الشرقي فانها لا تذكر وأكثر القبائل تعيش بغير الخبز ووجد منهم من لم يذق الخبز مدة حياته وقس على ذلك سأربالقول فانها غير معروفة عندهم البتة

ويوجد في داخل مدينة سواكن أناس من السكان الاصليين لا يذوقون الخبز مرة في السنة وغداؤهم قاصر على اللحم والابن وطريقتهم في اللحم واحدة لا تتبدل وهي انهم يأتون بأحجار يضرعون عليها النار حتى تتحول حجراً فيضعون عليها اللحم حتى ينضج ويصير اللحم لذيذاً واسمه ( سلات ) ويمكن لسلك انسان أن يحصل على هذا اللحم بثمان بنخس اذ الاسواق مملوءة به وثمان الشاة الواحدة لا يبلغ خمسة عشر قرشاً مصرياً والوعاء الذي يحوى نحو خمسة وعشرين رطلاً من اللبن لا يبلغ ثمنه أكثر من قرشين

ومن الطف الزواجر التي سمعتها ان اعرابيا من قبائل السودان الشرقي التي بقافلة سائرة من بربر الى سواكن فرأى بين أيديهم بصلاً يأكلونه مع

الحبز فأعطوه بصلة فأراد أن يهشمها ويأكلها كما رآهم يفعلون فتصاعد ريحها  
إلى انفه فنفذ بها إلى الأرض وأخذ يركض إلى الحي مستصر خاقومه إلى الانتقام  
من هذه القافلة التي جاءت إلى بلادهم بنوع خبيث ينشر بينهم الأمراض  
وينقل إلى بلادهم جراثيم الأوبئة والأمراض وبعد عناء شديد تمكنت القافلة  
من متابعة سيرها ونجت من الهلكة

ومن ذلك أن رجلاً من أهالي بربر تعرف برجل من كبار الأعراب  
فنزله ضيفاً عليه في بربر فقدم له غداءً من طبخ الملوخية فامتلاً الرجل غيظاً  
وقال لمضيفه هل أنا بمنزلة الثور عندك حتى تقدم لي الحشائش الخضراء التي  
لا يأكلها غير ثورك فأخذ الرجل في ملاطفته ليقنعه بأن غداءه وغداء سائر  
مواطنيه من هذا النوع فلم يصدده وخرج من منزله في أشد حالات الغضب  
فسبحان من أقام العباد فيما أراد

وأهالي السودان الشرقي كلهم يتركون شعورهم حتى تبلغ من الطول  
الحد النهائي وشعورهم صلبة قوية يتركونها واقفة غير مسبولة يخالها الرأي  
من البمد قبعة من النوع الأسود الطويل جداً ويدهنونها بشحم الجمال أو البقر  
وملابسهم هي ملاءة من (الدمور) ولا يلبسون شيئاً من السراويل أو الاقبية  
ويزعمون أن لباس السراويل والاقبية مما يولد الأمراض في الجسم سيما  
أمراض المعدة وحلق الشعر أو قصه مما يولد أمراض العيون وضعف البصر  
هذا ما نورد هنا عن شرقي السودان عموماً حيث نسرده حوادثه وسيأتي  
الكلام عن كل جهة بما فيه الفائدة والله الموفق



## ترجمة الشيخ الطاهر المجذوب

غير خاف ان عثمان دقنه هو الذي كان داعية المهدي ونائبه في السودان الشرقى وكان عثمان دقنه مريدا للشيخ الطاهر المجذوب ومخلصا وسيعلم القارىء مما يجيء ان المهدي لم يكن مصطفى عثمان دقنه لهذا الامر الخطير بل الذى اصطفاه له أستاذه الشيخ الطاهر ولذلك رأينا أن ترجمه هنا ثم نمقبه بترجمة عثمان دقنه ليكون القارىء على بينة من أمرها فنقول

الشيخ الطاهر المجذوب هو شيخ الطريقة المجذوبية ورث هذه السجادة عن عمه الشيخ محمد المجذوب الصغير تلميذ السيد احمد بن إدريس المغربى وأصلهما من بطن من بطون قبيلة الجميلين اسمه المجاذيب نسبة الى جدهم حمد المجذوب ويسكن هؤلاء الناس على ضفة النيل جنوب نهر (أتره) فى قرية (الدامر) محل ضريح جدهم حمد المجذوب

أما محمد المجذوب عم صاحب الترجمة فانه ولد بهذه القرية ثم هاجر منها ولحق بالحجاز وهناك التقي بأستاذه السيد احمد بن إدريس ومكث ملازما كبقية تلاميذه مثل السيد السنوسى صاحب الطريقة السنوسية المشهورة بأفريقية الغربية والسيد محمد عثمان الميرغنى صاحب الطريقة الميرغنية أو الختمية وغيرهم كابراهيم الرشيد نزيل مكة المكرمة ثم عاد محمد المجذوب الى الحجاز بعد أن نال من أستاذه كل رعاية والتفات وتحصل على درجة سامية من العلوم العقلية والنقلية ثم غادر الحرمين الشريفين واستوطن ضواحي سواكن فانتظم فى سلك أتباعه الالوف من رجال القبائل وترامت شهرته فى أطراف البلاد حتى صارت القبائل تحترمه احتراماً زائداً وتجنه حبا فوق العادة

وكانت بينه وبين صاحب الطريقة الميرغنية مناظرات شديدة توارثها  
اتباعهما وكانت أسرة عثمان دقنه من أعظم أتباع الشيخ محمد المجذوب. وله  
ديوان في المدائح النبوية وتوفي ولم يعقب فورثه ابن أخيه الشيخ الطاهر  
المجذوب وكان في بداية أمره على منزلة تقرب من منزلة عمه في قلوب الناس  
وله أملاك في سواكن والحكومة تبلغ في احترامه وتتسابق الى استرضائه  
حتى كان من أمره ماسنورده ولله في خلقه شؤون

### ترجمة عثمان دقنه

هو عثمان بن أبي بكر دقنه نسبة الى قبيلة (الدقني) وهي قبيلة صغيرة  
تسكن سواكن وأصلها منسوب الى قائد تركي نفاه ساكن الجناح السلطان  
محمود وكان عمه وجيهين في سواكن أحدهما على دقنه حاز لقب بك من  
الحكومة وكان المترجم صاحب أملاك في سواكن وتاجراً يتردد الى مصر  
في كل عام

وفي سنة ١٢٩٤ هجرية سافر الى دارفور ويقال انه قبض عليه مع قافلة  
نحاسين وسيق الى المحاكمة ثم فر منها وفقد كل ثروته التي كانت حوالي عشرة  
آلاف جنيه وكان متزوجاً بابنة عبد الغفار الضوي أحد تجار المصريين في  
بربر وكان أعطاءه عشرة آلاف ريال ليتجر بها فأضاعها ثم لحق بسواكن ومكث  
بها ففجر الدائنون على أملاكه

وحكى لنا موظف في سواكن ان عثمان دقنه جاءه متظلماً مما أتاه  
الدائنون معه حيث حجبوا على كل ما يملكه حتى الضروري لحياته فوجد الموظف  
مرتبكاً في بحر أفكار شديدة فسأله عن حاله فقال أتاني تلغراف ان ابنتي



مريضة جداً فقال له اننى أعرف نوعا من الزايرجة ولكننى اشك فى صدقها فقال ولماذا فقال لانها منذ عشرين سنة مضت تخبرني باننى اصير ملكا كبيرا وشهرتي تطبق آفاق الارض كلها فقال له الموظف لا بأس من سؤالها عن صحة ابنتي فتناول قرطاسا وقلمها وبعد ساعة رفع رأسه وقال له تقول الكاذبة ان ابنتك قد زال عنها الخطر وانه يأتيك خبر شفائها قبل ان تقوم من مقامك . هذا ثم قال انها تقول ذلك ولكننى أخبرتك بانها تكذب على منذ عشرين سنة ولم يتم هذه الكلمات حتى دخل موزع التلغراف ورفع الى رسالة قرأت فيها شفاء ابنتي وزوال الخطر عنها فلما سمع عثمان دقته هذا الكلام ضحك حتى استلقي على ظهره وقال هذه اول مرة صدقت فيها ولعلها تصدق بعد الآن واننى لا انصرف من هاهنا حتى اسألها السؤال الذى لم تصدق في الاجابة عنه منذ عشرين عاما فتناول القرطاس والقلم وأخذ يرقم الاعداد وفي النهاية ضحك وقهقه وقال لى انها تقول دنا الاجل فاطرح الوجل ثم أخذنا فى حديث آخر فاستأذنى بالانصراف فشيخته الى الباب وكررت عليه الرجاء ان لا يجعل زيارته كبيعة الديك فقال مازحا وهل تجب ان تكون بيضة دجاجة فقلت نعم فقال يفعل الله ما يشاء وانصرف فلم أره حتى سمعت بظهوره فى ارباض سواكن وانتشار نفوذه فى كل أنحاء السودان الشرقي وييد الله كل شيء

وقد كان عثمان مشهوراً منذ حداثة سنه بالميل الى العبادة ومواظبة الصلاة وملازمة أوراد الطريقة وكان مشهوراً بالشفقة والرحمة هذا وقد رأينا صوراً كثيرة يقال انها صورته ولاول وقوع بصرنا ادركنا انها غير حقيقية بل هى صور وهمية او خيالية تبعد عن الحقيقة بعدا شاسعا وغاية

ما يقال فيه ان فتل ساعديه واعتدال قامته يدلان على القوة والفتوة  
 واشتهر عن عثمان الشرة في الاكل حتى انه يأكل الحروف المشوى وحده  
 وكما اشتهر بالهم فقد عرف عنه الصبر على الجوع حتى انه في اكثر أسفاره  
 وغزواته يصبر عن الغذاء اياما معدودة ويقتصر على اكل ورق السدر وغيره  
 من ورق الشجر الكثير المرارة والحاصل انه غريب الشكل في اخلاقه وعاداته  
 وسيأتي ذكر كثير من هذه الغرائب

### ذكر وفود عثمان دقنه على المهدي

كانت الخطابات بين المهدي والشيخ الطاهر المجذوب متبادلة منذ وطن  
 المهدي نفسه على اتحال هذه الدعوى ويقال ان اول خطاب وصل الى الشيخ  
 الطاهر من المهدي مؤرخ في شعبان سنة ١٢٩٨ يخاطب به كل المشايخ ومثل  
 هذه الخطابات كثير وقد اخترنا هذا التورده هنا تلاقع الجزء الاول من كتاب  
 المنشورات وهو بنصه

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

الحمد لله الوالي الكريم والصلاة على سيدنا محمد وآله مع التسليم وبعد  
 فن العبد المقتدر الي الله محمد المهدي بن عبد الله جزيل السلام الي كافة الاخوان  
 من المحبين ومشايخ الدين لا يخفى في عزيز علمكم أن المؤمن لاعناية له الا فيما  
 يرضي الله من كمال الايمان والاتباع على السنة والكتاب وبصرف الهمة في  
 هذا الوجه يتولاه الله ويقوم بحظوظه في الدارين واذا التفت الى حظوظه  
 وصرف همته الي ذلك وكله الله على نفسه ولم يحصل له من حظوظه شيء  
 الا بالتعب القلبي والبدني واتم ايها المؤمنون الذين يظن بكم المعاونة على

تقويم السنة ومعلوم أن جاه الدنيا ولذتها لا يؤثره العاقل العارف لأن ما في الدنيا مفارق يصير كأنه لم يكن ولذتها لا تقي بحسرتها بل عين اللذة تصير عين الحسرة حتى لا يجد بيده شيء فالعاقل العارف لا يسعى إلا في رضا الله وعلى ذلك يا حبابي اني لم أقدم على تنبيه الناس احبهم على النعيم لاقامة السنة الا بأمر من سيد الوجود صلى الله عليه وسلم ولا يكذب على سيد الوجود الا من لا اخلاق له عند الله ومسح ذلك شهد على ذلك جمع من الاتقياء الذين يمجوبهم ومكانهم عند الله لا يخفي وفضلا عن ذلك تعلمون هذا الزمن وما فيه من البدع وما لهم تحصن من ذلك الا بالفرار بالدين وطاب الهجرة بالدين في هذا الحال وارد كتابا وسنة ووعيد من ترك الهجرة وارد كتابا وسنة كما لا يخفي وقد كاتبت على أمر النبي صلى الله عليه وسلم جميع أهل الدين بالليم على دين الله واقامة السنة وقد ضمن النبي صلى الله عليه وسلم من يكون معنا وما ذلك الا امر من الله ورسوله فان كانت قد بلغتكم تلك الاجوبة السابقة فهذا اليكم لتشعروا على ذلك فان هذا الامر ما بثته الا بعد أن خرج من سيد الوجود صلى الله عليه وسلم ثم تكرر مرارا عديدة وفضلا عن ذلك أن من مثلكم لازم يكون لمثل هذا الامر أول قائم ويحث عليه ومعلوم أن من تركه وصد عنه فعليه اثم واثم من صدهم جميعا واعلموا انكم ان اتبعتم هذا الامر صرتم من المقرين والا كان عليكم اثمكم واثم من تبعكم وهذا الامر حقيقة من الله ورسوله ولا يخفي انه لا يميز على الله أن يظهر قدرته في أضعف خلقه ويظهر الدين على كراهة اهل معصيته فمن أعرض عن ذلك فحسبه الله فان مات قبل ظهوره لم يأمن عقوبة الله في اعراضه عن الحق وصدته لمن اراد الاستقامة والهجرة لله ورسوله ومعلوم أن من لم يتبع هذا الامر يخذل في الدارين

ومن حصل له شك يظهر له فيما بعد كما بين والسلام شعبان سنة ١٢٩٨»

ولما حاصر المهدي الأبيض كان يوالى ارسال الخطابات الى الشيخ الطاهر  
بستحثه فيها على مناوأة الحكومة والقيام بدعوته في السودان الشرقي وأذن  
له بمبايعة الناس نيابة عنه وانه أمير من قبله على هاته البلاد فبعث اليه الشيخ  
الطاهر بوفد من أتباعه يرأسه عثمان دقنه ومعه كتاب يقول فيه ان عثمان  
دقنه من خيرة مردييه وأصدق أتباعه وانه من رجال الحزم والعزم وانه  
لايفضل أبناءه النازلين من صلبه عليه وان إمارة شرق السودان خليق بها  
اكثر منى واننى لأستنكف أن أكون تابعا لافضل مرديى عثمان وأكون  
مستشاره ومدبر أموره وأنصح لكل أتباعى بالقيام بنصرته وموازرتة وان  
المانع لى من قبول هذا الامر لنفسى هو الطعن فى السن وعدم القدرة  
على الانتقال والقيام والعود اذ هي من ضروريات هذا المنصب وبكفني ان  
أكون أول من يدعن بالطاعة لعثمان وفى ذلك من التعضيد والحض للموم  
اتباعى مايقرن عمله بالنجاح

ولما قدم عثمان على المهدي وجد الأبيض سقطت فى قبضته فتلقاه  
بالخفاوة والاكرام

ولما اطلع على الخطاب داخله بعض الريب فى أمر الشيخ الطاهر وتردد  
فى قبول ماأشار به عليه لانه لم يكن وأثابا بانه يرفض قبول الرئاسة لمثل هذه  
الاعدار ويهديها الى أحد مردييه وبعد بضعة شهور تحقق ان الشيخ الطاهر  
مصيب فى كل ماقاله وخصوصا لأنه ملازم للخلووة والانفراد ويتألم من الفوغاء  
وليس بين أولاده من ينهض بهذا الحمل الثقيل وبعد مداوات كثيرة بينه وبين  
التعايشى أيقن بصحة القول وعزم على انفاذ عثمان دقنه واسناد هذه المهمة اليه

وكان ضمن هذا الكتاب ان الحكومة عولت على انفاذ حملة لقمهر المهدي وسيكون طريق هذه الحملة من ثغر سواكن الى بربر وأشار على المهدي بوجود المبادرة بارسال عثمان لان أهالي السودان الشرقي كلهم متأهبون للقيام معه وخلق طاعة الحكومة فيتمتعذر سير الحملة الى بربر وتتهيأ للمهدي الفرصة للاستيلاء على الخرطوم لان قيام الثورة في ضواحي سواكن يضطر الحكومة الى اعادة الجنود الى مصري ترسلهم عن طريق دنقلة أو العظموور فلا يصلون الخرطوم في اقل من عامين على ان هذه الطريقة كانت تأتي بالنتيجة المذكورة لو لم يتردد المهدي في قبولها لان الاشهر التي أقامها عثمان عند المهدي كانت كافية لبلوغ معظم الجنود بربر فلم ينجح عثمان فيما كان دبره له استاذة من عرقلة سير الحملة وسد الطريق في وجهها وان نجح من جهة أخرى حيث خلع أهالي شرق السودان أجمعون طاعة الحكومة والتفروا حوله وبلغ ما كانت تحمته بالارتقاء اليه زيارته ونال فوق ما كان يتناهى ثم أخذ أمره بالاضمحلال وساءت أفعاله وثقلت وطأته على الذين شدوا أزره وتجردوا النصرته وكان سقوطه مساويا لارتفاعه كما سنشرحه بعد

### ذكر أوبة عثمان دقنه الى سواكن

لما اقتنع المهدي بسلامة نية الشيخ الطاهر خاف أن تفوته فرصة عرقلة سير الجنود من سواكن الى بربر فسير عثمان دقنه من الابيض في شهر ذي القعدة سنة ١٣٠٠ وكتب له منشورا الى جميع أهالي السودان يعلمهم بأمر دعوته ويأمرهم بطاعته وموازرته وقد بحثنا على صورة هذا المنشور في مجلدي المنشورات فلم نظفر بها ولكن عثرنا على منشور كتبه بعد ان وصل

الى سواكن يعظه فيه واتباعه ويزهدهم في الدنيا

أما المنشور الذي يتضمن توليته فنورد خواه نقلا عن مصادر أخرى وهو بعد ذكر ما أصاب الاسلام من الضعف وما انتابه من تعطيل الحدود انني قد وجهت اليكم الشيخ عثمان بن أبي بكر دقنه السواكبي نائبا عني فيكم فبايعوه ووازره وانصروه وانني أرف لسكم بشرى ما أتاح الله لي من النصر والاستيلاء على كوردفان كلها ولحكم البشرى أيضا بان الله سينصركم ويثبت أقدامكم ويورثكم السودان الشرقي ويهلك من فيه من جنود الحكومة لقوله تعالى (ألم نهلك الأولين ثم نتبعهم الآخرين كذلك نفعل بالجرمين) وأما المنشور الذي تضمن عبارات الوعظ والزهد فان بعضهم يقول انه

صدر مع هذا المنشور وهذا قول لانصيب له من الصحة اذ المنشور يتضمن عبارات كثيرة من المدح والثناء على عثمان دقنه مما يدل على انه صدر بعد ان عاد عثمان الى سواكن وبدأ بتثليل رواياته التي أدهشت المهدي نفسه كما أدهشت العالم كله لانه لم يكن يتوقع منه مثل هذه الاعمال الباهرة وهما هي صورة المنشور بنصها نقلا عن الجزء الاول من كتاب المنشورات صحيفة ٨١

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

الحمد لله الوالي الكريم والصلاة على سيدنا محمد وآله مع التسليم وبعد فن العبد المقتدر الى الله محمد المهدي بن عبد الله الي حبيبه وصفيه وعونه ونائبه في اقامة دين الله ذي الرأفة بالضعفاء عباد الله المستسلمين المنيبين الى الله والشدة على المتكبرين اعداء الله عثمان بن أبي بكر دقنه وقاه الله كل محنة وجعله الله من أعلا أهل المكرمة. حبيبي ان الدين قد انهدم بسبب تشييد الحظوظ النفسية السفلية التي تزول عن قريب وتحجب عن دوام النصيب

فشمرك أنت واخوانك التابعون لنا عن ساعد الجد على ترك المشتبهات النفسية  
ومقاساة الشدائد التي تقرب الى رب البرية فيدوم خيرها في الدار الآخروية  
والمعلوم أن الخير الذي لا يدوم خير منه الشر الذي لا يدوم لأن صاحب الخير  
الذي زال أشد الناس حسرة وتوجعا وصاحب الشر الذي زال أشد الناس  
فرحاً وسروراً فلما علم العاقل المؤمن بما عند الله عاقبة خيرات الدنيا زهداها  
لشؤمها عند النفوس وشدة حسرتها عند الممات مع انها تشغل عما في الآخرة  
وتصرف عن القيام لله خالصا والوثوق بالله صادقا فانيبوا لما عند الله واكتفوا  
بالله ولا تتنعموا في دار البلايا ودار الظالمين الا شقياء فتصرفوا بذلك عما أهد  
للمتقين واقتدوا بالنبي صلي الله عليه وسلم وأصحابه في الاعراض عن الدنيا  
ومتاعها واصبروا على الجوع والخضوع لما عند الله بالقلب القنوع واعلموا انه  
لو كان في الدنيا خير لصهبها الله على عبده المؤمن ولا عطاء كل ما عند الكفار  
ولكن ليست هذه الدنيا محل العطاء ولا دار الجزاء ولا زمن السراء فاعرفوا  
ما خلقت له من الاكتساب منها الى محل الاجتماع بالاحباء ودوام اللقاء فيها  
يا احبابي ولا تتعطلوا بهذه الدار مع من تعطل بها لغروره بمحض البلاء قال الله  
تعالى «انا جعلنا ما على الارض زينة لها لنبلوهم ايهم احسن عملا وانا لجالعون  
ما عليها صعيدياً جزأاً» خيّر الدنيا مؤد الى الوقوع في الهوي الخلاء وانظروا  
ثواب ما فيها من البلاء اذ قال الله تعالى (ولنبلونكم بشيء من الخوف والجوع  
ونقص من الاموال والانفس والثمرات وبشر الصابرين الذين اذا أصابهم  
مصيبة قالوا انا لله وانا اليه راجعون أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة  
وأولئك هم المهتدون) فانظروا العطاء الذي في البلاء وهو الصلاة من الله مع  
الرحمة والهداية اذا كان البعد راضياً أو صابراً على مراد الله لما عند الله معتقداً

أولوية الله له وشفقته عليه فيحسن به الظن زيادة عما يحسنه في أبيه الشفيق عليه الذي يعلم خبرته وقدرته وغناه فيعلم يقينا أن أبا الموصوف بتلك الصفات لولا محض الشفقة عليه وارادة الخير له لا يفصده ولا يسقيه الدواء المر العفن البشع ولا يأخذ ماله الا لزيادته له فكذلك المؤمن بالله وبأولوية الله يعلم ان عند الله خيرا لا تزنه السموات والارض وما فيهما ويعلم انه قادر على اعطائه كل خير ويسده خزائن الخيرات ولكن المعلوم أن المريض اذا أعطاه أبوه لذيذ الاطعمة عجبت بموته واذا أباح له الملاعب والشهوات عن الحبس للتعليم كبر سفيها جاهلا وكذلك حكمة الله في صرف النعم عن عبده وتفريه عنها في الدنيا من هذا القبيل وأعلا علما في ضرره بالحاضر الذي يعقب حسرة طويلة ولذلك فعل باصفيائه ما فعل مما هو معلوم وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم (أشدكم بلاء الانبياء ثم الاولياء ثم الامثل فالامثل) والاختبار في هذا المعنى كثيرة من الكتاب والسنة فانظروا ما ناله العبد بالبلاء في قوله تعالى (وبشر الصابرين الذين اذا اصابتهم مصيبة قالوا انا لله وانا اليه راجعون وأولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وأولئك هم المهتدون) فقولوه قالوا انا لله وإنا اليه راجعون هو حسن ظن بالله معرفة به لكثرة أيديه ونعمه عليه واشتياقا اليه دون الشهوات التي تكون قبل لقائه فالمعلوم ان من انتسب الى ملك واخلص في انتسابه له وعلم الملك ان له حقيقة عمل له كل احسان ورفعه بكل درجة واذا علم الملك أيضا من قلب ذلك الشخص انه الى ابده مستعد من قلبه انه لا يرجع الي غيره أعدله ما يقدر عليه من حسن المأوى فكذلك العبد المؤمن لما يعلم أيادي الله عليه وأولويته له مع معرفته انه قادر وغني وخبير يفرح بما يقضيه عليه قائلًا انا لله يعني نحن ملك الله وهو الاولى بنا منا ولما يعلم



انه لا مرجع له الا اليه مع معرفة آياديه وعظمته وما أعده في الآخرة يشاق  
 اليه فقط ويصرف نظره عن ما يعظله قائلا وانا اليه راجعون فيثبته الله بصلوات عليه  
 فيصلي عليه كما صلي على احاباه من الانبياء والمرسلين والملائكة والمقربين ويرحمه  
 الرحمة الخاصة التي تليق بعظمته وبما ظنه في الله قد سلك طريق الله والجنة  
 فهده الله الي ذلك لان الجزء من جنس العمل ومن جاهد يهديه الله كما  
 قال تعالى (والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا) فلا تطعموا احابي في غير ربكم  
 ولا تتشوفوا لغير دار الدوام مما يزول ويعقب حسرة تطول فتنعموا بلاء  
 الدنيا لحسن الظن بالله وأعرضوا عن متاع الدنيا التي تعقب الشقاء وحثوا اخواننا  
 الذين معكم بالحال والمقال وكونوا كما قال الله تعالى (يا أيها الذين آمنوا استعينوا  
 بالصبر والصلوة ان الله مع الصابرين ولا تقولوا لمن يقتل في سبيل الله أموال  
 بل احياء ولكن لا تشعرون) ووطنوا انفسكم على الرضا بقوله تعالى (ولنبؤنكم  
 بشيء من الخوف والجوع ونقص من الاموال والانسف والثمرات وبشر  
 الصابرين الذين اذا أصابهم مصيبة قالوا إنا لله وانا اليه راجعون أولئك عليهم  
 صلوات من ربهم ورحمة وأولئك هم المهتدون) لتناولوا بالرضا والصبر على مراد  
 الله تحسينا لظنكم بالله الصلوات والرحمة والهداية كما ذكرت ذلك ولا تغفلوا  
 عن ذلك والسلام»

(ملحق)

وانه يا حبيبي بعد وصيتي هذه فليكن اعتمادكم على الله تعالي في كامل  
 أموركم تصديقا وامثالا لقوله تعالي (ومن يتوكل على الله فهو حسبه) فالتوكل  
 على الله كثر المؤمن لان المؤمن كثره ربه كما ورد وحيث ان مطمح نظره  
 ربه وصل اليه وجازاه ومن اعتمد على غير الله خذله في محل حاجته كما لا يخفى

ذلك وأيضاً لا تعتمدوا على الكثرة بل اجتهدوا في الصفة التي هي الاعتماد على الله وحده وزهد الدنيا والتشوف الي ما عند الله في دار البقاء فالذي عندهم ينفد وما عند الله باق فان الكثرة بغير الله خذلان فكم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله والله مع الصابرين فاصبروا على مراد الله راجين له وانظروا لنصرة الله ولا تهاينوا للقوة الاخرى فقد قال تعالى (ويوم حنين اذا أعجبتكم كثيرتكم فلم تكن عنكم شيئاً) فانظروا لذلتكم الحقيقية التي هي عجزكم من أنفسكم اذا أنتم من نظفة مذرة فعمل بكم ما ترونه من كمال هيكلكم بقوته والروح التي تتحركون بها هي بيد الله قبل الروح من أمر ربي وبغيرها الانسان خير منه الطين لانه يصير منتناً ومن نظر هذا المعنى عرف ان ملكوت كل شيء بيد الله فلا يخشى من غير الله وهو الذي له الخلق والامر ذلالتخشوا الناس واخشوا الله الذي بيده كل شيء وقوموا بامر له فقد قال الله تعالى (ولينصرن الله من ينصره) فاعتمدوا على الله واكتفوا به واشتاقوا الى الذي عنده والسلام

ولما غادر عثمان دقنه بربر وجد آخر حملة من الجنود نازلة على منهل بين بربر وسواكن اسمه (ككريب) فاخذ يبكي وينتحب ويقول لمن معه ثب على هؤلاء الكفار لتقتلهم فلم يوافق أصحابه وكانوا بضعة أشخاص ثم تابع سيره والناس يقدون عليه لاخذ البيعة وتقديم الطاعة والخضوع ومع ذلك كان يكرم أمره ولم يجاهر بدعوته حتي يجتمع بالشيخ الطاهر

وقد سلم المهدي كتابين بخط يده الي عثمان ليوصلهما له في أحدهما ان نائبه علي السودان الشرقي هو الشيخ الطاهر ويأمر الناس بمبايعته وفي الخطاب الثاني استعطاف له والحاح بقبول هذا المنصب وانه اذا كان مصراً

على الرفض وعدم القبول فليكن الأمر الناهي في باطن الأمر علي عثمان دقنه  
وقد أوصي المهدي عثمان دقنه بترك الإمارة لاستاذه اذ ارضى بما كتبه  
المهدي وان أصر علي رأيه الاول فليكن مؤتمراً بكل ما يأمره به وفي كلا  
الحالين ان المسؤل الحقيقي أمام المهدي هو الشيخ الطاهر لا عثمان دقنه  
كل هذا يدل على أن المهدي لم يكن واثقاً بعثمان دقنه وقد اتفق الطاهر  
وعثمان علي ان يكون الثاني منفذاً لكل أوامر الاول

علي ان عثمان دقنه لم يكن واجداً في نفسه أقل شيء من استاذه وكانا  
علي حالتهما الاولي وعثمان أطوع له من يده وكل الاعمال التي كالت بالنجاح  
الباهر في أوائل أمر عثمان دقنه كانت من أعمال استاذه وسيأتي ان الشيخ  
الطاهر لما لحق بالتماشي في أم درمان ظهر الخلل في أعمال عثمان دقنه فاعيد  
الي سواكن فتدارك الخلل وبعد وفاته هزم عثمان من توكر وتفرقت من  
حواله القبائل. وقصارى القول ان الفاعل الحقيقي لكل ماجري في السودان  
الشرقي هو الشيخ الطاهر وان عثمان دقنه لم يكن الا آلة في يده وهذه  
حقيقة لا ينكرها الا الذين يجهلون الحقائق ويحكمون بالاشاعة

ذكر لحاق الشيخ الطاهر بعثمان دقنه وذب المسجونين  
كان جواسيس الحكومة في كوردفان أبلغوا الحكمدارية في الخرطوم  
أمر عثمان فعمّلت على القبض عليه قبل وصوله الي سواكن فلم تفلح ويقول الثقات  
انه قضى عدة أيام في بربر عند صهره والحكام لاهون عنه بالرغم عن تشديد  
الحكمدارية في القبض عليه

ولما قرب عثمان من (هندوب) التي لا تبعد عن سواكن بأكثر من خمسة

أميال بعث يعلم الشيخ الطاهر وكان مقياً في سواكن مغموراً بنعماء الحكومة  
الى درجة انها كانت تكلف المسجونين بقضاء حوائجهم الذاتية كالابنية وحفر  
الآبار اسوة أعمال الحكومة

وفي اليوم الثامن من شهر ذي الحجة سنة ١٣٠٠ هجرية استأذن الشيخ  
الطاهر الحكومة ليغادر المدينة الى هندوب حيث عزم على حفر بئر فيها  
وتشييد مسجد فأعطته الحكومة ثلاثين مسجوناً من المصريين ليقوموا بهذا  
العمل وفي اليوم التالي شخص من المدينة ومعه كل أسرته

ولما أطلع عثمان الشيخ الطاهر على ما كتبه المهدي وأخ عليه في  
قبول الامارة لم يتغير عن عزمه الاول وقام في وسط الجموع وبأيع عثمان بيعة  
المهدي ونزع ملبسه ولبس شعار المهدي الذي هو القميص المرقع وقبض  
عثمان على الثلاثين مسجوناً وذبحهم وكان ذلك ضحوة يوم عيد الاضحى فكان  
الناس يقولون نضحى بهؤلاء الكفار

والتفت القبائل كلها حوله وبأيعوه اقتداء بالشيخ الطاهر وترامت  
أخباره الي كسلا ومصوع ودخلت جميع القبائل في طاعته ماعدا قبيلتي بني  
عامر والهاباب ثم غادر عثمان ومن التفت حوله هندوب لقبها من سواكن  
ولحق (بسنكات) لبعدها ومنعتها بالوعور والغابات

هذا وقد بقي بعض القبائل يبطن الولاء لعثمان ويظاهر الحكومة  
بالطاعة حتى كانت واقعة سنكات وقيام الاهلين عن بكرة أبيهم بالثورة وخلع  
طاعة الحكومة

## ذكر واقعة سنكات وقتل توفيق بك

لما عسكر عثمان في سنكات أصدرت الحكومة أمرها الى محافظ  
سواكن بوجوب القبض عليه فانتدب توفيق بك مأمور توكر وستين جنديا  
للقبض عليه ولم تكن الحكومة عالمة ان عثمان معه نحو عشرين ألف مقاتل  
واستصحب توفيق بك شيخى قبيلتي الشعيب والنوراب اللذين أكدا له  
سهولة القبض على عثمان وأقسما له أن يكونا عوين له وما كاد توفيق يصل الى  
(سنكات) حتى فرامنه وولحقا بعثمان الذي بدأ يهاجم الجنود وهم بالرغم عن قتلهم  
يردونه ويدفعونه بنخسائر وفي آخر الامر تحصن توفيق بك داخل زريبة من  
الشوك واحتفر متاريس ليدافع بها حتى صار من أمر الحملة ان عثمان فتك بها  
بعد هزيمة الحملة التي كان يقودها محمود طاهر باشا وتلتها هزيمة بيكر باشا كما  
يأتى سرد ذلك

## ذكر حملة محمود طاهر باشا

لما قررت الحكومة ترك السودان واخلاء عهدهت الى محمود طاهر  
باشا قيادة خمسة آلاف من الجنود لانتقاد توكر وسنكات فشخصت الحملة من  
سواكن الى ترنكيتات بجراً ثم سارت براً من ترنكيتات قاصدة توكر  
وكان عثمان قد علم بأمر هذه الحملة فشد جيشا جراراً يزيد عدده على  
خمسين ألف مقاتل كلهم في نهاية الحماس ومكن بهم في منتصف الطريق بين  
توكر وترنكيتات ولم تقطع الحملة مسيرة عشرة أميال حتى خرج عليها الكمين  
من كل ناحية وداهمها على غرة فأوقع بها ولم ينج منها غير القائد وقليل من  
الجنود وغنم عثمان كل ذخيرتها ومدافعها

وعلى أثر ذلك جاءت الانباء الى الحكومة بزيادة الخطر على الخرطوم  
وعولت على اجراء عمل من شأنه أن يسهل اخلاءها وصار العدو يشن الغارة  
حول المدينة ولولا البحر لاستولي عليها فأرسلت الحكومة البريطانية سفنا  
حربية حافظت على المدينة ومنعت وقوعها في قبضة العدو

### حملة بيكر باشا

لما هزمت حملة محمود طاهر باشا انتدبت الحكومة بيكر باشا  
قومندان الجندرية المصرية ومعه نحو أربعة آلاف جندي وفي أواخر المحرم  
سنة ١٣٠١ هجرية استعرض المغفور له الخديوي توفيق باشا جنود بيكر  
باشا في القاهرة وأبدى سروره من حسن انتظامهم ثم غادر بيكر باشا  
القاهرة قاصداً سواكن ومكث أياماً يخبر رؤساء القبائل بخبرات سلمية فلم تسفر  
عن نتيجة مرضية ثم أبدى رغبته الى الحكومة أن تاذن له بمخابرة قبائل مصوع  
عساه يجد منهم حلفاء يماونونه على فتح الطريق الى كسلا ومنها الى الخرطوم  
فصادفت مامورته بعض النجاح حيث وجد قبائل بني عامر والهباب ينفرون  
من المهدوية ولذا لم يدخلوا في طاعتها فتولد عنده أمل النجاح وأخذ يخبر القبائل  
الواقعة بالقرب من كسلا فعلم أنها كلها دخلت في طاعة المهدوية ورفعت لواء  
العصيان على الحكومة

وبعد بحث طويل علم أن الطريق من مصوع الى كسلا مملوءة بالغابات  
ومحاطة بكثير من الصعوبات وان الطريق من كسلا الى الخرطوم بعيدة  
وانه يخترق صحراء قاحلة فعماد الى سواكن واخذ في الاهبة للزحف علي توكر  
لاتخاذها وانقاذ سنكات

وفي شهر ربيع الثاني سنة ١٣٠١ هجرية أبحر بيكر باشا بحملته من سواكن الي  
 ترنكيئات اي في طريق حملة محمود طاهر باشا ثم سار بحملته في ذلك الطريق ولشدة  
 وعورة المسلك وتكاثر الغابات المظلمة والاشجار العظيمة كانت القوة سائرة  
 علي هيئة (يولج) تتقدمها المدافع وبجانبيها الفرسان وكان العدو كامنا في الطريق  
 فوثب عليها عثمان واختلطت مقدمته بمقدمتها فاول القائد تشكيل قلعة من  
 المشاة ولكن اسراع العدو في الهجوم وخفة حركاته حالا دون اتمام العمل  
 فركن من في الساقية الي الفرار والقوا ما بيديهم من الاسلحة وأثنى العدو  
 فيهم قتلا وضربا فكانت جملة الخسارة نحو ثلاثة آلاف قتيل ونجا القائد  
 ولحق بترنكيئات وغنم عثمان كل الاسلحة والمدافع التي كان فيها عدد من  
 الطراز الكبير جداً

علي ان هذه الهزيمة جاءت تلو التي قبلها وبلا سباب عينها الا أن جنود  
 بيكر باشا أطلقوا نيرانا كانت كافية لارجاع العدو القهقري لو لم يختلط  
 فرسان العدو بفرسان الحملة فتقوض الجانب الذين يحمونه من هيئة المربع  
 المستطيل فكان الفشل من نصيب الحملة ولا يعزب عن فكر القاري ان  
 هذه الحملة جاءت مذبحتها بعد مذبحه الجنرال هيكل فكانت الدهشة بمصاها  
 عظيمة وان توفيق بك كان قد وصلت اليه أخبار تقدمها فكان الامل يملأ  
 جانبيه بأن تنمذه فلما بلغه ما أصابها خرج بجنوده القليلين ليخترق صفوف  
 العدو إما له وإما عليه فخرج في حالة تدل علي ما كان عليه من الشجاعة التي  
 ضاعفها اليأس وما كادت جنوده تفارق الزريبة حتي أحاط بها العدو من كل  
 جانب ومكان وعدده يربو علي ستين ألفا أي لكل رجل من رجاله ألف  
 من رجال عثمان فقتل هو ووجنوده بعد دفاع اعترف له و لجنوده بفضل له الاعداء

وتوفيق بك هذا سوري الاصل كان نصرانياً ثم اعتنق الاسلام ودخل  
في خدمة الحكومة

وعلى كل حال فان عثمان نال في أعماله نجاحا ما كان المهدي يتوهمه  
وجاءت أعماله في شرقي السودان معطلة لما كانت عليه سرعة المواصلات  
بين بربر وسواكن وتقوى به ساعد المهدي حيث كفاه مكافحة جزء  
ليس بقليل من قوات الحكومة كان في الامكان أن تحول بينه وبين تقدمه  
الى الخرطوم لو عمدت الحكومة الى ارسالها مع غردون لدى عودته

ومن المدهش ان الحكومة في تلك الايام قصدت فتح طريق من  
مصوع الى كسلا فالخرطوم وهي تجهل ما في تلك الطريق من العقبات الكؤود  
والصحاري القاحلة ولو عمدت الى فتح هذا الطريق على شاطئ النيل لم تقم  
في طريقها صعوبات كالتى قامت في وجه بيكر باشا لما عاد فشلا من مخابرة  
القبائل من كسلا ولا أضاعت الاوقات في الاشياء التي لا تعود بفائدة فلا حول  
ولا قوة الا بالله العلي العظيم

### واقعة الجنرال جراهم في النيب

ولما فشلت حملة بيكر باشا قررت الحكومة الانكليزية ارسال قوة  
عسكرية لقهر عثمان دقنه وفتح الطريق بين بربر وسواكن وعهدت بقيادة  
هذه الجنود الى الجنرال جراهم فوصلت هذه القوة الى سواكن في أواخر شهر  
ربيع الثاني سنة ١٣٠١ وبعد بضعة أيام ابجرت منها الى ترنكيتات

على ان المصائب التي حلت بالحمليتين السابقتين دعت الجنرال جراهم  
لاخذ الحذر وعدم الاغترار فصار بحملته وعدد مشايها ثلاثة آلاف وفرسانه



ثمانمائة ونحو أربعمائة من المهندسين والطوبجية وجعل الفرسان في جانبي المربع ثم سار المربع من ترنكيتات قبيل الظهر ورافق بيكر باشا الجنرال جراهم هذا ما كان من أمر الجنرال جراهم أما عثمان فقد تحصن في التيب واحتفر خندقاً صغيراً أحاطه بمتاريس وضع عليها مدافع الكروب التي غنمها من الواقعتين السابقتين ولكنهم كانوا بلا مؤخرة تحفظهم من الخلف فكانت هذه الغفلة مما شجع الجنرال جراهم فتمقدم هاجماً على العدو وكان ضمن رجاله جنود من الذين شهدوا واقعة بيكر فخبئوا ولم يثبتوا في الدفاع وولوا الادبار وكانت مقذوفات العدو متواصلة ومع ذلك لم تجاوبها قنابل جنرال جراهم وأخيراً تقدمت الحملة حتى صارت على بعد ميل واحد من حصون العدو الذي كانت نيرانه وقنابله شديدة جداً عليها وهناك أخذت نيران الحملة وقنابلهها ومترليوزاتها تجاوب مقذوفات العدو وكان أحد جوانب الحملة عرضة لمقذوفات العدو فاراد القائد ابدال شكل المربع بطريقة تصير الأضرار خفيفة فلم يفلح وجرح كولونيل انكايزي فاعتنم عثمان الفرصة وزحف بخنفة غريبة ثم اشتبك مع الحملة وصار القتال بالسهل الابيض وبعد بضع ساعات انفصل الجيشان ووضعت أوزار الحرب وخسر عثمان نحو ثلاثة آلاف قتيل وتهقر الى (توكر) وتابع الجنرال جراهم مسيره متأثراً له فلم يصادف مقاومة في طريقه وكان عثمان يقصد من هذا التهقر ان يغتر الجنرال جراهم ويتأثره فاذا توغل في الغابات وأدرك جنوده بعض التعب يكر عليه ولكن الجنرال أدرك الحيلة وقفل راجعاً من توكر ولم يتأثر العدو وقتل بكباشى انكايزي وجرح بيكر باشا وقد وصلت أخبار هذه الهزيمة الى غردون في الخرطوم وهو في أوائل

الحصار فكانت مما ضاعف احزانه وسيأتي ذكر ذلك على حدة

### ذكر تقدم عثمان ذقنه الي سواكن

قلنا ان عثمان كان يقصد بالتقهقر التفرير بالحملة حتي تتأثره فلما أدرك قائدها الحيلة وقتلت راجعة الي سواكن أخذ يمض أنامل الندم لفوات الفرصة حيث كان في امكانه معاودة الكرة عليها في طريق توكر أو بعد احتلالها ايها فزحف على سواكن وتحصن في مكان يدعى (طمية) وأرسل قسما من رجاله يناوشون المدينة حتي يضطروا الحامية الي الخروج اليهم فاشتدت وطأتهم على المدينة وكادت تسقط في أيديهم لولا نيران السفن الانكليزية التي اضطرتهم الي النكوص على اعقابهم مرات عديدة وكان ذلك مما أيس الجنرال جراهم الذي كان آملاً ففتح الطريق بين بربر وسواكن

### ذكر واقعة طمية

ولما كثرت غارات العدو على سواكن حمل الجنود الانكليز على العدو وخرجوا فتمقهقر المغيرون أمامهم حتى بلغوا طمية ولما تراى الجمعان لزم الجنود خطة لدفاع وتحصنوا داخل زريبة من الشوك فانقض العدو عليهم ليلا وذبج عدداً كبيراً منهم وما زالوا في دفاع حتي مطلع الفجر فانقسم الجنود قسمين وشكوا مربعين أحدهما يقوده الجنرال بول والثاني يقوده الجنرال دافيس وتقدم هذا نحو العدو الذي قابله بثبات مدهش وقتك باكثر الجنود واختلط بهم فتدارك القائد الامر وتقهقر بانتظام حتي صار حيال مربع الجنرال بول وأخذ المربعان في اطلاق النار على العدو

معاً فتهتر بخسائر جمة وبلغ عدد من قتل من الجنود الانكليزية نحو أربعة  
آلاف ويقال ان جنود الجنرال دافيس أظهرت جبنا واحجمت عن اطلاق  
النار حتي تتمكن العدو من الدنو منها وعادت الحملة الى سواكن

أما عثمان فقد أعاد الكرة على سواكن وأخذ يوالي حث القبائل على  
الجهاد وذلك كله لينع تقدم أى قوة الى بربر يشتمها ساعد غردون وأرسل  
دعاة كثيرين حصر واكسلا كما سيأتي ذكر ذلك في مكانه

ولما اتحد المربعان تقدمت الجنود قليلا الى معسكر العدو وأشعلت  
النار في معسكره وأحرقت خيامه واسرت كثيرا من العائلات والنساء  
ولحق العدو بعض خور اضطره الى عدم تأثرها حتي بلغت سواكن

وقد تغالي مكاتبو الجرائد الانكليزية في وصف هذه الحادثة الى حد  
انهم قالوا بان الدراويش اشجع رجال في الدنيا وأكثر الناس خبرة  
بفنون الحرب

على أن الحقيقة عكس ما قالوا لان القوم لم يكونوا الا في الدرك الاسفل  
من الغباوة والجل وما أظهره من الشجاعة كان نتيجة ما كان يقال لهم عن  
نعيم الجنة وحياة الشهداء فهم يريدون احراز ذلك والتمتع به. هذا وقد امتدح  
المجنوب بن الشيخ الطاهر عثمان دقته بقصيدة طويلة عقب هذه  
الواقعة مطلعها

بطل تهاب بنو الاصيفر باسه لم لاوساء صباحهم تكرارا  
والقصيدة طويلة اكتفينا بايراد مطلعها لخلوها من الفائدة وتضمنها الغلو  
في المدح والخروج عن حد الادب في ذم الحكومة وهجائها

## ذكر تقدم الجنرال جراهم الي بربر

وفي غضون ذلك وردت الاخبار الى القاهرة ولندره بقطع الاسلاك  
التلغرافية بين الخرطوم والقاهرة وشرع العدو يحاصر الخرطوم فقررت  
الحكومة الانكليزية ارسال حملة الجنرال جراهم لفتح الطريق بين بربر  
وسواكن وأمرت الجنرال جراهم بالحملة على عمان دفته واختراق الصحراء  
للاوصول الي بربر

وكان لعمان دفته عيون في داخل سواكن يبلغونه كل أخبار الحكومة  
ونواياها ولما سمع هذا الخبر سربه وعزم على عدم مقاومة الحملة بالقرب من  
سواكن واخلاء الطريق لها حتى تتوغل في الصحراء وهناك يثور في وجهها  
ويتمكن من ابادتها

ولما خرج الجنرال جراهم كان علي حذر شديد وتقدم في الصحراء  
مسيرة يوم وليلة ثم علم بحقيقة ما دبر له وعلم أنه ان تابع مسيره كانت عاقبته  
لا تختلف عن مغبة حملة الجنرال هيكس فصمم على العودة الى سواكن قبل أن  
تطرأ ظروف تجعل السلامة في خبر كان فعاد ولم يصادف كيدا في  
ذهابه أو اياه

ولما سمع عمان بعودة الجنرال جراهم أسرع اليه ليهاجمه قبل أن يبلغ  
سواكن فلم يفلح وبلغت الحملة مأمنا سالمة غير ظافرة بشيء مما كانت تتوق اليه  
وبهذه الحملة ختمت رواية الجنرال جراهم حيث غادر سواكن وانصرفت  
أميال الحكومة المصرية والانكليزية عن فتح الطريق بين سواكن وبربر  
وأصبح الامل ضعيفا من اسعاف غوردون وامداده من جهة السودان

الشرقي حيال ما أظهره عثمان من القوة والبسالة اللتين أدهشتا العالم أجمع  
وشددت عزائمهم وقوت أمله في الاستيلاء على الخرطوم ووقوع السودان  
كله تحت قهره وجبروته

وفي غضون ذلك كانت القبائل التي حول بربر رفعت راسها للثورة  
وسقطت بربر في يد المهدي والخلاصة أن جميع حركات الجنرال جراهم لم  
تعد باقل فائدة بل كانت مما قوى ساعد العصاة بما غنموه من الاسلحة والذخيرة  
والى الله مصير الامور

وانسحب الجنرال جراهم من سواكن بكل عساكره ولم يترك غير ماثنين  
منهم ليقوموا بحراسة المدينة مع السفن الانكليزية  
وكان انسحاب الجنرال جراهم من سواكن بعد أسبوعين مضيا على حصر  
غوردون وقطع الاسلاك البرقية بين الخرطوم ومصر

### ذكر حوادث كسلا

كان السيد محمد عثمان الميرغني شيخ الطريقة الميرغنية مقبلاً في قريته  
(الخميمة) بجوار كسلا وقد خاطبه المهدي مرات عديدة يدعوهُ الى القيام  
بدعوته في إقليم (التاكا) فكان لا يجاوبه بحرف واحد واعرض عن إجابته  
كل الاعراض

وفي شوال سنة ١٣٠١ كتب له خطاباً ملاً بالوعود والوعيد وصرح له بان  
لانجاة له الا باحد امرين اما اللحاق به أو القيام بدعوته تحت إمرة عثمان  
دقته وعرض له وسأله ان لا يأنف من رئاسة عثمان دقته عليه لان ذلك لا يؤخر  
مثله عن نصره الدين ولو كان عثمان (شاكوايا) نسبة الى قبيلة (شلك) في

مقاطعة فشودد وهي قبيلة من العبيد لادين لها ينام افرادها على الرماد وينسلون  
وجوههم ببول البقر ويمشون عمرة كيوم ولدتهم أمهاتهم وها هي صورة المنشور  
بنصها نقلا عن الجزء الثاني من المنشورات

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

الحمد لله الوالي الكريم والصلاة على سيدنا محمد وآله مع التسليم وبعد  
فن العبد المقتدر الى الله محمد المهدي بن عبد الله الى حبيبه في الله محمد عثمان بن  
محمد الحسن ميرغني كان له مولاه الغني امين

أما بعد تجز بل السلام ورحمة الله وبركاته عليكم وعلى من لديكم ثم نعلمكم  
انه قد تكررت المخاطبات منا الى عباد الله بالدعوة الى الله والانابة الى  
ما عنده والقيام بامرہ والانقياد له والخروج عن النفس والعلاقة المعوقة  
وكل من أخلص لله وكان أمره لله قد اتصل لدين الله معنا ومن لم يجتمع  
وقام بامر الله على قصد إعانتنا وقاسي الشدائد نصفاء سريره في إثارة ما عند  
الله فهو منا والينا ولومات على ذلك فحدير ان يتصل بربه ويتنعم عنده بما  
لا يوصف من النعيم المقيم ويستريح من شؤم الدنيا وقد كآبتناك خاصة غير  
مرة رعاية لمقامكم وشفقة عليكم وظنا للخير بكم فما رددتم الينا جوابا ولا  
حضرتم للهجرة ولا حصلت منكم غيرة للدين باعمال حركة في جهتكم وما  
أدري ما المانع لكم من ذلك مع انكم أولى بالفرح بنا واجابتنا ونصرة دين  
الله تعالي من كل أحد فما الذي أخركم حتى فاتكم العوام وأتم العارفون  
وأولو الشرف والمقام وذوو الالباب الذين قال الله فيهم «ان في خلق السموات  
والارض واختلاف الليل والنهار آيات لاولى الالباب الذين يذكرون الله قياما  
وقعوداً وعلى جنوبهم ويتفكرون في خلق السموات والارض ربنا ما خلقت

هذا باطلا سبحانه فكفنا عذاب النار ربنا انك من تدخل النار فقد أخزيتـه  
 وما للظالمين من انصار ربنا اننا سمعنا مناديا ينادى للإيمان أن آمنوا بربكم  
 فآمننا « وانك من أعظم من يعد ويظن بالصدقة والاخلاص لله في مثل هذا  
 الامر وما عهدتـك انك تتباطىء على قدر هكذا لانك جد عارف بعظمة  
 ما عند الله وخسة الدنيا وما فيها ووجوب الهجرة الي اذ انه لا يخفي على من  
 دونك نورا انى خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم محي ما اندرس من الدين  
 ومظهر آثار المرسلين ومن المعلوم ان المهديـة اختبار لمن يدعي الدين فـسـكـل  
 من كان لدين الله الخالص صادقا لا يابى التعمد والانتقياد والتواضع لحوز ما عند  
 الله الدائم ومن كان باطـه حب الجاه وما يجبي اليه من الهدايا والوظيفة عند  
 غير الله مال الى ذلك وتوقف وصرف جماعة من الناس عن الدين الواصل  
 كما كان ذلك دأب القسيسين والرهبان الذين كانوا يعرفون رسول الله صلى  
 الله عليه وسلم ويستفتحون به فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به خوفا من فوات  
 الجاه والوظيفة عند الناس وما يجبي اليهم من الهدايا والقطائف حبا لمتاع الحياة  
 الدنيا وما ذلك عند الله بمخلص ولا يتولي العبد عند لقاء الله قال تعالى «ليس بامانيكم  
 ولا امانى اهل الكتاب من يعمل سوءـا فيجز به ولا يجده من دون الله وليا ولا نصيرا»  
 وقال «وما يـغنى عنه ماله اذا تردى» الى غير ذلك وانك يا حبيبتنا ممن لم يكن  
 دينه على حرف ان أصابه خير اطمان به وان اصابته فتنة انقلب على وجهه  
 بل أنت ممن يطلب رضاه الله ولو تقطعت اربا اربا وفاتت عنك المطالب  
 النفسية لما تعلمه من عظمة الله وذهمته وشدة عقابه لمن وقع فيه وكل ذلك  
 أنت خبير به وشانك ان تربي من أتاك هكذا فاستعمل ذلك وتبصر عاقبة  
 أمرك فانه لا غناء لك من صلاح نفسك واكتساب ما عند الله وانك من

أعظم من يقبل النصيح تواضعاً لله الذي خلق وأحيا واليه المرجع ومن أخص  
 المؤمنين الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه فاذا بلغك جوابي هذا فاما  
 ان تهاجر الى أنت ومن معك من الاصحاب المحبين من غير نظر الى علاقة  
 واما ان تحاصروا الترك الذين في جهنم وتجاهدوا من اغتر بزينة الدنيا ولا  
 رضاء لنا عنكم الا بهذين الامرين فان فعلتم احدهما رضينا عليكم والا فلا  
 وقد تعلم انه لا يتحول أحد بغير الله فلا تخافوا اعداء الله الذين نواصيهم بيد  
 الله واستعملوا امر الله فيهم ولا تأبوا بلاء الله لكم لتصفية الايمان والنور  
 عند الرحمن فالي متى الفرار من بلاء الله تعالى الذي فيه لكم الكرامة  
 والفخامة والله تعالى يقول «ام حسبتم ان تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل الذين  
 خلوا من قبلكم مستهم البأساء والضراء وزلزلوا» وكيف لمثلك ان يركن الى  
 الراحة وترف المترفين في دار الظالمين فانهض همتك وقو بالله عزمك وشر  
 فيما يرضيه جهنم وقد ذكرتك بهذا امثالا لامر الله تعالى لقوله «وذكر فان  
 الذكري تنفع المؤمنين» هذا واذا توكلتم على الله ورضيتم الجهاد والمحصرة هناك  
 فاتحدوا مع عثمان دقنه مع جميع الامراء الموجودين هناك ولا تخالفوا عثمان  
 دقنه في شيء ولا تأنفوا من ذلك فان منزلتكم عندنا معروفة وأولى التقدم  
 المذكور في اثار ما عند الله والرغبة في وسع درجات الآخرة لمعلومكم ان  
 ما عند الله خير وأبقى ومعلوم ان العاقل يسعى فيما هو خير ولا سيما وقوة  
 احاطتكم بمعرفة عظمة ما عند الله ومعرفة خسة الدنيا وما فيها فلذلك لا يخفى  
 ان المخلص في طلب ما عند الله يطلب قلبه ان يشيد الدين وبؤيده ولو مع شاكواى  
 وان قصد المؤمن المصدق حوز رضاء الله والسعي فيما يقربه من الله ومن  
 كان على حرف من الدين فرح ان وجد الرياسة والمال والمنافع الفانية وان



لم يجد ذلك نازع أو أعرض أعادنا الله وإياكم من ذلك اذ أن ذلك للمنافقين الذين قصرت همتهم على الدنيا فرضوا بها واطمأنوا غافلين عن آيات الله تعالى ولم يجعل الدار الآخرة إلا للمؤمنين المخلصين قال الله تعالى « تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علواً في الأرض ولا فساداً » فارادة الملو مفهومة و ارادة الفساد أعظمها حب الدنيا اذ هي رأس كل خطيئة ولظننا ببراءة ساحتمكم عن ذلك كاتبنا كم أولاً من ابتداء أمر المهدي لظن الخير فيكم وقيامكم بخالص الدين وما نظن توقفكم عن الهجرة والجهاد الى هذا الآن ابجسد الحاسدين و صرف المعرضين فاذا بلغكم جوابي هذا فحققوا ظني فيكم وقد ذكرنا لكم ان ذا الكشف الصادق والدكم السيد الحسن أشار الينا مرارا وتكراراً بالمحلات وبعض الصفات التي تحققت فبعد هذا فتملككم أولى بالقيام بما لله واشاره على جميع المشاهي والسلام شوال سنة ١٣٠١

ولما وقف السيد محمد عثمان الميرغني على كتاب المهدي له أرسل يدعو القبائل لاجتماع عام عند سفح جبل (تكروف) فاجتمع الوف منهم فقام فيهم خطيباً يسألهم أن يعرضوا عن دعوة المهدي وحذرهم الفتنة فكان جوابهم له السخرية والازدراء فعاد الى قريته واخذ في الابهة للرحيل ومحض النصح لكل من قابله بمغادرة السودان الى الحبشة والفرار من وجه الفتنة وقال لاتباعه فروا بدينكم وغادر (التاكا) الى بلاد الحبشة ومنها الى مصوع فسواكن لان الطريق من كسلا الى مصوع كانت مملوءة بدعاة المهدي واكثر القبائل دانت بالطاعة لعثمان دقنه ولم يتخلف عليه غير قبيلتي (بنى عامر والهابب) لانهما أتباع الطريقة الميرغنية واوغلتا في البلاد حتي قرب مصوع وتخلفت عليه قبيلة (الجران) وهي قبيلة تسكن شرقي نهرأ تيره بين حدود الحبشة وكسلا ورئيسها يدعي (عجيل)

ففرح باكثر قبيلته الى بلاد الحبشة حيث امده الملك يوحنا بما يحتاجه وجمعه  
مرابطا في حدود بلاده يدفع عنها غارة المهديين ويوالي الغارة على بلادهم  
وسنأتى علي بقية حوادثه

ونقل لنا بعضهم عن الشيخ مضوي عبد الرحمن انه قال لما دخلت حدود  
الحبشة فارا من عبد الله التمايشي قابلني الشيخ عجيل الحمراي بالحفاوة والاحرام  
فلما حضرت صلاة المغرب قام يصلي بالناس اماما وبعد تكبيرة الاحرام رفع  
صوته بالقراءة فقال ياسيدي محمد عثمان الميرغني الكبير ياسيدي الحسن ياسيدي  
محمد عثمان الصغير وصار يعدد أسماء آل بيت الميرغني صغيرهم وكبيرهم  
ذكورهم وانثاهم بيا النداء حتي جاء علي آخرهم ثم كبر للركوع ثم رفع وسجد  
ثم عاد للقراءة بمثل الركعة الاولى ولما انتهت الصلاة كان بجانب رجل من أهل  
العلم فالتفت اليّ مسرعا وقال ايك ان تفوه بنت شفة فقد مضى علينا سنوات  
نصلي هكذا وقد ضربت اعناق كثيرين لاقل كلمة ابدوها في الاعتراض على  
هذه الصلاة فالتزمت السكوت وكانت قبائل شرقي السودان الى اوائل القرن  
الثالث عشر من الهجرة مثل سائر زنوج افريقية ولم ينتشر الاسلام بينها الا  
بعد ان استوطن السيد محمد عثمان الميرغني بين ظهرانيهم

وقبل وصول هذا الكتاب الى السيد محمد عثمان كان رجل يدعى  
الكميلاي جاء من قبل عثمان دقته بدعوة المهدي وقطع الاسلاك للتلفرافية بين  
كسلا وسواكن وقتل صنجقا اسمه جباره اغا كان يجبي الضريبة من الاهلين  
فانتدبت الحكومة راشد كمال باشا قومندان حدود الحبشة في قوة  
كبيرة للقبض على هذا الداعية وبعد مسير القوة اياما عديدة صدر لها الامر  
بالعودة فعادت بغير ان تصادف كيدا

ويقال إن السبب في رجوع الحملة هو أن جماعة من أعيان البلاد  
 كتبوا عرائض على لسان البرق للحكومة يظهرن ولاءهم وطاعتهم للحكومة  
 وكان ذلك خدعة لها فأنزرت الحكومة وأصدرت الاوامر ب رجوع الحملة  
 ويوجد في صحراء (ريره) التي بين النيل الازرق ونهر أبتره قبيلة الشكرية  
 التي رفضت الدخول في دعوة المهديّة محافظة على ولاء الحكومة  
 والى هنا نكتفي بإيراد حوادث السودان الشرقي حيث نشبع الكلام عليها  
 بعد إيراد حوادث الخرطوم وسقوطه في يد المهديين والله الموفق



## ﴿ الخراطوم قبل قدوم غوردون عليها ﴾

ذكرنا أن الحكومة لما اتصل بها ناباً هزيمة الجنرال هيكس وهلاكه ارتبكت وأمرت بجلاء حاميات الدويم والكوة وفشوده وسنار لتعزز حامية الخراطوم حتى تصير قادرة على حفظ خط الرجوع الى مصر حيث عوات على اخلاء الخراطوم وترك السودان غنيمة للمهدي

ولما اتصل النبا بوكيل الحكمدارية حسين سري باشا اذاعه وأخذ الناس في الالهبة للرحيل واكن معدات النقل لم تكن كافية فكانت أجرة الشخص في المراكب الشراعية لا تقل عن عشرين ريالاً مجيدياً من الخراطوم الي بربر وأجرة حمل الجمل من هذه الي كروسكو لا تقل عن خمسين ريالاً مع أن الاولي كانت لا تتجاوز ثلاثة قروش والثانية ثلاثة ريالات وتوالت الانذارت من المهدي الي سكان الخراطوم بالتسليم وكان وكيل الحكمدارية يقول للناس جهاراً انزحوا من الخراطوم الي مصر أو الي المهدي فقد تركت الحكومة بلادكم والقت زمام أحكامكم الي المهدي فكانت هذه الاقوال مما جراً الاهلين المتحفزين للشورة وخلع نير الطاعة عليهما هذا وقد ظهر دعاة كثيرين سنورد أخبارهم ونستقصي أعمالهم للوقوف

عليها حتى لا يفوت القارئ شي منها

## ذكر عصيان الشيخ العبيد بدر

الشيخ العبيد بدر من قبيلة اسمها (المسلمية) تسكن في الفيافي التي

تبعد عن ضفة النيل الأزرق شرقي الخرطوم وتعيش بلبن الماشية الصغيرة  
والزراعة

وكان الشيخ العبيد هذا أمياري غم الناس بالاجرة ثم تظاهر بالانخراط  
في سلك الطريقة القادرية وكان على جانب عظيم من الذكاء والفتانة استخدمهما  
بين أولئك الاعراب حتى اجتمع حوله اتباع كثيرون  
ومما اشتهر عنه ان امرأياً قال له ان حماري ضاع فقال له شرب سمنا فشربه  
ولما احس بالاسهال خرج الى الفلاة فعثر على حماره وسط الاشجار فعد اولئك  
الاغبياء ذلك من اكبر السكرامات للشيخ العبيد وشرب السمن للدواء شائع  
في السودان كله حتى ان الدواء اما ان يكون السمن أو الكي بالنار أو العشبة أو  
الرقية بالقرآن

وكان الشيخ العبيد مشهوراً بين قبائل جهته يقصده الناس من اطراف  
السودان النما البركته ولداواة مرضاهم وعلاجاته قاصرة على السمن ويسميه  
دواما ( الفقيه سمن ) ويعمل لبعض المرضى عمليات جراحية لمرض كثير  
الانتشار هناك وهو آفة في الرجل يسميها السودانيون (النت) وفي الغالب  
ان عملياته تقرر بالنجاح ويرقى بعض المرضى الذين يصابون بالامراض  
العقلية التي يطاق عليها العامة لبس الجن لابدان المصابين بها

وقد حصل الشيخ العبيد على ثروة طائلة من هذه الاشياء واصبح نافذ  
الكلمة بين القبائل التي تسكن شرقي الخرطوم ومرعى الجانب عند كل  
قبائل السودان وهو يسكن في قريته التي تبعد عن الخرطوم مسيرة مرحلتين  
في الضفة الشرقية واسمها (ام ضبان) أي ان الذباب كثير فيها وسيأتي ذكر  
قتل محمد علي ونحو ثلاثة آلاف جندي بهذه القرية

ولما ظفر المهدي بحملة الجنرال هيكس أرسل كتابا الى الشيخ العبيد يدعوه الى الدخول في دعوته وان لا نجاة له الا بالقدوم عليه أو حصر الخرطوم وعرض له بذكر الشريف أحمد طه الذي تقدم خبر قتله وكان الشيخ العبيد ملازمًا للجهاد مدة قيام المهدي بكونه دافع فكان يظاهر المهدي ولا يحب ان تسمع عنه الحكومة الميل لجهته فكان اذا سأله سائل عن حقيقة دعوى المهدي يجيبه بعبارة المشهورة وهي ( اذا كان مهدي جيد لنا وان كان ما مهدي شين لنا ) ومعناها اذا كان مهديا فانه جيد لنا وان لم يكن مهديا فاي شيء لنا وهذا الجواب يدل على ما كان عليه هذا الرجل من الدهاء وكان رسل المهدي واتباعه اذا جاؤهم يقابلهم بالاكرام ويسر اليهم انه منهم واذا جاءه عمال الحكومة أظهر لهم الطاعة ونوه لهم عن الضعف بعبارة عامية مشهورة أيضا وهي ( أنا جنيزه محنطه وجديده مكشنه ) ومعناها انا كالجنائز المكفنة ان حملت الى المقابر فانها لا تقاوم أو كدجاجة مطبوخة بالبصل لا تقاوم من يريد أكلها ويقول البعض ان الرجل ولو انه أول من حاصر الخرطوم وقتل عدداً كبيراً من جنودها في واقعة أم ضبان فانه مكره اخاك لا بطل وكان الشيخ العبيد قبل ظهور المهدي بعدة سنوات يكره دخول مدينة الخرطوم ويقول كلمة مشهورة أيضا ( بركة القيوم ما أدخل الخرطوم ) أي أسأل القيوم أن لا يدخل الخرطوم وكثير من أتباعه يقولون انه عالم بطريق الكشف وخرق حجب المغيبات بما يصيب أهل الخرطوم من البلاء ولذلك كان يخشي ان يصيبه ما يصيبهم الي غير ذلك من الامور التي ليس في وسعنا ايراد جميعها في مثل هذا المؤلف لعدم فائدتها

وحاصل القول انه رجل من أدهى أهل بلاده ولذا لم نقدر على الحكم

بحقيقة نيته بل نترك الحكم ويقرب من الظن انه كان مكرها لابطلا والله أعلم بالصواب وهذه صورة الكتاب نقلا عن الجزء الثاني من المنشورات

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

الحمد لله الوالي الكريم والصلاة على سيدنا محمد وآله مع التسليم وبعد  
 فن العبيد المفتقر الي مولاه محمد المهدي بن عبد الله الي حبيبه في الله ( العبيد  
 بدر ) وقاه الله جميع الضر ووفقه على ما عند الله يسر ومن معه من المحبين  
 .حبيبي قد تكررت المخاطبات الي عباد الله للابابة الي ما عند الله والانتقاد لاسر  
 الله والخروج عن النفس والعلاقة المعوقة وكل من أخلص لله وكان امره لله  
 قد اتصل لدين الله معنا ومن لم يجتمع وقام بامر الله علي قصد اعانتنا وقاسي  
 الشدائد لصفاء سيرته في اثار ما عند الله ومات علي ذلك اتصل بربه وتنعم بما  
 لا يوصف من النعيم واستراح من شؤم الدنيا كاحمد بن طه الشريف  
 المعلوم الذي جاهد الترك ومات علي صدق حبه واتباعه وكذلك أمثاله قال الله  
 تعالى « ومن الناس من يقول آمنا بالله فاذا أؤذي في الله جعل فتنة الناس كعذاب  
 الله » فاشا ان من له معرفة يجعل فتنة الناس في الدنيا كعذاب الله  
 في الآخرة بل هان عليه كل تعب ومشقة في الدنيا ليسلم من عذاب الله  
 الذي لا يساوي عذاب الناس في جنبه بشيء ما ولا سيما ما عند الله من الخيرات  
 التي لا ترن الدنيا جميعها فيها شيئا قليلا كما ورد فن نظر ذلك هان عليه فوات  
 كل متعة في الدنيا ومفارقة كل حبيب بالنظر الي الدوام العظيم كما هان عليه  
 مقاساة شدائد لدنيا بالنظر الي شدة عذاب الآخرة وانك من أعظم من  
 يعد ويظن بالصدقة والاخلاص لما عند الله وما عهدتك انك تتباطئ  
 علي قدر هكذا مع انك جد عارف بهظمة ما عند الله وخسة الدنيا وما فيها

ووجوب الهجرة الى اذانه لا يخفي على من دونك نوراً انى خليفة رسول  
 الله صلى الله عليه وسلم محي ما اندرس من لدين وسنة رسول الله صلى الله  
 عليه وسلم ومن المعلوم عند ذوي العرفان ان المهديّة اختبار لمن يدعى الدين  
 فكل من كان لدين الله الخالص صادقاً لا يأبى التعمد والانقياد والتواضع  
 لحوز ما عند الله الدائم ومن كان باطنه حب الجاه وما يجبي اليه من الهدايا  
 والوظيفة عند الناس توقف عن الانقياد لاجل ذلك وحرف جماعة من  
 الناس عن الدين الواصل لله كما كان ذلك دأب الاحبار والقسيسين والرهبان  
 الذين كانوا يعرفون رسول الله صلى الله عليه وسلم ويستفتحون به فلما جاءهم  
 ما عرفوا كفروا به خوفاً من فوات الجاه والوظيفة عند الناس وما يجبي اليهم من  
 الهدايا والقطائف لمتاع الحياة وما ذلك عند الله بمخلص ولا يتولى العبد عند  
 لقاء الله قال تعالى «ليس بامانيكم ولا امانى اهل الكتاب من يعمل سواً يحزبه  
 ولا يجد له من دون الله ولياً ولا نصيراً» وقوله تعالى «وما يغني عنه ماله اذا  
 تردى» الى غير ذلك وذلك من المعلوم عندك وانك ممن لم يكن دينه على حرف  
 فان اصابه خير اطمأن به وان اصابته فتنة انقلب على وجهه بل أنت ممن  
 يطلب ما عند الله ولو تقطعت اربا اربا وفاتت جميع المطالب النفسية لما تعلم  
 ماهو عند الله من العظمة التي لا توازيها جميع المطالب بل من فاته ذلك ووقع  
 فى عقاب الله الذى هو معلوم بالشدة أحب ان يفترق بجميع ما فى الدنيا من  
 محبوباته التي لا يبقى له منها عن قريب أثر شيء منها وكل ذلك وأنت تربي به  
 من أنك فاستعمل ذلك حبيبي فإنه لا غناء لك من صلاح نفسك واكتساب  
 ما عند الله وانك من أعظم من يقبل النصيح تواضعاً لله الذى خلق وأحى واليه  
 المرجع وقد وعد وأوعد كما قال تعالى «وذكر فان لذكرى تنفع المؤمنين» فليس



بعد الله شيء ولا أصدق من قوله وانك من أخص المؤمنين الذين يستمعون  
القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هدىهم الله وأولئك هم أولوا الالباب  
وفقنى الله وإياك والمسلمين لما يحب ويرضى فاذا بلغتك جوابي هذا فاما أن  
تهاجر أنت ومن معك من الاصحاب المحبين ومن يطالب ما عند رب العالمين  
من غير نظر الى علاقة وإما ان تحاصروا الخرطوم وتجاهدوا من اغتر بزينة  
الدنيا ومتاعها عن الصدق مع الحي القيوم حتى نأتيكم ولا رضاء لنا عنكم الا  
بهذين الامرين فاذا فعلتم رضينا عليكم وأنت تعلم انه لا يتحول أحد بغير الله  
فلا تخافوا أعداء الله الذين هم نواصيهم بيده واستعملوا أمر الله فيهم فانه أحق  
ان يخشى ولا تأبوا بلاء الله لكم لتصفية الايمان والنور عند الرحمن فالى  
متى الفرار من بلاء الله تعالى الذي فيه لكم الفخامة والكرامة فقد قال الله  
تعالى « أم حسبتم ان تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل الذين خيلوا من قبلكم  
مستهم الباساء والضراء وزلزلوا » الي غير ذلك من كلام الله في هذا المعنى فلا  
تطلبوا الراحة وترف المترفين في دار الظالمين وكل ذلك ذكرتك به لانك  
أهل لذلك وممن له الصداقة مع رب العالمين والسلام اه

وفي اوائل شهر صفر سنة ١٣٠١ قامت عصابات من اتباع الشيخ العبيد  
وقطعت اسلاك التلغراف بين الخرطوم وبربر فارتاع لهذا الحادث وكيل  
الحكمديرية وارسل وفداً برئاسة أحمد بك على جلاب مدير الخرطوم وسر  
التجار وثلاثة من الاعيان ولما دنا رجال الوفد من ام ضبان قابلهم اتباع  
الشيخ العبيد بالشم والسباب وقالوا لهم لماذا جئتم يا كفار الله اكبر عليكم فلم  
يجابوهم بشيء بل دخلوا على الشيخ العبيد الذي قابلهم بالحذر الشديد وقرأ  
عليهم ما كتبه له المهدي فقالوا له نحن عازمون على التسليم والدخول في طاعة

المهدي والمخابرة دائرة بيننا وبين مصر وفتح اسلاك التلغراف يعطل هذه  
المخابرات وكرروا عليه الرجاء بوجوب التصريح باعادة اصلاح ما تلف من  
تلك الاسلاك فاجاب الى ذلك وعاد الوفد الى الخرطوم وارسل وكيل  
الحكمدارية سفينتين بخارتين عادتا بعد اصلاح التلغراف  
وعلى اثر هذه الحادثة سقطت هيبة الحكومة ستوطا نهائيا من قلوب  
القبائل المجاورة للخرطوم وعدوا ذلك ضعفاً وهنأوا مزيد عليهما لحقا الحكومة  
وما اتصلت الحادثة بالمهدي حتى ايقن بما عليه الحكومة من الضعف الذي  
يجعل وقوع الخرطوم في قبضته ضربة لازب وفي غضون ذلك كان محمد بن  
البصير داعية المهدي في الجزيرة قد استفحل أمره ودانت بطاعة المهدي على  
يده أكثر قبائل الجزيرة وبلدانها

ولما أذن الشيخ العبيد للحكمدارية في اصلاح ما تلفه جماعته من الاسلاك  
التلغرافية قامت عليه قيامة الداعية ابن البصير وشدد عليه النكير وكتب الي  
المهدي يعلمه بان الشيخ العبيد مذنب بطن الولاء للحكومة ويخذع المهدي  
فكتب المهدي له كتابا جعله آخر خطاب وكتب الى جماعته يستميلهم اليه وهذه  
صورة ما جاء الكتابين

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

الحمد لله الوالى الكريم والصلاة على سيدنا محمد وآله مع التسليم وبعد  
فجزيل السلام من عبد ربه الواثق بمولاه محمد المهدي عبد الله الى حبيبه  
العبيد بدر وكافة من كان لله وبذل نفسه في نصره الدين من عباده المؤمنين  
أما بعد فالذي نعلمكم به أيها الاخوان أنه تكررت منا اليكم المخاطبات  
والانذارات والمواظم المكررات التي يهون في جنبها ارتكاب كل صعب

شديد في طاعة الملك المجيد وقد كنا نعدكم للنائبات التي تزل من عدم الصبر  
عليها أقدم انثقات لتمير بواطنكم واوقاتكم بذكر الله ودلائلكم لحق الله  
وعكوفكم على قدم الصدق لذي تنافس فيه أهل الله وحزبه واتم أهل دراية  
ومعرفة وقد علمتم ان القلب اذا خلا من غير الله يمتلئ نورا ويفيض منه  
الى خلق الله ولا شك ان الرباني المتمسك بالله كاهنكم شأنه هكذا وسيماه  
وعلامته هي عدم الخشية من أحد غير الله والى الآن انتم معدودون عندنا  
لاجل ذلك وقد بلغنا عنكم عدم الاهتمام والقيام لنتال الكفرة حيث ندبكم  
محمد بن الطيب البصير لذلك فتخلفتم عن اجابته وما كان لكم أن ترغبوا بانفسكم  
عن الله ورسوله وتشاركوا المتخلفين عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فاي  
عذر لكم بعد أمر الله ورسوله وأمرنا هذا وإن كنتم في أشد البلياء فان  
الدين بالبلوي يزيد تجملا ولا يعرف الذهب من الزيف الا بحرقة في النار ولا  
يرغب عن ملة ابراهيم ومحمد عليهما الصلاة والسلام الا من سفه نفسه  
وما أراكم أن ترضوا بذلك لكونكم عندنا من الاخير فاطلبوا ما عند الله  
فالبدار البدار وتوبوا مما توقفت لاجله فانه لا شيء يمتد به ويستحيي المؤمن  
اذا وقف بين يدي الله تعالى وينكس رأسه ذليلا منكسرا حيث آثر الغير  
على محبة الله وتأنى من طالب الله لاجل شيء ظنه عن درا وتوانى عن نصره الله  
فيود ان تسوى به الارض من شدة وجهه وخجله من الله حيث انكشف  
له حقيقة حاله عند الله وبعثر ما في القبور وحصل ما في الصدور فاذا بلغك  
جوابي هذا فشمرو وقو عزمك في الله وشد حزام العزم والحزم وتوكل على  
الله واعتصم به وانتصر بالله فنعيم المولى ونعم النصير وبوصول جوابي هذا  
اليك اجمع همك في الله وأرسل لجميع اتباعك وأحبائك وأهلك وعشيرتك في

الله وجاهر في معاداة الكفرة واقطع السكك وبارز بالعداوة ظاهراً وباطناً بالقتل والاسر والرباط والحصار ولا تتوقف ابداً الامر ما ان كنت ممثلاً مصداقاً بمهديتنا افعل ذلك ولا تبال بحكم ما فعل محمد الطيب البصير وان خشيت فانضم اليه وهاجر من محلك الذي أنت فيه واتخذ معه كيد واحدة فلا يكون لك بد عن هذا أبداً فخرض المؤمنين على القتال وسلم نفسك واتباعك من الحساب والسؤال فان من قصد الله ورسوله واقامة الدين يجاهد عدو الله ورسوله ولو مع شاكواى فلا تضر نفسك فلا يكون رضاي عليك الا بفعل ما أمرتك به من أحد الامرين مع عود الافادة الينا عاجلاً لنعلم ما أنت عليه والسلام

ولا تتجاوزنا بغير ما أمرناك به ولا تبسط لنا الاعتذار وها قد أذرنناك ومن بلغه الانذار لاحق له في الاعتذار والسلام

« الثاني » ﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

الحمد لله الوالي الكريم والصلاة على سيدنا محمد وآله مع التسليم وبمسد فمن عبد ربه محمد المهدي بن عبد الله الي احبابه في الله المؤمنين بالله وبكتابه خصوصاً دفع الله تلميذ العبيد ولد بدر وكافة عصبته ورجاله واتباعه اجمعين اما بعد فالذي نعلمكم به أيها الاحباب انه جاء الحق وزهق الباطل وقد علمتم ان خروج المهدي وظهوره كقيام القيامة يتضح فيه أهل الدين والايمان ويكشف عن الصادقين من الاحباب وانتم أبناء الطريقة وخدمتها المريدون لحث الآخرة والمجتهدون فيها وهذه سنة محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم قد ظلمت وايدها الله بظهورنا وأوجب عليكم طاعتنا ونصرتنا في الله لاقامة الدين وترك كل ما ألهي وشغل من مال وبنين وحيث فهمتم ذلك فاتتكم الهجرة

الاولي وكان الله ورسوله والجهاد في سبيله أحب اليكم من كل شيء سواه  
 فيه مجرد وصول جوابنا اليكم صحبة رافعه محمد النائر تحزبوا في الله احزابا احزابا  
 وجهزوا حالكم واستعدوا للقتال والجهاد للكفرة بكل ما أمكنكم وانضموا  
 الى العبيد بدر وبمجرد سماعكم بحلولنا بالبحر الابيض تقوموا بكامل رجالكم  
 خفافا وثقالا وقابلوا الخراطوم بجهتكم التي يقال لها القبّة وحاصروا أعداء  
 الله وضيقوا عليهم فان الله يخزيهم وينصركم عليهم فاني موعود بالنصر والظفر  
 عليهم باذن الله تعالى ولو كنت وحدي فمن تخلف بمد مجيئنا فدمه هدر  
 وماله وأولاده غنيمة للمسلمين يكون معلومكم ذلك وبمده السلام  
 وأيضا كتبنا لوالدكم العبيد بالحصار والجهاد تجاه القبّة للخراطوم وان  
 يساعدكم على هلاك الكفرة فتعاونوا عليهم فان المؤمنين كالبنيان يشد بعضه  
 بالمعض يكون معلوم والسلام  
 وسنعود الي ذكر تأثير هذين الكتابين

## ذكر غارة الشيخ مضوي عبد الرحمن علي ارباض الخراطوم ونهبه الماشية وهزيمته

في أوائل شهر صفر سنة ١٣٠١ جمع الشيخ مضوي نحو الف رجل  
 أغار بهم على الخراطوم ونهب نحو الف رأس من الماشية كانت ترعى خارج الخندق  
 ولما تأثرته الجنود فر الى جهة الجديد على بعد مرحلتين من الخراطوم  
 جهة النيل الازرق ثم انتدبت الحكة مديرية الاواء ابراهيم حيدر باشا في الفين  
 من المشاة المصريين فاجرح من الخراطوم على باخرتين حتي بلغ الجديد فقباله  
 الشيخ مضوي برياته وبنوده فصبر لهم حتي اقتربوا من المربع وأصلام

ناراً حامية فلم يستطيعوا الثبات عليها وولي قائدهم مذءوراً وسقط نحو مائتين منهم قتلى وتفرقوا في القلعة ومنذ ذلك اليوم اختفى أثر الشيخ مضوى ولم يوقف له على خبر إلا بعد أن زحف أبو قرجه وابن البصير وحاصرا الخرطوم من جهة الجريف كما سيأتي ذكر ذلك في مكانه

### ذكر الداعية محمد بن الطيب البصير

تقدم لنا تعريف قرى الحلاوين عند ذكر الشيخ القرشي أستاذ المهدي ونقول الآن كان في الحلاوين رجل اسمه الطيب البصير كان أستاذ القرشي هذا قبل أن يجتمع بالاستاذ الكبير أحمد الطيب بن البشير ناشر الطريقة السمانية في الاقاليم السودانية وكان الطيب البصير ضريراً فسماه أستاذه بصيراً وكان ورعاً تقياً ذا شهرة كبيرة وسيرة حسنة في أيامه توفي في منتصف القرن الثالث عشر من الهجرة الشريفة وله أولاد أرشدهم محمد بن البصير ولما أباد المهدي حملة الجنرال هيكس أرسل الى ابن البصير يأمره بالقيام بدعوته وكان المهدي زوج ابنته فاحجم في بادي الامر وأخذ يدعو الناس سرا ولم يقدر على المجاهرة.

وكان في مدينة ولد مدني رجل سوري اسمه محمد اغا جباره وهو والد احمد جبارة قاضي المهدي الذي ذكرنا خبر قتله يوم واقعة الجمعة بالابيض كان يدعو الناس سرا للمهدي بهذه المدينة

ولما اتصل بالحكمداية هذان الخبران انتدبت احمد بك على جلاب مدير الخرطوم وشددت عليه الاوامر بالقبض عليهما فذهب على احدي البواخر واحاط بالقرية التي فيها ابن البصير وبعد ان قبض عليه أو كما قدم

عليه ابن حبوبه شيخ هذه القرى وعرض عليه عشرين الف ريال على أن يترك ابن البصير فقبض المال وكف عن القبض عليه ثم تابع مسيره الى ولد مدني فافتدى منه محمد اغا جبارة باربعمائة ريال وعاد الى الخرطوم ولم نعلم بماذا اعتذر الى الحكمةدارة

### ذكر واقعة العسكري بالخلالوين

لما وصلت كتب المهدي الي ابن البصير ومعها شي مما غنمه من المصريين في حملة الجنرال هيكس بالابس الضباط ونياشينهم أرسل يدعو قبائل الدباسيين والحوالده وسائر أعيان القرى فاجتمعوا عنده في يوم السوق الاسبوعي فتلا عليهم كتاب المهدي وأمرهم بالمبايعة فبايعوا وخلصوا ثيابهم ولبسوا المرقعات ثم ضربوا طبول الحرب

وكان في السودان عسكري من الجبارة أرسله حاكم الخط ليدعو الصراف الى تسليمه ما قبضه من الضرائب فقام الصراف ولطم العسكري على وجهه ثم أحاط من في السوق بالعسكري وقتلوه وكان الذين في السوق يبلغون ستين ألفاً كلهم غمسوا سلاحهم في الجثة وأخذ من في القرى يهرعون الى السوق كي يغمسوا أسلحتهم في جثة العسكري تفاءلاً بان سلاحهم سينغمس في أجسام كل الجنود ومن ثم أعلنت البلاد كلها دخولها في طاعة المهدي وخلصها طاعة الحكومة

وقال بعضهم ان هذه الواقعة كانت قبل شخوص المدير الى الخلالوين والحقيقة انها كانت بعدها لانه اذا كانت قبله لم تعد الحكومة الى ارساله ولكانوا قاتلوه بدل ان يرشوه

ويقول كثير من الناس ان هذا المدير كان ذا ميل الى المهدي وقد آمنه على ماله وأولاده ووعده بالجزاء الحسن وقد قبض غوردون عليه في غضون حصار الخرطوم واطنه لم يتحقق لديه شيء مما نسب اليه والرجل مات قتيلا يوم سقوط الخرطوم رحمه الله وتجاوز عنه

### ذكر كتاب من المهدي الي الشيخ السنوسي

قلنا ان المهدي نصب خلفاء ثلاثة وسمى كل واحد باسم خليفة أحد الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم أجمعين عدا عثمان بن عفان عليه سحائب الرضوان وانه كان ينوي اهداء هذه الخلافة الى حضرة الشيخ محمد المهدي بن السنوسي وفي سنة ١٣٠٠ كتب كتابا مع الطاهر اسحق من أهالي البلاد الواقعة غربني دارفور الى الشيخ السنوسي يخبره بانه كان ينتظره لاقامة الدين والجهاد في سبيل رب العالمين حتي آتته المهدي الكبري وان النبي صلى الله عليه وسلم اجلس ثلاثة من أصحابه على كراسي خلفائه وأبقي كرسي عثمان بن عفان رضي الله عنه له وقال هذا لابن السنوسي عاجلاً أو آجلاً وقال ان نورانيتك تحضر معنا في حضرات كثيرة ورجا منه القدوم عليه أو القيام بدعوته في جهته والتمارة على مصر . قال الرسول لم يجابوب السنوسي بخطاب بل قرأ كتاب المهدي وقال اني لم ابغ منزلة القبار الذي نار في أنف فرس عثمان بن عفان رضي الله عنه في احدي غزواته مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا جواب عندي على هذا الكتاب ثم أمر الرسول بالعودة من حيث جاء وهذه صورة الكتاب نقلا عن كتاب المنشورات أيضا



﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

الحمد لله الوالى الكريم والصلاة على سيدنا محمد وآله مع التسليم وبعد فن  
عبدربه الفقير اليه محمد المهدي بن عبدالله الى حبيبه فى الله الخليفة محمد المهدي  
ابن الوالى السنوسى فيا أيها الحبيب الواقف على سنة النبي المرشد المرقى العباد  
الى مقام التقريب قد كنا يا حبيبي ومن معنا من الاعوان نتظرك لاقامة  
الدين قبل حصول المهديه للعبد الذليل وقد كاتبناك لما سمعنا باستقامتك  
ودعايتك الى الله على السنة النبوية وتأهيبك لاهياء الدين بان نصير اليك  
ونجتمع معك فلم ترد الينا المكاتبه وأظن عدم وصولها اليك حتى انى ذا كرت  
جميع من اجتمعت معه من أهل الدين والشيوخ والامراء المعينين فابوا ذلك  
لهوان الدين عندهم وتمكن حب الوطن والحياة فى قلوبهم وقلة توحيدهم  
حتى بايموني الضعفاء على الفرار بالدين واقامته على ما طلب رب العالمين  
وقنعت نفوس من بايعنا من الحياة لما يرون للدين من الميات ولا زال المساكين  
الذين لم يبالوا فى الله بما فاتهم من المحبوب يزدادون وفيما عند الله يرغبون  
حتى هجمت المهديه الكبرى من الله ورسوله على العبد الحقير والله هو الفاعل  
المختار الذى هو على كل شيء قدير فامرني رسول الله صلى الله عليه وسلم ان  
اكتب بها الشرق والغرب من غنى أو فقير فصدق بها من أراد الله سعاده  
وكذب بها الاشقياء وصاروا فى النكير مع ان النبي صلى الله عليه وسلم قد  
خلفنى بالمهديه مراراً بالجلوس على كرسيه والبسني سيفه بحضرة الخلفاء  
والاولياء والاقطاب والملائكة المقربين والحضر عليه السلام وأعلمت انه  
لا ينصر على أحد بعد إتيان سيف النصر الى من حضرته صلى الله عليه وسلم  
ولا زال التأيد من الله ورسوله يزداد وأنت منا على بال حتى جاءنا الاخبار

فيك من النبي صلى الله عليه وسلم انك من الوزراء لي ثم لازلنا نتظرك حتي  
 أعلمنا النبي الحضرة عليه السلام باحوالكم وما أنتم عليه ثم حصلت حضرة عظيمة  
 عين فيها النبي صلى الله عليه وسلم خلفاء خلفائه من أصحابي نجس أحد أصحابي  
 على كرسي أبي بكر الصديق وأحدهم على كرسي عمر وأوقف كرسي عثمان  
 وقال هذا الكرسي لابن السنوسي الى أن يأتيكم بقر أو طول وأجلس أحد  
 أصحابي على كرسي علي رضوان الله عليهم أجمعين ولا زالت روحانيتك تحضر  
 معنا في بعض الحضرات مع أصحابي الذين هم خلفاء خلفاء رسول الله صلى الله  
 عليه وسلم واعلم وان كان لا يخفى عليك ان المهدي كعلم الساعة لا يلمها على  
 الحقيقة الا الله كما بينه المحققون كالسيد احمد بن ادريس فانه قد قال كذبت  
 في المهدي أربع عشرة نسخة من نسخ أهل الله وقال سيخرج من جهة لا يعرفونها  
 وعلى حال ينكرونها وكذلك قال محيي الدين في بعض تفاسيره الى غير ذلك  
 من أقوال المحققين ولا سيما وان المهدي لا تدعي لكثرة أعدائها وقوتهم وعلى  
 انها لما ظهرت أنا بين أظهرهم في أشد الضعف والقلة فلولا انها من الله  
 تعالي لما مكثنا في الدنيا يوماً واحداً من شدة قوتهم وضعفنا وهم محتاطون  
 بنا من كل جانب فالتقي الله في قلوبهم الرعب وصيدهم بالحية وقد أمرنا  
 النبي صلى الله عليه وسلم بالهجرة الى جبل بالغرب يقال له (قدير) بلصق جبل  
 يقال له ماسه فجمعوا جمعهم الينا صرراً فقتلهم الله وأحرق جلودهم بالنار  
 يرى ذلك الخاص والعام علامة لشقاوة من أنكر مهديتي وقد أعلم صلى الله  
 عليه وسلم ان من شك في مهديتي كافر وكررها ثلاثاً وصراراً يقول من أنكر  
 مهديتي ومن خلفني فابي أمرى كافر فمن أراد الله له السمادة صدق بمهديتي  
 ومن لا جعل الله له شكوكاً وشبهها تصده عن الايمان بمهديتي فيخذله الله في

الدنيا قبل الآخرة الا من أراد الله تعالى له الهداية بعد فاذا بلغك جوابي هذا  
اما ان تجاهدني جهاتك الي مصر وجهاتها أو تهاجر اليها والسلام ه رجب

سنة ١٣٠٠

وكان الناس متشوقين للوقوف على ما يجاوب به السيد السنوسي ولما لم  
يملن شيئاً من ذلك تداول الناس ما نقلناه عن الرسول وأمسك المهدي عن  
الكلام في شأن السنوسي حتى كانت أيام الخليفة التعايشي فصعد المنبر في ذات  
يوم وقال ان المهدي أخبره بان خلافة عثمان أمرها مفوض له وانه ان شاء أبقاها  
للسنوسي وان شاء أعطاها غيره وكان يقصد بهذه المقدمة إعطاء الخلافة  
لاخيه يعقوب أو لابنه عثمان الذي لقبه بشيخ الدين ثم تراى له من أميال  
العامه انه ان فعل ذلك لاقى من تشنيعهم مالا يأمن مغيبته وربما اتخذه البعض  
ذريمة للازدراء باقوال المهدي وحجة لاظهار كذبه وفتريته على رسول الله  
صلي الله عليه وسلم حيث قال في خطابه للسنوسي ان نورانيتك تحضر معنا  
في حضرات كثيرة

وقد كان المهدي يجزم بان السنوسي يقع في حبال كذبه ويسقط في  
مهواة غدره نخاب ظنه ولم يعد قادراً على الحوض في أمره بما اعتاده من  
تكفير كل من اعرض عن دعوته ورغب عن متابعتة بعد الذي شاع عنه من  
الثناء عليه والاعجاب بأمره مما تضمنه هذا المنشور

وتوجد أقوال غير متواترة عن المهدي انه قال ان رسول الله صلي الله  
عليه وسلم أخبره بان السيد السنوسي سيموت قتيلاً بسيف دعوته وانه طرد  
من الحضرة النبوية منذ أعرض عن دعوة المهدي وهذه الاقوال معزوة  
الى عبد الله التعايشي لانه يرمي بها الي تمهيد الخلافة المزعومة لابنه أو لآخيه

والحاصل ان اعراض السيد السنوسي عن دعوة المهديّة جعل أهالي (واداي) و (باقرمه) وغيرهم من ممالك السودان الغربي أعداءً ألداءً للمهدي ودعوته وسيأتي ذكر حروبهم للمهدوية وقيامهم لمناجرتها في السودان الغربي وعلى ذكر ممالك السودان الغربي نقول ان أميراً من أمراء بلاد (فلاته) اسمه عثمان بن محمد فوديه كتب له المهدي كتاباً قال فيه ان النبي صلى الله عليه وسلم بشره بانّه يكون وزيراً من وزرائه وانه يحضر معه في الحضرة فاجابه بكتاب طويل قال فيه انه كان حاضراً معه في حضرة فيها جميع الانبياء والمرسلين والملائكة المقربين وان النبي صلى الله عليه وسلم أمره بطاعة المهدي ونشر دعوته في السودان الغربي فسر المهدي بهذا النبأ ولكنه صادف مقاومات عنيفة من السيد السنوسي وكل ملوك السودان الغربي الزمتسه بترك هذه الدعوة والتبرأ منها بعد ان اتصل به نبأ موت صاحبها

### ذكر فخر الدين مدعي الخلافة

كان لنجاح المهدي وانقياد الناس له وتصديقهم لما جاء به من الاباطيل والحزبيلات وقع سيء عند كثير من رصفائه والذين على شاكلته وبدت عليهم علامة الندم على ما فاتهم من الفرصة لان منهم من كان مشهوراً بالصالح وحوله من الاتباع ما يربو على شهرة المهدي وعدد اتباعه

وكان جماعة من المشايخ يكتبون له أنهم رأوه في الحضرة وشهدوا جلوسه على كرسي النبي صلى الله عليه وسلم كما يزعم ويزيدون على ذلك انه صلى الله عليه وسلم أمر باعطائهم كذا وكذا أو بولايتهم على بلاد أو بتبويئهم مناصب من مناصب الخلافة فكان هو يقابل كل هذه الدعاوى بالتكذيب وعدم

التصديق ويقنع منتجليها بان الحضرات والاجتماع بالنبي صلى الله عليه وسلم لا تكون لغيره البتة وانه لا ولاية ولا كشف في زمانه وانه خاتم الولاية كما انه صلى الله عليه وسلم خاتم الانبياء صلوات الله وسلامه عليهم اجمعين وقد حذر ارباب الطرق ومنهم من اعطاء اليهود وابطل اجتماعهم واذكارهم ومن فعل ذلك منهم نكل به شرنكيل وما ذلك الا ليتفرد بالسلطة المطلقة في الامور الدينية والسياسية

وبعد مقتل الشيخ المنه بايام ادعي غلام من اولاد المشايخ المشهورين ان النبي صلى الله عليه وسلم اخبره بانه خليفة الخليفة عبد الله التمايشي وانه سمع هاتفاً يقول له انا جعلناك خليفة في الارض فاحكم بين الناس بالعدل. فاجابه المهدي بخطابين فيهما أن الخليفة عبد الله التمايشي هو في باطن الامر المهدي وفيه أن الحضرة عليه السلام رأي الاولياء مجتمعين في بيت المقدس يستبشرون بظهور المهدي ووزارة عبد الله التمايشي له وأن الشياطين يقولون كنا نعيش بالمر والخداع والآن لنعيش لنا لان المهدي ظهر ولو أشير بالخلافة لغير عبد الله لوجدنا في المهديّة دخولا وفي الكتاب الثاني تاويلات لما رآه مدعي الخلافة وهما في صورة ماجاء الكتابين نقلا عن كتاب المنشورات

« الاول » ﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

الحمد لله الوالى الكريم والصلاة على سيدنا محمد وآله مع التسليم وبعد فن العبد المقتدر الي الله محمد المهدي بن عبد الله الي حبيبه نحر الدين حسن فقد بلغنا جوابك وتولناه وفهمناه وذلك مطلوب كل مؤمن شفيق ومن ينيب الي الملاء الاعلى وأحسن الرفيق وقد بلغنا عنك مرارا وتكرارا من الواردين

والمرتدين وبعض من أهل العيان أنك قد نظاهرت للناس بالخلافة وتحكيها  
 عن النبي صلى الله عليه وسلم مع ان الله أظهرنا رحمة للامة وجعل هذا الامر  
 منوطا بنا ومتوقفا علينا وأيدنا على ذلك بما لا ينكره الا كافر والحمد لله اذ  
 جئت منيبا بلا سيف فخرجوا الله علي جوابك هذا ان يزبل عنك كل حيف  
 ولكن حبيبي ان المؤمن المؤثر ما عند الله بسبب ايمانه لا بدان يتليه الله تعالى  
 على صدق ايمانه فان كان ما ادعاه من الايمان حقيقيا صبر ورضى واحتسب  
 أجره على الله حيث ان النصيب نصيب الآخرة قال الله تعالى «أحسب الناس  
 ان يتركوا ان يقولوا آمنا وهم لا يفتنون ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله  
 الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين» وحيث انك كاتبتنا بادعاء الحلة المطلوبة في  
 الايمان فاعرض على عبد الله الذي جعله النبي صلى الله عليه وسلم خليفة أبي  
 بكر الصديق وأجلسه على كرسيه في أول تأييد المهديّة وتواتر بذلك التصديق  
 الي ان أظهر الله الدين بموازرتة وقد أنانا خبير من الحضر عليه السلام ان  
 الاولياء اجتمعوا في بيت المقدس يقولون الحمد لله الذي أظهر المهدي وجعل  
 عبد الله وزيره وثم وجد اجتماع الشياطين وهم مهتمون يقولون كان عيشنا  
 بالفش والمسكر والحداع والكذب فأتى المهدي وقطع علينا عيشنا ولولا ان  
 عبد الله وزير له وكان الخليفة غيره لكننا نجد في المهديّة دخولا فالآن أعرض  
 عليه قبل وصولك الينا فان كان صدقا يتضح وتصبر وترض فيما يحكم به  
 عليك ثم بعد ذلك تلاقيني بالعفو والرضى وتكون من أصحابنا المقربين  
 والسلام ٢ شوال سنة ١٣٠١ « الثاني »

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

الحمد لله الوالى الكريم والصلاة على سيدنا محمد وآله مع التسليم

وبعد فمن العبد المقتدر الى الله محمد المهدي بن عبد الله الى الاخ في الله  
 نخر الدين ان أمر الخلافة من الله ورسوله الذي عرض لك كما كاتبنا بذلك  
 وقلنا لك لما تأتينا نبين لك معني ذلك وانك اذا كنت سمعت هاتفا من قبل  
 الله باناجملناك خليفة في الارض فهو أن الله جعل كل أحد خليفة عن آباءه وكل  
 قرن خليفة عن القرن السابق قال الله تعالى « ثم جعلناكم خلائف في الارض  
 من بعدهم لننظر كيف تعملون » وقال تعالى « هو الذي جعلكم خلائف في الارض  
 فمن كفر فعليه كفره » ونظائر هذه الآيات كثيرة وأما قوله جعلناك خليفة في  
 الارض فاحكم بين الناس بالحق فبعد أن عرفت ان الخلافة مجرد الوجود في  
 الارض بعد موت اهلها السابقين وقوله لتحكم بين الناس بالحق هو قوله صلى  
 الله عليه وسلم كلكم راع وكل راع مسئول عن رعيته فالرجل راع على أهل بيته  
 وأولاده يحكم بينهم بالحق ليزيل عنهم الفساد ويدلهم الى رب العباد ويكون  
 لهم خيرا ما فيكون إما ما لهم كما تعالى « ربنا هب لنا من ازواجنا وذرياتنا قررة  
 اعين واجعلنا للمتقين اماما » فقرة الاعين من الأزواج والذرية هم المتقون وابوهم  
 امام لهم في تقوى الله وطاعته والقيام بالحق كما سبق في الحديث الآنف ذكره  
 وأما الرؤية النبوية اذا تحققت في كونك خليفة عبد الله فهو أن عبد الله دال  
 لجميع الخلق الى الله وهو خليفةنا على ذلك وانت خليفة على أهلك وذريتك واما  
 عبد الله في الباطن فهو المهدي لانه أول دال الى الله في آخر الزمان وانت خليفة  
 على أهل بيتك وذريتك فهذا بيان ما أشكل عليك وطلبت بيانه منا والسلام  
 ٤ شوال سنة ١٣٠١

وبعد اطلاع مدعى الخلافة على الكتابين قدم على المهدي فقبض عليه  
 التعالشي وسجنه حتى مات واحجم الناس عن ادعاء مثل هذه الخزعبلات

وتركوها للمهدي الذي يزعم ان ظهوره أغلق أبواب المعيشة في وجه الشياطين  
 واهمهم لالكونه المهدي بل لانه اكذب منهم ويفوق عليهم في المكر والخداع  
 وعن النكات المضحكة اني كنت أقرأ هذين الكتابين على أديب مصري  
 فقال لي ان صح هذا الخبر فلا بد أن يكون الشياطين رأوا المهدي قد فاق  
 عليهم في مقام الابلاس وتولي غواية الناس بما جعلهم يحسدونه على نجاحه

### ذكر جمع الغنائم وعسر بيت المال

كان كثير من الأمراء واتباعهم اخفوا كثيراً من الغنائم ولم يسلموها  
 الى بيت المال فانتدب المهدي كثيراً من الأمراء في كل البلاد التي خضعت  
 له ليجمعوا ما يعثرون عليه في أيدي الناس ويواصلوا التمسك والاستعلامات  
 السرية عن حال الناس ليعلموا من كانت عنده أشياء من الغنائم فتذمر  
 الناس من هذه الحالة فاخذ يطيب خواطرهم باصدار منشورات عديدة في  
 ذم اخفاء الغنائم وتعالى في تلك المنشورات بما لم يعهد له مثيل  
 وقد كان المهدي وقتئذ واقعاً في أعسار مالية شديدة وما في بيت المال  
 لا يكفي نفقاته ونفقات أقاربه الذين كانوا يتناولون من بيت المال نصيباً وافراً  
 اذ كانت أعلى مرتباتهم خمسمائة ريال واقبلها خمسون ريالاً فكتب اليه كثير  
 من القواد والأمراء يعرضون باحمد سليمان أمين بيت المال وأنه يخص أقارب  
 المهدي بالعطايا الوافرة دون غيرهم وكان عبد الله التعايشي المحرك لهذه الحركة  
 لان أمين بيت المال كان لا يساويه في العطاء باقارب المهدي ويمنع أقاربه العطاء  
 فكتب المهدي منشوراً قال فيه انه مجتهد وانه يفعل ما يشاء وكتب اليه بعض  
 الناس بنصوص شرعية عن الواجب الذي يتعين اتباعه في أمر توزيع الغنائم



وقسمتها فاجاب عليها كلها بمنشور نشبته هنا نقلا عن كتاب المنشورات ليقف  
القارئ على مراوغة المهدي وهربه من الحقيقة وبعد المنشور صورة حضرة  
يعظ فيها الناس وان الذين يخفون الغنائم سيصيهم من العذاب ما يقطعهم  
عن صحبتته وكل هذه الاخبار موضوعة على النبي صلى الله عليه وسلم

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

الحمد لله الوالي الكريم والصلاة على سيدنا محمد وآله مع التسليم انه من  
خليفة رسول الله محمد المهدي بن عبد الله إعلاما منه لكافة أمرائه ونوابه  
وجميع عماله في سائر الجهات والاقطار مع جملة الفقراء والفقهاء والعلماء والعمار  
والتجار خصوصا أحبائه وأتباعه المهاجرين والانصار متع الله جميع العالمين  
بها بالنظر الي وجهه الكريم في دار القرار اللهم آمين. أما بعد اعدوا أحبائي انكم  
عندنا من الاصفياء الاخيار الناظرين بنظر أولى النهى والابصار واني قد  
وليت عليكم بولاية الله ورسوله لاقامة الدين وجنتكم داعيا الى الله ومبلغا عنه  
ما حملته اليكم اقفوا آثار من سلف من المهتمين السالفين وعلى نهج سيدنا  
محمد صلى الله عليه وسلم خاتم الانبياء والمرسلين ولم يكفنا الله واياكم باقامة  
الدنيا والسعي فيما هو مضمون وليس من عرفنا الاصفاء الى طلاب الدنيا  
لنأتي لهم بما فات منها ونجتهد لهم في مصالح تديرها فكل ذلك في أم  
الكتاب مكتوب ومختوم وانما قصدنا منكم جميعا المعاونة في تقويم الدين  
القويم واني في ذلك كواحد منكم ولوددت ان لو قام به غيري وصرت من  
جملة اعوانه فما كان الا ارادة الله من تحملي باقامة الدين وقد بلغكم من  
الانبياء والرسل ما بلغكم من اعراضهم عن الدنيا ومباعدة أصحابهم منها مع ان  
الدنيا هي فانية وعند الله لا شيء وانها أهون عنده من جيفة بالية واني دواما

ادلكم على الله وانهاكم عنها وتطلبون الصرف من بيت المال ونسيتم  
 ما دعوتكم اليه حتى حملكم انكم تهيموني بالتعريض بالمخاطبات وتورون  
 بالشيخ أحمد سليمان وانما فعلتم ذلك كي تطلبوا الصرف في زعمكم لاجل اقامة  
 الدين الذي لست أولى به منكم حيث طلبتم الصرف منا لاقامته وتشيدته  
 ولو شاركتهموني في الدين وصرتم فيه مثلي لكان لكم ان لا تطلبوا الصرف  
 مني الا بعد العجز عن الكفايات والجزئيات حيث انكم من جملة المهزين  
 للدين والمطلوب حينئذ ان يكون المؤمن مع أخيه كاليندين تغسل احدهما  
 الاخرى وان المؤمنين بعضهم من بعض والمؤمنون أوليائي وأعواني حيث  
 يقول الله «المؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض» واذا كنتم كذلك فاذا  
 صدق الايمان فلست أولى به منكم بحسب اتصافكم بهذه الشروط وأما  
 بحسب الانفاق فيه فقد أنفق أبو بكر ماله وعمر وعثمان وعلي والزبير وطلحة  
 فناءً لانفسهم وأموالهم في نصرة الدين فقد صاروا لنصرة الدين مع رسول  
 الله صلى الله عليه وسلم كنفسه بل انهم فدوه بانفسهم وأموالهم وأولادهم  
 وأهلهم برضى من انفسهم حتى انهم يفتدون طعنة الشوكة لرسول الله صلى  
 الله عليه وسلم بارواحهم فضلاً عن الغير. أحبائي فانما آتاكم ان تقيموا بي  
 دنياكم وتسالوني عن صلاحها وانما كان سؤالكم لي واجتهادكم معي فيما  
 حملته فقط مع مراعاة ما كان من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم له  
 في كامل أحوالكم وأموركم ومع ذلك لما رأيت انه لا بد لي من اجابتكم  
 فيما طلبتم جعلت لرد ظالمتكم وقضاء حوائجكم اعواناً وتفصل قضاياكم نواباً  
 والجميع من بعضكم البعض فتركتم نوابي وأعواني وفضلتم تهيموني بالتعريض  
 وتسمون أصحابي وأعواني وتؤذونني فيهم وقد بلغكم ان أصحابي كاصحاب رسول

الله صلى الله عليه وسلم وأهل بيتي كاهل بيته وأنتم تعلمون منع ذلك في كتاب  
 الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم فكيف تؤذونني في أصحابي وتقومون  
 قسمة الله تعالى لكم وتطلبون ما لم يكن لكم مع انكم ليس لكم حق  
 ولا نصيب لكم في مال الابيض فطما من جهة كونه غنيمة لانه مما افاء الله  
 به علينا لكونها فتحت بغير قتال فماله كله في بيت المال خاصة وانما كان  
 أعطائنا لكم منه من باب النفضل والاحسان فقط وأما بالنسبة الي الصرف  
 فليس لكم فيه حق الا بعد العجز عن الجزئي والسكلي كما ذكرنا وبعدها  
 طهارة السرائر من التكذيب والاحود والانكار وحل عقدة سرائر  
 الاصرار وبعده التجرد معى لاقامة الدين حيثما كان وبعده ذلك الرضا بقسمة  
 الله تعالى في القليل والكثير دون التشوف والتمنى الى ما فصل الله به بعضكم على  
 بعض في الرزق فانها قسمة أزلية كما قال جل من قائل « نحن قسمنا بينهم  
 معيشتهم في الحياة الدنيا » الآية فهو قضاء سبق كما في الحديث القدسي. أحباني  
 انكم بايعتموني على المهديّة وتزعمون انكم مصدقون بمهديتي وتعلمون الوقائع  
 التي حصلت في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم في الجهاد مما فعله رسول الله  
 صلى الله عليه وسلم فمعلوم ان في حنين أخذ أموال كثيرة مما غنمنا من حنين  
 فاعطاه للمؤلفة قلوبهم من أهل مكة وكما لا يخفناكم انه قد بذل لابناء مرضعته  
 حليلة أموالا كثيرة مع ان المجاهدين غيرهم مساكين وضعاف وعطاياهم صلى  
 الله عليه وسلم كثيرة حتى عرفوه بانهم يعطى عطاء من لا يخشى فاقة وذلك  
 كله مع وجود المجاهدين كما تقدم آنفا وما ذاك الا بعلمه صلى الله عليه وسلم  
 وفيما رأي من أحوال الصحابة من الجوع والعري سابقا ومن الضرر الذي  
 لم يحصل على أهل صحبتنا في هذا الزمان فرأى أموال قریش وأموال بني

قرينة والنضير فتمنى ان يكون له شيء من ذلك يزيل به ضرر أصحابه وأهل  
 بيته فقال الله تعالى « ولقد آتيناك سبعاً من المثاني والقرآن العظيم لا تمدن عينيك  
 الى ما امتعنا به أزواجاً منهم ولا تحزن عليهم » الآية فمع انه صلى الله عليه وسلم  
 يري المجاهدين والمساكين أعطى أغنياء من أهل مكة لتأليفهم وضعاف الانصار  
 الذين لم يعرفوا ما حواد رسول الله صلى الله عليه وسلم من التساليف وعود  
 المصلحة على المجاهدين مما أعطاه وغيره من الحكم فانه أولى لهم وقد فعل في  
 الاغنياء ما تعلمون مع انه حاصر هو وأصحابه مدة طويلة وغير ذلك مع انكم  
 في زعمكم بعتهم نفوسكم وبذاتم أموالكم فلم أمسكتوها ولم تسلموها البيت  
 المان ولم تأكلوها وتنفقوها على أنفسكم في إقامة الدين حتي تنفذوها بل  
 تؤخرونها وتطلبون غيرها فانظروا حالكم معي وحال أصحاب رسول الله صلى  
 الله عليه وسلم معه ولكن اقول ان الصحابة رضوان الله عليهم مسلمون لرسول  
 الله صلى الله عليه وسلم فيما يأتي ويذر ويعلمون انه المبين للوحى تفصيلاً وانه  
 عنده من العلم ما لا يعلمونه وأنتم بايعتموني على المهديّة وتزعمون أني خليفة  
 رسول الله صلى الله عليه وسلم فيكم وانى لكم ناصح أمين وأولى لكم  
 من أنفسكم وأندري بصلاح شأنكم وما تعلمون ما ذا أريد ان أفعل فيما بعد  
 في الغنيمة ولا تعلمون ما يعلمه الله مما انطوت عليه سرا تركم أفي الغنيمة  
 استحقاق لكم ولا تعلمون ما أفعله فيها وهذا الكلام كنتم تحكونه لي ولا تحكونه  
 بالجيب أحمد وغيره وأولي ان كنتم انصاراً أن تعاونوني فيما حملت به من أمر  
 الحاق وهذه الغنائم راقدة مدة طويلة اطلب الاصحاب في تفريقها فما وجدت  
 ذاهمة يقوم بأمرها وقسمتها مع انه ورد لي فيها عن النبي صلى الله عليه وسلم  
 فيما يقسم وفيما يخص بيت المال للمسلمين وتعلمون ان كنتم من أهل العلم

الخلاف في كون القرآن ينسخ بالقرآن وبالحدِيث ينسخ القرآن وتزعمون اني  
مجتهد ولو كنتم مصدقين بمهديتي لما اهتممونني حتى تقولوا ما قلتم فانسأل الله  
تعالى ان يمن علينا وعليكم بالثبات على الايمان الكامل فتوبوا الي الله جميعاً  
أيها الاحباب واسلكوا نهج اصفياء الله وأمناء دينه واصرفو وجوهكم عن  
الدنيا وأقبلوا للواحد المتعال ولا تشغلوني بطب الدنيا وكثرة السؤالات  
الخارجة عن مقتضاها وارفعوا حوايحكم الي بالصدق مع الاقبال ولا تعرضوا  
لي بنصوصكم وعلومكم عن المتقدمين فلكل وقت ومقام حال ولكل  
زمان وأوان رجال وقد علمتم ان من صدق مع الله في بيعته في نفسه وماله  
فبمجرد بيعته خرج عن حكم نفسه فضلاً عن ماله فلا يفعل شيئاً بدون اذنا  
ومشورتنا هذا في خاصة نفسه وأما بالنسبة الي ماله وهو تحت يده أمانة الله  
ورسوله حيث بذله لله وصار ملكه لنا فلا يصح له فيه الانفاق في غير اقامة  
الدين خصوصاً الصرف والاسراف في المباهاة كما علمتم والسلام

(ملحق)

وانه أحباني بعد هذه المواعظ والتذكارات وبيان الخيرات والاشرار وبيان  
طريق السلامة وقرب يوم القيامة فمن لم يتعظ ويهتد ويتجرد ويصف من  
الغنائم والاموال من الامراء فليصر عزله مع تجريده جبراً عن ما يضره فان  
الجاهل عدو نفسه كما علمتم انه لما حصل التذكير للاصحاب عندنا في غنائم  
الايض قد أوعدنا بان من لم يتجرد من الغنائم ويصف من عطب الدنيا ويرغب  
فيما عند الله ويتوكل على الله وحده لا تصير له إمامة لكون امارتنا الارشاد  
لما عند الله والخروج من دار الملاهي واذا كان الداعي هالكا وميتا فكيف  
السلامة الاتباع فلانولي ميتا لا يصلح نفسه والسلام

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

الحمد لله الوالي الكريم . والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله مع التسليم . ( وبعد ) سأذكر البعض من الواقعات التي وردت في الغنائم وغيرها باختصار فبعد أن وردت الواردات في كيفية الغنائم وضررها بالايضر حكيت للاخوان حضرة حصلت فوق السموات وكان النبي صلى الله عليه وسلم يطلب الاصحاب فلا يصل الي ذلك المحل الا الاصفياء الزهاد الخالصون من العلاقات الدنيوية وتعطل منها بعض من الاخوان لاجل علاقاتهم فلم يطيقوا الصعود اليها من علاقاتهم فأعلمت بذلك من انقطع بسبب علاقته الدنيوية من الرقيق والاموال فتجرد لله عن ذلك وصعد الي الحضرة المذكورة وهم حصلت حضرة قعد النبي صلى الله عليه وسلم ومعه جمع من المقربين ويجلسني عنده فيما روى ويفرز بيننا عوداً طويلاً أملس كأنه شعبة الخيمة الوسطى التي تقوم عليها وفي رأسها الثمر ويقول صلى الله عليه وسلم هذه الشجرة شجرة الصداقة فكل من له صداقة فليصعد عليها فيصعد عليها قوم ويزاق منها آخرون فلا يقدرزون على الصعود عليها لينالوا ما فوقها من الثمار فكان ما فوقها هو نصيب الآخرة ولا يناله أحد الا بالصدق في الايمان والطاب لما عند الرحمن فأعلمت من تعطل عن ذلك بسبب العلاقات الدنيوية فتجردوا عن ما عطلهم وهم حصلت أيضاً شجرة الصداقة في وقت آخر وطاب الاصحاب بالصعود لنيل الخيرات فوقها فصعدوا الاصحاب الا الذين أكلوا الغنائم فامتألت عليهم سمفاً فكما أرادوا أن يتعلموا بها ليصعدوا فوقها يزلقهم السمغ الذي عليها وبعض من الاخوان الذين عندهم ولم يحضر المذاكرات حصلت له رؤية وكان المذكور قبل رؤياه متأسفاً على فوات مذاكرتنا للاخوان

في كيفية الغنائم والتجرد عنها لمن هي عنده من الانصار قال ولما أعلمني من  
 حضر المذاكرة عزمتم على اخراج ما عندي من الغنيمة وهو أمة وحمارة  
 وقليل من الدراهم قال وبعد عزمي باخراجها ودفعتها لبيت المال أخبره بعض  
 اخوانه بانك كيف تخرج هذه الامة الواحدة التي لا خادم لك غيرها ومن  
 يخدمك ان أخرجتها وأى شيء تركب ان أخرجت هذه الحمارة الواحدة وان  
 قام الامام للسفر لا بد أن تشتري بالجميع جملة تسافر عليه مع المهدي للجهاد  
 قال فطاوعت من ذاكرني من الاخوان بذلك وعزمت على ترك اخراج  
 المذكورات لبيت المال قال فرأيت النبي صلى الله عليه وسلم أتى للخليفة  
 عبد الله يذكره فقال المذكور في نفسه لما فاتتني مذاكرة المهدي فليكن  
 الاسراع مني لحضور مذاكرة النبي صلى الله عليه وسلم للخليفة عبد الله قال  
 فلما حضرت وجدت المذاكرة قد تمت الا اني سمعت النبي صلى الله عليه وسلم  
 يقول للخليفة عبد الله عند فراقه له لاي شيء لم تستوعب أمر المهدي فالذي  
 يأمرك به المهدي كله افعله هذا معنى كلامه للخليفة عبد الله قال ثم أتيت للخليفة  
 عبد الله لاسمع منه مذاكرة النبي صلى الله عليه وسلم فوجدت مع الخليفة بعضا  
 من ملازميه يصلون معه فقطع الصلاة وقال لي أين الخادم أي الأمة التي من  
 الغنيمة فعدم اتيانك بها لبيت المال أنسد علينا صلاتنا قال وقال لي الخليفة  
 عبد الله لاي شيء لم تتجرد من الغنائم أما سمعت قول المهدي انه قال تجردوا  
 فما لك لم تتجرد قال فقلت له ما عندي الا شيء يسير فقال هذا القليل أده لبيت  
 المال ولو قرشاً واحداً ومثل هذا كثير وبعض من الذين لم يتجردوا من الغنائم  
 تحضر لهم تماسيح تمنعهم من حقوق المهدي وأصحابه الصادقين فتغرقه حتى  
 كان أحد من الاخوان عنده ازار من الغنيمة فقبضه تمساح وأوقعه في المهالك

فاستغاث بالله وبرسوله وبالمهدي فأدرکه المهدي خمه ليخرجه بأمسكه حجر  
 لم يتركه يسلم حتي أقسم انه يعطى ثمن الازار نخلص ثم ان المذكور قوم الازار  
 بنحو ستة دراهم أو أقل فدفعه لبيت المال فسار مع الاصحاب وغير ذلك  
 فيأحباني ان السعيد يخلص في الدنيا قبل الآخرة فهناك تسبق الاصفياء  
 ويعطى أهل حطام الدنيا فقد رؤى ان القيامة قد قامت والمهدي مع أصحابه  
 الاصفياء دخلوا الجنة بلا حساب ولا رؤية هول ولا مشقة وأحد الاخوان  
 عنده قليل من المال والله أعلم لم يذكر من قلته خبس من الدخول وصار  
 يصيح ويبكى من شدة الهول حتي خالص بعد نصف ساعة فدخل الجنة  
 والاهوال لازالت على الآخرين فصاروا يتخلصون واحداً بعد واحد على حسب  
 صفائهم وتجردهم من الدنيا فبعضهم يخلص في نصف ساعة وبعضهم بعد  
 ثلاث ساعات الى أن خالص آخر الاصحاب نصف النهار ونصف النهار في ذلك  
 اليوم خمسمائة عام ونصف الساعة نحو الاربعين سنة في ذلك اليوم فن ذا الذي  
 يطيق هذا الهول فيرضى لنفسه مثله بسبب متممة قليلة في أيام قليلة هي في  
 حكم العدم فيرت بسبب ذلك هذا الهول الشديد والسكراب الذي يقف فيه  
 جائعاً عطشاناً نحو الاربعين سنة أو أكثر فتجرد ذلك الاخ الذي خالص بعد  
 نصف ساعة وحتم أن لا يطلب في الدنيا مالا قليلاً ولا جاها مادام فيها حياً  
 حتي يلاقى الله تعالى وهذا وليعلم الاخوان ان من كان مؤمناً بالبعث وقرب  
 الآخرة وحسابها وكثرة خطرها وضررها ورفعة الذين آمنوا وعملوا الصالحات  
 وعظيم فوزهم وملكتهم المقيم الدائم ويعلم شؤم الدنيا وهوانها على الله وشؤم  
 ماتعته من الحسرة الطويلة فليتجر لله لينال جزيل الدرجات ويفوز بدائم الخيرات  
 وليصر من أبناء الآخرة مادام حياً ولا يطلب الدنيا ومتاعها فانها قد انقضت



وهذه الايام آخر أيامها كما لا يخفى صدق ذلك ولا يجتمع للعبد متاع الدنيا ونعيم الآخرة كما ورد أنهما ضربتان وكل مشرق والمغرب فبقدر ما يقرب العبد من المغرب يبعد منه المشرق وروي ان بعضا من الاصحاب الذين اكلوا الفنائم وتمتعوا وماتوا قبل اخراجها والحال انه أراد اخراجها فمات قبل اخراجها انه حبس وعذب ووبخ عليه وقيل له ان المهدي انذرك فبعد انذاره أتريد ان نجتمع لك متاع الدنيا مع نعيم الآخرة ذق العذاب الاليم فلا عذر لك وغير ذلك وفيما ذكرته كفاية لمن له عناية وورد عن الاخوان الذين ماتوا واستشهدوا في حال صفتهم وصدق انابهم لما عند الله انهم تنعموا نهما عظيمة لا تخطر ببال ولا تقاس منها ان بعضهم رؤى في نعيم عظيم وحوور وولدان وفرش وأسرة وقصور وخيم وغير ذلك فيقال له صف لنا هذا الذي أنت فيه من النعم فيقول هذا شيء اكرم الله به عباده الخالصين فلا أقدر ان أصفه ولا أعده فانه لا يوصف ولا يعد وبعضهم يرى ان هبوب الجنة تدخل في مسامه وجميع جسده كاللدخان الذي يخرج من بيت القش فيجد لها لذة أشبه بلذة الجماع ولكن تلك التي في الجنة أحلى وألذ أضاعفا مضاعفة لا تخطر ببال ويلتذ بها بجميع جسده ويسمع لانساء الجنة نعمات لا توصف لذتها وهن يمشين في الهواء كمشين على أرض الجنة فيمشين على وجه الارض وينظرن ويزرن أزواجهن ويقفن معهم في الجهاد ويهلان لهم فان استشهد أخذنه ومضين به الى دار نعيمه وان جرح ولم يستشهد قعدن معه يمرضنه الى ان يموت أو يطيب من الجرح \* وبعض الاصحاب من شهداء وقعة الشلالى يرى في نعيم عظيم وقصور كثيرة فيقول أحد الاخوان الأحياء انكم قد أنزلتم هذا المنزل الكريم وتنعمتم هذا النعيم العظيم فاين منازلنا ونعمنا فيقول لا تشفق فان أصحاب المهدي الصادقين

معهم لهم منازل ونعم كمثل هذا فامض معي لأريك منازلكم فيرهبه منازل عظيمة  
 ونعما نخيمة فيقول متى نلحق بهذا ونخرج من هذه الدار الكدرة المتعبة  
 فيقول له لا تشفق فان أصحاب المهدي يصلون قريبا فيتنعمون بنعمهم هذه  
 وبعضهم يري بعض الكبار الصالحين المتقدمين فيسأله عن مقامهم مع مقامات  
 أصحاب المهدي الذين ماتوا فيقول هيئات فان أصحاب المهدي من علو درجاتهم  
 لا تراهم فهم راقون مرقى عظيما وكثيرا يري أنهم يغبطون أصحاب المهدي  
 ويقولون ليتنا كنا أصحاب المهدي لما يرون من عظيم مكانتهم وفضلهم عند الله  
 تعالى وبعضهم يستشفع بالأصحاب ويقول اطلبوا المهدي أن يجعلني من أخس  
 أصحابه فاني راض برتبة أخسهم وافرح بها ان وجدت ذلك ومثل هذا كثير مما  
 رؤى في الجنة للأصحاب الصادقين فهيا أيها الاحباب ان القدوم الى ما عند  
 الله قريب « اه

وكانت هذه الشدائد في إبان عودة غوردون ويمكنني أن أقول لورافق  
 غوردون لدي عودته جنود يحولون بين المهدي وبين الخرطوم لتحقق  
 امنية عبد القادر حلمي باشا التي تقدم لنا ايرادها وهي ان ثروة كوردفان لا تقوم  
 بحاجبة المهدي وجيوشه اكثر من سنتين ثم يعقبها ضيق شديد ثم تكون  
 النتيجة انفضاض الناس من حوله وتكاثر الانتفاضات عليه من الاهلين وفي  
 ذلك القضاء عليه وعلى دعوته قبل تمكنه من الاستيلاء على السودان برمه

ذكر بنات محمد بن الحجاج احمد ام برير

لا هالي السودان عادة من اقبح العوائد واشنعها وهي ان الرجل يقدم  
 ابنته أو من له الولاية عليها الي من شاء هدية يطؤها المهدي اليه كملوكة

يمين ولا حرج عندهم من هذه العادة بل يتفاخرون بها وهي شائعة عن  
الجمليين أكثر من غيرهم وفي الغالب يقصدون بها الزاني من حاكم ذي سلطة  
يرجى نواله ويتقى وباله

وقد قدم كثير من أعيان السودان بناتهم كمحظيات للمهدي وخلفائه  
وقواده حتى بلغ عددهن نحو مائة ومن هؤلاء محمد بن الحاج أحمد أم بربر  
ابن أخي الياس أم بربر فانه قدم بناته الثلاث هدية للمهدي وقال له على رؤس  
الاشهاد تتمع بهن ياسيدي الامام المهدي المنتظر فاني اهديتهن لك وملاكتك  
ياهن فاجابه قبت منك وانما لا يجوز الجمع بين الاخوات فقال له كيف  
لا يجوز وانما قد وهبت لك المتعة من فاعاد عليه المهدي قوله لا يجوز فانظر  
الى جهله المركب وتفريقه العمياء بين حرامين كأن وطأ الحرة بملك اليمين جائز  
دون الجمع بين الاختين أو الاخوات

وكان المهدي يتبسم من الضحك وأمارات الفرح بادية على وجهه لانه  
كان يرى أن مثل هذه المنكرات من أدل الدلائل على أن القوم يحبونه وينقادون  
له انقيادا أعمي ويتقربون اليه ببناتهم ولا يلتفتون الي تحريم شرعي كأنهم  
لا يحرمون الا ما حرمه وكأن كل حرام حمله حلال عندهم

ثم قال المهدي للحاضرين مكانكم حتى اختار واحدة من البنات وبعد  
هنية عاد وقال قد اخترت كبراهن فخذ الاثنتين فقال أبوها لا آخذها بل  
اتركهما لتكونا خادمتين لك وما زال المهدي يرفض قبولهما والرجل يلبح  
عليه حتى التفت الى جلسائه فرآى بينهم محمد بن عبد الكريم من اقاربه فقال  
قد وهبت إحداها لمحمد بن عبد الكريم ثم وهب الثانية الى أمين خاتمه عبد  
الكبير بن احمد الكنتاني

وفي اليوم التالي غدا ابوها الي صهره المهدي ودفع اليه كتابا مملوا  
 بالاعذار وبسط الحاجة وسأله في آخر الكتاب مبلغا من المال فاندش  
 المهدي من سخافة الرجل الذي كانه يطلب ثمن بنائه فانصرف الي داخل  
 بيته ووعدته بالاجابة على كتابه فقدمت له المرأة كتابا آخر من ايها وجد  
 فيه ما في الكتاب الاول فلم يطق الصبر وخرج الي مكان جلوسه ودعا  
 بدواة وقلم وكتب الي صهره كتابا موجزا نورد هنا صورته نقلا عن  
 كتاب المنشورات وهي

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

الحمد لله الوالي الكريم والصلاة على سيدنا محمد وآله مع التسليم وبعد  
 فمن عبد ربه محمد المهدي بن عبد الله الي حبيبه وصفيه محمد بن أحمد أم  
 برير وفقه الله للخير ومن معه من الاهل وانجام من ظلمة القبر حبيبي  
 ان المعطي والمانع هو الله كما أن النافع والضار الله والناس اشياء لا قوام لها  
 بقوام ولا نجاح والمعلوم ان الجثة قيامها وحركاتها وتصرفاتها بالروح والروح  
 من أمر الله واذا أخذ الله سره الذي هو الروح من الجثة وقعت والحركات  
 زالت منها فمن هنا يعلم ان تصرفات العبد هي من الله اذ هي من الروح الذي  
 هو أمر الله كما قال الله تعالي « قبل الروح من أمر ربي » فالؤمن يكون واثقا  
 بالله راجيا ما عنده وخائفا منه فقط لان من نظر التوحيد بالحقيقة لا يري  
 مع الله شيئا من لا إله الا الله. ومن محمد رسول الله المخبر عن الله بمغيبات  
 الآخرة من ان خيرها جسيم والديا لا تزن جناح بموضة وانصرف قلبه من  
 الحسيس الذي هو الدنيا وما فيها الي النفيس الذي هو ما عند الله في الدار  
 الآخرة فاعندكم ينفد وما عند الله باق. هذا وان المبلغ الذي ذكرته ان شاء الله

يصل اليك ولكن لا تقل ان القوام به بل ان القوام بالله وهو ضامن الارزاق وما على العبد المؤمن الا ان يسعى لنصيب الآخرة لانه لا نصيب له في الدنيا ولو كانت تزن عند الله جناح بعوضة لا عطاها المؤمن ولذلك قال الله «ولو لا ان يكون الناس أمة واحدة لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سقفا من فضة ومعارج عليها يظهرون ولبيوتهم أبوابا وسررا عليها يتكئون وزخرفا وان كل ذلك لمامتاع الحياة الدنيا والآخرة عند ربك للمتقين» والسلام

### ذكر نهب اموال التوم شيخ عرب الكبايش

ذكر ناقصة قتل التوم شيخ عرب الكبايش وبعد بضعة أشهر مضت على قتله أصدر المهدي منشورا بأن جميع ما كان يملكه صار حقا لبيت المال فانتدب محمد بن ادريس بن عمه والحاج محمد أبقرجه ومعهم نحو ألفي مقاتل فذهبوا الي ( جبره ) شمال كوردفان وقبضوا على اموال الشيخ التوم ونسائه وأولاده وعادوا الي الابيض وبلغ ما قبضه بيت المال اكثر من عشرة آلاف بدنة من الابل وثلاثة آلاف رأس من البقر ونحو عشرين قطيعا من الغنم وبلغ ما ذبحه محمد بن ادريس والحاج محمد أبو قرجه لغنائمها وغنائم من معها من المقاتلة نحو نصف هذه الاعداد

ولما عادوا الي الابيض وسلموا ما بأيديهم الي بيت المال قدم كثير من رفقائهم تقارير لأمين بيت المال علم منها ان ذينك الاميرين لم يقدموا الي بيت المال غير الماشية والاشياء التي لا يمكنها اخفاؤها وانهما اخفيا كل ذي قيمة من الذهب والنفضة ويقدر ما تسرب الي جيدهما عدا ما تسرب الي جيوب انصارها بعشرة آلاف أوقية من الذهب ونحو عشرة قناطر من الفضة ولا غرابة في ذلك

فإن الرجل كان معروفاً باتساع الثروة وقبيلته الكبابيش أكبر قبيلة في السودان  
وأكثرها ماشية ومالا

ولما استوثق أمين بيت المال بصدق الذين رفعوا إليه التقارير عرض على  
المهدي وجوب التنبض على ذينك الاميرين وارغامهما ليؤديا الي بيت المال  
ما اغتالاه فرفض المهدي العمل بما أشار به أمين بيت المال تطيباً لحاطر  
ذينك الاميرين اذ هو في حاجة لا كتساب مودتهما

وكان من جملة الغنائم عشرة دروع من الحديد قديمة جداً وعدد ليس  
بقليل من الخيول العربية وقسم المهدي النساء جوار وخص عبد الله التعايشي  
بالنصيب الاوفر منهن وأطلق سراح الذكور من اولاده وتركهم في حالة يرثى  
لها من الفقر المدقع يسألون الناس في الطرقات وأبواب الدور ولا يجدون  
من يمن عليهم بكسرة خبز غير افراد قليلين من المصريين وكلما رأهم أحد  
من الدراويش يقول انظر واكيف صارت عاقبة ذراري الكفار الذين لم يصدقوا  
بالمهدي ويؤمنوا بدعوته ومات اكثرهم جوعاً في الطرقات وسيأتي بعد ذلك  
ذكر مصادرة أموال قبيلة الكبابيش وفنائها عن بكرة أبيها والدوام لله وحده

### ذكر قدوم الشيخ الحسين زهراء علي المهدي

الشيخ الحسين زهراء من قبيلة صغيرة تسكن قرية قريبة من «الخلاوين»  
عند مكان يدعى «وادي شعير» فأرق بلاده في نحو العشرين من عمره ولحق  
بالقاهرة ومكث فيها اكثر من سبع سنين كان يتلقى العلوم في خلالها  
بالازهر المعمور وكان ذذكاء مفرط وقريحة وقادة قل ان توجد بين  
السودانيين حتى قال مشايخه انه نابغة في العلوم المقولة والمنقولة مما خلافاً لمواطنيه

من الطلبة السودانيين وتلقى دروساً في الفلسفة والطبيعات زادت قريحته  
 اتقاداً ثم عاد الى بلاده وفتح مدرسة في قريته وانقطع لافادة العلم فافاد  
 فائدة تذكّر

وكان من عادة الحكومة ان تمديد المساعدة لكل الذين وقفوا  
 نفوسهم لتثقيف عقول الاهلين وإزالة جهالتهم مع ان جلهم ان لم نقل كلهم  
 يضررون اكثر مما ينفعون اذهم اغمار لا يعرفون من العلم غير حفظ الفاظ  
 القرآن وقليل منهم من يحفظ متن رسالة ابن أبي زيد القيرواني في فقه  
 المالكية ولم تلتفت الحكومة الي الشيخ الحسين بما تلتفت به الي اقرانه  
 فوغر صدره منها وعظمت سخيمة صدره عليها

ولما ظهرت دعوة المهديّة وتصدى العلماء لدحض حجج منتحلها  
 واظهار تخرس مدعيها كان المتوقع ان يحذو الشيخ الحسين حذوهم وخصوصاً  
 فيما كان من ترهات المهدي الذي يزعم ان النبي صلى الله عليه وسلم جاءه في  
 اليقظة وأمره بتلك الخزعبلات التي جاءت كلها ناقضة لما هو معروف من  
 شريعته صلى الله عليه وسلم وحسبنا ان هذه الدعوي مضادة لشريعة  
 المطهرة فلم يتصد الشيخ الحسين لتكذيبها سيما وقد كان مشهوراً بين الناس  
 بالورع والوقوف عند حد الشرع فجاء امره بالعكس حيث كان يحرض  
 الناس سراً على نصرته وموازرتة وقد ارسل له المهدي هدايا من المحظيات  
 اللواتي أصلهن حرائر مصريات استرقهن المهدي عملاً بقريته التي قال فيها انه  
 صلى الله عليه وسلم اخبره بان من أنكر مهديته كافر دمه مهدور وماله  
 وأولاده غنيمة للمسلمين فوطنهن الشيخ الحسين ولم يتقيده بالشرع كما كان  
 يظن به الناس

ولما ظهر المهدي على حملة الجنرال هيكس وفد عليه الشيخ الحسين  
 فقابله بالخفاوة والاكرام وكان الامل يناجيه بانه سيصبح في دولة هذا المهدي  
 حائزاً لاسمي مرتبة ومتربماً على دست اكبر ووظيفة وما كادت تمضي عليه  
 بضعة أيام حتى رأى ان هذه الدولة تبغض العلم والمتعلمين ولا يتولي وظائفها  
 غير الجاهلين فتولاه الياس مما رأي فنكتب قصيدة طويلة قدمها الى المهدي  
 ظاهرها مدحه ونصحه بوجود اسناد الوظائف الى العلماء وفي القصيدة  
 مغامز كثيرة تدل على ماخامره من اليأس لما رأى ان اكبر وظيفة لدى المهدي  
 مسندة الى أجهل رجل من اتباعه هو عبد الله التعايشي وقد اخترنا ايراد هذه  
 القصيدة برمتها للاطلاع عليها وهاهي بنصها

|                              |                           |
|------------------------------|---------------------------|
| برح الخفا ما الحق فيه خفاء   | وتوالت الآيات والانباء    |
| فالامر جد والقلوب مريضة      | والداء داء والدواء دواء   |
| والحادثات مصاعق بمنابر       | بعظاتها تتواضع الاشياء    |
| والحق أظهر ان يرى بشواهد     | لم لا وقد قامت به الاسماء |
| والشمس في أوج السماء من مغرب | بهرت عليها هيبته وبهاء    |
| والبدر قابلهما فتم كماله     | وتقلدت بعقودها الجوزاء    |
| وذرار أفلاك الملادارات على   | أقطابها فزهت بها العلياء  |
| وتسكملت في كل مجد أبجد       | لما استقام زمانها الاشياء |
| مان ترى الا جميلاً زاهراً    | بهرته في حلل البها زهراء  |
| وسقته من خمر الهوى بعيونها   | ولي شقور شفاهها ليماء     |
| بالآية الكبرى التي بظهورها   | كل الرضي وانجابت الاسواء  |
| مهدي رب العرش منتظر الوري    | والي الولي والاكرمون وراء |



السابق ابن السابقين الى الهدى  
 وبهم تبلج كل غصن مشر  
 تسقى بعذب رائق من أبحر  
 وهى وجاد على الانام بما ترى  
 بشري لنا بظهور مهدي الورى  
 جمعت حذافير الولاء لنا به  
 رفمته منه يد بقدرة قادر  
 بمكانه الامن المؤبد وقته  
 أنم باصر كان من جد القضا  
 وله الاشارة من ألت بربكم  
 ما حالهم ما بالهم لم يسمعوا  
 من يحفظ التنزيل من يدري الذى  
 من يحفظ الاخبار عن أهل النهى  
 ويرد أشكال الامور لشكها  
 ويرى القبيح بداية ونهاية  
 مثل الذى فى بحر جهل ليله  
 لاوالذى خلق النوى وهدي الورى  
 علماء أمة أحمد ناشدتكم  
 أرضي وترضون الضلال بعيدما  
 ويخيب ظني فيكم وعشيرتي  
 ونكون دون الدون من بين الورى

من معشر تجت بهم زهراء  
 بحلاه تزهو روضة خضراء  
 من فيضها ملأ البحور الماء  
 من غيثة الهامى عميم سماء  
 ايه ونعمي بعدها نعماء  
 وعلى الجميع من الامام خباء  
 فوق المباني ما عليه بناء  
 والارض أرض والسماء سماء  
 جار وقد حكمت به الاسماء  
 طوعا له وليس مع العلماء  
 نفسى لهم مما يشين فداء  
 فيه ومن لم يدر ذلك سواء  
 وتمين ذلك فطنة وذكاء  
 ولها عليه من الثناء سناء  
 ويروم أحسن ما الاله يشاء  
 داج وأشرق ما يراه مساء  
 وله وراء مماتهم إحياء  
 ردوا جوابي انكم علماء  
 ظهر الهدى وانجاب عنه قذاء  
 أنتم وتقمع جمعنا الغرباء  
 كتايدي احساننا خرقاء

ردوا علي أعينكم من شامت  
 مهدي أمة أحمد بي لم تذر  
 فنكرت من ذاك كل مقاصدي  
 مالي سواك وليس بعدي من جفا  
 وأرى علي بوقت عدلك دائماً  
 وأنا المصغر بين ظهرائهم  
 لم تعرف الايام قبلك منزلي  
 واستعملتني اليوم في عاداتها  
 أجملت فيما لأري اجماله  
 ومواضع التفصيل دوني شأنها  
 فلسان حالي ألكنته فهاتي  
 جهل الولاة أمت دين محمد  
 وتراكت ظلماتهم بين الوري  
 يا ابن النبي محمد وولييه  
 أنا عبد عبد أستعبد بدمتي  
 مابى استهانوا بل بشرع محمد  
 واماته الجم الغفير مهاجرا  
 فتناولنه من اللثام واعطه  
 واشترط عليهم ماأردت من الهدى  
 رسم ترقرق بالسنا فله الهنا  
 وكسته أثواب الرضا مهدي

لكن أجيدوا فالجواب شفاء  
 خلا يدوم له لدى اخاء  
 فاذا اجمع سوي علاك هباء  
 لكن بذاك جري على قضاء  
 بين الورى تتكبر الاسماء  
 حسبي التصاغر انهم اكفاء  
 ولذلك لم يرفع على لواء  
 فأطعتهن ولى اليك رجاء  
 حقاً ولكن للامور مضاء  
 لعبت بها من دوني الاهواء  
 بعضال داء مالديه دواء  
 وأهيله ماتوا وهم أحياء  
 لما اطمأن لهم ودام ولاء  
 وأمينه ماذا اليك مرء  
 أبدا اليك ولى هنا أعداء  
 فعليه من أثر الدمار حياء  
 وله بماء سمائك الاحياء  
 صنف الكرام فأهله العلماء  
 يهطوا اليهود لانهم أمناء  
 اذ ناله بعد الفناء بقاء  
 تتلو المضرة أختها المرء

فغدا بها يختال في حلال البها  
كم ارتعى من روض دانية الجنا  
طارحتها تحف الكلام فنوعت  
واذا نسيات الصبا دعت الصبا  
ترتاع ان هتفت بها من كوة  
عاش ابن سينا جهده أوصافها  
دقت ورقه وارتقت في سكره  
كيف التواصل والقوى هت السري  
فتزلت حاجتها في سوح من  
وتركتها وكفي لقائي مرة  
تلك الذي جهد الزمان لوصالها  
حتى بالاطاف الميمون مكنت  
فغدا بها متصرفا في أهله  
ودعا بها لله دعوة قاهر  
فأجابه أهل النهى في طاعة  
وديوار من ناوي الهدى منقضة  
حاكت بها يسري الشمال عجائبا  
في نان أيام الدنية عطلت  
في تاسع من رابع في الثامن من  
والله دمر من طغني وأباده  
ولقد تبدد جسمه برماحهم

ولكل شيء شدة ورخاء  
ثمر الرضي تدينه لي وجناء  
تحف الملام وهاجها ادلاء  
لوصالها تنصل الاعضاء  
سجراً لتجديد السلام رخاء  
بشفائه فاذا هي العنقاء  
بلمي شفاه دونه الصهباء  
اذ مسها من ضعفها الاعياء  
بجمولهم تنزل الضعفاء  
اذ لا يدوم مع الزمان لقاء  
وله بذلك غدوة ومساء  
أغراضه منها يد بيضاء  
يعطى ويمنع من يرى ويشاء  
سمعت بعز مكانها العطاء  
سفتكت بها قبل اللقاء دماء  
وسقوفها بين السقوف هواء  
شمالا تفتقه يد عسراء  
بيض المها وجواهر ونساء  
بعد المثين وللأمور مضاء  
حتى تولى قتله الضعفاء  
فكانه من خلقه أشلاء

صالوا به وذويه بين حصونهم  
 شادوه بالحصن القوى وأيدوا  
 في كل مزغال شرارة بندق  
 وكروهم كالرعد بين صواعق  
 الله أكبر أن يرد وجوههم  
 ولجوه عمدا باختيار صادق  
 وقت بدمية أحمد ومحمد  
 فعلوا وما فعلوا ولكن لا بهم  
 وسموا خراطيم الشقا بحوازم  
 نوح الحمام تنوح غير موسد  
 تنشق بعد عبير عنبر مسكها  
 وبنات آرام ترامت من ذوى  
 فصل الطول هناك عن أسيا فيهم  
 وامرر بهم وعلى الديار خفيها  
 واغش القبور بمنحة وهدية  
 واستجوب الاطواد صرعي بينها  
 وتخط خط النار تعرف خط من  
 والنار ترعى في الجسوم كأنها  
 ما النار شأن النار أعجب ما أرى  
 عنها استفد خبرا وكن متبصراً  
 عبر تجل على قلوب ذوى الذكا

في خندق غرت به الاذواء  
 بالنار من في النار فهي جناء  
 رام طوي من في يديه خواء  
 للمسلمين وكل ذلك عداء  
 عن شأنه أو تمنع البأساء  
 ولهم يد في فتك خرقاء  
 مهديهم وجنوده شهداء  
 رام بهم ولهم بذلك سخاء  
 بيض بكت آثارها بيضاء  
 بعد الوساد وعينها وسناء  
 رمم الانام وذا التراب وطاء  
 أوج الملا ما عندهن غطاء  
 ورماحهم في الكافرين رواء  
 ان الديار من الدمار هباء  
 ان القبور ببعضها شهداء  
 ماذا الرغام وفي النفوس اباء  
 مح الهدي لما نهاه شقاء  
 عشب لعمرى ان ذا البلاء  
 تجرى بهم وجسومهم سوداء  
 في أمرها وليعمل منك بكاء  
 إبه وتكسف بينهم ذكاء

أظن تلك كرامة مأنوسة  
 وهدي لدين محمد من يهتدي  
 هم والذي برأ الوري هم لاسوى  
 وفدا النفوس انا فاني دونهم  
 هم كالنجوم هدي وفي الجدوى ندي  
 ماذا الذي نفتاس من أفعالهم  
 مادونهم مرمرى مربرد صادق  
 فسوي خلائف احمد هدي الوري  
 الا الذين غدوا على آثارهم  
 ذلك الرفيق الزمه وآترك غيره  
 واعصم سقاءك بالوكاء من الظما  
 واصب خبيرك في الثرى خوف الثوي  
 واحلل أسيرك هاهنا إن تستطع  
 خفض عليك فلا خطر بترسل  
 وعلى النبي وآله صلي الذي  
 وكذلك سلم ذا العلاما أشدت

لا والذي ضلت به الآراء  
 وبه تخصص في الهدى الخلفاء  
 كل النفوس لهم سوى فداء  
 بي والذي برأ الوري ادواء  
 بل الصدا ما بعدهم اظلاء  
 فقياسهم بسواهم اغواء  
 هل بعد عرش الاستواء بناء  
 كل الانام من الحيور فضاء  
 أهل الولاية والصفاء الامراء  
 ربط الجياد لغير ذاك نواء  
 ماني القضاء امام قصدك ماء  
 بين المنا وخطا الخطا بهماء  
 ماني القيامة للاسير فداء  
 طورا وطورا شدة ورخاء  
 وصل الصلات فطالها العظاء  
 برح الخفا ما الحق فيه خفاء

ولما اطلع المهدي على القصيدة التبس عليه فهمها وتردد في حل معمياتها  
 فدفعها الي عبد الله التمايشي الذي اطلع عليها كاتبه فوزى بن محمود باديه  
 فلم يهتد الي فهم ما أبطنه الناظم وغاية الامر انه قال لعبد الله التمايشي  
 ان الناظم لا يقصد بقوله . جهل الولات أمات دين محمد . غيرك وانه ينصح  
 للمهدي بتولية العلماء وإقصاء الجهلاء ويقول انهم أمناء وأنت وأمثالك خائون

فقبض التعاشي على الشيخ الحسين وزجه في السجن وبعد أيام أطلقه بعد أن قاسي من العذاب أشده وأخذ عليه اليهود بعدم العودة الى مثل هذه النصيحة وقال له في عرض كلامه سبب سلامتك أن تنسي كل ما تعلمته من العلوم وتصير كأنك لا تعرف كلمة واحدة منها وأن تتعلم من علومنا ولا تقرأ من الكتب غير منشورات المهدي لأن كل الاحكام والشرائع التي كانت قبل ظهور المهدي قد نسخت بظهوره فاجاب الشيخ الحسين على هذه الاقوال بالسمع والطاعة

ويذهب بعضهم الى ان الشيخ الحسين كان ذا نظر سياسي أعماه عن النظر الى مفتريات المهدي حيث يري أن المهدي سيثيد دولة وطنية سودانية وحنة الذاهين الى هذا موجوده في هذه القصيدة حيث يقول وتجمع جمعنا الغرباء . وقد جاء هذه التلميح في مقام الاحتجاج على العلماء الذين تصدوا لتكذيب المهدي ونقض حججه الواهية وفيه رمز الى تبرير الوسطة التي انتجت هذه الغاية

وقال آخرون انه يقصد بالغرباء عبد الله التماشي وقومه البقارة الذين خاف عاقبة تمكنهم من البلاد لانهم غرباء وبلادهم واقعة جنوب دارنور وحاصل القول أن القصيدة تحتل تاويلات كثيرة ليس في وسعنا ايرادها كلها وسنعود الى بقية أخبار الشيخ الحسين وقتله قبيل فتح أم درمان

### ذكر اندارات المهدي للشيخ محمد الامين

الشيخ محمد الامين البصير رئيس العلماء بالسودان ولد بصواحي الخرطوم وأصله من قبيلة اسمها ( المحس ) فقد بصره منذ طفوليته وحفظ

القرآن الشريف قبل أن يبلغ الناشرة من عمره وانقطع لدراسة العلوم الشرعية على يد أستاذه الشيخ أحمد بن عيسى الأزهرى تلميذ مولانا الشيخ أحمد الدردير المشهور حيث قضى ثلاثاً وثلاثين سنة في صحبته وتلقى العلوم عليه ثم عاد الى وطنه بالسودان واليه ينسب انتشار العلم في تلك الاقطار وكان الشيخ أحمد بن عيسى بحراً زاخراً في جميع العلوم العقلية والنقلية تقياً ورعاً له قدم راسخ في الصلاح

ولزم الشيخ محمد الامين أستاذه حتى نال من العلوم نصيباً وافراً وظهر عليه النجاح والذكاء فلقبه أستاذه بالبصير عكس الضير ولما ولي جعفر مظهر باشا حكمندارية السودان رفع منزلة الشيخ محمد الامين وعينه رئيساً لعلماء السودان وكان يقول لا يفتى وأمين بالسودان تنويرها بما عرفه من فضله وغزارة علمه في فقه المالكية

ولما ظهرت بدعة المهدي كان أول من تصدى لتكذيبها فالف نصيحة ملأها بالأدلة الشرعية على بطلان مادعاه المهدي وشفعها بأثبات امامة مولانا أمير المؤمنين السلطان «عبد الحميد خان الثاني» وأثبت نيابة المغفور له الخديو محمد توفيق باشا واستنتج أن المهدي خارج على الامام وسرد الأدلة الشرعية التي تدل على رسوخ قدمه في الشريعة المطهرة وسيأتى ذكر تلك الرسالة وغيرها من رسائل العلماء التي ألقت رداً على المهدي في غير هذا المكان

وكان المهدي شديد البغض للشيخ محمد الامين حتى كان يعبر عنه بقوله أعمى البصيرة الذي أضله الله على علم وختم على سمعه وجعل على بصره غشاوة

وقد تبودلت بين الشيخ والمهدي خطابات عديدة كان الشيخ يحضه

النصح فيها ويدعوه الى التوبة فكان يجاوبه بالمعاطاة والاستمالة وهذه صورة  
 ماجاء في كتابين من المهدي له وفي أحدهما يقول ان البيان لا يهدي وانما  
 الهادي هو الله ويقول في الثاني انك لا تجهل ان النبي صلى الله عليه لم يكن  
 أصوليا ولا نحويا «الاول»

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله الوالى الكريم والصلاة على سيدنا محمد وآله مع التسليم وبعد  
 فن عبد ربه محمد المهدي بن السيد عبد الله الي شيخ الاسلام المكرم والاستاذ  
 المعظم الشيخ محمد الامين جعله الله من المكرمين لا يخفى على عزيز علمك وجليل  
 فهمك ان البيان لا يهدي وانما الهادي هو الله تعالى وقد أعلم الله نبيه صلى  
 الله عليه وسلم بان ليس عليه الا البلاغ وانه لا يهدي من أحب واني قد كاتبك  
 لظن الخير فيك وأعلمتك بالحقية التي لا كذب فيها ولست فيها بمتحيل ولا  
 بمتصنع وانما هو الحق الصدق الآتى من الله ورسوله فقد أيدنى الله تعالى  
 بالمهدية الكبرى ومعلوم انه لا يكذب على الله ورسوله الا من لا خلاق له  
 عند الله تعالى ومن يعلم علم يقين ان متاع الدنيا قليل لا يزن جناح بعوضة  
 لا يؤثره ولو أثره على ما عند الله زال كأن لم يكن وأعقب عليه حسرة لا آخر  
 لها فلا يؤثر جاه الدنيا على التقوي والافتداء بالانبياء والاصفياء الا من لا عقل  
 له واني عبد مسكين لا طاقة لي بقوام أدني شيء فلو لا اني على نور من الله  
 وتأيد من رسول الله صلى الله عليه وسلم لما قدرت على شيء ولا ساغ لي  
 ان أحكى شيئا وما أخبرت عن النبي صلى الله عليه وسلم بما أخبرت الا باصر  
 رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد أخبرني صلى الله عليه وسلم باخبار ليست  
 عند الاولياء ولا عند العلماء وقد قال تعالى «ويخلق ما لا تعلمون» وقد جمع النبي



صلى الله عليه وسلم أرواح الذين أنكروا مهديتي من الاولياء العارفين والعلماء  
 العاملين ووبخهم غاية التبويخ وعداد عليهم النعم الدينية والدنيوية والظاهرية  
 والباطنية وما صرف عنهم من البلايا الحسية والمعنوية وقال لهم ما شكرتم  
 نعمة الله تعالى حيث انكرتم مهدياً فلان وقد اعطاكم الله نعماً فما شكرتموها  
 حيث لم تصدقوا بهدياً فلان وفلان هذا قد شكر نعم الله فولاه عليكم واعطاه  
 المهدي فكيف تنكرون حصول المهدي له قالوا تبنا يا رسول الله فقال صلى الله عليه  
 وسلم اطلبوا منه العفو فطلبوا مني العفو فن له سعادة صدق باني المهدي  
 المنتظر ومن لا جعل الله له عوارض تصده عن التصديق بالمهدي لي وقد  
 دلت كرامات على صدق اخباري عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولكن  
 لا تنفع الكرامات والآيات من اراد الله شقاوته وقد اخبرني النبي صلى الله  
 عليه وسلم صراحة ان من شك في مهديتي كفر بالله ورسوله وان من عاداني  
 كافر وان من حاربنى يخذل في الدارين وماله وأولاده غنيمة للمسلمين وليكن  
 معلوماً عندكم اني لا أفعل شيئاً الا باسرة النبي صلى الله عليه وسلم والجهاد الذي  
 حصل للترك فانه أمر من رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخبرني صلى الله  
 عليه وسلم باسرار كثيرة الى آخر فتح البلاد بالدين والسنة وبمض ما يحصل  
 فيها واني منصور دائماً على من عاداني واقسم صلى الله عليه وسلم باني منصور  
 ومنظور من الله تعالى وقد كشف لي يوم القيامة وان الترك الذين قتلهم  
 شكوا للحق عز وجل وقالوا يا الهنا ويا مولانا الامام المهدي قتلنا من غير  
 انذار فاقول يا رب انذرهم واعلمتهم فلم يقبلوا قولي وتبعوا قول علماءهم وصلوا  
 على وحضر شاهداً على ذلك سيد الوجود صلى الله عليه وسلم وقال لهم ذنبكم  
 عليكم الامام المهدي أعلمكم وأنذركم فما قبلتم وسمعتهم قول علماءكم فاقبل

بعضهم على بعض يتلاومون فقال الذين استضعفوا للذين استكبروا والولا أتم  
لكننا مؤمنين وقال الذين استكبروا للذين استضعفوا أنحن صددناكم عن  
الهدى بعد اذ جاءكم بل كنتم مجرمين وأما عدم تسليم أهل الدولة من أول  
الامر فإنها حكمة أزلية ووقت تسليمهم علمه عند الله وفي ذلك اسوة برسول  
الله صلى الله عليه وسلم حيث لم تسلّم له الملوك من أول الامر وقد حصلت  
له صلى الله عليه وسلم وأصحابه مشاق عظيمة ومقاتلات كثيرة مع الاكابر  
وعلماء اليهود والنصارى الذين كانوا يدعون انهم يكونون أول اتباعه صلى الله  
عليه وسلم وكانوا يستفتحون به وكل ذلك وهو صلى الله عليه وسلم خير خليفة  
الله عز وجل واني مقتف أثره ومهتد بنوره وقد أخبر ان اترك لا يظهرهم  
الا السيف الا من تداركه الله بلطفه وقد أخبرني صلى الله عليه وسلم ان الامة  
تهتدى لي بدون المشقة التي حصلت له صلى الله عليه وسلم واتباعه واني مخلوق  
من نور عنان قلبه صلى الله عليه وسلم وبشرني صلى الله عليه وسلم ان أصحابي  
كأصحابه وان عوامهم لهم رتبة عند الله تعالى كرتبة الشيخ عبد القادر الجيلاني  
فان الفضل بيد الله تعالى يؤتيه من يشاء وقد يدخر الله للمتأخرين ما عسر على  
المتقدمين ولكن لا يخفي عزيز علمك ان العلماء ينكرون كثيراً من أمور  
المهدي لانه ليس على معتقدتهم الذين يظنونهم ولانه يخالف مذاهبهم فلهديتي  
من الله دلائل فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر ومما يخبرك بعدم معلومية  
عين المهدي للعلماء اختلاف الروايات وكثرة الاقوال عن أهل الكشف  
والمعلوم ان ما علمه في ازله لا يكون على هذه الروايات الكثيرة وقد وردت  
فيه أحاديث منها المقطوع والموضوع والضعيف بل الحديث الصحيح ينسخه  
الحديث الصحيح كما ان الآيات تنسخها الآيات والتصديق بالمهدية صعب

لا يوفق له الا من أدركه الله بسابق سعادة لانه لا يهتدي الى معرفة حقيقته  
 الا الاولياء العارفون الذين لم يحجبوا عن رؤية نبيهم صلي الله عليه وسلم وأما  
 ما ذكرت في رسالك الى فعلاوم جواب كل كلمة منها في اصابة أمرى لمن  
 أنصف وكننت أردت ان أبين جراب كل كلمة ولكن قد علمت ان الهداية  
 ليست من كثرة البيان وانك ان امعنت النظر بعد تصديقك بمهديتي  
 وجدت جواب ذلك أوضح من الشمس كما علم ذلك كل من صحبني من العلماء  
 على التصديق ممن هو دون علمك في الظاهر ولو علمت حقيقتي لما كنت  
 تكتب لى ما كتبه ولما ومعك الا المماونة نى على ما قلدني الله تعالى فتدرك  
 عمرك فقد مضى ولا تؤثر على اجابتي أهلا ولا مالا ولا جاها لتفوز بالنور العظيم  
 والخير الجسيم ولا تعاون الظلمة بعد هذا فانه لا يخنك ما أحدثوه في الاسلام  
 وقد أخبر النبي صلي الله عليه وسلم فيهم باخبار كثيرة ومثلك تكفيه الاشارة  
 والسلام  
 « الثاني »

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

الحمد لله الوالى الكريم والصلاة على سيدنا محمد وآله مع التسليم وبعد  
 فجزيل السلام من عبد ربه الواثق بمولاد محمد المهدي بن عبد الله الي سلم  
 الشريعة المحمدية المستفيض من رحمة ربه بالعلوم النقية حبيبا وصفينا في  
 الله على المحبة الايمانية الاصلية محمد الامين كان الله في عون ووقفه لمرضاته  
 ولزوم طاعته آمين أما بعد فالذى نعلمك ايها الحبيب ان المتحابين في الله على  
 منابر من نور يوم القيامة وأن من أراد الآخرة سعي لها سعيها وشتمت شمله  
 في الله ليكون من ابنائها وأهلها وبذل جهده في طلبها ليدرك ما فات من أمرها  
 وقد أوتيت من العلم بها وبحقارة الدنيا وخسستها نصيبا وافرا ورجو الله ان

يكون نور العلم معك حجة لك وانى قد عددت وكررت لك الانذارات  
 والمواظ التي تشهد حقيقتك بها وخاطبتك سابقا قبل كل الناس وخصصتك  
 بالحقيقة التي لا شيء بعدها وندبتك الى الاجابة لداعي الله فلم تجب دعوتي ونظرت  
 الى الثقل واللائق المعوقة القاطعة عن الله ولحسن ظني فيك ومحبتى لك  
 في الله وارادنى لك البر واخير الدائم والنعيم السرمسدي والملك الكبير عند  
 الله لم اياس من مخاطبتك ولم اتوقف عن دعوتك لانى مأمور بذلك المنهاج  
 على سلوك قدس الحق ومتابعة النبي صلى الله عليه وسلم فيما جاء به من الله  
 تعالى لارشاد امته وانت جدير بذلك لان احوج ما يكون لك المال اليه  
 وغاية المعرفة بالله اجلال الله وتعظيمه والقيام بامرہ حيثما كان على الراس  
 والعين سيما وانت من اكابر العلماء الوارثين قدم الشريعة المحمدية ومقتدي بك  
 فالى متى ترضي لنفسك التخلف عن اجابة الله ورسوله وترضي لها ان ترغب  
 عن ملة ابراهيم ومحمد عليها الصلاة والسلام حبيبي ان كنت كما ظننت فيك  
 من الايمان بالله واليوم الآخر فالماضي لا يعاد فبوصول جوابي هذا اليك اترك  
 المواطن والمساكن وجهها ولا تنظر لمال ولا ولد ولا اهل ولا احد بل  
 لاتراع الا امر الله ورسوله والمبادرة للهجرة ولرؤية الضر والنفع من الله  
 فقط كما ورد كتابا وسنة ولا تراعى غزارة علمك وكثرة فهمك ولا تستحقر  
 طلبنا لك فعين ما عند الله الذى منه الحول والقوة وبادر لاجابتنا بهمة  
 وشفقة ولا تخش بعدها من عقاب ولا عتاب فانت فى امان الله ورسوله  
 وامننا اذا طاوعت الامر كما ذكرنا فلا ترضى عليك الا بالهجرة فقط دون  
 امر آخر وما اراك ان ترضى بنير ذلك فأحسن بظننا فيك ولا تحوجنا الى  
 خطاب بعد هذا حيث علمت عز منا عليك بالهجرة فلا عذر لك أبدا عنها

حبيبي وقد كتبت لك سابقا جودة فهمك وزيادة فطنتك فيما هو حقيقة بلا  
 تصنع لتجيب الدعوة الي الله وتنتفع قبل الناس ولكن حبيبي تعلم ان من  
 كبر وبلغ الغاية في الكبر عاد الى التسافل الى أن يكون أرذل من كل شيء  
 والصغير لا زال يزداد فلا تنظر حبيبي لكبرك في السن والعلم وصغري في  
 السن والعلم فانك تعلم ان الله يختص برحمته من يشاء ومن له نور ايمان  
 لا يخفى عليه مهدي بنظر نور الايمان وكثير من العلماء الاكابر الذين لهم سابق  
 سعادة رأوا ذلك فرجموا عما كانوا عليه وأتوني نادمين وانك تعلم ان النبي صلى  
 الله عليه وسلم ما كان أصوليا ولا نجويا بل نبيا أميا وخصه الله بخاصية لا يعلمها  
 الا هو مع انه يتيم وبين أميين ولم يكن في آباءه ملك الى آخر ما استنبأ عنه  
 هرقل أباسفنيان ليري به الحقيقة والتأهل للنبوته فعرفها مما أفهمه به ولكن  
 حجه ما تعلمه من الملك والجاه والصيت وحب متاع الحياة الفانية ولم يكن  
 عنه ذلك شيئا كما تعلم ذلك فلا تتوقف لما تظن من قصوري فسلم الامر لله  
 واتقد لتسعد ولا تكن ممن حجه الجاه والمال الفانيان فانقطع عما عند الله  
 ولا تكن ممن حجبه الكبرياء عن التواضع لله والانقياد لاحق فانك تعلم  
 ان علماء اليهود والنصارى كانوا يحبون رسول الله صلى الله عليه وسلم ويستفتحون به  
 فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به خوفا من مفارقة الجاه والرياسة وما يجبي اليهم من  
 الهدايا والقطائف التي يتمعون بها في الحياة الفانية وقد ساعدوا الكفار  
 والمشركين لطلبهم متاع الحياة الفانية ولثلا يزاحموا الفقراء المساكين الذين  
 الذين خرجوا عن الجاه والمال واختاروا ما عند الله لاستحقاقهم لهؤلاء وتكبرهم  
 عليهم وبنظرهم لكبريائهم وجاههم وما يجبي اليهم من متاع الحياة الفانية أظلم  
 عليهم أن ينظروا عزة ما عند الله وان الشاكرين العارفين نعمة الله في الدين

هم الذين اختاروا فراق كل عزيز لاجل ذلك وهان عليهم فراق الوطن والاهل والاولاد والاموال لما ان حدها قريب ليس لها عند الله جدوي وانما يبقى ما اكتسبه العبد مما يقربه الى الله زلفي قال الله تعالى «وما أموالكم ولا اولادكم بالتي تقرّبكم عندنا زلفي» ولئلا يقف المؤمن مع ما ذكر عن ايثار الله وطلبه قال الله تعالى «قل ان كان آباؤكم وأبناؤكم وأخوانكم» الخ واذا أراد المؤمن السفر لطلب الله ورسوله وايثار ما عنده وهجس له الاهل والبنون والاموال كفاه قول الله تعالى «ومن يتوكل على الله فهو حسبه» وقول النبي صلى الله عليه وسلم «اللم أنت الصاحب في السفر والخليفة في الأهل والمال والولد» وان المؤمن يعلم من نور الايمان ودلالة القرآن ان الذي وجه وجهه له هو الذي يخلفه في أهله ولا يخفي عليه حالهم وفضل الله أوسع من فضله عليهم وهو أقدر من قدرته وأدلة ذلك من الكتاب والسنة متضحة ومثلث حبيبي لا يعرف باكثر من ذلك وما تعبت لك في النصيحة الا لارادتي لك الخير والسلام  
ربيع الآخر سنة ١٣٠١

### سقوط شككا وحفرة النحاس

«شكا» إقليم واقع في الصحراء التي بين بحر الغزال ودارفور وسكانه أعراب جل ماشيتهم البقر ويطلق على جميعهم اسم «البقارة» ومنهم قبائل الرزيقات والهبابية وبنو هلبه وغيرهم من قبائل البقارة  
ولما استولى المصريون على دارفور افتح غوردون باشا «شكا» وجعلها مديرية وكانت مملوءة بالنحاسين ولهم فيها شركات تقيم معسكرات يطلق عليها اسم (الديم) أي المعسكر وهي توالي الغارات على بلاد النوبيين والسلب والنهب

وحفرة النحاس بالقرب من شكا جعلها غوردون مقاطعة ووضع فيها  
حامية وفيها معدن نحاس كبير ا تخرجت منه الحكومة شيئاً كثيراً الى عهد  
غوردون ثم أهمل أمره من خلفه من الحكام ونقلت الحامية منها وسيأتي  
ان الحليفة التعايشى اعطني باصره واستخرج منه شيئاً كثيراً من النحاس واكتشف  
معدنا للرصاص ومعدنا للكحل استخرج منهما شيئاً كثيراً

وكان في شكا أخوان نحاسان دنقليان يدعيان محمد وكرم الله كرساوي  
وفدا على المهدي بعد سقوط الأبيض في قبضته وأخبراه بقدرتهما على نشر  
دعوته في «شكا» وحفرة النحاس وبحر الفزال ولما استولي على دارفور أشخصهما  
الى شكا في الفى مقاتل فقد ما عليها وكان بها الصاغ منصور أفندي حسن  
ومعه أكثر من الف جندي جلهم من الجنود غير النظاميين يطلق عليهم اسم  
(الخطرية) أى المتطوعة

ولما صار كرم الله كرساوي على مقربة من شكا كتب الى الخطرية  
يعلمهم بقدمه وسألهم اللحاق به فاجابوا دعوته ولحقوا به واجتمع عليه نحو  
خمسة آلاف مقاتل من الدنقلين النحاسين فكتب الى منصور أفندي حسن  
يدعوه الى التسليم والدخول في دعوة المهدي وبعث له بكتاب من سلاطين  
باشا يجبره بتسليمه للمهدوية وتصديقه بدعوة المهدي وقد كتب هذا الكتاب  
بناء على رغبة المهدي

ولما وقف منصور أفندي على الكتاين توقف عن التسليم في بادئ  
الامر واستشار من معه الجنود وكانوا نحو ثلاثمائة فكرهوا ان يقاتلوا  
جميعاً واتفقوا على التسليم وكتبوا الى كرساوي يسألونه ان يأمنهم على أموالهم  
واعراضهم فكتب لهم بهذا كله واقسم لهم بالايان المغلظة على الوفاء فسلموا

أنفسهم وأسلحتهم فلم يلتفت الي شيء مما اشتراطه على نفسه بل قبض على منصور أفندي ومن معه من الضباط والموظفين المصريين وعذبهم عذاباً ألماً ليدلوا علي أموالهم وأخذ نساءهم وبناتهم غنيمة له ولانصاره ولم يس أحدًا من السودانيين بسوء

ولما دانت له البلاد بالطاعة تقدم نحو حفرة النحاس وضم الي جنده من فيها من النحاسين وأرسل للمهدي بالوف من الأرقاء وبخمس ماغمه من أموال المصريين وبناتهم وأخذ في الأهبة للتقدم الي بحر الغزال

### سقوط بحر الغزال واسر لبتن بك مديرها

بحر الغزال هي البلاد التي تقدم لنا الكلام عليها قبل ايراد حوادثه وكنّت أول حاكم ولي عليها باسم الحكومة الحديوية لما عينني غردون مديراً عليها فأعلنت ضمها الي الحديوية وقد سردت اكثر حوادثها الي خروج سليمان ابن الزبير على الحكومة بها وتولية «جسي باشا» عليها وقتل هذا الخارج له واشياعه واقصاء النحاسين منها

وأقول الآن بعد ان غادر جسي باشا بحر الغزال خلفه في وظيفته موسى شوقي باشا من الضباط المصريين وكان وكيله انكازيا اسمه «لبتن بك» ثم عزل موسى شوقي باشا وخلفه لبتن بك

ولما استولى كرساوى على شكا تقدم نحو بحر الغزال بخمسة آلاف مقاتل أو يزيدون وأرسل الي لبتن بك انذاراً دعاه فيه الي التسليم ومع الانذار كتاب من سلاطين باشا يختلف فحواه عن الكتاب الذي أرسل الي منصور أفندي حاكم «شكا»



وكان مع لبتن بك نحو الف وخمسمائة جندي جاهدوا من « الخطرية » فخذلوه  
ولحقوا بكرغساوي ولم يبق معه غير عدد قليل من المصريين من الضباط  
والموظفين وهبّ الاهلون المبيدوا وعلنوا دخولهم في طاعة كركغساوي ومنعوا  
وصول الاقوات الى لبتن فاضطروا ومن معه من المصريين الى التسليم بعد ان  
استأمنوا كركغساوي فامنعهم ثم قبض عليهم وأذاقهم عذاباً مرّاً واستصفي أموالهم  
وهتك اعراضهم ثم بعث بهم جميعهم أسراء للمهدي

وفي غضون مسيرهم في الطريق استأنس رئيس الحراس بلبتن بك  
واسراليه انه يبنض المهدي ويظن الولاء للحكومة ولا م لبتن بك على خضوعه  
بغير مقاومة فكشف له دخيلة أمره وقال اني لم أسلم الا لما رأيت جندي  
خذلني والتف حول عدوي ولو لا ذلك لدافعت حتى آخر نسمة من حياتي  
وعندي ان الموت أفضل من الوقوع في يد هؤلاء البرابرة المتوحشين

ولما وصل لبتن بك الى المهدي أخبر رئيس الحراس المهدي بما دار بينه  
وبين لبتن بك من الحديث فأسره المهدي ولم يطلعه

ولما سمع لبتن بك بقدم غردون الى الخرطوم كتب له يعلمه بامر تسليمه  
ويشرح له الاسباب التي تقدم لنا ايرادها ودفع الكتاب الي قبلي اسمه  
صالح شنوده كان كاتباً في بحر الغزال

وكان لبتن بك لما قابل المهدي اعتنق الاسلام على يده فسماه

عبد الله

وغادر صالح شنوده معسكر المهدي قاصداً الخرطوم فقبضت عليه  
طلّاع المهدي وأعادوه الى المهدي فاخذ ما معه من الكتب وعذبه حتى اطلعه  
على الحقيقة فزجه في السجن وقبض على لبتن بك وسجنه وبالغ في تمذيبه

ثم أرسل له كتاباً وهو في سجنه يقول فيه ان رئيس الحراس لما أخبره لم  
يلتفت الى اخباره بل كان يتوقع أنه سيحسن اسلامه بعد مواجته له  
وشرح له مسألة القبض على صالح شنوده وقال له انك اذا ثبت في سريرتك  
ورجعت عن غوايتك لا بد ان يأتيني خبر من الغيب عن ذلك ولا بد ان النبي  
صلي الله عليه وسلم أو الأخضر يخبرني بامرئ وبقي لبتن في اسوء عذاب  
وسنعود الى نتمه اخباره حتى وفاته

وكان سقوط بحر الغزال في أواخر شهر جمادى الأخرى سنة ١٠١٠ هجرية  
وهاهي صورة كتاب المهدي الي لبتن بك نقلا عن كتاب المذهورات

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الوالي الكريم والصلاة على سيدنا محمد وآله مع التسليم وبعد  
فمن العبد المفتقر الي الله محمد المهدي بن عبد الله الي عبد الله المسلماني وقاه  
الله السوء وجعله من أهل التداني كان سابقا أخبرنا الاخ الصادق وفي  
العهد الذي جاء صحبتكم من كوردفان بانه أظهر لك انه لم يكن راضيا بالمهدي  
وقصد بذلك الوقوف على حقيقةك فأعلمته بان التسليم الذي حصل منك  
ليس على غرضك وانما هو لعدم الموازر على الحرب لاجل أن العساكر التي معك  
سلمت جميعها وأظهرت النفاق معها وانك على ما أنت عليه من الكفر  
ومراكنة الترك فصفحننا عن ذلك أملا في أنك ان لاقيتنا يصف ايمانك ويتم  
تصديقك وتسليمك لنا بالذاكرة ولما قابلتنا ذا كرتك وأعلمت ان أمرنا هذا  
الهي وان الله اذا أراد أمرا امضاه ولم تنفع في مقابله مدافع ولا جيوش انك لا  
ولا غيرها ولا بواير ولا كافة الحيل اذ انه لا يغلب الله غالب وكل ذلك لتصفي  
معنا سريرتك ويصير لك الحظ الوافر عند الله وتنال سعادة الابد وتكون

من الاصحاب المؤمنين الذين لهم عند الله حسن السكينة العظمى وكل ذلك  
خير لك ابدى حتى ظهرت خيانتك وتصميمك علي النفاق بمكاتبتك لغردون  
واظهارك له انك لم تسلم باختيارك وانك منتظر نجدة الانكياز واظهارك  
له ان جماعتنا اكثرهم مرضي جائعون لا يقدرون على حرب شهر كل ذلك ظهر  
عند ضبط صالح شنوده لحياته أيضا فمن الآن وصاعدا ان تبت من سريرتك  
بينك وبين الله واعتقدت ان هذا السجن لتصفيتك وتجريدك عما يضرك عند  
الله وصدقت مع الله في تسليمك لنا لئلا يبد ان يظهر لنا على سميتك اوباخبار  
من الغيب من رسول الله صلى الله عليه وسلم او من الخضر عليه السلام وان  
لم تبت من سريرتك وبقيت على نفاقك كذلك فبد ان يظهر لنا فتزيد عذابا  
علي عذابك والآخرة أشد عذابا وأشد تنكيلا فان أراد الله بك خيرا يهدك  
وتظهر هدايتك لاتباعنا والصداقه معنا وان أراد الله شقاوتك وعذابك في  
الدنيا والآخرة تصمم علي ما أنت عليه من النفاق ولا تقل ان الهداية التي  
تنفع بادعاء اللسان فان ذلك لا ينفع كما رؤي عليك حين أتيتنا من عدم الصفا  
علي وجهك فان اهتمدت من سريرتك ستري خير الدنيا والآخرة ان شاء  
الله تعالى والسلام ٢٠ محرم سنة ١٣٥٢

### ذكر عودة غردون الي السودان

لما سقطت وزارة شريف باشا وخلفتها وزارة نوبار باشا كانت الحكومة  
الحدوية في ارتباك فقدت معه كل تدبير وذلك انها كانت لاتكاد تقرر شيئا في  
السودان حتى تنقضه قبل أن يمض علي تقريره يوم أو بعض يوم  
وبينا هي في هذه الحالة عرضت عليها الحكومة البريطانية تعيين

غردون باشا بوظيفة حاكم عام على السودان ومنحه سلطة مطلقة . وكان هذا  
المرض في شهر صفر سنة ١٣٠١ هجرية

وفي منتصف شهر ربيع الاول أعلنت الحكومة رفض هذا الاقتراح  
ثم لم تمض بضعة ايام حتى تلقينا من مصادر الاخبار الرسمية نبأ مغادرة  
غردون لوندرة قاصداً القاهرة حيث أمر بتقديم نفسه لجناب السرافن  
بارنج قنصل جنرال انكلترا في مصر

وفي يوم ٢٦ ربيع اول سنة ١٣٠١ كان وصول غردون القاهرة وفي  
اليوم التالي اجتمع بالسرافن بارنج وتلقى منه كل التعليمات التي يجب عليه اتباعها  
في مأموريته

## ذكر العفو عن المؤلف وارجاع رتبه والقباه

ونياشينه اليه ومرافقه غردون الى السودان

قصصت في اول الكتاب ما أصابني من تجريدي من رتبي والقباني ونياشيني  
التي أحرزتها في إبان مرافقتي لغردون في خط الاستواء لما كان حاكماً على  
الاقاليم الاستوائية وقد مضي علي نحو سنة ونصف

وفي شهر ربيع الاول سنة ١٣٠١ جاءني خطابان أحدهما من الجنرال  
وود باشا سردار الجيش المصري والآخر من نوبار باشا رئيس الوزارة  
يرجوني كل منهما ان اقبله في الغد فذهبت الى السردارية وقابلت وودباشا  
فأخبرني ان غردون بعث اليه بتلغراف يعلمه بهزمه علي مرافقتي له في  
العودة الي السودان فأجبتته بأنني مطرود من خدمة الحكومة فقال  
انني لأجهل ذلك ولكن غوردون سيمطالب لك العفو من سمو الخديو

المعظم وختم كلاسَه بلزوم أخذ الالهبة والاستعداد الى السفر فودعته وانصرفت بعد ان وعدته بأخذ الالهبة ثم ذهبت الى نوبار باشا فأعلمني ان غردون بعث اليه بتلغراف كالذي بعث به الى وود باشا وكان حديثه ممي كحديث وود باشا فانصرفت عنه بعد ان أكد عليّ في الاستعداد للسفر

وفي يوم وصول غردون باشا الى محطة سكة حديد القاهرة كانت خاصة بالمستقبليين من ضباط الانكليز وموظفي الحكومة ورجال التشريفات الحديدية ولما وصل القطار الذي كان يقبله استقبل بكل حفاوة وكرامة ولما وقع بصره عليّ تقدم نحوي وصاحني مخاطباً انك يا عزيزي متوجه ممي الى السودان فسردت عليه ما لخصني من التجريد والطارد فطيب خاطري قائلاً سأطلب من الجناب الحديو العفو عنك وارجاع كل ما سلب منك فشكرته ثم قدمني لكل الذين استقبلوه من الانكليز وسرد عليهم تاريخ مرافقتي له في المرتين السابقتين ثم اركبني معه العربة الي منزل وود باشا حيث كان مدعوّاً الي مأدبة هناك وبعد وصولي لهذا المنزل استأذنته في الانصراف بعد ان أكد عليّ في العود اليه في الغد

وفي نحو الساعة التاسعة صباحاً عدت اليه بمنزل وود باشا فقابلني بوجه باش وقال لي اذهب الي نوبار باشا لاستلام الاوامر بسفرك فقلت في نفسي كيف أستلم الاوامر بالسفر قبل صدور العفو وترددت قليلاً ثم امتثلت وذهبت الى نوبار باشا فقابلني بالاكرام واجلسني بجانبه وقال ان غوردون باشا مسافر علي عجل وإنه يرغب مرافقتك له وانني أعطيك راتب ثلاثة شهور كرتب أمير الای ثم انك لا تبلغ بربرحتي أكون قد التمتست من الجناب العالي الحديو العفو عنك وارجاع كل رتبك ونياشينك لك وسأرسل لك

البرآت والنياشين قبل وصولك الى بربر فقلت له لا يمكن ذلك ابدا ولا أرضى بمغادرة القاهرة قبل ان أحرز رضا مولاي الحديو وتحصل على العفو منه فاخذ يراجعني ويقسم لي الايمان المغلظة بصيرورة ذلك لاحالة فلم أقبل وما زال يراجعني وانا مصر على الرفض واخيرا استأذنته في الانصراف وعلامات الغضب ظاهرة على وجهي فقصدت محل غوردون وأخبرته بما جري بيني وبين نوبار باشا فاستاء وقال لي لم يكن اتفاقى مع نوبار باشا هكذا تم ركب عربته قاصداً السراي الحديوية وتقابل مع الجناب الحديو وعرض على مسامعه طلب العفو عنى فاجابه بان هذا مطرود من خدمتى ومعه من هم أرفع منه ومن هم دونه ولا يوافق العفو عنه دونهم فقال له يا مولاي انك جدير بالعفو عنهم كلهم فقال ولكن الظروف غير الجسدية واننى أعطيك ضابطا بدله ولو من ضباط حرسى فالح غوردون فى الرجاء وقال إننى رغبت مرافقة اثنين كانا معى وحضرا معى فتوحات خط الاستواء وهما ابراهيم فوزي وكاتبى محمد بيك التهامى الذى أسفت لفقده البصر مما كان حائلا دون مرافقته لى وأخذ يسرد على مسامع الحديو الخدمات الجليلة التى قت بها معه من رحلة خط الاستواء والخدمات التى اديتها فى غضون ولايته على السودان فوعد الحديو بالعفو عنى فشكره غوردون وانصرف وارسل الحديو يدعو الوزراء للاجتماع عنده

ولما عاد غوردون من السراي الحديوية قص على كل مادار بينه وبين الحديو من الحديث ثم دفع الى كتاباً بالفرنساوية وأمرني بايصاله الى الحديو فى الساعه الثانية بعد الظهر فحملت الكتاب وذهبت الى المعية العثر فى أذبال الحجل وأتص انامل الندم ولات ساعة مندم وتمثل لى ما فرط منى فى ولاء

العرابين بأقبح صورة وزاد عليه تبكيت الضمير حيث تذكرت ما كان من  
الجناب الحديو ونصححه لي بالابتعاد عن المسألة العرابية وتذكيره لي بنعم  
والده على واني ان تابعت العرابين كنت مقابلاً لهاته النعم بالمعقوق والكفران  
فلم النفث الى الذكرى بل انعمت في الفتنة العرابية وكان ما كان حتي كاني  
فقدت العقل وهدمت الرشد ولا حول ولا قوة الا بالله

ولما دخلت المعية السنية وجدت طه باشا ويوسف شهدي باشا جالسين  
في أودة التشريفات ومعهما كثير من الضباط فسلمت عليهم فلم يردوا تحييتي  
وظهر على وجوههم التقطب والعبوس والتفتوا الى محمقين ثم أداروا وجوههم  
يتغامزون على فتقدمت وجلست بجانبهم غير مكترث بشيء مما أبدوه وبعد  
هنية دخل علينا زكي بك تشريفاتي خديو فاندش لرؤيتي بهذا المكان  
ولكنه تجلدوا أخى ما خارمه وحياني قائلاً ( طيبين يامسيو فوزي ) فقلت  
له ( طيبين يامسيو زكي ) وبعد هنية أشار اليّ بالذنو من مجلسه  
وابتدرني بقوله . ألم تعلم يا أخى ان ضباط الثورة المطرودين محظور عليهم  
الحيء الي هنا فقلت نعم فقال وما الذي جاء بك فقلت أقصده التشرف بمقابلة  
الخصرة الفخيمة الحديوية فقال انى اخشى عليك من زيادة الغضب وألح على  
بالعدول عن هذا القصد فشكرته وأخرجت له كتاب غردون فنظر الي  
العنوان وأسرع بإيصاله الي الحديو ثم عاد وقال لي على مسمع من الحاضرين  
ان الجناب الحديو يسلم عليك وبعد خمس دقائق تحظى بمقابلته فاندش  
أولئك الذين لم يردوا تحييتي والتفتوا نحوى رجبون بي بقولهم ( مرحباً ) فلم  
التفت اليهم ولم أرد تحية واحد منهم وقيت في نفسي واحدة بواحدة  
وبعد مضى الخمس دقائق دخلت على الجناب الحديو فوجدته واقفاً

فلم أتمالك نفسي ووقعت على قدميه وأنا أقول ( العفو يا أفندينا ) حتي انحنى  
 علي وأخذ بكتفي وهو يقول ( استغفر الله قد عفوت عنك وردت عليك  
 ربتك والقابك ونياشينك وكل ماجردت منه ) وكررها ثلاثا فوقفت على  
 اقدامي فجلس وأمرني بالجلوس وأخذ يعاتبني وأنا لا أقول له غير « وكان أمر  
 الله قدراً مقدوراً » ثم استدعي خيرى باشا المهردار وقال له اننى عفوت عن  
 ابراهيم بك فوزي ورددت له كل ما سلب منه فدعا له بطول البقاء وأمنت  
 على دعائه وبعد برهة عاد ومعه البراءة والنياشين فوقف الخديوى على قدميه  
 وسلمنى البراءة وقال لى اذهب الى منزلك وتقدم بزة عسكرية لاقلدك  
 النياشين بيدى فذهبت وبعد برهة عدت فقلدني النياشين بيده وجلس وأمرني  
 بالجلوس وقص على فخوي الشهادات الحسنة التي شهد بها غردون عن  
 سلوكى معه في الايام السالفة وأعرب لى عن أمله في نجاح غردون وأوصانى  
 بطاعته وحذرني من مخالفته ووعدني بالالتفات ونوال الخيرات ثم انصرفت  
 شاكرًا بعد ان ودعني بأرق الفاظ المحاملة

ثم قصدت محل اقامة غردون وأنا متقلد نياشيني ومتحل بملابسي الرسمية فاستقبلني  
 بالضحك الذي يشف عن زيادة السرور وأمرني بأخذ الالهة حيث السفر في  
 الساعة التاسعة من مساء الغد من محطة بولاق الدكرور فعادت الى منزلي  
 وأنا مشغول بأخذ الالهة للسفر ومقابلة المهنيين من الاهل والخلان

وقصصت على غردون كل مدار بينى وبين الجناب الخديو من الحديث  
 وكتب الى المالية بصرف مرتب ثلاثو شهور مع نفقات السفر وفي اليوم  
 التالى قبضت المال وتأهبنا للارتحال والحمد لله على كل حال



## ذكر سفر غردون باشا

في مساء يوم ٢٨ ربيع أول سنة ١٣٠١ في الساعة التاسعة مساءً أعد قطار خصوصي في محطة بولاق الدكرور ليقل غردون باشا ومن معه الي أسيوط فازدحت المحطة بالمودعين وفي مقدمتهم نوبار باشا رئيس الوزراء ومعه النظار وقنصل جنرال الدولة الانكليزية وعدد عظيم من ضباط جيش الاحتلال والموظفين الانكليز وبعض من رجال التشريفات الخديوية

واتصل بي ان عبد القادر حلمي باشا تحدث مع غردون يومئذ في شأن مأموريته وقال له انني أتوقع لك شراً مادمت قاصداً السودان بلاجند وأما مأموريته السلمية فاني أجزم منذ الآن بأن المهدي وأعوانه لا يقابلونها الا بالسخرية والازدراء على اني أقول لك لو كان معك الفاجندي فان أخبارهم تصل الي المهدي بغلو كثير وخصوصاً اذا ذاع ان جنوداً غيرهم قادمون لامدادك وفوق ذلك فاني أشك في وصولك الخرطوم سالماً فأجابه غردون على كل ما قاله بقوله ان معي الله وحده وخاطب عبد القادر حلمي باشا الكولونيل ستيوارت الذي ذكرنا انه سافر بمأمورية سرية الي الخرطوم في عهد ولاية عبد القادر حلمي باشا عليها واختاره غوردون لمرافقته بما خاطب به غردون فأجابه انني لأشك في صحة كل ما قلته ولكنني رجل عسكري أطيع أوامر رؤسائي طاعة عمياء لان أقل احجام مني يعد جينا وانني لأرتاب في انني ذاهب لحقتي بنفسي

وفي الساعة العاشرة سافر القطار بين هتاف الجماهير قاصداً أسيوط التي وصلناها في صباح الغد فاستقبلنا مديرها وتناولنا طعام الغداء على مائدته

ثم ركبنا باخرة في النيل الى أصوان وهناك قابلنا قسوس من الكاثوليك كانوا دعاة للنصرانية في السودان وهجروا الخرطوم لما أحسوا بأحداق الخطر بها ففضينا معهم بضع ساعات كان غردون يسألهم في خلالها عن الاحوال فكانت أجوبتهم لا تختلف عما قاله عبيد القادر حلمي باشا لغردون

ثم غادرنا أصوان الى الشلال وركبنا باخرة هناك قاصدين كروسكو وبعد مسيرة يومين وصلناها فألقينا الجمال ومعدات السفر كلها في انتظارنا فعينى غردون قومنداناً للحملة وأخذت في الاشتغال بتجهيز وحزم الامتعة حتي الظهر ثم أقيت التنبيهات على رعاة الجمال بأن السير يتبدى في الساعة الثالثة بعد الظهر وعدت الى الباخرة وأخبرت غردون بجميع الترتيبات وكان جالسا على ظهر الباخرة ومعه الكولونيل ستيوارت والجنرال جراهم أحد قواد جيش الاحتلال وكان عين لمرافقة غردون الى كروسكو ثم جلسنا نحن الاربعة لتناول طعام الغداء فقال غوردون للجنرال جراهم اني التمتت من الجانب الخديوى الاحسان على الكولونيل ستيوارت و ابراهيم فوزي برتبة اللواء ليكون الاول وكيلى والثانى قومنداناً للعساكر البرية والبحرية فأجابه الجنرال جراهم بالاستحسان

وبعد الغداء طير رسالة برقية للجناب الخديوى بهذا الالتماس ثم امتطينا الجمال وغادرنا النيل في طريق الصحراء قاصدين آبار المرات التي هي منتصف الطريق بين « ابو حمد » الواقعة على ضفة النيل وبين ( كروسكو ) وسنعود الى هذا الموضوع في غير هذا المحل

## ذکر کتاب غردون الی المهدي وهديته

قبل أن ینادر غردون کروسکو کتب کتابا الی المهدي ومعه هدیه من نوع الهدایا التي تقدم لمشایخ الاعراب کالبنش وغيره وخبوی الکتاب كما یأتی بالایجاز «اننی اعترف بک سلطانا علی السودان الغربي کله وملكاً مطلقاً علی کل اقالیمه التي هی کوردفان ودارفور وانی لما بلغنی ما أصاب أهالی السودان من سفک الدماء وتوالی الحروب خامرني غم شدید ولذا قد عینتی حکومة جلالة ملكة بريطانيا العظمی وامبراطورة الهند والیا علی السودان وصدقت علی ذلك الحضرة الفخيمة الخدیوية وانی من صمیم فؤادی ارغب توثیق عری العلائق الودية بینی وبين سلطنتکم وأرجوان تسمعه وابعادة المواصلات التلغرافية وأظن ان أدوات ذلك قد تلقت فی غضون الخطوب وقد أصدرت الاوامر الی مرکز الحکمداریة بأن یعطى لکم کل ما تطلبونه من أدوات التلغرافات وأن یرسولکم كما یرسولکم سفیر وقد داخلنی حزن شدید لما علمت بقطع طرق السودان الشرقی التي جاءت حائلة بین المسلمین وبين مكة المكرمة التي یقصدونها فی کل عام لاداء فريضة الحج وزيارة قبر النبي علیه الصلاة والسلام فهیما بنا لفتح هذا الطریق والقاء السلاح لشید أركان الراحة ونوطد دعائم السلام

هذا ملخص خطاب غردون للمهدي وسنأتی علی اجابة المهدي علیه بعد وقد طیر رسالة برقیة الی الحکمداریة یأمرها باستقبال سفیر المهدي باطلاق المدافع والزینات واعطائه کل ما یطلبه من أدوات التلغراف فقبولت هذه السیاسة من الخراطوم بالدهشة والاستغراب ولكن الآمال كانت

تخيل لهم ان غردون لابد أن يكون معه جنود يجبرون المهدي على قبول مثل هذا الامر ويمنعونه من التقدم الى الخرطوم على ان الامر الذي لامراء ولا جدال فيه ان المهدي كان يرضخ صاغراً لما رسمه له غردون لو كان هناك جنود ولو بضعة آلاف

### الخرطوم وغردون

ما كاد نبأ تعيين الجنرال غردون يبلغ الخرطوم حتى كان الاهلون المصريون في فرح شديد ظناً ان غردون لابد أن يكون قادماً بعناية كبرى من الحكومتين البريطانية والحدوية وانهما لا يتخيان عن مساعدته بجنود يقدر بها علي ارقام المهدي ومنعه من التقدم اليهم فأرسلوا اليه بالتلغرافات وفي كلها التنويه بأنه محط الآمال

وأرسل علي لسان البرق منشورات فيها الاعتراف بسلطة المهدي على السودان الغربي وانه عين من قبل الحكومة البريطانية الخ ماجاء في خطابه الي المهدي

وزاد انه تجاوز عن المتأخرات من الضرائب والاموال الاميرية وتجاوز عن ضرائب ثلاثة أعوام في المستقبل

وأرسل تلغرافاً بفصل حسين سري باشامن وكالة الحكمدارية وتعيين الكولونيل دي كوتلجف بدله وهو انكليزي كان في الخرطوم منذ سنة بمهمة سرية

وأرسل تلغرافاً ايضاً بتعيين عوض الكريم أبي سن زعيم قبيلة الشكرية مديراً للخرطوم وسنأتي علي ترجمته وأخباره بعد

وأرسل ايضا على لسان البرق أمراً بتعيين الفقيه عبد القادر بن أم صريوم  
قاضيا لقضاة السودان

## ذكر وصول غردون الي ابو حمد

وبعد مغادرتنا كروسكو ظلمنا سائرين أربعة أيام بلياليها لم ندق الراحة  
فيها غير ساعتين في كل يوم وليلة وماؤنا وزادنا على ظهور المطايا لا يرى المسافر  
في تلك الصحراء القاحلة طيراً ولا وحشاً ولا شجراً حتى ألقينا عصا السفر عند  
آبار «المرات» وهي واقعة في منتصف الطريق بين أبو حمد وكروسكو وماؤها  
ملح لا يستقر في جوف شاربته حتى يأخذه الاسهال

وبعد استراحة ليلة وبعض يوم استأنفنا المسير قاصدين أبو حمد  
وبعد مسيرة أيام وليال أخرى وصلنا أبو حمد وهي أول حدود مقاطعة بربر  
من جهة الشمال وأول حدود اقليم دنقله من الجنوب وسكانها يقال لهم  
(الرباطاب والمناصير) وهم من جنس قبيلة الجميلين التي سنتكلم عليها بعد  
وبلادهم قاحلة وكلها مكسوة بالاحجار ولا قوت لاهلها غير ما يجلب الي بلادهم  
من محصولات البلاد الشمالية والجنوبية

ويحكى ان رجلاً من الرباطاب كان يأكل نوعاً من الجبوب اسمه  
(قوسيل) فسقطت من يده حبة وكان الظلام حال كالفصرخ صرخة ارتجت  
لها جوانب قريته فنسل الناس نحوه يصيحون هل لدغتك أفعى فقال سقط  
من يدي ثور قوسيل فاصطكت أسنانهم وسقطوا على الارض لعظم تأثرهم  
لانهم يعدون الحبة كشور من البقر والقوسيل نوع من اللوبيا

واستقبلنا في أبو حمد حسين باشا خليفة مدير بربر ومعه أعيان المديرية

فألقى عليهم غردون خطبة أبان فيها انه تجاوز عن كل المتأخرات لغاية سنة ١٨٨٣ كما انه تجاوز عن ضرائب ثلاث سنوات في المستقبل وانه أطلق لهم النخاسة وألقى الاوامر الصادرة بمنع هذه التجارة فقال له أحد شيوخ الاعراب انك عافيتنا من هذه الضرائب وانا لانأمن أن يخلفك حاكم آخر فيعود الي جبايتها مادامت اسماؤنا في بطون الدفاتر فقال له صدقت وسأصدر الاوامر باحراق هاته الدفاتر لزيادة الطمأنينة فشكروا ودعوا له وللخديو

ثم قال لهم وبعد مضي الثلاث سنين أنظر في تخفيض الضرائب وتنزيلها حتى تكون أقل بكثير مما هي عليه الآن ثم قال واني أحذركم من الركون الي المهدي الكذاب خصوصا وأنتم تعلمون انه دقيقي كاذب في كل ما ادعاه وانه لا يقصد غير تقويم معاشه وتسلطه عليكم فصاحوا جميعاً بصوت واحد انا ندافع عن سلطة الحكومة بما ندافع به عن أبنائنا وانه يستحيل علينا ان نخضع لهذا الكذاب فشكروهم وأحسن على كثير منهم بالرتب والنياشين على ان ذلك كان منهم محض خداع لانهم كانوا يخشون ان يكون مع غردون جنود

ثم طير غردون رسالة تلغرافية الي السرافان بارنج يقول فيها ان المقابلة والمحادثة التي دارت بينه وبين الاهلين في أبو حمد تبشر بنجاح وأموريته وتزيد ثقته بالفلاح سيما وان الاهلين وعدوه بان يقبضوا على كل داع يقوم بدعوة المهدي بين ظهرانيهم

وقضى غردون جزءاً من الليل في مشاهدة الالعب التي أقامها الاهلون احتفاءً به وهي لعبة (الدلاوكة)

وفي الغد استأنفنا السير على ظهور المطايا الي بربر حيث كانت البواخر في

انتظارنا وكنا كلما سررنا بقرية استقبلنا أهلوها بالابتهاج والفرح وكان  
 غردون يوزع عليهم الملابس والدرام وبعد مسيرة خمس مراحل وصلنا بربر  
 فالفينا بها شردمة من العساكر مصطفة في انتظارنا ثم أطلق واحد وعشرون  
 مدفعاً ترحيباً بقدم غردون وبعد الاستراحة في سراى المديرية ابتدئت  
 المقابلات فدخل عليه قناصل الدول وحادثوه في شأن مأموريته ولم يخفوا  
 عنه ما داخلهم من الارتباب في نجاحه فقابل تصريحاتهم بعدم الاكتراث  
 ثم دخل عليه موظفو الحكومة فكانت آراءهم كأراء القناصل فقال لهم  
 ان الجنود على اثرى قادمون من مصر ثم دخل عليه الاعيان فوعدهم بالاجتماع  
 عنده بعد الظهر

وبعد تناول طعام الغداء عقد جلسة من الاعيان وكبار الموظفين للمشورة في  
 أمر المهدي فقال له الاعيان ان المهدي اشتدت شوكته وخضع له السودان  
 الغربي كله وان لديه من الاسلحة خمسين الف بندقية من طراز رامنجتون  
 وخمسين مدفعاً وانه لا يخضع أبداً لما جئت به الا اذا رأى قوة تضارع قوته  
 أو تربو عليها فقال لهم مهما يكن من أمره فان الحكومة الخديوية أقوى سيما وان  
 حكومة جلالة الملكة فيكتوريا تساعدها وانه لا بد من ان تقهره عاجلاً أو  
 آجلاً ثم ختم أقواله بالقاء الاوامر المشددة على الكل بالاخلاق الى السكنية  
 والابتعاد عن الهرج وأسباب الفتن

### ذكر مغادرة غردون بربر

وبعد قضاء ثلاثة أيام في الراحة من وعشاء السفر أبحرنا من بربر  
 قاصدين الخرطوم على احدى البواخر وكنا كلما اقتربنا من الخرطوم نرى

من الاهلين نفوراً منا حتي بلغنا ( السبلوكه ) وبينا كانت الباخرة تمخر الماء  
عند جبل الرويان اللذين هما جبلان على ضفتي النيل يخترقهما النهر اذ  
سمعت صياحاً في الضفة الغربية فامسكت النظارة المعظمة فابصرت بها  
عشرة أشخاص ممتطين خيولهم يصيحون بقولهم ( نحن مظلومون يا أفندينا )  
ثم أبصرت كميناً خلفهم يبلغ مائتي فارس يتوارون وراء الجبل وخيل لي من  
هيئة ملابسهم المرقعة انهم عصاة يقصدون الوقعة اذا القت الباخرة مرساها  
فقلت لربان الباخرة الذي كان ممسكاً نظارته أيضاً ان هؤلاء يقصدون البطش بنا  
ونحن ومستخدمو الباخرة لا يربو عددنا على خمسة وعشرين رجلاً وان  
غردون اذا سمع صياحهم الذي لم يكن الا خدعة أمر برسو الوابور واذا  
رسا الوابور وقمنا في حبالتهم بلا ريب ولا سبيل لاقتناع غردون بسوء  
قصدهم كما انه لا سبيل لنجاتنا الا بشيء واحد وهو انه اذا أمرك بايقاف الباخرة  
تعتذر له بان هذا الشاطئ مملوء بالصخور ولا يمكن الرسو فيه فتردد الربان  
في قبول ما أشرت به عليه وقال لي ان أمرت برسو الباخرة امتثلت الامر  
فاخذت ألح عليه وبينما نحن في المحادثة خرج غردون من غرفته وما كادت  
اذنه تسمع الصياح حتى أمر الربان برسو الباخرة فامثل ولم يلتفت الى  
ما حدثه به فقلت لغردون ان هذا مكان قفر وليس حوله قرى وانني أرى  
وراء هؤلاء الصائحين كميناً والأولي بنا ان نعدهم بالنظر في ظلامتهم بعد خروجنا  
من بين الجبلين فغضب غردون ولم يكثر بنصيحتي وقال لي أرى انك بعد  
رجوعك للقاهرة فقدت ما كنت أعرفه فيك من الشجاعة والجرأة وأظن  
ذلك نتيجة الانغماس في الترف فقلت له لم يكن شيء مما رأيت وظننت بل  
انني رأيت الحكيم وهو ما دعاني للريبة في أمرهم فازداد غضبه ودخل غرفته



وأعرض عني كل الاعراض وما كاد يبلغ غرفته حتى أطلق علينا أولئك  
المتظلمون النيران وظهر السكمين على سفوح الجبل فاطلع غردون فرآي  
العشرة صاروا مائتين يطلقون النيران علينا ويسهوننا باقبح السباب فأخذ  
يضحك ويقول لي لا تؤاخذني يا عزيزي فوزي فقد بلغت في لومك مع  
ان الحق معك وأنا المخطيء

ثم انابنا خروجنا من بين الجبلين لم نر أحدا وعرجنا على مكان يدعى  
(ولد أبو حليمه) فيه محطة للخشب الذي يوقد للسفن فالقت الباخرة مرساها  
لأخذها يلزمها من الخشب فالفينا بهذه الجهة شياً كثيراً من الخشب في  
مكائين متقاربين ولم نجد أحداً من الخفراء أو المتعمدين بجانبه فخرج نوتية الباخرة  
وأخذوا يحملون الخشب الى داخل السفينة وأنا واقف أحتم على الاسراع  
وخرج غردون وجلس في ظل شجرة تبعد عن النهر بنحو مائة ياردة

وبينا نحن دائبون على العمل لمحت شخصاً لم أكن رأيتة قبل في السفينة  
فدنا مني وحياتي فعرفته واذا هو جندي من جنودى الذين كانوا معي في خط  
الاستواء يعرفني جيداً ويعرف غردون فأجبت أن استطلع ما عنده من الاخبار  
فقطع على الكلام وقال انى عأد من حيث جئت انما جئت لاخبرك للصدافة  
التديمة بيننا بان سكان هاته الجهة سمعوا بقدمك مع غردون وسيهجمون  
عليكما في هذه اللحظة وانصرف مسرعاً وعاد من حيث جاء فأمرعت الى  
غردون فوجدته غائصاً في لجة أفسكار فابتدرته بقولى قم بنا بسرعة الى الباخرة  
فقد طراً أمر يمنعني من الكلام فقام معي مسرعاً ولم يبد أقل مراجعة وصحمت  
بالنوتية ادخلوا الباخرة ولم نكد ندخل حتى هجم على السفينة عدد كبير فأسرعنا  
الى قطع الحبال وتأخر عن الدخول شخصان من النوتية لازدحام الطريق الموصلة

من البر الي السفينة فتلقاها العدو وأخذ يقاتل النار علينا ويسبنا  
وبعد ان توسطت الباخرة جلة النهر قصصت هلى غردون أمر ذلك  
العسكري فتعجب وأثنى عليه وعلى صروته وأظهر رغبة شديدة في مكافأته  
على حسن صنيعه

ثم تابعنا مسيرنا حتى وصلنا أم درمان فالفينا بها نقطة من الجنود قابلتنا بالخواوة  
وأطلقت المدافع وبعد ان تفقدنا حصونها تابعنا سيرنا الي الخرطوم  
على ان غردون استشمر بان مأموريته لن تصادف نجاحاً وانه كان مخطئاً  
في قدومه بلا جنود وانه تسرع ولم يثبت في ارسال تلغرافه الي السرافلن  
بارنج ولسكن كان عنده بقية أمل حيث كان ينتظر اجابة المهدي

### وصول غردون الي الخرطوم

ولما أبحرنا من أم درمان رست بنا الباخرة في ( المقرن ) أي نقطة  
اجتماع النيلين الابيض والازرق وبعد أن ادت الحامية التحية العسكرية أخذنا  
نتفقد الحصون فسر غردون من متانتها وأثنى على العساكر وشجعهم ثم  
استأنفنا السير الي الخرطوم وهناك ألفينا العساكر مصطفىين والاهلين  
محتشدين نخرجت من الباخرة انا والكرولونيل ستيوارت صحبة غردون فادهش  
الناس وقالوا أمن هؤلاء الثلاثة يخاف المهدي ويترك التقدم علينا ان هذا  
لشيء عجيب

ولما وصلنا الي سراى الحكمدارية وقف غردون عند السلامك ودفع  
فرمان توليته الي الشيخ حسين المجدي رئيس أساتذة المدرسة الاميرية فصعد  
على منبر الخطابة وقرأ الفرمان بصوت مرتفع والناس منصتون لسماعه كأن

الطاير على رؤسهم ثم أطاقت المدافع ثم صعد على المنبر ابراهيم بك مأمور الضبطية  
وأخذ يملئ عليه هذه الخطبة وهي « يا أهالي السودان عموماً ان الجناب العالي  
الخدوي يسلم عليكم صغيراً وكبيراً أحراراً وعبيداً انا وذكوراً وكذلك جلالة  
الملكة فيكتوريا ملكة بريطانيا العظمى وامبراطورة الهند وانكم لا تجهلون  
شفقتي عليكم ومحبتي لاسكم وقد ساءني ما سمعته عنكم حيث نشبت الحرب  
بينكم وتمطت تجارتكم وسنكت دماؤكم ومنتم من تادية فريضة  
الحج التي هي من أركان الاسلام وزيارة قبر النبي عليه السلام وقد أساء هذا  
الحال كلا من جلالة الملكة وسمو الخديو المعظم فانتدبت من قبل حكومة  
جلالة الملكة لا كون واليا على السودان وصرخصا فوق العادة وقد صار  
فصل السودان عن مصر فصلاً تاماً وفوض الى الحكم المطلق وقد خابرت  
حضرة السيد محمد أحمد المهدي بفحوى ماوردتني واعترفت له بالسلطة المطلقة  
على السودان الغربي برمته على شرط ان لا يمدده لغيره. هذا وقد الغيت  
جميع الاوامر الصادرة بمنع تجارة الرقيق وتجاوزت عن جميع المتأخرات  
من الضرائب لغاية سنة ١٨٨٣ وقد تجاوزت أيضاً عن ضرائب ثلاث سنوات  
منذ أول سنة ١٨٨٤ وأمرت باحرائق دفاتر المتأخرات وأمرت باطلاق جميع  
المسجونين على اختلاف جرائمهم وتوقيع جنائهم وعزمت منذ الآن ان  
لا يكون أعضاء حكومتي الامن الوطنيين حيث انني اود تشكيل حكومة وطنية  
ليحكم السودان نفسه بنفسه وقد عينت عوض الكريم اباسن مدير الاخرطوم  
وأحسننت عليه برتبة الباشوية ولى الامل بان العلائق ستصبح بيني وبين  
سلطان الغرب وثيقة العري وقد أمرت منذ اليوم بفتح ابواب الحصون  
واتلافها وسحب الجنود منها التلتفتوا الى عمران بلادكم وحررت اراضيكم

وانما تجارتكم ومنى عليكم السلام «اه وكان أهل الخرطوم يسمون هذه  
الخطبة ودهوعهم تنهمر من أعينهم حيث كانوا وقتين بان هذه سياسة  
خرقاء وأن المهدي سوف يتقدم نحوهم ويقهرهم  
ثم دخل عليه العلماء مسلمين وقالوا له إنا نصبح قبلي وأسرى في الغدان  
اتلفت شيئاً من الحصون وان المهدي لا يلتفت الي شيء مما دعوته اليه ولا  
يرده عن بغيه غير جيش جرار وان من حولنا من الاعراب متحفزون للوثبة  
علينا فإظهر لهم التردد ولكنه كف عن تخريب الحصون وتدميرها  
وعلى أثر ذلك هجر المدينة كثير من الناس قاصدين القطر المصري  
واستقال كثير من الموظفين ومنهم الكولونيل دي كوتلجن فتعجبت من  
اصرار غردون على رأيه الاول بعد ان رأي الخطر الذي أحدق بحياته مرتين  
في الطريق وعلم اجماع الآراء على عدم نجاحه

### ذكر عبد القادر بن أم مريوم

عبد القادر بن أم مريوم فقيه من أهالي القرى التي حول الخرطوم  
وأهالي هذه القرى كانوا يتقادون له ويعظمونه فقصده غردون توليته القضاء  
رجاء ان يؤثر بنفوذه على أهالي هاته الجهات ويتمنها من الدخول في دعوة المهدي  
ولما وصل غردون الخرطوم وفد مسلماً عليه فآكرم وفادته وأحسن  
عليه بثلاثمائة ريال فأخذ يقول على رؤس الاشهاد ان محمد احمد كاذب في  
دعواه وان لم يكن مهدياً وبعد قبضه الثلاثمائة ريال قال لغردون اني ذاهب  
الى قريتي لا اعود بعائتي وعشيرتي فقال له غردون أخشى ان لا تعود فقال  
له أقسم بسبعة ايمان يعرضن على الله لا اعودن بعائتي وعشيرتي وانني أموت

على ولاء الحكومة وطاعتها ولو بقي من عساكرها واحد فاني اكون الثاني  
فاذن له غردون في العودة الى قريته واكد عليه في الاسراع بالقدوم وشيعة  
الي الباب

وفي اليوم التالي ورد على غردون كتاب من عبد القادر المذكور يقول  
فيه اني اُصِح لك ولن معك من الموظفين ان تسلموا للمهدي المنتظر  
الذي من شك فيه فقد كفر وان النبي صلى الله عليه وسلم بشرني به منذ  
ثلاث وثلاثين سنة وقال لي صلى الله عليه وسلم انك تصير احد وزرائه فتغيب  
غردون من هذا الكتاب وكتب منشوراً قال فيه من جاءني برأس عبد القادر  
ابن أم صريوم فله جائزة الف جنيه ولحق عبد القادر بالمهدي فعمد له لواء  
بالامارة على كل أهالي القرى المجاورة للخرطوم وفي يوم سقوطها دخل منزل  
محمود محي الدين أحد أعيان المدينة وقتل صاحبه وسبي نساءه  
وجاءت هذه الحادثة من اللواتي آذن بان مساعي غردون ذاهبة ادراج  
الرياح وانها لا تجدي نفعا ولا تغني فتيلاً

### ذكر عوض الكريم ابن ابي سن

فلما ان غردون عين عوض الكريم ابن أبي سن مديراً للخرطوم  
واهداه لقب باشا وعوض الكريم هذا زعيم قبيلة (الشكرية) وهي رحالة تسكن  
شرقي النيل الأزرق في صحراء (ريره) الواقعة بين نهر اتره والنيل الأزرق  
وماشيتهما من الابل والبقر كثيرة جداً وعدد نفوسها زهاء خمسمائة الف  
نسمة ورجالها مشهورون بالشجاعة وقوة الباس وعندهم من الخيول العربية الجميدة  
كثير وكان أحمد باشا أبو سن والد عوض الكريم مديراً للخرطوم وزعيماً

لهذه القبيلة وقبيل وفاته قدم القهرة ووقدم ناخديو اسماعيل باشا هدايا كثيرة  
وتوفى بالقاهرة بغتة خلفه ابنه عوض الكريم في زعامة قبيلته

ولما ظهرت دعوة المهدي كانت قبيلة الشكرية وزعيمها من أصدق  
القبائل ولاء للحكومة واجتمع منهم نحو عشرة آلاف مقاتل ساعدوا  
الحكومة على اخماد الائمة التي أضرم نارها الشريف أحمد طه الذي تقدم لنا  
ذكر واقعته وقتله وشهد عوض الكريم وكثير من رجاله اكثر الوقائع مع  
عبد القادر باشا حلبي وبالجملة فان هذه القبيلة حافظت على ولاء الحكومة ولم  
تؤثر تحركات المهدي على عقول زعيمها وعشيرته أسرة أبي سن

ولما فتك المهدي بحملة الجنرال هيكس وانتشرت دعوته في السودان  
الاطوسط حوالى الخرطوم كانت قبيلة البطاحين التي تسكن غرب صحراء ربره  
قد دخلت في دعوة المهدي وقبيلة البطاحين هذه رحالة أيضا وما شيتها كاشية  
قبيلة الشكرية الا انها أقل منها نفوسا اذ لا تبلغ نفوس قبيلة البطاحين خمسين  
الف نسمة ولسكن رجالها مشهورون بالقوة والاقدام وهم لصوص يقطعون  
الطرق في كل انحاء السودان فلا تكاد تكون عصبة اصوص أوقطاع طرق  
الا من البطاحين ولما دخلت هذه القبيلة في دعوة المهدي وقويت شوكة  
الداعية محمد بن الطيب البصير ابعدت قبيلة الشكرية عن ضفة النهر وأوغلت  
في الصحراء الى قرب نهر اتره فاوعز ابن البصير الى قبيلة البطاحين بمناوأة  
قبيلة الشكرية والغارة عليها لسلب ماشيتها

وكان عوض الكريم يقصد من الدنو من نهر اتره مقابلة بيكر باشا  
حينما عزم على فتح طريق من مصوع الى كسلا ومنها الى الخرطوم حيث  
يخترق صحراء ربره ثم لما عاد بيكر باشا الى سواكن وفشلت حملته كانت عيون

عوض الكريم تاتي به بالاخبار من سواكن عن حركات الجنرال جراهم وكان مؤملا الاجتماع باى جنود تتقدم لتعزيز حامية الخرطوم أو انقاذها ولما حصر المهديون كسلاً أحدثت الاخطار بقبيلة الشكرية وكثرت اعتداآت البطاحين عليها فعمدت الي مظاهرة المهدي وكتبت له بالخضوع والطاعة وسألته ان يعتبرها خاضعة له فكان جوابه لها أن ذلك لا يكون بغير انضمامها الى محمد بن البصير واتحادها معه لقتال جنود الحكومة فكانت تعتذر تارة بمرض زعيمها وأخرى بتوالى غارة البطاحين عليها

ولما وصل غوردون الخرطوم بعث بكتاب الى عوض الكريم باشا ابني سن يعلمه بتعيينه مديراً للخرطوم ويدعو له لاستلام منصبه فوصل الرسول مع رسول قادم من المهدي بكتابين لعوض الكريم وسائر أفراد اسرة ابني سن فاخلى عوض الكريم وأسرته برسول غوردون وسألوه هسل جاء معه بجنود فقال لا ولكنهم سيجبون فثنا عوض الكريم التراب على رأسه وقال يا ضيعة الأمل ثم كتب الي غوردون بخرج موقفه وعدم قبوله هذا المنصب وأرسل اليه بالكتابين اللذين جاآه من عنده المهدي وزاد ان البطاحين يسافرون بكثرة الى بربر ليساعدوا داعية للمهدي قدم اليها ولا بد انهم يتغلبون على بربر وان بقاء في هذا المكان انفع لك من قدومي الى الخرطوم اذ لا بد لي ان أظهر أية نجدة تتقدم اليك من شرقي السودان فوقع رايه موقع القبول والاستحسان عند غوردون فاقره عليه وهاهي صورة ما جاء في الكتابين

« الاول » ﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

الحمد لله الوالي الكريم والصلاة على سيدنا محمد وآله مع التسليم وبعد فنن  
العبد المفتقر الى الله محمد المهدي بن عبد الله الي أحبابه في الله واءوانه على سكة

رسول الله عوض الكريم أحمد أبي سن وعبد الله أحمد أبي سن وعبد الله أحمد أبي سن  
سن ومحمد أحمد أبي سن وعمار أحمد أبي سن وعبد القادر أحمد أبي سن والامين  
أحمد أبي سن وأبي عاقلة أحمد أبي سن وحسان أحمد أبي سن وعمر أحمد أبي سن  
ومحمد عوض الكريم وعلي عوض الكريم وعبد الله عوض الكريم ومحمد  
عوض الكريم وعوض الكريم أحمد وأخوانهم وأولادهم وعشيرتهم  
وقبيلتهم أحبابي ان الدنيا ظل زائل ونعيمها مائل هائل وسرورها غم وراحتها  
تعب وهم والركون اليها غرور وكفي بذلك شهيدا وما الحياة الدنيا الا متاع  
الغرور وجمعها شتات وشتاتها عقل وثبات والتخلي عنها نعيم والتخلي بها نار  
وجحيم ومكرها خفي حائق والالتفات لها عن الله عائق والتعلق بها خمول  
وبوار والسعي في طلبها دمار وخسار والتمتع بعيشها ضرر والفرح بها انقباض  
وكدر والتنعم بها بوس وطالع سعدها غارب منحوس وشرابها سراب وصفائوها  
عقاب وحلوها مر وميلها غدر وحنانها قطيعة وصلاتها فظيعة وعاقبتها ندم  
ووجودها محض عدم وخيرها يسير وحسابها كثير وطلبها وبال وبقاؤها محال  
وعلوها سفل والاجتهاد في طلبها حق وجهل وكفي في التحذير منها والتباعد  
عنها قول الله المتين « وما هذه الحياة الدنيا الا لهو ولعب » ولا يفتر باللعب واللغو الا  
الضامدون وقول النبي الاواب الناطق بالصواب « لو كانت الدنيا تزن عند الله  
جناح بعوضة لما سقي كافرا منها جرة ماء » فانظروا رحمكم الله الى خستها وما  
فيها وذم خالقها وبارئها ومبدعها ومنشئها ورسوله المأمون الذي أوضح للخلق  
السر الممكنون فكيف بعد هذا تركنون اليها وتعدونها دار اقامة مع انها جنة  
اعدائكم المبعدين عن رحمة الله والكرامة ولو كانت فيها خير للمؤمنين  
السالكين طربق خير المرسلين لما خرج منها صلي الله عليه وسلم ولم يضع



ابنة على ابنة ولما زهدوا الصحابة ونظروها حقيرة ممتحنة أموالكم في رسول الله  
أسوة حسنة وأتباع لسيرة أصحابه الواضحة المستحسنة فاخرجوا عنها فانها  
ذميمة وتجنبوا نتائجها فانها عقيمة واصبروا على شدائدتها وبلاياها وجاهدوا  
النفس وصدوها عن ركوب مطاياها وشدوا أزركم على إقامة الدين وعلى اعداء  
الله الكافرين والخروج عن طاعتهم وتشتيت شملهم وتفريق جماعتهم وبارزوا  
بالمعصيان لتناولوا كمال الرضوان وقتلواهم فانهم مخذلون وجاهدوهم فانكم  
عليهم منصورون وشعروا في ذلك عن ساعد الجد والاجتهاد لنيل غاية القصد  
وبلوغ المراد وقابلوهم بهزم قوي وصدق نية وغيره وحمية وحسن طوية  
وارغبوا فيما أعد الله للجاهدين وابدلوا نفوسكم وأموالكم في الله طمعا  
فيما ادخر لانصار الدين قال الله تعالى « ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم  
وأموالهم بان لهم الجنة » فكيف به ان جعلت الجنة ثمنا للنفوس والاموال  
تأخرون عن الجهاد ولا تبادروا اليه بكامل الاحوال ما هذا التواني والتأخير  
وانتم لا تملكون لانفسكم نفيرا ولا قطمير وخذوا بزمام حزمكم وسارعوا  
الي مغفرة من ربكم وبادروا الي قول نبيكم ايما عبد من عبادي خرج مجاهداً  
في سبيلي وابتغاء مرضاتي ضمننت له الجنة ان أرجعته أرجعته بما أصاب  
من أجر أو غنيمة وان قبضته غفرت له ورحمته أو كما قال فيكونوا عباد الله  
إخوانا في الدين وجاهدوا في الله فان الانهماك في الدنيا ضلال مبين وقتلوا  
الذين يلونكم من الكفار وليجدوا فيكم غلظة ولا تهنوا في ابتغاء القوم  
ان تكونوا تألون فانهم يألون كما تألون وترجون من الله ما لا يرجون وأعدوا  
لهم ما استطعتم من قوة ولا تأخروا عن جهادهم وخائوهم بقوة وذلك  
بانضمامكم مع محمد الطيب البصير وإعمال الرأي والمكيدة وما يجب للعدو

والتدمير واعتمدوا على الله العالم بما في الضمير وأخلصوا النية فان خلوصها  
 مطاياكم وحسنوا الظن في عالم سركم ونجواكم وكونوا يداً واحدة وشدوا  
 بعضكم بعضاً فانما الرجال بالاخوان والمعاضدة وتيقنوا ان عفونا لكم عن  
 الهجرة ورضانا عنكم مقرون بذلك ولا تأخذكم نخوة الجاهلية والتفاخر  
 بالآباء فان الله عالم بما هنالك بل أفيقوا من سكرة الغفلات وأندموا على الزمن  
 الذي صرفتموه في البطالات فان الدنيا ذهبت والآجال اقتربت وطلب الآخرة  
 أصفى لكم وانقى وما عند الله خير وأبقى واحرصوا على ما فيه نجاحكم وفلاحكم  
 واعلموا ان الجهاد فيه صلاحكم ورباحكم واياكم وسماع قول من يفرمكم ولا  
 ينصحكم ويحسن لكم ما فيه هلاك نفوسكم وفي مهاوى الهلاك يطرحكم  
 وتيقنوا ان صحبتنا مبنية على الانكسار وصفاء السرائر من دنس الاغيار  
 واطلاق النفوس من سجن حب الدنيا وطلب ما أعد الله للمجاهدين  
 والمتقين من الرتب العليا فان كنتم صادقين في جوابكم المحض النى بالصحة  
 والاتباع فخرضوا قبائلكم وعشيرتكم واحضروا بانفسكم تالوا كمال المزية  
 وحسن الارتفاع وكونوا أنتم ومحمد البصير في المعاونة على شعائر الدين يداً  
 وساعدوا واحذروا الكبر الذي يصده عن الله ويباعد في الحديث القدسي  
 العظمة ازارى والكبرياء رداً فمن نازعني فيهما غمسته في نارى واشتاقوا لما أعد الله  
 للمجاهدين حيث قال في كتابه العزيز « ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله  
 أمواتاً بل أحياء عند ربهم يرزقون فرحين بما آتاهم الله من فضله وليستبشرون  
 بالذين لم ياحقوا بهم من خلفهم ان لا خوف عليهم ولا هم يحزنون » فاعتبروا  
 يا أولي الابصار وانظروا بعين الحقيقة والاستبصار والسلام

« الثاني » ﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

الحمد لله الوالى الكريم . والصلاة على سيدنا محمد وآله مع التسليم  
 ( وبعد ) فن العبد المفتقر الى الله محمد المهدي بن عبد الله الى أحبائه عوض  
 الكريم أحمد أبى سن والطيب محمد وحمد احمد أبى سن وعبد الله أحمد أبى  
 سن وعبد الله أحمد أبى سن ومحمد احمد أبى سن وعمارة أحمد أبى سن وعبد  
 القادر أحمد أبى سن وأبى عاقلة أحمد أبى سن والامين أحمد أبى سن وحسان  
 احمد أبى سن ومحمد عوض الكريم وعلى عوض الكريم وعبد الله عوض  
 الكريم ومحمد عوض الكريم ويوسف أحمد أبى سن وأولاد محمد أبى سن  
 وجميع أتباعهم وعائلتهم وخواصهم أحبائي قد قال الله تعالى لئنيتي صلى الله  
 عليه وسلم « واذا جاءك الذين يؤمنون بآياتنا فقل سلام عليكم كتب ربكم على  
 نفسه الرحمة انه من عمل منكم سوءٌ بجهالة ثم تاب من بعده وأصلح فانه  
 غفور رحيم » ومعلوم انكم تعلمون ان الله أنزل القرآن ليهدى به وهو الذى  
 هدى به نبيه صلى الله عليه وسلم وهو شفاء ورحمة للمتقين فامعنوا النظر فيما  
 دل اليه وآمنوا بما جاء من عند الله يقين فان المؤمنين قد وحدوا لله بما  
 سمعوه فيه من آيات الانفس والآفاق فلما نظروا انه لا يقدر على ذلك أحد  
 سواه وعلموا ان ملكوت كل شيء بيده لم يخافوا الا من الله ولم يرجوا  
 سواه فن له نور بالتصديق بما عند الله آره على كل شيء ولا سيما اذا  
 سمع قوله تعالى « قل متاع الدنيا قليل والآخرة خير لمن اتقى » والاحوال  
 السابقة معلومة وقد علمتم فوات ما رغب فيه من متاع الدنيا من قبلكم فاذا  
 صدقتم وعلمتم انى داع الى الله لمصالحكم التى لا يعود عليكم سواها وكل  
 ما آرتعود من متاع الدنيا فانما يعود بالحسرة الطويلة عند الفوات كما حصل

لمن سبق فأفئتموا فانكم عقلاء وأهل قريحة فلا تضيعوا فيما قال الله فيه  
 « يعلمون ظاهراً من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون » فإذا بلغكم جوابي  
 هذا وكنتم مصدقين كما حسنا فيكم الظن بحسب مجاوبتكم وما أسررتوه  
 من بعض الاحسان على الاهل بحسب حسن الظن وكل ذلك لا يخلص  
 الانسان بل بخلصه صفاه وحسن تصديقه لما عند الله الذي يوجب له ايثار ما عند  
 الله فان الذين كانوا جامدين على ما هم فيه من الجاه والمال احتجوا عن الاتباع  
 لرسول الله صلى الله عليه وسلم وقد كانوا ينتظرونه ويستفتحون به فلما جاءهم  
 ما عرفوا كفروا به خوفاً من فوات المال والجاه وخوف الخلق والطمع في  
 المال فاخلصوا لله كما كتبتم الاتباع فانه لا يخلص عند الله الا الاتباع الخالي  
 من النفاق الذي هو ايثار الآخرة على الدنيا واذا آرتم الآخرة وعلمتم مالكية  
 الله وانه لا اله الا الله وان الذي اخبرنا بخسة الدنيا ونفاسة الآخرة بمقاله وحاله  
 محمد رسول الله صادق أمين فاخرجوا عن ملكية الترك واستعملوا شرع الله  
 ولو متم في ذلك فان الدار الآخرة والحياة حياتها ولا متاع خال عن طول  
 الندم الا متاع الآخرة ولا والي في الدارين ولا حبيب غير مفارق الا الله  
 فأنيبوا للآخرة وثقوا بالله واصبروا على بلاء الله الذي فيه لكم التصفية  
 وتكثير الدرجات الدائمة ولا تقفوا مع الزائلات فيفوتكم بها خير الدوام  
 ومع هذا فشمروا على احياء شرع الله في أنفسكم ومن معكم ولا تتبعوا الا  
 طريق الرسول صلى الله عليه وسلم الي أن يأتيكم منا أمر أو أنى بالبحر الابيض  
 فتلقوا بنا فيه واكتفوا بالله وأنيبوا اليه ولا تلتفتوا بعد هذا الي غير الله قال  
 الله تعالى « وأنيبوا الي ربكم وأسلموا له من قبل أن يأتيكم العذاب ثم لا تنصرون  
 واتبعوا أحسن ما أنزل اليكم من ربكم من قبل أن يأتيكم العذاب بغتة وأنتم

لا نشعرون أن تقول نفس يا حمرتا على ما فرطت في جنب الله وان كنت  
 لمن الساخرين أو تقول لو أن الله هداني لكنت من المتقين أو تقول حين  
 ترى العذاب لو أن لي كرة فأكون من المحسنين « الآية وأيضاً من المعلوم ان  
 المنيب لما عند الله الذي عرف قدرة الله بخاف منه يمثل أمر من ولاء الله  
 للدلالة اليه والدعاية الى ما عنده فان لم يمثل ويدخل في التسليم في جميع  
 الامور حارب الله ورسوله فاذا وصلكم جوابي وكنتم مؤمنين مطيعين لله  
 فكفوا عن البطاحين وان كان لكم عليهم تبعات فاصبروا حتى يحكم الله بينكم  
 على يدنا فيوصل لكل ذى حق حقه والسلام ربيع الاول سنة ١٣٠١

### غردون وابن البصير

ذكرنا ما كان من أمر ابن البصير ودعوته للمهدى في الخلاوين  
 وسائر بلاد الجزيرة وانه كان في قلة وقد سعت الحكومة في القبض  
 عليه فلم تفلح

ولما وصل غردون الى الخرطوم كتب الى ابن البصير كتابا يخبره فيه  
 باعترافه بسلطة المهدي على السودان الغربي وان بلاد الجزيرة خارجة عن دائرة  
 نفوذه وأن قيامه بدعوة المهدي في تلك البلاد مخالف لهذه المعاهدة وانه  
 اذا كان لا بد من بقاءه تحت سيادة المهدي فليغادر الجزيرة ويلحق به أو ليكن  
 خاضعا لأمر غردون ودفع الكتاب الى رسول أصله من الذين وقعوا في  
 أسر الحكومة من العصاة

ولما وصل الكتاب الى ابن البصير جمع أهل مشورته وتلا عليهم الكتاب  
 فقالوا بلسان واحد انه . ضرب من الشعوذة ونوع من الاسحار واننا نحن

انصار الدين وقد عصمنا الله من أن يؤثر فينا هذا السحر فكتب ابن البصير الى غردون كتاباً تحاشى عن ايراده لما تضمنه من الشتم وبذاءة القول في حق غردون وجمالة الملكة فيكتوريا والتهديد حيت قال له اننى قادم عليك ومتحفز لمناجرتك ايها الكافر ولما اطلع غردون على الكتاب مزقه لشده تأثيره مما تضمنه من الاهاجى السافلة وجاء كتاب ابن البصير ضغثاً على ابالة حيث لم يبق عند غردون ذرة من الامل وامر بترميم الحصون واصلاح ما تلف منها واخذ في إعداد معدات الدفاع والتأهب للطوارئ



## ذكر خطاب المهدي لغردون

ذكرنا ما كتبه غردون للمهدي وما اهداه له من الملابس

ونقول الآن لما وصلت الهدية والكتاب للمهدي كتب الى غردون كتاباً ضمنه الاحتجاج عليه بعدم جواز ولايته على المسلمين ودعاه فيه الى الاسلام وعرض له بذكر خضوع دارفور له وانتشار نفوذه في جميع انحاء السودان الغربي وبعث له بصور الانذارات التي خاطب بها يوسف باشا الشلالى ومحمد سعيد باشا حاكم كوردفان والجنرال هيكس وقد تقدم لنا ايراد انذار يوسف باشا الشلالى فلا حاجة الى اعادته هنا

وعرض له بذكر سلاطين باشا وغيره من الذين دانوا بطاعته وذكر

تاجرا يونانيا اسمه ديمترى سجاهه اعتنق الاسلام وحسن اسلامه

وأرفق الكتاب باخر شكر فيه غردون على الهدية التي اهداها له

واعتذر عن قبولها بعدم حاجته الى مثلها لان ملابسه مما يلبسه الزهاد الذين

يعرضون كل الاعراض عن متاع الدنيا وذكر انه مرسل بهدية الى غردون

من نوع مـلابسه يسأله قبولها والتخلي بها اذا وفقه الله لاعتناق الاسلام  
وكتب على ظهر الغلاف بخط يده ان محمد سعيد المسلماني الذي كان اسمه  
جورجو اسلامبوليه اخبرني بأن السيد أفندي نعيم الاجزاي يعرف لغة  
اوربية فاسألك ان تقف على ما حواه الكتابان وليترجمهما هو لك والسيد أفندي  
نعيم هذا كان صيدلى الحكومة بالخرطوم وأصله مصرى ومحمد سعيد أو جورجو  
تاجر سوري وقال المهدي في كتابه الى غردون ان محمد سعيد باشا مدير كردفان  
بعد ان مات جاء خبر بان صار من السعداء بسبب انه بايعه وجلس معه وهما هي  
صورة ماجاء في الكتابين وصورة انذار وصل الى هيكس قبل مقتله بياام

« الاول » ﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

الحمد لله الوالي الكريم والصلاة على سيدنا محمد وآله مع التسليم  
وبعد فمن العبد المقتدر الي الله محمد المهدي بن عبد الله الي عزيز بريطانيا  
والحدوية غردون باشا قد وصلنا جوابك وفهمنا ما فيه وانك تزعم ارادة  
اصلاح المسلمين وفتح الطرق لزيارة قبر النبي عليه الصلاة والسلام واتصال  
المودة فيما بيننا وبينكم وحل المسيحية من النصاري والمسلمانيين وان تجعلى  
سلطانا على كوردفان فاقول والامر لله انى قد دعوت العباد الي صلاحهم  
وما يقربهم من ربهم وان يفرغوا من الدنيا الفانية الي دار ابقاء ويعملوا ما  
يصلحهم في آخرتهم وقد كتبت الي حكمة دار الخرطوم وأنا «بابا» بدعايته الي  
الحق وبان مهديتى من الله ورسوله ولست في ذلك بمتحيل ولا مرید ملكا  
ولا جاها ولا مالا وانما أنا عبد أحب المسكنة والمساكين واكره الفخر  
وتعزيز السلاطين ونبوهم عن الحق المبين لما جبلوا عليه من حب الجاه والمال  
والبنين وهذا هو الذي صداهم عن صلاحهم وأخذ نصيبهم من ربهم فأخذوا

الفانى وتركوا الباقي واشتغلوا بما لا يكون من الفانيات ولم يسئروا قول الله ولا رسوله ولم يذكروا خبر القرون الذين لم ينف عنهم ذلك شيئاً وندموا على قدر الذى تمتوا به فايدنى الله تعالى بالهدية الكبرى لدلائهم الى الله تعالى وليتركوا العز الفانى والنعيم الفانى الى العز الدائم الابدى فى دار النعيم المقيم ولا عرفهم غرور من يريد لعاجلة ويظن انه ساع فى رضى الله ويكون له نصيب فى الآخرة وقد قال المسيح عليه السلام يا معشر الخواريين ابنوا على موج البحر داراً تملككم الدنيا فلا تتخذوها قرراً ومن ظن انه يخوض البحر من غير بلبل فهو مغرور فكذلك من ظن انه يجمع الدنيا ويريد عزها وجاهاها ويكون له فى الآخرة شأن. فأنب الى الله الباقي واخضع لجلاله واطاب عز الآخرة ولا تظن ان هذه الدنيا دار حتى تسمى للمسكها وعزها وكيف من يكون على خلاف طريق النبي صلى الله عليه وسلم يفتح باب زيارة قبره ولم يكن النبي صلى الله عليه وسلم ممن يرغب زيارة الكلاب كما ورد ان الدنيا جيفة وطلابها كلاب ولم يكن يرغب من عبد غير الله ونسي الله واعرض عن كلامه وطلب متاع الحياة الفانية فان كنت شقيقاً على المسلمين فبالاولى اشفق على نفسك وخلصها من سخط خالقها وقومها على اتباع الدين الحق باتباع سيدنا محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم الذى احيى ما اندرس من ملل الانبياء والمرسلين واتى مصداقاً لما بين يديه من الكتب لجميع الانبياء عليهم السلام لو حضروه لما سلكوا غير ملته وكلهم يتمنون ان يكونوا من أمته ومن حضر بعثته ومن بعدهم لا يقبل منه دين غير دينه فظهر نفسك أولاً بالدخول فى ملته ثم اشفق على أمته بسلك سنته فعند هذا تكون الشقيق ومن غير هذا فمالك من المحقين رفيق كيف وقد قال الله تعالى «يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود



والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض ومن يتولهم منكم فإنه منهم ان الله لا يهدي القوم الظالمين» الى ان قال «انما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلوة ويؤتون الزكاة وهم راعون ومن يتول الله ورسوله والذين آمنوا فإن حزب الله هم الغالبون» وانما قد امتثلنا أمر الله فما نتخذ وليا الا الله ورسوله والمؤمنين وعلى ذلك قد وعد الله بالغلبة كما سمعته من قول الله هذا حيث ان الله يقول هم الغالبون فلا غلبة لغيرهم فان رجعت عما أنت عليه من ملة غير الاسلام وأثبت الى الله ورسوله واخترت الآخرة تتخذك وليا وتكون من اخواننا وتكون المودة المطلوبة عند الله ورسوله وتكون ممن امثل أمر الله بعد هذه الآيات فاستحق الوعد والبشارة في قوله تعالى «ولو ان أهل الكتاب آمنوا واتقوا لكفرنا عنهم سيئاتهم ولأدخلناهم جنات النعيم ولو انهم أقاموا التوراة والانجيل وما أنزل اليهم من ربهم لا كلوا من فوقهم ومن تحت أرجلهم» الآية فبعد هذا تتصل المحبة والمودة فيما بيننا وبينك وتكون ممن عمل بالقرآن والتوراة والانجيل وتكون قد اتبعت باتباع نبينا محمد صلى الله عليه وسلم عيسى وجميع الرسل والنبیین وحزت الخير الابدي والا حيث علمت ان حزب الله الذين وليهم الله ورسوله والذين آمنوا هم الغالبون من كلام الله فاعلم ان حزب الله واصل اليك ومزيل لك عما شاركت به خالقك فادعيت ملك عباده وأرضه مع ان الارض لله يورثها عباده الصالحين وأما المسلمانيون والمسيحيون الذين دعوت الى اطلاقهم اليك فانا أريد لهم الصلاح والنفع عند الله وفي دار الابد كما أريده لك ولكافة عباد الله فلا أبعدهم من جنهم الي محنتهم فان الله قد أيدني رحمة للعباد لا تقدهم من الهلاك الذي هم واقعون فيه لولا رحمة الله بظهورى فيهم واعلم انى

المهدي المنتظر خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم فلا حاجة لي بالسلطنة  
 ولا بملك كردفان ولا غيرها ولا في مال الدنيا ولا زخرفها وانما أنا عبد لله  
 دال على الله والي ما عنده فمن كان سعيداً اجابني واتبعني ومن كان شقيماً أعرض  
 عن دلالاتي فازاله الله عن موضعه وأذله وعذبه عذاب الابد وقد أيدني الله  
 تعالى بالانبياء والمرسلين والملائكة والمقربين وجميع الاولياء والصالحين لاهياء  
 دينه وقد بشرني النبي صلى الله عليه وسلم ان جميع من يلقاني بعداوة يخذله الله  
 ويهزمه ولو كان الثقلين الانس والجن فلا تعتر قهلك كما هلك اخوانك  
 فافهم وسلم تسلم. وأما الهدية التي أرسلتها لنا فعلي حسب نية الخبير جزاك الله  
 الخير وهداك الى الصواب واعلم انه كما كتبنا لك أنا لا نرغب متاع الحياة  
 الدنيا وزينتها وانما هي قصد المترفين الذين لم يكن لهم عند الله نصيب فيها هي  
 مرسولة اليك مع ما نرغبه من اللبس لنفسنا ولاصحابنا الذين يريدون الآخرة  
 ويرغبون فيما عند الله من الخير الباقي الابدى ليستحقوا بذلك نعيم الابد  
 وملك الدوام كما درج على ذلك الانبياء والمرسلون وجميع السعداء من عباد  
 الله الصالحين وتعلم ذلك أنت حقيقة من سيرة عيسى عليه السلام وحواريه  
 وقد قال كبيت لكم الدنيا فلا تعشوها بعدي فتعلم بذلك ان من خالفه من  
 الاحبار والرهبان وجميع من يدعي اتباعه ليسوا محققين وانما غرتهم الحياة  
 الفانية والامتعة الآيلة الى ان تكون جيفة وعذرة ثم عدما محضاً فتكون  
 حسرة وندما عند فراقها لما فوتته من اكتساب خيرات الدوام ثم ان مثل  
 هديتك عندنا كثير ولكن أعرضنا عنه طلباً لما عند الله وأقول في ذلك كما  
 قال سليمان عليه السلام لبليقيس وقومها «أتمدون بما لآتاني الله خير مما آتاكم  
 بل أنتم بهديتكم تفرحون ارجع اليهم فلنأتينهم بجنود لا قبل لهم بها ولنخرجنهم

منها اذلة وهم صاغرون» واعلم انك اذا أتيتنا مسلماً نريك ونريك من النور  
 ما يطمنن به قلبك ويزول به طمعك في الدنيا وما فيها ثم بعد ذلك ان رأينا  
 فيك خيراً وصلاً للمسلمين وليناك كما فعلنا ذلك بمحمد خالد المشهور بزقل  
 مدير (دارا) سابقاً فانه لما أتانا ورأى الحق وفرح بلقائنا غاية وندم على ما فات  
 مما ضيعه من عمره في الفاني واطمان قلبه بالله واختار الآخرة ووثق بالله  
 وليناه على دارفور وقد كتب لنا قبل ذلك عبد القادر سلاطين بالتسليم  
 فاكرمناه والي الآن نريد كمال تربيته وهو الآن في خير كثير وكذلك السيد  
 جمعه الذي كان مدير الفاشر الآن أرسلنا الي محمد خالد المذكور يأتي به الينا  
 لكمال التربية والارشاد وبلغنا حسن اسلام الدمترى سباهه وصدق اتباعه  
 لنا وابنته للآخرة وكذلك جميع أمراء النقط بدارفور قد اذعنوا لله كبقاتي  
 سلاطين دارفور وسلموا جميعاً أمرهم الينا في حب الله ورسوله فحسن تسليمهم  
 واتباعهم لنا وكذلك الملك آدم مك جبال تقلي الآن أتى مهاجراً لما رأى الحق  
 وحسن اتباعه وصدقته وقد اكرمناه وهو الآن معنا بخير كثير وهلم جرا  
 فكل سعيد لا يدان يتصل بنا من جميع أقطار الارض ومن أبي لا بد أن يخذله  
 الله ويعذبه في الآخرة كما أشار الي ذلك النبي صلي الله عليه وسلم مراراً وليكن  
 معلوماً عندك يا حضرة الباشا ان جميع الذين قتلوا على يدي قد اندرتهم أولاً  
 اندرا بليغا وهاهو واصل اليك اندار ولد الشلال بعد مخاطبته لي وانذار  
 هكس باجوبة عديدة للعامه وجواب مخصوص له ولا كابر جيشه وقد أرسلنا  
 الي باشة الابيض بجواب فقتل أرسلنا وبعد أن وقع في يدنا اكرمناه واعطيناه  
 جبة جميلة ليتدرج الي الصدق مع الله ولا زلنا نكرمه ونعظمه ليقمدي بنا  
 ويصدق مع الله فيكون من الاصحاب الذين هم كالنفس فلم يصدق ولا زال

يقع فيما يهلكه ونحن نصفح عنه حتى أخذته نيته فأت ومعه ذلك لاجل مباحته  
ومجالسته معي إياماً قد أتانا خبر بعد موته أنه عفى عنه في الآخرة فصار من السعداء  
والعبد إذا كان يسعد في الآخرة فهو المقصود ولا خير في الدنيا ولا في نعيمها  
بل إنما متاعها يكثر الحسرة والحس فقط يوم القيامة ونيتي بالعباد سعادتهم في  
آخرتهم الأبدية وإزالة الهلاك عنهم من الله ولذلك لاطفت جميع الأكارب وأهل  
الدولة بالقول والفعل ليمرفوا ما عند الله فيرغبوا فيه. ويتركوا الحسيس الفاني  
وهكذا جميع من وقع في قبضتنا من الأكارب من أهل الدولة والحكام ما عملنا  
معه إلا الخير والأكرام فن صدق منهم معنا فهم الآن في خير كثير وازدياد  
شرف والسلام — جماد أول سنة ١٣٠١

وبعد هذا البيان فإن اهتديت وسلمت لي واتبعني حزت شرف الدنيا  
والآخرة وفزت بأجرك وبأجر جميع من اتبعك والأهلك فمكان عليك  
أثمك ومثل آثام جميع من اتبعك وإن كان لك حسن نور في العقل تعلم أني خليفة  
رسول الله صلى الله عليه وسلم فلا تتهمني فيما أسوق به إلى الله والدار الآخرة  
ولا تسمع على قول الظالمين الحساد الذين يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم  
ويأبى إلا أن يتم نوره وقد قال صلى الله عليه وسلم من شك في نصرته المهدي  
فليقرأ قوله تعالى هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على  
الدين كله ولو كره المشركون وقوله تعالى كلما أوقدوا ناراً للحرب أطفاها الله  
ولزيادة الشفقة عليكم لزمتم التحشية بهذا والهادي هو الله وكثرة البيان  
لا تهدي هدايا الله والعباد إلى الصواب آمين

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

الحمد لله الوالي الكريم \* والصلاة على سيدنا محمد وآله مع التسليم

(وبعد) فمن عبد ربه الفقير الى الله محمد المهدي بن عبد الله الى غردون باشا باطلاعك على ماتدون بالجواب اليك تعلم باطنه وبه كسوة الزهاد أهل السعادة الكبرى الذين لا يبالون بما فات من المشتميات طلبا لعالي الدرجات وهي جبة ورداء وسراويل وعمامة وطاقيّة وحزام وسبحة فان أنبت الى الله وطلبت ما عنده فلا يصعب عليك أن تلبس ذلك وتتوجه لدائم حظك وها هو الرسول الذي أتى منك واصل اليك مع رسل من عندنا كما طلبت والسلام «صورة ما كتبه المهدي على ظهر المظروف الذي أرسل الى غردون»

سألتك بحق الله وبنبيه عيسى عليه السلام أن تقف على أجوبتنا هذه بالحرف وقد أبلغني محمد سعيد المسلماني الذي يسمي جورجوا اسلامبوليه أن رجلا يسمي السيد افندي نعيم الاجزائي له معرفة بلغتكم وبأخط العربي وما دام انه يعرف الخطين واللغتين نرغب منكم الوقوف على ما في هذا الظرف جميعه حرفياً على يد المذكور أو من هو مثله وقد سألتك السؤال المذكور لما ذكرته والسلام اه

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

الحمد لله الوالي الكريم والصلاة على سيدنا محمد وآله مع التسليم (وبعد) فمن الفقير المعتصم بمولاه محمد المهدي بن عبد الله الى من يسمع من أهل الجردة ممن له عقل فانه لا يخفى على ذي عقل ان الامر بيد الله ولا يشركه في ذلك بنادق ولا مدافع ولا سواريح ولا عصمة لاحد الا من عصمه الله تعالي فاذا فهمتم ذلك فاعلموا ان الله واحد فلا تغتروا بأسلحتكم ولا بجموعكم التي تريدون ان تقاتلوا بها جنود الله فانه لا قوة لشيء دون الله وان قاتم إن مهديتنا مكذوبة فاعلموا ان التكذيب انما يصدر ممن يحب الدنيا ويخاف

المخلوق ويستعجز قدرة الله فاذا فهمتم ذلك فلا تغرنكم أقوال علمائكم فان  
الترك الذين قتلتم شكوا للحق عز وجل وقالوا يا الهنا ومولانا إن المهدي قتلنا  
من غير انذار فاقول يا رب انذرتهم فلم يسمعوا وحضر على ذلك شاهدا سيد الوجود  
صلى الله عليه وسلم وقال لهم الامام المهدي انذركم فلم تسمعوا له وسمعتهم قول  
علمائكم فذنبكم عليكم فاقبل بعضهم على بعض يتسلاومون فقال الذين  
استضعفوا للذين استكبروا لولا انتم لكننا مؤمنين قال الذين استكبروا للذين  
استضعفوا أنحن صددناكم عن الهدي بعد اذ جاءكم بل كنتم مجرمين فان كان لكم  
نور تؤمنوا بالله ورسوله والدار الآخرة وتصدقوا بمهديتنا وتخرجوا اليها  
مسلمين ومن أسلم يسلم وان ايتم الا الجحود والاعتزاز بالمدافع والبارود فاتم  
مقتولون كما أخبر سيد الوجود وأسوتكم ماسبقكم من الجنود والسلام - ١٩ ذي

الحجبة سنة ١٣٠٠

وقدم على غردون رسولان مع رسوله يحملان الكتب والهدية التي  
هي جبة مرقعة وسراويل وعمامة كلها من نوع خرقة اسمها (الدمور) تصنع  
في السودان وهي أبدأ من النوع الذي يعمل في مصر أشعة للسفن الشراعية  
ولما وصل الرسولان الى الخرطوم شهرا سيفيهما فأمرها ضابط باب  
الحصن باغمادها فلم يطيعاه فأمر غردون بالمحافظة عليهما حتى يصلا السراي  
وهاج أهل الخرطوم عليهم وهم الصبيان والرعاغ برجمها بالحجارة فمنعوا ولما  
دخلا على غردون قال له السلام على من اتبع الهدى (وسلماه الكتب  
والهدية ولما نظر الهدية غضب ورفسها برجله وقال (غوديم) ثم اطلع على  
الكتب وابتقى الرسولين بطرف حاجب السراي ريثما حرر للمهدي كتابا قال  
فيه انني أدعوك الى السلم وأنت تدعوني الى الحرب وادعوك الى حقن الدماء

وأنت لا تميل الا الي سفكها فاقول لك الآن لا بد من تهرك وكبح  
 جراح طغيانك ومهما يكن عندك من الاتباع فلا بد ان ترضخ صاغراً أو  
 تهلك حيال قوتي الحكومة الخديوية والدولة الانكليزية وعاد الرسولان الي  
 المهدي واشتغل غردون بمخابرة مصر ولوندره بالتلغرافات التي نذكرها فيما يأتي

### مامورية غردون الحقيقية

عقدت هذا الباب بياناً شافياً لما سردته قبل من مأمورية غردون التي  
 كانت ترمي اليها حكومة انكلترا وقد حسر اللثام عنها غردون نفسه فيما كتب  
 من مذكراته المشهورة بتاريخ ٢٢ يناير وهي بنصها

أرى ان حكومة جلالة الملكة قد عقدت النية على ان لا تأخذ على عهدتها  
 المهمة الكثيرة الصعوبة التي غايتها وضع حكومة منتظمة لأمم السودان وانها بدلا  
 من ذلك قد صممت ان ترد الي هذه الامم حريتها وان لا تسمح للحكومة  
 المصرية بالتداخل في شؤون تلك الامم اه

وعليه فان مأمورية غردون منحصرة في هاته السطور بمعنى ان  
 حكومة جلالة الملكة كان غرضها ان يهد غردون السبيل لوقوع تلك البلاد  
 في مخالب الفوضى وبعبارة أخرى ان يقضي على نفوذ مصر في تلك الارحاء  
 هذه كانت مقاصد انكلترا أما الخديوى توفيق باشا فان مقاصده الحقيقية

اعادة الامن والسلام الي هاتيك الاقطار ثم اجبر على تحوير مقاصده بجملها  
 قاصرة على انقاذ المخلصين من رعاياه من الخطر المحدق بهم واخلاء السودان  
 اخلاء تاماً عن كل المصريين والذين استوطنوه من العناصر المتمدنة واقامة  
 حكومة وطنية بها

ويظهر جلياً ان الخديوي كان مرتاباً في نجاح مأمورية غردون بالطريقة  
السلمية التي كان متمسكاً باذيالها ولذلك صرح للبارون دي مالورتي بالتصريحات  
الآتية وقد نشرها البارون في الصحف الانكليزية الكبيرة وهي كما يأتي  
لم يكن في استطاعتي ان اُبدي دليلاً على حسن مقاصدي باحسن من  
تعيين غردون باشا حكمداراً عاماً للسودان ومنحه كل السلطة في عمل ما يراه  
ضرورياً لاصابة الغرض الذي ترمى اليه حكومتى وحكومة جلالة الملكة .  
حتى انى قلده نفس السلطة المخولة لي وتركت له الحكم على الحالة الراهنة ولا  
ريب في ان ما يستطيع اتيانه من الاعمال احسن ما يكون . وقد قبلت سلفاً  
ما يمكن ان يقترحه من الوسائل الي ذلك اذ ما يراه حسناً من التصرفات يكون  
الزامياً بالنسبة اليّنا ثم انى بعد ان جعلت عظيم ثقتي بهذه الكيفية في هذا  
الباشا لم اشترط عليه الا شرطاً واحداً وهو ان يبذل عنيته فيما فيه طمأنينة  
العناصر المتقدمة من اوروبيين ومصريين وها قد أصبح الآن الرئيس  
المفوض يرافقه حسن آمالي في هذه المأمورية التي هي من الخطارة والاهمية  
بمكان فان قلبي يذوب عند ما أفكر في الالوف المألقة من رعاياي المخلصين  
الذين تكفى غلطة منه لهلاكهم . وانى لا أشك في انه سيبذل كل ما في وسعه  
لحقن دماء اكثرهم على الاقل . فان نجح بعون الله في اخلاء الخرطوم وأهم  
مواني السودان الشرقي فله الشكر مدي الدهر على رعيته التي ترمد فرائصها  
من توقع ما يخشى حصوله بعد حين . أما قولى لك انه ينجح في مأموريته فهو  
من قبيل المجازفة منى في الكلام كثيراً فان امامه قوات اكثر منه عدداً  
وأهوالاً غير انازجو الخير وأما هو فيمكنه ان يعتمد على اصدق مساعدة  
وأسرع معونه منى انا وحكومتى بقدر ما تصل اليه يد الامكان اه



ويظهر من هذا التصريح ما قلناه من ان الحديو اجبر على قبول مأمورية غردون على علاقتها ولما رآها ترمي الى غرض إيقاع السودان في مهاوى الفوضى اقتنع بامنية واحدة هي انقاذ رعاياه المخلصين من الشرور التي كان متوقفاً حصولها من نتيجة مأمورية غردون الذي أرسل ليموت حتى يموت به يتم غرض دولته

على ان غردون لم يكن جاهلاً بكنه تلك النية ولهذا كان يرسل التلغرافات تترى ويدون المذكرات لايقنع قومه بالعدول عن ذلك العزم بل ليجعل التاريخ حكماً بينه وبين قومه لاعتقاده ان تلغرافاته ومذكراته لا بد ان تنشر على الجمهور ويطلع عليها العالم أجمع وهم لا بد ان يحكموا له لا عليه وقد تحققت أمنيته حيث نشرت الحكومة البريطانية تلك المذكرات والتلغرافات في كتبها الزرقاء وكان لها من الاهمية فوق ما كان يتبادر صاحبها وقد دارت مباحث كثيرة بشأنها في اندية انكاترا وبرلمانها ومجلس لورداتها وأهم هاته التصريحات مافاه به مستر غلادستون في مجلس العموم حيث قال « ان حكومة جلالة الملكة تأخذ على عاتقها مسؤولية المأمورية التي القيت مقاليدها الى غردون أدياً وسياسياً وانها ستعمل كل ما في وسعها للوصول الى نتيجة مرضية اه

ثم فاه غلادستون أيضاً بتصريح اوضح من هذا حيث قال « ان مهمة غردون هي اخلاء السودان وانقاذ موظفي الحكومة ثم قال ان ثقتنا به عظيمة ولسنا مبالغين في شيء من روايتنا واننا عقدنا النية على ان لانفاجأ بعمل دون استشارته وأخذ آرائه»

وغير هذا وذاك كثير من التصريحات التي لا مشاحة في انها كانت من

معميات السياسة حيث يري من ظاهرها ان غردون لو أشار باصبعه لملاّت انكلترا البر والبحر رجالا وسفنا وانقذته من كل خطر يهدده وقد اكدت الحوادث خلاف هذه الاقاول فان الانكايز صموا آذانهم دون نجاته حتي قضي عليه ولم يمدوا له يد المساعدة وذلك أدل دليل على ان ما عقدوا نيّتهم عليه لم يكن غير ما أصاب غردون وما تم من إعطاء أمم السودان حريتهم ومنع الحكومة الخديوية منعاً باتاً من التداخل في شؤونهم وسنورد بعد هذا كثيراً من مذكرات غردون وتلغرافاته وهي تؤيد ما قلناه وثبت كل ما أوردناه والله الهادي الى سواء السبيل

### ذكر تلغرافات غوردون

لما نيس غردون من نجاح مأموريته السلمية وانقطع جبل رجائه بما ورد عليه من كتب المهدي وداعيته محمد بن البصير اجتاز النيل الازرق الى الشرق عند قصر راسخ بك وأرسل احدى عشرة رسالة برقية الى السير بارنج يخبره فيها بما وصلت اليه حالته وان العدو على وشك الزحف عليه للاحاطة بالمدينة وان الاسلاك البرقية ستقطع قبل أن يتمكن من مخابرة مصره أخرى وأرسل برسائل اخرى الى الخديو المرحوم توفيق والى نوبار باشا رئيس الوزارة المصرية وقتئذ فورردت عليه من السير بارنج رسالة جاء فيها انه لم يفهم ما تضمنته الاحدى عشرة رسالة وان الاولى به أن يخبره بقصده بعد طول التفكير مع ان ماجاء في الاحدى عشرة رسالة يتضمن شيئاً واحداً هو بالايجاز وجوب ارسال النجدة لاسعافه وحفظ خط الرجوع من دنقله الى بربر ولعل جناب السير افان بارنج كان يقصد من قوله لم أفهم انك لا تجهل

ان مقاصد حكومة جلالة الملكة غير ما تطلبه ولم أفهم منك هذه الطلبات حيث انك لا تجهل انها لا تتحول عما عقدت نيتها على انفاذه وفي تلغرافات غردون ان الاسلاك البرقية على وشك الانقطاع وانه من المتعذر بمد هذه الفرصة وصول اخباره الى القاهرة فكانت اشارة السير بارنج بمخبرته بعد التفكير امرا في غاية الصراحة بعدم لزوم المخبرة حتى يقضي الله امراً كان مفعولاً

وأرسل غردون تلغرافاً في أول مارس سنة ١٨٨٤ الى السير بارنج جاء فيه ما يأتي

لم أزل أعتقد بكل الاعتقاد ان اخلاء السودان ممكن لكن أقول لك انه من المستحيل اجلاء المستخدمين المصريين عن الخرطوم اذا لم تساعدني الحكومة في الطريق الذي أوضحته لها اه

فأجابه السير بارنج بتاريخ ٢ مارس بالرسالة الآتية

قد وصلتني الاحدى عشرة رسالة التلغرافية المرسلة الى في الاربعة ايام الاخيرة بخصوص مسائل السياسة العامة واني شديد الرغبة في مساعدتك بكل طريقة لكنى لم أتمكن من معرفة ما ترغبه للآن وأرى ان أحسن طريقة هي ان تلخص المسألة جيداً وتخبرني تلغرافياً بما تستصوبه اه

فأجابه غردون بالرسالة الآتية

يجب على الحكومة مساعدتي وان اجابة مطالبى ضربة لازب هذه خلاصة ما تبودل بين غردون والسير بارنج من التلغرافات وقد كان هذا يعرضها كلها على الحكومة الانكليزية ويشفعها بعبارات تعرقلها. منها تلغراف السير بارنج الى اللورد غرانفيل بتاريخ ٤ مارس حيث قال ما يأتي

ان الجنرال غردون والسير ستيوارت يلحان بوجود فتح الطارق بين  
سواكن وبربر لنجاح مأموريتهما الحاضرة

أما أنا فلا يمكنني تعضيد ماجاء بتلغراف ستيوارت من ارسال فرقة  
من الحيلة الانكليزية أو الهندية الى سواكن

وأرسل السير بارنج الى اللورد غرانفيل الرسالة الآتية أيضاً  
أشرف بأن أخبر سعادتكم ان الجنرال غردون كتب الى تلغرافياً  
باننا لو أرسلنا مائة جندي الى أصوان ووادي حلفا يأمن من كل خطر  
ويكون في حالة اطمئنان كالسواح المسافرين في النيل وينتج منها تحو بل صغير  
أما أنا فلا أريد مطلقاً أن أخاطر بحياة فرقة صغيرة مؤلفة من مائة جندي  
فقط اه

وقد كان غردون لسوء حظه يبعث بتلغرافاته الى السير بارنج وقد رأيت  
كيف انه كان ينصب نفسه لما كسبه والنصح للحكومة البريطانية بعدم  
الالتفات الي شيء من مطالبه حيال تلك التصريحات التي تقدم لنا ايرادها عن  
الجناب الحديوي وساسة الانكيز الذين تعهدوا بمساعدته ومعاونته في سبيل نجاح  
مأموريته حتي أن نجاته كانت متوقفة على ارسال مائة جندي الى أصوان  
وحلفا فلم ير السير بارنج لزوماً للمخاطرة بهذه الكوكبة الصغيرة فهل بعد  
ذلك كله من حاجة الى برهان بان غردون أرسل ليموت ويترك السودان  
الى القوضي ويرى القاري فيما أوردناه من تلغرافات السير بارنج الى غردون  
بتاريخ ٢ مارس عبارته التي يقول فيها اني شديد الرغبة في مساعدتك بكل  
طريقة ثم ما أوردناه بعدها من تلغرافاته الي دوائر انكلترا وعرفلته لسكل  
مشروع من شأنه ان يساعد غردون على النجاح حتى انه نصح الحكومة

الانكليزية بعدم ارسال مائة فارس الى اصوان ووادي حلفا لان ارسالهم  
يكون سببا في ابعاد الخطر عن غردون بعض الابعاد

على أن ارسال المائة فارس الي حلفا كان يقصد به غردون ان اخبارهم  
تصل الي المهدي بنو كثير حيث يظن ان جنودا قادمون لامداد غردون  
فلا يجسر على التقدم عليه ومناجزته

ولو عملت الحكومة الانكليزية براي غردون وأرسلت المائة فارس لكانت  
النتيجة حسنة ولم تسقط بربر في أيدي المهديين حيث بسقوطها أحرق الخطر  
بغردون وانقطع أمه من وصول نجد عن طريق حلفا أو سواكن لان بربر نقطة  
التقاء الطريقتين

وكان قصد غوردون بكل مخابراته مع السير بارنج أن يكون التاريخ  
حكما بينه وبين انكرا كما قدمنا ولذا بعث بتلغرافات قبل وصوله الى الخرطوم  
فخواها ان الاضطرابات اقل مما كان يظن وانه يرى ان لامندوحة له من  
تمحيص حكومة جلالة الملكة النصيح بتسكين الاضطراب في السودان  
الشرقي وتقوية خطوط الاتصال بين بربر وشواطئ البحر الاحمر من جهة  
وبين حدود مصر من جهة أخرى وحاول اقناع السير بارنج بان السودان  
مفتقر كل الافتقار الي اشراف الحكومة الخديوية عليه بحقوق السيادة  
وسأله ابدال فرمان الذي كان يحمله بأخر يحتم على السودان وجوب الخضوع  
الي مصر فذهبت مساعيه كلها ادراج الرياح وأصر السير بانج على انفاذ الخطة  
التي توخاها أولا ولم يلتفت الي شيء من نصائح غردون الذي كان يرى ان  
وقوع السودان كله في قبضته سيكون خطراً على مصر وان احتلال انكرا لوادي  
الذيل يحتم عليها العمل عاجلاً لابعاد كل الاخطار عن البلاد التي احتلها

ليوطدوا دعائم الامن والراحة في ارجائها

وجاء ضمن نصابه ان حكومة جلالة الملكة ستتضرر يوماً لمناجزة المهدي وكبح جماح طغيانه وسوف تتكبد من الضحايا ما يبلغ عشرة أضعاف ما تتكبد به الآن لو عملت بمشورته وقبلت نصيحته فلم يلتفت السير بارنج الى شيء من ذلك كله بل أصر على انفاذ مرسومه ساسة قومه غير مكترث بشيء من الضحايا التي يتكبدها سكان السودان عموماً وسكان الخرطوم خصوصاً والحاصل ان تلغرافات غردون لم تعد بفائدة ولو صغيرة واصبح لامناص له من الوقوف امام الصعوبات التي كان يراها تدنومنه حتى وقع القضاء وتغلب المهدي على السودان والامر لمن له الامر

ولما كانت الصور الرسمية التي بايدينا قد لعبت بها أيدي الضياع ايام وقوعنا في أسر المهديين اضطررنا لنقل هذه التلغرافات من كتاب مصر في عهد الاحتلال الانكليزي لمؤلفه هنس رزير الالماني مترجماً وكلمها طبق الحقيقة

### اول حصار الخرطوم

ذكرنا ما كان من أمر الشيخ العبيد وما ورد عليه من كتب المهدي وقطعه الاسلاك التلغرافية ثم سماحه باعادة اصلاحها وفي غضون اشتغال غردون بمخابرة السر بارنج ارسل اليه الشيخ العبيد كتاباً يدعو فيه الى التسليم في هذا اليوم وانه أمر بقطع اسلاك التلغراف في الغد فكتب اليه غردون بالاطمئنه ويسأله ان لا يكون مع المهدي لمكانته من الصلاح والشهرة فرد عليه اسوأ رد وفي يوم ١٦ مارس زحف ابراهيم والعباس ابنا الشيخ العبيد ومعهما سبعون الف مقاتل على الضفة الشرقية

من الخرطوم وقطعوا الاسلاك قبيل الظهر وتقدموا الى الضفة النيل واطلقوا  
النيران على المدينة وكان جل مقدوفاتهم يسقط على سراي غردون لان موقفهم  
كان تجاهها

واجتمع في سراي غردون من سكان المدينة نحو الف نسمة يظهر  
شديد اسفهم وكان هو واقفا كواحد منهم الا انه كان مصوبا نظارته المعظمة  
الى مكان اجتماع العصاة وكان اكثر الناس مثله وسمع البكاء والولولة من دور  
المدينة كلها لان السكان كلهم مدركون خطارة الحالة وشاعرون بما يحدث بهم  
من الاهوال والمصائب وغردون كان في الباطن مثلهم لا يقل عنهم الا انه كان  
يظهر عدم الاكتراث ويبدى من الضعف قوة ومن اليأس رجاء حتى كان ظهوره  
بهذه الصفات مما ساعد كثيرا على بث روح الشجاعة في قلوب السكان

### واقعة الخلفايه واصابة المؤلف برصاصة

والاحسان عليه برتبة اللواء

في اليوم الذي ظهر فيه العصاة وقطعوا الاسلاك البرقية عهد الى غردون  
ترتيب الحامية في الضفة الشرقية حول قصر راسخ بك وتفقد الخندق المحيط  
بذلك القصر فاجتزت النهر وعدت بعد ان رتبت الحامية فالقبت البواخر على  
أهبة السفر وبها نحو ثلاثة آلاف جندي بين نظاميين وغير نظاميين  
فاستدعاني غردون ودفع الي أمرأ بقيادة هاته الجنود وأمرني بمباغمة العصاة  
الذين عسكروا في الخلفاية على بعد أربعة أميال من قصر راسخ بك فاجهرت  
على الباخرتين ولدي وصولنا الى الخلفاية أقيت العدو قد تحصن بها وراء  
متاريس وشاد نحو ثلاث طواب فأخذ مني العجب مأخذاً حيث لم يكن قد

مضى عليه اكثر من بضع ساعات منذ حلوله في هذه الجهة وكانت متارينهم  
 وحصونهم بشكل نصف دائرة فرجتها الى النهر وعرضها الى القلعة  
 وبعد ان ألتق الباخرتان صراسيمهما شككت قلعة زحفت بها على ميسرة  
 العدو الذي قابلنا بثبات غريب وصوبنا قنابلنا الي الثلاثة طواب واجتحننا  
 المتارين من جهة الميسرة وبعد ساعتين ثبت فيهما الجنود ثباتا غريبا استولينا  
 على المتارين والطوابي وطردنا منها العدو وتقدمت ميمتنا واحتلت الاكواخ  
 التي كان النساء والاطفال فيها وساقتهم أسرى وقبضنا على عدد كبير من  
 الرجال أسرى كذلك

وكانت ميمنة العدو باقية على المقاومة فتقدمت نحوها بميسرة جنودي  
 فتمكنت في برهة يسيرة من الزمن من طردهم واحتلال موقعهم فثأرتهم  
 الجنود الذين اضطرت لارغامهم على العودة الى النظام وعدم تأثر العدو لان  
 الظلام بدأ بارخاء سدوله علينا وبينما أنا على هذه الحالة أصابتنى رصاصة في  
 نخذي الايمن اخترقت اللحم ونفذت الى العظم فاحتملني الجند وعادوا بي  
 البواخر واستولت عليهم دهشة شديدة عادوا بسببها الى البواخر بدون انتظام  
 ولو لم يكن العدو قد لجأ الى الفرار لكانت العاقبة سيئة ولم يفقد من الجنود  
 غير اثنين وواحد من قواد الباشبوزق

ولما عدت الي المدينة استقبلني غردون ملهوفو لما رأني ملقى على الفراش  
 والدماء تسيل من نخذي تأثر الي درجة كاد يفقد معها عقله وأصدر في الحال  
 أمره باحتمالي الي دارى وأمر طبيبه الخاص بالاشتراك مع أطباء الحامية  
 وشدد عليهم في وجوب الاعتناء بمعالجتي وخاطبني قائلا قد أهدت عليك  
 برتبة اللواء وسلمني اعلا نأ بذلك



وظلمت ملازم الفراش نحو ثلاثة أشهر كان يزورني خلالها كل يوم وقد رجوته مراراً عديدة ان يقلل من زيارتي حرصاً على عدم ضياع أوقاته في غير الاهتمام بشؤون الدفاع عن المدينة فلم يفعل بل ظل على عادته حتى من الله على بالشفاء وأصدر الأطباء قراراً بان الإصابة كانت خطيرة جداً وكان يخشى على حياتي منها وأن مانشأ عنها من العاهة يستحيل زواله واعدتني الى الحالة الاولى

### واقعة القبة

القبة قرية على ضفة النيل الشرقية بينها وبين الخرطوم النيل وموقعها بازاء المدينة وسكانها سود وبها ضريح قديم لشيخ اسمه ( خوجلي ) يزعم أولئك السكان اهم من نسله وهي مرتفعة عن البحر وهوؤها جيد يقصدها أهل الخرطوم للنزهة والرياضة

ولما هزمتنا العدو في الحلفاية تراجع في ليلته وتجمع في هذه القرية واتخذ جدران المنازل متاريس واخذ يطلق النيران على المدينة حتى تعذر على السكان الاستقاء من النهر فوضع غردون تحت سرايه مدفعين من طرز كروب واخذ يطلق واحدا بنفسه والمستر باورفصل انكترا في الخرطوم يطلق الثاني والرصاص يهطل عليهما كالمطر وهما في غاية الثبات وقبيل الظهر امر بتشكيل قوة من الف جندي تكون محمية بالقبائل تفاجى بمكان العدو لتطرده فسارت القوة براً من حصن قصر راسخ بك يقودها ضابط عظيم فامسك العدو عن إطلاق النيران حتى أشرفت على متاريسه فهاجمها فرسانه فاطلقت النيران عليهم حتى ولوا الادبار ودخل ثلاثة فرسان المربع فواقموا القشل في الجنود وانتثر عقد نظامهم وولوا الادبار الى الحصن وكان غردون ينظر ذلك بعينيه

فأظهر الاستياء للقائد وأمره باستئناف الهجوم في الظهر حيث تمكن من  
 دحر فرسان العدو الذين وثبوا عليه ثاية ودخلت الحامية القرية وأجلبت عنها  
 العدو وخرج كثير من سكان الحُرطوم ولحقوا بالحامية ونهبوا القرية وأضرموا  
 النار في المساكن ثم عادت الحامية الى حصن راسخ بك عند غروب الشمس  
 وبذلك عاد بعض الامن الى ضفة النهر وأمسي السكان قادرين على  
 الاستقاء منه الا أنهم كانوا يمدون الكرة وينطلقون النيران على المدينة  
 فعقد غردون مجلسا من القواد وموظفي الحكومة وبعد المداولة أقر على  
 انفاذ قوة كبيرة تسير من قصر راسخ بك برا الى الحلفاية تهاجم العدو وتطرده  
 من معسكره

وكان غردون يظن ان هذه الحركة ستكون نتيجتها الفوز كما حصل  
 للقوة التي كنت قائدها فخاب أمله حيث خان اثنان من القواد وذبح نحو  
 ثلاثة آلاف نفس من الحامية كما تراه مفصلا فيما يأتي

### ترجمة السعيد حسين وحسن ابراهيم

السعيد حسين الجميعاني نحاس كان مع ابن الزبير وقد ذكرنا ان غردون  
 ولاء على احدى المقاطعات بدارفور هو والنور عنقره لما اعتزلا ابن الزبير  
 وهو من قبيلة حقيرة اسمها (الجميعاب) تسكن على بعد خمسة عشر  
 ميلا من شمال الحلفاية وعدد نفوس هاته القبيلة لا يتجاوز الخمسمائة نسمة وأرضها  
 قاحلة مكسوة بالحجارة ولا ماشية عندها وقوام معيشتهم على الاعمال  
 الدينية كأعمال الفعلة في الابنية وغيرها وكثير منهم لصوص وقطاع طرق  
 كما أنهم لا يأفنون الكسب ببذل العرض وخلع برقع الصون والنفان كالذين

أشار اليهم سلاطين باشا في كتابه المعلوم  
ولما كانت النخاسة والاعمال التي يقوم بها محترفوها لا تختلف عن مهنة  
الاصوصية انتظم من هذه القبيلة أفراد في سلك النخاسين كان من بينهم  
السميد حسين هذا حتى صار من أمره ان غردون لما استماله ولاه على احدى  
المقاطعات الواقعة بين دارفور وبجر الغزال ثم خرج على الحكومة حتى جرد  
عليه حاكم دارفور حملة أرجمته الى الطاعة قسرا وجاءت به الى الخرطوم  
ولدى عودة غردون أنعم عليه برتبة الميرميران الرفيعة مع لقب باشا  
وعينه قومنداناً على جنود الباشبوزق وجعل حسن ابراهيم المترجم الثاني  
وكيلا له حتى كان من أمرهما ما نورد به

وأما حسن ابراهيم فانه ابن عم يوسف باشا الشلالى وكان نخاساً أيضاً  
وترجمته لا تخالف ما أوردناه في ترجمة ابن صمه وقد أنعم عليه غردون برتبة الميرميران  
كالسميد حسين وعينه وكيلا لقمندانة جنود الباشبوزق

### واقعة الخلفاية الثانية

لما عقد غردون النية على انفاذ حملة أخرى الى الخلفاية لتنظر الدر او يش  
منها عهد بقيادتها الى السميد حسين الجميماي وحسن ابراهيم الشلالى وكان عدد  
جنودها ثلاثة آلاف من الباشبوزق وألفاً من الجنود النظاميين ومعها  
مدفعان من الطراز الجبلى وساروخان حريان وزحفت الحملة فى غداة اليوم  
الرابع من بداية حصار الخرطوم

ولما التقى الجمعان لم يقذف الجنود رصاصة واحدة حتى انحاز القائد  
السميد حسين ووكيله حسن ابراهيم الى الاعداء وجرد أسنيفيهما وقالاً

الله أكبر على الكفار ووضعوا السيف في رقاب الجنود الذين اختل نظامهم وذبح  
العدو منهم أكثر من ثلاثة آلاف وغردون واقف على سطح سرايه يرى  
هذا المنظر الفظيع ويضرب الأرض برجليه ويمض أنامله ثم اعترته نوبة شديدة  
فقد معها عقله وحاول أن يلقى نفسه من سطح السراي فأمسكه المستر باور  
قنصل انكلترا

ووقف عند المدفعين والساووخين نخاس اسمه مولا بك ودافع حتى  
قتله العدو وبلغ عدد الذين نجوا من غير ان يصيبهم سوء نحو خمسمائة نفس  
ولما وضعت الحرب أوزارها بقي السعيد حسين وحسن ابراهيم مع  
ال دراويش وقدمت الاطعمة فاكلا مع الامراء وجري الحديث بينهم  
فقال لهما أحد الامراء أرى انكما قد أدتما واجبكما وأخشي عليكما شرآ ان  
عدتما الى المدينة فقلا خفض روعك فانه لا باس من عودتنا واننا لا نقنع  
بما فعلناه بل لا بد من احضار رأس غردون لناخذ بشار الذين قتلهم  
من اخواننا النخاسين في بحر الغزال ودارفور ثم عادا الى المدينة بالليل فسألها  
غردون عما رآها يفعله انه فقلا ان الجنود اظهروا جبنآ واننا فعلنا ذلك  
لنكرهم على الثبات فاغتاظ من هذا الكلام وأمر بالقبض عليهما وسجنهما  
في المشلاق وألف مجلسا عسكريا لمباشرة التحقيق فظهرت اداتهما فيكم  
عليهما بالاعدام وصدق عليه غردون ولما أخرجوا الى ميدن القتل هاج الجنود  
وهجموا عليهما وضربوهما بالماول حتى ماتا وعجز القواد عن كبح جماح الجنود  
حتى ينفذ حكم الاعدام بالطريقة القانونية

ولحق غردون تأثر سيء من هذه الحادثة حيث أصيب بمرض كاديودي  
بجيتة ومع اشتداد وطأة المرض عليه كان لا يعمد الى الراحة والنوم على

الفراس الا بعض سويمات من النهار اما الليل فانه كان يقضيه ساهرا على  
الحصون يتلقى أخبارها كل لحظة ويأمر بزيادة التيقظ  
على ان حركة العدو وان كانت في الشرق والمدينة مأمونة من جهة الخندق  
المحيط بها فقط الا ان أهالي الضواحي الذين ذكرنا انقيادهم الي عبد القادر أم  
سريوم هجروا قراهم وأوغلوا في الغلوات وامتنعوا عن الدخول في المدينة  
وتقديم الاغذية لان ابن البصير والشيخ العبيد كتب اليهم بان كل من دخل  
المدينة كافر محاد لله ورسوله وماله وأولاده غنيمة للمسلمين  
وقد هجر المدينة نحو ثلاثين الف نسمة من السكان السودانيين ولحقوا  
بدعاة المهدي فامر غردون بهدم منازلهم وجمع أخشابها لوقود البوابورات  
وسكان المدينة ولم يبق في المدينة غير المصريين وسيأتي ان عددهم  
يقرب من مائتي الف نسمة عدا الذين هاجروا من المدينة الى القطر المصري

## ذكر حصار الفكي المصطفي الخراطوم

﴿ من جهة الضفة الغربية ﴾

الفكي المصطفي بن الفكي الامين بن ام حقين كان أبوه الفكي الامين  
معتقداً وكان يسكن جزيرة في النيل شمال أم درمان على مسيرة مرحلة واحدة  
وتوفى بها وله ضريح في الشاطئ الغربي

وكان الفكي المصطفي مشهوراً بالسكينة والابتعاد عما لا يعني منقطعاً  
لحراثة أرضه والقاء دروسه وارشاد مربيه فارسل له المهدي كتاباً معنوناً  
بعبارة مبهمه هكذا (الي العقلاء الكرام) مع رسول زوده وصايا شفاهية  
حيث قال له ادفع له الكتاب وقل له بعد اطلاعه عليه اذا لم تكن معانفكن

علينا وانه لا نجا لك بغير أمرين إما ان تجمع اليك قبائل الضفة الغربية من  
الجموعية والجميابة والسروراب والفتيحاب وتحاصر الخرطوم وإما ان تدخل  
مع غردون في المدينة وتكون معه علينا

ولما اطلع على الكتاب أرسل يستصرخ هاته القبائل فسلوا اليه  
وبأيامه على طاعة المهدي وخلع نير الحكومة فزحف بهم على أم درمان وعسكر  
ازاء نقطتها

وكان الغالب عليه ملازمة السكون فكانت الحامية في راحة حيث كان  
لايهاجها الا نادرا ولا يناوشها الا مناوشات خفيفة وهامى صورة الخطاب نقلًا  
عن كتاب المنشوات

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد الوالي الكريم والصلاة على سيدنا محمد وآله مع التسليم وبعد فمن  
العبد المقتدر الى الله محمد المهدي بن عبد الله الى العقلاء الكرام لا يخفى عزيز  
علمكم ان ماسوى الله هباء وكل مافى الدنيا زوال وما للعبد الا العمل الصالح  
الموافق للسنة وماسوي ذلك يعود بالحسرة والندامة وانى قد كاتب جميع  
المحبين ومشايخ الدين وانذرت بـكروب تحصل ولا فرج عنها الا  
باجتماعنا وذلك باشارة من سيد الوجود صلى الله عليه وسلم وبامر منه مع  
بشائر لنا جسيمة وأوامر عظيمة وأشار لنا صلى الله عليه وسلم الى محل يكون  
فيه قوام الدين وصلاح أمر الدارين وفضلا عن ذلك انه لا سعاية للعبد الا  
في الدين الخالص الموافق للكتاب والسنة واذا لم يكن العمل على ذلك فهو  
مردود كما ورد. وحيث ان هذا زمان توافقت فيه الناس على البدع ومحبة  
الدنيا وصار لهم ذلك عادة واسترقت الطباع بعضها ومعلوم ان الطبع

يسرق الطبع والانسان على دين من معه في الدنيا ويحشر يوم القيامة عليه قال صلى الله عليه وسلم « يحشر المرؤ علي دين خليله فلينظر أحدكم من يخال » واذا فهم العاقل هذا من سيد الوجود صلى الله عليه وسلم فلاشك انه ينحاز الي من ينهضه حاله ويدله علي الله مقاله وذلك هو الفقير المتجرد عن السوء المقبل على المولى الذي لم يكن له قبلة ولا مقصد الا الله تعالى وقد تجرد عن كل شيء سواه وتحقق بحقيقة لا اله الا الله وقد ورد. اذا رأيتم العالم يحب الدنيا فاتهموه علي دينكم. وفي بعض الكتب الالهية يقول الله تعالى « لا تسألوا عني عالما اسكره حب الدنيا فيقطعكم عن طريق محبتي أولئك قطاع الطريق علي عبادي » ومعلوم ان العبد اذا لم يكن له مقصد في التجرد لله تعالى يلاحظ في جميع كلامه وأحواله مايزيد جاهه ورئاسته ولا ينقاد للحق حيث كان بل يتكبر عليه ولا يخرج عن جاه ولا رئاسة لمجرد الحق وفي مثل هذا قال الله تعالى « واذا قيل له اتق الله أخذته العزة بالاثم فحسبه جهنم ولبئس المهاد » ولمثل هذا الضرر ورد الذم لحب الجاه والمال قال صلى الله عليه وسلم « حب الجاه والمال يبتان النفاق في القلب كما ينبت الماء البقل » وقال صلى الله عليه وسلم « ما ذئبان جائعان ارسلا في زريبة غنم بافسد لها من حرص المرء على المال » الحديث وقال تعالى « تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا في الارض » الآية والادلة الشرعية من الكتاب والسنة وبأمر من سيد الوجود صلى الله عليه وسلم كاتبناكم بالاجتماع معنا ومعلوم انه لا امان الا في الكتاب والسنة كما ورد ان المؤمن لا بنية له ولا مطلب له الا الدين فمن كان مهتما بإيمانه ودينه شفيقا على أمر ربه أجاب الدعوة واجتمع معنا للمعاونة على تقويم الكتاب والسنة ومن له جاه ورئاسة وانقاد للحق وانحل عن جاهه

ورئاسته لله والالتقياد على الدين الخالص عوضه الله خيرا منه قال صلى الله عليه وسلم «انك لن تجد فقد شئ، تركته لله» أي لن تجد له ألما ولاهما وقال تعالى «ولو ان أهل الكتاب آمنوا واتقوا ل كفرنا عنهم سيئاتهم ولادخلناهم جنات النعيم ولو انهم اقاموا التوراة والانجيل وما أنزل اليهم من ربهم لاكلوا من فوقهم وهن تحت أرجلهم» الآية ومن أشفق على جاهه ورئاسته وماله ولم يخرج من ذلك أوقعته في الهموم وفي سخط القيوم وزالت منه واعقبته الحسرة فقد قال صلى الله عليه وسلم «من جعل الدنيا همه شتت الله شمله وجعل فقره بين عينيه ولم يأتيه من الدنيا الا ما قسم الله له ومن جعل الآخرة همه جمع الله شمله وجعل غناه في قلبه وأتته الدنيا وهي راغمة» الي غير ذلك والقليل من ذلك ينفع المؤمن القابل والكثير وان أفيض لا ينفع المنافق الغافل والسلام»

### حوادث بربر

بربر اسم لاقليم من أقاليم السودان يحده من جهة الجنوب اقليم الخرطوم عند موضع اسمه (حجر العسل) وهو جبل صغير أحجاره من الصوان ويحده من جهة الشمال مقاطعة دنقلة ومن جهة الشرق اقليم كسلة ومحافظة سواكن

وسكانه ينقسمون الى قسمين رحالة وقرويون والرحالة هم قبائل أعجمية يشبهون قبائل السودان الشرقي في الاخلاق والعادات ويطلق عليهم اسم (البشاريين) ولغتهم أعجمية

وأما سكان القرى فأكثرهم بطون من قبيلة الجعليين ومعايشهم من



الزرع وبعض الماشية الصغيرة وأرضهم لا تجود بمحصول يقوم بحاجة السكان لان طريق الري هي بالسواقي فقط وفيها عناء كبير والامطار قليلة لا تجود السماء عليهم بمطر يقوم بري أراضيهم الا نادراً وقد ضبطوا ان بربر لاتسقى بالمطر الا في كل سبع سنين أو عشر مرة واحدة ولهذا كان العيش في ذلك الاقليم شظفياً خلافاً للسودان الجنوبي ومن الامثلة العامية في حقهم (يكيلون بالطاسة ويحسبون القراصة) والطاسة مكيال لا يتجاوز رطلاً من العلة ومعنى يحسبون القراصة انهم يعدون للرطل عدداً معلوماً من الخبز والقراصة اسم لكل قطعة تصنع من خبز الذرة الذي يطلق عليه اسم (كسره)

ولهذه الاسباب ترى الجميلين يتطوحن في بلاد السودان وسكان تلك البلاد يحتمونهم فأهالي السودان الغربي يسمونهم (بائي الشطيطة) وأهالي السودان الجنوبي يسمونهم (ناس عره) أى ركاب الحجر لانهم يشترك منهم اكثر من عشرين في ركوب حمار واحد

ومع هذا كله تراهم من أكثر قبائل السودان شراً ولهم دعواوي طويلة عريضة في الانساب حيث يزعمون انهم من نسل النباس عم النبي صلى الله عليه وسلم وأن أجدادهم استوطنوا السودان من عهد قيام الدولة العباسية في بغداد والحقيقة انهم من نسل العرب الذين دخلوا السودان من صعيد مصر وبعيد عن الاحتمال أن يستوطن بنو العباس بلاد السودان في عنفوان دولتهم وعظيم سلطانهم ولا توجد بين صفحات التاريخ اشارة الى ذلك مع ان المؤرخين ملأوا الكتب باخبار دولة بنو العباس رضى الله عنه الى حد انهم كانوا الاتقوتهم اخبار الندماء وما شاكل ذلك من الدقائق والجلائل

على ان الجمليين لم يكونوا منفردين بهذه الدعوى بل جميع قبائل السودان حتى العبيد سكان الجبال ينتسبون الى النبي صلى الله عليه وسلم والى آل بيته الطاهرين حتى يخال الانسان ان السودان كان موطنه صلى الله عليه وسلم وانه كان خاليا من السكان قبل بعثته صلى الله عليه وسلم وقد اشتهر عن الجمليين الكذب وعدم الوفاء وكل الحصال الممقوتة وانهم على الدوام مع انفة الغالبة وهم شديدو البغض للمصريين وكل ابيض ولهم اعتقادات في غاية السخافة. منها ان بياض البشرة يدل على ان صاحبه غجري لأصل له وان الانسان لا يكون ذا نسب أو حسب الا اذا كانت بشرته سوداء وكل ابيض محقر عندهم حتى انهم لا يسمونه الا (الجمليدي) أى العجري ولهم أخلاق وعادات غريبة لا فائدة في سردها هنا اكتفاء بما تقدم

### ذكر محمد الخير داعية المهدي في بربر

محمد الخير هذا هو الذي تقدم لنا ذكره وانه كان صاحب مدرسة علمية وان المهدي كان تلميذا بمدرسته وأصله من قبيلة اسمها (القبش) وهي قبيلة صغيرة تسكن ضفة النهر الغربية بازاء «الخيرق» مركز مديرية بربر وهذه القبيلة تنتسب الى رجال أصحاب أضرحة في هذه الجهة اسم أشهرها عبد الماجد ويطلق عليهم اسم (القبش) الذي معناه زهاد متشفون قدموا الى بربر من بلاد تکرور في السودان الغربي

وكان محمد الخير هذا فقيها يعلم الناس الفقه وكان مشهوراً بالتقوى ويقول بعضهم انه ذو ضلع كبير في اتحال دعوة المهدي وان صاحبها صدع بها عن

رايه وعمل باشارته

وكانت الحكومة تعطى محمد الخير راتباً شهرياً يبلغ خمسة جنيهات

وبضعة ارادب من الذرة

وتقل لنا أحد تلاميذه انه لما تصدر للتدريس كان ذا تحقيق في مذهب  
 إمام دار الهجرة مالك رضي الله عنه ومع هذا كان لا يعرف شيئاً من النحو  
 والصرف وعلوم البلاغة فاحتقره تلاميذه وأسموه مرات عديدة انتقاداتهم  
 على جهله حتى أن أحدهم قال له يوماً ياسيدي الشيخ انك لا تعرف اعراب جاء  
 زيد فكيف يليق بنا ان نتكوف حولك في حين أن تكوفنا هذا الطالب العالم وانه  
 مفتقر اليه أكثر منا فتأثر من هذا القول وقام من مجلسه وبعد صلاة العشاء  
 دعا اثنين من خاصته وركبوا دوابهم بغير أن يشعر بهم أحد وقصدوا الخرطوم  
 ومنها الى ضواحي المسلمية حيث اجتمعوا بالشيخ الحسين زهراء وقص  
 عليه محمد الخير ماجري له مع تلميذه فقال له قد محضك والله النصح ثم  
 انقطع لدرس النحو وعلوم البلاغة على الشيخ الحسين نحو عامين أدرك  
 فيهما ما يدركه غيره في أربعة أضعافهما ثم عاد الى مزاولة دروسه في بربر وبلغت  
 المحبة بينه وبين أستاذه الشيخ الحسين درجة لا توازي

### ذكر حسين باشا خليفة مدير بربر

حسين باشا خليفة مدير بربر سابقاً من قبيلة العبادية التي تسكن ارباض  
 اصوان وكان أباه ادلاء الحكومة في طريق السودان المسمى (الطومور) ثم  
 ولى على مديرية بربر في عهد ولاية ممتاز باشا على السودان فظهر من أعماله  
 ماوجب عزله وسجنه في القاهرة حتى جاءت وزارة المرحوم شريف باشا فعين

مدير اعلی بربر قبیل عودۃ غوردون باشہر قلیلۃ ونسب الیہ فی غضون نزوح  
المصریین الی القاہرۃ انہ کان عاملاً علی ما کستہم وعدم السماح لہم بالوصول الی  
القاہرۃ وكان صديقاً حميلاً لمحمد الخیر داعية المهدي في بربر



ذکر قدوم محمد الخیر بدعوة المهدي الی بربر  
فی جمادی الآخرة سنة ١٣٠١ هجرية قدم محمد الخیر الی بربر عائداً من  
عند المهدي فی الابيض وقد كتب له کتاباً الی سكان مقاطعتي بربر ودنقله بانہ  
تعین من قبله أميراً علیہم وأمرهم بمبايعته نائباً عنه  
وكان محمد الخیر يطلق علیہ اسم محمد الضکیر فأبدله المهدي باسم محمد الخیر  
وكان شخوصه الی المهدي بعد ولاية حسين باشا خليفة علی  
بربر فانه لما قدمها اختلى به وقال له أراك تأخرت عن واجب علیک فاقد  
علی المهدي وأبلغه خضوعي له ودخولي فی دعوته وكان حسين باشا يقصد  
من هذا العمل ان یولیه المهدي علی بربر ودنقله فقبل محمد الخیر ما أشار به  
حسين خليفة الذی أعطاه نفقة السفر ودفع الیه کتاباً برسم المهدي فشخص  
من بربر الی الابيض فقبل من المهدي باكرام عظیم وحنفاوة لیس لها مثیل  
وبعد أيام كتب له بالامارة علی بربر ودنقله وأهداه شياً كثيراً من  
الجواري والخيول والنوق فقبل راجعاً ولما بلغ أول حدود بربر من جهة  
الجنوب استقبله الاهلون باحتفال عظیم وأرسل السکتب يدعو الناس لاجتماع عام  
فی المتمع وهي منتصف الطريق بين بربر والخرطوم فنسلوا الیه فدعاهم الی البيعة  
للمهدي فظهر كثير الارتياح فی صدق دعواه فقام فيهم خطيباً وقال أشهد  
الله وملائكته انه المهدي المنتظر وقبض علی لحيته وقال لهم إنه اذا لم يكن المهدي

المنتظر فجر والحي حتى هذه بين يدي الله عز وجل وقولوا هذا أضلنا سواء السبيل  
فصدقه الناس وبايعوه على طاعة المهدي وحرب الحكومة ولبسوا اشعار المهدي  
ورقعوا ملابسهم وهرع الناس اليه من كل انحاء البلاد وانضم اليه عدد ليس  
بقليل من الاعراب وتقدموا نحو حامية شندي

### ذكر واقعة شندي

شندي قرية على ضفة النهر الغربية شمال المئمة بميل واحد وهي التي  
ذكرنا قبل خبر قتل الامير اسماعيل بن محمد على باشا فيها بعد فتح السودان وجل  
سكان هذه القرية مصريون وكانت قاعدة لاحد المراكز  
ولما وصل محمد الخير المئمة وبايعه الاهلون على طاعة المهدي كانت في  
شندي حامية تبلغ زهاء الثلاثمائة جندي جاهم من الباشبوزق فباوشها العدو  
مناوشات عديدة ومنع وصول الاقوات اليها وحينما سمعت الحامية بقدم  
الداعية محمد الخير عقدت النية على الخروج من معقلها ومتابعة السير شمالا  
للانضمام الى حامية بربر فباغتها بجنوده واثخنها ذبحاً بينما كانت تحاول الخروج  
ومثلوا بالاطفال والنساء تمثيلاً تقشع من فظاعته الابدان  
ومما يذكر هنا ان محمد الخير منع اتباعه منعاً باتاً عن مدأيديهم الى نساء  
المصريين بأنواع السبي والهتك اللذين كان المهدي يفعلهما مع نساء المصريين  
وكتب الى المهدي كتاباً مطولاً قال فيه اني لأري وجهاً من الوجوه الشرعية  
يسوغ لنا أن نعامل نساء المصريين بالمعاملة التي جرت عليهن فاضطر المهدي  
الى اجابته بان فوض له العمل في هذا الشأن بما يراه موافقاً فنع كل اتباعه  
من هتك أعراض المصريين ومن قبل ذلك عاقبه عقاباً صارماً

هذه حسنة نذكرها هنا لمحمد الخير ونقول ان عمله وان جاء ضربة شديدة على الخرطوم لان سقوط بربر فضى على أمل وصول النجدة الى غردون لكن شره كان أخف من شر المهديين كلهم . وبعض الشر أهون من بعض

وكانت واقعة شندي هذه في أواخر شهر جمادى الآخرة سنة ١٣٠١ هجرية

### سقوط بربر

لما سقطت شندي تقدم محمد الخير بجموعه الي بربر في أوائل شهر رجب سنة ١٣٠١ هجرية ومعه نحو سبعين الف مقاتل وسلاح جلهم الماعول والمحارث لان الجمليين فلاحون لاسلاح عندهم وكانت حامية بربر لا تتجاوز الاربعمائة جندي تحرس خندقا يزيد طوله على اربعة أميال وليس لديها من المدافع غير مدفعين من الطراز الجبلي العتيق

ولما اقترب من بربر أرسل انذاراً للحامية والسكان يدعوم فيه الي التسليم فامتنعوا وأحاطوا بالمدينة إحاطة السوار بالمعصم ومكث محاصرا لها مدة سبع ليال كانت المخبرات السرية جارية في خلالها بينه وبين حسين باشا خليفة مدير بربر الذي كان يؤمل ان المهدي لا يولي غيره عليها وكان في بربر خمسون الف جنينه أرسلت من مصر لنفقات حامية الخرطوم وأرسلت الباخرة الفاشر لجلها الي الخرطوم فاخذ حسين باشا يماطل ربان الباخرة حتى لا يصل المال الخرطوم ويكون غنيمة عاجلة للمهدي وقد وصل الي بربر شيء كثير من الالبس غردون وأمتعته التي أرسلت

خلفه من مصر كلها وقعت في أيدي الدراويش  
وفي صبيحة اليوم الثامن من بداية حصار بربر اجتمع الدراويش ودخلوا  
المدينة عنوة بدون ان يصيبهم اقل ضرر وانحنوا الالهالي قتلاً ونهباً وذبجوا  
اكثر من ثلاثة آلاف من المصريين اما حسين باشا خليفة فقد أحاط بداره  
حرس محمد الخير ومنعوا وصول أي اذي له بالرغم عن تكوف العصاة حول  
بيته وعزمهم على الانتقام منه

واشتغل محمد الخير بجمع الغنائم وعذب المصريين غداً باليما ليدلوا على  
خبائهم ودفائهم وامتنع كثير من قواد الجميلين ان يؤدوا الى بيت المال  
ولو قليلاً من الاموال التي تحت أيديهم فكتب محمد الخير الى المهدي ينبئه  
بوقوع بربر في قبضته ويخبره بما كان من أمر الامراء الذين امتنعوا من  
تسليم ما بأيديهم من الاموال الى بيت المال

ولما وصل كتاب محمد الخير الى المهدي أمر باطلاق المدافع جرياً  
على عادته وامتلاً غيظاً من أولئك الامراء اذ كان في حاجة عظيمة الى المال  
فكتب الي محمد الخير يأمره باكراههم الي تأدية المال له وشفع الكتاب  
بصورة موعظة في ذم اغتيال الغنائم وهاهو نص الكتاب والموعظة نقلها  
عن كتاب المنشورات

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

الحمد لله الوالي الكريم والصلاة على سيدنا محمد وآله مع التسليم وبعد  
فن العبد المفتقر الى الله محمد المهدي بن عبدالله الى صفيه عامله على بربر  
وجهاً محمد الخير بن عبدالله خوجلي وقاه الله كل تعويق وأدام له التوفيق  
وحققه بحقائق التحقيق وانه أعلى رفيق أمين بعد السلام عليكم ورحمة الله

وبركاته حبيبي انك حقيق بمعرفة ما عند الله من كريم المكائنة وعظمة ما هنالك مما لا يقاس بشيء، وخسة ما في الدنيا وان كثرت ونما ومن المعلوم عندك أيها الحبيب أن الدنيا لا شيء، فهي لا تزن عند الله جناح بعوضة فلذا لم اذا كرك في الشأن الذي يحصل فيها واعلمى بانك امين ولا تدخلك ترهات الخيال الذي فيها وتزين باطلها وان مقصدك اقامة الدين ولذلك قد اكثر التذكير مني للاخوان في التنفير عن الدنيا والترغيب في الله وفيما عند الله وفيما يخلص العبد ويرفعه عند خالقه مع شدة التعريف لحسنة الدنيا ونفاضة الآخرة والتعريف لعظمة الله وكمال قدرته علي كل شيء، وأن من أراد خيره وقربه عنده نفره عن الدنيا وأراه قرب زوالها مع قلة قدرها وشؤم ما تعقبه من طول الندامة والوبال ليهون علي المؤمن جفاؤها ويزيد الشكر لله في انزائها واكتساب نعيم الجنة وعلاؤها من اصابة الظمأ والنصب والمخمصة في سبيل الله واغاية الكفرة بمواطىء امكتهم وثمورهم وانالة الجرح والقتل في سبيل الله مما فيه حسن المكائنة الدائمة والوظيفة الكبرى التي لها قدر عند الله تعالى كما ذكر الله ذلك والمؤمن انما يرغبه النصيب الدائم الذي وعد الله به المؤمنين الصادقين في ايمانهم بالصبر لما عند الله يقينا بما وعد به وتفويضا له فيما أراد ودل عباده اليه وابناء الدنيا من الكفرة والمنافقين انما ترغبهم الوظائف والأموال الفانية لانهم لا يجدون في قلوبهم الايمان واليقين بما عند الرحمن من حسن المكائنة الدائمة ودرجات الجنان وانه يا حبيبي جميع من صحبني وسمع مني وعلم ما أنا عليه صار عرضه ما عند الله وفرغ قلبه من فاني اللذات الى دائم الخيرات ومن نافق ولم يدر على منهجى فتمد فوت ما عند الله واظهر الله نفاقه وطرده عن الصحبة ورمي عليه المهالك في الدنيا قبل الآخرة وأنت حبيبي لهتمك بالنجاة عند الله



تعالي على التسليم لي والعزم على اتباع ما ألهمني الله كنت سألتني عن الغنائم  
 وطريق العمل فيها وقد أعلمتك بما هو جار فيها سابقا لامور منها الظن  
 ان ماورد لنا في المديرية الغربية خصوصية حتى سألتني أمين بيت المال عن  
 غنائم بربر فلم تظهر لي الخصوصية عن تكرار سؤاله . وقد ورد لنا من الغيب  
 أن ضرر ذلك كثير ولا بد ان يصلحكم منها شيء . ولما كان الاخوان الذين معك  
 يزيد لهم الصفا والسلامة والدخول في عظيم الكرامة والتباعد من عطب  
 دار الملامة أخبرت أمين بيت المال بما وصلحكم عنه فانه وان كان منكم من  
 تناول من الغنائم على ما ذكرته لك سابقا فقد تجدد الوارد وأتى من الغيب  
 كبير الضرر في تناول ذلك وزيد الآن ان يقتدي الاخوان بما ورد لنا من  
 سيد الوجود صلى الله عليه وسلم على ما رأينا انه صلاح للمسلمين واصلاح  
 للدين بما ألهمني الله من الالهام الصائب الذي لو كان نبينا محمد صلى الله عليه  
 وسلم حاضرا الآن لفعله وانك حبيبي غير متهم عندنا في الصداقة والامانة  
 معنا ومع الله ورسوله فيما تطلبه عند الله ومتيقن فيك موافقتنا فيما يرد علينا  
 من الامور التي فيها صلاح الدين والمسلمين وليكن معلوما عند الاخوان ان  
 حب الوظائف والاموال والمتاع هو الذي عطل الدين واستقامة المسلمين ولولا  
 الفقراء والمساكين والاغنياء الذين تجردوا عن الدنيا ليقينهم بما عند الله لما تقوم  
 هذا الامر وكامل الذين معكم من الانصار يلزمهم أن يسلكوا هذا المسلك  
 ولا ينسبوا لانفسهم اغاظة الكفرة والنصر عليهم فان النصر من عند الله  
 فان وقفوا مع ادبهم مع الله تعالي ونسبوا الامر اليه وصاروا عميدا له نالوا  
 عظيم المسكاة التي يصغر في جنبها كل نعمة وملك يذكر لأن الله تعالي يعطيهم  
 من عظمة المقدار ما لا يخطر على بال فضلا عن المجاهدين المكرمين والشهداء

المعظمين فان الله يعطى الصالحين الذين هم دونهم مالا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر فمن عاين هذا مع الرضى عند رب العباد لا ينظر الى خسيس الدنيا الذى لا يزن جناح بعوضة فلا يبدلوا نصيبهم هذا العظيم الدائم بما لا يزن جناح بعوضة ويزول عن قرب ولا يدخلهم العجب وينسبون قيام الله بهذا الشأن الى أنفسهم فتفسد أعمالهم ولا يفتروا بما فتح عليهم من الدنيا فيؤثروه على ما عند الله ويفرحوا بما لا يقع من انطوى على ذلك فى وعيد قوله تعالى « حتى اذا فرحوا بما اوتوا أخذناهم بغتة » الآية الخ الخ » والكتاب مطول وكل ما فيه لا يخرج عما تقدم ولا عن مضمون المواعدة الآتية . وتاريخه ٢ صفر سنة ١٣٠٢

وأما المواعدة فنأتي عليها برمتها لزيادة الفائدة . وهى

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

الحمد لله الوالى الكريم والصلاة على سيدنا محمد وآله مع التسليم وبعدفانى سأذكر البعض من الواقعات التى وردت فى الغنائم وغيرها باختصار فبعد ان وردت الواردات فى كيفية الغنائم وضررها بالابيض حكيت للاخوان حضرة حصات فوق السموات وكان النبي صلى الله عليه وسلم يطلب الاصحاب فلا يصل الى ذلك المحل الا الاصفياء الزهاد الخالصون من العلاقات الدنيوية وتعطل منها بعض من الاخوان لاجل علاقاتهم فلم يطبقوا الصمود اليها من علاقاتهم فاعلمت بذلك من انقطع بسبب علاقته الدنيوية من الرقيق والاموال فتجرد لله عن ذلك وصعد للحضرة المذكورة وثم حصلت حضرة قعد النبي صلى الله عليه وسلم ومعه جمع من المقربين وأجلسني عنده فيما روى وعرز بيننا عودا طويلا امس كأنه شعبة الحيمة الوسطانية التى تقوم عليها وفى

رأسها النمر ويقول صلى الله عليه وسلم هذه الشجرة شجرة الصداقة فكل  
 من له صداقة فليصعد عليها فيصعد عليها قوم وينزلق منها آخرون فلا  
 يقدرّون على الصعود عليها لينالوا ما فوقها من الثمار فكان ما فوقها هو نصيب  
 الآخرة ولا يناله أحد الا بالصدق في الايمان والطلب لما عند الرحمن فاعلمت  
 من تعطل عن ذلك بسبب العلاقات الدنيوية فنجردوا عما عظمهم وثم حصلت  
 أيضا شجرة الصداقة في وقت آخر وطاب الاصحاب بالصعود لنيل الخيرات  
 فوقها فصعدوا الاصحاب الا الذين اكلوا الغنائم فامتلت عليهم صمغا فكما  
 ارادوا ان يتعلقوا بها ليصعدوا فوقها يزلقهم الصمغ الذي عليها وبعض من  
 الاخوان الذين عندهم شيء ولم يحضر المذكرة حصلت له رؤية وكان المذكور  
 قبل رؤياه متأسفا على فوات مذاكرتنا للاخوان في كيفية الغنائم والتجرد عنها  
 لمن هي عنده من الانصار قال ولما أعلمني من حضر المذكرة عزمتم على  
 اخراج ما عندي من النسيئة وهو أمة وحمارة وقليل من الدراهم قال وبعد  
 عزمي على اخراجها ورفعها لبيت المال أخبره بعض اخوانه بانك كيف تخرج  
 هذه الامة الواحدة التي لا خادم لك غيرها ومن يخدمك ان أخرجتها وأي  
 شيء تركب ان أخرجت هذه الحمارة الواحدة وإن قام الامام للسفر لا بد ان  
 تشتري بالجميع جملا تسافر عليه مع المهدي للجهاد قال فطاوعت من ذاكرني  
 من الاخوان بذلك وعزمت على ترك اخراج المذكورات لبيت المال قال  
 فرأيت النبي صلى الله عليه وسلم أتى للخليفة عبد الله يذكروه فقال المذكور  
 في نفسه فأتيتي مذاكرة المهدي فليكن الاسراع مني لحضور مذاكرة النبي  
 صلى الله عليه وسلم للخليفة عبد الله قال فلما حضرت وجدت المذكرة قد  
 تمت الا اني سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول للخليفة عبد الله عند فراقه

لاي شيء لم تستوعب أمر المهدي فالذي يأمرك به المهدي كله افعله هذا معنى كلامه للخليفة عبد الله قال ثم آتيت الخليفة عبد الله لا سمع منه مذاكرة النبي صلى الله عليه وسلم فوجدت مع الخليفة بعضا من ملازميه يصلون معه فقطع الصلاة وقال لي أين الخادم أي الامة التي من الغنيمة فعدم آتيانك بها لبيت المال أفسد علينا صلاتنا قال وقال لي الخليفة عبد الله لا شيء لم تجرد من الغنائم أما سمعت قول المهدي تجردوا فمالك لم تجرد قال فقلت له ما عندي الا شيء يسير فقال هذا القليل أده لبيت المال ولو قرشا واحدا ومثل هذا كثير وبعض من الذين لم يتجردوا من الغنائم تحضر لهم تماشيح تمنعهم من لحوق المهدي وأصحابه الصادقين فتفرقهم حتى كان أحد من الاخوان عنده ازار من الغنيمة فقبضه تماشح وأوقعه في المهالك فاستعان بالله وبرسوله وبالمهدي فادركه المهدي فحمله ليخرجه فاخذ به حجر لم يتركه يسلم حتى أقسم انه يعطي ثمن الازار فخلص ثم ان المذكور قوم الازار بنحو ستة دراهم أو أقل فدفعه لبيت المال فصار مع الاصحاب وغير ذلك فيا أحبائي ان السعيد يخلص في الدنيا قبل الآخرة فهناك تسبق الاصفياء ويعطى أهل حطام الدنيا فقد روى ان القيامة قد قامت والمهدي مع أصحابه الاصفياء دخلوا الجنة بلا حساب ولا روية هول ولا مشقة واحد الاخوان عنده قليل من المال والله أعلم لم يذكر من قتلته خبس من الدخول وصار يصيح ويبكي من شدة الهول حتى خلس بعد نصف ساعة فدخل الجنة والاهوال ما زالت على الآخرين فیتخلصون واحدا بعد واحد على حسب صفاتهم وتجردهم من الدنيا فبعضهم يخلص فيصل بعد ساعة وبعضهم بعد ساعتين وبعضهم بعد ثلاث ساعات الى ان خلس آخر الاصحاب نصف النهار ونصف النهار في ذلك

اليوم خمسمائة عام ونصف الساعة نحو الاربعين سنة في ذلك اليوم فمن ذا الذي يطيق هذا الهول فيبرضي لنفسه مثله بسبب متعة قليلة في أيام قليلة هي في حكم العدم فيرث بسبب ذلك هذا الهول الشديد والكرب الذي يقف فيه جائعا عطشان نحو الاربعين سنة واكثر فتجرد ذلك الاخ الذي خلص بعد نصف ساعة وحتم ان لا يطلب في الدنيا مالا ولو قليلا ولا جاها مادام فيها حيا حتي يلاقى الله تعالى. وهذا وليعلم الاخوان ان من كان مؤمنا بالبعث وقرب الآخرة وحسابها وكثرة خطرها وضرها ورفعة الدين آمنوا وعملوا الصالحات وعظيم فوزهم وملكهم المقيم الدائم ويعلم شؤم الدنيا وهو انها على الله وشؤم ما تعقبه من الحسرة الطويلة فليتجرد لله لينال جزيل الدرجات ويفوز بدائم الخيرات وليصير من ابناء الآخرة مادام حيا ولا يطلب الدنيا ومتاعها فانها قد انقرضت وهذه الايام آخر ايامها كما لا يخفى صدق ذلك ولا يجتمع للعبد متاع الدنيا ونعيم الآخرة كما ورد انهما ضرطان وكالمشرق والمغرب فبقدر ما يقرب العبد من المغرب يبعد منه المشرق وروى ان بعضا من الاصحاب الذين اكلوا الزناثم وتمتعوا وماتوا قبل اخراجها والحال انه أراد اخراجها فمات قبل اخراجها انه حبس وعذب ووبخ عليه وقيل له ان المهدي اندرك فبعد انذاره تريد ان تجمع لك متاع الدنيا مع نعيم الآخرة ذق العذاب الاليم فلا عذر لك وغير ذلك وفيما ذكرته كفاية لمن له عناية وورد عن الاخوان الذين ماتوا واستشهدوا في حال صفاهم وصدق انابهم لما عند الله انهم تنعموا نعماء عظيمة لا تخطر ببال ولا تقاس. منها ان بعضهم رؤي في نعيم عظيم وحوور وولدان وفرش واسرة وقصور وخيم وغير ذلك فيقال له صف لنا هذا الذي أنت فيه من النعم فيقول هذا شيء اكرم الله به عباده المخلصين

فلا أقدر أن أصفه ولا أعده فانه لا يوصف ولا يعد وبعضهم يرى ان هبوب الجنة تدخل في مسامه وجميع جسده كاللدخان الذي يخرج من بيت القش فيجد لها لذة أشبه بلذة الجماع ولكن تلك التي في الجنة أحلى والذواضا فاما مضاعفة لا تحظر بال ويلتذ بها بجميع جسده ويسمع لثناء الجنة نعمات لا توصف لذتها وهن يمشين في الهواء كمشين على أرض الجنة فيمشين على وجه الارض ويطنون ويزرن أزواجهن ويقفن معهم في الجهاد ويهلن لهم فان استشهد أخذنه ومضين به الى دار نعيمه وان جرح ولم يشهد قدمه معه يرضنه الى ان يموت أو يبريء من الجرح وبعض الاصحاب من شهداء وقعة الشلالى يرى في نعيم عظيم وقصور كثيرة فيقول أحد الاخوان الحبين انكم قد انزلتم هذا المنزل الكريم وتعمتم هذا النعيم العظيم فاين منازلنا ونمنا فيقول لا تشفق فان أصحاب المهدي الصادقين معه لهم منازل ونم كمثل هذا فامض معي لأريك منازلكم فيريه منازل عظيمة ونما خيمة فيقول متى نلحق بهذا ونخرج من هذه الدار الكدرة المتعبة فيقول له لا تشفق فان أصحاب المهدي يصلون قريبا فيتنعمون بنعمهم هذه وبعضهم يرى بعض اكابر الصالحين المتقدمين فيسأله عن مقامه مع مقامات أصحاب المهدي الذين ماتوا فيقول هيئات إن أصحاب المهدي من علو درجاتهم لانهم فهم راقون مرقى عظيما وكثيرا يرى انهم يغبطون أصحاب المهدي ويقولون ليتنا كنا أصحاب المهدي لما يرون من عظيم مكانتهم وفضلهم عند الله تعالى وبعضهم يستشفع بالاصحاب ويقول اطلبوا المهدي يجماني من أخس أصحابه فاني راض برتبة أخسهم وأفرح ان وجدت ذلك ومثل هذا كثير مما روى في الجنة للاصحاب الصادقين فيها أيها الاحباب فان القدوم الى ما عند الله قريب والسلام»

ولما اطلع محمد الخير على ما كتبه المهدي استدعي الامراء وتلا عليهم  
الكتب المذكورة فأصروا على الامتناع وأبو الانصاع وامتنع كل واحد  
بمشيرته وخيف وقوع الفتنة وقبض محمد الخير على زعانف منهم وكتب يخبر  
المهدي بما وصلت اليه الحالة فأمره بالتساهل وصرف عزيمته الى تجنيد  
الرجال واعداد الجيوش للغارة على دنقلة والوقوف في وجه الحملة الانكليزية  
وكانت قد بدأت حركاتها في دنقلة

واستقرت قدم محمد الخير في بربر ودانت له البلاد وخص ذوي قرابته  
وتلامذته بكل الوظائف فخلق عليه الجمليون وأضروا له العداوة وذهب وفد  
منهم الى المهدي يشكو من محمد الخير فعنفهم وأرجعهم خائبين حتى كان من  
أمرهم ما ذكره في أيام التعايشي الذي كان شديد البغض للجمليين ومتربصاً  
الفرصة للانتقام منهم على هذه الفعلة وسيأتي ذكر ذلك كله في مكانه والله الموفق

### ذكر امارة ابي قرجة علي الجعريين من قبل المهدي

ذكرنا ما كان من أمر الداعية ابن البصير وما وشي به علي الشيخ العبيد  
ونقول الآن ان المهدي انتدب الحاج محمد أبا قرجة الذي كان متأثراً بحملة  
الجنرال هيكس وكتب الى الذين دخلوا في دعوته بطاعة أبي قرجة  
وانه أمير على البحرين الابيض والازرق فغادر أبو قرجة الابيض ومعه  
عشرون ألف مقاتل ولما وصل الى شاطيء النيل الابيض أرسل يدعو جميع  
الداقلة أقاربه الذين كانوا مستوطنين في قري عديدة اشهرها قرية القطينة  
على بعد نحو مائة ميل من جنوب الخرطوم  
وكان أبو قرجة ينوي الزحف على الخرطوم من القطينة ولكن الاخبار

فاجأته بلواقعة الاولى بين صالح بك الملك والداعية ابن البصير فزحف من القطينة الى فداسى ومعه زهاء ستين ألف مقاتل مسلحين ببنادق من طراز رامنجتون ومعهم مدافع وسوارىخ وكان ذلك في منتصف شهر جمادى الاولى سنة ١٣٠١

ولما وصل أبو قرجة الى الخلاوين وزع عماله على الجهات وعزل عمال ابن البصير فاشتد الحصار بينهما وخيف وقوع الشر بينهما فكتب المهدي الى ابن البصير يأمره بطاعة أبي قرجة فلم يستطع غير تقديم طاعته وانتدب ابو قرجة أخاه نصرا عاملا على المسلمية وعهد اليه مصادرة أموال كثير من الذين يبطنون ولاء الحكومة فتحصل على شيء كثير من هذه الاموال وقبض نصر على الشيخ محمد بن القبة وكان عالما نحريراً لأنه قام خطيباً في أهالي المسلمية وسرد عليهم الادلة الشرعية التي تظهر بطلان كل ما نتجله المهدي من الدعاوى الكاذبة

ولما وقف الشيخ محمد بين يدي نصر سأله عما نسب اليه فأعاده امامه وقال اني لأرهب الموت في الله فأمر به فسيق الي السوق وضربت عنقه ويروي عن بعض الحاضرين ان أبا قرجة كان يكره قتله لانه كان يعتمده فيه الصلاح

### ذكر حروب صالح بك الملك في فداسى

صالح بك الملك صنجق من الشايقية كان يقود أربعة مائة جندي من الباشبوزق وكان ذا مهارة وعقل راجح شهيد أكثر الوقائع مع عبد القادر حلمي باشا فشهد له بالشجاعة والمهارة



وقد ذكرنا فيما مضى انه دخل سنار مع مائة وخمسين جنديا بعد غارة عامر  
ابن المكاشفي عليها

ولما وصل غوردون الى الخرطوم أرسل الى سنار يستقدم صالح بك  
المك الى الخرطوم فغادر سنار براً ومعه صنجقان يقود كل واحد منهما  
مائتي جندي

وبعد مسيرة يوم و ليلة من سنار رأيت في طريقه ان البلاد كلها دخلت  
في دعوة المهدي فاستشار قواده فأشاروا عليه بالعودة الى سنار فلم يرق له  
ذلك حيث علم ان الاعداء يطعمون فيه ويتأثرونه فتابع سيره الى الخرطوم  
وما كاد يصل الى جهة «فداسي» وهي قرية على ضفة النهر حذاء المسلمية حتي  
قام الجمليون الذين يسكنون المسلمية واستصرخوا عليه سكان القرى القريبة  
من المسلمية فاجتمع عدد يربو على الخمسة آلاف وهاجموه وكان قد أخذ  
أهفته وتحصن داخل زريبة من الشوك فاقتحم الدراويش الزريبة ووقف  
هو وعساكره وقبضة الابطال فقتلوا أربعة آلاف مقاتل ورجع الباقون  
بالهزيمة والفشل واتصل الخبر بابن البصير فتقدم الي فداسي في جمع كشيء  
للحرب فتهقر بخسارة ثلاثة آلاف قتيل ولكنه بقي محاصراً للجنود حتي قدم  
أبو قرجة ووقعت بينه وبين صالح بك واقعة خسر فيها أبو قرجة أكثر من  
ثلاثة آلاف مقاتل ثم أرسل أبو قرجة الى الشيخ العبيد يستقدمه فقدم على  
باخرة من بواخر الحكومة وقعت في يد الدراويش وأرسل أبو قرجة الشيخ  
العبيد الى صالح بك فاجتمع به وقال له ان الخرطوم قد سقطت في قبضتنا  
وحلف له على ذلك أيامنا منغلظة

وكان رسل صالح بك قد وصلوا الخرطوم فأبلغوا غوردون ان صالح بك

في حاجة شديدة الى المدد وأن ذخيره أو شكت أن تفقد فكتب اليه غردون  
يئمه بالنظر في أمر ايصال النجدة اليه وكان ايصال المدد متعذراً لعمدة وجوه  
منها عدم وجود جنود في الخرطوم تستطيع المخاطرة والتقدم براً من الخرطوم  
الي فداي

وقد كان من الممكن ايصال النجدة بحراً لو كان النيل مرتفعاً لان البواخر  
لا تستطيع السفر من الخرطوم وفتئذ اكثر من ثلاثة أميال  
وفي أوائل شهر جمادي الاخرة سنة ١٣٠٦ فقد صالح بك كل أمل  
بوصول المدد اليه كما فقد كل ذخيره فاسلم نفسه الي ابي قرجة الذي ارسله  
اسيراً للمهدى

وبسقوط فداي أخذ أبو قرجة وابن البصير يستعدان للزحف على  
الخرطوم وحصارها من جهة الخندق

ولما وصل صالح بك الي المهدى قابله بشيء من الاكرام وأخذ يحثه  
على الطاعة والانقياد لاوامره ثم قبض عليه وسجنه مع سلاطين باشا وابتن  
فكتب اليه عدة كتب يسأله الصفح عن زلته فكان يجاوبه بان السجن خير  
له من الاطلاق لان فيه تنظيف سريره من النفاق والميل الي الكفار  
وبقي مدة في الاسر حتى توفي أو اخر سنة ١٣٠٦ من الهجرة

ونذكر هنا بعض ما كتبه له المهدى نقلاً عن كتاب المنشورات لما فيها  
من الفائدة والدلالة على ان صالح بك كتب الي غردون يعلمه بكثير مما دبره  
المهدي فوقعت الكتب بأيدي جواسيس المهدى وقضي صالح بك مدة في  
عذاب السجن والاشغال الشاقة وحفر يده بترأ يزيد عمقها عن مائتي متر  
وكان غردون قد أنعم عليه برتبته الميرميران الرفيعة مع لقب باشا

وهذه صورة كتاب من كتبه له

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

الحمد لله الوالي الكريم والصلاة على سيدنا محمد وآله مع التسليم وبعد  
 فن العبد المقتدر الى مولاه المهدي بن عبد الله الى صالح الملك وقاه الله كل  
 كفر وشك وجمله من أهل الخير الذين يخشون الله الملك لا يخفك أن الله  
 قادر وبه كل شيء وقد جعل الدنيا دار ابتلاء ليميز المصدقون بدار الجزاء  
 من زائل لباقي العارفين بقدره الله على كل شيء المتحققون انه لا يجري في  
 الكون شيء الا بإرادته وما فعل فعلا الا كان على حكمة بالغة فن أعرض  
 عنه جهلا به عافيه عقوبة شديدة لقيام البراهين على السنة الرسل والآولياء  
 الدالين على الله وعلى ما عنده ومن أعرض على معرفة كانت الحجة عليه أكد  
 وعذابه أشد وأشد وانك قد عرفت في الجواب الذي أرسلته الى الفردون  
 أولا أن القدرة كلها لله ولا يغالب دين الله أحد الاغلبه وان الله برحمته قد  
 أبقك من الوقوع في الورطة وذلك على مهديه بالخروج من الظلمات الى النور  
 ومع ذلك كله لواقع حقيقة جعلت ذلك ظاهراً فقط وان باطنك منطوع على  
 غير ذلك مخاطبا به الفردون في الجواب الثاني وما أعرضت وتوليت بذلك  
 عن الله والدار الآخرة الالحبك الحياة الدنيا وصارت مبلغ علمك ولو كان  
 ايمانك بالله وبما عند الله صادقا لما نافقت بطلب خميس الدنيا من الجاه والمال  
 ولما باطنت به الفردون ولما كنت تنصرف عن الله وعن مهديه بسبب جوع  
 أو حطة كما انك تعرف ان المصدقين بما عند الله قد صبروا على ما هو أشد  
 مما حصل عليك اضعافا وقد ذهبت في الله أموالهم وفارقوا ديارهم وترزلت  
 أولادهم وأحبابهم راضين بذلك عارفين ان المبلى بذلك ربهم لتعظيم ثوابهم

وتصفية ايمانهم ولكن أقول صدق الله في قوله حيث قال «ومن الناس من يبيد الله على حرف فان أصابه خير اطمان به وان أصابته فتنة انقلب على وجهه خسر الدنيا والآخرة» الآية فلو كان ايمانك على تمكين ويقين امددت ما يحصل لك من البلاء رحمة من الله بك ايمانا بما عند الله وبحسن قضاء الله وجلب ذلك خير ما عند الله فلو تقطعت بذلك اربا اربا لما خادعت الفردون حيث ان سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم يقول «ما بلى أحد مثل ما ابتليت» وكل ما بليت بالاجوع والاثقال والعري والخفوف لعرفت ان ذلك قليل في جنب الذي تطلبه عند الله ولقمت نعم ما هو الفوز عند الله اذ يقول الله تعالى «استعينوا بالصبر والصلوة ان الله مع الصابرين» الي قوله «وأولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وأولئك هم المهتدون» فأعرضت عن الله ولم تصدق بكلام الله وقد قال الله تعالى «فأعرض عن من تولى عن ذكرنا ولم يرد الا الحياة الدنيا ذلك مبلغهم من العلم» ومع شؤم الحالة واستحقاقك فيها القتل قد أردنا تصفيتك وتكفير خطاياك بالسجن والحبس والغل لتكون مع المكرمين الصادقين في طلب ما عند الله من المزايا العظيمة الدائمة رحمة بك فلما نلت ذلك كنت تحمد الله على قدر ما يزيد عليك التأديب اذ في كثرة انبلايا المزايا كما ورد ولا خير في الدنيا ولا في نعيمها الذي تتأسف على فراقه فاذا أتاك جوابي فقوض أمرك لله وترقب حسن ما عند الله وأعرض عن الدنيا وما فيها

لتنال الرضا الكامل والسلام ١٤ محرم سنة ١٣٠٢

وهذه صورة كتاب آخر

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

الحمد لله الوالي الكريم والصلاة على سيدنا محمد وآله مع التسليم وبعد

فن العبد المفتقر الى الله محمد المهدي بن عبد الله الى محبنا صالح الملك وقاه  
 الله كل سوء ومهلك وجعله ممن للخيرات تملك آمين أيها الحبيب لا يخفي ان  
 هذه الدار منقضية وقد خلقها الله للتزود لدار القرار والسعي فيما يقرب الى  
 الخالق المختار واعلم ان حبسك هذا ليس لمواخذة وانما هو شفقة بك وتقديم  
 الي خيرك الدائم وتغيير وتبديد لك من سوء ملاميم واني أعرف بحالك  
 وبصلاحك منك وليس عندي قصد نفسانيات كما لا يخفي على جميع المؤمنين  
 والمؤمنات وستنظر خير ذلك وكما لوحث بخلق النبي صلى الله عليه وسلم من  
 صفحه ورحمته فبفضل الله تعالي قد خلقني الله بذلك رحمة منه لا بجولي ولا  
 بقوتي ولكن بتسليمك لنا وحسن الظن بنا تجد عظيم المنى خسن ظنك في  
 الله وفينا فبحسن البداية تجد كمال النهاية والسلام

### ذكر زحف المهدي من الابيض الى غدير الرهد

لما علم المهدي ن دعوته قد انتشرت في أكثر أنحاء السودان وأن نفوذ  
 الحكومة قد تقلص ولم يبق في السودان غير الخرطوم وسنار وكسلة وكلها  
 محصورة بجنوده جمع اليه أهل مشورته وكان من رأى عبد الله التعايشي أن  
 لا يغادر المهدي الايض عاصمة كوردفان وأن يبعث بالجيوش لاخضاع  
 الخرطوم وسنار وكسلة وحمل أموالها وذخيرتها ليشتمد ساعده ويتقدم الي  
 دارفور ومنها الى ممالك السودان ليؤسس بها مملكة تكون بعيدة عن  
 احتمال غارة المصريين عليها فعارضه أحد الخلفاء فقال انا لا نقف عند الخرطوم  
 بل لا بد لنا من التقدم الي مصر ومنها الي الشام فالحرمين الشريفين وان  
 تقدمنا الى جهة الغرب يدعو كثيراً من الناس للشك في أمر المهدي حيث

انهم يرون لاثبات المهدي ضرورة قيام صاحبها بها في الاماكن المقدسة ونحن  
 قد وعدناهم بصيرورة ذلك لاحالة وعليه فان انصراف وجهتنا عن الخرطوم  
 يفتح باباً لمثل هذه الشكوك التي ربما كانت سيئة المغبة فوافق المهدي علي  
 هذا الرأي تبعاً لاميال اقاربه الذين هم من دنقلة ويكرهون الاعتماد عن  
 اوطانهم والتطوح في السودان الغربي ومن جهة أخرى ان أهالي السودان  
 الاوسط اذا علموا بنيته على الزحف الى السودان الغربي رغبوا عنه ووالوا  
 الحكومة. والحاصل انه عقد النية ووطد العزم على الزحف الى الخرطوم  
 وأخذ يحث الناس على الهجرة ومغادرة ديارهم مقبجاً لهم منافع الدنيا وجاء  
 باشيء كثيرة من المواعظ في ذم اقتناء البقر والابل وغيرها من الماشية وان  
 الله متكفل بارزاق العباد فلا يلقى بالعبد ان يركن الى الزرع ويهتم بامر  
 المعيشة فصادفت مواعظه آذاناً صاغية من أهالي كوردفان فكانوا يحرقون  
 منازلهم ويبيعون ماشيتهم أو يذبحونها ويلحقون بالمهدي في الأبيض حتى  
 اجتمع حوله زهاء ثمانمائة الف مقاتل ضاقت بهم الأبيض وقل الماء وارتفعت  
 أثمانه حتى بلغ ثمن جرة الماء عشرة قروش صاغ لان الآبار قليلة في الأبيض  
 ويبلغ عمقها مائتي متر ولا يتيسر حفر بئر في أقل من سنتين لان الارض  
 محشوة بصخور صلبة من الصوان

وفي أوائل شهر جمادي الآخرة خطب في الناس وقال لهم ان المسيح  
 الدجال سيأتي الأبيض بعد شخوصي منها وان كل من تخلف عني وقع في  
 فتنته وصار من أتباعه ثم غادر الأبيض الي جهة (غدير الرهد) الواقع في  
 الجنوب الشرقي من الأبيض على مسيرة مرحلتين ونزل بالرهد وانشأ كواخا  
 من البوص لسكناه وتابع الناس مسيرهم خلفه فصار ما بين الأبيض والرهد

كدينة أهلة بالسكان لكثرة الذين يسرون في الطريق بينهما  
واستخلف المهدي على الابيض عمه محمود بن عبد القادر وهو من  
اكبر انصاره الذين شادوا أركان دعوة المهدي معه وسنعود الي ذكر بقية أخباره  
و ثورة جنوده عليه وقتله

وعسكر المهدي في الرهد ووفد عليه كثير من أهالي الجزيرة لتقديم  
الطاعة له فكان يقابلهم بالاكرام ويحثهم على العودة الى بلادهم للجهاد وأقام  
المهدي في الرهد وأرسل جيوشه كلها للغارة على جبل الداير الذي لا يبعد عن  
الرهد الامسيرة مرحلة واحدة



### ذكر حرب المهدي مع اهل جبل الداير

جبل الداير واقع في الجنوب الشرقي من الابيض عاصمة كوردفان  
وسكانه من العبيد النوبيين وهو جبل يبلغ طوله ثلاثين ميلا وعرضه  
ينقص قليلا عن هذا القدر وحجره من الصوان بعكس قته فانها  
أرض زراعية من أجود أراضي كوردفان ينبت فيها الزرع وينبع فيها  
الماء وفي تلك القمة اكثر من مائة قرية يسكن كل واحدة منها ماينيف على  
عشرة آلاف نسمة يزرعون ويرعون الماشية في نباتها الكثير وعندهم  
النحل بكثرة حتى أن قيمة العسل كالماء ومن اكثر محصولات ذلك الجبل  
نوع ( التبغ ) المسمى ( كدراوي ) وهو شديد التخدير لمن يدخنه أو يلوكه  
في فمه على الطريقة المعروفة باسم ( مدغه ) وهؤلاء السكان لا دين لهم مثل  
سائر عبيد أفريقية والوانهم شديدة السواد وأجسامهم عارية من الملابس  
الامارز صغيرة يسترون بها عورتهم

وليس لهذا الجبل الاسميل واحد للصعود على قمته اذ يبلغ ارتفاعه نحو ألفي متر  
ونقل لنا أحد المصريين انه صعد على قمة جبل قلي الواقع جنوب سنار  
عند منابع النيل الازرق في يوم كثير الغيوم فابصر جبل الداير وجبال تقلي  
كقطع من السحاب خضراء وقال له سكان ذلك الجبل هذا جبل الداير  
وهاهي جبال تقلي

وعليه فان جبل الداير ذو منعة طبيعية يستطيع أهله مع بعدهم عن  
المعدات الدفاعية أن يجعلوا الاستيلاء عليه رابع المستحيلات

وفي عام سنة ١٢٨٥ هجرية كان حسن حلمي باشا الجوليسر مديراً  
لسكوردفان وقصد اخضاع جبل الداير لسلطة الحكومة فزحف عليه بطاهور  
من المشاة النظاميين ونحو أربع مائة من جنود الباشبورق الغير نظاميين وأخذ  
لنفسه الحذر حتى لا يشعر النوبيون بقدومه اليهم ثم تمكن من الصعود على  
قمة هذا الجبل على غرة من أهله الذين لو علموا أمر تقدمه عليهم لاستطاعوا  
دفعه بغير كبير مشقة

ولما استقر الجنود في قمة الجبل قابلهم السكان بجيش جرار وأصلوهم  
حربا كانت نتيجة انتصار المصريين وتقهقر النوبيين بخسارة بضعة آلاف  
من مقاتلتهم ثم ان القائد لما أمن النظر في قمة الجبل هاله ما فيها من الغابات  
الكثيفة وكثرة الوحوش الضارية وأخصها النمر التي تضطر السكان الى ان  
يتمصوا داخل اكواخهم وزرائبهم قبل غروب الشمس بساعتين ويقضون  
ليلهم في كروفر مع النمر التي تهاجم منازلهم وزياب ما شئهم هجوما عنيفا  
في كل ليلة



ولما رأى ذلك عزم على العودة من غير ان يجنى شيئاً من ثمار انتصاره فاشار عليه واحد من صنّاق الباشبوزق اسمه مصطفى أغا بالتربص قليلاً فقبل مشورته وبعد بضعة أيام جاء رؤساء القرى يتقدمون طاعتهم فتلقاهم بالاكرام وفرض عليهم مائتي الف قرش ضريبة يؤدونها للحكومة في كل عام فاسرعوا بالاجابة وأدوا هذا المال وقفلوا راجعين بعد ان أقام منهم رؤساء وحكاما يمثلون سلطة الحكومة عليهم ومن ثم صارت أبواب جبل الداير مفتوحة في وجه التجار ويجلب منها العاج وريش النعام والعسل والتمر هندي والتبغ والسمن ويوجد في هذا الجبل معادن حديد بكثرة والاهالي يجهلون كيفية استخراجها

وبعد ما فتك المهدي بحملة الجنرال هيكس أغار أهل جبل الداير ليل على شيكان محل مصرع الحملة واختطفوا كثيراً من البنادق والخرطوش فكتب المهدي الى رؤسائهم يدعوهم للدخول في طاعته ويسألهم ان يردوا ما اختطفوه فقابلوا دعوته بالرفض وعدم الاكتراث فخذ عليهم وصم على مفاجأتهم للانتقام منهم ولما اجتمعت انصاره في الرهد اتدب القاندين عبد الرحمن النجمي صاحب الراية البيضاء وحمدان أبوعنجه قائد الجهادية وأمر الثاني بطاعة الاول فزحفوا على جبل الداير في أربعة من الف مقاتل منهم عشرون الفا يقودهم حمدان أبوعنجه وسلاح جلهم من بنادق رامنجتون وعسكر هذا الجيش في سفح الجبل عند قرية اسمها ( سدره ) وأخذ يوالي الهجوم صباحاً ومساءً على الجبل فيقالبه النوبيون بدفاع يضطرهم الى التقهقر بخسائر غير قليلة والمهدي يوالي ارسال المدد في كل يوم حتى بلغ عدد الجيش مائة الف مقاتل

واشتد الخلاف بين عبد الرحمن النجومي وحمدان أبي عنجبه وكان  
 التعايشي ظهيراً لحمدان لما بينهما من القرابة ولانه من رايته فالح على المهدي  
 فكتب منشوراً إليهما بان كل المقاتلة من أهالي السودان الغربي يكونون  
 تحت امره حمدان أبي عنجبه اما الجعليون والداقلة فالامير عليهم عبد الرحمن  
 النجومي ويكون كل واحد من الاميرين مستقلاً بنفسه

وكتب المهدي منشوراً الى الاميرين ومن معهما قال فيه ان رسول  
 الله صلى الله عليه وسلم أخبره في حضرة أن انصاره اذا هاجوا جبل الداير في  
 صبيحة يوم الخميس يندك تحت اقدامهم وتتصدع صخوره ويصير هو ووجه  
 الارض سواء

وفي ذلك اليوم صلى الامير ان الصبح بفلس ودقوا طبولهم وهاجوا  
 الجبل وبعد قتال عنيف دام الى عصر ذلك اليوم انهزم الدراويش شر هزيمة  
 وتركوا في ساحة الحرب اكثر من عشرة آلاف قتيل عدا المجروحين الذين  
 ربو عددهم على هذا القدر وعاد كثير من الدراويش وفي أنفسهم شيء  
 كثير من المهدي الذي كذب عليهم ووعدهم بذلك الجبل وقد صرح لي خير  
 واحد من كبار الدراويش بانه كان قوى التصديق بدعوى المهدي في السر  
 والعلانية ولكن منذ واقعة الداير صار لا يصدق دعواه الا ظاهراً خوفاً  
 على نفسه من الوقعة والانتقام

ولما اتصل بالمهدي خبر الهزيمة التي لحقت انصاره كتب اليهم يدعوهم  
 الى العودة الى معسكره بالرهد وقال لهم ضمن كتابه ان رؤساء الجبل  
 جاءوه ليلاً وقدموا له الطاعة والخضوع وان النبي صلى الله عليه وسلم أمره  
 بالكف عن مناوأتهم والاحسان اليهم والحقيقة ان رؤساء الجبل لم يخضعوا

له ولا رأيتهم عينه وقد كذب عليهم ليموه على عقول البسطاء بانه قادر على التغلب عليهم

ولدى عودة الدراويش الى الرهد قابل امرأهم المهدي وذكروا له ان الجبل ذك امامهم كما أخبرهم ولكن سبب الهزيمة عدم الوفاق بين القائدين فاشي عليهم وشكرهم وانصرفوا من عنده والناس متعجبون من الكاذب المهدي وأمرائه معاً

### ذكر رد طائفة الثلاث

لما عسكر المهدي في الرهد ووفد عليه كثير من أهالي الجزيرة لتقديم الطاعة والخضوع استفتاه كثير من أولئك الوافدين في أمر زوجاتهم اللواتي وقع عليهن الطلاق ثلاثاً قبل ظهور دعوته أو كانت طالقة أو اثنتان منهن قبل دعوته وقد بنى المستفتون فتاوبهم على شيء مما قاله في دعاويه التي تقدم لنا ايرادها من ان الزمن الذي تقدم على ظهور دعوته حكمه حكم زمن الجاهلية الذي تقدم بعثة النبي صلى الله عليه وسلم فاجاب على هذه الفتاوي بمنشور صرح فيه بجواز وطئ أولئك المطلقات من غير ان ينكحن أزاجاً غير الذين طلقوهن بدعوى انهن كن غير مؤمنات ثم تطرف الى ذكر نساءه فذكر انهن كنساء النبي صلى الله عليه وسلم وتعرض الى تفسير بعض الآيات القرآنية التي نزلت في نساء النبي صلى الله عليه وسلم وفسرها بما يطابق هواه وانه سمع كلاماً من قبل الله عز وجل ليس بصوت ولا حرف وزعم ان النبي صلى الله عليه وسلم أخبره بان ملك الالهام صاحب له . والحاصل ان ذلك المنشور مملوء بالاكاذيب التي تدل على ما كان عليه المهدي من البدع والضلال

وهذا هو نوص المذشور الآنف الذكر

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

الحمد لله الوالي الكريم . والصلاة على سيدنا محمد وآله مع التسليم .  
وبعد فيقول العبد المذمقر الى الله محمد المهدي بن عبد الله انه قد كثر الضرر  
والتشكي الي وطب الغوث من الانصار الحاصل منهم الطلاق قبل زمن  
المهديه ولا يخلو ذلك من الضيق والخرج منهم ومن نساءهم وقد تابوا ولى  
الله انا بوا وللآفة والاجتماع في دين الله طلبوا ومراراً اعرض عن ذلك  
وأقول أليسوا كانوا مؤمنين وأفتى للبعض ان عدم الحسبة في الطلاق لاهل  
القيصر والنساء اللاتي لم يكن مؤمنات لانهن لاعصم لهن فلا يكن لهن حسبة  
طلاق حتى كثر الضرر في ذلك والتردد فاهتمت بذلك واتضرعت وابتهلت  
الى الله في ذلك ليحصل لي فرقان من كتاب الله تعالى لانه سبحانه قد وعد  
بالفرقان والمخرج للمتقين وفوض الامر الى الله وتركته حتى ورد على وارد  
في آخر ورد الراتب وقد كان هذا الامر خارجاً من بالي فوردت لي هذه  
الآية وهى قوله تعالى « وما جعل عليكم في الدين من حرج » مع الالهام انها  
المخرج من ذلك الضرر الحاصل في الطلاق قبل المهديه وان الطلاق قبل  
المهديه لا يحسب لمن تمت الثلاث ولو بعد المهديه وسبق طلاق قبل المهديه  
وبعد المهديه لا تكون الفتاوى التي كان العلماء يفتون بها في مطلقة الثلاثة  
وقد وقع في قلبي حينئذ أعني في وقت ذلك الوارد لنا من قوله صلى الله عليه  
وسلم اننا لما نخرج من «أبا» الى الغرب فالناس يدخلون في دين الإسلام جديداً  
علي أو كما قال وقد وقع لبعض نساءي تمام عدد الطلاق ووقع بعضها قبل  
المهديه وقد تضرروا بأنفسهم بأهليهم وبعض اصحاب وأمرهم بأن يتزوجوا

فلم يرتضوا حتي ورد الخبر بمنع ذلك بالخصوصية التي يأتي ذكرها ولا زالوا  
 يتضررون فقلت لا سبيل الى ذلك الا بشيء يأتي لنا من الله ورسوله صلى  
 الله عليه وسلم مع وقوع بعض حضرات نبوية في حسبتها من نسائي ووقوفها  
 معهم في التصفية وبعض حضرات حصل فيها الامر برجوعها من كثير من  
 راوي صالحة في حسبتها من نسائي وبكل ذلك كنت أجد في نفسى الحرج  
 من الرجوع لها مع تمام حسبة الطلاق حتي ورد لي الوارد فيها مع ذلك الوارد  
 المتقدم ذكره وهو قوله تعالى «لكيلا يكون عليك حرج وكان الله غفورا رحيما»  
 الآية فلا أدري الا وقد انفرج ما بي من ذلك الخوف وانشرح لها صدري  
 بغير مأهده والامر لله والله تعالى في كل وقت شأن وقد جاء الاخبار من  
 رسول الله صلى الله عليه وسلم ان معي ملك الالهام من الله يسدني وعينه  
 فن هذا الخبر النبوي علمت ان الذي يلهمني الله به بواسطة ملك الالهام لو  
 كان رسول الله صلى الله عليه وسلم حاضرا لفعله وقد ورد لي مرارا الخصوصية  
 التي كانت له صلى الله عليه وسلم في نسائه مع التوصية منه صلى الله عليه وسلم  
 ان تنزل نسائي كمنزلة نسائه صلى الله عليه وسلم ولما أهديت الي النساء مع  
 الوارد لي من رسول الله صلى الله عليه وسلم فيهن أخذني خجل من ربي  
 سبحانه في أمرهن وأنا في ذلك بخاءني سلام سمعته بجميع جسدي من غير  
 حرف ولا صوت ولا سر ولا جهر ولا بعد ولا قرب ولا أقدر على تكيف  
 شيء منه فدلتني على أسرار كثيرة والله المثل الاعلى وتعالى الله عن كل ما يخطر  
 ببال وأمر ذلك مفوض الى الله تعالى ولكن حصل لي مع ذلك الالهام الذي  
 يحصل لي فانشرح لي به الصدر وانحل قلبي مما كنت مهتما به وحصلت لي  
 اسرار كثيرة يغمض فهمها وقد حصل لي مثل واقعة هذا السلام شيء يشبه

ذلك في كيفية بعض النساء بشارة نسبتها مع تسمية الولد والبنات اللذين يجعلهما الله تعالى منها فسميته بسائر حسمى باطنا وكل ذلك بحول الله وفضله لا يشغف في النساء ولا أبرئ نفسي الا أن يزكيني ربي وعلم حالي عند ربي ، واعلم ان ظن المؤمنين بي حسن ولكن لحوف دخول الشيطان على من ضعف قلبه مع العلم ان خلافتي لرسول الله صلى الله عليه وسلم لا بخلافة الخلفاء السابقين سابين بعض النصوص المذكورة في بعض التفاسير في قوله تعالى «لا تحل لك النساء من بعد» لينحل قلب بعض الاخوان الذين تقع في قلوبهم عداوة الشيطان بسبب النساء اللاتي أرادهن لي ربي سبحانه وانما الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم فاذا فقد العبد كثرة أوار المحبة واليقين بالحقيقة التي نحن عليها أخاف أن يضره الشيطان. قال عكرمة والنضحاك : لا تحل لك النساء من بعد «أي الآلاتي أحلنا لك وهي قوله «انا أحلنا لك أزواجك اللاتي آتت أجورهن» الآية ثم قال «لا تحل لك النساء من بعد» أي الآلاتي أحلنا لك بالصفة التي تقدم ذكرها وقيل لأبي بن كعب لو مات نساء رسول الله صلى الله عليه وسلم أكان يحل له أن يتزوج قال وما يمنعه من ذلك قيل قوله تعالى لا تحل لك النساء من بعد قال انما أحل الله له ضربا من النساء فقال تعالى «يا أيها النبي انا أحلنا لك أزواجك» الآية ثم قال لا تحل لك النساء من بعد وبين بعضهم في هذا المقام انه صلى الله عليه وسلم تجوز له ثلاثمائة امرأة وقال مجاهد معناه لا تحل لك اليهوديات ولا النصرانيات بعد المسلمات «ولا أن تبدل بهن من أزواج» يقول ولا أن تبدل بالمسلمات غيرهن من اليهود والنصارى يقول لا تكون أم المؤمنين يهودية ولا نصرانية «ولو أعجبك حسنهن الا ما ملكت يمينك» أحل له ما ملكت يمينه من الكتابيات أن

يتسري بهن \* وروى عن الضحاك ولا أن تبدل بهن من أزواج يبنى ولا أن تبدل بأزواجك اللاتي هن في حبالك أزواجا غيرهن بأن تطلقهن فتنكح غيرهن فحرم عليه طلاق اللواتي كن عنده وحرمن علي غيره حين اخترنه فإما نكاح غيرهن فلم يمنع عنه وغير ذلك من نحو هذا \* أقول وبعد هذا قد حصلت لي في هذا المعنى اسرار كثيرة يطول ذكرها والحمد لله على خاصيتنا برسول الله صلى الله عليه وسلم وعنايته بنا ودعائه لنا قديما وحديثا فان شرف التابع من شرف المتبوع والسلام اه

### زحف ابي قرجة على الخرطوم

لما سقطت فداسي في يد ابي قرجة وأرسل صالح بك الملك أسيراً الي المهدي كتب المهدي الي ابي قرجة يأمره بالتقدم الي الخرطوم من جهة الجريف وفي أوائل شهر رجب سنة ١٣٠١ وصل أبو قرجة بجيش جرار الي قرية الجريف التي تبعد عن الخرطوم مسافة أربعة أميال علي ضفة النيل الازرق وعسكر هناك وشاد اثني عشرة طابية حيال استحكام الخرطوم وانضم اليه دعاة المهدي الذين كانوا حول الخرطوم وفي مقدمتهم الشيخ مضمون عبد الرحمن وفي ثاني يوم وصوله الي الجريف جمع مقاتلته وهجم بهم علي الاستحكام فسكت الجنود ولم يرموه بالنيران حتى اذا صار علي قرب الف ومائتي متر من الاستحكام انفجرت فيهم الالغام التي كانت مدفونة في الارض واطلق الجنود النيران علي العدو فتمهق ابي قرجة وبلغت خسارته أربعة آلاف قتيل عدا المجروحين

وكانت هذه الالغام قد وضعت قبل زحف ابي قرجة بنحو عشرين

يوما وقام بتجربتها غردون والمستر ياور قنصل انكلترا في الخرطوم  
وعاد أبو قرجة الى معسكره في الجريف وأخذ يوالي اطلاق النار علي  
الاستحكام دون ان يجسر علي الدنو منه وكان مع أبي قرجة نحو مائة نفر من  
أقاربه الدناقلة وكانوا نخاسين في جهات خط الاستواء ولهم مهارة في اتقان  
رماية الرصاص مثل اكثر النخاسين حتى انهم يقفون في ظلام الليل على بعد  
مرمى الرصاص وينادون باسماء دناقله نخاسين بقوا علي ولاء الحكومة  
هم وقائدهم ساتي بك الدنقلواي الذي كان نخاسا أيضا فاذا أجابهم المناادي  
قذفوه بالرصاص فيصديه وأخيرا أصدر غردون امرا يمنع به كل كلام بين  
رماة أبي قرجة وساتي بك

ومكث أبو قرجة محاصرا الخرطوم من شهر رجب الى اليوم السابع  
من شهر شوال حتى هزمه محمد علي باشا وسنعود الى ذكر ذلك



### ذكر تفشي الجدري بين الدراويش

كان غردون أمر بوضع مادة الجدري في جوف الكال فاذا قذفت من  
المدافع وقعت في وسط الدراويش بغير أن تنفجر فيأخذونها ويجدون الماء في  
جوفها فيقولون انها من كرامات المهدي ويتبركون بالمادة الجدريه ويمسحون  
بها وجوههم ففشا فيهم الجدري وقد عدد الوفيات به كل يوم بخمسين نسمة  
ولم يفتنوا الشيء ما واتصلت الاخبار بالمهدي فبنى عليها مابني وزعم ان النبي صلى  
الله عليه وسلم أخبره بأن الكال تحول ماء كرامة له وكثير من البسطاء يعتقدون  
ان هذه المكيدة كرامة ثابتة للمهدي



## واقعة الجريفة

في صبيحة اليوم الرابع من شهر شوال سنة ١٣٠١ انتدب غردون الميرالاي محمد على بك حسين ميرالاي لواء السودان الاول ونحو ألف جندي من الباشبوزق وعدة الجميع خمسة آلاف مقاتل وخمس بواخر قد صفحت بالقولاذلهاجمة معسكر أبي قرجة فتلقاهم ثبات غريب وما زالوا في كروفر حتى جاء الليل ولم تسفر الحرب عن نتيجة وثابر القائد على خطته وأحاط بطوابي الدراويش وضايقها من جهة البحر وهاجمها من البرمدة يومين وفي اليوم الثالث تمكن محمد على بك من الاحاطة بطوابي العدو حيث استولى عليها بعد الظهر وفر أبو قرجة ومعه أربعمائة نفر من خواصه وقتل من الدراويش نحو عشرة آلاف مقاتل وغنم الجنود ما في معسكرهم من المؤن والذخائر واحتملوا شيئاً كثيراً من الاقوات التي ساعدت سكان المدينة وخفضت ثمن الاقوات فيها وعثر الجنود في منازل الامراء على كميات كبيرة من المسكرات كانوا يخفونها في منازلهم ويعاقرونها سراً ولحق أبو قرجة بالفلاة وأرسل يعلم المهدي بما أصابه من الفشل فوافاه الكتاب وقد غادر الرهد قاصداً « شاة » القرية من النيل الابيض فاستاء من هذا النبأ

وروى سلاطين باشا ان عبد الله التتاليشي استدعاه وقال له ان غردون رجل داهية وذو حيل وانه هجم على أبي قرجة وهزمه من الجريفة وان المهدي ينوي ارسال عبدالرحمن النجومي لانه الرجل الذي يمكنه قهر غردون فقال له سلاطين عسى أن لاتكون خسائر أبي قرجة عظيمة فقال لا حرب بغير خسارة

وكتب المهدي الى ابي قرجة يشجعه ويأمره بالانضمام الي الجيش الذي يقوده  
عبد الرحمن النجومي وقال ان النبي صلى الله عليه وسلم أخبره بأن هذه المصيبة  
خاتمة المصائب التي يختبر الله بها أصحابه وانها آخر هزيمة تلحقهم حتى  
يفتحوا الخرطوم

### واقعة الخلفاية

( وهزيمة الدراويش فيها )

وفي يوم ٨ شوال سنة ١٨٠١ بعد عودة محمد علي بك من الجريف سار  
بالقوة التي كانت معه الي جهة الخلفاية وكان بها اولاد الشيخ العبيد الذين  
تقدم لنا ذكر حوادثهم وهجم على حصونهم فدافعوا نحو ثلاث ساعات ثم  
انهزموا واستولى الجنود على مواقعهم ولحق المنهزمون بالفلاة

وكان أبو قرجة أرسل الشيخ مضوى بخمسة مائة مقاتل لتعزيز حامية  
الدراويش في الخلفاية وذلك قبل هزيمته ببضعة أيام وعاد محمد علي بك الي  
الخرطوم ظافراً بعد أن وضع حراساً على الخلفاية وأمرهم بهدم القرية وحمل  
أخشابها الي المدينة

وأنعم غردون على محمد بك برتبة اللواء الرفيعة وتلقاه بالاكرام حين  
عودته الي المدينة

وكان غردون يظن ان نتيجة الواقعتين الجريف والخلفاية ستكون عودة  
أهالي القرى الي الطاعة على أثر هزيمة الدراويش فغاب ظنه حيث فر الاهلون  
الي الدراويش وتركوا قراهم ومنازلهم ومزارعهم فاستفاد سكان المدينة بعض  
الفائدة حيث كانوا يؤلفون عصابات يخرجون بها ويحتملون الغلال وسائر

الاقوات من منازل الاهلين

ووقعت ابناء هذه الهزيمة موقعا سيئا عند المهدي حيث تقدم بنفسه  
الى الخرطوم  
على ان الذي ساعد على هذه الانتصارات هو ارتفاع النيل ومساعدة  
الباخر للجنود ولولا ذلك لم تقدر على هزيمة العدو وطرده من  
الجرهف والحلفاية

وبقي الحال على ما هو عليه في المدينة وابتعد الدراويش عن ضفة الهر  
وأوغلوا في القلوات واسترد المدفع الذي غنمه الدراويش في الواقعة التي خان فيها  
السعيد حسين الجميعابي وحسن ابراهيم الشلالى

### واقعة ابي حراز

أبو حراز قرية واقعة في الضفة الشرقية للنيل الازرق وهي تبعد عن  
الخرطوم بمسيرة سبع مراحل وهي التي قتل فيها الشريف أحمد بن طه وقد  
تقدم ذكر قتله

سار اليها محمد على باشا في خمس باواخر تقل أربعة آلاف جندي بعد واقعة  
الحلفاية يدعوا أهلها الى الطاعة والخضوع للحكومة فقروا من وجهه ولم يجاربه  
وأباح القرية للجنود فنهبوا ما فيها من الاقوات وشحن من غلالهم نحو الفي  
أردب ونحو ثلاثمائة قنطار من البن الحبشي لان هذه الترية مركز للتجارة  
الحبشية والقوافل الذاهبة الى حدود الحبشة والآية منها تنزل فيها ثم عادت  
الجنود الى الخرطوم بغير ان تصادف كيدا

## واقعة القطينة وقتل ساتي

القطينة قرية واقعة جنوب الخرطوم على ضفة النيل الابيض وساتي بك هذا كان نخاسا ثم صار موظفاً أميرياً في بحر النزال ولما وصل غردون الى الخرطوم عينه قائداً على اربعمائة جندي من الباشبوزق وأصلهم من جنود الخطرية الذين كانوا في بحر النزال

وفي أواخر شهر شوال سنة ١٣٠١ اتصل بغوردون ان شخصاً اسمه على عبد الله من أهالي القطينة وصهر المهدي جمع جموعاً من بلده ينوي بهم الزحف على الخرطوم فأتدب ساتي بك بجنوده على باخرتين لاكتشاف أولئك المجتمعين

ولما وصلت الباخرتان الى القطينة هجم على عبد الله ومن معه على ساتي بك هجوماً عنيفاً فثبت لهم وهزمهم عدة مرات وما زالوا في كروفر حتى أصيب ساتي بك برصاصة قضت عليه وانهمز جنوده وحقوا بالباخرتين المتين أقلعتا بهم وعادتا الى الخرطوم

## واقعة العيلفون

العيلفون قرية على ضفة النيل الازرق تبعد عن الخرطوم بمرحلة واحدة ولما انهزم الدراويش من الخلفاية لحقوا بام ضبان قرية الشيخ العبيد وفاوضوه في الامر فكتب منشوراً استصرخ فيه القبائل فاجتمع عليه نحو عشرة آلاف مقاتل وأرسل الشيخ مضوي الى العيلفون لجمع أهاليها وأهالي القرى التي حولها فتألب عليه نحو خمسة آلاف مقاتل عسكر بهم في العيلفون

وانتدب غردون اللواء محمد علي باشا ومعه خمسة آلاف جندي ونحو  
خمسـة آلاف من أهالي الخرطوم خرجوا متطوعين طمعاً في الكسب وفد  
أذن لهم غردون بمرافقة الحملة لأن ما يكسبونه من الاقوات والماشية يعود  
بفائدة إيجاد القوات في المدينة وسارت الحملة من الخرطوم أوائل شهر ذي  
القعدة سنة ١٣٠١ على خمس بوأخر وعشرة صنادل ومراكب شرعية

وعند ما وصلت العيلفون هجمت على العصاة فقابلوها بثباب عظيم ثم  
أحاطت بموقعهم واصلتهم ناراً حامية وقتلت منهم عدداً يربو على الأربعة  
آلاف وفر الشيخ مضوي في نحو مائتين ولحق بام ضبان وانضم الى الشيخ  
العبيد وغنمت الحملة شيئاً كثيراً من الماشية والحبوب ووصلت أخبار الانتصار الى  
غردون فسر بها وملأت الآمال جنبيه واثني على محمد علي باشا وأعجب بمهارته

### واقعة ام ضبان وقتل محمد علي باشا وحملة

لما انتصر محمد علي باشا في واقعة العيلفون ارسل جواسيسه الى ام  
ضبان فمادوا وأخبروه كذبا بان الشيخ العبيد في عدد قليل من الرجال وان  
الذين حوله لا يبلغون الالف ويظهر أن أولئك الجواسيس كان الشيخ  
العبيد استمالهم ولقنهم هذه الاقوال ليجر الحملة الى ام ضبان وهناك يبطش  
بها في وسط الغابات وقد افلح سعيه حيث لم يكد محمد علي باشا يسمع هذا  
الخبر حتى زحف بحملته ومتطوعته على ام ضبان التي تبعد عن العيلفون بنحو  
أربعة أميال في الصحراء

ولما توسطت الحملة الطريق خرج عليها كمينان من وسط الغابات كمين  
من خلفها والثاني من أمامها وداهما على غرة فانتثر نظام الجنود واثخن العدو

فيهم قتلاً ونزل محمد علي باشا واركان حربته عن دوابهم وجلسوا علي الارض حتى قتلوا

وكان فعلهم هذا تبعاً لعادة متبعة عند أهالي السودان وهي أن لا يفر الانسان سيما اذا كان رئيساً أو مشهوراً بالفرسية لئلا يقتل منهزماً لان ذلك من اكبر العار عندهم ولولا ذلك لكان في استطاعة محمد علي باشا واركان حربته النجاة بدوابهم

وقد وقعت هذه النازلة وقعا سيئاً عند غردون وأسقطت منزلة محمد علي باشا من قلبه لانه كان معجباً بمهارته ولم يكن يظن انه يتبع عادة همجية يضحى فيها حياته وحيات اركان حربته فضلاً عما اتاه من الطيش والتهور اللذين ساقاه الى المخاطرة بالزحف علي أم ضبان بدون مسدود اذن من غردون الذي كان يؤكد علي كل الحملات التي يبعثها بعدم التوغل في انفلوات والابتعاد عن شاطئ النهر وقد خالف محمد علي باشا هذه القاعدة وساق الحملة الى موقف الموت والهلاك

ونجا من رجال الحملة نحو مائتي جندي فقط والذي ساعدهم علي النجاة نحو ثلاثين فارساً كانوا مع الحملة فامتطى كل اثنين ظهر حصان وامسك بعضهم باذنان الخيل فوصلوا الى البواخر التي أقلمت بهم الى الخرطوم وما انتشر نعي القتلي حتى ضجت المدينة بالبكاء والعيويل اذ لم ينج احد من المتطوعة ووقع الخبر موقع الصاعقة علي غردون الذي أيقن بمرج الموقف وان العاقبة ستكون سيئة وخصوصاً أن الجواسيس اخبروه بتقدم المهدي علي الخرطوم وان عبد الرحمن النجومي علي وشك الوصول اليها

هذه الواقعة جاءت ضربة قاضية علي الخرطوم اذ فقدت فيها نحو خمسة

آلاف جندي جلهم من رجال الالاي السوداني الاول ومن أقوى الجنود الذين في الخرطوم واكثرهم دربة ولولم يفقد غردون هذه الجنود لكان في الامكان استخدامها في مواقع كثيرة مثل واقعة الجريف والحلفاية وأبي حراز والغيلفون ولا يخفى ان تلك الوقائع عادت بفائدة طرد العدو أولاً وجلب الاقوات ثانياً ولو استمرت هذه القوة تهاجم البلاد في ابان الفيضان وتغنم ما فيها من الاقوات لاجتمع في المدينة شيء كثير منها ولم تقع الحامية والمدينة بين انياب المجاعة التي كانت من أقوى الاسباب التي ساعدت المهدي على اسقاطها ووقوعها بين مخالبه

### أوراق البون

لما بدأ حصار الخرطوم كانت الخزانة الاميرية خالية من النقود فاصدر غردون أوراق بون من فيسة قرش واحسد الي الف قرش وكتب على كل ورقة ما يأتي « هذا المبلغ مقبول ونجری دفعه من خزينة الخرطوم أو مصر بعد مضي ستة شهور من تاريخه ابريل سنة ١٨٨٤ » وبيلي ذلك ختم غردون وتوقيعه بخط يده

وصرفت مرتبات الحامية والمستخدمين من هذه الاوراق ولكن التجار لم يقبلوا التعامل بهذه الاوراق فرفعوا اثمان الاشياء الى درجة جعلت قيمة المائة قرش كعشرين قرشا فقبض غردون على اثنين منهم وأمر بابعادها عن الخرطوم خارج الحصون ليلحقا بالدر او يشتم رق لهما وأعادها الي المدينة بعد ان أكد عليهما بعدم العودة الي مثل هذا الذنب فاعطياه الذمام على الوفاء

وبالرغم عن التشديدات سقطت قيمة أوراق البون حتى صار الصرافون يأخذون المائة قرش بقرش واحد واستمر هذا السقوط الى نهاية الحصار ووقوع المدينة في قبضة العدو

ولم يكن هذا السقوط واقفاً عند ورق البون وذلك ان قيمة الجنيه الانكليزي سقطت حتى صار الصرافون لا يقبلونه الا بريالين اعنى اثنين وثلاثين قرشاً مصرياً وتناول هبوط قيمة الجنيه صنف الذهب كله فان الاوقية من الذهب السنارى الذى هو كالذهب البندقي تباع بثمان ريالات مجيدة أو أقل وليس لذلك سبب غير ان الذهب فى الخرطوم أكثر من كل أصناف المعاملة وصغار الباعة يأبون التعامل بالمسكوكات الذهبية مثل سائر أهالى السودان ويفضلون الريال المجيدى على أى نوع كان من النقود

وقد كانت أوراق البون فى بداية اصدارها مكتوبة بخط اليد وفى ذات يوم جاء الى صراف الخزانة شماس من القسوس الافريقيين كان بيده اوراق من ورق البون يروم توريدها فى الخزانة وأخذ رجعة بها على مالية مصر وكانت هذه الاوراق مما حصله هذا الشماس من ثمن أثمار بستان لاوئك القسوس واسم هذا الشماس دومينيكو

ولما قلب صراف الخزانة تلك الاوراق ظهر له ان بعضها مزور فأمسكها وساق دومينيكو الى غرفة وكيل المالية الذى تحقق تزوير تلك الاوراق وأسرع ببلاغ غردون الذى تولى استنطاق الشماس بنفسه حيث ظهر له انه لم يكن هو الفاعل ثم حجز الاوراق المزورة عنده وأمر باعطائه بدلها وبث العيون فى المدينة للوقوف على الفاعل فقبض على صابر وأخيه ابى عبد الغنى السلاوي فاعترفا امام غردون بانهما الفاعلان وضبطت الآلة التى صور عليها ختم



غردون وتوقيه وقالان الذي اضطرهما لارتكاب هذه الجريمة هو الضنك  
 المسبب عن الحصار فعفا عنهما ولم يعاقبهما وأحسن على كل واحد منهما بخمسين  
 قرشاً مرتباً شهرياً يتناوله من الخزينة ومن ثم أمر بطبع أوراق البون في المطبعة  
 الاميرية ولم يجسر أحد بعد ذلك على تقليدها

### ذكر وصول البواخر الى سنار

في أوائل شهر ذي القعدة سنة ١٣٠١ هجرية أرسل غردون الميرالي  
 بجيت بطراق بك ومعه اربع باخر الى سنار فوصل الى نقطة (جادين) الواقعة  
 شمال مدينة سنار فألقى بها حامية من سنار تلقته بالترحاب وأخبرته ان  
 المدينة باقية للآن وانها تمكنت من قهر العدو عدة مرات وان الأقوات  
 متوفرة فيها ثم سلمته الف أردب من الذرة حملها على باخره وعاد بها الى  
 الخرطوم فانتدب غردون اللواء محمد نصحي باشا بالبواخر الاربع ودفع له  
 عشرة آلاف جنيه من ورق البون لتصرف منها مرتبات الحامية بسنار  
 وأرسل الاعلانات بالانعام بالرتب والمداليات على مدير سنار وضباط  
 حاميتها وكبار موظفيها ومن هاته الرتب رتبة اللواء لدرحوم حسن صادق  
 باشا مدير سنار وقومندان حاميتها

وفي أواخر شهر ذي القعدة وصل محمد نصحي باشا بالبواخر الى سنار  
 وقوبل بفرح وابتهاج عظيمين من الحامية والسكان وقفل راجعاً ومعه ألف  
 وخمسمائة أردب من الذرة

## ذكر خيانة ابراهيم رشدي كاتب غردون

كان ابراهيم رشدي كاتباً صغيراً في المحكمةمدارية ثم صار كاتباً لججلر باشا الالماني الذي كان وكيلاً للمحكمةمدارية وفصل عنها وعين مفتشاً لمنع تجارة الرقيق فقدم القاهرة معه واستقال ججلر باشا من وظيفته وبقي ابراهيم رشدي بالقاهرة حتى قدمها غردون فعينه كاتباً له وسافر معه فاحسن عليه بالرتبة الثانية وأبلغ مرتبه الى ستين جنياً شهرياً مع ان مرتب هذه الوظيفة كان لا يتجاوز عشرين جنياً وتحصل ابراهيم رشدي على ثقة عظيمة عند غردون فاستعمل هذه الثقة فيما يعود عليه بالمنافع الشخصية حيث أخذ يبيع الوظائف بيع السلع حتى حصل على ثروة طائلة من هذا السبيل وليته كان يبيع الوظائف لمن فيهم بعض أهلية أو استحقاق

وكان له والد يبلغ من العمر زهاء ثمانين عاماً كان ضابطاً برتبة ملازم ثان وهو أُمِّي لا يعرف الكتابة والقراءة واسمه محمد أغا العتبانى فرقاه الى رتبة اميرالاي وعينه قومنداناً للطوبجية حالة كونه لا يعرف شيئاً من هذا الفن وغاية أمره انه كان ضابطاً في البيادة برتبة ملازم ثان كارتى كثيراً من ذوي قرابته الى وظائف سامية وكلهم يعيدون عن الاهلية والاستحقاق بعد السماء من الارض

ومن هاته الترقيات انه رقى عدليه الى وظيفة رئاسة مجلس الاستئناف مع انه لا يعرف كلمة من القانون وكانت صناعته البرازة في الخرطوم ورقى واحداً من أصحابه كانت صناعته تبييض الاواني النحاسية الى رتبة ملازم ثان في الجيش وسماه «خضر جودت» بعد ان كان اسمه خضر النحاس ومثل

هذه الترقيات كثير وانما أوردنا بعضها هنا للدلالة على أعمال هذا الكاتب ولم يمس على وصول غردون الى الخرطوم اكثر من ستة شهور حتى أصبح ابراهيم رشدي في خلالها ذا ثروة تعد بعشرات الالوف وبني له داراً زخرفها ووضع فيها من الرياش ما دهش الناس وأوجب ارتياب غردون في نزاهته ولما وصلت بوآخر نصيحي باشا الى سنار كان معه فتح الله افندي جهامي السوري أحد معاوني الحكمدارية فسلمه المدير حسن صادق باشا عشرين أردبا من الذرة البيضاء المعروفة باسم (مقد) وهو نوع من الذرة لكنفه أبيض وطعمه قريب من طعم القمح ونحو عشرة قناطر من السمندر وثلاثين خروفاً من الضأن ودفع له كتاباً خصوصياً برسم غردون

ولما عادت البواخر الى الخرطوم سلم فتح الله افندي الذرة والسمندر والخرقان والكتاب الى ابراهيم رشدي بصفته كاتباً لغردون فقبض الكتاب وقرأ ما فيه حيث علم ان هذه رسالة من مدير سنار هدية لغردون فارسل هذه الاشياء الى منزله ولم يذكر لغردون شيئاً من أمرها حتى اتصل به ذلك من طبيبه الذي تلقى هذا الخبر من فتح الله افندي جهامي فاستدعى ابراهيم وسأله فانكر انه تناول كتاباً أو شيئاً من فتح الله المذكور فشهد بعض موظفي الحكمدارية بانهم رأوا الكتاب لما دفعه اليه فتح الله وانهم رأوا الاشياء المختلسة وانه أخبرهم بان غردون تنازل له عنها فامر بتفتيش منزله فوجدت فيه الاشياء في أوعيتها وعليها كتابة تفيد انها رسالة برسم غردون وقطعت أوراقه فوجد الكتاب المرسل من مدير سنار بينها فاعتناظ غردون من هذه الحادثة التي برهنت له على خيائته ودنايته مع كونه موضع ثقته وامين سره وأمر بالاشياء فاضيفت لجانب الميري لانه كان من عادته أن

لا يقبل هدية أبدا من صغير أو كبير وقد رأيت ذلك منه منذ مرافقتي له حتى  
انه كان اذا نزل بقرية مدة تجوله في السودان لا يقبل من أهل القرى ضيافة  
ولا شيئا مالا ويدفع ثمنه حتى شربة الماء لمن يناولها له ولو على ضفة النهر  
ثم انه أمر بتشكيل مجلس لتحقيق جرائم ابراهيم رشدي فثبت ان ما اغتاله  
ثمنا للوظائف التي باعها يربو على عشرة آلاف جنيهه وانه كان قد زور  
توقيع المرحوم جعفر مظهر باشا حينما كان حاكما على السودان

وظهر من التحقيق أيضا انه كان قد تناول رشوة من الخائنين السعيد  
حسين الجميعاني وحسن ابراهيم الشلالى اللذين ذكرنا خيانتهمما وقتلهمما وأن  
كثيراً من الذين ابتاعوا الوظائف منه كانوا يقصدون من شرائها الوقوف على  
أسرار الحكومة ليوقفوا المهدي عليها

ولدى نهاية التحقيق حكم عليه بالتجريد من كل ألقابه ورتبه والفصل  
من وظيفته والحرامان من كل وظيفة أميرية وعين بدله قرياقص بك  
القمص الذي كان وكيلاً للمالية ومات ابراهيم رشدي قتيلاً الدراويش يوم  
سقوط الخرطوم

### ذكر ما تداينه غردون من النقود

ذكرنا ان ورق البون هبطت قيمته هبوطاً فاحشاً فتدمر الجنود من  
هذا المهبوط فاخذ يطلب من الاعيان نقوداً بوجه السلفة فكانوا لا يقدمون  
له الا قليلاً واخيراً قال لهم اني استدين منكم لنفسي لالحكومة وأجمل  
لكم فوائد على كل ما استدينه منكم فتسابق الناس الى اجابته لانهم كانوا  
يعتقدون فيه الوفاء فقد واه في يوم واحد عشرة آلاف جنيه حرر بها كمبيالات

على نفسه بخطه وختمه وجعل مواعيدها كلها وصول الحملة الانكليزية الى  
الخرطوم وبهذه الطريقة اجتمع لديه من المال ما قام بمرتبات الحماية وخفف  
عنها ما كانت تتذمر منه من هبوط اوراق البون ذلك الهبوط الفاحش

### ذكر مدالية حصار الخرطوم

صنع غردون مدالية في وسطها الهلال والنجمة مكتوب حولها  
هكذا « حصار الخرطوم سنة ١٣٠١ » وجعلها على ثلاث درجات الاولى ذهبية  
والثانية فضية والثالثة نحاسية  
وكل انسان كان محصوراً في الخرطوم يحق له حمل هذه المدالية من النوع  
انثالث بغير أن تكون بيده براءة واما النوعان الاول والثاني فيحتاج حاملهما  
الي براءة من غردون

### وظائف المؤلف بعد الاصابة

لما أصبت في واقعة الخلفاية كنت بوظيفة قومندان الحماية ومكثت  
ثلاثة شهور طريح الفراش ولسكني كنت قائماً في خلالها باعباء وظيفتي فكانت  
تقارير القوادتصل الي واصدر لهم الاوامر ليل نهار بدون انقطاع  
ولما من الله عليّ بالشفاء استحسن غردون تعييني في وظيفة رئيس  
أركان حرب الحكمدارية حيث اكون مشرفاً على جميع أعمال قومندان الجنود  
الذي عين بدلي

ولما كثرت دسائس المهدي داخل الخرطوم وخيف وقوع ما لا تحمد  
مغيبته اضاف غردون وظيفة محافظ الخرطوم على عمدي مع بقائي في

وظيفة رئيس أركان حرب الحكمدارية فبكتت قائماً بأعباء هاتين الوظيفتين حتى سقطت الخرطوم .

وكنت أعود الى الحكمدارية في الصباح لتلقى تقارير القوادثم ابرحها الى المحافظة في الظهر حيث أتلقى أخبار المدينة ثم أعود الى الحكمدارية في المساء لاصدار الاوامر عن الحركات العسكرية ثم أقضى اكثر ساعات الليل متردداً بين الحكمدارية والمحافظة وقد تمضي عليّ ثلاثة أو أربعة أيام لأجد في خلالها فرصة اذهب فيها الى منزلي وفي اكثر الليل تطراً أحوال توجب سروري على مواقف الحامية بعد نصف الليل وربما ركبت باخرة للذهاب الى حصن راسخ بك أو حصن أم درمان أو حصن جزيرة (توتي)

وقد فوض الى النظر في أمر توزيع الديون التي تطلب من أعيان المدينة وقبضها منهم وقد اتفق لي مرات عديدة ان أرسل الى منزلي أطلب غداءً وأنا بالمحافظة مثلاً ثم يطراً ما يلجئني الى التوجه الى الحكمدارية فاصي بارسال الغداء الى فيها ثم اضطر لمفارقتها قبل ان يدركني وأنا بها وربما اكون في مثل هذه الحالة في حاجة شديدة الى الغداء ولا يمكنني تداركه اذ المجاعة ضاربة أطنابها في المدينة

وقد وقع اكثر من مرة ان الخادم يؤخذ منه الغداء ويحتفظه الناس في الطرق قبل أن يهتدي الى المحل الذي أنا فيه

ذكر احمد العوام واحرقه الجبهه خانه وبقية حوادثه

ولما وصل غردون الى الخرطوم وأصدر الاوامر باطلاق المسجونين مهما كانت جرائمهم اطلق احمد العوام بضمانه رجل من سكان الخرطوم يدعى أبا

بكر الجار كوك وكان هذا الرجل مسجوناً بعد النفي من الاسكندرية لانه كان من أهلها وذا ضلع كبير في حوادثها المرابية

وكانت المخازن المعدة لحفظ الجبهه خانه خارج المدينة بالقرب من الاستحكامات . ولما بدأ الحصار كانت مقدوفات العدو تصل اليها فأمر غردون بنقلها الى مكان وسط المدينة تصير فيه بعيدة عن كل خطر فلم يوجد في المدينة بناء يقوم بالفرض غير دار الكنيسة الكاثوليكية وكان القسوس قد هجروا الخرطوم الى مصر ولم يبق بها غير الشماس دومينيكو ففرض عليه غردون استئجار دار الكنيسة لحفظ الجبهه خانات فامتنع من الاجابة ورفع الامر الى المسيو هنزل قنصل النمسا في الخرطوم فاحتج على غردون بعدم موافقة ذلك وحصل بينهما مآدئ الى انقطاع العلاقات ونقلت الجبهه خانه الى دار الكنيسة وكان منزل احمد العوام ملاصقاً لها فأشعل النار في الجبهه خانه بقصد احراقها فدورك الامر واطفئت النار قبل ان تبلغ أمكنة المواد الملتبئة وكنت وقتئذ مباشرةً لاطفاء هذا الحريق فخصرت الشبهة في احمد العوام وبعض الجيران والقيت القبض عليهم وأخذت بأبشر التحقيق بنفسي فظهرت براءة الجيران فأطلقتهم ووجدت النقب الذي وصلت منه النار الى الجبهه خانات في منزل احمد العوام

وقبل ذلك وصلت الي تقارير الجواسيس بان احمد العوام هذا ميال الى المهدي وانه ألف كتاباً سماه « نصيحة الخاص والعام. في ذكر المهدي عليه السلام » فرفعت خلاصة التحقيق الى غردون الذي أصدر امره الي فتح الله جهامى احد معاوني الحكمدرية أن يأخذ معه الشيخ حسين المجدي رئيس أساتذة المدرسة الاميرية والمدرس بجامع الخرطوم ويفتشا منزل احمد العوام

ويضبطا أوراقه فتوجهها وضبطا الاوراق ووجدا النصيحة المذكورة مكتوبة بخط يده ووجدا غيرها كثيراً من القصائد التي ألفها في مدح المهدي وتصديق دعوته والحض على رفع لواء العصيان على الحكومة وحملت الاوراق كلها الى غردون الذي أمر بزعج احمد العوام في السجن وأبقى الاوراق عنده وأحيل على المحاکمة فحكّم عليه بالاعدام فاستبدل غردون هذا الحكم باخراجه الى الدراويش فعارض المجلس في ذلك قائلاً ان لحاقه بالمهدي لا بد أن يكون ذا عاقبة سيئة حيث يوقفه على حلة المدينة وينبئه الى ماهو في غفلة عنه فقبل ما أشار به المجلس وأمر بصلب احمد العوام فراجعته في أمره والنسب أن يكون انفاذاً لحكم ليلا في منزله فقبل التماسي وأعدم احمد العوام في منزله ليلا وبعد سقوط الحرطوم وقت النصيحة والقصائد في قبضة المهدي فسر بها وأمر بطبعها فطبعت وأظهر الاسف على قتله وقال انه أشد ايماناً من مؤمن آل فرعون وتمني أن يكون للعوام ذرية أو ذوو قرابة يصلهم ببعض ما كان يصل به احمد العوام لو قدر له الاجتماع به

أما النصيحة فقسمة الى خمسة فصول ومقدمة. الفصل الاول في ذكر امامة جلالة السلطان عبد الحميد حيث طعن على امامته أشد الطعن وجاء بأدلة أوهى من نسج العنكبوت ونذكر منها نبذة للدلالة على سخافة مؤلفها وفقدانه العقل وهي انه زعم ان لفظة خان الرادفة لاسماء الخلفاء العثمانيين مأخوذة من الحيانة وذلك ان السلطان سليم خان سرق مخلفات النبي صلى الله عليه وسلم وخان العهد الذي أعطاه لمن كانت عنده بارجاعها له ولا يخفى ما في ذلك من الدلالة على مبلغ علم ذلك الجاهل. وفي الفصل الثاني مطاعن كلها من قبيل تفسيره للفظة خان موجهة الي ساكن الجنان محمد علي باشا محيي



الديار المصرية وفي الفصل الثالث ذكر الحوادث المرابية والثناء على أولئك الثوار . والفصل الرابع في دعوة أهالي القطرين المصري والسوداني لاتباع المهدي وانه هو المنتظر

وأما الفصل الخامس فقد خصصه لذكر المهدي وقال انه يؤجل الكلام فيه الى ما بعد اجتماعه بصاحبه فكتب فيه الشيخ الحسين زهرا كلاما طويلا يرمي به الى ما جاء في الاحاديث عن ظهور المهدي ويرد على الذين تذرعوا بما ورد من الاختلاف الى تكذيبه



### بعثة الكولونيل ستيوارت وقتله

لما أبدت حملة محمد علي باشا ونفى الي غردون تقدم عبد الرحمن النجومي الي الخرطوم وان المهدي زحف عليها بخيله ورجله يقن ان يصيره الي الملائكة ولا نجاة له بنير وصول النجدة اليه من مصر

ولما كان غردون لا يجهل ان مصر لا تستطيع مساعدته الا اذا شاءت حكومة جلالة المملكة فيكتوريا وقد قلنا ان غردون حاول عبثا تحويلها عن الخطة التي وطدت العزم على انفاذها وهي ترك السودان للفوضى والقاء حبله علي غاربه بعث الكولونيل ستيوارت وزوده بكتب الي رؤساء حكومة الجناح الحديوي وحكومة جلالة المملكة وكل هذه الكتب لا تخرج عن التماس المونة وطلب النجدة مع وصف حالة سكان الخرطوم وما يتوقعه لهم من المصيبة اذا وقعوا تحت مخالب المهدي

وأحصى المصريين الذين يسكنون الخرطوم فبلغ عددهم مائتي الف نسمة وارسل قائمة الاحصاء مع الكولونيل ستيورات

ثم استدعى أعيان الخرطوم وضباط الحامية والموظفين والنزلاء الاوروبيين الى مجلس عام وشاورهم في انه يريد عمل طريقة لخلاصهم من قبضة المهدي وانه خابر الحكومتين المصرية والانكليزية وانهما اذا لم تصفيا لندائه فلا بد من مخابرة جلالة السلطان عبد الحميد خان باسم سكان السودان عموما وسكان الخرطوم خصوصا يسأله احتمال سواحل البحر الاحمر سواكن ومصوع بجنود شاهانية وارسال مائة الف جندي من الجيش العثماني لاختاد الثورة وتسكين حركة العصيان وتكون بعدئذ اقاليم السودان خاضعة لسيادة جلالته مباشرة بدون واسطة الخديوية المصرية ون حكومة السودان تقوم بنفقات هذه الجنود بعد زوال الفتن واعادة المياه لجاريها فوافق الجميع على هذا الاقتراح ووقع اربعة آلاف رجل من أعيان الخرطوم وعا الضباط والموظفين والملكيين علي عريضة استرحام بهذا المعنى ترفع الى مقام مولانا السلطان عبد الحميد خان ووقع عليها ايضا كل مكاف من سكان الخرطوم وسلمت العريضة الى الكولونيل ستيوارت واكد عليه غردون بضرورة ارسالها الى جلالة السلطان علي لسان البرق لدي وصوله الي دنقلة

وعين المسترياور قنصل انكلتراني الخرطوم لمرافقة الكولونيل ستيوارت والموسيو هربن قنصل فرانسافي الخرطوم واوصي الاثنين بمساعدة الكولونيل ستيوارت واكد على الموسيو هربن ببذل المساعدة لدي حكومة فرنسا حتى لايقف حملة القرائيس المصرية من الفرنسيين حجر عثرة في طريق أي مشروع يعود بفائدة انقاذ الخرطوم من الوقوع تحت جبروت المهدي  
نم ان غردون كان لايجهل ان انكلترا لاترضى احتلال الجنود العثمانية لسواحل البحر الاحمر كما انها لاترضى بادخال جيش تركي في السودان

ولكنه قصد أن يكون التاريخ حكماً نافذ الحكم بينهما وبينه وان لا تكون عليه تبعه هلاك الالوف من سكان الخرطوم امام الله والعالم اجمع ولكن سوء الحظ لم تكتمل تلك العرائض الي دنقلة حتى اوقعها نكد الطالع في يد المهدي بعد قتل الكولونيل ستيوارت فاستفاد منها فائدة حيث تحقق ان حكومتى انكاترا ومصر متقاعدتان عن إرسال المدد الى غردون فوطن العزم على الزحف على الخرطوم والقضاء الاخير على سلطة الحكومة في السودان كلها حيث علم حقيقته مقصد انكاترا وانها مابعثت غردون الا ليلسه السودان

وعينت الباخرة عباس لتقل الكولونيل ستيوارت ومن معه وعليها مدفع وأربعة عساكر طوبجية ورافق الكولونيل ستيوارت حسن افندي حسنين تلغرافى انكليزي بالخرطوم بصفة مترجم ورافقه أيضا محمود حلبي أفندي غراب باشكاتب المالية بصفة كاتب له

والتمس من غردون نحو ثلاثين رجلا من الاوروبيين والسوريين كانوا تجاراً في الخرطوم ان يسافروا بعائلاتهم على مراكب شراعية تقطرها الباخرتان اللتان تخفزان باخرة ستيوارت حتى يجتازوا بربر ثم هم يجتازون الشلالات فيصلون الى حدود دنقله فاجاب التماسهم وعين باخرتين كبيرتين وعليهما نحو الف جندي ومدافع تحت قومندانة القائم مقام عثمان حشمت بك وأصدر اليه الاوامر بالمسير بجاني باخرة ستيوارت وان تكون مراكب التجار مقطورة خلف الباخرتين فاذا اجتازوا بربر ترك المراكب وشأنها وان يقف بالباخرتين عند مكان اسمه ( غنينيطه ) شمال بربر مدة أربع وعشرين ساعة حيث تكون في خلالها باخرة الكولونيل ستيوارت اجتازت الشلالات وكان عند الدراويش باخرتان كبيرتان في بربر يخشى منهما ان تتأثرا باخرة

الكولونيل ستيوارت وتلحقها العطب وعين مع ستيوارت ملاحين  
دنقلين لهما معرفة باجتياز الشلالات

وغادر الكولونيل ستيوارت الخرطوم في أواخر شهر ذي القعدة سنة ١٣٠١  
هجرية ومعه الباخرتان وخلفهما سراكب التجار ومكث سائراً ثلاثة أيام حتى  
بلغ بربر وكان الرصاص يهطل عليه في خلالها من ضفتي النهر كالطرر  
ولما وصلوا بربر أطلق عليهم الدراويش القنابل من خمسة مدافع والرصاص  
ومع ذلك اجتازها بغير ان يصيبه أدنى ضرر

ولما وصلت البواخر والمراكب الى (غنينيطه) أمر عثمان حشمت بك  
بترك المراكب وكان الهواء عاصفاً فلم تستطع السفر  
وأما باخرة الكولونيل ستيوارت فأتجهت في سيرها جهة الشمال ولم  
تكمد تسير ميلاً واحداً حتى أمر عثمان حشمت بك الباخرتين بالاقلاع والعودة  
الى الخرطوم فاندحش الكولونيل ستيوارت من عمل هذا القائد ومخالفته  
للاوامر التي تلقاها من غردون فامر ربان باخرته بالاسراع في السير فاجتاز  
الشلال الأول بسهولة

ولما نظر الدراويش في بربر عودت الباخرتين أرسلوا باخرة من اللتين عندها  
لتلحق باخرة الكولونيل ستيوارت فظفرت بمراكب التجار وعادت الى بربر  
حيث لم تقدر على اجتياز الشلال وسار نحو خمسمائة من الدراويش على ضفة  
النهر ليلحقوا ستيوارت

وفي اليوم الثالث من اجتياز الباخرة للشلال وصلت الى جزيرة يحيط  
بها الماء من كل جانب وهناك اختلف الملاحان الدنقليان فقال أحدهما الدنو من  
الشاطيء الغربي اسلم من الدنو من الشاطيء الشرقي وقال الآخر ان الدنو من

الضفة الشرقية اسلم من الدنو من الضفة الاخرى وبينما كانا مختلفان ارتطمت  
 الباخرة بصخرة اتلفتها فدخلت المياه الى جوفها والتي الملاحان الدنقلان انفسهما  
 في لجة النهر وسبحا فيه الى حيث لا يعلم أحد وجهتهما والتي الكولونيل  
 ستيوارت المدفع والحروطوش في قاع البحر ونقل أمتعته وأمتعة من معه على  
 زورق صغير كان معه

وعندئذ أظهر ستيوارت أسنفه على تركه زورقين كان غردون قد أمره  
 باخذها وقال له انهما يساعدانك على النجاة اذا قدر لباخرتك عدم النجاة من  
 الشلالات فتركهما ستيوارت ولم يعبا بنصيحة غردون  
 وكان ستيوارت صعب المراس قوي الشكيمة مستبداً برأيه في  
 أكثر الاحوال

ولما استقر ستيوارت في الجزيرة أشار عليه من معه أن يسافر على الزورق  
 ومعه بضعة أشخاص ليصل الى حدود دنقله اذ لم يكن بينه وبينها غير مسيرة  
 يوم واحد فرفض اقتراحهم ولم يقبله ثم عرضوا عليه أن يبعث رسالا على الزورق  
 الى حدود دنقله فاذا وصلوا سالمين وعلم بهم قومندان الحدود أرسل مدداً  
 لانقاذهم وكلتا الطريقتين كانت كافية انقاذه وبلوغه دنقلة سالماً ولكنه لم  
 يقبل واحدة منهما أيضاً

وفي أصيل النهار سمعوا صائحا على الضفة النهر فامعنوا النظر فعلموا ان  
 الصائح هو ذلك الملاحان اللذان ذكرنا فناديا ستيوارت ومن معه قائلين  
 لباس عليكما وانكم ازاء قرية تدعي السلامانية وانها من حدود دنقله ولم تزل  
 على طاعة الحكومة ولم تدخل في دعوة المهدي وهم يطلبون ارسال مندوبين  
 يتحققون بقاءهم على طاعة الحكومة

وكان حسن أفندي حسنين التفرنجي الآنف الذكر يترجم هذه الافوال  
 الى اللغة الانكليزية بين يدي الكولونيل ستيوارت الذي أمر حسن أفندي  
 حسنين ومحمود حامى غراب أن يصطحبا معهما بضعة رجال من ملاحى  
 الباخرة ويذهبوا الى قرية السلامانية من الشاطيء الشرقى للنهر فامتنعوا وقالوا له  
 ان ذهابنا بهذه المأمورية مخاطرة بحياتنا فاحتم غيظا وتوعدهما بالقتل رمياً  
 بالرصاص اذا لم يبادرا بالذهاب فاطاعاه خوفا من هذا الوعيد واجتازا النهر  
 على الزورق واجتمعا بالملاحين وفسدوا القرية فوجدوا ثلاثة أشخاص جالسين  
 في فناء مسجد ومعهم رجل كفيف البصر فخطبهم حسن حسنين ومحمود  
 حلبي وقال لهم ان باخرتنا قد غرقت امام قريتكم فان كنتم على طاعة  
 الحكومة رجوناكم ان تمدوا لنا يد المساعدة لنصل الى دنقلة فاجابوهم  
 بانهم لم يزالوا على طاعة الحكومة وانهم خاضعون لحاكم إقليم دنقلة  
 مصطفى ياور باشا وحلفوا على المصحف الشريف بان ما قالوه عين الحقيقة  
 وطلبوا من الرسولين ان يؤمناهم فقالا ان ذلك ليس من خصائصنا بل  
 هو من خصائص الرئيس الذي هو الكولونيل ستيوارت وقفل الرسولان  
 راجعين الى الجزيرة ومعهما رجلان من الثلاثة الذين جرت المحادثة معهم  
 ورغب الرجل الضرير ان يسير معهما فसार السكل واجتازوا النهر على الزورق  
 ولما مثلوا بين يدي ستيوارت اعدوا ما قالوه لرسوليه اللذين ابلغاه  
 ما دار بينهم من الحديث وما كان من أمر حلفهم على المصحف فلم يرتب في  
 انهم صادقون في كل ما قالوه فامنهم على انفسهم وبالغ في اكرامهم والاحتفاء بهم  
 وأعادهم الى قريتهم وقضى تلك الليلة في الجزيرة  
 وفي صباح الغد جاءه الرجلان اللذان كانا عنده بالامس وقالوا له ان

شيخ قريتنا المدعو سليمان بن نعمان بن قر كان مسافرا في بعض شؤونه وقد آب من سفره بعد عودتنا من عندكم بالامس وقد احضر نوقا لجلدكم عليها الى دنقله وان النوق في انتظاركم على الضفة الشرقية فاجتاز السكولونيل النهر ومعه القنصلان وخمسة ثلاثون ملاحا من خدام الباخرة واربعة جنود طوبجية وثلاثة موظفين ملكيين هم حسن حسنين ومحمود حلمي غراب وثالث قبطي كان كاتبنا ايضا وبعد ان نقلوا متاعهم الى الضفة وجدوا بها سبع نوق وقيل لهم ان غيرها سيأتيكم على الفور وجلسوا منتظرين بقية النوق ولما انتصف النهار جاء من القرية رسولان قابلا السكولونيل وقالاه ان شيخ البلد يدعوكم للمأدبة ادبها اكرما لكم فلبس ملبسه كأنه مدعو للمأدبة في بلاد آمنة ولم يأخذ لنفسه أقل حيلة وسار معه القنصلان وحسن افندي حسنين ليترجم بينه وبين الاهالي

ولما اقتربوا من القرية قابلهم الاهلون بالبشاشة والترحيب وادخلوهم الى اودة كبيرة وجدوا بها نحو خمسين شخصا متزيين بزى التجار فرحبوا بهم واجلسوا كل اثنين على (عقريب) ثم هناؤهم بالسلامة وخرجوا من عندهم بعد ان وعدوهم باحضار النوق لجلدهم الى دنقله وبعد خمس دقائق عاد الخمسون رجلاً وبايديهم الاسلحة من الحراب والبلط الصغيرة ووضعوا السلاح في رقاب السكولونيل ستيوارت والقنصلين فسقطوا قتلاء يتخبطون في دماثهم واصيب حسن افندي حسنين بجروح عديدة سقط منها يتخبط في دمه فظنوه قد فارق الحياة مثل رفقاءه الثلاثة وتقدم نحو اربعمائة رجل من القرية الى شاطئ النهر وذبحوا جميع الذين كانوا هناك من رجال السكولونيل ستيوارت وجمعوا ما عندهم من الاوراق

وارسلوها الى محمد الخير حاكم بربر من قبل المهدي فاسرع بارسالها الى المهدي الذي كان وقتئذ قد غادر الرهد ونزل في جهة ( شاة ) القريه من النيل الابيض فسر بها واطلق المدافع سرورا بهذه البشرى وارسل الي غردون بكتاب يدعوه فيه الى التسليم ويعلمه بما اصاب ستيوارت ووضح ملخص جميع الكتب والرسائل التي كانت صحبة الكولونيل ستيوارت وقد اضربنا عن ايراد ذلك الكتاب اكتفاء بملخصه

هذا وقد كان الحسمائة درويش الذين تاثروا الكولونيل ستيوارت من بربر قد وصلوا الى قرية السلمانية واشتركوا مع سكانها في هذه المذبحة أما تدير الحيلة على الوجه الذي بيناه فقد دبره شيخ القرية سليمان بن نعمان ابن قر وسيأتي في هذا الكتاب ذكر قتله انتقاما عن هذه النعمة الشعاء ولا بد من ايراد شيء في هذا الباب من ترجمة سليمان بن نعمان فنقول هو زعيم قبيلة اولاد قر من بطون قبيلة الرباطاب التي تقدم ايراد ترجمتها وهي من قبيلة الجعليين التي تكلمنا عنها آنفا

وأما حسن افندي حسنين الذي نجما من هذا الخطب فانه لما قبلوا القتلى وسلبوا من الكولونيل ستيوارت ملابسه وكذلك القنصلان والقوا بجثهم الى الصقور والكلاب وجدوا حسن افندي حسنين حيا فتآمروا على قتله فشنع فيه الرجل الكفيف البصر والرجلان اللذان رافقاه الى الكولونيل ستيوارت فقبلت شفاعتهم واستلمه احد المشايخ كاسير لديه وكلفه برعى اغنامه مع ما كان يقاسية من آلام الجروح التي كان يعضدها ويعالجها في غضون اشتغاله برعى الماشية في القلاة ثم ارسل محمد الخير حاكم بربر يطلب ارساله اليه فقيده وساقوه مكبلا بالحديد حتي بلغ بربر مقر هذا



الحاكم فزجه في السجن حتى تشفع فيه كوستي الايطالي فاطلق بكفائه  
وسنذكر قصة كوستي فيما سيأتي

وبعد خلاص حسن حسنين من سجن محمد الخير لحق بام درمان ثم  
غادرها الى كسلاكي يفر منها الى مصر وقد كان شرع في الهروب مع زوجته  
وابنه فافترت السباع وزوجه وابنه ووقع أسيراً بين مخالب المهديين فسجنوه  
ثم وجد سيلا الى النجاة واللحاق بام درمان حيث أقام بها الى حلول الحكومة  
بها ثم عاد الى وطنه مصر واجتمع باهله الذين حسبوه في عداد الاموات  
بعد طول زمان الفراق وقد روينا عنه هذه الحادثة وتراً كدنا صحتها من  
التفاصيل التي وصلت للمهدي

على ان هذه القصة يظهر منها ان بعثة سنيوارت كانت آخر سهم في كنانة  
غردون وآخر عمل كان يأمل من خلاله النجاح ولذلك وقع عنده خبر قتله  
موقعاً سيئاً للغاية وزاد الطين بلة وقوف المهدي على كثير من الكتب والرسائل  
التي كانت مكتوبة باللغة العربية وان فاته الوقوف على أمثالها التي باللغات  
الفرنسوية والانكليزية وكان غردون متخوفاً من ان يكون كوستي  
أطلع المهدي على مفاتيح الشفرة مما يدل على ان الكتب التي كانت  
حوت من الاسرار ما هو أهم من التي كتبت باللغة العربية واطلع  
عليها المهدي

ولما عاد القائم مقام عثمان حشمت بك الى الخرطوم أخبر غردون بانه  
اضطر الى الاقلاع بالباخرتين قبل مضي الاربع وعشرين ساعة وذلك لانه  
خاف مناوشة العدو ولكن التحريات حققت كذبه وان لا مناوشة اضطرته  
الى مخالفة الاوامر فحوكم امام هيئة عسكرية حكمت باعدامه وتجزيده من جميع

رتبه وألقابه ونياشينه الا أن غردون اوقف تنفيذ هذا الحكم وأبقى المحكوم عليه في وظيفته وعمله مراعاة لظروف الاحوال التي كانت ماسة لتعطيل هذا الحكم والاستفادة من وجود مثل هذا الضابط الذي كانت الخامية تكبر ففقدته لو انفذ عليه الحكم وكينما كان الامر فان غلطة هذا الضابط لم تكن السبب فيما أصاب السكولونيل ستيوارت بل كانت السبب في وقوع التجار أسرى في يد الدراويش وما أصاب باخرة ستيوارت كان لا يستطاع دفعه الا لو ساعده القدر وقبل نصيحة غردون واصطحب معه الزورقين فكان يمكنه بواسطتهما اللحاق بحدود دنقله

على انه لو حمل ماخف من متاعه وأبحر على الزورق الذي كان لديه لاستطاع النجاة والعودة الى خلاص بقية رجاله من تلك الجزيرة التي كانت له معقلا طبيعياً يردعنه كل من رامه. وكان رجاله يستطيعون البقاء والدفاع ريثما تصل اليهم النجدة من حدود دنقله لو لم يتعجل باللقاء المدفع والذخيرة في قاع الزورق وزد على ذلك ما سردناه من عدم رويته وتسرعه في الامور ورفضه كل مشورة عرضها عليه رفقاؤه وعدا هذا وذاك فانه لو أرسل بضعة أشخاص من رجاله على الزورق لجاءه المدد من دنقله ولم يقع في الاشرار التي نصبها له أولئك الغادرون

والحاصل ان مأمورية ستيوارت وما تخللها من الحوادث جاءت ضغناً على ابالة حيث قضت علي كل أمل بانقاذ الخرطوم من الوقوع تحت طغيان المهدي وشجعتة على التقدم الى الخرطوم بجنان ثابت وعزم ماض ليم ماأزاده الله وينفذ ما قضاه والامر لله

## ذكر اخبار كوتسيه الايطالي

كان كوتسيه خاماً للمسيو ماركيه قنصل فرنسا في الخرطوم فأرسله في تجارة الى بربر

ولما هلكت حملة الجنرال هكس هاجر ماركيه من الخرطوم وخلق بمصر خلفه في وظيفته الموسيو هر بن الذي ذكرنا قتله مع الكولونيل ستيوارت ولدى مروء غردون على بربر استبقاه بها جاكوسس يرفع اليه الاخبار بالارقام وسلمه مفاتيح الشفرة ليخاطب بها الوكالة البريطانية إن دعت الحالة الى ذلك

ولما اقترب محمد الخير من بربر فرّ كوتسيه الى مصر فقبضت عليه بعض قبائل من اللائي دخلن في دعوة المهدي وساقته أسيراً الى محمد الخير

ولما أوقف بين يديه عرض عليه اعتناق الاسلام فلم يقبل فارسله مع حراس أوصلوه الى المهدي الذي عرض عليه الاسلام فقبله ونطق بالشهادتين مدعيًا انه رأى من كرامات المهدي ونور وجهه مادعاه الى قبول الاسلام دينا وتعاليمه امام المهدي في الدهاء والترهات حيث قال للمهدي انه رأى من أنوار طلعت من مابهر فؤاده وحبب اليه الاسلام فمرض عليه المهدي حمل رسالة منه الى غردون وطالب منه ان ينصح غردون بالتسليم له ويخبره بما رآه من كراماته فاجابه كوتسيه وحمل الكتاب الى الخرطوم ودخل الخرطوم فسأله ضابط الحامية عن سبب مجيئه فقال جئت لانصحكم بالتسليم للمهدي وأخذ يسرد له ما حمله من رسالة المهدي فاسكتته الضابط وأسرع نابلاغ غردون أمره على لسان البرق فارسل غردون اشارة برقية قال فيها اذا لم

يكن كوتسيه راغباً في البقاء معنا . ليرجع من حيث جاء فقل كوتسيه لا سبيل الى  
الاقامة مع الكفار وقفل راجعاً الى المهدي في كوردفان فتلقاه بالاكرام  
واغدق عليه العطاء وسماه محمد يوسف كرغبته وأهداه جاريتين وعبدین  
وناقتين واعاده الى بربر وأوصي محمد الخیر بمراعاته وأجري عليه راتباً شهرياً  
يقوم بضرورياته

هذا وقد كتب غردون في مذكراته عنه شيئاً كثيراً وتخوف  
ان يكون سلم للمهدي مفتاح الشنفرة وغاية ما يقال عن كوتسي انه رأى  
مع قصر نظره ان وقوع السودان تحت قبضة المهدي ضربة لازب وان  
ظهوره بهذا المظهر أسلم عاقبة من بقائه على ولاء غردون . وليس بصحيح  
ما قيل عن تسليم بربر انه كان بخيانة منه لانه فر منها قبل ان يحصرها العدو  
وقبض عليه في الطربق وهو فار الى مصر وبقى في أسر المهديين الى يوم استيلاء  
المصريين على أم درمان فغادرها الى مصر

### وصول عبد الرحمن النجومي الى الخرطوم

لما وصلت كتب الحاج محمد ابى قرجة الى المهدي وعلم منها ما أصاب  
أبا قرجة من الهزيمة والفشل انتدب عبد الرحمن النجومي وكيل الراية البيضاء  
ومعه ستون راية يتبع كل راية نحو الف مقاتل يخضعون الى أمير ويخضع  
هذا الامير لعبد الرحمن النجومي وضم اليه عبد الله بن النور ومعه عشرون  
راية على مثال رايات عبد الرحمن النجومي واعطاه مدفعاً من الكروب  
وست مدافع جبلية وأصدر اذنًا عاماً لكل من رغب في مرافقة عبد الرحمن  
النجومي من قبائل السودان الاوسط ان يرافقه ففسار عبد الرحمن النجومي

من كورثان بجيش يربو على السنين الفأ - لاح جلهم الخراب والسيوف  
 والمزاريق وعنده نحو عشرة آلاف من العبيد (الجهادية) مسلحين بالاسلحة  
 النارية ونحو عشرة آلاف فارس وسكت بضعة أسباع في جنوب الخرطوم  
 مشتغلا باجتياز النهر الابيض من الضفة الغربية الى الشرقية وفي أواخر ذي  
 الحجة سنة ١٣٠١ وصل الى الجريف ووضع معسكره عند قرية الكلاكله  
 المتوسطة بين النيلين الازرق والابيض وتجاه نقطة الو...ط من استحكام  
 الخرطوم ليكون المعسكر نائيا عن مقذوفات البواخر التي كانت لا تنفك عن  
 مناوشة مواقع الدراويش واقلاق راحتهم وهي كما قدمنا كانت من أقوى  
 الاسباب التي ساعدت محمد على باشا على هزيمة الدراويش وقأدم أبي قرجة  
 يوم واقعة الجريف

وقسم جنده الى ثلاث معسكرات وأصلح طوابي الجريف وزاد عليها  
 وعهد بالدفاع عنها الى عبد الله النور وشاد طوابي في قرية (الفرقان) وتولي  
 الدفاع عنها بنفسه واحتمر متاريس بالقرب من النيل الابيض وعهد بالدفاع  
 عنها الى أحد القواد

وعلى ذلك فيكون عبد الله النور بازاء استحكام (برى) على النيل الازرق  
 والمدافع عنه من حامية المدينة اللواء السوداني الاول وقومندان الميرالاي  
 بحيث بطراق بك وهو ضابط سوداني ترقى تحت السلاح . وطوابي الفرقان  
 حيال نقطة القلب من استحكام الخرطوم وهذه النقطة مقر قومندان الجنود  
 العام فرج باشا الزين كما ان طوابي الدراويش المحاذية لها تحت امره قائدهم  
 العام عبد الرحمن والحامية القائمة بالدفاع في هذه النقطة خليط من جنود  
 نظاميين واتراك غير نظاميين ومتطوعة من المصريين سكان المدينة

وأما الحامية التي تقابل متاريس العدو من جهة النيل الابيض فانها مؤلفة من اللواء الخامس المصرى وبعض جنود من الباشبوزق وقومندانها اللواء محمد نسجي باشا

وفي نقطة القاب باب كبير عليه برج من الحديد المصنح تحيط به جملة طواب وعليها مدافع من طراز كروب ومن الطراز الجبلى ولما وصل عبد النجومى وجموعه الى ضواحي الخرطوم أرسل بكتاب الى غردون يدعوه فيه الى التسليم ويتوعده بالويل والثبور اذا امتنع عن الاجابة وكانت قد وصلت الى غردون أخبار تدل على ان جنود ابن النجومى واقعة فى مجاعة شديدة بسبب أن أهالي القرى التي حوالى الخرطوم هجروا قراهم خوفا من غارات المصريين واعتصموا بالقلوات وأوغر فيها ولدلك لم يجد النجومى فى طريقه من يقدم له الاغذية فكتب الى أهالي القرى يدعوم الى العودة الى قراهم ويضعف لهم قوات المصريين حيال قوته وان الحامية التي فى الخرطوم سوف يرون بأعينهم ما يحل بها من بطش مقاتلته فأخذ الاهلون يتراجعون الى قراهم وبعد حين صار ابن النجومى وجيشه يتحصلون على ما يقتاتون به من الحبوب واللحوم

وفى غضون اشتداد المجاعة على ابن النجومى وجيشه أرسل غردون كتابا برسم النجومى وعبدالله النور وأرسل نحو خمسمائة أقة من الخبز المجفف (البقسماط) بصفة هدية لهما وهدية أخرى من اللجم المصنوعة من اللجين وفى الكتاب استهزاء بهما حيث قال لهما انكما جئتما لحصارنا وقتلنا مع انكم فى نهاية الحاجة الى القوات فاشفاقا عليكم أرسلت لكما بهذا الفداء وهذه الهدية فردا عليه بكتاب وجيز جاء فيه بعد لديباحة ما يأتى

لا نقول لك الا كما قال سليمان بن داود عليهما السلام لبليقيس لما وصلته هديتها « أتمدونني بمال فما آتاني الله خيرا مما آتاكم بل أنتم بهديتكم تفرحون ارجع اليهم فلنأتينهم بجنود لا قبل لهم بها ولنخرجنهم منها اذلة وهم صاغرون » وتراجع المهزمون من جماعة أولاد الشيخ العبيد وعسكروا في الحلفاية كما كانوا واحتمروا المتاريس فكانت مقذوفاتهم تصل الى منازل المدينة وشوارعها وتلحق الضرر بالسكان وتميت كثيرا منهم في كل يوم وكان بين الطوبجية الذين مع ابن النجومي رجل اسمه محمد سلامه وهو من الذين نجوا من مذبح الجنرال هكس فقال له عبد الرحمن النجومي صوب قنابل مدافع الكروب الي منارة مسجد الخرطوم والي سراي غردون فاعتذر له بان هذه المسافة بعيدة عن الحدود لوصول مقذوفات هذا المدفع فقال بعض الدراويش صوب المدفع وبركة المهدي تكفل اتمام الناقص فكان جوابه انها لا تكفل أبدا فخنقوا عليه وشكوه الي ابن النجومي الذي أمر بضرب عنقه فمات وأخذ الطوبجية الآخرون يرمون المقذوفات في المدينة التي كانت تشعر كل يوم بزيادة الضيق وتحس بالغبلة والسقوط الذي وراءه كل البلايا والمصائب وثبتت اقدام المدروسار من المتعذر طرده وانسدت أبواب الآمال في وجوه غردون ومن معه

### ذكر مغادرة المهدي الرهد الي الخرطوم

لما فشل المهدي في محاربة جبل الداير وكان ذلك في أوائل شهر رمضان سنة ١٣٠١ هجرية أعلن انه ينوي الاعتكاف للعبادة في أول يوم من العشرة الاخيرة من شهر رمضان فلا يخرج من الاعتكاف الا لصلاة العيد

وفي يوم العيد اثنان ان النبي صلى الله عليه وسلم أمره بالتقدم الى الخرطوم  
ووعده بالفوز على من فيها من الحامية وبشره بفتحها ومن ذلك اليوم زحفت  
جيوشه كسيل العرم على الخرطوم وسار هو حتى قطع القلاة التي بين كوردفان  
والنيل الابيض وعسكر في قرية ( شاة ) على مسافة بضعة أميال من النيل  
الابيض وعلى مسيرة ثمان مراحل من الخرطوم

أما جيوشه فكانت زهاء ستمائة ألف مقاتل فشت بينهم المجاعة  
والامراض كالجدري والاسهال

ونشر المنشورات على الناس يدعوهم الى الجهاد ويمدهم بالنعم في الدار الآخرة  
لما يقاسونه من التعب وشظف العيش وقضى باهدار دم من تخلف عنه فإبي  
الناس مطالبه وساروا معه بحيث كانوا أطوع له من بنانه بالرغم عن الشدائد  
التي كانوا يقاسونها

### وفود أوليفر باين الفرنسي على المهدي

بينما كان المهدي سائراً في القلاة من الرهد الى شاة بلغه ان سفيراً قادم  
اليه من فرنسا وقد جاءت اخباره مكبرة حتى قيل انه امبراطور فرنسا وقال  
آخرون انه من أقارب جلالة الملكة فيكتوريا

ولما أوقف بان امام عبد الله التمايشي وراه قد لبس جبة مرقعة  
وعمامة كال دراويش أخذ يتكلم مع التمايشي بالعربية فلم يفهم كلامه لما في  
لانه من لغة العجمة فاستدعى سلاطين باشا وقال لبان تكلم معه بلغتك  
خياها بالانكليزية فظنا منه انه انكليزي وقال له اتعرف الفرنسيون فقال له  
سلاطين تكلم فيما أنت فيه وعرفه باسمه فارتاب عبد الله التمايشي وانتهرها



فارتاع سلاطين واجاب التعاشى بقوله « انى اخبرته بان الله اعطاك علم ما يضره كل انسان وانك والمهدى لا يخفى عليكما شىء من هذه الضمائر » وكان حسين باشا خليفة حاضرا فقال لسلاطين صدقت ودعا لعبد الله التعاشى بطول البقاء فسر عبد الله التعاشى والتمت الى سلاطين وشكره على اخباره باين باصر اطلاقه على الضمائر وأوصاه بان يجتهد في سبر غور الرجل والوقوف على باطن أمره

وظفق باين يكلم سلاطين بالفرنساوية وسلاطين يترجم للتعاشى فقال انى منذ حسدائة سنى أحب السودانين وكذلك كل موظفى فرنساويين يحبون السودانين وان الامة الفرنسية تبغض الامة الانكليزية التى احتلت مصر وارسلت غردون أحد رجالها الى الخرطوم وقد أتيت لاعرض عليكم مساعدتى ومساعدة قومي وانتهى الامر بان قدم التعاشى باين الى المهدي الذى رفض قبول مساعدته وأبقاه بمنزل سلاطين باشا حتى توفي بالحمى التيفوسية

## ذكر وصول المهدي الى ام درمان

في أوائل شهر محرم الحرام افتتاح سنة ١٣٠٢ من الهجرة انشريفه ارسل المهدي الى اتباعه منشورا قال فيه ان النبي صلى الله عليه وسلم بشر بفتح الخرطوم في هذه السنة وأن عدد جملة ( نصر من الله وفتح قريب ) بالجل الكبير يبلغ الفا وثلاثمائة واثنين

ولما اقترب من ام درمان وضع معسكره العام عند مكان اسمه ( الفتيح ) على بعد نحو عشرة أميال من معقل أم درمان وارسل جاسوسا يحمل نحو الف نسخة من كتاب يدعو به أهل الخرطوم الى التسليم له ووضع الكتب

في اثناء صفيح على شكل ابريق احتمله هذا الجاسوس وسبح به في النهر الابيض حتى وصل الي شاطيء المدينة حيث لاحراس يقومون بحراسة الشاطيء من جهتي النيل الابيض لاتساعه وانما وضعت الجنازير فقط في المضائق لمنع السفن البخارية أو الشراعية من الوصول الي المدينة

ووزع الجاسوس الكتب والتي بعضها في الطرقات والازقة والمنازل ثم اختفي في المدينة حتى قفل راجعا من حيث جاء ولم يتيسر القبض عليه ومن ثم امرني غردون بوضع عسس في شواطيء النيلين الازرق والابيض وانقطع وقوع مثل هذه الحادثة وضبط العسس كثيراً من جواسيس المهدي وكان غردون يأمر باطلاقهم ولا يسمح بمعاقتهم وهاهي صورة الكتاب المذكور نقلا عن كتاب المنشورات

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

الحمد لله الوالي الكريم والصلاة على سيدنا محمد وآله مع التسليم وبعد فن العبد المفتقر الى الله محمد المهدي بن عبد الله اني كافة أهالي الخرطوم هداهم الله الى الصواب آمين نعرفكم ان الله تعالى غني عن العباد. يهدي من يشاء الى طريق الرشاد . ويضل من يشاء ومن يهد الله فهو المهتدي ومن يضل فلن تجد له ولياً مرشداً وقد طال ما تكرررت منا النصائح وارادنا نجاته عباد الله وسلوكهم طريق الله فاناب الي الله من أراد الله سعاده وخالف من خذله الله فاصبه وأعمى بصره فلا أدري ما الداعي الى عدم الانقياد أو لله شركاء يستشـيرهم فيمن يجعله مهدياً أم له منازع في ارادته . كلا بل هو القادر الفاعل لما يشاء فيجب على كل ذي بصيرة الوقوف معه على حد الادب ولا يلتفت الى غير لا وجود له من نفسه وان يسلم الامر لله اذ بيده التقلبات

واليه المصير. ومن المعلوم انى عبد دال على الله فمن اتبعني فقد حاز السعادة الكبرى ومن خالفني سيديقه الله عذاب الخزي في الحياة الدنيا ولعذاب الآخرة أخصى وقد أظهرنى الله رحمة للمؤمنين ونقمة على المالكدين المكذبين وقد طالما ذكرتكم بالله ورغبتكم فيما عنده وحذرتكم من وعيده فالى متى الغفلة والتسوية والى متى مبارزة مولاكم بالسداوة ألم بأن لكم ان تميل قلوبكم الى ما ينفمكم في آخرتكم ويحبب لكم الخير ويصرف عنكم الشر والضير اترغبون النجدة والفرج عند الانكايذ وتصرفون نظركم عن خالقكم الذى بيده أموركم وقوامكم وهو القوى العزيز فما الانكايذ وغيرهم واضعاف مضاعفة بشيء في جنب قدرة الله التى يمجز عن وصف كنهها كل لبيب ونجيب. وما القوات الا من عند الله القريب المحيب. وحيث فهمتم ما ذكر فانى لا أوأخذكم على ما فات منكم ولا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين فانيبوا الى ربكم وأسئلوا له من قبل ان يأتىكم العذاب بغتة وأتم لا تشعرون وعليكم أمان الله ورسوله وأمان العبد لله وليس عليكم حرج فيما مضى وغايته ان من سلم سلم. ومن خالف عطب وندم. فبهاهيا ثم هيا الى طريق الفلاح والنجاح قبل قص الجناح ولا تخشوا من شيء يحصل عليكم فانا مناظرون فيكم قوله تعالى « واذا جاءك الذين يؤمنون بأياتنا فقل سلام عليكم كتب ربكم على نفسه الرحمة انه من عمل منكم سوء ابجالة ثم تاب من بعده وأصلح فانه غفور رحيم » اه

هجوم المهدي علي ام درمان

لما كانت حملة الجنرال هيكس معسكرة في أم درمان حصنت نفسها

بخندق مربع يتصل طرفاه بالنيل الأبيض قبالة نقطة (المقرن) التي يجتمع عندها النيلان الأزرق والأبيض بازاء الخرطوم في الشاطئ الغربي ثم انشأ أحد الأولوية خندقاً داخل الخندق في مكان مرتفع وما حوله منخفض وفي ابان ارتفاع النيل تصل مياهه الى الخندق الصغير بحيث تستطيع السفن الرسو عنده بخلاف أيام الانخفاض فان النيل يبعد عنها بمسافة ألف متر تقريباً

ولما وصل غردون الخرطوم أعجبه موقع هذا المعقل ورأى ضرورة وجوده لحفظ المدينة من جهة الغرب فشاد فيه أبراجاً وطوابي وضع فيها ثلاثة مدافع من الطراز الجبلي وأربعمائة جندي من النظاميين نصفهم من السودانيين والنصف الآخر من المصريين

وفي منتصف شهر محرم الحرام سنة ١٣٠٢ هـ جم المهدي بجيشه كله على نقطة ام درمان فقابلته الجنود بنيران حامية اضطرتة الى التقهقر بخسارة بضعة آلاف من مقاتلته فأحاط بالخندق الصغير واستولى على الخندق الكبير وقطع الاسلاك بينه وبين النقطة وشاد نحو عشرين طابية على ضفة النيل الأبيض وضع عليها مدافع الكروب والمترليوز والجبلي فكانت مقذوفاتها تقع في المدينة فشاد غردون طابية في (المقرن) ازاء هذه الطوابي وشاد في جزيرة « توتى » أيضاً طابية قبالة طوابي ام درمان

ومكث المهدي محاصراً ام درمان الى أواخر شهر ربيع الاول سنة ١٣٠٢ وسيقأتى خبر تسليمها له



## واقعة الجريف

في شهر ربيع الاول سنة ١٣٠٢ انفذ غردون حملة تبلغ ألف جندي نظامي وأربعة صنّاجق من الباشبوزق تحت قيادة البكباشي سليمان افندي النشار فجمعوا على طوابعي عبد الله بن النور في الجريف حتى اذا اقتربوا من الطابية أصيب فرس محمد بك اسلام أحد الصنّاجق برصاصة قضت عليه واستولى الجبن على جنود الباشبوزق فمروا وأنشلم ركن المربع لفرارهم وتكاثروا على الجنود الذين تقهقروا بانتظام فتأثروهم حتى اقتربوا من الاستحكام الذي انصبت مقذوفاته على العدو واضطرتة الي الفرار وخسر الجنود في هذه الواقعة مائتي قتيل

وأصيب عبد الله بن النور برصاصة قضت على حياته. وعبد الله بن النور هذا من قبيلة (المركيين) صاحب المهدي قبل دعواه وكان من خيرة أتباعه وأكبر قواده حتى قال عنه في «مدير» انه يموت شهيداً يوم فتح الكوفة

ولما اتصل بالمهدي خبر قتله كتب منشوراً قال فيه ان اسم (الجريف) في بعض الكتب القديمة الكوفة ثم قال ان النبي صلى الله عليه وسلم قال له من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلاً فالذي قضى نحبه هو عبد الله بن النور والذي ينتظر هو عبد الرحمن النجمي

وجرت وقائع أخرى بين الحامية وبين ولد النجمي لا تختلف عن هذه الواقعة ولذلك أضربنا عن إيرادها

## ذکر ارسال البواخر الى المتمة

كان في الخرطوم نحو تسع بوأخر منها ما يبلغ قوته البخارية مائة وعشرين حصانا

ولما ابتدأ الحصار حصنت هذه البواخر بصفايح من النولاذو وضعت باطرافها صناديق مملوءة بالآتربة لوقايتها من المقدوفاته

وكان سعادة محمد نصحي باشا قائداً للواء المصرى الخامس فرقى الى رتبة اللواء وعين قومنداناً للبواخر الحربية وخلفه في وظيفته الميرالاي حسن بك البهنساوى وسار محمد نصحي باشا بالبواخر الى سنار وعاد منها بغلال لغذاء الحامية كما تقدم

ولما أخذ النيل في الانخفاض أرسل غردون البواخر الى المتمة تحت قيادته ومعه الصنجق خشم الموس بك الذى صار بمسند خشم الموس باشا ومكثت البواخر في المتمة بضعة شهور تنسم أخبار الحملة الانكليزية وتتردد بين المتمة وبربر حتى سقطت الخرطوم قبل ان يراها الانكليز

## ذکر الجمعية في الخرطوم

لما كانت حملة الجنرال هيكس ذاهبة الى كوردفان أعدت الحكومة نحو مليونى أقة من البقسماط لغنائها وعهدت توريدها الى جماعة من التجار واتفقت معهم على ان يكون ثمن الاقة ثلاثة قروش مصرية

ولما ذبحت هذه الحملة وأصدرت الحكومة الخديوية الامر العمالي القاضي بترك السودان واخلاء الخرطوم من الحامية واتلاف المثقلات كان من البديهي ان مثل هذا القدر من الميرة لا بد من اتلافه وتقديعه طعمة

لاسماك النيل وكان بعض التجار لم يوردوا ما بقى من المقادير التي تعهدوا  
 بتقديمها فاغتم حسين سرى باشا الذي كان وكيلاً للحكمدارية قبل وصول  
 غردون الي الخرطوم هذه الفرصة واستدعى أولئك التجار واتفق معهم على  
 ان يتجاوز لهم عن نصف قرش في كل أقة ويؤدوا اليه الثمن فوراً وهو يأمر  
 أمين المخازن أن يكتب لهم ورقة الخضم التي يقول فيها ان هذه المقادير  
 سلمت اليه ووضعت في المخازن ويكتب حسين سرى باشا على ورقة الخضم  
 حوالة على مالية مصر وقد بلغ ما تناول ثمنه بهذه الحيانة ستمائة ألف أقة من البقسماط  
 يقدر ثمنها بليون ونصف من القروش اي نحو خمسة عشر الف جنيه ثم جاءت  
 الحوادث بخلاف ما كان ينتظره حيث لم تنجل الخاضعة عن الخرطوم ولم يتلف  
 ما فيها من الذخيرة والميرة وابتدأ الحمصار وكان غردون يظن ان ماني الدفاتر  
 والاوراق الرسمية عن تقدير كمية ماني المخازن من البقسماط صحيح لاريب  
 فيه حتي أعلن خبر فراغ ماني المخازن وقبض على أمين الاقوات وشكل مجلسا  
 من خمسين شخصاً من الاعيان والموظفين وظهر له ان مرتكب تلك الحيانة  
 هو حسين سرى باشا وكيل الحكمدارية وانتهى الامر بأن غردون صمم على  
 استدعائه من مصر ليحاكم على ما اقترفته من الأثم وبديهي انه لا يكون ذلك  
 الا بعد اخماد ثورة المهدي ورجوع المواصلات بين مصر والسودان وكانت  
 الحكومة دفعت مائة وخمسين ألف ريال الي حمد التلب وسبعمائة ألف ريال الي  
 النور ابراهيم الجريفاوي ليوردها لها غلالاً من صنف الذرة سعر الاردب  
 أربعة ريالات فسافر حمد التلب مع حملة الجنرال وقتل معها وعهد الي وكيله  
 توريد الغلال في مخازن الخرطوم فلم يفعل. أما النور ابراهيم الجريفاوي فانه  
 اغتال المال لنفسه وانضم الي اعوان المهدي واشترك معهم في حصار الخرطوم

وسياتي ذكره في أيام التعاشي وأنه صار أميناً لبيت المال  
والخلاصة ان الغلال الـ كانت في مخازن الخرطوم تبلغ نحو ثلاثين الف  
أردب وكان راتب كل جندي سبع أقات ونصفاً من البقساط وأربعة  
قراريط من الذرة

ويوجد حتى من أحياء المدينة فيه نحو أربعة آلاف نفس من الدنافية  
كانوا عالة على الحكومة وكانت تقدم لهم الضرورى من القوت  
وتفشت المجاعة فى المدينة بصورة مرعبة جداً حتى ان كثيراً من  
السكان تورمت اطرافهم وصاروا لا قوت لهم غير ورق نبات اسمه ( اللوية  
العفنة ) كانوا يطبخونه ويلبثونه وصار قوت الحامية من الصمغ مخلوطاً مع  
جمار النخل وقد شوهد ان الذين يقتاتون بهذه الاصناف يصابون بالاسهال  
وتظهر على وجوههم أعراض تشبه أعراض مرض اليرقان الاصفر ثم  
تتناقص قواهم الجسمية فى مدة ثلاثة أيام تعقبها أعراض الموت

ومن غرائب ما رأينا فى حصار الخرطوم ان صيادى السمك قبل  
الحصار كانوا يصطادون فى كل يوم نحو ألف قنطار من الاسماك ولما بدأ  
الحصار انقطع وجود الاسماك كأنها فرت من قمعقة البنادق وهزيم المدافع  
حتى ان غردون انتهى سمكة يتغذى بها قبل سقوط الخرطوم باربعة شهور  
فلم يتيسر الحصول عليها

وكما ان الاسماك هجرت شواطىء الخرطوم فان اراضي بساين المدينة  
كانت تقوم بحاجة سكانها من البقول والفاكهة وفي إبان الحصار تلف كل  
مزروعاتها ولم ينبت فيها شىء من البقول وذلت أشجار الفاكهة  
وتلاشت محصولاتها



وقد قاسى غردون من ألم المجاعة ما قاساه أصفر جندي من الحامية  
 أو أحقر شخص من سكان المدينة فانه اضطر الى التغذى بجمار النخل  
 حتى أصيب بتلبك معدى كاديودى بحياته وفي ذات يوم جاءنى الطبيب  
 اكسيوداكي اليونانى طبيب الحامية واخبرنى بان مداومة غردون على تناول  
 الجمار لا تحمد مغبتها وان صحته الآن على خطر كبير ولا بد من تدارك غذاء  
 جيد له فكنت أتحصل له بعد كل يومين أو ثلاثة على دجاجة أو زوج  
 من الحمام الطاعن في السن

ودخلت عليه مرة وقد قدموا له شيئاً من المرق وكان لم يطعم شيئاً  
 منذ أربع وعشرين ساعة فلم يتناول من المرق الا قليلاً فالححت عليه  
 فى تناول كمية تقوم بتغذيته فامتنع وقال لي انى لا يهنا لى بال ولا تميل  
 نفسى الى طعام مادام جنودى يموتون جوعاً وانى فعلت الواجب على الله  
 يفعل ما يشاء

وكانت أسعار القوت فى المدينة حتى سقوطها كما يأتى ثلاثين ريالاً ثمن  
 الكيلة من الغلة وعشرة ريالات ثمن الاقة من البقساط وخمسة ريالات ثمن  
 الاقة من اللحم البقرى وكان بعض السكان يذبحون الحمر الاهلية والحكومة  
 تعاقب من يرتكب ذلك

على أن كثيراً من سكان المدينة كانوا فى رغد من العيش والغلال مخزونة  
 عندهم وهم بالعون فى اخفائها بطن الارض حتى التزمت الحكومة بتفتيش  
 منازلهم ومقاسمتهم الغلال التى توجد عندهم فكانوا يتدمرون من هذه  
 المشاطرة ويبدون الاعذار بكثرة عائلاتهم واضطرارهم الى القوت  
 هذا وقد اختل نظام الجنود وفر اكثر الجنود ولحقوا بالمهدي وكثير

منهم ترمدوا على ضباطهم والقوا عصبات نعبت في المدينة وتسطوا على باعة الأتوات وتختطف ما يرضونه للبيع من الأقوات وهذه الأسباب دعت سكان المدينة وسراتها إلى الاحتفاظ على ما عندهم من القوت مهمما عرض المشترين عليهم من الثمن الباهظ

### ذكر سقوط نقطة أم درمان

تقدم لنا ذكر هجوم المهدي عليها وما كان من أمر حصارها وفي أواخر شهر ربيع الأول سنة ١٣٠٢ فقدت حامية أم درمان القوت واشتدت وطأة الحصار عليها فاستدعاني غردون لمرافقته في صبيحة يوم ٢٧ ربيع الأول إلى طابية المقرن تجاه نقطة أم درمان للمكاملة مع الحامية بالإشارة فرافقته إليها ومكثنا بضع ساعات نتبادل الإشارة فعلمنا أن الحامية فقدت القوت منذ ثلاثة أسابيع فسألنا قومندانها فرج الله باشا أن يوضح لنا عما إذا كان قادراً على الخروج من الخندق واللاحاق بالثلاث بواخر التي استقر الرأي على إنفاذها له في الغد فاجاب بأنه قادر على ذلك فامرره غردون باتلاف كل المثقلات التي يتعدر حملها

ثم عدنا إلى سراي الحكمدارية وهناك أخذنا الأهبة لأعداد الثلاث بواخر وأخذت حامية أم درمان في الأهبة وقدر أن ثلاثة من الجنود السود فروا من الخندق ولحقوا بالمهدي وأخبروه أن الحامية ستأتيها البواخر في صباح الغد وتحملها إلى الخرطوم فأوصي قواده بالتيقظ لها فوضعوا لها كمينين بين النهر والخندق

وفي صبيحة الغد وصلت البواخر إلى شاطئ أم درمان فخرج عليها

الكمينان على غرة وأعمال السيف في رقاب الجنود الذين اضطروا الى العودة الى أم درمان بعد خسارة نحو مائة قتيل وعادت البواخر الى المدينة وفي منتصف النهار رافقت غردون الى طابية المقرن لمكاملة حامية أم درمان أيضا فلمنا ان سبب الفشل هم أولئك الجنود الذين حُتقوا بالمهدي فاصدر غردون أمره الى القائد فرج الله باشا ان يسلم الحامية للمهدي فكتب اليه يسأله الامان فاجابه بكتاب صرح فيه بامانه وأمان أركان الحامية ولكن لم يوف به بل عذب الحامية وضربها بالسياط لتدل على ماخبأته من الاموال وفي اليوم الاخير من شهر ربيع الاول سنة ١٣٠٢ الذي ضرب أجلاً للتسليم ركب المهدي في عدد كبير من فرسانه حتى دنا من الخندق فخرجت اليه الحامية وتقدم الضباط نحوه فترجل لهم عن فرسه وجلس معهم على الارض وقدم لهم شرابا من العسل وعين فرج الله باشا قومندانها قائداً من قواده وضمه الى حمدان ابى عنجه قائد الجهادية وسيأى ان فرج الله باشا هذا هو الذي قتل نجاشى الاحباش يوحنايوم واقعة القلابات

وهذا المذكور ضابط أسود كان بحامية فشودد وكان برتبة اليوزباشي فرقاه غردون حتى أبلغه رتبة اللواء وكان ضابطاً لحراسة السراى ولم يكن أمر تسليمه ماساً بامانته ويظهر من خوى كتاب المهدي الآتي ان فرج الله يعرفه منذ كان بجزيرة «آبا» وعلى كل حال فانه لم يقصر في واجباته ولم يرتكب أمراً يشينه وكما انه خدم الحكومة باخلاص فانه لم يخن الدراويش. وهاهي صورة الكتاب نقلا عن كتاب المنشورات

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

الحمد لله الوالى الكريم والصلاة على سيدنا محمد وآله مع التسليم وبعد

فن العبد المفتقر الى الله الواثق بما عند مولاه محمد المهدي بن عبد الله الى  
 احبابه المكرمين المعظمين وأهل الدراية وهم كبير المسكر وعظيمهم فرج الله  
 وصاحبه عبد النبي ومن انضم اليهم من الاكابر والاصاغر اعلموا وتحققوا  
 أحبائي اني لست قائماً هذا المقام الا لدعوة الخلق الى الله وسعادتهم الكبري  
 ونيل مراتبهم العلية وتنفيرهم عما يضرهم من خسيس فاني اللذات التي  
 تعقب طول الخسرات وقد بلغت ان المكرم المعظم فرج الله من ضباط.  
 أهل فشودة الذين يحبوني سابقا وانا «بآبا» من معرفتهم زهدي في الدنيا وصدقى  
 في الطلب لما عند الله وإرادة الآخرة ودلالتى على الصلاح والفلاح وارشاد  
 العباد الى رضاء الفتح ليكتسبوا دائم المطلوب من النجاح فلا تظنوا اننا  
 نطلب أموالكم وما ملكت أيديكم ان سلمتم لنا وصرتم من أصحابنا فان  
 سلمتم لنا فقد حزتم الكرم وصرتم من أحبائنا وأصحابنا الذين بشرنا سيد الوجود  
 صلى الله عليه وسلم بانهم كاصحابه رضوان الله عليهم وأذن أصحابي رتبة ينال  
 مقام الشيخ عبد القادر الجيلاني عند الله تعالى وفيما ذكرته كفاية لاهل  
 العناية وأظن انه قد بلغتكم انذاراتي سابقا فلا فائدة في التطويل فان سلمتم  
 فقد عفوناكم ورضينا عليكم وكنتم من الاصحاب المكرمين الذين لهم عند  
 الله حسن المسكنة الابدية فلا تظنوا فينا الا نيلكم منا كل خير فاني المهدي  
 المنتظر خليفة نبيكم صلى الله عليه وسلم فابشروا بالكرامة والفخامة ان  
 سلمتم لي واتبعتموني وليكن معلوما عندكم أحبائي ان من لم يصدقني ويتبعني  
 يمدب في الدنيا ولعذاب الآخرة أشد واني موعود بملك جميع الارض ورأيتم  
 نصرتي في حال الضعف والقلة الى ان بلغت هذا المبلغ واجتمعت عندي  
 أسلحة راشد بك وولد الشلالى والهكس والابيض ودارفور وبحر الغزال

وجباخينهم وبشرت اني لو أردت لقبض الله سلاح الترك بحيث ان أصحابي يقتلونهم ولا يقتلون ولكني اخترت توفيقا من الله ان ينال أصحابي الشهادة ويبلون في الله لينالوا عظيم المكانة عند الله كما في كتاب الله واقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه كما علمتم ولتعتمدوا هذا زيادة كتبت هذا بخطي والسلام الخ

ذكر الاخبار التي تبودلت بين غردون والمهدي لم يفتأ المهدي يدعو غردون الى التسليم له والخضوع لجبروته وقد عرض عليه جملة اقتراحات منها انه يسمح له ومن معه من المصريين بالنزوح الى مصر وترك الخرطوم على شرط ان لا يحملوا من متاعهم الا ما خف وان يؤدوا أجرة الجمال التي تحملهم الى حدود مصر

واقترح المهدي مرة على غردون ان يسلمه المدينة وفي نظير ذلك يسمح له بالعودة الى بلاده بدون قيد ولا شرط

وكان غردون يرسل الى المهدي السكتب تباعاً في بعضها الاستمراء به وفي بعضها يقول له ان حكومة جلالة الملكة تفديه منه بعشرين الف جنيه فرد عليه المهدي بانه يسمح له بالذهاب الى وطنه بغير ان يتناول شيئاً من الفداء وفي بعض السكتب يخبره بتقدم الانكليز لامداده ويؤكد له ان اجتماعه هم مستحيل وانه موقن بقتلهم وغلبتهم كما حصل لحمتي يوسف باشا الشلالى وهي كس باشا

وكان غردون قد انقطعت عنه اخبار الحملة الانكليزية ولم يكن يعلم بتقدمها نحوه الا من السكتب التي يرسلها له المهدي

وكان عبد القادر بن أم مريوم الذي تقدم لنا خبر خدعته لغردون  
ولحاقه بالمهدي وصيرورته قائداً من قواده قد أهدر غردون دمه وجعل جائزة  
لمن يأتيه براسه ثم كتب غردون الى المهدي يقول له ان عبد القادر بن أم مريوم  
صديقه الحميم وصاحبه القديم وانه يتمي ان يكون رسول المهدي  
اليه ليقدم له الخضوع والتسليم فقطن المهدي لهذه الحيلة وخاف ان ينتقم  
غردون من عبد القادر فصار يعده برسالة ان جنح لمسالته وهذه صور الكتب  
نقل عن كتاب المنشورات

## الكتاب الاول

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

الحمد لله الوالي الكريم والصلاة على سيدنا محمد وآله مع التسليم وبعد فن  
العبد المعتمتع بمولاه محمد المهدي بن عبد الله الى غردون باشا هداه الله الى  
طريق النجاة قبل ان يتلاشا أمين نعلمك ان جوابك رد المحرر منا وصل  
الينا وفهمنا مضمونه وقد عذرناك في عدم اذعانك واجابتك لنا بالطاعة كما  
طلبنا منك وذلك لانك لم تدر الحقيقة التي نحن عليها وبحسب مقامنا  
ودلائنا الى الله وشفقتنا على عموم خلق الله حتي من هو مثلك لم يطب قلبنا  
بصرف النظر عنك ولا زلنا ندارجك عسي الله ان يهديك الى سواء السبيل  
فاجب داعي الله واغتمم سلامتك من الشر الويسيل فقد رأيت ما حل ونزل  
ولا زلت تري ولا طاقة لك ولا لاعوانك بحرب جنده الله عز وجل وقد  
ذكرت أن عبد القادر ولد أم مريوم حبيبك وتقبل قوله ونصيحته وطلبت  
ارساله لك فعلى م ذاهل أنت منيب الى الله وقصدك التسلم لنا على يد المذكور

أم أنت على تصميمك في اعراضك ومعاداتك لربك فافدنا على هذا لنعلم طلبك له هو علي أي الوجهين ونرسله لك ان رايانا في ذلك صلاحا للدين واقول لك ان عزة الاسلام خير لك وابقى لدوام احترامك في الدارين فتحل بها ان عقلت والسلام ٢١ ربيع الاول سنة ١٣٠٢

## الكتاب الثاني

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الوالي الكريم والصلاة على سيدنا محمد وآله مع التسليم وبعد  
 فن العبد المقتدر الي الله المعتمتع به محمد المهدي بن عبد الله الي الفردون باشا  
 فسلم تسلم بؤتك الله أجرك مرتين وان اعترضت كان عليك اثمك واثم من  
 معك فقد اتاني الخبر من الرسول صلى الله عليه وسلم أن الجردة الآتية لو  
 لو كان معي ستة أنفار تموت أو خمسة تموت أو واحد تموت أو وحدي  
 كذلك ولو كانت مثل ورق الشجر ونبت الوعر وموج البحر وقد أتاني خبرها  
 انها تموت أيسر من موت جردة ولد الشلاي والهكس والمديريات الغربية  
 كلها والبحر الابيض وكذلك موعود بجميع البلاد فالامر لله ومادام ان الله  
 القادر أيدي بالكرامات وبالنصر فلا يضرني انكار منكروا وما يضر نفسه  
 فقط والامر الذي أوعدت به من رسول الله صلى الله عليه وسلم جار علي  
 ان الجردة التي تعتمدونها مالها وجه يوصلها لكم من سد الانصار الطرق فان  
 اسلمت وسلمت فقد عفونا عنك واكرمناك وسامحناك فيما جرى منك وان  
 آيت فلا قدرة لك على نقض ما أراده الله وستري والسلام ربيع أول سنة ١٣٠٢  
 «تحشية» وان طلبت زيادة بعد وصول جوابي هذا فتخبرك المرأة الواصلة

اليك وان رأيت التمسكين واليقين ان أردت التسليم اكثر من هذا الجواب  
سنرسل لك عبد القادر ولد أم مريوم لزيادة الطمأنينة في الامان فلا مانع  
وبذا لزم التحشية

### الكتاب الثالث

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

الحمد لله الوالي الكريم \* والصلاة على سيدنا محمد وآله مع التسليم .  
(وبعد) فن العبد المفتقر الى الله محمد المهدي بن عبد الله الى غردون باشا .  
وقاه الله كل شر لاشا . فان أراد الله سعادتك وقبلت نصحننا ودخلت في  
أماننا وضماننا . فهو المطلوب وان أردت أن تجتمع على الانكايذ الذين أخبرنا  
رسول الله صلى الله عليه وسلم بهلاكهم فنوصلك اليهم فالى متى تكذبينا وقد  
رأيت مارأيت وقد أخبرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بهلاك من في  
الخرطوم قريبا الا من آمن وسلم ينجي الله ولذلك أحببت لك ان لاتهلك مع  
الهالكين لانا قد سمعنا مرارا فيك الخير ولكن على قدر ما كاتبناك للهداية  
والسعادة ما أحببنا بكلام يؤدى الى خيرك كما نسمعه من الواردين والمترددين  
والآن ما أئسنا من خيرك وسعادتك ولما سمعنا من الفضل فيك سنكتب  
لك آية واحدة من كتاب الله عسى أن ييسر الله هدايتك بها اذ جعلنا الله  
راب الرحمة والدلالة الى الله ولذلك طال ما كاتبناك لترجع الى وطنك وتحوز  
فضيلتك الكبرى ولثلاثيأس من الفضل الكبير أقول لك قال الله تعالى  
« ولا تقتلوا أنفسكم ان الله كان بكم رحيما » والسلام ٢٥ ربيع أول سنة  
١٣٠٢ وقد بلغني في جوابك الذي أرسلته اليانا انك قلت ان الانكايذ



يريدون ان يفدوك وحدك منا بمشرين الف جنيهه ونحن نعلم ان الناس يتقولون من البطل كلاما كثيراً ليس فينا وذلك لصدود من أراد الله شقاوته ولا يعلم نفيه الا من اجتمع بنا وأنت ان قبلت نصحننا فبها ونعمت والا ان أردت ان تجتمع على الانكليز فبدون خمسة فضة نرسلك اليهم والسلام في تاريخه

### ذكر فرار الصنجيين عمر والعطا

كانت حالة المدينة وما أصابها من المجاعة مجهولة لدى المهدي لما كان يظهره له غردون من الجلد وكان ضمن جنود الباشبوزق صنجقان يقود كل واحد منهما مائتي جندي من الباشبوزق اسم أحدهما عمر ابراهيم والآخر العطا الدود الشاقي

وفي ذات يوم جاءني الاول وقال ان له قريبا في جيش المهدي ارسل له كتابا قال فيه ان الحملة الانكليزية وصلت الى جهة (ولد البصل) التي تبعد عن الخرطوم بمسيرة مرحلتين جهة الشمال وانه تحمل مسؤولية عدم صحة هذا النبأ ثم طلب ان تدفع له مرتبات جنوده من صنف الجنيه الذهب خلافا للعادة المتبعة وقتئذ من صرف المرتبات من ورق البون ومن المسكوكات مما فاصدرت الامر بصرف مرتبه ومرتبات جنوده من صنف الجنيه الذهب وكان ذلك نحو أربع مائة جنيهه وكذلك أمرت بصرف مرتبات جنود العطا الدود من صنف الذهب أيضاً وبعد قبضهما عادا الى موافقهما من الاستحكام

وما كاد الظلام يرخي سدوله حتى فراولحقا بالمهدي وأوقفاه على حالة المدينة وما تقاسيه حاميتها من وطأة المجاعة وفقدان القوة ثم اعلماه بمكان في طرف

الخدق من جهة النيل الأبيض هبطت عنه مياه النهر وهو مملوء بالاوحل  
تستطيع جنوده ان يدخلوا من هذا المكان وأطلعاه على كل عورات الخندق  
وارشده الى الطريق التي يمكنه الدخول منها . وبالجملة فان هذين الخائنين هما  
الذنان شجعا المهدي على محاولة فتح الخرطوم عنوةً ولولاها لظل محاصراً  
للخرطوم لا يجسر على الهجوم عليها وأخذها عنوةً

ولما اتصل خبر فرار ذينك الخائنين بفردون استدعى فرج باشا لزيني  
ووجه على اختياره هذين الشقيين وشهادته باستقامتهما وبعدهما عن الميل  
لجهة العدو ثم أمر باجراء تحقيق ظهر منه انهما كانا قد اشتريا من فرج باشا  
وظيفتهما ودفعا له ثمناً باهظاً ثم أمر بحفظ الاوراق حتى تسنح الفرصة  
بمحاكمة هذا القائد وذلك لا يكون طبعاً الا بعد انقاذ الخرطوم



### ذكر ما دبره غردون لانقاذ الاوربيين

لما سقطت أم درمان وبرحت الجماعة بحامية الخرطوم استدعى غردون  
قناصل الدول وأعيان النزلاء الاوربيين الى مجلس عقد بسرايا ثم اتفق الرأي  
على انتدابي ومعي الاوربيون والقناصل لنهر الخرطوم على باخرة صغيرة  
اسمها (محمد علي) ولنحلق بخط الاستواء أو بالتمة لنقابل جنود الانكليز  
القادمين لانقاذ غردون غير أن أحد القناصل أبدى رأياً قال فيه ان للدر او ايش  
طوابي وموانع على البحر الأبيض تجعل نجاة الباخرة من مقدوفاتهم مستحيلة وقال  
ان اللحاق بالتمة أقرب الى السلامة فوافق الحاضرون على رأيه ثم كتب لي  
أمراً قال فيه « انه لمحتبى اياك واعترافي بخدمك الجميلة التي أدتها لي أرى ان

اكافئك بالنجاة مما وقعت انا فيه ولذلك انتدبتك لمرافقة الاوربيين والقناصل الى المتمة لاننى عالم باننى اذا أصبحت أسيراً في أيدي هؤلاء الاشقياء فلا تتركني حكومة جلالة الملكة وانها تقدم القناطير المقنطرة من الذهب فداءً لي وأنا اتمنى لك النجاة من صميم فؤادى يا عزيزي فوزى لانك اذا وقعت أسيراً في يدهم لا تفديك حكومتك ولو بدرام قليلة »

وفي يوم الاربعاء ٤ ربيع الثاني سنة ١٣٠٢ صرفت لي الذخيرة والاسلحة وتسليح الاوربيون وكان هذا التدبير سرىا وأذعت بين الناس انهم عينوا بصفة عسس ثم اجتمعنا بمنزل قنصل اليونان نيقولا لوانديدي واجتمع معنا بقية قناصل الدول وأعيان رعاياهم فابدي السكل عدم استحسان هربهم مع بقاء غردون عرضة للخطر وودوا مساعدتى في اكره غردون وحمله الى الباخرة ولو بالقوة ساعة السفر فاستصوبت رأيهم واتفقت مع حراسه وخدمه على حمله بالاكره الى الباخرة وقت السفر وقد ضربنا أجلاً لهذا السفر منتصف ليلة السبت ٧ ربيع الثاني

وفي صبيحة يوم الجمعة ٦ ربيع الثاني تفقدت خط النار والقيمت التنبهات ثم عدت الى المحافظة واستدعيت القناصل والقيمت عليهم التعليمات ليكونوا هم ورعاياهم على قدم الاستعداد عند منتصف الليل فقالوا نرى ان العدو قد رسخت أقدامه حوالى المدينة وان مدافعه مطلة على كل مضائق النهر واننا نرى ان نتربص هنا نحو ثلاثة أيام ريثما تصل الجنود الانكليزية فذلك خير من محاولتنا الفرار الذى لا تكون عاقبة الاقدام عليه مضمونة فلم أقبل منهم هذا القول وأصررت على انفاذ ما قررناه أولاً فذهبوا الى غردون وعرضوا مقاتلهم

عليه فاستدعاني وأمرني بالاذعان لما أشاروا به فكان ذلك  
ثم أصبحنا يوم السبت ٧ ربيع الثاني والازمة في ازدياد الشدة والحامية قد  
فقدت كل قوة تدفع بها العدو والى الله مصير كل شيء

### ذكر سقوط الخرطوم ومقتل غردون

كانت الحملة الانكليزية قد وصلت الى النيل عند نقطة المئمة وانتصرت على  
جيوش المهدي في آبارابي طليح بين دنقله والمئمة كما سيأتى ذكر ذلك في مكانه  
ولما وصلت اخبار الحملة الانكليزية وانتصارها على اتباعه الى المهدي  
كبر عليه الامر واستدعي خواصه الى مجلس عقده للمشاورة فيما ينبغي فعله  
فذهب فريق الى وجوب زحف المهدي بنفسه على الحملة الانكليزية وقال  
آخرون بل يترك المهدي حصار الخرطوم ويتجهق راجعا الى كوردفان فقام  
ابو قرجة احمد الامراء ومعه عبد القادر ساتى علي عم المهدي ورئيس نوابه  
وقالا ان الانكيز لا يقصدون غير الخرطوم وانه اذا بلغ الخرطوم مائة جندي  
انكليزي صار من المستحيل وقوعها تحت قبضتنا فالاولى بنان نحاول اسقاط  
الخرطوم وفي اسقاطها وقوع اليأس في قلوب الانكيز الذين نتقدم لمحاربتهم  
بعد ذلك فوق كلامهما هذا موقع القبول عند المهدي واستحسنه

وشجع المهدي على ذلك ما علمه من عورات المدينة التي أطلعه عليها الصنجقان

عمر ابراهيم والعطا الدود فمقد نيته على اسقاط الخرطوم بالقوة والاقتدار  
وفي صبيحة يوم الاحد ٨ ربيع الثاني خرج المهدي من كوخه يحمل  
على رأسه مقطفا من الخوص مملوءا من الرمل فتبعه الناس حتى انتهى الى  
ضفة النهر فاحاط به الناس وهو لا يكلم احدا منهم واخذ يقبض من الرمل

بيده ويقذفه في النهر ويرفع صوته قائلاً « الله اكبر على الخرطوم » فيجاوبه من حوله بمثل مقالته حتي فرغ مافي المقطف من الرمل فالتفت الى من حوله وقال لهم ان النبي صلى الله عليه وسلم أمره بالهجوم على المدينة في هذه الليلة وان سقوضها في يده ضربة لازب ثم ركب زورقا واجتاز النهر الى الضفة الشرقية حيث قصد معسكر ابن النجومي

وبعد صلاة العصر ركب جملاً واحتشد الناس حوله فأتى على ابن النجومي وقال له ان النبي صلى الله عليه وسلم بشره بالاستيلاء على الخرطوم في هذه الليلة وأمره أن يقسم مقاتلته الى ثلاث فرق كقلب وجناحين ويكون هو في القلب ومعه الفرسان ويكون قائد الميمنة الحاج محمد ابو قرجة ومعه حملة البنادق ويكون قائد الميسرة محمد نوباوي شيخ قبيلة ( بني جرار ) احدي بطون قبيلة السكبابيش ومعه الاعراب والبقارة المسلحون بالحراب والسيوف وان يكون هجوم القلب على نقطة الوسط من الخندق عند البرج المعروف باسم ( باب المسلمية ) وهي مقر فرج باشا الزيني قومندان الخامية ويكون هجوم الميمنة على الخندق مما يلي النيل الازرق جهة ( بري ) ويكون هجوم الميسرة على الخندق مما يلي النيل الابيض عند المكان الذي انحسر عنه ماء النيل وتراكت عليه الاوحال وصار في الامكان الوصول الى المدينة منه وقد ذكرنا ان الصنجقين الخائنين عمر ابراهيم والعطا الدود الشايقى هما اللذان اطلعا المهدي على حقيقته

وقدم المهدي عمر ابراهيم المذكور الى محمد نوباوي قائد الميسرة بصفة دليل يرشده الى ذلك المكان ودفع اليه شخصاً آخر اسمه بدوي المتقلاوي وكان كيالاً في الشونة بصفة دليل ثان

وأصدر المهدي الى محمد نوبايي أمراً قال له فيه ما يأتي  
« لدى دخولك المدينة يجب ان تقصد سراي غردون على الفور وتبلغه  
تحتي ثم تحافظ على حياته ولا تترك أحداً يعتدى عليه حتى توصله لي سالماً  
بغير ان يصيبه مكروه » وخطب على الجمع قائلاً لا يتعرضن منكم أحد  
الي حياة غردون بسوء لاني أريد أن افتدى به أحمد عرابي باشا ثم خطب  
فيهم يحضهم على الجهاد ويذكرهم بنعيم الجنان وقال لهم في ختام خطبته اعملوا  
الحشائش لالقاءها في الخندق حيث تجتازون عليها وقفل راجعاً الى أم درمان  
ومعه عبد الله التعايشي وترك الخليفين محمد شريف خليفة السكرار والخليفة  
علي بن حلو خليفة الفاروق واجتاز النهر آيبا الى أم درمان  
وأصدر المهدي أمراً أيضاً الي حمدان أبي عنجة قائد جيشه في أم درمان  
باطلاق القنابل تباعاً على المدينة من عصر الاحد ٨ ربيع الثاني الي ظهر يوم  
الاثنين ٩ من هذا الشهر وان يصبوب قنابله الي مضيق البحر لمنع أي باخرة  
تقصد الجهة الشمالية

وقد اجتاز النهر من أم درمان الي معسكر ابن النجومي نحو مائة الف  
مقاتل من البقارة ليشاركوا في اسقاط المدينة وكلهم صاروا من مقاتلة  
الميسرة لانهم مسلحون بالحراب والسيوف  
هذا ما كان من أمر المهدي وأما حالة المدينة والحامية فقد أصبحنا يوم  
الاحد وجو المدينة مكفهر والسماء متلبدة بالغيوم والشمس محجوبة عن العيون  
والبرد قارس خلافاً لعادة الطقس في السودان اذ الجو يكون صحواً والشمس  
بارزةً بأشعتها المحرقة في كل أيام الشتاء وقد عد البسطاء تلبد السماء واحتجاب  
الغزاة بما ينذر بالمطر في مثل ذلك اليوم كرامة من كرامات المهدي لان

أهالي تلك البلاد لا يمطرون الا صيفاً والجو يكون في غاية الصحو زمن الشتاء عندهم

وقد أثرت برودة الطقس واحتجاب الشمس على قوي الجنود وتركهم كأنهم صرعى في مواقفهم على الخندق

وكان غردون ومعه قناصل الدول واقفين على سطح السراي ينظرون بالنظارات المعظمة الى كثرة الدراويش الذين يجتازون النهر ويلحقون بمعسكر ابن النجومي وقد استنتجوا من تكوف الناس في صعيد واحد ان المهدي لا بد أن يكون في معسكر ابن النجومي ولا بد أن يكون قدمه لشأن ذي بال لانه لم يقدم على معسكر ابن النجومي منذ حل بام درمان

وفي منتصف النهار استدعاني غردون الى السراي وأخبرني بماشاهده مع القناصل من كثرة اجتياز الدراويش للنيل وانضمامهم لمعسكر ابن النجومي ثم قال لي هيا بنا تطوف حول الخندق وتفقد الجنود فرافقته الى الخندق وقضينا أربع ساعات في التطوف حوله وكان يشجع الجنود ويحثهم على المقاومة والثبات ويعدمهم بوصول نجدة الانكليز في الغد فلم يلتفت احد لاقواله وكان كمن يصرخ في برية أو يطلب من الماء جذوة من الناراذ العساكر كما قلنا صرعى لا حراك لهم فعدنا الى السراي وقد أخذ اليأس منا كل مأخذ واجتمع عنده قناصل الدول لدى عودته وكان الليل قد اقبل ولا تزال السماء متلبدة بغيوم حجبت نور القمر فقال غردون للقناصل لقد رأيتم تجمع العدو وانى بتفقدى الحماية وجدت الجنود قد فقدوا كل قوة وشجاعة يقدرون بها على حراسة الاستحكام في هذه الليلة المشؤمة وانى موقن بسقوط المدينة قبل أن يسفر الفجر وقد كنت عملت ما في وسعي لانقاذكم من هذا الخطب فتقاعدتم وأبئتم

ليتم ما قضاه الله عليكم وإلى هذه اللحظة فإني أدعوكم لافعال ما تقفنا عليه أولاً  
 فهاهي الباخرة تقوموا وسيروا بها ومعكم ابراهيم فوزي كما تقرر قبلا عسى  
 أن يقرن سعيكم بالنجاح وتقابلوا الجنود الانكليزية أما أنا فإني موقن بعدم  
 لقاءهم فأجابوه بأن نجاة الباخرة مستحيلة لأن طوابي العدو قد تضاعفت  
 وزاد عددها اضعافاً علي الذي رأيناه يوم الجمعة وعلى ذلك فنحن هنا قاعدون  
 والله يفعل ما يريد ثم هموا بالانصراف فصالحهم كلهم قائلاً انني أبرأ إلى الله  
 والعالم أجمع من تبة أي داهية تلم بكم فقالوا نحن نشهد بما تقول فصالحهم  
 وملاحه تدل على انه لا يتوقع لقاءهم بعد وشيعهم إلى السلامك وكان يحني  
 رأسه ويحرك شفقيه فكأنه كان يقول « الوداع الاخير أيها السادة »  
 ولما عاد القناصل استمدعاني إلى غرفته وقال لي ما يأتي

« أنا موقن بوقوع الحادث الاخير على هذه المدينة في هذه الليلة وانني  
 كما علمت لم أدر شيئاً من سعي في سبيل انقاذها ولكن لأزال أشعر بتبكيك  
 الضمير الذي يؤلمني لترك اهالي هذه المدينة الذين وثقوا بي وحاربوا معي  
 عرضة لانتقام المهدي ولو لم أكن طول حياتي اطلب رضاء الله في كل أعماله  
 لا تحرت تخلصاً من وخز الضمير لكن الانتحار ينافي التفويض والتوكل على  
 الله الفاعل لكل شيء ويوجب غضبه سبحانه وتعالى » وقد كنت خلال  
 هذا الحديث أنظر إلى وجهه فلم أر غير الشبات كأنه متوقع وقوع حادث جليل  
 وقد لمحت في غضون محادثته ان صدره متجيش بالهبرات التي لم تكن  
 من جزع أو جن بل هي كما قال من تبكيك الضمير وفي الختام ودعني مشيماً  
 إلى السلم خلافا لعادته المألوفة معي وقال عليك بحراسة البلدة بمن مملك من  
 الاوربيين وانني أعلم ان ذلك لا يجدي نفعاً ولكن نقوم بواجبنا لآخر لحظة



والله يفعل ما يشاء ثم قال لي انني ساصعد الي سطح السراي لانني أشهر  
بانقباض فقلت له ان البرد قارس جداً فقال ليس علىّ لباس منه فودعته حوالي  
الساعة الخامسة من الليل وكانت مناوشات العدو في ازدياد من جهة الخندق  
ومن جهة أم درمان

وكانت الالعب النارية تطلق حوالي السراي تسكيننا لحواطر السكان  
وارهابا للعدو ولما خرجت من السراي قصدت دار المحافظة واجتمعت بالعسس  
الاوروبي وتجولت معهم في المدينة وحوالي الجبهه خانه ثم عينت لهم مواقيفهم  
وأبقيت معي ثلاثين جنديا من المصريين وقصدت دار المحافظة أواخر الساعة  
العاشرة فالتقيت بها اشعارات فهمت منها ان لدي الحامية أخباراً بان العدو على  
وشك الهجوم على المدينة فشرعت في تدوينها وكانت الساعة اذ ذلك احدى  
عشرة ولم أفرغ منها حتى سمعت ضوضاء الدراويش قد دخلوا من جهة النيل  
الابيض فجمعت الثلاثين جنديا الذين كانوا معي وأدركنا في الطربق ثمانية من  
اليونانيين من العسس الاوروبي وقصدنا سراي غردون فبلغناها والفجر قد  
ظهر ولم نكد ندنو منها حتى أبصرنا نحو عشرة آلاف من العدو محيطين بها  
فتقمقرونا راجعين الى دار المحافظة وما بلغناها الا بعد اللتيا والتي وهناك قعد الجنود  
في النوافذ وصبوا البنادق على كل من اقترب منا حتى منتصف النهار حيث  
أحاط بنا العدو واسلمناه أنفسنا وسيأتي ذكر معاملته لي ولسأثر سكان المدينة  
هذا وقد كان زحف العدو على المدينة كما شرحناه وكان القائد فرج  
باشا وافقاً عند باب المسلمية ولما أحس بدخول الميسرة على الخندق مما يلي  
البحر الابيض أمر بفتح باب المسلمية حيث فر منه بعد ان تنكر بملابس  
جندي ومعه القاعقام سرور بهجت وسنعود الى ذكر قتلها

ولما دخل محمد نوبوى المدينة قصد بكل مقاتلته سراى غردون وكانوا  
 زهاء مائة الف مقاتل فاطل غردون من النافذة ونظر اليهم ثم قال لحراسه  
 لا تبدوا معارضة لاي أحد يريد الوصول الي وياكم ان تبدوا أقل دفاع  
 ثم تقلد كسوة التشريفة الصغرى التي هي ملابسه اليومية على الدوام وتقلد  
 سيفه ولبس طربوشاً وضع عليه رداءً حريرياً ( كوفية ) وربطه بعقال كزى  
 الاعراب فدخل عليه محمد نوبوى وجماعة من مقاتلته فوجسده جالساً على  
 كرسية ممسكاً بيده منديلاً أبيض فابتدره أحد الدراويش وقال له اين أموالك  
 يا غردون يا كافر فتبسم ضاحكاً وقال له أين (محمد احمد) يقصد المهدي فابتدره  
 الرجل بطعنة في صدره خر منها صريعاً على الارض يتخبط في دمه ولكنه  
 لم يفقد الحواس من هذه الضربة

ونقل لي أحد الحاضرين انه سمع واحداً من الدراويش صاح بالذى  
 طعن غردون وقال له لا تقتله بل أبقه كما أمر المهدي فاجابه القائد محمد نوبوى  
 بقوله ان الخليفة التمايشى أمر بقتله وكان صوته خافتاً حين نطق بهذه العبارة ثم  
 سحبوا غردون من رجليه ولم يكن قد فقد الحواس ولا قوة النطق حتى  
 قيل انه كان يتبسم وهو مسحوب على وجهه ثم انزلوه الى حوش السراى  
 وهناك قطعوا رأسه وارسلوها الى الخليفة محمد شريف الذي كان وقتئذ في  
 جامع الخرطوم فانتدب محمد بن عبد الكريم من أقارب المهدي فركب الباخرة  
 اسماعيلية وأوصل رأس غردون الى المهدي الذي انكر قتله وصاح قائلاً لما  
 ذاقتموه ألم أنكم عن قتله فقال له التمايشى ان قتله خير من استحياؤه فبت  
 على المهدي علامات النضب وأسرع بالقيام ودخل الى منزله ونصبت رأس  
 غردون على خشبة طولها متران وأخذ النساء والصبيان يرمونها بالحجارة

ويهبونها بالبصق حتي تهشمت قطعاً صغيرة  
 وبلغ عدد القتلى من سكان الخرطوم يومئذ أربعة وعشرين ألف رجل  
 وثلاث نسوة وسنذكر معاملة المهدي لاهالي الخرطوم وانتقامه منهم  
 بمصادرة الاموال وهتك الاعراض بمد هذه المذبحة وما ربك بغافل عما  
 يعمل الظالمون

﴿ انتهى الجزء الاول من كتاب السودان بين يدي كتشنر وغردون ﴾

« ويليه الجزء الثاني وأوله قيام دولة المهدي في السودان »

{ كل نسخة من هذا الكتاب تكون مخطومة بختم المؤلف  
 الذي هو هذا }





كتاب  
السَّهَابِ  
بَيْنَ يَدَيِ هَيْدَرُوزِ وَكَيْسِيَّةِ

ألف

أبراهيم فوزي باشا

الجزء الثاني

طبع على نفقة مؤلفه وإدارة جريدة المؤيد

حقوق الطبع والترجمة محفوظة لهما معا

(طبع بمطبعة الآداب والمؤيد سنة ١٣١٩ هجرية)

﴿ فهرست الجزء الثاني من كتاب السودان بين يدي غردون وكتشنر ﴾

| صحيفة                               | صحيفة                                 |
|-------------------------------------|---------------------------------------|
| ٣٣ الكتاب الاول من المهدي           | ٢ قيام دولة المهدي في السودان         |
| لمصطفى باشا                         | ٦ ذكر مقابلة المؤلف مع أمين بيت المال |
| ٣٤ الكتاب الثاني « » »              | ٩ ذكر ماغنه المهدي من الاموال         |
| ٣٧ واقعة كورتى وقتل الشيخ الهدي     | والذخيرة من الخرطوم                   |
| ٣٧ ذكر وصول كتشنر باشا الى دنقله    | ١٠ ذكر قتل فرج باشا الزين             |
| ٣٨ وصول الحملة الانكليزية الى دنقلة | ١١ ذكر مقابلة المؤلف للمهدي           |
| ٣٩ حملة الجنرال ارل وقتله بواقعة    | ١٢ مقابلة المؤلف للتعايشي             |
| كر بكان                             | ١٤ ذكر دخول المهدي مدينة              |
| ٤٠ واقعة أبو طليح                   | الخرطوم                               |
| ٤٣ ذكر تعيين عبد الرحمن النجمي      | ١٥ القبض علي المؤلف وسجنه في          |
| لقتال الانكليز في المتمة            | الخرطوم                               |
| ٤٥ ذكر عودة الحملة الانكليزية الى   | ١٦ ذكر أهالي الخرطوم بعد ذلك          |
| دنقله *                             | ٢٣ ذكر مقابلة الشيخ محمد الامين       |
| ٥٤ ذكر فداء القسس والمسيحين         | للمهدي ووفاته                         |
| ٥٥ ذكر توجيه الجيش لمحاربة سنار     | ٢٥ ذكر انتقال المهدي الي أم درمان     |
| ٥٥ ذكر انتداب الشيخ حسين            | ٢٦ حوادث دنقلة                        |
| زهراء الى كسلا                      | ٢٧ ذكر الشيخ الهدي                    |
| ٥٦ ذكر وفود عوص الكريم أبي          | ٢٨ ذكر واقعة الشيخ الهدي              |
| سن زعيم الشكرية على المهديوة        | ٢٩ مخابرات المهدي مع مصطفى ياور باشا  |

| صحيفة                                           | صحيفة                                                     |
|-------------------------------------------------|-----------------------------------------------------------|
| ٩٢ شأن أهل الخرطوم بعد ذلك                      | ٥٧ ذكر تعيين حسين باشا خليفة                              |
| ٩٤ ذكر الاجتماع للعيد الاضحى                    | داعية للمهدى فى قبيلة العبادة                             |
| ٩٧ ذكر وفود الهنود على التعايشى                 | ٥٨ ذكر ضربخانة نقود المهدي                                |
| ٩٧ ذكر انتقاض الاشراف وتسليم الرايات            | ٥٨ ذكر ختان أولاد المهدي                                  |
| ٩٩ القبض على أمراء سنار وفرار الشيخ مضوى        | ٥٩ ذكر تعيين حمدان أبى عنجه على جبال كردفان               |
| ١٠١ ذكر عصيان الجهادية بالابيض وقتل أمير كردفان | ٦١ ذكر مرض المهدي ووفاته                                  |
| ١٠٢ ذكر أعمال أبى عنجه فى الجبال                | ٦٥ ذكر طرف من سيرة المهدي                                 |
| ١٠٣ ذكر اشخاص محمد خالد زقل من دارفور وسجنه     | ٧٣ ترجمة التعايشى                                         |
| ١٠٤ القبض على أحمد سليمان أمين بيت المال وعزله  | ٧٦ خلافة التعايشى                                         |
| ١٠٧ الاشاعة بعودة الانكاز الى دنقلة             | ٧٩ أول أكاذيب التعايشى                                    |
| ١٠٩ انقاذ عبدالرحمن النجومى الى دنقلة           | ٨٢ دعوة التعايشى أهالى السودان لاداء فريضة الحج بأم درمان |
| ١٠٩ انتقاض درا فور على التعايشى واخضاعها        | ٨٣ ذكر مسألة الشعرة من لحية المهدي                        |
| ١١٠ ذكر لحاق قبيلة الشكرية بالحبشة وقتل زعمائها | ٨٤ ذكر وقائع سنار وسقوطها                                 |
|                                                 | ٨٧ حوادث كسله وسقوطها                                     |
|                                                 | ٩١ أول واقعة بين الدراويش والاحباش                        |
|                                                 | ٩١ ذكر قتل المدير أحمد عفت ومن معه من القواد              |

| صحيفة                              | صحيفة                            |
|------------------------------------|----------------------------------|
| ١٤٨ ذكر ضرب نخانة التعايشي         | ١١١ ذكر قبيلة الضبابية والقبض    |
| ١٤٩ ذكر انشاء دار للدخيرة والبارود | على زعيمها في الجهات الجنوبية    |
| ١٥١ ذكر موت لبتن بك مدير بحر       | ١١٢ ذكر انتفاض قبيلة جهينة       |
| الغزال                             | ١١٣ ذكر حرب قبيلة الكبايش        |
| ١٥١ المقدم عمر الجملي واستخراج     | ١١٥ ذكر القبض علي شارل نيوفيلد   |
| الرصاص                             | ١١٧ ذكر حروب الاحباش الى قتل     |
| ١٥٣ ذكر احراق عظام قتلى الخرطوم    | النجاشي يوحنا                    |
| ونباش القبور                       | ١٢٨ ذكر فتح قندر بالجيشة         |
| ١٥٤ ذكر تخريب بلاد الجزيرة         | ١٢٩ وفاة أبي عنجه وولاية الزاكي  |
| وحشد أهلها بام درمان               | طمل                              |
| ١٥٦ ذكر تخريب الخرطوم              | ١٢٩ واقعة القلابات وقتل النجاشي  |
| ١٥٦ ذكر فرار المؤلف وارجاعه الي    | ١٣٢ شأن خط الاستواء مع المهديين  |
| أم درمان                           | ١٣٩ ذكر عزل محمد اخير من بربر    |
| ١٦٣ ذكر احتراف المؤلف              | وموته                            |
| ١٦٦ ذكر عثمان الملقب بشيخ الدين    | ١٤١ النور ابراهيم الجريفوى وتجار |
| ابن التعايشي                       | المصريين في بربر                 |
| ١٧٠ الكلام على الخراج والجباسة     | ١٤٢ السودان الشرقى               |
| والعمال                            | ١٤٤ ظهور المهدي أبو حمزة في      |
| ١٧٣ ذكر المخنثين                   | دراפור                           |
| ١٧٥ حوادث دنقله وقتل ابن النجومى   | ١٤٥ شأن التعايشي وقبيلة التعايشة |



| صحيفة                            | صحيفة                              |
|----------------------------------|------------------------------------|
| ٢٠٤ ذكر فرار الغزالي وقتله       | ١٨٠ زواج المؤلف باحدى نساء         |
| ٢٠٦ ذكر صلب ابراهيم عدلان أمين   | التعايشي                           |
| بيت المال                        | ١٨٥ ذكر الميرالاي حسن البهنساوي    |
| ٢٠٩ ذكر بقية أخبار ابراهيم عدلان | باك                                |
| ومسألة مصادرة العاج              | ١٨٨ ذكر مالمقيه المؤلف في مقابله   |
| ٢١٠ حادثة العبادة وابعادهم       | بعض الامراء                        |
| ٢١٣ ذكر غارة العبادة علي أبو حمد | ١٨٩ ذكر نفي عبد القادر ابن أم مريم |
| وقتل سليمان نعمان قمر            | ١٩٢ ذكر قصة المرأتين               |
| ٢١٤ ذكر موت الحاج علي سعد        | ١٩٣ ذكر رسالة محمد ماهر باشا       |
| ٢١٥ ذكر موت عثمان آدم وتولية     | للمؤلف                             |
| محمد أحمد بدله                   | ١٩٥ ذكر مسألة الشيخ محمد عبد       |
| ٢١٧ ذكر صفة معيشة التعايشي       | الماجد وصلبه                       |
| ٢١٩ ذكر حادثة البطاحين           | ١٩٧ ذكر تشييد قبة المهدي           |
| ٢٢٢ شأن محمد خالد زقل بعد ذلك    | ١٩٨ ذكر المجاعة في في سنتي ١٣٠٦    |
| ٢٢٥ ذكر استخراج الرصاص           | و ١٣٠٧                             |
| والنحاس والكحل من معادن          | ١٩٨ المجاعة في ام درمان والجزيرة   |
| حفرة النحاس                      | ٢٠٠ المجاعة في اقليم بربر          |
| ٢٢٥ ذكر بنات الجميلين            | ٢٠١ المجاعة في دنقلة               |
| ٢٢٦ ذكر انسحاب الجيش من          | ٢٠١ المجاعة في كسله                |
| القلابات                         | ٢٠١ المجاعة في القضارف             |

| صحيفة                            | صحيفة                            |
|----------------------------------|----------------------------------|
| ٢٢٧ ذكر غارة الزاكي طمل علي الشك | ٢٢٧ ذكر شأن نساء المهدي مع       |
| ٢٣٧ ذكر بقية أخبار عثمان دقنه    | التعايشي                         |
| ٢٤٢ ذكر هزيمة الدراويش من        | ٢٨١ ذكر سجن أولاد المهدي         |
| هندوب وأخبار أمارأر              | ٢٨٣ ذكر مؤامرة عبد المولى صابون  |
| ٢٤٣ ذكر هزيمة عثمان دقنه من طوكر | علي قتل التعايشي                 |
| ٢٤٨ شأن عثمان دقنه بعد ذلك       | ٢٨٤ ذكر قدوم محمود أحمد من       |
| ٢٤٩ حالة السودان بعد ذلك على     | دارفور                           |
| الاجمال                          | ٢٨٦ ذكر القبض علي أمراء الجعليين |
| ٢٥٨ ذكر تعيين المؤلف وجماعة من   | ونقيهم                           |
| المصريين أمراء                   | ٢٨٨ ذكر نفي الامير أبي قرجه      |
| ٢٦٢ ذكر ملازمتي الصلوات في       | ٢٨٩ عودة الى ذكر بيت المال       |
| المسجد                           | ٢٩٢ ذكر سور أم درمان             |
| ٢٦٥ ذكر انتفاض الخليفة شريف      | ٢٩٥ ذكر قدوم الزاكي طمل من       |
| وأولاد المهدي                    | فشودة الي أم درمان               |
| ٢٧١ ذكر القبض على كبار حزب       | ٢٩٦ الزاكي في أبي حراز           |
| الخليفة شريف وقتلهم              | ٢٩٧ علائق التعايشي ومنليك        |
| ٢٧٥ ذكر القبض على الخليفة شريف   | ٢٩٩ ذكر سجن الزاكي طمل وقتله     |
| وحبسه                            | بام درمان                        |
| ٢٧٧ ذكر القبض على عبد القادر     | ٣٠١ ذكر قتل صالح حسين خليفه      |
| ساتي ومحمد عبد الكريم وقتلها     | ٣٠٢ ذكر واقعة ( غوردت ) بين      |

|                                   |                                    |
|-----------------------------------|------------------------------------|
| ٣٣١ ذكر تولية الشيخ الحسين        | الايطاليين والمهدين                |
| الزهراء القضاء وقتله صبها         | ٣٠٣ ذكر احتلال الايطاليين كسله     |
| ٣٣٥ خفراء السجن                   | ٣٠٥ ذكر معسكر أصوبرى وأخبار        |
| ٣٣٦ الايام الاولى في السجن        | حامد علي وأحمد فضيل                |
| ٣٣٧ شارل نيوفيلد والمؤلف          | ٣٠٨ اجمال حال السودان بعد ذلك      |
| مقرونان في قيد                    | ٣١١ ذكر قراءة الناس بالالواح       |
| ٣٣٨ أمير السجن في منزله ونسائه    | ٣١٣ ذكر بقية أخبار سلاطين باشا     |
| ٣٣٩ صلاة المسجونين                | وفراره                             |
| ٣٣٩ ضريبة ريال كل يوم على المؤلف  | ٣١٦ ذكر نبي أحمد الفحل والذين      |
| ٣٤٠ النادرة العباسية في السجن     | ساعدوه على فرار سلاطين باشا        |
| ٣٤٢ ذكر ابطال القهوة              | ٣١٨ ذكر سجن ابراهيم حمزة وجماعة    |
| ٣٤٤ ذكر اختتان المسيحيين واجبارهم | من اعيان بربر                      |
| على تعدد الزوجات                  | ٣١٩ تمهيد في ذكر السجن ونظاماته    |
| ٣٤٦ ذكر سجن ابن المؤلف            | واطلاق اسم السائر علي كل سجن       |
| ٣٤٨ التعايشي قبل حملة دنقلة       | ٣٢١ ذكر سجن المؤلف                 |
| ٣٥٠ جواسيس اليهودية               | ٣٢٣ أول ليلة في السجن وأخبار اثنين |
| ٣٥٣ ذكر جلب المنوعات من مصر       | يدعيان النبوة                      |
| ٣٥٧ دنقلة قبل الحملة عليها        | ٣٢٦ انذار المؤلف بالاعدام          |
| ٣٦١ ذكر مسألة العقرب مع التعايشي  | ٣٢٧ ذكر قتل القاضي أحمد بن علي     |

# بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله على آلائه. والصلاة والسلام على سيد رساله وأنبياؤه. محمد وآله  
وصحبه وأوليائه

وبعد فقد اتهبنا في الجزء الاول من كتاب ( السودان بين ككتشنر  
وغردون ) الى آخر حادثة سقوط الخرطوم بقتل الطيب الذكر ( غردون باشا )  
ووقوع البلد في قبضة المهدي ووقوعنا والحامية في أسرد . وبقي أن نذكر  
من موضوع هذا الكتاب ما تلا ذلك فنقول وبالله المستعان

## قيام دولة المهدي في السودان

لما كانت مدينة الخرطوم عاصمة أقاليم السودان المصري فسقطها  
في قبضة المهدي صير السودان كله خاضعاً له ولا عبرة باقليم دنقلة الذي  
كان وقتئذ مقر الحملة الانكليزية كما انه كانت توجد مدينتان لم تخضع له بعد  
وهما مدينة سنار عاصمة اقليم سنار ومدينة كسلة عاصمة مديرية ( التاكا ) ومهما  
يكن من الامر فان حالة تينك المدينتين كانت منذرة بقرب سقوطهما  
وسياأتي تفصيل ذلك كله في مكانه

بلغ عدد القتلى من سكان الخرطوم يوم سقوطها أربعة وعشرين الف رجل وقتل  
الاطفال وكل ذكر ولو كان رضيعاً غير ان النساء لم يقتلن وابتدأت هذه  
المنذجة عند طلوع الفجر . وقبيل شروق الشمس أصدر الخليفة ( شريف ) الاوامر

بالكف عن القتل وأخرج السكان من منازلهم بملابس النوم وأصدر أمين بيت المال أمراً إلى الحاج خالد العمري بالوقوف على باب الخندق لتفتيش كل خارج من سكان المدينة الذين أمروا بالبقاء في بقعة بين الخندق ومعسكر ابن النجومي معرضين للبرد القارس والحر المحرق واستولى الدراويش على المنازل وفي اليوم التالي بدأ تعذيب الناس حيث استدعون صاحب المنزل وكبار أفراد عائلته إلى منزل الأمين ويبتدؤون مكالمته بقولهم له: حيث أنك كفرت بالله ورسوله وحاربت المهدي فقد أهدر الله ورسوله دمك وحرمت مالك عليك وصيره حقا للمهدي والمهدي عفا عن دمك ولا سلامة لك في الدنيا والآخرة إلا بتسليم جميع أموالك حتى الخيط والخياط وسواء أذن لهذه الأكاذيب وسلم ماله أو لم يسلم فلا بد من ضربه الف سوط والمرأة نصفها وتوثق يده ورجلاه وبلقى على الأرض ويصب عليه الماء البارد في الليل وبقي السكان في هذا العذاب شهراً حتى جمعت الأموال والامتعة في بيت المال

ومن الحوادث التي وقعت يوم سقوط الخراطوم أن رجلاً اسمه (كريب) من أقارب المهدي ومن حراس الخليفة شريف الدين يطلق عليهم اسم (الملازمية) ومعه نحو عشرة من أقاربه دخلوا منزل رجل مصري اسمه إبراهيم له سبعة إخوة فقتلوا الثمانية وقتلوا المنزل فلم يجدوا به مالا وكان لابراهيم غلام في التاسعة من العمر فاخفته أمه ونساء أعمامه في وسط الامتعة خوفاً عليه من القتل فعثروا به في غضون التفتيش وأخرجوه فتراثت أمه ونساء أعمامه على اقدم كريب ورفقائه وقلبن له أن والده وأعمامه السبعة قتلوا ففسألك بالمهدي إلا ما تركت لنا هذا الصبي فالتفت لهن وقال كيف

نتركه ونحن لم نجد في بيتكن ذهباً ولا فضة وكلكن نساء مسنات ليس  
 يشكن من تميل النفس اليه ثم صاح برفقائه وقال قطعوا الصبي ثماني قطع  
 واركوا الكل واحدة من قطعة ولم يتم هذه العبارة حتى تناول رفقائه الصبي  
 وقطعوه ثماني قطع وألقوا الكل امرأة قطعة ومثل هذه الحادثة يعد بالالوف  
 ذكرنا منها هذه للدلالة على اخواتها

وأخذت النساء سبايا وأرسل أمين بيت المال بنحو الف عذراء من بنات  
 أسيان المصريين فاختر المهدى منهن ثلاثين فتاة من ذوات الحسن والجمال  
 آباؤهن من وجهاء المصريين سكان المدينة ووزع الباقي على حرسه وذوي  
 قرابته وكلهن كموطآت بملك اليمين

وأرسل أمين بيت المال عدداً عظيماً من النساء الى عبد الله التعايشي  
 فابقي لديه العذارى منهن ووزع الباقي على حراسه وذوي قرابته ايضاً وصار كلما  
 قضى وطره من واحدة يهديها الي أحد رجال حاشيته

وأرسل أمين بيت المال ايضاً بمئات من النساء الى الخليفتين علي بن  
 حلو ومحمد شريف وكان عملهما بهن مثل عمل عبد الله التعايشي. وكثير من  
 أولئك النسوة امتنعن من التسق والفجور بهن فمذبذبا اليها وضربن  
 ضرباً مبرحاً وحلقت شعور رؤسهن وكثير منهن فضلن الموت على  
 الحياة ورأيت امرأة أحد الصناجق وهي تركية من جهة أيها وسودانية من  
 جهة أمها اتحرت تخلصاً من العذاب الذي نالها على أثر امتناعها من تسليم  
 نفسها لعبد الله التعايشي وضربت امرأة الشيخ محمد السقا شيخ القراء في  
 الخرطوم وعذبت ستة شهور لامتناعها من تسليم نفسها الى عبد الله التعايشي  
 والخالصة ان عدد النساء اللواتي سبين لا يقل عن خمسة وثلاثين الف فتاة

وشاهد ذلك انك تجد عند أصغر أمير من أسراء المهدي عشرين فتاة أما  
 الأسراء الكبار وأقارب المهدي فإن اللواتي يأخذهن كل واحد منهم يزيد عددهن  
 على العشرين عذراء ولا يظن القارئ انهم يختلسون أولئك الفتيات بل يأخذونهن  
 باسم من المهدي أو أحد الخلفاء أو أمين بيت المال موضحاً في كل أمر اسم الفتاة  
 واسم أبيها وجدها وأوصافها وأنها أعطيت لفلان غنيمة له يحل له وطؤها بملك  
 اليمين ويجوز له بيعها ما لم تصر أم ولد ومن وجدت عنده من اتباع المهدي  
 امرأة وليس لديه أمر بالبيانات التي شرحناها تصادر أمواله ويقبض عليه  
 ويعامل معاملة سارق

وكان المهدي أصدر أمراً حظر فيه سبي كل امرأة لها بعل ولكن هذا  
 الأمر كان لا يعمل به الا اذا كانت المرأة طاعنة في السن أو قبيحة المنظر لا تميل  
 اليها النفس وكان أمين بيت المال يمسك النساء ويفتشهن بعد خلع ملابسهن فن  
 وجدت سليمة من العيوب أخذت ومن وجد بها عيب ائتمرت وطردت  
 هذا مجمل مافعله المهدي بسكان الحرطوم من جهة الاموال والاعراض ذكرته  
 بغاية الايجاز لاني اذا تتبعته التفصيل أفنيت الاعوام دون أن أوفي حق المقام  
 وأصدر المهدي منشوراً قال فيه ان جميع الذين خرجوا من قيقرة  
 الحرطوم اي ( خندق ) الحرطوم لا يعتبر زواجهم شرعياً لانه حصل في زمن  
 الفترة التي كانت قبل بعثته وأمر بعقد زواج كل زوجين من أولئك الاسرى  
 واذا كان في المرأة شيء من الحسن أو بقية من الشباب لا يستأنف عقد زواجها  
 بل تؤخذ غنيمة

وكتب أمين بيت المال الى المهدي يستفتيه في أنه وجد بالحرطوم عتق  
 أعتقهم مواليهم قبل فتح المدينة بزمن بعيد فهل يعاملون كالأحرار أو الأرقاء

فأجابه بان الذين أعتقوا كفار لا يعتبر عتقهم وأمره بمعاملة أولئك العتق  
معاملة الارقاء

## ذكر مقابلة المؤلف مع امين بيت المال

ذكرت اني أسلمت نفسي ومن معي من الجنود في منتصف النهار  
فقبضوا علىّ وأوثقوني كتاباً وساقوني الي امين بيت المال يحيط بي نحو مائتي  
نفر من الدراويش شاهرين سيوفهم وكلهم يصيحون بي ويقولون يا كافر  
يا عدو الله فالفيتة بمنزل أبي بكر الجار كوك أحد أعيان المدينة ووجدت المنزل  
مملواً بالنساء وهو مشغول بفرزهن

ولما أوقفت بين يديه كان مشتغلاً بالنظر الي فتاة فتانة وهي مجردة من  
ملابسها ويدها خارقة تستر بها عورتها وهو يقلبها يمئة ويسرة والدموع  
تتساقط من جفونها وهي تقول « رضينا بقضائك يا الله » وبعد ان فرغ من  
أمر الفتاة التفت نحوي وقال أعوذ بالله من هذا الوجه الابيض ثم التفت  
للحراس الذين حولي وقال لهم من هو هذا الكافر فقالوا هو ابراهيم باشا  
فوزي فقال لماذا لم تقتلوه فقالوا تركناه ريثما يظهر أمواله وأموال غردون  
والحكومة ثم صاح بي وقال دلنا يا كافر على هذه الاموال فقلت ان أموالي  
أخذت من منزلي وأما أموال غردون والحكومة فليست موكلًا بحفظها ثم  
استل سيفه من غمده وتقدم الي وقال هذا الكافر لا يظهر هذه الاموال  
وقتله خير من استحيائه فامسكه من حوله وقالوا له أرجئه ريثما نعدبه او يدلنا  
على الاموال ثم صاح بالبييد فطرحوني على الارض وجلس واحد منهم  
على رأسي وأمسك اثنان السياط وضرباني حتي كلت سواعدهما فابدلا



بأثني آخري حتى سال الدم من جسمي فقلت لهم ليس لغردون مال وليس  
للحكومة مال غير أوراق البون

وبعد ان تمزق جسمي زجوني في السجن وبقيت ثلاثة أيام فيه يسوقونني  
للاستنطاق والضرب في كل غدوة وروحة

وفي اليوم الثالث أخرجوني من السجن موثوق الكتاف يحيط بي  
الحراس وأرسلوني الى منزلي فوجدت به أحد الامراء المشهورين بالورع  
والتباعد عن غل الفنائم فجمع أمتعتي وكتبها في ورقة عرضها علي فلم أجد  
شيئاً مفقوداً منها ثم قال لي ان الاموال الظاهرة كلها استوليت عليها ولم يبق  
غير ما يخفي في بطن الارض فقلت اني لم أخف شيئاً في بطن الارض فأخذ  
يوعظني تارة ويهددني أخرى وأنا يثب علي بالسيف فقلت له اني لم أخف  
شيأ ولم يكن لدي مال غير ما استوليت عليه فسأقني ومعي ماخف حمله من  
الامتعة الذهبية والفضية والنقود وبعض حلي مجوهرة الى أمين بيت المال  
فلما نظرني قال كيف أبقيتم هذا الكافر حياً حتى الآن فقال له الامير نحن  
نؤجل قتله حتى يظهر لنا أمواله وأموال غردون والحكومة ثم قال أمين بيت  
المال لذلك الامير ألم يك عنده نساء فقال له عنده محظيتان حبشيتان أخذتهما  
لنفسى فقال أمين بيت المال كيف تأخذهما قبل عرضها علي وأخذ الاذن  
بهما مني فأجابه الامير اني أخذتهما بسيفي ولا أطلب من بيت المال غيرها  
فبارك لي فيهما فقال له قد باركت لك فيهما وملكناك اياها فشكره وأنا واقف  
وساعداي موثوقان كتافاً

ثم تقدم أمين بيت المال الى الصناديق التي فيها امتعتي وفتحها فوجد  
ضمنها صواني وطواقم للقهوة والشاي مصنوعة من التبر على طريقة صناع الخرطوم

الماهرين وهي عبارة عن اسلاك مسبوكة يتألف منها كل واحدة من  
 تلك الاواني فالتفت الى أمين بيت المال وقال لي يا كافر يا عدو المهدي ومحارب  
 انصاره لما ذاتلفت ذهب المهدي وفضته وصنعها اواني مثل ما يصنعه الكفار  
 فقلت له انني صنعت ذلك لما كان هذا التبر ملكا لي ولما صار الآن ملكا  
 للمهدي فانه يصنع به ما يشاء فقال لي من أين لك انه كان ملكا لك مع انك  
 محارب للمهدي وكل ما في الخرطوم ملك حلال له حتي الارواح وضربني  
 بسوط كان في يده ضربتين على رأسي حتى خضب بالدماء وجهي ثم قال خذوه  
 الى الامير ابى قرجة ليرى من الدنيا . فاخذت بحالة لا أستطيع وصفها حيث  
 كان يحيط بي نحو ثلاثمائة درويش شاهرين السيوف والحراب حولي وهم  
 يصيحون يا كافر يا عدو الله حتى بلغت منزل أبي قرجة وكان نازلا بديوان  
 المديرية فالفيت بالباب جما غفيرا من الناس وسمعت قهقهتهم من البعد وهم  
 مزدهمون فادخلوني على الجمع المتكوف فنظرت رجلين مجردين من ملابسهما  
 فامعنت النظر فيهما فاذا احدهما حامداً غا صالح أحد الصناجق وهو ابن صالح  
 بك الملك صاحب فداسي الذي تقدم لنا ذكره والثاني من ذوي قرابته والدرأويش  
 يطعنونهما بالحراب طعنا لا يعجل موتهما فايقنت اذ ذاك انهم سيفعلون بي  
 مثل ما يفعلونه بهذين الرجلين . وأخير اسقط الرجلان مضرجين بالدماء على الارض  
 وتطاير دمهما على وجهي وأصاب ملابسى فاجهزوا عليهما وكان ايقافى لمشاهدة  
 ذلك المنظر الفظيع بقصد ارهابي لادلهم على ما يطلبونه ثم ادخلوني على  
 أبى قرجة فابتدأته بالتعجيب فرد باحسن منها فاطمان خاطرني بما توسمت  
 فيه من البشاشة فالتفت الى الحراس وقال لهم من هذا فتقدم رئيسهم اليه  
 وأسر اليه قولاً لم أسمعه فالتفت الي بسكينة وحنان وقال فكوا وثاقه ففعلوا

وأمرني بالجلوس على الارض فجلست وكنت وقتئذ في أشد حالات الظم والآلام  
الضرب فقلت له ياسيدي الامير ألتجاسر بطلب شربة ماء قبل الممات فقال لي  
«أبشرك بكل خير» وأمر أحد غلمانه باحضار شراب من العسل ممزوج بالماء  
فقدمه لي فتناولت جرعة منه لم تقم بسد الظم واشتدت بي الحاجة الى طلب الماء  
فاعدت عليه الرجا بطلب الماء فامر لي بماء ممزوج بشيء من خبز الذرة اسمه  
(الابريه) يغذي ويزيل الظم فتناولت منه بقدر الحاجة وبعد برهة خاطبني وقال  
ان الدنيا فانية وان زمن المهدي ليس كما تقدمه من الازمان وان المال أصبح  
ملكاً له ومن اخفاه عنه وقع في غضب الله فقلت له ياسيدي ليس لي مال  
غير ما أخذ مني وغردون لآمال عنده والحزانه الاميرية ليس فيها غير  
أوراق البون فقال أتخلف لي بالله العظيم فقلت احلف بالله اني ما قبلت الا الصدق  
فرفع صوته وقال للحراس الذين جاؤا بي ارجعوا من حيث جئتم فان الرجل  
صادق فيما يقول واحذروا من ان يمسه أحد بسوء واعلموا ان من مسه بالماء  
أمسه بالسلاح والتفت اليّ وقال لا بأس عليك ليهدا روعك فانت آمن من كل  
سوء ثم أمرني بالبقاء في منزله فبقيت به ليلتين كان يقدم لي الغذاء الكافي في  
خلاتها وكان كريماً يأكل معه نحو ثلاثين رجلاً من خواصه وكانوا يقدمون لي  
الطعام منفرداً فاستعظفتني في ذلك وقال انه لا يمنعه من تناول الطعام معي غير  
شيء واحد وهو اني لم أقابل المهدي ولم آخذ عليه البيعة فظهرت له رغبتني في  
ذلك وانني أصبحت لا أطلب غير شمولي بعفو المهدي وتمتعي برضاه عني

ذ كرم ما غنمه المهدي من الاموال والذخيرة من الخراطوم  
كان سكان الخرطوم أغنى أهالي السودان واكثرهم مالاً ولما أحسوا

بقدم المهدي عليهم هجرا اكثرهم الخرطوم وحقوا بمصر وكانوا من الطبقة الرفيعة  
 جدا وأرسل اكثر التجار أموالهم الى مصر وغيب الباقي أموالهم في بطن  
 الارض ولما قتلوا يوم سقوط المدينة ذهب ولم يهتد أحد لمحلها ولذلك  
 يقول العارفون إن اكثر الاموال مودعة في بطن الارض ولم يحصل بيت  
 المال على شيء يذكر من المال. ومن المؤكد ان الامراء كانوا لا يقدمون الى بيت  
 المال اكثر من ربع ما يعثرون عليه ومع ذلك كله بلغ ما اجتمع في بيت المال  
 نحو ثلاثمائة الف جنيه ونحو ثلاثمائة الف ريال من الجيبيدي والتمساوي  
 ونحو ثلاثين قنطارا من الذهب المصنوع حليا ونحو اربعمائة قنطار من الفضة  
 أما اثاث المنازل والرياش والملابس فانها لا تدخل تحت حصر  
 وقد جمعت تلالا يخالها الرائي جبالا

وأما الاسلحة فانها مدفعا من كروب و ٣ مدافع متر اليوز و ٢٠ مدفعا  
 جبليا و ٦ آلاف بنديقة رامنجتون جيدة و ٤ آلاف بنديقة رامنجتون بها  
 خلل وكانت مودعة بالمخازن وعدد لا يدخل تحت حصر من البنادق ذوات  
 الطلقتين ومن طراز آخر قديم  
 وأما الذخيرة فكما يأتي ٢٠ قنبلة لمدافع الكروب أما المدافع الجبلية فقنابلها  
 موجودة بكثرة و ١٠ آلاف صندوق مملوءة بالخرطوش و ٨ آلاف اناء  
 (برميل) مملوءة بارودا

### ذكر قتل فرج باشا الزين

لما دخلت ميسرة الدراويش من ميمنة خندق المدينة كان فرج باشا  
 الزين قومندان الحامية وقتئذ واقفا عند باب المسلمية فتنكر ولبس ملابس

جندى بسيط وحذا حذوه القائم سرور بهجت بك واختلطا مع الجنود السود وخرجا من باب المسلمية فامسكهما حراس ذلك الباب من الدراويش وفتشوهما ولدي تفتيشهما ارتاب الحراس في أمرهما حيث وجدوا عندهما ساعتين من الذهب وسلسلتين ذهبيتين ثم وجدوا مع فرج باشا خاتمه المنقوش عليه اسمه وكذلك سرور بهجت بك فقبضوا عليهما وأوثقوها كتافا وأرسلوها الى أمين بيت المال الذي أرسلهما الى عبد الله التعايشي وهو أمر بضرب عنقهما فضربا وكان ذلك في اليوم التالي لسقوط المدينة

وذهب كثيرون من الناس أن لفرج باشا الزين يداً في سقوط المدينة وانه كان خائناً والحقيقة انه لم يخن ولا يده الأبتة في أمر سقوط المدينة غير انه كان كسولاً يميل الى الراحة ويفر من التعب سيء الإدارة

على ان الذي دعا غردون لتوليته هذا المنصب كونه سودانى الاصل وربما كانت توليته تجذب قلوب بني جلده الجنود السود لمعاضدته نخب ظن غردون فيه ولم يتحقق شيء مما كان يؤمله فيه ومراعاة للظروف ابتاه في وظيفته التي كان بنحيت بك بطراق يباشرها بدلا عنه

### ذكر مقابلة المؤلف للمهدي

قلت ان الامير أبا قرجة اطلقني من الوثاق وسكن روعى وآوانى في داره ليلتين ثم أرسل معي مندوبين حافظوا على واجتازوا النهر معي حتى أوصلوني الى منزل يوسف منصور قومندان طوبجية المهدي وأبلغه المندوبون ان أبا قرجة أرسلني له ليقدمنى للمهدي فقضيت تلك الليلة في منزله وفي ظهر الغد رافقني الى دار المهدي ومعنا السيد بك جمعه مدير الفاشر فالقيناه

قد فرغ من صلاة الظهر والناس متكوفون حوله وهو يعظهم فتقدم يوسف منصور اليه وقال له ياسيدي الامام المهدي هاهو ابراهيم فوزي فالتفت اليّ بوجهه باش وقال يا ابراهيم فوزي اني اعرفك منذ كنت حاكماً في مقاطعات البحر الابيض فلماذا ركنت الى الكفار ولم تسلم لي اولم يكن الواجب عليّ مثلك اجابة دعوتي فقلت ياسيدي اني من كبار قواد الحكومة ولا يليق بي ان اتركها في أوقات الشدة وسويات الازمة وكما اني وفيت لها فسأوفى لك أيضاً فتمسّم وقال لي قد عفوت عنك وأمرني بالدنو منه فدنوت فبايعني بيعته المعلومه ثم نزع مرقعته وقدمها لي فلبستها وكان ذلك دليلاً على منتهي رضاه عني ثم انصرفت فاحاط بي الناس ليتبركوا بلثم جبة المهدي وبعضهم ناظم على نوالي هذه المنة فكان فربق من الناس يقصدون ثم تلك الجبة وآخرون يقصدون ايذائي باللام وأخيراً خلعت لهم الجبة ليتبركوا بها ووقفت بعيداً وكانت الشمس محرقة حتى اجتاز بي كبير من الامراء فتقدمت نحوه وسألته ان يساعدي على ارجاع الجبة ففعل ولما دفعها لي أخذتها ووضعها على رأسي ثم لبستها وتوجهت قاصداً منزل يوسف منصور الذي نجا بنفسه وتركني وسط جموع المتبركين واللاكين وتبعني في الطريق عدد ليس بقليل وكلهم ناظمون على نوالي هذه المرقة . ثم أبلغت ان المهدي أمرني بملاءة للغطاء وانا لطبخ الطعام وقصعة للأكل وجارية رأيت منها التذمر وعدم الرضى بالبقاء عندي فبيعتها بعشرين ريالاً

### ذكر مقابلة المؤلف لعبد الله التعايشي

لما انصرفت من دار المهدي وعدت الى منزل يوسف منصور قال لي

لابد لك من مقابلة عبد الله التعايشي فقلت له بلغني ان هذا الرجل مشهور  
 بالقسوة واني أخف على نفسي منه فقال لي يوسف انه لكذلك ولكن اذا  
 بلغه انك قابلت المهدي ولم تسع لمقابلته كانت العاقبة اسوأ فقبلت مشورته  
 وفي الغد صاحبتني يوسف منصور والسيد بك جمعه الى دار التعايشي الذي  
 مكثنا ننتظر خروجه علينا ست ساعات وفي منتصف النهار خرج علينا واذا هو  
 رجل نحيف الجسم بوجه أثر الجدرى وملابسه مرقعة رثة بالية فابتدره يوسف  
 منصور بالتحية فرد عليه ثم قال له يوسف منصور يا خليفة الصديق هذا  
 ابراهيم فوزي من الخرطوم عفا عنه المهدي وبايعه فجاء يطلب عفوك أيضاً  
 فالتفت اليّ بوجه عبوس وقال ما هذا ثم التفت لمن حوله من الدراويش  
 وقال لهم ألسنكم ان لا تتركوا ذا شارب أو ملتجياً من الذين دخلتم  
 عليهم في الخرطوم ثم قال ليوسف منصور ماهي وظيفة هذا الكافر في  
 الخرطوم فتلعثم يوسف منصور وتوقع شرا يصيبني وقال له انه كان ملازماً  
 بيته وكان غردون يبغضه فقال التعايشي للسيد جمعه ماهي وظيفة هذا الرجل  
 فقال كانت وظيفته ( باشا ) فقال التعايشي ( كان باشا الشونة ) ومنذ ذلك  
 فهمت ان لفظة الشونة كلمة عظيمة جداً عندهم ثم قلت له ياسيدي خليفة  
 الصديق ان سبب نجاتي من القتل هي تعلق قلبي بمحبتك ومحبة سيدنا  
 الامام المهدي المنتظر وان أنوارك وانوار المهدي هما كانا سبب نجاتي واني  
 أحمد الله على منته على بمشاهدة نورك ونور المهدي وقدصرت الآن لا اكره  
 الموت لانغماسي في ذلك النور فاطرق الى الارض ورفع رأسه وقال يا يوسف  
 منصور قد عفوت عنه ثم انصرفنا عنه وعدت الى منزل يوسف منصور  
 وصنعت لي كوخاً من الحشيش بجوار منزل يوسف منصور الذي قال لي بعد

انصرفنا من عند التعالشي اذهب بنا لمقابلة الخليفتين على بن حلو ومحمد شريف  
فقلت له اني لا قيمت من التعالشي مالا قيمته فليت شعري ماذا الاقي من الخليفتين  
ثم قلت له لا اذهب اليهما البتة وقد كان من أمرى معهما اني ماصاغت  
واحداً منهما ولا اجتمعت بهما حتي من الله على بالخلاص من أسر المهديوية  
والحمد لله على كل حال

### ذكر دخول المهدي مدينة الخرطوم

في يوم الجمعة ١٣ ربيع الثاني ركب المهدي وخلفاؤه الباخرة (اسماعيلية)  
واجتاز بها النهر الى الخرطوم ثم قصد المسجد وصلى فيه فريضة الجمعة ثم خرج  
بعد الصلاة وقصد سراي غردون ثم تفقد الترسانة والجبه خانه وكتب أمراً  
الى خاله طه محمد بتوليته ناظراً على الترسانة وأمره بجمع العمال الذين كانوا بها  
واعادة الاعمال فيها وفوض الى عبد الله التعالشي أمر حراسة الجبه خانه  
فانتدب لها رجلاً اسمه عبد الرحيم الطريفي وأمره بجمع العمال واعادة الاعمال  
فيها مثل تعبئة الخرطوش واعداد آلات الحروب واصلاح كل متخرب من  
البنادق التي في مخازنها ثم زار أمين بيت المال ولبث عنده برهة قدمت له  
في خلالها المرطبات والقهوة فتناول القهوة ومزجها بالحلوى ليظهر للملا زهده  
وعدم اعتناؤه بالمطاعم فقال له أمين بيت المال لا تفعل ذلك ياسيدي فقال له  
ولماذا فقال لان ذلك يذهب بلذة الحلوى والقهوة معا فقال قدر كنا اللذات  
لانها معقبة بالحسرات ثم قال لا مين بيت المال اني عازم على الاقامة بمعض  
أيام في هذا المنزل أي منزل أبي بكر الجار كوك وأمره باعداد ما يلزم لراحته  
وكان لصاحب المنزل أبي بكر الجار كوك بنت تزوجت قبل سقوط المدينة



باسبوع وفي يوم السقوط قتل زوجها وابوها معا فامسكها أمين بيت المال وقال للمهدي اني أقدمها لك في غضون اقامتك في منزل ابيها فقام المهدي ودخل الى داخل المنزل ورأى المرأة فاعجبه حسننها ولم يخرج حتى نال وطره منها وكان ذلك في اليوم الرابع لقتل زوجها ثم قفل المهدي راجعا الى ام درمان والمشاورة دائرة بينه وبين أهل شورا على جعل الخرطوم عاصمة ملكه وكلهم موافقون له على هذا الرأي ما عدا عبد الله التعايشي فانه كان يقول للمهدي انا لم نعرف بعد عاقبة أمرنا مع الحملة الانكليزية التي ربما اضطرنا الظروف للتقهقر امامها الى كردفان فاذا أقمتنا بالخرطوم صار النهر بيننا وبين كردفان وما زال التعايشي يثبط المهدي ويقيم له العقبات ليمنعه عن سكنى الخرطوم وبقي المهدي مدة مترددا في القبول يقيم أسبوعا في الخرطوم وأسبوعا في أم درمان ويصلي الظهر والعصر في سلاملك الحكمدارية وإقامته في منزل ابي بكر الجار كوك حتى وافته منيته كما سيأتي



### ذكر القبض على المؤلف وسجنه بالخرطوم

وبعد مضي شهر على سقوط الخرطوم ارسل اليّ حسين باشا خليفة مدير بربر خمسين ريبالا فاشتريت منها جبة ونعلا وعمامة وأبقيت بعضها لنفقاتي وما مضت على ثلاثة أيام حتى جاءني نحو عشرة دراويش يحملون الاسلحة فقبضوا عليّ وأوثقوني كتافا وفتشوا كوشي وحفروا أرضه وساقوني الى أمين بيت المال في الخرطوم فدخلت عليه فصاح بي وقال يا كافر يا منافق يا لص أنت سرقت من مالك وتوسعت به حيث غيرت ملابسك وعلا رأسي بسوط. كان في يده حتى تطاير الدم فقلت له ياسيدي انني لم أسرق شيئا بل

ان أحد معارفي أحسن عليّ بخمسين ريالاً فرفع سوطه وقال من هو الكافر  
الذي يحسن علي الكافر فلما رأيت إلحاحه خشيت أن يكون وراءه مسؤولية  
علي حسين باشا خليفة فقلت انه رجل من جهات النيل الأبيض كان يعرفني  
أما أنا فلم أعرف غير وجهه ولا أعرف اسمه فأمرني الي السجن فمكثت فيه  
ثلاثة أيام ثم أخرجني منه وقال لي لا جناح عليّ فيما فعلته معك لان الذين  
وشوا بك مصريون من أبناء جلدتك فالآن عفوت عنك واطلب منك أن  
تجاني في حل مما اصابك مني فقلت له انت في حل فأعطاني عشرة ريالات  
واناء للطبخ وآخر للاكل وملاءة وجاربة وقال لي عد الي أم درمان فحملت  
الامتعة وذهبت مع الجارية التي أخذت تسبني وتقول (كيف أرضى بولد  
الريف تعني المصري سيداً لي) وبينما أنا سائر في الطريق وهي سائرة بجاني  
اذلحت الجارية جماعة من العبيد الجهادية سائرين في الطريق فاستغاثت بهم  
وقالت ان ولد الريف سرقني فقال لي البييد من أين سرقتها يا ولد الريف  
فقلت لم أسرقها بل أعطانيها أمين بيت المال فابتدروني بالضرب بالسياط.  
وسلبوا كل ماعى من الامتعة والنقود والجارية ثم ذهبوا الي حيث لا أعلم  
وجهتهم فعدت الي أمين بيت المال وقصصت عليه قصتي فكان جوابه  
لاشأن لي فعدت الي أم درمان في اسوأ حالة لأملك قوت يومي فضلا عما  
أنافيه من آلام الجروح الناشئة من ضرب السياط.

### ذكر أهالي الخرطوم بعد ذلك

مكث الدراويش يعدنون أهالي الخرطوم ليبدلوهم على خبايا أموالهم  
بقية شهر ربيع الثاني وشهر جمادى الأولى الي أواخر شهر جمادى الثاني وهم

باقون في البقعة التي بين الخندق وممسكر ابن النجومي معرضين للبرد والحرارة ووكل بحراستهم الحاج خالد العمرابي فكان يأخذ الرجل أو المرأة الى منزله في المدينة ويوالى تمديبه حتى يدل على ماله وكثير منهم ماتوا تحت أيدي المعتدين الذين لا يرثون ولا يرحمون

وقد رأيت كثيراً من النساء أصبن بالجنون لهول من ما قاسينه من أليم المذاب وأخريات فقدن العقل عند ما رأين أولادهن وأزواجهن مذبحين بين أيديهن وفيهن من فقدت من الأولاد سبعة وثمانية ولقد رأيت امرأة رجل مصري اسمه عطية كان أمين ورق التمرة قتل زوجها واخوتها ثلاثة وأولادها خمسة واحفادها من جهة أولادها ثلاثة وأزواج بناتها ثلاثة واحفادها من جهة بناتها أربعة وكان عمرها زهاء سبعين سنة فكنت تراها وقد ذهل عقلها وهي تصف لكل من وقع نظرها عليه مصرع أولادها ثم تتناول التراب وتضعه على رأسها ثم تصرخ وتهم على وجهها في الفلاة وهكذا كان حالها حتى توفيت بعد بضعة شهور ومثل هذه المرأة كثير بعد بالمئات وأصيب كثير من الرجال بمثل ما أصيبت به هذه المرأة وكثير من الذين نجوا من تلك المذبحة ماتوا الفرط. ما أصابهم من الحزن بعد أن انفطرت أكبادهم من هول مارأوه في ذلك اليوم المشؤم

ومما يذكر هنا ان محمد باشا حسن مأمور المالية دخل عليه يوم سقوط المدينة أصدقاء له من جيش المهدي وأحاطوا به وحموه من القتل فلما خرج معهم ونظر في طريقه الى جيرانه ومعارفه قتلى في شوارع المدينة قال لاصدقائه الى أين تذهبون بي فقالوا الى خارج الخندق لانه لاسلامة لك مادمت داخل الخندق فقال لهم قد قتل أهل بلدي كلهم فمع

من أعيش حتى تطلبوا لي النجاة فأنا أقول لهم أيها الاصدقاء نكم لا تحسنون  
الي الا اذا قتلتوني بجانب هؤلاء فأخذوا يراجمونه وساقوه بالاكرام فامتنع  
وقال لهم اقتلونني أيها الناس فانبى كرهت الحياة فتركة أصدقاؤه وامتنعوا من  
قتله فقتله غيرهم

ومن أمثال هاته الحوادث أمراة احمد عبد الوهاب وكيل الضبطية  
فانها لما قتل زوجها واخوته الأربعة ترامت على اقدام القاتلين وقالت لهم  
أحقوني بمن فتلتموهم فامتنعوا لانها كانت فتاة رائعة الجمال وما زالت  
تليح عليهم فلم يفعلوا وأخيراً أمسكت سلاحاً وهمت بأولئك القتلة فقبضوا  
تخلصاً من شرها

وقتل أيضاً امراة ابراهيم بك لبيب حكمدار بوليس المدينة مع  
زوجها لانها احتضنته لما هم الدرايش بقتله. وكذلك امراة نائمة حذت حذوها  
فهذه الثلاث نسوة اللواتي ذكرنا خبر قتلهن يوم سقوط الخرطوم أما اللواتي  
ذهبن ضحية التعذيب فان عددهن يزيد على الثلاثمائة

وكان في الخرطوم رجل مصري أصله من نجر دمياط. ومن علماء  
الازهر الشريف ثم عين قاضياً لبربر ثم عين مدرسا بجامع الخرطوم ورئيساً  
لاساتذة المدرسة الاميرية وكان يتعمم بعامة خضراء لانسابه لآل البيت  
المطهر كما كان في طليعة العلماء الذين كتبوا النصائح تكديباً لدعوى المهديونية  
وكان غردون يحترمه ويحمله ويشاوره في كثير من الامور واسمه حسين المجدي  
وفي يوم سقوط المدينة دخل عليه الدراويش وله جاران اسراييليان أحدهما  
اسمه بسميون والثاني اسمه امرايل فلما أحسا بدخول الدراويش قالان ان جارنا  
عالم من علماء الاسلام وذوانتساب لآل بيت رسول الله ( صلى الله عليه وسلم )

ولا بد أن يحترمه هؤلاء الدراويش ولا يمدوا أيديهم بسوء لمن دخل في جواره فهيا بنا ندخل منزله وبينما كانا تيهيان للاحتماء بالشيخ حسين المجدي إذ أبصرنا من نوافذ بيتهما جالسا على مصلاه متعمها بمأتمته الخضراء يقرأ في المصحف فدخل عليه الدراويش فضربوه بالسيوف وبتروا يمينه فقال مرحبا بقضاء الله فقالوا له يا كافر فقال اني أشهد أن لا اله الا الله وأن محمداً رسول الله وامتلاً المصحف من دمه فأغمي عليه فتناول أحد الدراويش امرأته وآخر بنته على سرأى منه ومن جيرانه وفسق الاول بالمرأة وافتض الثاني بكاره البنت وقال له قد أحل الله لنا دمك وعرضك فقال لهم كذبتم ان الله لم يجل دمي ولا عرضي ثم اجهزوا عليه أما الاسرائيليان فانهما قد نجوا من القتل ولا يزالان على قيد الحياة

وكان في الخرطوم أيضا رجل مصري اسمه الشيخ فايد كان شيخ سجادة الاحمدية وفي ساعة المذبحة التجأ الى بيته نحو عشرين شخصا من جيرانه من موظفي الحكومة فدق الشيخ طبوله وحمل رايته فذبحه الدراويش ومن معه ولم ينج منهم غير واحد اسمه عبد الله ابراهيم سعد كان ضابطا في الحامية بعد أن اصيب بثلاث ضربات بالسيف على راسه

وقتل قناصل الدول كلهم وكان موسيو هنزل قنصل النمسا استأمن المهدي على نفسه ورعاياه فوعده المهدي باشخاصه الى بلاده اذا خرج اليه مسلما نفسه وفي يوم سقوط المدينة ذبح وسيدت امرأته وصارت جث القتلي مطروحة على وجه الارض

ومن أعجب ما شاهدته أن هذه الجث لم تنتفخ ولم تتغير ملامحها حتى انك لتستطيع معرفة الشخص المقتول بعد بضعة شهور ولم تأكلها الطيور ولم

يشاهد حولها شيء من الديدان أو الحشرات التي تنتاب الاجسام الميتة وقد  
عد شعراء المهدي ذلك كرامة من كرامات المهدي حيث قالوا في أنشودة  
باللغة الدارجة مامناه «ان اعداء المهدي الذين فنك بهم سيفه عافت اكل لحومهم  
الطيور والديدان والكلاب وسائر الهوام وذلك دليل على كفرهم»  
ولم تقف الفظائع عند حد القتل وازهاق الارواح بل كانوا يمثلون باشلاء  
المقتولين ويجمعون التبغ ويحرقون به الجثث

وكان في الخرطوم رجل من أهل خراسان اسمه الشيخ عبد الرحمن  
الخراساني وكان مجاورا بالمدينة المنورة ومعروفا عند أهلها بالصلاح والورع  
وله أتباع كثيرون في السودان فقتله الدراويش وربطوا جثته بحمّة كلب ميت  
ووضعوا فيه على رأس الكلب واحرقوها معا

ومن الذين قتلوا يوم سقوط المدينة الشيخ شاكر الرئيس مفتي السودان  
وكان سوريا قتلته محمد نوباوي الذي دخل على غردون وقتل ابنه قبله ولما  
هم بقتله قال له احد الحاضرين اتركه لانه رجل فقيه فقال له انه افتي بفتوى  
ضدي منذ عشرين سنة فأنا اذبحه واذبح ابنه قبله تشفيا

وقتل من العلماء أيضا الشيخ موسى مفتي المحاكم الشرعية والشيخ محمد  
حنيك قاضي القضاة وكانا فقيهين محققين كتبارسالتين طوبلتين كذبا بهادعوي  
المهدي وفندا مزاعمه وقبل سقوط المدينة جاءني الشيخ موسى زائراً ثم اختلى  
بي وقال لي والدموع تتساقط من عينيه اني وأولادي لم نذق طعاما منذ  
ثلاثة ايام ثم كشف عن بطنه فرايت حجرا امر بوطاعليها فهالني ذلك وعرضت  
عليه نقوداً فلم يقبلها ثم وجدت بمنزلي أفتين من البصمات دفعت له اقة  
وابقيت لنفسى الثانية واعطيته خروفا من الضأن كنت اشتريته من احد

الصناجق الذين غزوا في ضواحي الخرطوم على احدى البواخر فشكرني  
ورجاني أن آذن له بالبقاء ريثما يأكل قليلا من البقسماط ليستعيد بعض قوته  
ثم سألتني ان أرسل معه جنودا يحفظونه من الاعتداء عليه حتى يبلغ منزله وفي  
الغد عاد اليّ واخبرني أن أولئك الحراس اغتصبوا منه البقسماط. ولكنهم  
تركوا الخروف له فدعوتهم لاسألمهم فقابلوني بشراسة خلق وقالوا ألم نصنع  
معه من المروءة ما لا يصنعه غيرنا حيث تركنا له الخروف فقلت لهم صدقتم  
وطيب خاطرهم وصرقتهم

والحاصل ان المهدي بعد ان صادر جميع أموال سكان الخرطوم وسبي  
من نساءهم كل حسناء وقاسوا من العذاب أشده ونالوا من الضنك غايته وكانوا  
محجورا عليهم الكسب وسبل الارتزاق وكان يعطى كل شخص نحو رطل من  
الذرة في كل يوم حتى هلك من هلك ونجم من أراد الله نجاته ركب هو  
وخلقاؤه ذات يوم ووقف حولهم فرثي لهم وأذن لهم بمبايعته ثم كتب لهم  
منشورا وعظهم فيه وضمنه ما يقطع أمههم من إعطائهم شيئا مما سلب منهم  
وهذه صورة المنشور نقلا عن كتاب المنشورات

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

الحمد لله الوالي الكريم والصلاة على سيدنا محمد وآله مع التسليم وبعد  
وبعد فمن العبد المفتقر الى الله محمد المهدي بن عبد الله الى كافة أحبائه وأصحابه  
الذين خرجوا من قفرة الخرطوم ومرادهم السلامة لليوم المعلوم ورضاء الله  
الحى القيوم أقول يا أحبائي ان نعمة الدين نعمة لا نعمة غيرها وحيث من  
الله عليكم بها وصرتم من عبيد الله الذين يطلبون ما عنده ويمثلون أمره  
ويرغبون فيما رغب فيه ويزهدون ويستحقرون ما حقره بعد ان كنتم على

شفا حفرة من النار فاتقوا الله انتم بها عليكم واستمظموها  
لتشكروها وتكفوا بها عن نعم الدنيا ومتاعها لان نعم الدنيا ومتاعها نصيب  
أبناء الدنيا الذين لا نصيب لهم في الآخرة واعلموا ان الله هو المتكفل بالارزاق  
الضامن لها فن عرف ذلك عرف انه مادام حيا لا يقطع رزقه ولو هرب  
منه للحق كما ورد « لو ركب العبد الريح هاربا من رزقه لركب الرزق السبرق  
حتى يلحقه » وحيث كان كذلك وان ما وجد في الحرطوم شيء جزئي لا يكفي  
الانصار الذين فتحوه وأنعم الله عليكم باعاتهم وقد صرف عليهم جميع ما وجد  
مع غنائم بربر ولم يفضل الا ما يحتاج للترويج فاصرفوا نظركم عما خرج من  
أيديكم جملة حيث بعم أنفسكم وأموالكم لله وأنتم تملعون ان الصحابة لما  
خرجوا الى الهجرة فارقوا ديارهم وأموالهم رغبة في دين الله وانتم لما أنعم الله  
عليكم بالصحبة التي تمنها كل السابقين فاخرجوا عن ذلك واكتفوا بالله  
وارغبوا فيما عند الله كما البيعة على ذلك فان من لم يخرب الدنيا للآخرة لا يستقيم  
له دينه وقد بعث صلى الله عليه وسلم لخراب الدنيا وعمارة الآخرة كيف وقد  
دعا النبي صلى الله عليه وسلم على طالب الدنيا الذي لا يرضى الا بهاقال صلى  
الله عليه وسلم « تمس عبد الدينار والدرهم والخميصة ان أعطي رضي وان لم يمط  
سخط تمس وانتكس واذا شيك فلا انتقش » ووصف الله المنافقين بذلك فقال  
تعالى « ومنهم من يلهوكم في الصدقات فان أعطوا منها رضوا وان لم يعطوا منها  
اذا هم يسخطون ولو أنهم رضوا ما آتاهم الله ورسوله وقالوا حسبنا الله سيموتينا  
الله من فضله ورسوله انا الى الله راغبون » وأنتم أحبائي اكنفوا باندراجكم مع  
المجاهدين وما يعطيكم اسوتهم فلا خير في الرقيق حيث يعيش العبد بدونه  
ويتأسف واجده عند فراقه وقد صدق فيه اسم الرقيق لان الرقيق ينقطع



ولا يدوم لمن تعلق به ولا يعصمه فاعتصموا بالله وتوكلوا عليه وآتوه فانه قال  
 « ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب ومن يتوكل على  
 الله فهو حسبه » صدق الله العظيم والسلام ٢١ جماد آخر سنة ١٣٠٢

ذكر مقابلة الشيخ محمد الامين الضرير للمهدي ووفاته  
 تقدم لنا ذكر الشيخ محمد الامين الضرير ونقلنا صورة الكتابين  
 اللذين بهما له المهدي وفي غضون حصار الخرطوم كان الناس اشاعوا  
 عنه انه جاسوس للمهدي وانه كان يبطن ولاءه وكان أهل الخرطوم  
 يفضونه لهذه الاسباب حتى شكوه الى غردون فقبض عليه وعلي  
 قاضي القضاة الشيخ محمد حتيك والشيخ موسى المفتي اللذين تقدم ذكر قتلها  
 وقبض أيضاً علي عبد الرحمن ارباب أحد علماء المدينة وبالتحري عن شأنهم  
 ثبت ان الشيخ محمد الامين وقاضي القضاة والمفتي بريثون مما رماهم به أهل  
 الخرطوم الموصوفون باساءة الظن بكل مواطنهم الذين لم يكونوا مصريين  
 من جنسهم

ولكن تحققت التهمة في عبد الرحمن ارباب فقط وبمد ان قضاوا  
 اربعة ايام في السجن امر غردون باطلاقهم حتي عبد الرحمن ارباب الذي ثبتت  
 ادانته وبالغ غردون في الاعتذار الى الشيخ محمد الامين واسترضاه ورفقاه  
 وفي يوم سقوط المدينة دخل على الشيخ محمد الامين ابن له اسمه علي  
 كان قائداً صغيراً من قواد المهدي وساقه الى عبد الرحمن النجومي الذي هم  
 بقتله واستل ابنه سيفه ليقتله اظهاراً لاختلاصه للمهدي وبيناهم كذلك اذ  
 مر عليهم الخليفة شريف فسأل عن الخبر فقيل له ان القوم يتآمرون على قتل

الشيخ محمد الامين الضرير فاخترق الصفوف بحصانه وقال للمتأمرين احذروا ان تصيدوا الشيخ بسوء واعلموا ان من أصابه بماء أصبته بسيفي ففترق الناس وأنعمدوا سيوفهم عنه وقاد على أباه واجتاز به النهر وقدمه للمهدي الذي قابله بالاكرام واكثر من لومه ومعاتبته ثم بايعه البيعة المشهورة ثم قاده ابنه أيضاً الى عبد الله التمايشي الذي أخش له في القول واسمعه من الكلام أمره وأخيراً قال له يا عالم السوء يا من أعمى الله بصره وبصيرته قضيت عمرك المشؤم في تحصيل علوم جاء المهدي بنسخها فقد كنتم تقولون حدثنا فلان عن فلان باأيدي طوبلة ونحن الآن نتلقى الشريعة من المهدي الذي تلتقاها مباشرة عن النبي صلى الله عليه وسلم فاحذر يا شبيهه السوء ان أسمع عنك انك تعلم الناس شيئاً من العلوم القديمة المنسوخة واعلم انك منذ الآن محتاج الى التعليم من أحقر انسان من أصحاب المهدي ثم دعا عبداً أعجمياً وقال للشيخ محمد الامين هذا استاذك منذ الآن فصل بجانبه وتلق شريعة المهدي عنه اما ما تعلمته قبل الآن فانه منسوخ وخير لك ان تحفر له في الارض حفرة تعبيه فيها فسكت الشيخ ولم يجاوبه بكلمة بل خرج من عنده وهو يقول اللهم اقبضني اليك غير مفتون فتوفي بعد بضعة أيام فحملت جثته الى المهدي فامتنع عن الصلاة عليه وقال ان النبي صلى الله عليه وسلم نهي عن الصلاة على المنافقين وقرأ « ولا تصل على أحد منهم مات أبداً ولا تقم على قبره انهم كفروا بالله ورسوله وماتوا وهم فاسقون » الآية

ونجا عبد الرحمن ارباب بعد ان هم عبد الرحمن النجمي بقتله فاكرمه المهدي واردفه خلفه ثم مالبت عبد الرحمن ان انكر على المهدي أفعاله ونقم عليه وايقن انه كان في ضلال مبين حيث كان مصداقاً لهذه الدعوة ومعيماً لذلك الطاغية

## ذكر انتقال المهدي الي ام درمان

ذكرنا ان المهدي كان معسكراني جهة الفتيح بعيداً عن مرعي المقدوفات  
 وفي أوائل جمادى الثانية سنة ١٣٠٢ زعم ان النبي صلى الله عليه وسلم  
 أمره بنقل معسكره الي ام درمان وكان يطلق اسم ( البقعة الطاهرة المشرفة )  
 على كل معسكر حل فيه وفي صبيحة يوم ركب ناقته وقال ان النبي صلى الله  
 عليه وسلم أمره باطلاق خطامها حتي تنزل بالمكان المأمورة بالقاء رحلها  
 فيه وذلك كما كان بعيره صلى الله عليه يوم دخل المدينة المنورة فارتب الناقة  
 المأمورة على زعمه حتى القت رحلها بمكان مرتفع شمال خندق أم درمان  
 يبعد عن ضفة النهر بأني متر تقريباً وهناك القت رحلها فضربت اطناب الخيام  
 وصنعت الاكواخ من البوص وجعل طول المسجد نحو ستمائة متر في ضفتي  
 هذا القدر وصنعت للمهدي مقصورة من ألواح لزنك التي كانت تصنع للاماكن  
 التي تودع فيها المواد المتهدية ونقل منبر الخطابة الذي كان موضوعاً في سلامك  
 الحكمدارية الي تلك المقصورة وكانت بقية المسجد مكشوفة والمصلون  
 معرضين للحر والبرد

ولما كان منزله متصلاً بالمسجد كان يصلي الاوقات كلها داخل بيته والناس  
 يأمنون به وبينهم وبينه نحو عشرة حجب من الشوك والاطناب والبوص وكان  
 لا يصلي في المقصورة الا فريضة الجمعة

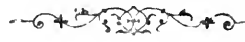
وكان ذا صوت جهوري في الصلوات الجهرية يرفع صوته بالقراءة باكياً  
 وتساقط الدموع من عينيه وكثيراً ما كان يمسح تلك الدموع في حال القيام  
 وقومه معجبون به ويعدون بكاء في الصلاة من علامات اطلاعه على الغيب

حيث يزعمون انه يرى اللوح المحفوظ متى أحرم بالصلاة  
 وفيما هو راسجوده طويلان جداً حيث كان يقوم في قراءة الركعة اكثر  
 من عشر دقائق وفي الركوع والسجود نحو ثلاث دقائق  
 وصلى في رمضان صلاة القيام عشر ركعات قرأ فيهن جزء من القرآن وصلى  
 بالناس في ليلة نصف شعبان مائة ركعة بالقرآن كله رافعا صوته بالقراءة با كيا  
 وكان عنده عبد اسود يؤذن له فقال انه وارث مقام بلال مؤذن النبي  
 صلى الله عليه وسلم واعطى مقام ابن أم مكتوم لمؤذن ثان  
 هذا وقد قلده كثير من الامراء والاتباع في رفع أصواتهم بالبكاء أثناء الصلاة  
 ومن المضحكات ان دنقليا من أقارب المهدي تناول الف ريال من تاجر  
 قبطني اسمه جرجس ليصنع له بها سراكب ثم اغتال المال ولحق بالمهدي  
 وبعد سقوط الخرطوم زاره نجاران مصريان فقام يصلي واسترسل في البكاء  
 فاندش الزاران من هذا البكاء وقال أحدهما ما الذي أصاب الرجل فقال الآخر  
 لا أظن شيئاً أصابه غير انه لما رآنا تذكر ما اغتاله من مال جرجس فبكي ظناً  
 منه اناجئنا نطالبه به

### حوادث دنقلة

دنقله إقليم من أقاليم السودان المصري وحده من جهة الشمال  
 (خور موسي باشا) وهو يبعد عن حلغا بنحو خمسة أميال ومن جهة الجنوب  
 حدود مقاطعة بربر واقسامه احد عشر قسماً أربعة منها في الشمال وسبعة  
 في الجنوب  
 وسكان الاقسام الشمالية هم قبائل (سكوت والمحس) والداقلة يسكنون

الاقسام الوسطى. والجهات الشمالية أرضها قاحلة مكسوة بالحجارة الا ان النخل فيها كثير ومحصوله جيد وبه قوام عايش السكان خلافا للاقسام الوسطى فان أرضها خصبة وطريقة الري فيها بالسواني وهي توجد بمحصول وافر من الجبوب وفيها النخل أيضاً لكن محصوله لا يذكر في جانب محصول الجهات الشمالية وسكان هاته الاقسام خليط يطلق عليهم (الدناقلة) والغالب على اخلاقهم الهدوء والسكينة أما سكان الاقاليم الجنوبية فهم قبائل الشايقية وأرضهم تشبه الاراضى الشمالية والحاصل ان عوائد سكان دنقلة متقاربة متشابهة



### ذكر الشيخ الهدي

كان في احدى قرى الشايقية التي بين الخرطوم وشندي رجل اسمه (الشيخ الهدي) وكان صاحب طريقة وله صداقة مع محمد الخير داعية بربر وبمد هلاك حملة الجنرال هيكس وقد هذا الشيخ على المهدي فاكرم وفادته وقدم له الهدايا وتلقاه بالاكرام ثم عرض عليه ان يقوم بالدعوة له في مديرية دنقلة فاجابه بالقبول فكتب له بالامارة على قبائل الشايقية كلها وبالدعوة له في مديرية دنقلة ثم غادر الشيخ الهدي كردفان مع محمد الخير داعية بربر واشتغل معه في حصار بربر ثم انفذ خاله (ولد عبود) أحد افراد قبيلة الشايقية الى اقسام دنقلة الجنوبية فثارت معه قبيلة الشايقية واعلنت خلع طاعة الحكومة ورفعت لواء العصيان وقبضوا على ستة عشر جنديا واثنين صف ضباط كانوا جياة في هذين القسمين وقطعوا اسلاك التلغراف وأسروا عماله

ولما وصلت تلك الاخبار الى المدير مصطفى ياور باشا انتدب الضابط أحمد افندي سليمان ومعه عشرة عساكر من النظاميين لاكتشاف الاخبار

وما كان يبلغ محل الثارين حتى قبضوا عليه وعلى جنوده العشرة بمد أن  
 اطلقوا النيران على العدو الذي لم يتمكن من القبض عليهم الا بعد ان نفذت  
 ذخيرتهم وبعدهم وبعدهم هموا بقتل أحمد أفندي سليمان وجنوده ارجأوا قتلهم الى الغد  
 واعتقلوهم في منزل رجل اسمه الخليفة أبو بكر وكان صديقا جميلا ل أحمد أفندي  
 سليمان وما كاد الليل يرخي سدوله حتى أطلق الخليفة أبو بكر أحمد أفندي  
 سليمان ومن معه فركبوا دوابهم وفروا وفي الغد فقدوهم فبعثوا خلفهم نحو  
 مائتي راكب فلم يدركوهم وعادوا بغير طائل ولم ينتقموا من الخليفة أبي بكر  
 لما بين وبين العصاة من روابط الجنسية

ولما وصل أحمد أفندي سليمان الى مركز المديرية رفع الى المدير نتيجة  
 ما أورثه فاجر المدير ومعه مائة جندي نظامية على باخرة قاصداً جهة  
 (الدبة) وكان ولد عبود ومعه زهاء سبعة آلاف مقاتل قصدوا جهة الدبة  
 وكان بها نحو ثلاثمائة جندي بين نظاميين وباشبوزق وما كاد المدير يصل  
 تلك الجهة حتى علم ان العدو منقسم قسمين في جهتين متقاربتين وانهم  
 ممتنعون عن الحرب حتى ينسأخ شهر رجب فاخذ المدير في الاستعداد وهاجم  
 مركزي العدو فكان النصر حليفه حيث انجلى الهجوم عن انتصار المصريين  
 وهزيمة الثوار وعاد الامن الى ربوع دنقلا وقفل المدير راجعا الى مركز  
 المديرية بعد أن حصن نقطة الدبة

### ذكر واقعة الشيخ الهدي

لما وصلت أخبار الهزيمة الى الشيخ الهدي في بربر غادرها قاصداً جهة  
 لدينه وأمدده محمد الخير بمائة جندي سوداني من الذين انضموا اليه من جنود

الحكومة واستصرخ في طريقه بمائل الراطاب وأولاد قمر الدين صاحبه  
 رئيسهم نعمان بن قمر والد سليمان بن نعمان قاتل الكولونيل ستيوارت فاجتمع  
 اليه نحو ستة عشر ألف مقاتل وصل بهم الي الدبة وفي ذات ليلة هجم بهم  
 علي مركز الدبة وكان الظلام حالكا فما شعرت الحامية الا بالضوضاء حول  
 المعقل فصوبت مقذوفاتها علي العدو فسقط منه ألفان وسببمائة قتيل  
 وقتل نعمان بن قمر وفر الهدي ومعه نحو خمسة آلاف مقاتل وفر الباقون  
 ولحقوا ببلادهم وعسكر الهدي في جبل علي شاطيء الهر في جهة ( الحتانة )  
 وفي ثاني يوم الواقعة وصل المدير ومعه فصيلتان من الجنود النظاميين ثم سار  
 الي الحتانة ومعه خمسمائة جندي فابتدره الدراويش باطلاق البنادق فحاط  
 بموقعهم وهجم بجنوده عليهم فلما أبصر الهدي الجنود هاجم عليهم ولي  
 الادبار ومعه قومه وغنم الجنود معسكرهم وفيه كثير من الاقوات واستولوا  
 علي عشرين صندوقا مملوءة خرطوش بنادق رامنجتون ثم تأثر المدير العدو  
 مسيرة ست مراحل حتى خرج من حدود المديرية وقفل راجعا الي مركز  
 المديرية وكانت هذه الواقعة في شهر رمضان سنة ١٣٠١

ذكر مخابرات المهدي مع مصطفى ياور باشا

تقدم لنا ذكر وقائع دنقلة وها نحن نذكر ما فاتنا فنقول

لما حاصر أبو قرجة الخرطوم وظفر محمد الخير ببرر كتب المهدي  
 كتابا مع رسول خصوصي الي مصطفى ياور باشا مدير دنقلة يدعوه فيه الي  
 التسليم أو الحرب وكان الشيخ الهدي في بربر يتأهب للغارة علي دنقلة كما تقدم  
 فادرك مصطفى ياور باشا حرج موقفه اذ كان جنوده لا يزيدون علي خمسمائة

جندى فعول على دفع البلاء بالخذلة الخديمة فاستدعى المسيحيين الذين كانوا معه في المديرية وأسر اليهم انه عول على دفع شر المهدي بالخذية ريثما تصل النجدة الانكليزية وانه سيستدوهم على رؤس الاشهاد في سراي المديرية وارض عليهم الاسلام فيجيبونه فصدعوا بما أشار به عليهم ثم استدعى رجالاً من ذوي قرابة المهدي المقيمين في دنقلة وأعلن أمامهم انه دخل في طاعة المهدي وانه صار عاملاً من قبله على إقليم دنقلة ثم دعا المسيحيين للاسلام فاجابوه وكتب الى المهدي كتاباً ضمنه دخوله في طاعته وشرح له كل ما فعله من اسلام المسيحيين واعلانه الطاعة فاجابه المهدي بكتاب سماه فيه مصطفى جابر بدل ياور لانه من أسماء الكفار على زعمه وضمن الكتاب تمينا أميراً على دنقلة من قبله وأمره بابدال ملابس المساكر بالمرقات التي هي شعار الهدية ثم بعد ذلك حصلت وقائع الدبة والختانة التي تقدم لنا ايرادها

ولقد جاء ما أتاه مصطفى ياور باشا بنتيجة مرضية حيث استطاع حفظ البلاد مع قلة جنوده ريثما وصلت طليعة الحملة الانكليزية وساعد أيضاً على حفظ المديرية من السقوط في قبضة العدو وجود رجال اكفاء قاموا بتدبير الامور وخطر وانفوسهم في جميع الوقائع التي انتصر فيها جنود مصطفى ياور باشا ونخص منهم بالذكر أحمد جودت بك وكيل المديرية وقتئذ فانه كان قومندان القوة المدافعة في واقعة الدبة التي انهزم فيها الشيخ المهدي شر هزيمة وقد أصيب وقتئذ أحمد جودت بك بطعنة رمح في جبهته أما الضابط أحمد أفندي سليمان الذي تقدم ذكر وقوه في قبضة العصاة وفراره منهم بواسطة صديقه الخليفة أبي بكر فانه كان قومندان القوة النظامية وشهد كل وقائع دنقلة كما انه شهد كل الوقائع



التي انتصر فيها عبد القادر حلمي باشا في جنوب الخرطوم مما تقدم لنا ذكره  
ومن قواد الباشبوزق الصناجق نور الدين بك ومايش أغا وسليمان بك  
جبريل ومن الضباط النظاميين الضابط سعد نبيه أفندي ومرسال كوكو  
أفندي وغيرهم

ولما وصلت طلائع الحملة الانكليزية الى حلفا كان الشيخ الهدي معسكراً  
في جنوب حدود مديرية دنقلة بعد هزيمته من الحتانة وكان قد وصل الى  
دنقلة في غضون ذلك رسول الى مصطفى ياور باشا يحمل كتابين أحدهما  
من المهدي والثاني من شخص يدعي الشريف محمود من أقاربه وكان مضمون  
كتاب المهدي الى مصطفى ياور باشا أمره بتسليم المديرية الى الشريف  
محمود والشخص اليه كتاب الشريف محمود مضمونه انه تعين من قبل المهدي  
أميراً على اقليم دنقلة وانه معسكر في بئر تبعد عن الأهر بثلاث مراحل  
اسمها (أم بليلة) فكتب اليه مصطفى ياور باشا يقول فيه اني لم اكن مصدقاً  
بدعوة المهدي وان ما فعلته كان خديعة وحيث انك من أهالي دنقلة  
فانت آمن اذا عزمتم علي العودة الى وطنك مستظلاً بطاعة الحكومة  
ولما عاد رسول الشريف محمود اليه في بئر (أم بليلة) واطلع على ما كتبه له مصطفى  
ياور باشا أسرع بالفرار من ذلك المكان ولاحق بالشيخ الهدي الذي كان معسكراً  
في جنوب حدود مديرية دنقلة في مكان اسمه (كورتى) وأخذنا في الاستعداد  
والاهبة للغارة علي الحدود وكان مع الشريف محمود حسن خليفة العبادي  
ابن أخي حسين باشا خليفة مدير بربر أرسله المهدي للدعوة له في صعيد  
مصر ومعه أيضاً رجل مغربي أرسله أيضاً ليدعو أهل طرابلس الغرب  
وهاهي صورة كتابين اخترناهما من الكتب المدينة التي كتبها المهدي الي

مصطفى ياور باشا الاول منهما في شهر رجب سنة ١٣٠١ والثاني في شهر رجب سنة ١٣٠٢ أي بعد سقوط الخرطوم وفي الاول من اللين والحجامة ما يراه القارئ وفي الثاني من التهديد والوعيد بان النبي صلى الله عليه وسلم وعد المهدي بوقوع مصطفى ياور باشا في قبضته عاجلا أو آجلا ما فيه

## الكتاب الأول

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الوالي الكريم والصلاة على سيدنا محمد وآله مع التسليم وبعد  
 فن العبد الواثق بمولاه محمد المهدي بن عبد الله الي مصطفى ياور امير مدينة دنقلة وتوابعها كان الله له معين أمين. بدد السلام والاحترام لا يخفى عليك ان الدنيا ليست دار راحة وما هي الا ساعة فن لم يجعلها طاعة ويكتسب رضاء الله تعالى فيها ويكتف بالله ويجعل همه به واحدا لا يسلم من همومها وغمومها ولا بد أن تذهب ويقع المفراط فيما لا يجوز منه من الاهوال الشهادة كما جاء بذلك الوعيد في قوله تعالى «يوم ترونها تذهل كل مرضعة عما أرضعت وتضع كل ذات حمل حملها وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد» واعلم أني داع الى الله ودال عليه. وقد بعثني الله تعالى رحمة لمن اتبعني من أهل زماني ونقمة على من عصى الله وخالفني واني اندرتك قبل هذا ووضحت لك الامر جليا وكتبت اليك بتوليتك ميرا في جنك وما فعلت ذلك الا لك وما ليت احدا غيرك كان في ولاية الترك الابعه لقاؤنا والاخذ عنا ورؤية المصدق منه كمحمد خالد الذي كان ميرا «دارا» فانه قبه اتانا عنده فتح مدرية الابيض وصحبنا وتخلق باخلاقنا وترى حتى تحقق بالصدق

والديانة المرضية على محبة كاملة فلما رأينا فيه آثار الصدق والامانة والعدالة  
 والتخلق باخلاقنا والقيام بامرنا على ما نحب ونرضى وليناه على كافة نواحي  
 دارفور ففتحها وصدق في ارشاد أهلها وادخلهم جميعاً في طاعتنا فصدقوا  
 كامل الصدق فجزاه الله الخير والاحسان فقد زاد على ما ظنناه فيه وورق أصحابه  
 ومن بنواحيه على حسن اليقين والبشوق رب العالمين وإيثار الآخرة وزهد  
 الدنيا في الانابة الى ما عند الله فجزاه الله عنا وعن المسلمين أجراً جزيلاً وأنت  
 ما ولىناك من قبل ان نرك الا لحسن ظننا بك في صدق ديانتك وطلبك  
 ما عند الله ومعرفتك شؤم الدنيا ودناءتها ومعرفتك قوة الله وقدرته على كل  
 شيء حتى لا تميل الى شيء الا الى رضى الله فان طاعة الترك بعد ظهور  
 المهدي كفر وضلال كما هو وارد فان قويت سريرتك واشتد عزمك على  
 ذلك كما ظننا فيك فانت مؤتمر منا كما أمرناك والا فان علمت من نفسك  
 ضعف يقين وعدم طاقة على مقاتلة الترك ومناوأتهم وقطع الاخبار عنهم  
 فأت الينا لتزيد يقينا وتمكيناً وتكسب نوراً وتحسيناً حتى يسقط من قلبك  
 الالتفات الى الاولاد والاهل والحشية من غير الله والطمع فيه بما نريك  
 اياه من الارشاد والتربية التي خصنا الله بها دون أوليائه الكرام وهو  
 ذو الفضل العظيم وقد علمت ثواب الهجرة والجهاد في سبيل الله من قول  
 الله تعالى « الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله باموالهم وأنفسهم  
 أعظم درجة عند الله وأولئك هم الفأزون يبشرهم ربهم برحمة منه ورضوان  
 وجنات لهم فيها نعيم مقيم خالدين فيها » الآية وفوله تعالى « فالذين هاجروا  
 وأخرجوا من ديارهم وأذوا في سبيلي وقتلوا وقتلوا الأ كفرن عنهم سيئاتهم  
 ولا دخلهم جنات تجري من تحتها الأنهار ثواباً من عند الله والله عنده حسن

انثواب « فمن كان مؤمناً مصداقاً بكلام ربه وعظمة وعده ووقوع ذلك يقينا  
 يؤثر ما ذكر على ملك جميع الدنيا وشهواتها ومتاعها ومقاساة الشدائد في ادراك  
 الوعد المذكور ومن لم يكن مصداقاً بذلك مؤثراً له فذلك لعدم إيمانه وتصديقه  
 لوقوع ذلك وتسفيهه لمن فعل ذلك ممن آمن بالله وآثر ما عنده فاستحق  
 ان يكون ماله غنيمة وان يخذل في الدنيا ويحشر الى جهنم في الآخرة قال الله  
 تعالى « قبل للذين كفروا ستغلبون وتحشرون الى جهنم » الآية وقد كتبنا  
 اليك بقاً انك ان قت باحد هذين الامرين فهو دليل صدق إيمانك  
 وتسليمك والا فلا بد ان تقع في قبضتنا بقوة الله وحوله كما أشار الى ذلك  
 سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم الذي لا ينطق عن الهوى ونسأل الله ان لا يخيب  
 ظننا فيك لاننا نحب لك الخير ونعلمك بخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم  
 ان النرك لو أتوا عدد الشجر والمدر لا تقوم لهم قائمة كما بشرنا بذلك رسول  
 الله صلى الله عليه وسلم وان كثروا كورق الاشجار والرمال لو دخلهم  
 احد من أصحابنا يموتون كما بشرنا بذلك الصادق الامين صلى الله عليه وسلم  
 هذا والسلام رجب سنة ١٣٠١ (الكتاب الثاني)

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

الحمد لله الوالى الكريم والصلاة على سيدنا محمد وآله مع التسليم وبعد  
 فن العبد المعتصم بالله محمد المهدي بن عبد الله الى مصطفى ياور وفقه الله  
 لطريق رشاده آمين. اعلم وفقك الله تعالى الى سبيل الرشاد وصرف عنك  
 خيالات النفس وباعد عنك طريق الغناد ان الهدى خير من الضلال وان  
 الدار الآخرة لهي الحيوان وهي الدار التي أعدها الله لاصفيائه وأمناء دينه  
 ونذب اليها عباده المؤمنين في محم كتابه العزيز بقوله « وسارعوا الي مففرة

من ربكم وجنة عرضها السموات والارض أعدت للمتقين « ولا يخفى عليك  
 أي طالما حسنت بك الظن ورجوت لك الخير وتوسمت فيك الديانة  
 والامانة وأحببتك في الله وخطبتك خطاب أهل المحبة حتى اني من فرط  
 ما حصل لي من محبتك في الله أصدرت لك أمراً بختي بملك عاملا من  
 طرفي على عموم دنقلة رجاء أن تكون من الذين باعوا لله نفوسهم بالجنة  
 وبدلوا مهجهم ونفائس ارواحهم في احياء السنة فظاهرتني بالقيام بذلك ثم  
 نكثت العهد ونقضته ومن نكث فاعما ينكث على نفسه وجاهرت بالعداوة  
 وبارزت وقتلت أخياراً من أمة محمد صلى الله عليه وسلم بمكرك وخديعتك  
 ولم تخش الله ولم ترع حقوقه مع انك في الحقيقة مفرور مستدرج لم تدر  
 عاقبة أمرك ألم تعلم أن الله يمهمل ولا يهمل ولا يرد بأسه عن القوم المجرمين  
 فيا أيها الرجل ويحك تدارك نفسك واعتبر بمن مضى من قبلك فان العاقل  
 من اعتبر بغيره والسميد من دبر أمر نفسه ونظر صلاح العواقب والكيس  
 من دان نفسه وعمل لما بعد الموت واعلم ان الله يملئ للظالم حتى اذا أخذه  
 لم يقلته فان جميع ما حصل لك فهو استدراج من الله عاقبته الحسرة والندامة  
 فأعمل ففكرك وأعد نظرك واعلم أن الامر لله يعطيه من يشاء من عباده  
 وكفاك ما حصل منك من مبارزة الله بالعداوة وشدة أزر أعدائه الكافرين  
 والاستمانة بهم على قتال المسلمين أما علمت قوله تعالى في محكم كتابه «يا أيها  
 الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض ومن يتولهم  
 منهم فانه منهم » وقال « لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء تلقون اليهم بالموودة  
 وقد كفروا بما جاءكم » الآية الى غير ذلك من الآيات الناهية عن موالاته  
 الكافرين على ان ما أتم عليه من نقض اليهود وعداوة الله المعبود والركون

الي المكر والحديمة الحيل الضعيفة الشنيعة لا يفتى عنكم من الله شيئاً ولا يدفع  
 عنكم المقدور ولا بد بعون الله من وقوعكم في قبضتنا ولو صمدتم السماء  
 بسلم فانا مبشرون من سيد لوجود صلى الله عليه وسلم بالنصر على من يعادينا  
 ونملك جميع الارض ولا يفر نكم ما حصل لكم من الاستدراج ولا ما رأيتوه  
 من استعدادكم والنصارى الذين معكم فان قدرة الله لا تقاوم وبطشه لا يصادم  
 وكم أهلك الله من الامم قبلهم ممن هو أشد منهم قوة واكثر جمعا ولم يغن عنهم  
 ما اعتمدوا عليه من دون الله شيئاً وحيث انك تدعى العقل وترغم انك من  
 أهله فاعتبر بذلك واعلم علم اليقين انك ان أنبت الي الله وندمت على ما فرط  
 منك وأيتتنا نادما نابثا فانك مؤمن ومغفوع عنك في جميع ما مضى منك عفواً  
 خالصاً لوجهه تعالى ومقبول عندنا غاية القبول ولا نقول لك الا بما قال يوسف  
 عليه السلام لاختوته «لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين»  
 وان أحضرت معك بعضا من عمد البلد كمحمد عبد القادر ساتي المشور  
 بفقير تود ومحمد الملك حمد بارقو ومحمد بن الفقير محمد ابراهيم وصالح امام  
 الجامع وسعيد أحمد فرح ومحمد الجميل ومحمد محمد كنيش فذلك أولي عندنا  
 فاحضرهم فهم آمنون منا ومغفوع عنهم في جميع ما جرى ومقبولون عندنا ولا  
 حرج عليهم وان أبتهم بعد هذا الا الجحود والاعراض عن الانابة الي الله  
 المعبود وسلوك سبيل الضلال اعتماداً على المكر والحيل واغترارا بالخيال فاعلموا  
 انكم لن تستطيعوا الخروج عن أسر القدرة الالهية ولا بد من وقوعكم في  
 القبضة وتذوقوا السوء بما صددتم عن سبيل الله وذنبكم عليكم فانا قد أنذرناكم  
 ولا رشادكم دللناكم ومن أنذر فقد أعذر أسأل الله الذي يضل من يشاء ويهدي  
 من يشاء أن يجعلكم من أهل الهداية الذين سبقت لهم العناية وأن يحل

هذا البيان منكم محل القبول انه اكرم مسئول هذا والسلام سنة ١٣٠٢ ٧ رجب

## واقعة كورتى وقتل الشيخ الهدي

لما وصل الشريف محمود الى معسكر الهدي بلغ مصطفى ياور باشا انهما يتأهبان للهجوم على الحدود فزحف عليهم في أربعائة جندي بين نظاميين وباشبوزق وكان قائد الجنود النظاميين الضابط احمد افندي سليمان والجنود الباشبوزق تحت قيادة نورالدين بك وسليمان جبريل بك

ولما اقترب من معسكر الشيخ الهدي اطلق الجنود النيران فجاءهم الدراويش وهجموا على صفوف المساكين بسالة غريسة حتى اذا صاروا على مقربة منهم بنحو مائة متر سقط من الدراويش ما تأقتيل وقتل الشيخ الهدي والشريف محمود والمغربي داعية طرابلس الغرب ونجا حسن خليفة داعية صعيد مصر وولي الدراويش منهزمين لايلون على شيء وتمزق شملهم كل ممزق وكانت عدة الدراويش نحو ستة آلاف مقاتل ولم يصب من الجنود غير ضابط من الباشبوزق أصابته رصاصة في صدره ثم عولج ولم يموت وكانت هذه الواقعة في شهر ذى الحجة سنة ١٣٠١ هجرية

## ذكر وصول كتشنر باشا الى دنقلة

كانت الحكومة مرتابة في صدق بقاء مصطفى ياور باشا ومن معه من الحامية على الطاعة لان أخبار مالمالته التي تقدم لنا ايرادها كانت تصل اليها بصورة توجب الشك وقد روى لنا الضابط احمد افندي سليمان انه كان يقرأ وقتئذ في الجرائد الواردة عليه من مصر اخبار دخول مصطفى ياور باشا والحامية في طاعة المهدي وكان الضباط يعجبون من الحكومة التي كان مصطفى

ياور باشا يشاورها في كل ما يدبره من الخديعة والمهادنة

والظاهر ان ما كان يخبر به الحكومة مصطفى ياور باشا لم تكن تعتقد صحته حتى ان الانكليز لما وصلت طليعة جيشهم الى حلفا انفسدوا كتشنر باشا وكان وقتئذ ضابطاً في أركان حرب الجيش الانكليزي وكان متنبهاً في زي مغربي ومتعمها بعامة فوصل الى دنقلة والحامية زاحفة الى واحة كورتى التي سبق لنا ذكرها ثم تأكد عنده بقاء الحامية على طاعة الحكومة وقدم نفسه للمدير فقوال بما يليق به من الحفاوة والاكرام ثم بقى هناك متجولاً في أنحاء المديرية يرافقه وكيلها احمد جودت بك حتى وصلت الحملة الانكليزية التي زالت مخاوفها بعد ان اوقف كتشنر باشا الحكومة على الحقيقة التي كان فهمها ملتبساً عليها

### وصول الحملة الانكليزية الى دنقلة

لانطيل على القاريء الكلام في سرد ما كان من أمر الحملة الانكليزية التي أرسلت بعد تردد واحجام كانا السبب الاكبر لفقدان قائدها حيث صارت هاته الحملة كأنها لم تكن وذلك لانها لم يكن الباعث لارسالها الا انقاذ فردون باشا وقد علم القاريء انها لم توفق للقيام بهذا العمل

وفي أواخر شهر صفر سنة ١٣٠٢ تكاملت الحملة الانكليزية في (كورتى) وتمين اللورد ولسلى قائداً عاماً لها وأخذت في الالهبة والاستعداد لمناجاة السير الى جهة الجنوب فقر الرأى على انفاذ حملتين سير احدهما في طريق الصحراء الى الميمة في (عظومر جقدول) وتسير الثانية في طريق النيل قاصدة بربر



## حملة الجنرال ارل وقتله بواقعة كربكان

عين اللورد ولسلي الجنرال (ارل) قائداً لحملة النيل فسار من (كورتى) ومعه نحو ثلاثة آلاف جندي انكليزى ونحو خمسمائة زورق تقل الجنود المشاة أما الفرسان والطوبجية فانهم ساروا حيال القوارب في الضفة الغربية وكان الطابور الاول المصري من حامية دنقلة يسير في الضفة الشرقية يقوده البكباشى احمد افندى سليمان الذي كان قبيل قيام الحملة حائزاً لرتبة الصاغقول اغاسي فرقى الى رتبة بكباشى بناء على الشهادات الحسنة التى قدمها المدير الى اللورد ولسلي بخصوصه

واستمرت الحملة فى سيرها ثمانية أيام وفر أهالى القرى الى الجهات الجنوبية وتركوا قراهم حتى بلغت جهة كربكان بالقرب من أبو حمد وهناك علمت ان نحو الالف مقاتل من الدراويش تحصنوا بجبل منيع ليقاوموا هياثوروا فى وجهها فانضمت القوة المصرية الى القوات الانكليزية فى الضفة الغربية وهاجمت معقل الدراويش من الجهة الشمالية فاطلقوا النيران عليها ثم قسم الجنرال (ارل) القوة وترك قسماً منها يناوش العدو من جهة الشمال وهجم بالقسم الثانى على العدو من جهة الجنوب الغربي فاستولى على المعقل وقتل الدراويش عن بكرة أبيهم ولم ينج منهم غير خمسة أشخاص أصيدوا بجروح بليغة وأصيب الجنرال (ارل) برصاصة قضت عليه وتولى قيادة الحملة بعده الجنرال (بركنبري) ثم صدرت اليه الاوامر بالعودة الى دنقلة وذلك على اثر وصول الاخبار بسقوط الخرطوم وقتل الطيب الذكر غردون باشا وكان بازاء كربكان فى الصحراء منهل اسمه (بيرسانه) اجتمع فيه زهاء الفين من

الدرأويش اخذوا لشنون الغارة على موقع الحملة ليقطعوا عليها خط الرجوع فاتدب الجنرال برنكنبري البكباشي احمد افندي سليمان والطابور الذي يقوده وأمره بالتربص خلف الحملة المطاردة أولئك فجرت بينه وبينهم عدة وقائع كان الفوز له عليهم في جميعها وبقي معسكراً في كربكان اسبوعين ثم قفل راجعاً الى دنقلة

هذا ما كان من أمر حملة النيل وسيأتي ذكر حملة الصحراء ووصولها الحارطوم بعد سقوطها بيومين

### واقعة ابو طليح

لما وصلت للمهدي أخبار وصول الجنود الانكليزية الى (كورتى) وأخبار تقدمهم الى الحارطوم عن طريق (عظموور جقدول) حيث ينتهى سيرهم الى شاطئ النهر في جهة المئمة التي كانت بواخر غردون باشا تنتظرهم فيها كتب المهدي الى محمد الحير صاحب بربر يأمره بحشد الجيوش في بربر لمقاومة حملة الجنرال (ارل) وانتدب موسى بن محمد حلوش شقيق خليفة الفاروق وأمير رايته الخضراء ومعه نحو ثلاثين الف مقاتل من أولى القوة واللباس وهم من رجالة (دغيم وكنانة) الذين ذكرنا خبر مبايعتهم للمهدي يوم اجتاز النهر الابيض بعد واقعة (آبا) وشهدوا معه جميع وقائمه وحرابه وكان ذلك في أوائل شهر ربيع الأول سنة ١٣٠٢

وتقدم المهدي لتشجيع الجيش وسار معه نحو خمسة عشر ميلاً ثم ودعهم بعد ان بايعهم على ان لا يتركوا الانكليز يلبفون المئمة وفيهم رفق من الحياة ثم سار الجيش يقوده موسى الذي أطلق العنان لانصاره فهبوا جميع القرى

الواقعة بين الممتعة وأم درمان واستباحوا النساء ومكثوا في الطريق نحو أسبوعين حتى بلغوا الممتعة مع ان المسافة لا تتجاوز أربعة أيام مع السير البطيء وفي أواخر شهر ربيع الأول سنة ١٣٠٧ أبصر نصحي باشا وعساكره وهم في بواخرهم في الممتعة جيوش الأمير موسى زاحفة اتي جهة (أبو طليح) وهي بئر في الصحراء تبعد عن الممتعة بمسيرة ثلاث مراحل

هذا ما كان من أمر المهدي أما الحملة الانكليزية فانها سارت من (كورتى) في أوائل شهر ربيع الاول سنة ١٣٠٧ وعدد جنودها نحو ألفين وقائدوها السر (هربرت استوارت) فوصلت الى أبو طليح في النصف الثاني من شهر ربيع الاول وتقدم نحوها الامير موسى بالثلاثين الف مقاتل الذين معه وانضم اليه بضعة آلاف من مقاتلة الجميلين فالتقى بالحملة في (أبو طليح) وهجم عليها كما تهجم الاسود على الفرائس ولم يكن الاكلح البصر حتى اختلط المسكران وصارت المحاربة بالسلاح الابيض وعندئذ قتل القائد السر هربرت استوارت وتولى القيادة بدله الجنرال (بولر) فتمكن من التمهق تاركا احماله وأثقاله في ساحة المعركة فاشتغل الدراويش بالنهب والسلب مدة وجيزة تمكن القائد في خلالها من إعادة النظام بين جنوده الذين اظهروا من انبساطه والثبات ما حير العقول حيث كرتهم على الدراويش وأمطرهم نيرانا حامية فسقط من الدراويش نحو ستة عشر الف قتيل وقتل الامير موسى ونحو عشرين قائدا من قواده الذين هم من اكبر قواد جيش المهدي واكثرهم تمسكا وتصديقا بدعوته وتمسك بقيمة الدراويش باذيال الفرار وهم مذعورون لا يصدقون بالنجاة وقد رأيت رجلا منهم في أم درمان أصيب بجنون عقب هذه الواقعة فقال لي ان الانكليز شياطين وليسوا آدميين لانهم بعد ان هزمونا في (أبو طليح) دخلوا

اجسامنا واحتلوا رأسي وانا لا أدري كيف ادفعهم عن نفسي . ووصلت اخبار هذه الهزيمة الى المهدي فكان من أمره ما تقدم لنا إirاده حيث عول على إسقاط الخرطوم الذي جراه على الاقدام عليه عمر ابراهيم الصنjq الذي ذكرنا نبأ فراره وبعد انتصار الحملة أرسل القائد كتبا الي المتمة قال فيه ما يأتي

نحن أول فرقة من جيش جلالة الملكة جئنا لكبح جماح الاشقياء المتمردين وانقاذ مدينة الخرطوم فان أردتم الدخول تحت طاعتنا فعليكم امان الله وامن جلالة ملكتنا وعليكم ان تقابلونا جنوب البلدة ناشري رايات الخضوع والتسليم واعلموا انكم ان لم تفعلوا ذلك يحل بكم ما حل بالذين حاربناهم في أبو طليح وحينئذ تجنون ثمار ما غرسته أيديكم والسلام

ولما وصل هذا الكتاب الي أهالي المتمة أخذوا البلدة وعسكروا شمالها وفي اليوم الثاني من شهر ربيع الثاني وصلت الحملة الانكليزية الي المتمة وتحصن الدراويش في البلد فهاجمهم الانكيز بثبات غريب واحلقت قنابلهم ومقدوفاتهم اضرارا كثيرة بمواقع الدراويش ومباريسهم واجتمعت الحملة بالبواخر التي كانت مرسلة من غردون للاستكشاف تحت قيادة محمد نصحي باشا وعسكرت الحملة في قرية ( القبة ) جنوب المتمة وتحصنت فيها

وهنا نقول لو أبحرت الحملة منسند وصولها الي الخرطوم لما سقطت ولكنها بقيت في المتمة خمسة أيام

وفي يوم السبت سابع ربيع الثاني أبحر (السر شارلس ولسن) مدير مخبرات الحملة لانكليزية على الباخرة (بردين) و(تلحوين) قاصداً الخرطوم وكان سفره قبيل غروب الشمس وسير بواخره بطيئا جدا لانخفاض ماء النهر وامامه شلالات

وفي مساء يوم سقوط الخرطوم سمعوا الصياح على ضفتي النهر بسقوط  
المدينة وقتل الطيب الذكر غردون فلم يصدقوا ذلك حتى كان يوم الاربعاء ١١ ربيع  
الثاني و ٢٨ يناير سنة ١٨٨٥ و كنت اذ ذلك في سجن بيت المال فسمعت الحراس  
يقولون لبعضهم «شددوا الحفظ على الاسرى لان بواخر الانكليز ستصل الي  
الخرطوم اليوم» وركب المهدي وخلفاؤه ووقفوا في أم درمان والرصاص  
والمقذوفات تتساقط على الباخرتين قبل ان تبلغا أم درمان نحو عشرين ميلاً  
والراية الانكليزية تحفق فوقهما حتى وصلتا الي ملتوي النهر وهما قاصدتان  
سراى غردون فاطلقت عليهم المدافع من طابية (المقرن) التي لا تبعد عن السراى  
باكثر من ميل وعندئذ أيقن السرس شالس ولسن بسقوط الخرطوم وقتل  
غردون فارتد راجعاً من حيث جاء ولما أبصر المهدي الباخرتين عائدتين نزل  
عن دابته الي الارض وخر ساجدا شكرا لله الذي أوقع الخرطوم في قبضته  
قبل ان يبلغها الانكليز

وفي اليوم التالي اصطدمت الباخرة تلحوين بحجر في (شلال رحام)  
ففرقت وانتقل السرس شارلس وجنوده الي الباخرة الثانية التي فرقت أيضا  
بعد يومين واضطروا الآن يمحصنوا في جزيرة (ولد الحبشى) حتى تدركهم  
النجدة من معسكر المئمة وبعد يومين ادركتهم باخرة انقذتهم بعد ان أحاط  
المدو بهم وهاجمهم عدة مرات

ذكر تعيين عبد الرحمن النجمي لقتال الانكليز في المئمة  
وفي يوم ١٥ ربيع الثاني سنة ١٣٠٢ شيع المهدي عبد الرحمن النجمي  
وأبا قرجة والجيش الذي كان معهما لقتال الانكليز في المئمة وكتب منشورا

الى ضباط وعساكر الحملة الانكليزية يدعوهم فيه الى الاسلام وهامي صورة  
المنشور نقلا عن كتاب المنشورات

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

الحمد لله الوالى الكريم . والصلاة على سيدنا محمد وآله مع التسليم . وبعد  
فمن العبد المقتدر الى الله محمد المهدي بن عبد الله الى كافة ضباط وعساكر  
الانكليز خصوصا الاعيان والرؤس . أرشدكم الله الى اتباع سبيل النجاة قبل  
البوس . وجعلهم من الثلاثين بجانبه العزيز آمين . انكم اذا تدبرتم بمقولكم  
وتفرستم في قدرة خالقكم وعجزكم عن مقاومته علمتم ان مخالفته شنيعة ولا  
ينبغي لكم الا امتثال أمره واجتناب نهيه والهروب منه اليه وقد أظهرنا  
الدعاية الى حماه . والدخول في ساحة كرمه وعطاياه . فبيا الى ذلك واغتموا  
سعادتكم قبل المهالك وسلموا تسلموا وأسلموا بوآتكم الله أجركم مرتين  
ولا تعرضوا فتكونوا من النادمين كراشد ويوسف حسن الشاللي وعلاء  
الدين وهكسى وغردون لانا أنذرناهم مرارا . ودعوناهم فما زادهم ذلك الا  
فرارا . فذاقوا عذاب الخزي في الحياة الدنيا ولعذاب الآخرة أخزى والسعيد  
من اعطى بغيره وهذا انذار لكم فاذا بلغتمكم وأردتم الفوز العظيم . والنعم  
الدائم المقيم . فلبوا اجابة دعوتنا الى الله وبادروا بالتوبة قبل تعذرها عليكم وقد  
توجهت اليكم جنود الله ولا طاقة لكم بمحاربتها ولكن من باب الشفقة  
عليكم أمرناهم ان لا يحاربوكم الا بعد وصول هذا اليكم وتحقق الالباء منكم  
عن الاجابة وأن لا يؤذوكم ولا يتعرضوا لكم في شيء من حقوقكم الخاصة  
اذا سلمتم ماعدا حق الميرى والاسلحة والجباهين فان سلمتم فعليكم أمان الله  
ورسوله وأمان العبد لله وتكونوا من ضمن أنصارنا وليس قصدنا استعباد

أحد ولا ارادة جاء ولا ملك في الدنيا ولا رغبة لنا في حياتها ولا في لذاتها  
 الغانية بل انما قصصنا الدلالة الى الله كما أمرنا الله ورسوله بذلك والا اذا  
 خالقم فلا تقبل منكم صرفا ولا عدلا وسترون ما يحل بكم واصفوا باذانكم  
 الواعية لما أقول ان كان لكم عقول فان الله تعالى قد اظهرني رحمة لمن اطاعه باتباعي  
 ونعمة على من عصاه بمخالفتي وأيدني منه بالنصر والظفر وأمدني بهمم رسله  
 وأنيائه وملائكته وأوليائه فلا يقدر على محاربتي الثقلان ولو كان بعضهم لبعض  
 ظهيرا ولو شئت لقبض الله سلاحكم بحيث ان اصحابي يقتلونكم ولا يقتلون وليكني  
 اخترت بتوفيق الله تعالى الشهادة لهم في سبيل الله اقتداء برسول الله صلى الله  
 عليه وسلم واصحابه رضوان الله عليهم فاياكم والغرور فان جند الله غالب وفي  
 هذا كفاية لاهل العناية والسلام ٢٩ ربيع الآخر سنة ١٣٠٢

### ذكر عود الحملة الانكليزية الى دنقلة

بعد انقاذ السر شارلس ولسن من (ولد الحبشى) علمت الحملة ان جيشا  
 كثيفا تحت قيادة عبد الرحمن النجمي قادم اليها كما انه يوجد جيش من  
 الجمالين معسكر شمال التمة فنصبت أشباجا من الخشب يخاطها الرائي  
 من البعد فرسانا وأوقدت مصابيح من البترول ثم ارتحلت الحملة أول الليل  
 في ظلام حالك وجدت السير حتى بلغت منهل (أبو طليح) ولم يعلم أحد من  
 الدراويش المعسكرين حولها بمفادرتها (القبعة) حيث كانوا يرون التماثيل  
 فيظنونها الجنود واقفة في حصنها وفي الليل يبصرون المصابيح فوق الحصن  
 وهم لا يشكون في شيء من أمر بقاء الحملة وظلوا على هذا الحال ثلاث  
 ليال وهم يطلقون الرصاص على المعقل وفي صبيحة الليلة الثالثة انكروا

سكوت الحملة عن مجاوبتهم فتقدم أحد الدراويش حتي صار علي مقربة من الحصن فرآى التماثيل والمصابيح موقدة ليل نهار وعلم أن ضوء النهار هو الذي كان يحجب نورها فرجع وأعلم الباقين وأسرع مع ثلاثة آلاف راكب ليلحقوا الحملة في أبو طليح وكانت غادرتها منذ ليلتين وصارت على مقربة من (كورتى) التي بها اللورد ولسلى فلم يعد في الامكان اللحاق بها

ووصل عبد الرحمن النجوى المتممة بعد ان غادرتها الحملة ببضعة ايام وفي آخر شهر جمادى الاولى سنة ١٣٠٢ وصلت الحملة الى (كورتى) وقدم السر شارلس ولسن تقريره عن سقوط الخرطوم ومقتل الجنرال غردون ولما وصلت أنباء مفادرة الانكيز للمتممة للمهدى سر بها وكتب الى محمد الخير أمير بربر يأمره بجمع الجيوش والتقدم الى حدود دنقلة وفي شهر شعبان سنة ١٣٠٢ أحلى الانكيز دنقلة وعقب ذلك دخلها محمد الخير واستولى على الاقليم كله وبلغت جيوشه جنوب حلفا ومن ثم صارت الاقاليم السودانية تحت سلطة المهدي وأخذ يخبر من حوله من الاتباع بانه سينحرف على دنقلة بعد بضعة شهور ومنها الى القاهرة وبعث رسولين يحملان كتابين أحدهما برسم المغفور له الخديو الاسبق والثانى برسم سكان مصر وهما صورة الكتابين نقلا عن كتاب المنشورات

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

الحمد لله الوالى الكريم والصلاة على سيدنا محمد وآله مع التسليم وبعد فن العبد الممتصم بالله محمد المهدي بن عبد الله الى خديو مصر لا يخفى على من نور الله بصيرته وشرح صدره ان الدين الذى يكون المتمسك به ناجيا عند الله هو دين الاسلام الذى جاءنا به نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ونزل به القرآن من



الملك العلام قال تعالى «ان الدين عند الله الاسلام» وقال تعالى «ومن يتبع غير  
 الاسلام ديناً فان يقبل منه» وما سوي ذلك من الاديان فضلال يدعو الشيطان  
 اليه حظه ليكونوا من أصحاب السعير ومن منحه الله تعالى عقلاً يميز به بين  
 الحبيث والطيب لا ينبغي له ان يصرفه الا فيما ينتج خلاصه عند الله يوم تزل  
 الاقدام. ويشيب الطفل ويشتد الزحام. والا كان أسوأ من البهائم حيث أضع  
 حكمة تركيب العقل فيه ولا سبيل الى السلامة عند الله الا اتباع دينه. واحياء  
 سنة نبيه وأمينه. وامانة ما حدث من البدع والضلال. والانابة اليه تعالى في  
 كل الاحوال. وقد تأكد ذلك في هذا الزمان. الذي عم الفساد فيه سائر البلدان  
 فان دسائس أهل الكفر التي ادخلوها على أهل الاسلام. وضلالاتهم التي  
 مكنوها من قلوب الانام. قد أفضت الى اندراس الدين وعطلت أحكام  
 الكتاب والسنة بيقين. فصارت شعائر الاسلام غريبة بين الانام. وتراكت  
 الظلمات وانتشرت البدع وأبيحت محارم الاسلام. واشتد الكرب على أهل  
 الايمان. فصار القابض على دينه كالقابض على الحجر لتراكم البغي والعدوان. فعند  
 ذلك اظهرني الله طبق الوعد الصادق رحمة لعماده لانقاذهم من ظلمة الكفر  
 الى نور الايمان. وأدلهم الى الله على هدي منه وتبين. وطوقني بالخلافة الكبرى  
 المهديية. وخلق عليّ حلماً الهيمية. وبشرني سيد الوجود صلي الله عليه وسلم بالنصر  
 على كل من ينادني ولو كان الثقلين وبأن من يقصدني بمداوة يخذله الله  
 في الدارين. وقلدني سيف النصر وأيدني بقذف الرعب في قلوب اعدائي  
 يسمي امامي أربعين ميلاً وأخبرني باني أملك جميع الارض وبأن من شك في  
 مهديتي فقد كفر بالله ورسوله ونفسه وماله غنيمه للمسلمين وبأن الله قد أيدني  
 بالملائكة الكرام وبالجن والاولياء احياء وأمواتا وهكذا من البشارات والمعجائب

التي يطول شرحها ركل ذلك بحضرة الملائكة المقربين والخلفاء الأربعة  
والخضر عليه السلام وما كنت أترقب هذا الأمر لنفسي ولا سألت الله إياه  
بل كنت أسأله أن يجياني معيناً لمن يقوم به فلما أراد الله ما كان. وحتم الأمر  
عليّ من سيد الأكوان. تمت باعبا. هذه الجملة واعتصمت بالله وتوكلت عليه  
وأخبرت الحكماء باني المهدي المنتظر وقد كان بها محمد رؤف وما تركت  
لاهلها في ايضاح هذا الأمر شيئاً وأنا في انتظار الاختبار. وتسليم الأمر لله  
الواحد القهار. فما كان منهم إلا أن ضربوا عما أخبرتهم به صفحاً وطووا عن  
قبوله كشحاً. وبادروني بالمحاربة من غير روية ولا تثبت في هذا الأمر الديني  
الذي جئتهم به من خير البرية فأيدني الله عليهم كما وعدني وهكذا صارت  
جيوشك تأتيني ثلة بعد ثلة وأقدم لهم الانذارات ولم تفهمهم والله يؤيدني  
وينصرني عليهم كما وعدني ويقطع دابرهم إلى أن قلت حيلتك وتلاشي أمرك  
فسلمت أمر أمة محمد صلى الله عليه وسلم لأعداء الله الانكايذ وأحلت لهم  
دماءهم وأموالهم وأعراضهم فجاء الانكايذ بكبرهم وخيلائهم واعتمادهم  
على غير الله فلما سؤل الشيطان لهم ادراك غرورهم بالخرطوم وأيست من  
هداية أهله وعلمت أن تكرر الانذارات لا يفهمهم وحثت عليهم كلمة العذاب  
وصاروا مثل من قال الله تعالى في شأنهم « سوا عليهم أنذرتهم أم لم  
تنذرهم » الآية عجل الله بفتحهم واهلاكهم من فيه وأحرق النار أجسامهم عياناً  
كالذين من قبلهم اظهراً للحقيقة وتعجيلاً للمقوبة وصدق عليهم قوله تعالى  
« حتى اذا فرحوا بما أتوا أخذناهم بغتة » الآية ثم أنذرت الانكايذ فلووا  
رؤسهم فوجهت اليهم طائفة من الإنصار فقذف الله في قلوبهم الرعب فولوا  
هاربين بعد ان أهلك منهم من أهلك وشتت شملهم وهذا كله ليس بخاف

عليك ولا زال حزب الله مقتنيا أثر باقيهم وعن قريب يحبل به من الدمار  
ما يكون عبرة لمن اعتبر. هذا وان المؤمن المصدق بوعد الله لا يرى لجميع ما في  
الحياة الدنيا من الفانيات قيمة ولا يأسف على ما فات من ملكها الذي ماله  
الى الزوال وعظيم النكال. وانما يكون مطمح نظره الى ما عند الله من النوال  
في دار الكرامة والافضال. فان الدنيا لو بقيت للاول لم تتقل للآخر. ومن  
هنا نعلم ان هذا الملك لم يصل اليك الا بموت أو عزل من كان قبلك وهو  
خارج من يدك بمثل ما صار اليك وحيث كان الامر كذلك فلا ينبغي لك ان  
كنت ترجو من الله نعيم الابد ان تأسف على ما فاتك من الدنيا ولو كان الدنيا  
بمخافيرها فصدق النظر واجمع عليك ففكرك وتدارك نفسك واسمع فيما  
ينخيك عند ربك اذا تمثلت بين يديه وسألك عما جري منك وسلم الامر اليه  
تسلم وما كان يحسن منك ان تتخذ الكافرين أولياء من دون الله وتستعين بهم  
على سفك دماء أمة محمد صلى الله عليه وسلم ألم تسمع قوله تعالى « يا أيها الذين  
آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض ومن يتولهم منهم  
فانه منهم » الآية وقوله تعالى « لا تجددوا ما بؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون  
من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم » الآية وقوله تعالى « يا أيها الذين آمنوا  
لا تتخذوا عدوى وعدوكم أولياء تلقون اليهم بالموودة وقد كفروا بما جاءكم  
من الحق » الآية وقوله تعالى « يا أيها الذين لا تتخذوا الذين اتخذوا دينكم هزواً  
ولعباً من الذين أتوا الكتاب من قبلكم والكفار أولياء » الآية وما هذه  
الطاعة لاعداء الله والله تعالى يقول « يا أيها الذين آمنوا ان تطيعوا فريقاً من  
الذين أتوا الكتاب يردوكم بعد ايمانكم كافرين وكيف تكفرون وأتم  
تلى عليكم آيات الله » الى أن قال « يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا

تؤمن الا وأنتم مسلمون » الآية فاذا كنت ممن ينظر بيمين بصيرته ولا يؤثر  
متاع الدنيا الحسيس على نعيم آخرته فاعتبر بذلك وبادر الي النجاة والسلامة  
المعتبرة وهي سلامة الايمان ونزه نفسك عن ان تكون في اسر أعداء الله  
دائماً ولا تهلك من كان معك من أمة محمد صلى الله عليه وسلم واغسل  
ما جرى منك بدموع الندم ولا تكثرث بجاه الدنيا الثاني ولا بملكها الزائل  
فان لله دارا خيرا منها وقد أعدها لعباده المتواضعين لجلاله قال تعالى « تلك  
الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علواً في الارض ولا فساداً والعاقبة  
للمتقين » الآية واياك والركون الى أقوال علماء السوء الذين أسكرهم حب  
الجاه والمال حتي اشتروا الحياة الدنيا بالآخرة فهلكوك كما أهلكوا من  
قبلك في الحديث القدسي « لا تسأل عني عالماً أسكره حب الدنيا فيصدهك  
عن طريقي أولئك قطاع الطريق على عبادي » ولا تعتر بقوة حصن بلدك  
وكثرة أسلحتك وعدك الظاهرية ومظاهرة أهل الكفر لك فانها لا تغني  
عنك من الله شيئاً ولم أهلك قبلك من الملوك أهل الحصون المنيعه من هو  
أشد منك قوة وأكثر جما لما بنوا وعشوا في الارض مفسدين وليكن  
في علمك ان أمرنا هذا ديني وبني علي هدى من الله ونور من رسول الله  
صلى الله عليه وسلم ومؤيد من عند الله بجود ظاهرية وباطنية وما قصدنا  
فيه الا احياء الدين واطهار آثار الانبياء والمرسلين ولا نريد مع ذلك ملكا  
ولا جاهاً ولا مالا فان نور الله بصيرتك وخالفت النفس الامارة بالسوء  
وقبلت هدينا وأنت الي الله بنية خالصة فملك أمان الله ورسوله واماننا وما  
بيننا وبينك الا المحبة الخالصة لوجه الله تعالى ونكون نحن الجميع يداً واحدة علي  
اقامة الدين وإخراج أعداء الله من بلاد المسلمين. وقطع دابرهم واستئصالهم

من عند آخرهم ان لم ينيبوا الي الله ويسلموا وقد حررت اليك هذا الكتاب  
 وانا بالخرطوم شفقة عليك وحرصا علي هدايتك فارجو الله ان يشرح  
 صدرك لقبوله ويدلك علي صلاحك ورشادك في الدارين وها انا قادم الي  
 جهتك بجنود الله عن قريب ان شاء الله تعالى فان أمر السودان قد انتهى  
 فان باردتني بالتسليم لامر المهدي. والانابة الي الله رب البرية. فقد حزت  
 السعادة الابدية وأمنت علي نفسك ومالك وعرضك انت وكافة من يجب  
 دعوتنا معك وان أبيت بعد هذا الا الاعراض عن طريق الفلاح والرشاد  
 فانما عليك اثمك واثم من معك ولا بد من وقوعك في قبضتنا ولو كنت  
 في بروج عشيقة وهذا انذر مني اليك وفيه الكفاية لمن أدركته العناية  
 والسلام علي من اتبع الهدى (الكتاب الثاني)

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

الحمد لله الوالي الكريم والصلوة علي سيدنا محمد وآله مع التسليم وبعد  
 فمن العبد المعتصم بالله محمد المهدي بن عبد الله الي كافة سكان مصر حكاما  
 وتجارا وعمدا وغيرهم وفقهم الله وهداهم. ولرشادهم ولاهم. أمين. أهدي لكم  
 السلام وأعرفكم ان النجاة من عذاب الله انما تكون للمتمسك بدينه الذي جاءنا  
 به نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وقد رأيتم ما ناله من الانداس الذي لا يخفي  
 ولما ان أراد الله إحياءه واطهار شعائره انجز موعده نبيه محمد صلى الله عليه  
 وسلم فظهرني بالخلافة المهديية. وأمرني بدعاية الخلائق الي العمل بالسنة المرضية  
 ومن عهد ظهوري بهذا المظهر الديني مازالت دولة الترك تجيش جيوشها  
 وترسل رجالها لمحاربتي من غير استناد الي دليل شرعي. ولا حكم شرعي. بل رغبة  
 في ملك الدنيا الفاني الذي مآله الحسرة والندامة. وجلب عذاب الله يوم القيامة

وما زل الله يؤيدني وينصرني عليهم نصرًا من عنده لا بجولي وقوتي وقد أهلك الله جميع عساكرهم الذين بالسودان علي يدي وأحرقهم بالنار عيانا شاهدهم جميع من رآهم حين قتلهم الله بسيفي وما ذلك الا اظهار لكفرهم وتعجيل لعقوبتهم ولا شك ان جميع ذلك قد بلغكم وتواتر اليكم من الواردين. وما زلت عن الحق معرّضين. وعلى حب حطام الدنيا الحسيس عاكفين. مع علمكم بان الله قد ذم هذه الدنيا في جميع كتبه السماوية ولا سيما القرآن فقد اكثر من ذمها فيه ويكفي من ذلك قوله تعالى «اعلموا انما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر في الاموال والاولاد كمثل غيث عثب الكفار نباته ثم يهيج فتراه مصرفا ثم يكون حطاما وفي الآخرة عذاب شديد ومغفرة من الله ورضوان وما الحياة الدنيا الا متاع الغرور» وقوله تعالى «وما هذه الحياة الدنيا الا لهو ولعب وان الدار الآخرة لهى الحيوان» ولم يظم شأن الآخرة عنده ولا خطر علي قلب بشروا كرمهم فيها بالنظر الى وجهه الكريم ودعاهم اليها بقوله تعالى «وسارعوا الي مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات والارض أعدت للمتقين» الآية وحيث فهمت خسة هذه الدار الفانية وعظم تلك الدار الباقية فيلزمكم الاعراض عن هذا الفاني الحسيس. والمسارعة الى حوز نعيم الابد النفيس. ولا يخفى عليكم ما حصل منكم من التفريط في جنب الله وترصص الدوائر بحزب الله بالركون الى محبة نصرة أعداء الله ومع ذلك فقد ساءحناكم في جميع ماجري منكم ان بادرتم الى اجابة دعوتنا والانتظام في سلك أصحابنا اول وصول كتابنا هذا اليكم ولا نقول لكم الا كما قال يوسف عليه السلام لاختوته «لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين» وليكن في علمكم

ان أمر السودان قد انتهى ونحن قادمون على جهتكم بحزب الله قريبا ان  
 شاء الله وما كاتبكم بهذا الكتاب الا شفقة عليكم وخوفا من أن يحل بكم  
 من العذاب ما حل باخوانكم الذين خالفوا أمرنا وغرتهم الاماني واعتمدوا  
 على قوتهم الظاهرية التي أنستهم قدرة الله على كل شيء فان شرح الله صدوركم  
 وتلقيتم أمرنا هذا بالقبول فأبشروا بخير الدارين وعليكم أمان الله ورسوله  
 وأماننا في أنفسكم وأموالكم وأعراضكم أنتم وجميع من يجب دعوتنا معكم  
 وان ضربتم عن مقالنا هذا صفحا فاعلموا ان الله تعالى قادر قاهر لا يعجزه شيء  
 في الارض ولا في السماء وقد وعدني بالنصر وأيدني باللائكة وجنده وأوليائه  
 واخبرني بملكى لجميع الارض وبانه لا يثبت لقتالي انس ولا جن ولا بداد من  
 الله من وقوعكم في قبضتنا ولو اتخذتم نفقاي الارض أو سلما في السماء  
 وستعلمون غداً من الكذاب فيا عباد الله ارفعوا بأفسكم وأصلحوا عاقبة  
 أمركم ودعوا هذا الاعراض والتلهي بشهوات الدنيا المنغصة بالعلل والامراض  
 وتشوقوا للقاء الله فان الدار الآخرة والحياة آخرة وهذه الدار قد وات مدبرة  
 فاتخذوها معبرة ويحكم ويحكم ان لم تداركوا نفوسكم وتشلوها من هذا  
 الوحل المفضي بكم الى المظلمة واياكم ان تغتروا بقوة حصن بكم فان الله  
 أقدر من كل قادر وكم أهلك قبلكم من أهل الحصون المنيعة من هو أشد  
 دنكم قوة واكثر جمعا فاتمبروا بهم وبما فعله الله بهم لما بغوا وعثوا في  
 الارض مفسدين فالله الله عباد الله هلموا الى النجاح والفلاح. قبل قص  
 الجناح. وهذا ما حبرته اليكم وأذرتكم به ولا داعي الى التطويل. فان الهداية  
 من الله الجليل. أسأل الله أن يلمكم رشادكم ويأخذ بنواصيكم الى طريق  
 سدادكم هذا والسلام

## ذكر فداء القسس والمسيحيين

لما سقطت الخرطوم أمسك للورد ولسلي محمد عبد القادر وحاج شرفي محمد نور وشريف ساتي على وعبد القادر عبد الكريم ومحمد ابراهيم وأحمد النجيب وحاج شرفي بن القاضي محمود وكلهم من أقارب المهدي وأنسابه وزجهم في السجن وهمدهم بالقتل ان لم يكتبوا الى قريتهم المهدي يسألونه فداءهم بما عنده من الاسرى المسيحيين عموماً والقسوس خصوصاً فكتبوا كتاباً الى المهدي قالوا فيه انهم مهددون بالقتل الا ان يتداركهم بالفداء بما عنده من القسوس والمسيحيين مراعاة لحق القرابة فاجابهم بكتاب قال فيه ان المسيحيين الذين لديه قد اعتنقوا الاسلام ديناً وتشرفوا بصحبته والالتناء اليه حتي انهم صاروا أقرب اليه منهم كما ان الذين أمسكهم للورد ولسلي تجمعهم وايه جامعة الكفر ثم ختم الكتاب بقوله لذوي قرابته لا بد من وقوعكم في قبضتنا اتم والورد ولسلي وتذوقون السوء بما صدتم عن سبيل الله وفي الكتاب تعنيف شديد لهم على جراتهم بمخاطبته بمثل هذا الطلب ولما وصل كتابه الى اللورد ولسلي أطاعهم من السجن واغدق لهم العطاء وأعادهم الى وطنهم

هذا ولما علمت وأنا بام درمان بامر هذا الفداء تذكرت ما قاله لي المأسوف عليه غردون باشا حيث قال لي انك لا تجد من يسعى في خلاصك من الاسر وقد ساء وقع هذه الحادثة في نفسي ونفوس سائر الاسرى المعبرين الذين علموا ان حكومتهم لا تسعى في خلاصهم من الاسر الا اذا كانوا مسيحيين ولكن خفف عنى بعض ما أجده سعي السر غرانفيل باشا



سردار الجيش المصري في فكاكي من الاسر . على اني شكرته وان لم يقرن  
سعيه بالنجاح وببهد الله كل شيء

### ذكر توجيه الجيش لمحاربة سنار

ذكرنا ما كان من بداية الثورة المهديوية حوالي سنار وما كان من اخادها  
على يد عبد القادر حلمي باشا

ولما سقطت الخرطوم في قبضة المهدي وجه ابن عمه محمد عبد الكريم  
في نحو عشرين الف مقاتل لتضييق الحصار على سنار فوصل اليها في أواخر  
شهر رجب وأحاط بها احاطة السوار بالمعصم وسعود الي ذكر تلك الحوادث  
حيث كان سقوط سنار بعد وفاة المهدي بثلاثة شهور

ولما ذهب المهدي لوداع الجيش خطب خطبة قال فيها ما يأتي  
يا أنصاري الصادقين سيروا على بركة الله لقتال كفار سنار واعلموا ان  
الله معكم عليهم وسينصركم نصراً عزيزاً لانكم حزب الله وأوليائه . وهم  
حزب الشيطان وحزب الله أقوى من حزب الشيطان وقد بشرني النبي  
صلي الله عليه وسلم بفتح سنار قريباً وانه بعد انقضاء شهر رمضان نتقدم  
الى دنقلة ومنها الي مصر وفي العام الآتي نكون قد تجاوزنا مصر حيث نكون  
على أبواب الحرمين الشريفين

### ذكر انتداب الشيخ الحسين زهراء الي كسلا

انتدب المهدي الشيخ الحسين زهراء ومعه ابراهيم عالم الحللاوي ومحمد  
حمزة البربري الي كسلا الاول والثاني بصفة نائبين عنه ليعقد مع مدير كسلا

شروط الصالح والثاني بصفة أمين لبيت المال

فساروا قاصدين كسلا وما كادوا يبلغونها حتى فاجاهم نعي المهدي الذي بث في الحامية روح الثبات وأخذت تماطل في وضع شروط التسليم ريثما يصلها الرأس ألولاً الحبشي الذي عاهد الحكومة الخديوية على انقاذ حامية كسلا وكان من أمره ما نأتي عليه ضمن حوادث تلك المدينة حتى سقوطها الذي حصل بعد وفاة المهدي



ذكر وفود عوض الكريم ابي سن زعيم الشكرية علي المهدي ذكرنا ما كان من أمر عوض الكريم ابي سن زعيم قبيلة الشكرية وامتناعه من الدخول في دعوة المهدي واعتصامه بقبيلته في صحراء (ريره) بين النيل الازرق ونهر (اتره)

ولما سقطت الخرطوم انفذ المهدي جيشاً يبلغ ستة عشر الف مقاتل الى قرية (رفاعة) ليزحف منها الى صحراء (ريره) حيث يلتقي بعوض الكريم ابي سن الذي فر من وجه الجيش وغادر محلته قاصداً ام درمان ولدي وصوله اليها علم ان المهدي موجود بالخرطوم فاجتاز النهر واستجار بمحمد صالح ساتي على عم والد المهدي ووضع على رأسه تراباً وفي رقبتة جنزيراً من الحديد علامة على انه نائب نادم على ما فرط منه وقدم نفسه للمهدي في سلام ملك الحكمة مدارية فذهب محمد صالح ساتي الى المهدي وقال له انني اجرت عوض الكريم والتمس منك ان تصفح عن زلته وتعدل عن عقابه وكان عبد الله التعايشي حاضراً فامتقع لونه وهم بالقيام من مجلس المهدي ليأمر بضرب عنق الرجل قبل ان يفوه المهدي بكلمة الغفو عنه فامسك بملابسه محمد صالح ساتي على

وقال له كما أنني أطلب له المفو من المهدي فأنني أطلبه منك أيضاً لانك خليفة  
الصدوق وأمير جيش المهديّة المشار اليه في الحضرة النبوية فتبسم التعاشي  
بسبب هذا المدح وقال له ان عفوي لا يكون ان تبعا لعفو المهدي فاجابه المهدي  
بأنني عفوت عنه وأمر بادخاله ونفض التراب عن رأسه وباطلاقه من الجزير  
ثم بايه البيعة المعلومة والقي عليه التعاشي تذيهاً فخاوها أن لا يفارق معسكر  
المهدي حتى المات وسنعود الى ذكر ما حاق به بعد موت المهدي حيث  
قتله التعاشي صبراً وأفنى قبيلته كلها وصادر جميع أموالها والدوام لله

### ذكر تعيين حسين باشا خليفة

داعية من قبل المهدي في قبيلة العبابدة

تقدم لنا ذكر حسين باشا خليفة مدير بربر وكيف كان سقوط المديرية  
على يده. ونقول الآن ان حسين باشا المذكور غادر بربر على اثر سقوطها ولحق  
بالمهدي في كردفان فتلقاه بالاكرام وعامله معاملة صديق لامعاملة أسير حتى  
سقطت الخرطوم . وكان من يومئذ يتودد لعبد الله التعاشي ويظهر له  
الاخلاص ويعرض عليه قدرته على القيام بدعوة المهديّة بين قبيلة العبابدة التي  
تسكن حوالى اسوان

وفي شعبان سنة ١٣٠٢ كتب له كتاباً بالامارة على قبيلة العبابدة فسار  
من أم درمان في منتصف شعبان حتى اذا صار على مقربة من « ابو محمد »  
وصل اليه كتاب من عبد الله التعاشي يدعوه الى العودة الى ام درمان  
فعلم ان سبب ذلك وفاة المهدي فتابع سيره حيث لم يكن بينه وبين الخروج  
من منطقة نفوذ المهديّة غير يوم وليلة حتى بلغ الحدود المصرية آمناً وسلم للحكومة

أو امر المهدي المتضمنة تعيينه أميراً على قبيلة العباددة  
ولما وصل حسين باشا خليفة الي مصر صعدت الوزارة على معاقبته فوجد  
بين أعضاء الوزارة من دافع عنه وأقنع زملاءه بوجوب ترك معاقبته حيث  
انه جاء طائماً مختاراً ثم كان من أمره ما نحن في غنى عن ايراده

### ذ كر ضرب بخانة نقود المهدي

ذ كرنا المقادير العظيمة التي غنمها المهدي من الحرطوم من الذهب والفضة  
وفي أواخر شهر جمادى الاولى جمع أمين بيت المال الصياغ وأمرهم أن  
يضربوا نقوداً من الذهب على شكل الجنيه المصرى مكتوباً على صفحة منها  
(ضرب في مصر) وعلى الصفحة الثانية الطغراء العثمانية كما هو شأن الجنيه  
المصرى وزنة هذا الجنيه نحو ثلاثة دراهم من الذهب السناري الذي لا يشوبه  
أقل زغل وقيمه مثل قيمة الجنيه المصرى أى مائة قرش وأن يضربوا ريبالا من  
الفضة زنته ثمانية دراهم منقوشاً على وجهه (ضرب في الهجرة) وعلى الوجه الثانى  
طغراء نقش فيها « باصر المهدي » وقيمة هذا الريال عشرون قرشاً مصرباً  
وبعد وفاة المهدي جمع التمايشي هذه المسكوكات وابدلها بالريال الذي  
سماه « مقبول » وسيأتى ذكر ذلك في مكانه

### ذ كر ختان اولاد المهدي

كثيراً ما كان يبلغنا ونبين محصورون في الحرطوم ان المهدي مصمم على ختان  
أولاده في جزيرة (أبا) التي جاءتته مرتبة المهدي فيها وكثيراً ما نقل لنا الجواسيس  
انه كان يقول لا تباعه ان النبي صلى الله عليه وسلم أمره بختان أولاده في

تلك الجزيرة وقد ردد غردون صدى تلك الاشاعات في جريدته التي كان  
تكتبها يومياً زمن الحصار

وفي ذات يوم قال لي مامعناه «اني أرجو ان تحقق هذه الاشاعة حيث  
يكون من وراء تحقيقها ما يخفف عنا ويلاط شدة الحصار» ويظهر ان المهدي  
لفرط دهانه كان يمهّد لنفسه اعذاراً للتقهقر الى لوراء اذا اضطر له يوماً ما فكان  
يذيع بين الناس انه مأمور بختان أولاده في جزيرة (آبا) لكي اذا اقتربت الحملة  
الانكليزية من الخرطوم دون ان يظفر بها تقهقر راجعاً وأظهر للملأ ان هذا  
التقهقر لختان أولاده لاجنب أو عدم قدرة على الوقوف في وجه الحملة الانكليزية  
ولكن قدّر أنه ظفر بالخرطوم وأمن شر الحملة الانكليزية فاقام  
معالم الافراح لختان انجاليه في أم درمان وذبحت نحو مائة بدنة من الابل  
ونحو مائتي رأس من البقر والنعم وذلك غير ما قدمه الامراء من الهدايا  
والمطاعم . وبالجملة انه اظهر في ذلك الاحتفال أهبة الملك والغني بالرغم عن  
تظاهره بالتباعد عن تلك الاحتفالات وكان يزعم ان أمين بيت المال هو الذي  
قام بها من عنده دون ان يكون المهدي عالماً بشيء منها

وكان أمين بيت المال يذيع ان المهدي كان لا يتناول شيئاً من خمس  
الغنائم الذي يخصه بل كان يفوض له انفاقه في سبل البر والاحسان وانه  
انفق منه نفقات الاحتفال بختان أولاد المهدي الذي تم في السابع والعشرين

من شهر رجب سنة ١٣٠٢

ذكر تعيين حمدان ابي عنجة على جبال كردفان

حمدان أبو عنجة قائد الجهادية وأصله دولي من موالى التعايشة وكان

منتظماً في سلك عساكر الباشبوزق في دارفور بوظيفة ( بولكباشي) أي قائد  
خمسة وعشرين جندياً

ولما لحق المهدي بجبال (قدير) كان أبو عنجة جايماً للحكومة في إحدى  
جهات دارفور فاغتال مبلغاً من الضريبة وفر بها إلى المهدي وهناك اجتمع  
مع عبد الله التعايشي وصار من حزبه فجعله قائداً على (الجهادية) وصار من  
أكبر انصار عبد الله التعايشي وسيأتي انه فتح (قندر) من مدان الاحباش الشهيرة  
وعلى كل حال فان أبا عنجة ذو طباع شريفة وخلال حميدة ميمون الطالع  
ذودهاء يعرف به كيف يتمكن من امتلاك قلوب الرجال بالاحسان واللين  
ومن ألطف ما سمعته من ثقة ان المهدي أهدى أبا عنجة امرأة حسناء  
كان أبوها صنيجاً فاستاء أهلها وقالوا اذا وطئت بنتنا بملك اليمين أفلاتكون  
تحت حر بدل أبي عنجة العبد فنقل إليه الخبر ومع انه كان قادراً على التكيل  
بهم لم يفعله بل استدعى أم زوجته وأعطاهها ألف ريال وجواري وملابس  
وهكذا فعل ببقية اصهاره ثم دس من ينقل أخبارهم له فقييل لام زوجته  
ان صهرك عبد فقالت انه والله فوق الاحرار وقيل لصهره مثل ذلك فقال  
«انما أصل الفتى ما قد حصل» والخالصة انه أرضاهم بالاحسان والحر كما لا يخفى  
اسير الاحسان

وقد أوردنا هذه المباراة للدلالة على دهاء أبي عنجة وان النجاح الذي  
صادفه في جميع أحواله لم يكن غير نتيجة أعماله من أمثال هاته النادرة  
وفي شعبان سنة ١٣٠٢ هـ أبدى التعايشي للمهدي رغبته في انفاذ حمدان  
أبي عنجة إلى جبال (النوبة) حوالي كردفان للغزو وجلب الارقاء والماشية  
فوافق المهدي على رغبته وسافر حمدان أبو عنجة في خمسة عشر ألف مقاتل

جلهم مسلحون بالبنادق وأعطاه مدفعاً جبلياً وذخيرة  
وما كاد أبو عنجة يسير من أم درمان عشر مراحل حتى بلغه نعي المهدي  
فكتب يستشير التعايشي في متابعة السير أو الرجوع فأشار عليه بالمضي لوجهته  
فتابع سيره وغزا الجبال وغنم شيئاً كثيراً من الماشية والنفوس وكان يرسل  
للتعايشي خمسها ولاخيه يعقوب بعضاً منها حتى كان من أمره مع محمد خالد  
زقل ماسعود الي ذكره فيما يأتي

### ذكر مرض المهدي ووفاته

في ليلة الاربعاء لاربع ليال خلون من شهر رمضان عام ١٣٠٢ هجرية  
أصيب المهدي باعراض حمية وفي مساء الغد ذاع خبر مرضه بين الناس فلم يكثر ثوا  
به لانهم واثقون بما كان يمدهم به من أن المنية لا تدركه قبل أن يفتح مصر  
والشام والكوفة والحجاز

وفي يوم الخميس الخامس من شهر رمضان اشتدت به أعراض الحمى  
فجئ اليه باطباء مصريين فقرروا ان الحمى من التيفوس وان حالته خطيرة  
ووصفوا له العلاج ولما خرجوا من بين يديه زاروني بمنزلي وأخبروني بانه  
لا يرجي له شفاء

وفي صبيحة يوم الجمعة أمر الخليفة عبد الله التعايشي أن يخلقه في صلاة  
الجمعة خلافا لعادته فانه كان لا يستخلف في الصلاة غير الخليفة على حلو وكثيراً  
ما كان يستخلف رجلا من أهالي بربر اسمه احمد الجملي فقيل له ان الخليفة  
عبد الله أمي لا يدرى الكتابة والقراءة فكيف يخطب بالناس فقال لهم اذفموا  
له ورقة الخطبة وصره فليقرأ منها كلمتين أو كلمة فدما له الورقة وخطب

بالناس وصلى بهم وهم في غاية الاستغراب من جهله بالقرآن وتحريره الفاظ القرآن  
وفي يوم الاحد ثامن رمضان اشتدت وطأة المرض على المهدي فكان  
ينظر الى من حوله من النساء نظرا يدل على الحسرة على فراقهن وكأني  
يخاطبهن بقوله « ما كنت أحسب ان هادم اللذات يزورني قبل ان اتمتع بثمار  
فتوحاتي واتلذذ بالامر والنهي في المملكة الواسعة التي شيدت بناءها  
بعد معاناة احوال تشيب الطفل الرضيع » وكان يرفع صوته مستنفيثا قائلا  
« لاله الا أنت سبحانك انى كنت من الظالمين » وكان يتجرد من ملابسه  
ويامر بالماء البارد فيصب على بدنه وبات ليلة الاثنين وحالته تنتقل من سيئ  
الى أسوأ ولا علم لاحد من الناس باشتداد وطأة المرض عليه غير الخلفاء وأمين  
بيت المال وبعض ذوي قرابته

وفي يوم الاثنين تاسع رمضان سنة ١٣٠٢ عند أو اخر الساعة الرابعة  
على الحساب العربي فاضت روحه وهو ملق على الارض محاط بخلفائه  
ونسائه وبعض ذوي قرابته فصاحت بنته زينب امرأة الخليفة شريف وهي  
اكبر بناته فوثب عليها زوجها ولطمها فسكنت وصاح احمد سليمان امين بيت  
المال وخر مغشيا عليه حتى ظنوه قد فارق الحياة . أما الخلفاء فانهم اجتمعوا حوله  
وتشاروا فيما يكون من امرهم فاظهر كل منهم تخوفه من افتضاح امرهم وان  
موت المهدي لا بد ان يكون ذامغة سيئة اذ به يظهر للملا كذبه فيما كان يمدح  
به من فتح البلاد واملاك الارض كلها مما هو واضح على صفحات منشوراته  
التي تقدم لنا ايراد كثير منها

وكان عبد الله التمايشي مندهشاً بما عمل الفرع من جهة لان المهدي  
أوصى له بالخلافة وهو في الرمق الاخير من حياته ومن جهة أخرى كان



لا يؤمل من الناس الانقياد له لان موت صاحبه جاء مكذبا لكل الدعاوي التي كان ينتحلها لنفسه ويعد الناس بهاء لذلك كان التعاشي مع الخلفاء في الشوري كاستطلاع لأفكارهم ومراقب لما يبدو منهم من الهلع وعدم الثبات فأشار واحد منهم بوجوب اخفاء موت صاحبهم واصدار منشور باسمه يقول فيه انه أمر من النبي صلى الله عليه وسلم بملازمة الاعتكاف على العبادة الى أجل غير معلوم وذلك اعتمادا على منشور صغير اصدره قبل مرضه بثلاثة أيام قال فيه « اني نصبت لعم الخلفاء ووليت عليكم النواب والامناء وجعلت الامراء تابعين للخلفاء فلا تقصدوني لقضاء شيء من مآرب الدنيا بل اتركوني للاشتغال بامور العبادة والانابة الى الله وكونوا على علم بان ماتمندر قضاؤه على الامراء والنواب والامناء والخلفاء فان قضاءه متمندر على أيضا »

هذه خلاصة ذلك المنشور وقد نقل اليّ ثقة ان عبد الله التعاشي بعد ان سمع ما أشار به زملاؤه الخلفاء انصرف من مجلسهم وهو مضطرب كريشة في مهب ريح واجتمع بأناس من خواصه وقص عليهم أمر وفاة المهدي وما أشار به الخلفاء فآظهوروا له سوء مغبة هذا الاخفاء بعد ان يقف الناس عليه لانه مامن خفي الآسيعلن وان الاقرب الى السلامة أن يعلن امام الناس وفاة المهدي والبيعة لنفسه فلقنه الشيخ المكي ابن اسماعيل الولي من مشايخ الابيض الجملة التي قالها أبو بكر الصديق رضي الله عنه يوم توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وهي « من كان يعبد الله فان الله حي لا يموت ومن كان يعبد محمداً فان محمداً قد مات » ولكنه أبدل محمداً بالمهدي في القائه فخرج على الناس بباب المهدي وقال لهم هذه العبارة فتقدم الشيخ المكي وبأبيه وبأبيه الحاضرون وهم يبلغون عشرة أشخاص ثم احتفروا قبراً في نفس الغرفة التي

مات فيها وقالوا انه خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم يدفن حيث قبض كما  
دفن صلي الله عليه وسلم حيث قبض

ومن جهاتهم انهم لم ينزعوا مرقعته عنه بل غسلوه من فوقها كما غسل صلي  
الله عليه وسلم وكفن في ثوب واحد من خرقة ( الدمور )

وفي منتصف الساعة العاشرة صلي التعماشي بالناس صلاة الظهر ثم  
استدعى نحو عشرين رجلا من أقارب المهدي ودخل بهم الى الغرفة  
واصطف الناس خارج الغرفة وبينهم وبين المسجد جداران فكانوا يسمعون  
التكبير متقطعاً من الغرفة فيكبرون وهكذا ظل الناس يكبرون على تكبير  
من في الغرفة من الساعة العاشرة الى منتصف الساعة الثانية عشرة حتى تجاوز  
عدد التكبيرات الثلاثمائة ثم انقطع التكبير حيث دفن الميت

وبلغني ان الخليفة على حلوا قال ان هذه التكبيرات قليلة بالنسبة لما هو  
واجب لمقام المهدي

وبعد ان ووري بالتراب خرج التعماشي الى الناس ورقى المنبر وتلا  
الآية « وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الخ » الآية ثم بايعه الناس وليس  
فيهم من يجسر على القول بان المهدي مات كأنهم يجاونه عن هذا الامر وكثير  
من الدراويش هموا بقتل من فاه بهذا الخبر امامهم

هذا وقد ذكرت أن الاطباء الذين باسروا علاجه اخبروني باستحالة شفائه  
وكنت أتوقع حصول فشل كبير وخلف عظيم بين اتباعه حتى انني لزممت  
كوشي في يوم وفاته وأنا مترقب من وقت الي آخر ان يبلغني شي بأسر به وكان  
لي خصي أخذ مني وصار من خصميان دار المهدي وكان بعد خروجه من يدي  
يحتقرني ويهينني ولا يخاطبني بنير (يا ابراهيم فوزي) ولذلك كنت اكره لقاءه

فدخل على في وقت العصر وقال لي يا ابراهيم فوزى فقلت نعم فقال ان المهدي قد مات فكذبت أطير فرحا لكنني أخفيت ذلك وابتدر الى ذهني ان ذلك الحصي ربما كان مدسوساً على للوقوف على مبلغ شماتي بموت المهدي فأجبتته على الفور بأن قلت له كذبت أيها العبد لان المهدي لا يموت قبل ان يفتح الدنيا كلها ولا يموت في غير المدينة المنورة

وقد كتب التعالشي والخلفاء وأقارب المهدي منشوراً بنعيه الى جميع الجهات ملاًوه بخرافات يضييق المقام عن سردها منها أنهم قالوا انه اختار الرفيق الاعلى ومنعوا من القول بانه مات انما يقال انتقل من دار الدنيا الى نعيم الآخرة وانه استخلف التعالشي وأوصي بطاعته وفي المنشور تفسير لما وعد به المهدي من ملك الدنيا كلها حيث قالوا ان ذلك سيتم لاصحابه وعللوا ذلك بان رسول الله صلى الله عليه وسلم وعد بصيرورة ملك كسرى وقيصر له ولم يحصل ذلك بالفعل الا في ايام خلفائه رضوان الله عليهم أجمعين

وقد اضطربت الروايات في مرض المهدي وموته فقال البعض انه مات مسموماً من احدى النساء اللواتي أخذهن سبياً من الخرطوم ولكن الحقيقة هي التي أوردناها اذ لم يتناول المهدي سما ولا غيره بل مات بالحمي التيفوسية كما تقدم

### ذكر طرف من سيرة المهدي

كان المهدي صاحب دهاء وحيل ولكن المتأمل اللبيب يجد في اخلاقه شيئاً من البله مع طموح للمعالي وقد أوردنا في ترجمته انه كان مريداً عند الاستاذ الشيخ محمد شريف بن الاستاذ الشيخ نور الدايم بن الاستاذ قطب

الطريقة السامية في الاقطار السودانية الشيخ أحمد الطيب  
 وصار من أمره مع استاذہ ما أوردنا طرفاً منه آنفاً وفي ابان دعوتہ  
 سرّاً أبلغ الاستاذ الشيخ محمد شريف الحكمدارية كل ما دبره فلم يلتفت  
 الحكمدار محمد رؤف باشا الى بلاغه مع انه أطلعه على كل مخباته وما عقده  
 مع الرؤساء في جهات النيل الابيض وكردفان من اليهود وما أخذہ عليهم  
 من الموائيق

ولما ظهر بدعوتہ في جزيرة (آبا) أرسل بلاغا الى الحكمدارية ثم تلتہ  
 واقعة (آبا) فانبرى لتكذيبه عدد ليس بقليل من العلماء فالفوا الرسائل مشحونة  
 بالادلة الشرعية على بطلان تلك الدعوى وكذب مدعيها

ولما كانت تلك الرسائل مما يتعذر علينا إيراد بعضها هنا اكتفينا بالإشارة  
 اليها فراراً من التطويل الذي يملہ القراء

ومن هاته النصائح قصيدة ألفها استاذہ الشيخ محمد شريف أبان فيها  
 أحواله في بداية أمره حيث قال انه كان صواماً قواماً لا ينام الليل منذ  
 دخل في سلك الطريقة . وكان نهما يأكل كثيراً ولكنه منذ بداية أمره كان  
 يخفي شرهه ليظهر امام الناس بالقناعة والزهد

وكان يلبس المرقعة مثل سائر دراويشه . أما اوصافه فانه كان طويلاً القامة  
 أسمر اللون بخضرة عريض المنكبين مفتول الساعدين ضخمة الجثة عظيم  
 الهامة واسع الجبهة أقرنى الانف واسع الفم والعينين مستدير اللحية خفيف  
 العارضين أسنانه كاللؤلؤ وفي الفك الاعلى فلجة بين الاسنان حتى كنى  
 بابي فلج

وبالجملة فانه كان ذاصورة جميلة جداً بين السود أمثاله وكان يتمم على

فلنسوة من نوع مايتعمم عليه أهل مكة وعمامته كبيرة منفرجة من الامام  
يرسل عذبة منها على منكبه الايسر حتى يتجاوز سرته ويضع على منكبيه رداء  
من ( الدمور ) ويتمنطق بمنطقة من الخوص أو بخرقية من الدمور ويلبس نعلا  
تشبه نعال أهل مكة مصنوعة في السودان وكان لبسها مخصوصا بالاعراب  
والضعفاء ويطلق عليها اسم ( اشقيانة ) اي نعل الشقاء فأبدل هذا الاسم باسم  
( السعيدانة ) اي نعل السعداء ويحمل على الدوام في يده اليسرى أو على منكبه  
الايسر سيفا زعم انه سيف النصر الذي أهده له النبي صلى الله عليه وسلم  
ويتوكأ على هراوة طويلة مصنوعة من النحاس مكسوة بجد أو هراوة من  
النوع المعروف باسم ( خيزران )

هذه أوصاف المهدي أوردناها هنا وقد رأينا صوراً كثيرة يقال انها  
صورته ولكنها كلها صور خيالية تبعد عن الحقيقة بعهد السماء من الارض  
ولذلك لم نأت بصورة منها في هذا الكتاب لعلنا بعدم تطابق واحدة منها على  
شيء من صفات المهدي وكذلك كل صور التعايشي خيالية أيضا لا تقرب من  
الحقيقة مطلقا

وتوفي المهدي وعنده مائة امرأة وعشر منهن أربع أطلق عليهن اسم  
أمهات المؤمنين . احدهن عائشة بنت ادريس وأصلها من بلاد دكروور في  
السودان الغربي تزوج بها في جبال ( قدير ) علي أثمر موت زوجها قتيلا في واقعة  
يوسف باشا الشلاي واسمه آدم الاعيسر وكان متزوجا أيضا بزينة بنت المهدي  
وبعد قتله تزوج بها الخليفة شريف

وكان المهدي يقول ان عائشة بنت ادريس بمنزلة عائشة بنت أبي بكر  
رضي الله الله عنهما وولدت له أنثى اسمها زهراء تزوج بها يعقوب شقق

التعايشي بعد وفاة المهدي

والثانية فاطمة بنت أحمد شرفي الدنقلاوي كانت زوجة أخيه محمد الذي قتل في واقعة الابيض وكان المهدي متزوجا بأختها وله منها عدة أولاد فماتت أختها وقتل زوجها فتزوج بها المهدي وجعلها من أمهات المؤمنين ولم ترزق منه غير ولد اسمه الكامل مات رضيعا ولها أم اسمها حليلة كانت تتزيني بزى الرجال وتتقلد السلاح وتركب الخيل وكانت تصدر الوعظ في مجالس الرجال وتقول لهم تمسكوا بالله ورسوله ومهديه وابن مهديه الكامل وأم المؤمنين والدته وجدة الكامل فانه لانجاة للانسان في الآخرة الا بهؤلاء فأحضرها التعايشي وزجرها ومنعها من مخالطة الرجال وتوعدها ان عادت الى مقاتها هذه فصعدت بالامر أمامه ولكنها لما خرجت الى الناس قالت لهم ان التعايشي يحسدني كما حسدت قريش النبي صلي الله عليه وسلم

والثالثة فاطمة بنت حاج وهي بنت عمه التي تقدم لنا ذكر زواجه بها في الخرطوم وانه طلقها لما ألت عليه بوجوب السمي للارتزاق من صناعة المراكب ثم راجعها بعد خاقه بجزيرة (آبا) وبعد زواجه بنت أحمد شرفي. وله منها ثلاث بنات تزوج عبد الله التعايشي باحدهن بعد وفاة أبيها وتزوج الثانية الخليفة على حلو

والرابعة فاطمة بنت حسين الحجازي وهي مصرية من أهالي مديرية الحدود استوطن أبوها في جهة تقرب من جزيرة (آبا) وكانت متزوجة بابن عمها صالح الحجازي وكان المهدي قبل دعواه يختلج الي بيت زوجها الذي كان مریدا له وكان لا يحجبها عنه لفرط اعتقاده في صلاحه فأظهرت

لزوجها رغبتها في أخذ أوراد الطريقة عن المهدي فأذن لها ولقنها المهدي أوراد الطريقة فظهرت بمظهر الزهد والعبادة وفرت من بيت زوجها ولحقت بالمهدي في جزيرة (آبا) فادركها زوجها وسألها عن سبب خروجها من بيتها فقالت اني لأقوى على التقييد بقيود الزواج لاني أصبحت لأميل لغير العبادة والانتطاع للصوم وقيام الليل فلم يشك زوجها في أنها كذلك فسألها بقاءها على ذمته بغير أن يطلقها على شرط أن تذهب الى حيث شاءت فبكت وقالت اني أخشى أن يعاقبني الله على عدم رعايتي حقوق الزواج ولذلك أتوسل اليك بجرمة شيخي وشيخك هذا وأشارت الي المهدي أن تطلقني فطلقها ورجع الى منزله وكان هذا كله مدبراً بينها وبين المهدي وقبل أن تنتهي العدة الشرعية سمع صالح الحجازي ان مطلقته تزوجت بشيخه وشيخها فاحتدم غيظاً وحمل السلاح وهجم على المهدي وأطلق عليه الرصاص فأخطأه وكانت فاطمة بنت حسين هذه في منتهى الجمال بيضاء اللون

وكان صالح الحجازي المذكور قد حضر معنا حصار الخرطوم وقص علينا هذه القصة بغير زيادة ولا نقصان

ورزقت فاطمة المذكورة من المهدي بنتا اسمها مريم وهي التي تزوجها التتاليشي بعد فراق اختها كلثوم

ولما سقطت الخرطوم اكرم المهدي صالحا الحجازي ولم يعاقبه بشيء وأصدر أمراً بعدم مصادرة شيء من أملاكه وبعدم نهب أمواله وكذلك بنت عمه اكرمه وأهدت اليه هدايا كثيرة من الاموال والجواري والخيول وسوى هاته الاربع نسوة نحو ثلاثين من بنات اعيان السودان اهداهن له آباؤهن مثل بنت محمد احمد ام برير التي تقدم لنا ذكرها ونحو ثلاثين امرأة

من بنات اعيان المصريين في الخرطوم والبقية من البواري اللواني كن ومسات  
فانه كان ذالوع شهيد بهن حتى انه كان كلما فتح بلاء ضم الى محظياته المشهورات  
من موسساتها . وكان كثير الشبق شهيد الراح بالنساء وطريقة احمانه بهن  
انه يسكن غرفة منفردا فيها وانما زده الاربع تولين تطيب بقية النساء وتقدمهن  
له في غرفته فيختار منهن من يشاء

وعلى ذكر نساء المهدي وما استرسل فيه من قضاء الشهوات البهيمية  
وكيف انتهك الحرمات في سبيل قضاء الاوطار نذكر هنا انه كان لا يضع يده  
في يد امرأة ليست من نسائه ولا من محارمه وكتب منشورا قال فيه . من  
صافح امرأة ليست من محارمه انه مجلد ثنتين جلدة لسوط وثمر بصيام  
شهرين متتابعين . فليتأمل القاري كيف ساغ له التمتع باحترار كموطوات  
بملك اليمين وكيف تغالي في عقوبة من صافح امرأة ليست من محارمه وقد زاد في  
منشوره ( ولو كانت المرأة طاعة في السن أو صغيرة غير مشتهاة ) أفلا يصح  
بعد هذا انطباق المثل المشهور عليه ( يستفتى في الابرة ويبلغ المدررة )

وأما أولاده الذكور فيبلغون العشرة وكان عمر اكبرهم لما توفي هو حوالي  
العشر سنوات والبقية اطفال ليس لهم أهمية تستدعي ذكرهم ولكننا نذكر ثلاثة  
منهم وهم الفاضل ومحمد والبشري وأمهم فاطمة بنت أحمد شرفي التي توفيت  
في جبال (قدير) ويكنى المهدي باولاده الثلاثة المذكورين وتكنيته باسم الثالث  
أكثر شيوعا مع انه أصغر الثلاثة وذلك لانه ولد في جزيرة (آبا) في مبدأ  
دعوى المهدي ووزعم المهدي انه بشر بالمهدوية ليلته ولادته ولذلك سمي البشري  
وأما أطمعة المهدي فان الكلام عليها غريب في بابها فقد كان يظهر  
الزهد وعدم الميل الى الاطمعة وبكثير التنديد بالذين يأكلون غير ما خشن من



الطعام وكثيرا ما كان يربط على بطنه حجرا حتي ذاع بين الناس ان الذين يأكلون الاطعمة الفاخرة كفار لا نصيب لهم من الاسلام ولذلك صار كل أحد يجتهد في اخفاء ما عنده من الاطعمة الدسمة. ولا يخرج امام الناس الاخبز الذرة بادام الماء والملح أو (البابلية) وهي من حبوب الذرة تصلق بالماء وكان المهدي لا يخرج أمام الناس من طعامه غير هذين الطعامين

وقد تغالي المهدي في إظهار الزهد في الاطعمة حتي انه منع إيقاد نار في بيته لطبخ أو خبز مدعيا ان ذلك يناقض التوكل على الله وكان الناس يقدمون له الاطعمة هدية فيكنت ترى القصع محمولة الى منزله كل يوم تعمد بالثلاث فيتناول النساء منها حاجتهن بغير ان يشغلن بطبخ أو خبز

وأما الطعام الذي يتغنى به المهدي فانه يصنع كل يوم في منزل أمين بيت المال فكان يذبح الحرفان الحولية ويصنع ما يتبهما من الحلوي والقطائر وسائر الاطعمة الفاخرة وهرسلها الى منزل عائشة بنت ادريس وهي تقدمها الى المهدي وقت افراذه في غرفته فكان لا يترك من الخروف الحولى غير عظامه عدا ما يتناوله من الاطعمة اللذيذة وقتي الغداء والعشاء أما الفطور فانه كان يتناول فيه اوانا كثيرة كلها من الحلوي فمنها انهم يمزجون رطلا من السمن بمثله من العسل ويضعونه على اللبن ويطبخونه مع دقيق الخلبة وتارة مع دقيق الدخن وأخرى مع دقيق البر ولا يكاد يشرب ماء الا ممزوجا بحامض لبن الابل مع السكر ومع هذا الانغماس في الملاذ كان يظهر أمام الناس بمظهر القناعة والزهد والتشرف كانه لا يملك من نعيم الدنيا غير صرقة التي هي واحدة وكان يكثر من التطيب بالروائح الحارة مثل عطر الصندل والمحلب فكانت رائحته تشم من البعد والبسطاء يعتقدون انها رائحة الجنة تتزوع من عرقه

وقد خرج من الدنيا ولم يدخر لاولاده شيئاً من المال كما انه لم يترك  
عند نسائه حلياً ولا شيئاً من ضرور الزينة لانه قد كان حرم على النساء التحلي  
بجلى الذهب والفضة وغاية ما يتحلين به خرز من الزجاج والمرجان  
هذا وقد ذكرنا انه ابطال تقليد المذاهب الاربعة واصدر للناس  
منشورات ضمنها كثيراً من العبادات والمعاملات

ومن غرائب مذهبه انه تعمد الاجحاف بحقوق النساء في كل ما لهن  
وما عليهن فقال لا يلزم الرجل بنفقة امرأته مادام من المجاهدين في سبيل  
الله وقال ان مهر العذراء لا يزيد على عشرة ريالات ومهر الثيب خمسة ريالات  
ومن زاد على ذلك صردت أمواله. وكان يحبر أولياء المرأة على تزويجها باى شخص  
كان من غير نظر الى كفاءة أو تعادل بين الزوجين مادام الزوج من المجاهدين  
في سبيل الله. وبالجملة فان مذهبه كخلق ليس من نوع الانسان  
وقد سار اتباعه على سيره فكنت ترى عشرات النساء اللواتي أخذهن الامراء  
سبياً من الخرطوم وغيره من المدن يتضورن جوعاً داخل البيوت ولا يقدم  
لهن أولئك الامراء غير قليل من طعام الذرة فاذا ضمنت احداهن وشوه  
الجوع محاسنها أعطاهم مولاها اذناً بالذهب الي منزل أهلها ان كان لها أهل  
فيطمعونها حتى تستعيد نضارتها فتعود الى منزلها

ولقب المهدي عبداً من عبيده بلقب ( خليفة زيد بن حارثة ) رضي الله  
عنه ولقب آخر كان يؤذن له ( بخليفة بلال المؤذن ) ولقب كثيراً من أصحابه  
بالقباة خلفاء الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين وكتب منشورا في كردفان  
أمر فيه الناس أن لا يذكروا اسمه الا مقرونا بالسلام كالانبياء عليهم السلام  
وكانوا قبل ذلك يذكرونه مقرونا بالرضوان ثم كتب منشوراً آخر قال فيه

ان النبي صلى الله عليه وسلم اجتمع به وقال له عليك السلام يا مهدي الانام  
انك لجدير بهذا المقام وانك افضل من بعض الانبياء صلوات الله وسلامه  
عليهم اجمعين وكان كثير من الجهلاء ينادونه بالنبوة والرسالة فلا ينهائم وربما  
تبسم علامة على الاستحسان

ولكن وجملة القول ان المهدي على ما كان فيه من الزيغ والاحاد والزندقة  
وفقدان الذمة فانه كان احسن سلوكا من عبد الله التعايشي وقد احسن الاستاذ  
الشيخ محمد شريف حيث قال مهما يكن المهدي ضالا مضلا فانه خير من  
عبد الله التعايشي وان قال غيره ( ان عبد الله التعايشي سيئة من سيئات المهدي )

### ترجمة عبد الله التعايشي

نورد هنا ترجمة عبد الله التعايشي الذي افضت اليه خلافة المهديوية  
وبعوته انقرضت دولها وركدت ريجها

ولد عبد الله التعايشي بجممة ( الككة ) جنوب دارفور بالقرب من  
(شكا) من قبيلة بدوية اسمها (التعايشة) تسكن هذه الجهة وتعيش بالبان ماشيتها  
التي جلها من البقر ولذا يطلق عليها اسم (بقارة) كما تبيع من لحوم صيد  
ضواري الحيوان كالقيل وغيره

على أنه لم تكن قرابته لهذه القبيلة الا من جهة الارحام فقط  
لان جده المدعو بعلي كان دكروريا استوطن بلاد التعايشة وتزوج  
امرأة منهم فولدت له محمدا المشهور بلقب ( ثور شين ) والد عبد الله  
التعايشي واخوة اقدم احمد المشهور بلقب (دي) وهو والد الامير محمود اسير  
واقعة ( ابره )

وكان جده يحفظ القرآن وكذلك والده ولدرة من يحفظ القرآن في  
 قبيلة التعايشة حاز أبوه شهرة كبيرة لكنه كان فقيراً لا يملك شيئاً من المال  
 بل كان قوام معيشته من صدقات أولى البر والاحسان

وأما لقب (تورشين) فمعناه الثور القبيح الحلقة وهذا اللقب من ألقاب  
 الفروسية بينهم وكلمة الثور منتهى المدح على الشجاعة عندهم أيضاً  
 ومن عوائد التعايشة في صيد الأفيال ان من اصطاد منهم فيلا تقوم  
 امرأته وسط الحي وتصرخ لسكانه وتقول ان زوجي التور ابن النور اصطاد  
 فيلا فلهوا الى أخذ نصيبكم من لحمه فينسلون الى الفلاة وهم يترنمون بالاناشيد  
 في مدح ذلك الثور الذي قتل لهم الفيل ومن مزرعاتهم الدخن والفاصولية  
 عندهم نبات يشبه الارز ينبت في الفلاة دون أن يزرعه أحد

وبجوار قبيلة التعايشة قبيلة من العبيد يطلق عليها اسم (بنضله) بينهم  
 وبين التعايشة صلة المصاهرة والقرابة وبجوار (الككة) بحيرة يصطادون  
 منها السمك فيتم كونه حتى يتعفن وتكثر ديدانه ثم يدقونه في الأهوان  
 ويصنعونه أقعاقاً كقاع السكر الأحمر ثم يطبخونه مع البامية الناشفة (الويكة)  
 وهذا النوع يسمى (مندجي) وكان التعايشي يحب هذا الطعام كسائر  
 قومه وقد سمعته مرة يعط أقاربه التعايشة قائلاً لهم « ان القصعة في الجنة  
 يبلغ عرضها ما بين أم درمان وجبال قديروهي مملوءة بطبخ المندجي أو المصيدة»  
 وأم التعايشي اسمها أم نعيم وكانت ذات شهرة بين التعايشة لانهم  
 يمتقدون فيها اتقان الشعوذة فكان الناس يقصدونها للرقية وأخذ العروق التي  
 يمتقد أهل السودان أن لها خواص للمحبة وقضاء الحوائج وإلجام أفواه  
 الحيات والهوام السامة

وقد تزوجت بنحو عشرين رجلا والد عبد الله التمايشي أحدهم  
وفي سنة ١٢٩٤ غادر التمايشي بلاده مع والده ممتطين عجلا من البقر  
قد ذللاه بنظام على مألوف عادة البقارة الذين يذللون الثيران والبقر ويحملون  
عليها أقالهم من بلد الى أخرى وكانا يقصدان الحج

ولما وصلا الى بلاد الجمع في الجنوب الشرقي من كردفان توفي والده  
بالجدري ثم مات العجل وبقي التمايشي بلا هابة فاعطاه أحد المشايخ حمارا  
سار عليه حتى لحق بالاستاذ الشيخ محمد شريف ومكث عنده حتى كان  
من أمره معه ما ذكرناه عند الكلام على اجتماعه بالمهدي

وكان التمايشي ذا دهاء وحيل فكان لا يجلس امام المهدي الا جاثيا على  
ركبتيه منكسارأسه الى الارض حتى انه كان يزعم أنه لم يقع بعصره أبدا على  
وجه المهدي وكثير من البسطاء يعتقدون صدقه

وكان يشجع المهدي على دعواه ويصف له قبائل دارفور وما عندهم من  
العدد والعدد وما هم عليه من الجهالة وما يمكن ان يصادفه من نجاح  
دعوته بين ظهرانيهم فسر به المهدي وأمره بالعودة الى بلاده كي يحضر  
امرأته التي كان تركها في بلاده فذهب وعاد بها ومكث عند المهدي حتى صارت  
واقعة (آبا) ويقول البعض ان المهدي أصيب برصاصة في ذراعه فإشار عليه  
التمايشي باخفاء جراحه لئلا يعتقد فيه من حوله انه ليس ذا خاصية تميزه عنهم  
فصدع بمشورته

وعندي ان هذا القول عار عن الصحة لانه لو أصيب المهدي في تلك  
الواقعة لما اطلع عليه التمايشي وحده حتى يلقنه هذه السموة والحقيقة التي سمعتها  
ان المهدي اراد ان يركب فرسا في تلك الواقعة فقل له التمايشي

إذا لا يكون في مقاتلتك فارس غيرك ولا يشك العدو في أنك المهدي  
فيصوب مقدوفاته عليك فترك ركوبها وركبها أحد اتباعه فانهال عليه رصاص  
الجنود كالطير نحر صريما يتخبط في دمه

ولما سار المهدي الى جبال (قدير) وكان التعاشي بقاريا مثل الاعراب الذين  
التفوا حول المهدي في هاتيك الجبال صار يستعين به على تهذيب اخلاقهم  
وطباعهم واستمالهم بالطرق التي تجذبهم اليه ومن ثم صار مشيرا للمهدي  
ووزيرا مفوضا اليه كثير من الامور وكان أقارب المهدي يبغضونه ويحتقرونه  
حتى أصدر المهدي المنشور الذي تقدم لنا إرادته بالثناء عليه فكفوا عن أذيته  
وأسروا عداوته

وكان التعاشي يمالئ المهدي ويرضي بالقليل من العيش فكان لا يتطلب  
من بيت المال الا ما يسمح له به أمينه (أحمد سليمان) الذي كان يبغضه ولا يعطيه في  
الشهر اكثر من مائة ريال ويخص الخليفة شريفه وأقارب المهدي بالنصيب الا وفر  
من بيت المال وقد رأيت أحمد (دي) عم التعاشي ووالد الامير محمود يتسول على  
منازل الناس وكذلك بقية أقاربه التعاشية الذين كانوا وقتئذ زهاء ثلاثين رجلا ولكن  
ذلك كان قبل ان تفضى خلافة المهديوية الى قريبهم

### خلافة التعاشي

لما توفي المهدي وبويع عبد الله التعاشي ظهرت على الناس الكتابة سيما  
أقارب المهدي وأحمد سليمان بيت المال فانهم كانوا في وجل شديد من مغبة  
انتقامه منهم أما هوفكما قدمنا كان اكثر منهم دهشة وأشدم خوفا من موت  
المهدي وما ينجم عنه من سوء المعاقبة وقد أسر الى ذوى قرابته أنه يخشى تقدم

جنود الحكومة الى أم درمان لاعادة سلطتها على تلك الانحاء ولذلك عول على الاتفاق مع الخليفين علي بن حلو ومحمد شريف على ان يقتصموا البلاد فيما بينهم فيكون قسم التعاشي اقليمي كردفان ودارفور ويكون للخليفة علي بن حلو البلاد التي على ضفة النيل الابيض وسائر ما يتبعها ويتبدى ذلك من أم درمان الى الجنوب ويكون للخليفة محمد شريف شمال أم درمان والبلاد التي على النيل الازرق حتى دنقلا والسودان الشرقي برمته

وقد فاوض التعاشي ذينك الخليفين في أمر هذه القسمة فأظهر الخليفة علي بن حلو استيائه منها وقال ان بلاد النيل لابيض لا تكفيه ولا بد من ضافة بلاد النيل الازرق عليها فأبى الخليفة شريف وقال ان الاراضي التي في قسمه هي الحد الفاصل بين مصر والسودان ولا ريب انه سيقوم بالدفاع عنها ولذلك يجب ان تضاف كردفان الى نصيبه فلم يرض التعاشي بهذه القسمة فامترقوا وفي نفس كل واحد من الحق على الآخر ما لا يوصف

أما التعاشي فكان يمرض ما يدور بينه وبين الخلفاء على الحاج الزبير رئيس حراسه وقتئذ وكان من أهالي مديرية بربر فاخذ يثبط عزيمته عن اتمام هذه القسمة ويمانه بان البلاد كلها ستخضع له وانه يقدر على جعل الملك ورأياً في آل بيته وان الخليفين على حلو ومحمد شريف لا تخشي مغيبتهما اذ هما غران يخدعان بمثل الكاذب المهدي وما ينتحله من الخرافات ويقول له ليس عليك من حرج ان اتيتهما من هذا السبيل فانهما ان اذعننا لك حفظا كرامة المهدي الذي فتح هذا السبيل وان كذباك فان العامة تصدقك كما كانت تصدق المهدي ويمكنك ان تدرع بهذا التكذيب الى اسقاط منزلتيهما والايقاع بهما

وعلى أثر ذلك اذ من عبد الله التمايشي لمشورة الحاج لزيير وعدل عن  
 طلب الهجرة الى كردفان للاقلال باملاكها كما انه من ذلك الحين طرح  
 مرقمته الرثة البالية التي كان يلبسها قبيل وفاة المهدي إظهاراً للزهد وأبس  
 مرقمة من نوع ما كان يلبسه المهدي وتعمم على قبايل مكية كالتي كان يعمم  
 المهدي عليها وصنع له كوخا من البوص في المسجد على هيئة مقصورة وأمر  
 الناس ان يحدوا حذوه فصنع كل واحد منهم كوخا في المسجد حتى اتصلت الاكواخ  
 ببعضها وأمر الناس بترك صلاة الجماعة في أي مكان كان واد لا يصلح أحد في  
 أم درمان بجماعة غيره وشدد عليهم في ملازمة قراءة (راتب المهدي) في  
 الصباح والمساء

وراتب المهدي هو أوراد وأدعية بعضها من المسببات التي تنسب  
 لمولانا الامام الدردير ومنها ما هو من الادعية والتوسلات التي تنسب الى  
 حجة الاسلام الغزالي ومع شهرة مصدر هذا الورد التي لا تخفي على غير  
 الاغبياء ادعى المهدي ان النبي صلى الله عليه وسلم لقنه هذا الورد بكلمة بكلمة  
 وحكي من فضائله وثواب من واظب على قراءته خرافات واكاذيب يقصر  
 القلم عن التعبير عن بعضها منها ان من قرأ هذا الورد نزل خمسمائة الف  
 من الملائكة كالذين نزلوا يوم بدر ليحفظوه وينصروه وان تلاوته مرة واحدة  
 تعادل تلاوة القرآن الف مرة ومثل ذلك كثير حتي قال المهدي ان المواظبين  
 على قراءته ينالون مقامات الانبياء صلوات الله وسلامه عليهم

وكان المهدي شدد في النهي عن قراءة الصلوات النبوية المعروفة باسم  
 دلائل الخيرات مدعيا ان ثوابها نسخ براتبه وسيأتي في غير هذا المكان  
 مصادرة أموال من يتهم بقراءتها والحكم بكفره وأظهر التمايشي للناس تواضعا



ولينا وخفض كثيراً من حدته التي كانت معلومة عند العموم حتى ذع بين  
 الملأ ان السكينة نزلت عليه وقال هو ان روح المهدي حلت فيه وان اخلاقه  
 لا بد ان تتبع الروح انما حلت

هذا ولم يكن القول بالتناسخ مذهب عبد الله التمايشي فقط بل هو  
 مذهب سلفه المهدي الذي كان يزعم ان روح النبي صلى الله عليه وسلم  
 حلت فيه

وجملة القول ان عبدالله التمايشي قبض على زمام البيعة وهو مضطرب  
 وكان لا يدري كيف يدير دفتها كما كان شديد الخشية من انتقاض الخليفة شريف  
 واقارب المهدي عليه اذ هم اشد قوة منه وأكثر عدداً من رجاله ولذا لبث  
 كأنه واحد من الخلفاء لا يقطع أمراً بغير مشورتهم ولا يعمل بغير ارادتهم  
 منتظراً ما يكون من أمر مدينتي سنار وكسلا للتين كانتا على وشك السقوط

### اول اكاذيب التمايشي

ذكرنا ان الحاج الزبير أشار على عبد الله التمايشي بولوج باب الكاذب  
 المهدي فكان أول الكذوبة وضعها بعد مهلك المهدي بشهرين أن أصدر  
 منشوراً قال فيه ما يأتي

بعد ان أدت صلاة العشاء بالمسجد دخلت الى منزلي وبينما أنا جالس  
 في مصلاي اذ دخل عليّ شخص طارقي من رؤيته لانه لم يكن من نوع  
 الانسان لان رأسه كانت تناطح السحاب وخصيتهاه كجبلين عظيمين فلم أتمالك  
 نفسي من الخوف فصحت مستغيثاً بالمهدي فأخذ ذلك الشبح يتقاصر ثم

جلس امامي وقال لي السلام عليك يا خليفة المهدي بل أنت المهدي نفسه فقلت  
وعليك السلام من أنت فقال أنا ملك من ملوك الجن كنت ساكنا وراء  
جبل (قاف) لذي يبعد عن هذا المكان مسيرة خمسمائة عام وقد مضى على  
خمس سنوات وأنا سائر بقومي من ذلك المكان لادرك المهدي فكان من  
أمرنا ان الحضرة عليه السلام قابلنا وهو يبكي ويصرخ قبل أن نبلغ العمران  
البشري وأخبرنا بموت المهدي وخلافتكم عنه فلما وصلنا العمران البشري وجدنا  
جماهير الاولياء ومجامع الملائكة في المساجد الكبرى يقيمون ماتم المهدي فاشتغلنا  
معهم في اقامة شعائر الماتم ثم غادرنا المسجد الحرام بعد عصر اليوم وعسكرنا  
في البقعة التي تلي محل (العرضة) استعراض الجنود ومعى ستون ألف فارس  
من الجن غير المشاة قال التعايشي فقلت ومن أعلمك بظهور المهدي  
قال أعلمنا الحضرة عليه السلام منذ ظهوره في جزيرة (آبا) فغادرنا جبل (قاف)  
منذ ذلك وكنا نسير في السنة مسيرة مائة سنة فقلت ما تقصدون قال نقصد بيعة  
المهدي وادراك فضل صحبته والجهاد معه فقلت وفي أي المساجد أقيم ماتم  
المهدي فقال في المسجد الاقصى وفي المسجد الحرام وفي المسجد النبوي ثم  
دنا مني وطلب مني أن أبايه فبايعته بيعة المهدي وأمرته بالبقاء في المكان الذي  
يلي محل الاستعراض

ثم سأله التعايشي عن عمره فقال انه ولد في زمن ابراهيم الخليل صلى  
الله عليه وسلم وانه صار ملكا على قومه في زمن موسى الكليم صلوات  
الله وسلامه عليه

ولما نشر التعايشي المنشور المتضمن هذه الاكذوبة سر الناس  
بامر الجن الذين جاؤا لمساعدتهم وفي انفسهم ركب التعايشي بخيله ورجله

وتوجه للمحل الذي نزل فيه أولئك الشياطين ولما دنا منه أوقف الناس ثم تقدم هو بفرسه واطال الوقوف والناس ينظرون اليه والي ما يأتيه من الحركات كأنه واقف يعظ أوسبايع وبعد بضع ساعات عاد فأخبر الناس بأنهم بايعوه وأنه كان مشغولاً بترتيب فرقهم وتولية القواد عليهم مثل ترتيب جيش المهديّة ثم قال أنهم رغبوا إلى أن أشيد داراً لي بجوارهم كي أتردد عليها وتكون موعداً بيني وبينهم كلما دعت الحال للمقابلة

ومن المضحكات أن رجلاً دكرورياً كان له كوخ بالقرب من ذلك المسكن فاحتمل متاعه في ذات يوم ومعه امرأته وبنته وجاءوا إلى التعاشي في المسجد فسألهم عن حالهم فقالوا إن لنا كوخاً بالقرب من محل العرضة وقد هجرناه لكثرة ما فيه من الضوضاء والنيران وصهيل خيول الجن وسائر حركاتهم التي أفقدتنا النوم واطارت قلوبنا خوفاً وفزعاً فضحك التعاشي وقال لهم ما الذي أطار نومكم وأفزعكم ألم تعلموا أن هؤلاء الجن صاروا من أتباع المهدي وأنهم خاضعون لحكمي ولا يجسرون على أذى أحد من أنصار المهدي وأن أحكام المهديّة تجري عليهم كما تجري عليكم فقالوا ياسيدنا الحليفة إن خلقتهم غريبة مخيفة ففهم رؤس بلا جثث ومنهم جثث بلارؤس ومنهم الطيارون ومنهم ومنهم فقال عودوا إلى مكانكم ولا تخافوا فرفعوا أصواتهم بالبكاء وقالوا نحن فقراء لا نملك غير هذا الكوخ وقد تركناه لهم فاسترسل التعاشي في الضحك الذي يشف عن السرور وأمر باعطاء الرجل خمسمائة ريال بدل كوخه وإن يعطي من بيت المال راتباً يقوم بحاجة عائلته

وسمعت التعاشي يوم ذهب لمبايعة الجن على زعمه يسأل الذين أدوا صلاة المغرب خلفه قائلاً لهم هل رأيتم شيئاً أو أحسستم بشيء فسكت أكثرهم

وقال البعض قد أحسننا برهبة ونحن في الصلاة فقال لهم ان عيسى عليه السلام صلى معكم مأموماً بنى وأشار الى المكان الذي صلى فيه فهرع الناس اليه يتبركون به وأحيط ذلك المكان بزريبة من الشوك ليبقي معروفاً عند كل من يقصده من الزائرین

## ذكر دعوة التعاليسي اهلالي السودان

لاداء فريضة الحج بام درمان

كان المهدي قد نهى الناس عن السعي لاداء فريضة الحج مدعيان ان البيت الحرام في ايدي الكفار ونشر جملة منشورات بهذا المعنى وكان يزعم ان مرافقته للجهاد خير من السعي لاداء الحج وزعم ان الهجرة معه كالهجرة مع النبي صلى الله عليه وسلم وهي أفضل من الحج وتغالي حتى قال ان رؤيته تعدل ثواب سبعين حجة

ولما هلك المهدي اجتمع التعاليسي والخليفتان على حاو ومحمد شريف وقرروا فيما بينهم وضع الكذوبة ماسمع في الاسلام بمثلها الا ماسمع من أمر على بن مهدي صاحب اليمن في القرن السادس من الهجرة وهي ان يصعدوا منشوراً يقولون فيه ان الحج الى البيت الحرام قد أبطل وعزموا على تشييد كعبة في أم درمان وجعل جبل (كررى) بدل جبل عرفات لتقام بهما شعائر الحج ويزور الناس قبر المهدي بدل زيارتهم قبر النبي صلى الله عليه وسلم وفعلاً شرعوا في اعداد ما يلزم لابرار هذه الضلالة حتى قالوا ان حفر بئر زمزم يكون بعد الوقوف بجبل عرفات واداء صلاة العيد بمنى ثم يرحلون الى البيت الحرام فيحفرون بئر زمزم ويعودون لقضاء أيام التشريق بمنى

ولما اذاع الخلفاء هذا الخبر دخل رجال من أهل العلم بعضهم من ذوي قرابة المهدي على أولئك الخلفاء، واخبروهم ان هذا الامر لو تم كان دليلاً قاطعاً على كذب دعوي المهديّة وخروجهم جميعاً من الاسلام كما تخرج الشجرة من العجين فانصاع أولئك الجهلاء وجمعوا الاوراق التي وصلت ايدي الناس واتلفوها ومنعوا الناس من الكلام في هذه المسألة ومن تكلم جلدوه ثمانين جلدة اه

### ذكر مسألة الشعرة من حمية المهدي

ذكرنا ما كان لاحمد سليمان أمين بيت المال من المنزلة السامية عند المهدي وانه كان واقفا على اسراره وكنه أعماله وكان أحمد المذكور ذا دهاء يظهر امام الناس بالزهد والورع ويروي للناس انه رأي من كرامات المهدي ما هو كيت وكيت ويختمق من الاكاذيب ما يحيله العقل . ومن اكاذيبه انه جاء الى التعالشي وكان جالسا مع الخلفاء وأخرج من جيبه حقاً من الحشب وفتحها واخرج منه شعرة وقال يا خلفاء المهدي ان المهدي قبل مرضه بنحو أسبوعين أخبرني بأنه راحل من هذه الدنيا ونزع من لحيمته السكرية شعرة ثم قال لي يا حبيبي أحمد خذ هذه الشعرة وابتلعها بعد وفاتي فان فيها سرّاً من اسرار المهديّة وبعد ان تموت وتلحق بي أخبرك بهذا السر فوثب عليه الخليفة عبد الله التعالشي وأمسك بيده وقال له ان هذه الشعرة كانت امانةً عندك وقد أمرني المهدي باستلامها منك وكان الحضر عليه السلام حاضراً فسلمها أحمد سليمان له فابتلعها وأصدر منشوراً قال فيه ان في هذه الشعر سر المهديّة وقوة خلافتها

## ذكر وقائع سنار وسقوطها

تقدم لنا ذكر وقائع سنار التي حصلت قبل مهلك حملة هيكس.

ولما ذبحت هذه الحملة قويت عزائم الدراويش وأحاطوا بها وضيقوا عليها وبعد سقوط الخرطوم وثب النور بك محمد قومندان الجنود النظاميين ومعه عثمان بك الدالي الصنجق وقبضا على المدير حسن صادق بك وسجنناه في داره لاسباب لا نعلم كنهها والظاهر ان لاسبب لها الا سوء الظن بذلك المدير الذي لا يشك أحدي في براءته من وصمة مانسب له

وبعد ان مكث المدير أشهراً في السجن اجتمع القواد ودخلوا منزله وأطلقوه من عقاله واعتدروا له وكان العدو محاصراً للمدينة فخرج عليه المدير في قوة كبيرة وهجم على موقعه ومزق شمله كل ممزق وعاد الى المدينة ظافراً منصوراً حتى اذا اقترب منها التي عصا سيره للراحة من وعشاء السفر وتناول الطعام عند مكان اسمه (الجهيزات)

وبينا كانت الجنود وقوادهم مشتغلين بتناول الطعام اذ هجم عليهم العدو على غرة من جهتي النهر والقلاة واعملوا السيف في رقابهم فتمكن كل من النور بك محمد وعثمان بك الدالي من جمع شمل بعض الجنود حيث قاتلوا متقهقرين حتى بلغوا معقل المدينة

أما المدير حسن صادق بك فقد تمكن العدو من الفتك به حيث فاجأه وهو يريد ركوب فرسه بضربة كانت القاضية

ثم ان القائم مقام حسن عثمان بك كر على الدراويش بقوة ألزمتهم الفرار من وجهه وتمكن من حمل جثة المدير الى المدينة حيث دفنت هناك بالاكرام

اللائق وكانت هذه الواقعة في شهر جمادى الاولى سنة ١٣٠٢  
 وفي شهر جمادى الآخرة وصل محمد عبد الكريم بمقاتلته لحصار مدينة  
 سنار وقد ذكرنا ان المهدي بعثه بنحو عشرين الف مقاتل  
 وفي اواخر شهر شعبان وصلت الى المهدي اخبار بان حامية سنار  
 خرجت على معسكر محمد عبد الكريم وانتصرت عليه فأرسل الى التمة يستدعي  
 عبد الرحمن النجومي بمقاتلته فوصل الى أم درمان بعد وفاة المهدي بأسبوع  
 وفي أوائل شوال سنة ١٣٠٢ وصل الى حامية سنار نبأ وفاة المهدي  
 فقويت عزيمتها وخرجت على معسكر محمد عبد الكريم مهاجمة فاصيب محمد  
 عبد الكريم برصاصة في فخذه ثم انهزمت مقاتلته شر هزيمة وغنمت  
 الحامية معسكرهم

ولما اتصل بالتماشي خبر هزيمة محمد عبد الكريم انفذ عبد الرحمن  
 النجومي الى سنار كما كان المهدي يريد انفاذه اليها حين استدعاه من التمة  
 وفي أوائل شهر ذى القعدة سنة ١٣٠٢ وصلت درجة المجاعة في سنار  
 الى فقدان القوة بالكلية فتمر الجنود على قوادهم وشقوا عصا الطاعة وخرج  
 كثير منهم واسلموا نفوسهم الى العدو الذي تشددت عزيمته وعاد الى موقفه  
 الاول من الاحاطة بمعقل المدينة وتشديد الحصار عليها  
 ووصلت الى المدينة اخبار زحف عبد الرحمن النجومي عليها فاسرعت  
 بطلب التسليم مع وفده ارسلته الى محمد احمد شيخ إدريس من أقارب المهدي  
 ونائب محمد عبد الكريم الذي كان وقتئذ طريح الفراش من الاصابة بالرصاص  
 في الواقعة الاخيرة

وعند وصولها عقدت شروط الصلح بين الحامية والدرأويش على ان لا يأخذ

الدرأويش غير مال الحكومة وان لا يعتمدوا على احد من الالهين في ماله وعرضه  
 وعلى هذا الشرط اسلمت الحامية نفسها فنكث الدراويش العهد على مألوف  
 عاقبتهم ومدوا ايديهم الى الاعراض وعذبوا سكان المدينة الذين جلبهم  
 من المصر بين عذاباً اليماً وغنموا منهم شيئاً بعد بعشرات القناطير من الذهب  
 الذى يوجد بكثرة فى مدينة سنار حيث ان منابع النيل الازرق التى يوجد بها  
 هذا التبر داخلة فى دائرة مديرية سنار واهل سنار مشهورون بادخار الذهب  
 بكثرة وقد عذبهم الدراويش عذاباً يفوق الذى وصفناه فى عذاب أهل  
 الخرطوم وهتكوا اعراضهم كما هتكوا اعراض اهل الخرطوم

وبعد مضى شهر على هذا التعذيب هدموا المدينة كلها وزحفوا بالأسرى  
 الى أم درمان فوصلوها فى أوائل شهر ذى الحجة الحرام ختام سنة ١٣٠٢  
 هذا وقد وصل عبد الرحمن النجومى سنار بعد سقوطها ببضعة ايام  
 ولم ينل من الغنيمة شيئاً

على ان حامية سنار كانت تستطيع النجاة لو قصدت حدود الحبشة قبل ان  
 يصل اليها محمد عبد الكريم. وقد بلغنى ان المدير كان ينوى سحب الحامية الى  
 جهة حدود الحبشة بعد أن علم بسقوط الخرطوم لفهمه ان الانكاز لا يتقدمون  
 لانتفاذ سنار بعد سقوط الخرطوم بخالفه اللذان سجناه معتقدين خلاف ذلك  
 والخلاصه ان نجاة حامية سنار كانت ميسورة لو لم يسجن المدير

حسن صادق بك

هذا وقد أصدر التعاملى أمرًا باعتبار مدينة سنار كمدينة ثمود تحرم  
 سكانها والاستقاء بمياهها  
 وقد اغتال الامراء الاموال ولم يقدموا البيت المال عشر الغنائم فمغيظ



عبد الله التعايشي واصر على الانتقام منهم وسنعود الى ذكر هذا الانتقام في محله

وأخذ التعايشي نحو عشرين امرأة من نساء المصريين كانوا في تلك المدينة مسبيات وادخلهن منزله. والخاصة ان سكان سنار جلهم مصريون مثل سكان الخرطوم وقد نالوا نصيبا من التعذيب والنهب وهتك الاعراض كالذي ناله اخوانهم في الخرطوم أو أشد وما الله بغافل عما يعمل الظالمون



### حوادث كسله وسقوطها

كسله اسم مدينة هي عاصمة اقليم (التاكا) الذي بين محافظتي مصوع وسواكن وحدود الحبشة وأغلب سكانها مصريون مثل سائر مدن السودان وكانت محصنة بسور منيع من الحجارة وفيه أبراج ومعدات الدفاع متوفرة فيها منذ دخلت في املاك الخديوية المصرية على عهد ساكن الجنان محمد علي باشا عزيز الديار المصرية

وكان السيد محمد عثمان الميرغني نازلا في قرية (الختمية) بجوار كسله وهي قرية أسسها جده السيد محمد عثمان الميرغني وقد تقدم لنا ان المهدي كان يدعو السيد محمد عثمان الميرغني الى الدخول في دعوته وكان يوالي ارسال الانذارات له تارة بالوعد وأخرى بالوعيد ففر من قرية الختمية لما رأى ان الخطر يقترب من جهته

وبعد فراره خندق بقية سكان الختمية على قريتهم وأمدتهم الحكومة بالاسلحة والذخيرة والجنود

وفي محرم سنة ١٣٠١ قدم الى كسله مصطفى هديل داعية من قبل

عثمان دقنه فتبعه جميع السكان ورفعوا الواء العصيان على الحكومة فارسل  
أحمد عفت بك المدير قوة تهاجم موقع تجمع العدو فعادت بخسارة عظيمة  
وكانت نساء العصاة (الهندنوه) يقاتلن مع أزواجهن ولهن فظائع ما سمع  
بمثلها في الدنيا فقد كن يحملن وراء أزواجهن قطعاً من الخشب فيجهزن بها  
على الجرحي وينزعن الملابس عن اشلاء القتلى ويضعن في دبر كل قتيل قطعة  
من الخشب طولها ذراع فيولجن في الدبر نصفها ويبقى النصف بارزا وي طرحن  
الجثث على وجوهها ليصير هذا المنظر الشنيع معرضاً لنظر المارة

على ان هذه الفظيمة لم تكن من عنديات تلك النسوة بل ان مصطفى  
هدل هو الذي قال لهن عن مثلت منكن بالقتلى هذا التمثيل بنى الله لها  
بيتاً في الجنة

وكان مصطفى هدل هذا جاهلاً ضالاً وفي غضون حصاره كسله كان  
يزعم ان النبي صلى الله عليه وسلم أخبره بكيت وكيت  
وفي أواخر شهر ربيع الآخر هجم الدراويش على كسله فالزمتهم الحامية  
بالتقهقر بعد ان تكبدوا خسائر جسيمة

وفي شهر جمادى الآخرة اشتد الحصار وارتفعت اثمان الاقوات  
وفي شهر شعبان سنة ١٣٠١ بينما كانت الحكومة تان الانكليزية والحديوية  
تداولان في انفاذ حملة تنقذ غردون اتفقت الحكومة الحديوية مع يوحنا  
نجاشي الحبشة على انقاذ حاميات الحكومة التي في السودان الشرقي وتنازلت  
له عن بعضها

وفي هذا الشهر أيضاً أحس مصطفى هدل بضعف في حامية خندق الحتمية  
فصمم على أخذها عنوة فخاب سعيه حيث دفعته الحامية وهزمته شر هزيمة

وفي شهر رمضان سنة ١٣٠١ سعي ماسون بك الامريكاني في اخلاء كسله واجلاء الحامية عنها فلم يفلح لان الجنود رفضوا ان يفروا بغير عائلاتهم التي لا تستطيع الفرار

وقد لبث ماسون بك يخابر المدير أحمد غفت في الانسحاب من كسله فكان يجاوبه باستحالة ذلك ثم غادر ماسون بك مصوع ولم يفلح في سحب الحامية من تلك المدينة

هذا وقد كان انقاذ كسله ميسوراً بسبب قربها من حدود الحبشة ولكن أشياء كثيرة كانت من أقوى الاسباب التي ساعدت العدو على امتلاك المديرية. منها ان النجاشي يوحنا بعد ان أصدر أمره الى الرأس الولا بالقيام لانقاذ كسله عاد فنقض أوامره الاولى وكان سبب ذلك على ما علمته ان الدراويش كانوا يخادعونو ويهدونه بالمخالفة والمعاضدة وكان في المدينة بعض جواسيس يطلعون الدراويش على كل اسرار الحكومة وما يدبره المدير وكان الرأس الولا يخبر المدير ويطلب رأيه في ترتيب الزحف على المدينة لانقاذ حاميتها فكان المدير يجاوبه فيسرع أولئك الخائثون بابلاغ الدراويش مادار بين المدير والرأس الولا من المخبرات

ولما وصلت انباء سقوط الخرطوم الى شرقي السودان قويت عزيمته محاصري كسلة وأرسل عثمان دقنه بالامداد لهم ثم تلاه قدوم الشيخ الحسين زهراء ومن معه من المندوبين وقد تقدم لنا ذكر بعثتهم قبل وفاة المهدي وفي أواخر شهر جمادى الآخرة عرض (شرمشيد باشا) محافظ شواطئ البحر الاحمر على النجاشي يوحنا عشرة آلاف بنديقية ليتقدم لانقاذ حامية كسله ولكن في غضون ذلك كانت المجاعة قد برحت بالحامية حتى أكلوا

## الكلاب والجرفان

وفي شهر رجب سنة ١٣٠٢ رحلت المجاعة بحامية الختمية فعزم السيد بكرى ابن عم السيد محمد الميرغني على التوجه لكسلة لينضم الى من بها من رجال الحكومة وفملا سار بنحو الف رجل فصادفهم في أثناء سيرهم مصطفى هدل وجنوده فذبحوا كل من كان مع السيد بكرى وجرح هو جرحاً بليغاً ثم شرعوا في الهجوم على معقل الختمية لاستئصال من به من الحامية التي تمكنت من التفتقر بانتظام حتى دخلت معقل كسلة. ولقد أتى السيد بكرى من الاعمال الشريفة ما يناسب منصبه ويشهد له ولعائلته بطهارة الاصل وعراقة المجد

وفي منتصف شهر شوال سنة ١٣٠٢ فقدت الحامية كل أمل في النجاة كما فقدت القوات حتى قال لنا أحد المحصورين انهم طلبوا الارب من الذرة باكثر من الف ريال فلم يظفروا

وعلى أثر ذلك عقد المدير أحمد عفت بك شروط الصلح مع الامناء الذين انقذهم المهدي قبل وفاته على ان لا يمدوا أيديهم لغير ملاحكوة من المال والذخيرة فخرجت الحامية وسلمت نفسها في منتصف شهر شوال سنة ١٣٠٢ فامسكوا المصريين وعذبوهم ونهبوا اموالهم مثل ما حصل في الخرطوم وغيرها ومات كثيرون تحت الضرب والتعذيب وحمل جل المال الي أم درمان واحد عشر مدفماً من الطرز الجليلي العتيق وأبقيت نحو تسعة مدافع تحت تصرف عثمان دقنه وغنموا أيضا نحو عشرة آلاف بندقية وشيئاً كثيراً من الذخيرة ولله الامر من قبل ومن بعد

## ذكر اول واقعة بين الدراويش والاحباش

بعد سقوط كسلة في قبضة العدو بثلاثة أسابيع قدم عثمان دقنه من سواكن ومعه زهاء عشرين الف مقاتل وقد استنفر الناس فاجتمع لديه نحو خمسين الف مقاتل زحف بهم الي ( كوفيت ) في حدود الحبشة وتحصن في المعقل الذي كانت حامية الحكومة متحصنة فيه قبل جلاشها عن ( كوفيت ) وهناك أرسل كتاب تهديد الي الرأس الولا فورده الرديانه سيقدم عليه يوم كذا وفي ذلك اليوم هجم الرأس الولا على عثمان دقنه في ثمانين الف مقاتل من الاحباش فاداطوا بالمقل احاطة السوار بالمعصم فخرج عثمان من المعقل بمقاتلته فهاجمه الاحباش هجمة الاسود الضواري على فراسها فسقط جيشه كله قتلى واستطاع هو النجاة ومعه نحو خمسمائة مقاتل فظن ان الاحباش يتأثرونه الي كسلة فيستولون عليها حيث لا مقاتلة فيها يدفعون عنها غارتهم ولذا عاد عثمان دقنه الي كسلة وهو لا يصدق بالنجاة وكانت هذه الواقعة في شهر ذي الحجة سنة ١٣٠٢ ويقال ان تقدم الاحباش كان لانتفاذ كسلة فكان شأنهم معها مثل شأن الانكيز مع الخرطوم حيث جاؤهابعد ان سقطت في قبضة العدو

## ذكر قتل المدير احمد عفت ومن معه من القواد

لما رجع عثمان دقنه من ( كوفيت ) قبض على المدير أحمد عفت ومعه الصنjq حسن آغا سليمان الالباني ومعتوقه احمد أفندي شوقي معاون مديرية ( التاكا ) وتاجران يونانيان يدعي احدهما استيلى والثاني بادروس واودعهم السجن

بعد ان وضع في أرجلهم من القيود مائتة بحمله الدواب وغل رقابهم باغلال الحديد وتركهم في اعماق السجن بلا طعام ثلاث ليال ثم دخل عليهم السجن وقال لهم قوموا الى الصلاة فقال له احمد عفت بك هل نطبق القيام ونحن بهذه الاغلال مع ما نحن فيه من وهن الجوع فذهب الى عثمان دقنه وأخبره بما قاله احمد عفت بك فقال ليحضروا امامي فسيقوا اليه يرسفون في القيود والأغلال كأنهم أشباح بلا ارواح فسأل عثمان دقنه احمد عفت بك عن سبب امتناعه من الصلاة فأجابته بمثل ما اجاب به السجن فامر بضرب اعناقهم فآظروا جميعاً الفرح والارتياح وتقدم شوقي عتيق احمد عفت بك الى السيف وقال له أمهاني حتى اصلى ركعتين فامهله ثم قال له انى اسألك بحق مهديكم ان تضرب عنقي قبل سيدى أحمد عفت بك فمد عنقه غير هيب لشيء فضربت ثم مد أحمد عفت بك عنقه مع الجلد والشجاعة فضربت أيضاً ثم مد الصنجق حسن اغاسليمان عنقه فضربت ثم تلا ذلك ضرب عنقي اليونانيين استبلى وبادروس

### شان اهل الخرطوم بعد ذلك

ذكرنا ما كان من أمر المهدي مع أهالى الخرطوم وقد أوردنا صورة المنشور الذى أصدره المهدي لاهالى الخرطوم وعلى اثره سمح لهم بالاقامة فى الامكنة المتخربة من المدينة واخذوا فى السعى للارتزاق بالمهن الدنيئة مثل صناعة الجبز وفتح حوانيت الاطعمة وهم فى كل آن عرضة لصنوف الاضطهاد وفى كل يوم يقع بعضهم فى تهمة إخفاء المال فيعاد تعذيب الواحد منهم بما يقشعر منه البدن

هذا وقد ذكرت انني كنت اقامت بكوخ في أم درمان بجوار منزل يوسف منصور وبعد وفاة المهدي كانت لي زوجة على وشك الوضع كنت زوجها قبل سقوط المدينة وهي بنت احد الضباط المصريين العظام فانتقلت الى الخرطوم للحصول على قابلة مصرية بها وما كانت تُمضي على ايام حتى نمت الى ان الحاج خالد العمرابي كتب الي التعاشي يقول ان ابراهيم فوزي قدم الخرطوم وهو يسمي في توحيد كلمة بني جلدته المصريين للقيام بعمل ضد المهدي فما شعرنا في احدي الليالي الا بالنداء بان كل ذكر من الذين خرجوا من خندق الخرطوم يهدر دمه اذابات في المدينة بل يجب ان يكون في البقعة التي عند نقطة ملتي النهرين الابيض والازرق وبينما كان الرجال يودعون اطفالهم ونساءهم للخروج الى محل الاجتماع اذ عاد النداء بوجوب خروج النساء والاطفال الى ذلك المكان أيضا خرجنا بنسائنا واطفالنا ونحن في حالة لا أقدر على وصفها وبعد وصولنا الى تلك البقعة جاءنا دراويش من أم درمان اخبرونا بان المراد من هذا الاجتماع قتل ابراهيم فوزي (المؤلف) وبيع بقية المصريين ارقاء ففضينا تلك الليلة فراشنا الارض وغطاؤنا السماء فكنت لاتسمع غير صياح الاطفال وعويل النساء

وفي اليوم التالي مكثنا الى قرب منتصف النهار حتى جاءنا التعاشي ممتطيا حماراً يحيط به نحو الف حارس وامامهم أشخاص ينفخون في ابواق من العاج بصوت مزعج متقطع وهذه الابواق تسمى ( أم بايه ) وسيأتي ذكرها في وصف موكب الخليفة

ولما دنا التعاشي من موقفنا أمرنا بالوقوف مصطفين رافعين أصواتنا بالتهليل ثم استدعاني من وسط الصفوف ومعي بضعة أشخاص من أعيان

الخرطوم ولما مثلنا بين يديه خاطبنا بما يأتي  
 « أيها الأتراك أهالي الخرطوم فضلة سيف المهدي عليه السلام انكم  
 أضلتم الناس وغررتموهم بدياركم فلماذا أيها المنافقون أقمت بالخرطوم ولم ترحلوا  
 الى أم درمان فهل أتم لا تزالون مكذبين للمهدي أو ما هو السبب » فاجبته قائلاً  
 ياسيدنا الخليفة نحن نعوذ بالله من ان نكون مصرين على تكذيب المهدي  
 ونحن نعترف امامك باننا مؤمنون بالمهدي وخلفائه والذي منعنا من الاقامة  
 بام درمان هو عدم قدرتنا على تشييد الاكواخ فيها وتمكننا من الاقامة في  
 خرائب الخرطوم بغير مشقة فاجابني التعاشي وهو منعم بالغضب أنت منافق  
 ولا أرى غير ضرب عنقك فقلت له ياسيدي الخليفة أنت تعلم الغيب وما تخفيه  
 الصدور وان الحضر عليه السلام وزيرك ومشيرك وقد قال فيك المهدي  
 عليه السلام انك أوتيت الحكمة وفصل الخطاب فاطرق بوجهه الى الارض  
 وسرّ من هذا الاطراء ثم رفع رأسه وقال لي يا ابراهيم فوزي لقد تحققت  
 براءتك مما نسب اليك وقد عفوت عنك وعن جميع أهالي الخرطوم ولكن لا بد  
 من مغادرتكم الخرطوم واقامتكم بام درمان لان الخرطوم دار كفر والمهدي  
 عليه السلام قال لا تسكنوا في مساكن الكفار ولا تلبسوا ملابسهم ولا تزيوا  
 بازيهم فقلت ياسيدنا الخليفة نحن لانملك أجره اجتياز النيل فامر باجازتنا  
 مجاناً فاجتزنا النهر وأقمنا بام درمان نقاسي من صنوف الذل ألوانا

### ذكر الاجتماع العام لعيد الاضحى

ذكرنا ما كان التعاشي شرع في عمله من اقامة مشاعر الحج بام درمان  
 وابطاله هذا المشروع قبل ابرازه من القول الى الفعل



هذا وقد دعا الناس للاجتماع في عيد الاضحى ليتحقق طاعتهم وليظهر امامهم بمظهر الملك والقوة فدعا محمود بن عبد القادر أمير كردفان وسائر أهلها ودعا أيضا أهالي الجزيرة فاجتمع في أم درمان زهاء خمسمائة الف مقاتل فخرج عليهم يوم العيد يحيط به نحو عشرة آلاف عبد يحملون الاسلحة النارية من طرز رامنجتون وامامه بوق (أم بايه) وهو بوق من العاج كان يستعمله كبار نخاسي النيل الابيض وكان المهدي قد ميز التعاشي عن بقية الخلفاء بهذا البوق الذي يكون علامة على دعوة فرسان الجيش بالتكوف حول التعاشي

وخرج التعاشي راكبا هجينا كان يركبه المهدي وأخذ يسير الهوينا حتي بلغ زريبة بن الشوك أعدت ليصلي فيها هو والخلفاء والمقربون منه فاقامت الصلاة قبل الزوال بنحو ساعة فصلى التعاشي بالناس اماما ثم خطب بهم الخليفة على حلوه وهكذا كان حال التعاشي في ايام الاعياد يصلي بالناس اماما ويخطبهم الخليفة على حلوه لان التعاشي أي يجهل الكتابة والقراءة وبعد انقضاء الصلاة عاد الى منزله وقد سره مارآه من إقبال الناس عليه وطاعتهم لاوامره

وقد ذكرنا انه كان يخشى انتقاض أقارب المهدي ولكنه علم من أهالي الجزيرة انهم سيئو السلوك وقد حملوا الاهلين من المظالم والمغارم ما جعلهم يثنون تحتهما وأتوا من المنكرات ما يعجز القلم عن ايراده

ومن هاته الحوادث ان كريبا أحد حراس الخليفة شريف وقريب المهدي الذي ذكرنا انه قطع الصبي ثمانى قطع يوم سقوط الخرطوم ذهب الي المسلمية بأمورية جمع الغنائم فرأى بجوار داره امرأة أرملة في منتهى الحسن والجمال ولها بنتان لا يقلان في الحسن والجمال عن أمهما فقبض عليهن

وادخلهن داره ووقع على أمهما أولاً ثم افتض الفتاتين فقسدهن على  
التعايشي ورفعن شكواهن اليه فاحلهن على القاضي الذي استدعى كريبا  
ولدي استنطاقه اعترف بانه وطى المرأة بملك اليمين لانها غنيمة أما الفتاتان  
فانكر افتضاضه اياها

وفي هذا الاجتماع أصدر التعايشي أمراً بإبطال وظيفة الامناء الذين  
فوض لهم المهدي النظر في العرائض التي ترفع اليه لان جلهم من أقارب  
المهدي ثم أعلن ابطال وظيفة النواب الذين أقامهم المهدي لينوبوا عنه في نظر  
الظلمات التي ترفع اليه وأقام للقضاء بين الناس القاضي أحمد على الذي لقبه  
بقاضي الاسلام وأشرك معه نحو عشرين قاضيا كلهم من جهلاء الاعراب  
الذين لا يفقهون شيئاً غير أنهم يحفظون الفاظ القرآن الشريف

ثم أشار عليهم بعدم قبول الطعن في الشهود وتحليف الشاهد على المصحف  
فكانوا يكتبون في أحكامهم ما ياتي « ولعدم قبول الطعن في الشهود كما أشار  
خليفة المهدي عليه السلام قد صار تحليف الشهود وحكمنا بكذا »

كل ذلك لينتقم من أقارب المهدي بقيام الناس عليهم ومقاضاتهم لرد  
مانهبوه منهم. وخرج الي محل القضاة في ذات يوم شاهرا سيفه وقال لهم  
ان لم تحكموا بين الناس بالحق فلا بد ان أضع سيفي هذا في رقابكم ثم خطب  
في الناس قائلاً من كانت له مظلمة عندي فليتقدم لمقاضاتي امام القاضي والحاصل انه  
ظهر امام الناس بمظهر العادل الشفوق وقفل الناس راجعين الى بلادهم وقلوبهم  
مملوءة بالاخلاص له والانتقاد الاعمي لطاعته وشرعوا في مقاضاة اقارب  
المهدي واستردوا اكثر ما سلبوه منهم

## ذكر وفود الهنود على التعايشي

في أوائل سنة ١٣٠٣ وفد على التعايشي عشرة رجال منهم سبعة من الهنود المسلمين وثلاثة من بخاري فتلقاهم بالاكرام وقدم لهم الاغذية مدة اسبوع ثم أهمل أمرهم وشدد عليهم في مواظبة الصلوات الخمس في المسجد فساءت حالتهم حتى أصبحوا الاحرفة لهم غير التسول وكان بين الثلاثة البخاريين واحد اسمه محمد الامين فاخبر التعايشي بان له معرفة بالكتابة ونسخ الصور التي تستعمل في مطابع الحجر القديمة فامر بارساله الى المطبعة لمباشرة تلك المهنة وجعل راتبه خمسة ريبالات يقبضها في السنة مرتين أو ثلاثا ويظهر من حالة أولئك الهنود انهم فقراء وانهم قصدوا بلاد السودان عساهم أن يجدوا سبيلا للارتزاق

وكان من بينهم واحد اسمه كمال الدين وكان بارعا في أساليب الخداع والاحتيال ادعى انه ذو علم بصناعة المادة القابلة للانفجار وهي المسماه ( عجينة الكبسون ) وتناول من التعايشي نحو اثني عشر الف ريال ثم ظهر جهله وانكشفت حيلته وسنأتي على ذكر هذه المسألة في مكانها ان شاء الله

## ذكر انتفاض الاشراف وتسليم الرايات

ذكرنا ما كان من أمر المداولة بين الخلفاء وتقسيم البلاد بينهم وتردد التعايشي في انفاذ تلك القسمة وعدم رضاه بها ولما عاد محمد عبد الكريم بعد اسقاطه سنار واستجواذه على ما فيها من الذخيرة والامتعة طلب منه التعايشي ان يسلم ماله من الذخائر والاسلحة

والمال فامتنع واعلان الخليفة شريف عبد الله التعايشى بانه يريد التقدم الي بربر  
ومنها الى دنقلا كي يتقدم منها لفتح مصر فمنعه التعايشى فلم يصنع لقوله  
وخرج في شمال أم درمان وعسكر هناك وأخذ في الاهبة للرحيل فجمع  
عبد الله التعايشى خواصه واستشارهم في هذا الامر فاشاروا بوجوب مقاومته  
وارغامه على الخضوع لاوامره فرأى التعايشى ان قوة الخليفة شريف أعظم من  
قوته وانه لا بد ان تدور عليه الدوائر اذا قصد اخضاعه بالقوة فعمد الى طريقة  
الحيلة والخداع توصلا الى هذه النتيجة فبذل المال الى الخليفة على حل وطييب  
قلبه بالوعود ليكون معه على الخليفة شريف

وكان الخليفة على حل و متزوجا بأخت عبد الله التعايشى وبنيهما من  
رابطة جنسية البقارة ما يدعوه الى تفضيله على الخليفة شريف فمال الى  
التعايشى الذى عمد الى أحمد شرفى صهر المهدي واستماله اليه بالهدايا والوعود  
فصار يرفع اليه أخبار الخليفة شريف وما دبره ووعدته بالمساعدة في كل  
ما يطلبه منه

وفي ذات يوم ركب التعايشى ومعه الخليفة على حل و وقصد معسكر  
الخليفة شريف فوقفوا صفوفاً للقاءه ولدى وصوله الى الصفوف أخذ يبكي  
وينتحب فاحاط به كل من الخليفة على حل و وأحمد شرفى وغيرهم من خاصته  
وسألوه عن سبب بكائه فلم يرد عليهم وأخيراً قرب منه الخليفة شريف  
وأقارب المهدي فرفع رأسه وأشار بيده الى الامام وقال لهم هاهو المهدي  
امامكم يمض على أنامل الندم ويقول لي كيف تختلفون قبيل ان يمضى على  
انتقالي من بين ظهرانيكم سنة ألم يعلم أصحابي انك خليفة الصديق فبكي الحاضرون  
وفي مقدمتهم الخليفة شريف وتراموا على ركاب التعايشى يقبلونه ويسألونه

الصفح عن زلتهم ثم طلب من الخليفتين علي حلو ومحمد شريف ان يسلماهما رايتهما فسلموها وأمرهما بتسليم ما عندهما من الاسلحة والذخيرة والجهادية ففعلا وأصبح الخليفتان لا يملكان شيئاً من الاسلحة النارية وكان التعايشي يمد الخليفة علي بن حلو سراً باعادة ما أخذ منه ولكن لم يوف له بشيء بعد ان تمكن من انفاذ غرضه وقلب له ظهر المجن ومع ذلك كان يكرمه ويجزل له العطاء ويشاوره في كثير من الامور

ومن ذلك اليوم مال اصحاب الخليفة شريف وقواده عنه واحترقوه لما رأوا من ضعف عقله الذي اثرت عليه هذه الخديعة التي لا تؤثر على عقول الصبيان فانحازوا الى جهة التعايشي مظهرين له التزلف والتودد مضعفين له جانب الخليفة شريف الذي أخذ يمد قواده واصحابه بان له أملاً كبيراً في اعادة نفوذه بواسطة القوة الضخمة التي تحت قيادة ابن عمه محمد خالد زقل في دارفور

وفي الحقيقة ان التعايشي كان في وجل شديد من القوة التي كانت مع محمد خالد زقل ويحسب لها حساباً ولذلك عاد الى استجلاب مودة الخليفة شريف وأبقى جميع أقارب المهدي الذين كانوا منتشرين في البلاد لجباية الخراج في مناصبهم ريثما ينظر في أمر محمد خالد زقل وكانت هذه الحادثة في أوائل سنة ١٣٠٣

ذكر القبض علي امرء سنار وفرار الشيخ مضوي  
لما كان الامراء الذين اسقطوا سنار من أتباع الخليفة شريف لم يجسر  
التعايشي على مطالبتهم بما غلوه من غنائم سنار مع انهم لم يؤدوا الى بيت  
المال العشر منها

ولما استولى التعماشي على ما عند الخليفة شريف من الاسلحة والذخيرة  
اصبح قادراً على مناقشة اولئك الامراء الحاسب على ما اغتالوه من القناطير  
المقنطرة من الذهب والفضة فاستدعى اليه اعيان سنار الدين اخذت منهم  
الاموال واخذ يلين لهم الكلام ويعدم بنيلهم نصيباً مما اخذ منهم اذ هم  
أوضحوا له كمية المال واسم من استولى عليه من الامراء فأوضحوا له كل  
ذلك فأمر بالقاء القبض على محمد عبد الكريم القائد العام لانه علم من كلامهم  
انه استولى على نحو خمسة قناطير من الذهب واستولى بقية الامراء على  
مقادير عظيمة من التبر

وقد علم التعماشي أيضاً ان الشيخ مضوى احد الامراء عذب مصرى  
اسمه على مرزوق كان ناظر الشونة واخذ منه خمسين رطلا من التبر المسبوك  
فأمر بالقاء القبض عليه فلم يجدوه بام درمان اذ كان متغيباً في قريته (العيلقون)  
فامر بأشخاص مائة راكب يقصدون تلك القرية التي تبعد عن أم درمان مسيرة  
مرحلة واحدة للقبض عليه فاسرع احد اقاربه بمغادرة أم درمان وأبلغه الخبر  
فركب راحلته قاصداً حدود الحبشة وزور خاتم التعماشي على مكتوب أمر  
فيه الامراء بتقديم ما يلزم الى الشيخ مضوى وانه ذاهب بمهمة الى بلاد الحبشة  
فتناول بهذا المكتوب نحو ثلاثة آلاف ريال وبلغ حدود الحبشة آمناً ولم  
يصبه سوء ولحق بالشيخ عجبل الحراني في جهة ( غبته )

ولنعد الى ذكر الامراء الذين قبض عليهم التعماشي فنقول . انه أقام في  
السجن بضعة شهور لم يظفر في خلالها بشيء مما اغتالوه واصروا على الانكار  
فامر بمصادرة مآظهم من أملاكهم مثل الجوارى والعبيد والدواب والامتعة  
البيئية ثم امر بالافراج عنهم وألحق البعض منهم بثمان دقنه والبعض بعبد

الرحمن النجومي في دقّة وانقضى الامر على ذلك

## ذكر عصيان الجهادية بالابيض وقتل امير كردفان

لما غادر المهدي الابيض الى (الرهد) ومنها الى أم درمان استخلف على اقليم كردفان عمه محمود عبد القادر وقد ذكرنا انه استخلفه في جبال (قدير) لما بارحها الى كردفان فكانه تفاعل باستخلافه وظل محمود عبد القادر قابضاً على زمام اقليم كردفان حتى توفي المهدي فاستدعاه التماشي لحضور الاجتماع العام في عيد الاضحى الذي كان عقب وفاة المهدي ثم أعاده الى عمله في الابيض وكان محمود عبد القادر هذا ابن عم والد المهدي ومن أصحابه القديماء الذين شاركوه في تأسيس دعوي المهديّة وكان متظاهراً بالزهد والقناعة وكان المهدي يكرمه ويحله

وكان في حامية الابيض التي تحت قيادته الف وخمسمائة جهادي منهم نحو تسعمائة من جنود الحكومة الذين أسروا في واقعة يوسف باشا الشلالي وسقوط الابيض والباقي من عبيد الاهالي الذين صادرهم منهم محمود عبد القادر وهؤلاء الجهادية يقودهم صف ضابط منهم اسمه (الجاك) فعهد اليهم محمود عبد القادر حراسة الجبه خانات ورعى الماشية وجعل البعض حراساً له ولقواده وكان مع ذلك لا يعطيهم رواتب تقوم بضرورياتهم فاستأوا من هذه المعاملة واضمروا الخروج عليه فتمنى اليه الخبر فارسل يدعو قائدهم الجاك للحضور الى المسجد لتلقي أوامر جديدة فاعتذر عن الحضور وأرسل اليه بعض أعوانه فقبض عليهم محمود عبد القادر وضرب أعناقهم فاستشاط الجاك غيظاً ونفخ أبواقه وهجم برجاله على الجبه خانه فدافعه محمود عبد القادر بنحو

أربعة آلاف من فرسان الدراويش الذين انهزموا امام نيران الجاك وتركوا له الجبه خانه فاستولي عليها ودخل منازل الدراويش وانهب ما فيها من المال والمتاع وغادر الابيض الي جبال النوبة وأعلن دخوله في طاعة الحكومة المصرية وسى نفسه (الجاك باشا) ومنح الرتب لمن معه من القواد وأخذ يجي الضرائب من سكان الجبال وأوصى قواده بدم التعمدى على حقوق الاهلين وان لا يأخذوا منهم الا الضريبة المفروضة فساروا سيرة حسنة امتدحهم بها سكان الجبال فارسى خلفهم محمود عبد القادر ثلاثة آلاف من رجاله مسلحين بالاسلحة النارية تحت قيادة الهاشمي أحمد الجبلي فهزمهم الجاك باشا شر هزيمة وقتل قائلهم وذبح عددا كبيرا منهم ثم سار اليه محمود عبد القادر في أربعة آلاف مقاتل فالتقى الجمعان وثبت الجاك ورجاله ثبات البطل وقتل محمود عبد القادر وقتل اكثر رجاله وولي الباقرن الادبار وهم لا يصدقون بالنجاة ولما اتصل بالعايشى خبر قتل محمود خاف عاقبة امر الجاك ولكنه سر من جهة أخرى بقتله لانه قريب المهدي وتضد من قوة الخليفة شريف فاسرع بانتداب على الهاشمي العمرابي في مائتي رجل وسير خلفه قريبه عثمان آدم المشهور (بجاو) وأمرها بالبقاء في الابيض وان لا يتعرضا لحرب الجاك وكتب الى حمدان ابي عنجة يأمره بالهجوم على الجاك بجميع قواته فهجم عليه باكثر من عشرين الف مقاتل واصلا حربا أظهر فيها الجاك ورجاله اعظم بساله حتى قتلوا عن بكره ابيهم

### ذكر اعمال ابي عنجة في الجبال

لما هزم ابو عنجة الجاك عاد الي غزواته في الجبال حتى اقترب من جبال



تقلى التي ذكرنا شأنها مع المهدي وقتله ملكها لما جاءه زائر آفي الأبيض فهجم  
على من فيها وقتل رجالها وساق النساء والصبيان سبياً وباعهم ارقاء مع انهم  
أعراب مسلمون كما تقدم لنا الكلام عنهم

ثم غزا أبو عنجة قبيلة الحوازمة التي تسكن بين دارفور وانتهب مالها  
وماشيها وقتل زعيمها (نواى) الذي كان لحق بالمهدي في جبال (قدير) وكان  
المهدي وعده باعفائه من مرافقته الى الخرطوم فاخلف وعده وساقه اليها فقر  
نواى ولحق بقومه في كردفان فقتله أبو عنجة انتقاماً منه وانتهب أموال قبيلته

ذكر اشخاص محمد خالد زقل من دارفور وسجنه

أوردنا في الجزء الاول ما صار اليه شأن محمد خالد زقل واستيلاءه على دارفور  
وقد صار فيها كملك مستقل حيث جمع حوله جيشا كثيفا يربو على مائتى  
الف مقاتل

وكان التعاشي متخوفاً منه كما تقدم ولما استولى التعاشي على  
أسلحة الخليفة شريف وذخيرته وراياته كتب أحمد سليمان أمين بيت المال  
كتاباً الى محمد زقل اخبره فيه بكل ما كان عقب موت المهدي من الحوادث  
كما اخبره بوقوع الخليفة شريف في الفخ الذي نصبه له الخليفة عبد الله  
التعاشي حتى اسلمه ما بيده من الذخيرة والاسلحة والرايات وقال له في  
الختام انقطع الامل الامنك وحذره من الوقوع في فخ مثل الذي وقع فيه  
الخليفة شريف

وكان التعاشي قد شدد في مراقبة أقارب المهدي حتى لا تصل منهم  
كتب الى محمد خالد زقل فوقع كتاب احمد سليمان أمين بيت المال في قبضة

التعايشي فأسرع بإصدار أمر الى محمد خالد زقل بمغادرة دارفور بمن معه من الجيش فامثل الامر وغادر دارفور حتى اذا بلغ كردفان اعترضه أبو عنجة ودفع اليه أمرا من التعايشي بتسليم كل الجيش الى ابي عنجة المذكور فاطاع محمد خالد ولم يبد أقل اعتراض

ولما تمكن أبو عنجة من الاستيلاء على جيش محمد خالد زقل شرع في تجريده من أمواله الخصوصية ولم يترك له قوت يومه ثم كبه بالحديد وأرسله الى أم درمان يرسف في القيود والاغلال ولدى وصوله اليها زجه التعايشي في السجن فبقى فيه بضعة شهور ثم أطلق سراحه

وبلغ مجموع الخيول التي استولي عليها حمدان أبو عنجة من محمد خالد زقل ما ينيف على عشرة آلاف جواد وعدد الاسري كان يربو على خمسة عشر الف جهادي مسلحين بالاسلحة النارية وظهر أبو عنجة بكل أموال زقل وكانت عظيمة جداً وأرسلها الى التعايشي

ولما اتصل بالتعايشي نبأ القبض على زقل جمع بطانته وأخبرهم بذلك وقال لهم قد ذهبت كل مخاوفي وصرت آمناً مطمئناً على مركزى وأنا أطلب منكم منذ اليوم ان تساعدوني على القيام بامور هذه المملكة المترامية الاطراف حيث لم يبق لى معارض فى جميع انحاءها ومن ثم بدأ بتواليه الاعراب على البلاد واستئصال شأفة الذين ولاهم المهدي من أقاربه ومواطنيه

ذكر القبض على احمد سليمان امين بيت المال وعزله  
 أحمد سليمان أمين بيت المال محسى الاصل من أهالي بلدة اسمها (رفاعة)  
 على ضفة النيل الازرق الشرقية اجتمع على المهدي في جزيرة (آبا) فاجبه

واكرمه واطلمه على كنه اسراره وكان أحمد سليمان يتفانى في محبة المهدي وخدمته وقد ذكرنا انه كان متولياً تقديم الاطعمة له وكان يقود خطام دابة المهدي حافياً وفي جبال (قدير) ولاء المهدي أمانة بيت المال مفوضاً له فيه العمل بلا أدنى مراقبة أو مسؤولية يعطى من شاء ويمنع من شاء وكان أحمد سليمان يحتقر عبد الله التعايشي ويبغضه ولا ينفذ له ارادة مع ما كان فيه التعايشي من سمو المنزلة عند المهدي لانه أحمد سليمان كان يرى نفسه عند المهدي في منزلة اسمي وأرفع من منزلة عبد الله التعايشي مهما بلغ هذا من القرب منه

وفي إبان اقامة المهدي بكر دقان وقع خلاف بين التعايشي وبين أحمد سليمان فامر التعايشي بسجن أحمد سليمان فسجن واتصل الخبر بالمهدي فكاد يفقد صوابه لشدة ملحقه من الغضب فارسل الي السجن وأطلق أحمد سليمان وعنف التعايشي على اقدمه على مثل هذا الامر حتى ظن بعضهم انه سيعزله من الخلافة ويقصيه من بين يديه

وقد تغالى المهدي في الشناء علي أحمد سليمان حتى قال انه رأى مكتوباً على ساق عرش الرحمن جل شأنه ان أحمد سليمان أمين المهدي عليه السلام وقد قلنا انه كان يكرم ذوى قرابة المهدي ويخصهم بالنصيب الاوفر من المال ولا يعطى التعايشي اكثر من مائة ريال في كل شهر. أما أقارب التعايشي فلا نصيب لهم ألبتة حتى ان يعقوب أخا التعايشي ووكيل رايته كان يتردد على باب أحمد سليمان شهرين أو ثلاثة فلا يمنحه بعدها اكثر من خمسة ريالات وقد رأيتيه مراراً واقفاً على باب أحمد سليمان موقف اذلاء السؤال فلا يؤذن له بالدخول الي حضرته

وجملة القول ان من ينظر بعين الامعان يتحقق ان أحمد سليمان  
كان أقرب مقرب للهدي وأصدق صدق له وأعظم مستشار أمين  
عنده حتي ان أولاد المهدي ونسائه لا يجسر أحدهم ان يقول أمامه كلمة  
تمس أحمد سليمان

ويظهر جليا من هذا ان أحمد سليمان كان لا يأتي أبداً امرأً يوجب  
انحراف المهدي عنه ولهذا أرجح صدق ماسمعته من الواقفين على كنهه سيرة  
المهدي من ان أحمد سليمان كان لا يضع خيطا في إبرة بغير ان يكون المهدي  
الامر له بوضعه وهو كثير الاختلاء به وكان لا يحجب عنه حتى لو كان  
المهدي مختليا باحدي نسائه وغرفته مغلقة وطرقها أحمد سليمان أجابه من  
الداخل وأذنه بالولوج عليه وهذا منتهى القربي ونهاية الزلني

ولما توفي المهدي كان التعايشي ينتظر من أحمد سليمان ان يتقرب منه  
ويخدمه بمثل ما كان يخدم به المهدي ويقود دابته حافيا كما كان يقود دابة  
المهدي فلم يفعل بل غاية الامر انه زاد في احترامه للتعايشي رعاية لمنصبه وزاد  
في مرتبته وخص ذوي قرابته بنصيب أقل من النليل من بيت المال  
وعكف على البذل والانفاق على أقارب المهدي وزاد أعطية نسائه وأولاده  
وأمهاتهم

وكان أحمد سليمان يتوقع شرا يصيبه من التعايشي على أثر إفضاء الخلافة  
اليه وقد ذكرنا كتابه الى محمد خالد زقل وبعده ان سجن أبو عنجة زقل  
انتدب التعايشي من بطانته أناسا ضبطوا بيت المال وكلفوا أحمد سليمان بتأدية  
الحساب عن الدخل والخرج منذ ولي علي بيت المال فسخر من هذا  
الاقتراح واحتج بأن المهدي لم يأمره بضبط الحساب في دفاتر ولذلك لا يمكنه

أداء مثل هذا الحساب فاصدر أمرا بعزله وزجه في السجن فبقي فيه اكثر من سنة ثم أطلقه وعهد بامانة بيت المال بعده الى رجل من أهالي جزيرة الخرطوم كان تاجرا في الابيض اسمه ابراهيم بن عدلان وسنعود الى ذكر بقية أعماله وما كان بعد ذلك من صلته

### الاشاعة بعودة الانكليز الى دنقلة

لما أخت الحملة الانكليزية دنقلة احتلها محمد الخير أمير بربر في أوائل سنة ١٣٠٣ وسرح مقاتلته الى جهة الشمال حتى بلغوا جنوب حلغا التي كانت يومئذ مقر الحملة الانكليزية التي تقدمت منها بعض طواير و حاربت جنود محمد الخير وانصرت عليهم فاستنتج محمد الخير من تقدم الانكليز الى جنوب حلغا انهم يقصدون التقدم الى دنقلة لاختضاع السودان كله حيث سمعوا بهلك المهدي فاسرع بابلاغ الخبر الى عبدالله التعايشي فانقض هذا الخبر عليه انقضاء الضاعقة وارتاع روعا أفقده العسواب لان تقدم الانكليز يقضي على آماله التي شرع في تأسيسها وهي استبداده بالملك وانفراد بالسلطان اذ يصير ارضاء الخليفة ومنحه بعض السالطة واجبين لتوحيد الكلمة لجمع أهل شوره وكتب الى محمد الخير يأمره بالتهقر أمام الانكليز وتركهم حتى يبلغوا أم درمان وفي اليوم التالي أعلن خبر تقدم الانكليز وأمر المقاتلة ان يعسكروا شمال أم درمان فخرجت معهم وفي أصيل النهار لحق بنا التعايشي والخليفتان على حلو ومحمد شريف

ولما مالت الشمس للغروب توجأنا من النهر وصلي بنا التعايشي صلاة المغرب على ضفة النهر ووجوهنا متجهة الى النهر وبعد أداء الصلاة برز القبر

وقرصه مستدير ولونه أحمر كهيئته في مثل ليلته عند بروزه اذ كانت ليلة السادس عشر من شهر ربيع الآخرة سنة ١٣٠٣ فوقف واحد من الدراويش بجانب التعاشي وهو جالس ورفع صوته قائلاً (السلام عليكم يا أصحاب المهدي عليه السلام) فردوا التحية فقال حولوا نظركم الى جهة الشرق وانظروا الى القمر كيف برزولونه أحمر قان هل رأيتوه بهذا اللون قط فاجابه الخليفة على حلوقائلاً لا. لا. لم نظره أبداً بهذا اللون فقال اني سمعت المهدي عليه السلام يقول ونحن في قدير « اذا فتحنا الخرطوم فان الله يجعل لاصحابي آية يعرفون بها النصر المبين الذي يصاحبهم الى الابد فقلنا ياسيدنا المهدي وما هي تلك الآية فقال هي خروج القمر في لون أحمر » فوقف التعاشي وقال للرجل صدقت يا صاحب المهدي فيها أنا اذا أقرأ كتابة على صفحة القمر وهي « هذا نصر المهدي وأصحابه الى الابد » فضج الناس بالتهليل والتكبير حتى خلت السماء قد انطبقت على الارض ثم بعد اداء صلاة العشاء عدنا الى أم درمان وقضيت ليلتي متعجبا من جهالة دراويش المهدي الذين يعلمون ان التعاشي لا يقرأ ما يكتب على القرطاس فكيف يصدقون انه يقرأ ما يكتب على صفحة القمر وأخيراً كذبت الاشاعة وعاد الانكليز الى حلقتنا اذ هم في الحقيقة لم يقصدوا التقدم الى دنقلة بل كانوا يقصدون طرد الدراويش من جنوب حلقتنا فجازوا عليهم وأبعدوهم عن جنوبها

أما تلك الوقائع فان تفاصيلها لم تصل الينا من مصادر شتى بروايتها وغاية الامر ان التعاشي لما علم بعدم صحة النبأ ذهب مخاوفه ولم ينشر شيئاً من تلك الوقائع التي عدها تافهة لا تستحق الذكر

## ذكر انفاذ عبد الرحمن النجومي الي دنقلة

في أوائل سنة ٣٣١٣ انفذ التعايشي عبد الرحمن النجومي الي بربر ومنها الي دنقلة ومعه جميع المقاتلة التابعين لراية الخليفة شريف فوصل الي دنقلة في أواخر السنة واتخذ مدينة ( العرضى ) قاعدة إقليم دنقلة مركزا لمسكره العام ووصلت طلائع جيشه الي جنوب حلفا وسنعود الي ذكر بقية أخباره الي قتله في واقعة ( طوشكى ) والله الموفق



## انتقاض دارفور علي التعايشي واخضاعها

لما غادر محمد خالد زقيل دارفور هب رجل اسمه يوسف من ذراري سلاطين دارفور واستخلص البلاد من ايدي الدراويش الذين تركهم بها زقيل ونودي به سلطانا علي إقليم دارفور كما كان اسلافه فكاتب التعايشي الي عثمان آدم جانو يأمره بمحشد أهالي كردفان والتقدم بهم الي دارفور لاخضاعها فحشد جيشاً يربو علي الخمسين الف مقاتل منهم نحو عشرة آلاف كانوا مسلحين بالاسلحة النارية وهاجمهم علي ( الفاشر ) عاصمة دارفور فقايله السلطان يوسف في جمع كثيف ودافعوا دفاع الابطال وانجحت الحرب عن هزيمة أهل دارفور وقتل السلطان يوسف ودانت البلاد بطاعة المهديونية فاستولي عليها عثمان آدم وأخذ يوالي الغارة علي الجبال التي حول دارفور فاجتمع لديه من الارقاء زهاء عشرين الف مقاتل مسلحهم بالاسلحة النارية

وأرسل عثمان آدم بما غنمه من دارفور الي التعايشي علي مألوف العادة وأرسل اكثر من ثلاثمائة فتاة من فتيات دارفور سبايا الي التعايشي الذي سر

من عمله وكتب اليه بالولاية على إقليم دارفور وكردفان وجمله قائد جيوشها  
وسياتي ذكر بقية أعماله وحروبه مع أبي حمزة مدعي المهديوة

### ذكر لحاق قبيلة الشكرية بالحبشة وقتل زعمائها

في أوائل سنة ١٣٠٤ كتب التعايشي الي قبيلة الشكرية يدعواها الي  
الشخص الي أم درمان ماشيتها وكانت وقتئذ نازلة في باديها بصحراء ( ريره )  
بين نهري ( ابره ) والنيل الارزق فايقنت ان دعوتها الي أم درمان لم تكن  
لغير نهب ماشيتها ومصادرتها فعولت على الالتجاء الي بلاد الاحباش وكان  
زعيمها عوض الكريم بن أبي سن الذي ذكرنا أخباره مع المأسوف عليه  
غردون وقدمه على المهدي تائبا نادما مقيما يومئذ في أم درمان

وبعد أيام قلائل من دعوة التعايشي لقبيلة الشكرية جاءتة لخبار  
بمغادرتها ديارها ولحاقها ببلاد الاحباش فاحتم غيظا وأمر بالقاء القبض على  
عوض الكريم بن أبي سن وسائر أفراد أسرته الذين هم من قبيلة الشكرية فقبض  
على نحو مائتي رجل من خيارهم وكبوا بالحديد وزجوا في السجن حتى  
أمر التعايشي بقتلهم صبورا فقتلوا جميعا ولم ينج منهم أحد

أما الذين هاجروا الي الحبشة فلم يكونوا أسعد حالا من الذين قضى  
عليهم في السجن لان رداءة هواء بلاد الحبشة استأصلت إبلهم التي كانت  
تمد بمئات الالوف وأبادت نفوسهم التي يقرب عددها من ثلاثمائة الف  
نسمة. وبالجملة فان تلك القبيلة التي كانت من اكبر قبائل السودان واكثرها  
ماشية وأشدّها بطشا وقوة هلكت عن بكرة أبيها وذهبت ماشيتها ولم يبق  
منها غير بضعة آلاف نسمة متفرقين في البلاد وهم في نهاية الفقر المدقع



ذكر قبيلة الضباينة والقبض على زعيمها في الجهات الجنوبية في نهر ( ابره ) قبيلة تسمى الضباينة يربو عدد نفوسها على أربعمائة الف نسمة ولها من الماشية من نوع الابل والبقر ما يربو على ماشية قبيلة الشكرية وهي رحالة وزعيمها محمود عيسى زائد الشامي وهو من أسرة توات زعامة تلك القبيلة منذ قرون وتؤكد هذه الاسرة ان جدها شامي قدم السودان من الديار الشامية منذ قرون أيضا وكان محمد زائد هذا ذا ثروة واسعة وله من الموالي والارقاء ما لا يدخل تحت حصر حتى انك ترى قري مملوءة بارقائه وكان كريما جودا يقري الضيوف ويعطي المال بالآلاف الريالات وكانت له قصعة من الخشب يحملها خمسون رجلا . وقد أخبرني واحد من الذين حضروا مصادرة أمواله انهم أحصوا النوق الموسومة بالنار على نخدها الايمن اشارة الى انهم امدة لركوبه خاصة لا يسوغ لاحد من مواليه أو أسرته ركوبها اجلالا لمقامه فكانت نحو أربعة آلاف راس من اكرم أنواع النوق والمهجن

وكان محمود عيسى زائد يبعث المهديوية ويبطن ولاء الحكومة وان كان يمالئ المهديوية ويتظاهر بطاعتها حتى ان عثمان دقنة كان يكتب له قبل سقوط كسلة محرصا على وجوب شن الغارة على حامية ( الجيرة ) قبل سحبها لانها قريبة من قرية ( التومات ) محل اقامته فلا يفعل وبعد أن سقطت كسلة أرسل عثمان دقنة نحو أربعة آلاف مقاتل تحت قيادة عوض الكريم كافوت الجملي فقبضوا على محمود عيسى زائد على غرة وصادروا أمواله وحملوها

الى الخليفة التمايشي ومن جملتها ( القصمة ) التي جعلها التمايشي اثناء تقدم فيه شيئاً من تافه الطعام الى المدعوين في أيام المواسم والاعياد ولكن محمود زائد كان يقرى ضيوفه بملئها صباحا ومساء طعاما نفيسا هو خليط من قح ولحم ولبن وسكر أو عسل مصني وسويق . محمود زائد الى التمايشي يرسف في القيود والاغلال فطرحه في السجن وفي سنة ١٣٠٧ اسأصل الزاكي طمل قبيلة الضباينة وأطلق الخليفة محمود زائد فمات غمابمدان أصابه من عذاب السجن وفقدان القوة مابرح به خمس سنوات متواليات

### ذكر انتقاض قبيلة جهينة

ذكرنا بعض اخلاق وعادات قبيلة جهينة التي تسكن جنوب سنار وقتلنا ان زعيمها المهدي اباروف شخص الى المهدي في جبل (قدير) وعاد من عنده داعياً له في قومه الذين جمعهم وظل يحارب بهم مدينة سنار حتي سقطت ثم عاد الى بلاده فيما وراء سنار

وفي أوائل سنة ١٣٠٣ أرسل التمايشي جابيا بقاريا اسمه أبو ام فضالي لجباية الحراج من قبيلة جهينة وسائر البلاد الواقعة جنوب سنار فحملهم من أنواع المظالم وضروب الحيف ما عجزوا عن تحمله فرفعوا شكواهم الى التمايشي الذي عنفهم واتهمهم بالمروق من الدين لأنهم شكوا اليه أصحاب المهدي فهبت قبيلة جهينة وزعيمها وأخرجت ابا أم فضالي قسرا من بين ظهرانيها واعلنت خروجها على التمايشي الذي لما اتصل بهذا النبا أسرع بانفاذ نحو خمسة آلاف مقاتل بجاهم مسلح بالاسلحة النارية فطاردوا قبيلة جهينة وقتلوا زعيمها المهدي اباروف واسرته وأصدر التمايشي أمراً بمصادرة أموال هذه

القبيلة وانفذ الامراء الى الجهات التي بها مساكنهم فكنت ترى الابل والبقر  
قد ضافت بها الارض على وسمها ونزلت اثمان النوق حتى صار ثمن الواحدة  
خمسة قروش مصرية وزاد الطين بلة مصادرة ماشية قبيلة الكبايش في  
نفس الوقت الذي صودرت فيه أموال جهينة وماشية الكبايش تربو على  
ماشية جهينة كما سنوضحه فيما سيأتي

والحاصل ان قبيلة جهينة بادت كلاها وذهبت ماشيتها ولم يبق منها ولاؤها  
للمهدى وقيامها ضد الحكومة

### ذكر حرب قبيلة الكبايش

ذكرنا قتل ابن زعيم قبيلة الكبايش في الابيض لما كان المهدي نازلاً  
بها وعلى اثر قتله جاهرّت قبيلة الكبايش بالعصيان على المهدي وابتعدت  
من المناهل والمراعي القريبة من كردفان وتوغلت في الصحراء التي بين  
كردفان ودنقلة

ولما استولت المهديّة على الخرطوم وانسحب الانكليز من دنقلة كتب  
التعايشي الى الشيخ صالح زعيم الكبايش يدعوهم الى الطاعة ويمده ناراً ويوعده  
أخري فلم يلتفت الي وعده ولم يهرب من وعيده بل توغل في الصحراء حتى صار  
على مقربة من الواحات الجنوبية فانتدب التعايشي محمد نوباوى شيخ قبيلة بني  
جرار التي هي بطن من بطون قبيلة الكبايش وهو الذي دخل على الطيب  
الاثر الجبرال غردون وقتله

وانتدب التعايشي معه عدداً كبيراً من الفرسان فساروا من أم درمان  
مخترقين الصحراء حتى بلغوا منهل (أم بادر) وكان الشيخ صالح نازلاً به

ومعه نحو مائتي رجل من أسرته ومواليه وبقية القبيلة متفرقة في المراعي  
والمناهل فاحاط محمد نوباري بخيام الشيخ صالح في الغلس فانتبه من في  
الخيام مذعورين وركب الشيخ صالح فرسه وكذلك بقية من معه وأخذوا  
يطلقون الرصاص على الدراويش حتى نفذت ذخيرتهم فاستلوا سيفوفهم وهجموا  
على صفوف الدراويش فاخترقوها وزحزحهم عن مواقعهم وأصيب الشيخ  
صالح برصاصة في ذراهه نخر صريعاً عن جواده فتقدم اليه محمد نوباري ليشد  
وثاقه فابتدره بالشم ولعن المهدي وخليفته وقال له أمثلي يساق أسيراً فامتنع  
محمد نوباري عن قتله احتراماً لما بينهما من صلوات النسب فتقدم أحد  
الدراويش وقتله وحز رأسه ورؤس اخويه ورجال أسرته الذين سقطوا  
قتلى بعد اصابته وحملى الرأس الى التعابثى فسر بها وخرساً جداً على ما لوتيه  
من النصر وانتدب الزاكي عثمان ومعه كتيبة وجنود ووجههم الى محل الواقعة  
كي يجمعوا الغنائم وبلغني من أولئك الكتيبة ان عدد لرؤس من الابل كان  
يربو على مليون ويقرب عدد البقر من الخمسمائة الف رأس أما الماشية  
الصفيرة فانهم لم يعتنوا بتعدادها لكثرتها وأرسلت هاته الماشية وبيعت مع  
غنائم جهينته في أم درمان وقد ذكرنا أن ثمن الناقة انخفض الى خمسة قروش مصرية  
وجي بالجماعات من النساء سبايا وبالقناطير المقنطرة من الذهب والفضة  
وكانت قبيلة الكبابيش هذه أعظم قبائل السودان وأكثرهن ماشية وثروة  
وزعيمها أغني زعماء القبائل في السودان وكان قد وفد منذ خمسة وعشرين عاماً على  
المغفور له الخديوي اسماعيل باشا وقدم له هدايا وتحفا فآكرم وفادته وأعادته الى بلاده  
بالعز والاكرام ومن أعجب ما شاهدته ان اكبر بنات الشيخ صالح هذا كانت تحمل  
على رأسها في أم درمان اناء تبيع فيه الماء لتحصيل قوتها وقد كانت هذه المرأة

وسائر نساء أسرتها يلبسن زعمالا من خالص التبر وإذا خرجت احداهن من دار الى أخرى مشى حولها مائة من الجوارى وعلى كل واحدة من الخلى ما لا يقل عن مائة أوقية من التبر ينظان على مولاتهن بالاردية الحربية وقد شاهدت اكثر هاته المقيلات متسولات في الاسواق فسبحان المعز المذل

وفي ذات يوم كنت جالسا بالقرب من مقصورة التعايشي فقال له أحد جلسائه ان بنت صالح زعيم الكبايش تبغ الماء لثوت يومها فاطهر الأسف وقال من الواجب علينا اكرامها وأرسل في طلبها فجاءت فسألها عن حالها فاجابته واكثرت من الشناء والاطراء عليه فامر أحد غلمانه باعطائها شيئا من النقود ضمته في كفها وخرج الناس وراءها ليلموا مقصدار جائزتها فاذا هي سبعة ريات من عملة النحاس تقدر قيمتها بسبعة قروش مصرية فقالت المرأة انظروا الجائزة الخليفة ومبلغ اكرامه لمثلي

هذا وجملة القول ان قبيلة الكبايش بادت ولحقت بغيرها من القبائل والدوام لله وحده

### ذكر القبض على شارل نيوفيلد

شارل نيوفيلد ألماني استوطن اصوان مزاول مهنة الاتجار بتقديم لوازم الجيش في الحدود فاحرز من هذه الحرفة ثروة واقتنى عقارا وزاد في ثروته انه منذ بداية أمره كان يحسن معايشة الوطنيين ويتشبه بهم في الاخلاق والعادات حتى كأنه واحد منهم ولم يظهر على ملامحه انه متكلف لهذا التشبه حتى نال حظوة عظيمة عند جميع السكان زادت في نجاحه وفتحت في وجهه

أبواب الكسب وساعده على احراز الثروة

وفي أواخر سنة ١٣٠٣ انفذ الشيخ صالح زعيم قبيلة الكبايش الذي تقدم لنا خبر قتله وفداً الى الحكومة الحديوية يسألها امداده بالاسلحة والذخيرة ليقوى على دفع غارة المهديين عن نفسه فاعطت الحكومة رجال الوفد مائتي بندقية من طرز رامنجتون بذخيرتها وأخذوا في الاهبة والاستعداد لاختراق صحراء الجلب من حلفا الى منارل قبيلتهم وفي إبان ذلك اجتمع شارل نيوفيلد بتاجر من أهل كردفان اسمه خوجال أم برير فقال له التاجران لدي كمية وافرة من الصمغ والماج وریش النعام فاتفقا على ان يذهب نيوفيلد صحبة وفد الكبايش وبواسطة نفوذ زعيمهم يخترق بقية الصحراء الى الابيض ومن هناك يحمل الصمغ والماج وریش النعام بغير ان يشعر به أحد من دروايش المهديوية وقد جعل له خوجال نصيبا وافرا من تلك السلع نظير مخاطرته التي يتعذر معها نجاحه ووصوله الى مقصده

وقد عرض نيوفيلد أمره على ولاية الامور في الحدود فلم يعانموه فمادر حلفا صحبة الوفد ومعه محظية حبشية وثان دليل الوفد ميالا لجهة المهديين فابلق عبد الرحمن النجومي الذي كان وقتئذ في دنقلة وأطلمه على خطة سيره وارشده الى المكان الذي يقابلهم فيه المبعوثون من عنده فسار شارل نيوفيلد مع الوفد وهو لا يعلم شيأ من القدر الخبوء له فسار بهم الدليل في بادية معطشة حتى وفقدوا الماء مدة أربع وعشرين ساعة

وكان النجومي قد أنفذ وراءهم خمسمائة راكب تحت قيادة محمد حمزة الانقريابي وبينما كانت القافلة سائرة والظما قد بلغ غايته من رجالها والدليل يمدهم بقرب الوصول الى الماء اذ داهمهم العدو على غرة وتمكن من انقلهم فأنحاز

الرجال الى ربوة مرنعة واطلقوا النيران دفاعا عن انفسهم فهلك من هلك  
 وأخذ الباقون اسري وصعدنيوفيلد على مكان آخر مفضلا الموت على الوقوع  
 في اسر أولئك الطفاة المتوحشين فامسك العدو محظيته وجعلها بعضهم كترس  
 يتقي به مقدوفات مولاها الذي شلت يمينه عند ماتحقيق انه يقتل محظيته  
 اذا أصر على عزمه الاول فاسلم نفسه ووقع أسيراً في يد العدو الذي جرده  
 من ملابسه ووضع الاغلال في عنقه وساقه ماشياً على قدميه حتى بلغ ذنقة  
 بعد مسيرة عدة ايام فامر عبد الرحمن النجومي بصلب أسرى الكبابيش وارسال  
 شارل يوفيلد الى الطاغية التمايشي بام درمان

ولما أوقف بين يدي التمايشي صاح قائلاً هذه صفة الكافر التي وصفها  
 لنا المهدي ثم عرض عليه اعتناق الاسلام فابى فامر بصلبه فسيق الى  
 محل ( المشنقة ) ثم ارجعوه الى التمايشي وهكذا فعلوا ثلاث مرات وبعد ايام  
 رضى باعتراف الاسلام ديناً ونطق بالشهادتين واذ ذلك أمر التمايشي بزجه في  
 السجن حتى اطلقه للورد كشتنر باشا وسنعود الى ذكر بقية حوادثه والله الهادي

### ذكر حروب الاحباش الي قتل النجاشي يوحنا

تقدم لنا ذكر اول واقعة جرت بين المهديين والاحباش التي انتصر فيها الرأس  
 الولا على عثمان دقنة في كوفيت وقبل الكلام على هذه الحروب نذكر طرفاً يتعلق  
 (بالقلابات) وما يتبها من بلاد (القضارف) مواطن تلك الحروب الهائلة فتقول  
 القلابات اسم لبلدة على شاطئ نهر (اتبره) جنوب القضارف وهي آخر  
 حدود الحكومة الحديوية في بلاد الاحباش من جهة الجنوب بالنسبة لموقع  
 بلاد القضارف

وكان سكانها يمدون من دكرور السودان الغربي ولا نعلم كيف جاؤا  
من بلادهم واخترقوا السودان من الغرب حتى وصلوا الآخر نقطة من  
شرقه الجنوى وكان أولئك السكان يؤثرون جزية لملك الحبشة

ولما احتلت الحكومة الحديوية السودان جعلت القلابات من أهم  
المواقع التي حصنها لدفع غارة الاحباش عن بلادها وكان آخر زعيم من  
أولئك الدكروورين صالح شنقه الذي نال من الحكومة الحديوية لقب بك  
واستمر على دفع الجزية للاحباش كما كان اسلافه

أما القضارف فانها البلاد الواقعة شمال القلابات يحيط بها نهر  
(اتبره) من جهتي الجنوب والشرق وهي بلاد مخصصة جداً وتجارها واسعة  
وفيه من النباتات ما لا يوجد في السودان كله وثمر ما يحمله الجمل من  
الذرة من نوع اسمه (الكرقي) يخالف الذرة الرفيعة بمظم حبه وبياض لبه  
الذي يستخرج منه مواد نشوية تشبه ما يستخرج من الارز بضعه قروش  
مصرية وفي بلاد القضارف غلة تشبه الحلبة في اللون الا ان طعمها كالشهد في  
الحلاوة اسمها (الشمشم) تقي على النار بالماء فتتحول الى حلاوة الشهد  
فيأكلونها ويشربون ماءها

وعاصمة هذه البلاد تدعى (ولد أبو سن) وهي مدينة كبيرة  
فيها منازل مشيدة بالابن الاحمر والأجر وفصور شاحخة مشيدة بالاحجار  
وأصحابها تجار مصريون وسوريون ويونان وبعض من الفرنسيين والارمن  
وحول هذه المدينة حدائق غناء وفواكه لذيذة كالعنب والتين  
والقشطة والموز والمان والبورتقال ومن أعجب ما علمته عن القضارف ان  
النخل يثمر فيها مرتين في السنة ، كذلك العنب الذي يثمر مرتين في السنة



مرة في الشتاء وأخري في الصيف موجود فيها وفي الخرطوم  
 وفي القضارف مدن أخرى غير عاصمتها يسكنها أترك ومصريون  
 ويونان وأرمن وهي لا تقبل عن عاصمتها وأشهرها (عصار) و (دوكه)  
 وسكان القضارف قسمان سكان القرى وسكان البوادي الذين جلبهم من قبيلة  
 (الضباينة) التي تقدم لنا ذكر زعيمها محمود عيسى زائد وكلتاهما متوفرة لديها  
 أسباب المعيشة و متحصلة على نعومة العيش من أسهل الطرق وأقربها  
 وسيأتي ذكر خراب تلك البلاد وانها الآن قفر ليس فيها عشرة آلاف  
 ساكن بعد ان كان تعداد سكانها يربو على مليون نسمة

وكان لعوض الكريم أبي سن زعيم قبيلة الشكرية الذي قتله التعايشي  
 صبرا ابن اسمه عبد الله أمه من قبيلة الجميلين مال الي اخواله ورغب عن  
 خطلة والده وقومه الشكرية وعدوهم عن قبول دعوة المهديونية وقدم على  
 المهدي الذي ولاه الدعوة له في القضارف فقام بها وأدخل البلاد في دعوة المهدي  
 وكان في منزل صالح شنقه زعيم دكروربي القلابات رجل يعلم الصبية  
 القرآن الشريف فلحق بالمهدي وعاد من عنده يحمل أوامره بالدعوة له في القلابات  
 فانسحبت حامية القلابات الي بلاد الحبشة انفاذاً للمعاهدة التي أبرمت بين  
 الاحباش والحكومة الحديوية فاحتل ذلك الداعية القلابات باسم المهدي ومنع  
 اداء الجزية للاحباش الذين كانوا وقتئذ مشتغلين بدفع غارة الايطاليين عن  
 بلادهم في الجهات التي تلي ساحل مصوع واسم هذا الداعية محمد بن ارباب وغادر  
 صالح شنقه القلابات مع الحامية ولم يشأ البقاء فيها

هذا وقد كانت دعوة المهديونية قد دخلت في بلاد الحبشة على يد رجل  
 من أصراء الاحباش المسلمين اسمه محمد جبريل وفد على المهدي قبيل وفاته

بأيام قلائل فاعاده الى بلاده بمنشور دعا الاحباش فيه الي اعتناق الاسلام  
وطرح النصرانية والاجتماع على طاعة محمد جبريل لقتال الكفار وهامى صورة  
المنشور نقلا عن كتاب المنشورات

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

الحمد لله الوالي الكريم والصلاة على سيدنا محمد وعلى آله مع التسليم  
وبعد فمن العبد المفتقر الى الله محمد المهدي بن عبد الله الى أهالي (قيرا وقوما  
وقما وسما ولموا والنارية بلد البن وليكاونونوا ولي بن وهروسي وقبا وكفاه  
وكوتا وكويشاوشتا وقونه ولا موا ابارزو وكوا ونبوا وسوروا) وفقهم الله  
لطاقته واتخفهم بمرضاته آمين بعد السلام عليكم اعدوا وفقكم الله لما يحبه  
ويرضاه وجعلكم من الفائزين ان الدنيا قد ولت مدبرة وان الآخرة قد  
تزيت مقبلة ومع ذلك فانما في الدنيا خيس جذا وما في الآخرة نفيس  
جدا وعلى العاقل ان يسمي لنفيس دائم ويعرض عن خيس فان كثيرا  
ما حل ببناء الدنيا من الدمار والحسرات وكثيرا ما اجتبي الله ابناء الآخرة  
ورفعهم اعلا الدرجات وأجزل لهم المسرات وأنواع الخيرات وان الله تعالى  
قد أظهرني رحمة للمؤمنين وبغية للصالحين وسيفا قاطعا للملحدين فمن أراد  
الله سعاده ونجاته من خزي الدنيا والآخرة لباني وأجاب دعوتي ونصرني  
وآواني ومن غلبت عليه شقوته أعرض ونأى وكذب وعصي فمن لباني فاز ونال  
من الخير العميم مالا يعد ولا يحصى ومن أعرض فقد دصره الله وخذله خذلانا  
مبيننا وحيث فہتم هذا البيان فاني على حسب المصلحة الدينية قد عينت لكم  
السلطان محمد جبريل عاملا عليكم في دين الله لاقامته ودعاية العباد الي  
سلوك سبيل الرشاد فينبغي بوصول هذا عندهم ان توازروه وان تشدوا

عضده وتسمعوا أمره ونهيه مادام على الحق والصدق وان تحاربوا معه كل من ضل واعرض عن الاتباع. وسلك طريق الغواية والابتداع. ولا تركزوا الى الراحة والبطالة فان الجهاد فضل عميم. وثواب جسيم. منوه عليه بسواطع أدلة القرآن العظيم. وأحاديث النبي الكريم. وكفى من ذلك قوله تعالى «الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم أعظم درجة عند الله وأولئك هم الفائزون يبشرهم ربهم برحمة منه ورضوان وجنت لهم فيها نعيم مقيم» الآية وقوله صلى الله عليه وسلم «رب غدوة أو روحة في سبيل الله خير من الدنيا وما فيها» أو كما قال وحيث كان كذلك فاذا وصلكم جوابي هذا فشمروا في طاعة الله ورسوله وابدلوا أرواحكم في نصرة دين ربكم بحيث من كان منكم على دين النصرانية يرفضه ويدخل الاسلام ويبادر بالتسليم والانخراط في سلك المهديّة قال تعالى «ان الدين عند الله الاسلام» «وانيبوا الى ربكم وأسلموا له من قبل ان يأتيكم العذاب ثم لا تنصرون واتبعوا أحسن ما أنزل اليكم من ربكم من قبل ان يأتيكم العذاب بغتة وأنتم لا تشعرون أن تقول نفس يا حسرتي على ما فرطت في جنب الله وان كنت لمن الساخرين أو تقول لو أن الله هداني لكانت من المتقين أو تقول حين تري العذاب لو أن لي كرة فاكون من المحسنين» فرد الله على من هذا حاله بقوله «بلى قد جاءتك آياتي فكذبت بها واستكبرت وكنت من الكافرين ويرم القيامة تري الذين كذبوا على الله وجوههم مسودة» الآية فهذه الآيات وما مثلها مما يرغب في دين الاسلام والتسليم لامر المهديّة وينفر عما سواه وأما من كانوا منكم على دين الاسلام فتأييده وتشبيده هو غاية مقصودهم فليشمروا في نصرتنا ابتغاء مرضات الله ادام الله توفيقكم وجعلكم من

عباده المؤمنين آمين وفي هذا كفاية لمن له قلب والسلام ١١ شعبان سنة ١٣٠٢  
وأنت أيها الامير محمد جبريل أوصيك بتقوى الله في سررك وعلانيتك وإيثار  
آخرتك على دنياك وأن لا تقدم على أمر ما لم تعلم حكم الله فيه فان الامارة  
خطرها عظيم وخطبها جسيم ولا بد لصاحبها من الخلود في النعيم المقيم أو  
العذاب الاليم قال تعالى «فاما من ظني وآثر الحياة الدنيا فان الجحيم هي المأوى  
وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فان الجنة هي المأوى» ونظرا  
لذلك فان امارتنا لك معاقبة على شرط اتباع الكتاب والسنة فان غيرت أو  
بدلت فلا امارة لك فافهم ذلك واسترشد به ولكمال المملومية لزمتم التحشية  
في تاريخه

هذا ولما دخلت دعوة المهديوية في بلاد الاحباش ادرك النجاشي يوحنا خشونة  
مركبه ومغبة أمره حيال هذه الدعوة التي هاله انتشارها فلم ير وسيلة لدفع  
شرها غير التدرع بالجبروت ومقاومة دعائها بضروب القوة والقهر بيد أنه  
تعالى في هذا السبيل حتي فقد الروية والنظر القصي للعواقب فانشب مخالب  
الاضطهاد الديني في مسلمي رعيته وخالف تقاليد اسلافه حيث اكره نحو  
مائة الف من أهل القبلة على اعتناق النصرانية وعذبهم عذابا ليلما

على ان حرية الاديان في بلاد الحبشة كانت لا تزال بالغة حد الكمال  
حتى ان شقيقة النجاشي يوحنا اعتنقت الاسلام وتزوجت باحد الامراء المسلمين  
فلم يمنعها أخوها ولم ينقصها شيأ من الاحترام الواجب لثلثها  
وقد قام كثير من أمراء الاحباش المسيحيين ومحضوا النجاشي النصيح بالعدول  
عن هذا الاكراه فلم يكثر بنصحهم وظل على رأيه الفائل وكان منليك  
نجاشي الحبشة الحالي أول معترض على عمل النجاشي يوحنا

وعلى أثر ذلك نزع كثير من مسلحي الاحباش وحققوا بالتعايشي فولى عليهم رجلا منهم اسمه (محمد فقرا) وعسكروا في الشمال الشرقي من القلابات عند نهر (اتبره) بالقرب من جهة (المراديب) وسموا معسكرهم (تبارك الله)

وفي أواخر سنة ١٣٠٣ وفد على التعايشي محمد أرباب أمير القلابات فأكرم وفادته وأعطاه أسلحة نارية وخبولا وأعادته الى القلابات وأوصاه بالغاارة على اطراف بلاد الاحباش فاغار عليها في تلك السنة وخرب عدة قري وأحرق الكنائس واتلف ما فيها من الثمائل وكذلك أغار محمد فقرا على القرى التي هي حيال معسكر (تبارك الله) وانحن في أهلها

وكان في جهة (غبته) اعرابي اسمه عجيب الحمراني في السودان الشرقي فر باكثر قبيلته من وجه المهديين ولجأ الى بلاد الاحباش فأمده بالأسلحة ووكلوا به الدفاع عن حدودهم في جهة (غبته) فكان يوالى الغارة على القرى التي على ضفة نهر (اتبره) وكانت غاراته لا يلحق المهديين منها اقل ضرر بل كان شرها واقما على الضمفاء سكان تلك القرى الذين دخلوا في طاعة المهديين قسراً وفي أوائل سنة ١٣٠٤ تواترت الاخبار بتقدم الاحباش الى معسكر القلابات و (تبارك الله)

وفي أوائل شهر ربيع الآخر سنة ١٣٠٤ هجم الراس عسكار على محمد أرباب في القلابات وقتله واكثر مقاتلته وفر الباقيون الي (القضارف) وهجم جيش حبشي على محمد فقرا في (تبارك الله) ففر بجميع مقاتلته عند ترأى الجمعين وحق بالقضارف أيضا وطارت الاخبار بذلك الى التعايشي في أم درمان فالتدب يونس بن الديكيم في عشرين الف مقاتل فسار من أم درمان الي

القلابات فوصلها في شهر رجب وانسحب الاحباش منها بغير قتال  
ولما استقر يونس بجيشه في القلابات بذل الامان لتجار الاحباش فجاءوا  
اليها بسلمهم فوثب عليهم وصادر أموالهم وساقهم اسرى يرسفون في القيود  
والاغلال الي أم درمان فاذاذاع التعالشي بين الناس ان يونس غزا بلاد الحبشة  
وخرب عدة مدن واستولي عليها وأن هؤلاء اسري تلك الوقائع ولم تمض أيام  
حتى ظهرت الحقيقة وعلم الكل ان أولئك الاسرى كانوا تجارا منهم يونس ثم غدر  
بهم ونهب أموالهم وساقهم اسرى الي التعالشي

أما يونس الدكيم هذا فانه تعالشي من قبيلة التعالشة وكان فقيراً لا يملك  
شروي نقيير وهو أحد أزواج والدة التعالشي قدم على المهدي في الابيض  
وبقى مع التعالشي يقاسى من شظف العيش أمره حتى توفي المهدي فجعله  
التعالشي قائداً على نحو عشرين الف مقاتل وله نوادر مضحكة تدل على سخافة  
عقله. منها ان الناس كانوا يأتونه فاذا وقفوا بين يديه صوبوا نظرهم الي الارض  
فيقول لهم لماذا لا ترفعون ابصاركم نحوي فيقولون وهل يستطيع أحد النظر  
الي وجهك الذي يفوق وجه السبع فيرتاح الي ذلك ويأمر بعزف الطبول  
ويركب جواده ويأمر مقاتلته باطلاق النيران في الهواء. ومنها انه اذا جلس بين  
اتباعه فلا كلام له غير الثناء على نفسه ومنها انه كان يقول اذا التقينا بجيوش الترك  
نقتل في الدقيقة مئآت منهم ونحترق صفوفهم ونزحزحهم عن مواقيهم الي غير  
ذلك من الاكاذيب فقد علم الخاص والعام ان يونس هذا من أجبن خلق الله وانه  
يفر من مواطن القتال كما تفر النعامة من صفيير الصافر

ومن أعجب خرافاته انه كثيراً ما كان يقول انه سيفتح لوندرة عاصمة  
الانكليز وانه سيتزوج باكرم عقيلاتهما

وصلى بالناس مرة صلاة الظهر ثماني ركعات فقال له أحد الحاضرين  
اسجد لسهو فغضب وقال وهل أنا جاهل حتي يرشدني مثلك فان سجود  
السهو لا يكون للزيادة بل للنقص لان العبد اذا أمره مولاه بحرارة أربعة  
أفدنة مثلاً من أرضه ثم رأى نفسه قادراً على حرارة ثمانية أفدنة فحرث  
موجباً لرضى مولاه عنه بخلاف ما لو أمره بحرارة أربعة أفدنة فحرث  
ثلاثة أو اثنين فان هذا النقص يكون موجباً لغضب مولاه عليه وحينئذ  
يجب ان يقدم المذرة وهذان المثالان ينطبقان على الصلاة ثم أمر بالرجل  
فأخذ بالسياط حتى مزق جسمه وسيق الى السجن وغزعت يونس كثيرة  
يضيق المقام دون سرد التليل منها والحاصل انه كان جاهلاً سخيف العقل  
ظلوماً غشوماً قاتله الله

وفي أوائل سنة ١٣٠٤ استقدم التعايشي حمدان أبو عنجة من الجبال  
فقدم في جيش عمر مرم ومكث بام درمان بضعة شهور ثم انفضه التعايشي  
الى القلابات لتعزير الحامية التي بها حتي تصبح قادرة على أخذ الثار من الاحباش  
فسار أبو عنجة قاصداً القلابات وبينما كان سائراً في الطريق بلغه ظهور رجل  
فيها ادعي انه المسيح عيسى بن مريم صلوات الله وسلامه عليه

ولما وصل أبو عنجة الى القلابات وعرض على يونس أوامر التعايشي  
بتوليته القيادة العامة على الحامية أرسل يونس يبلغ التعايشي ذلك الخبر فأمره ان  
يسير حياً هذه المسألة بماضى عزيمته المعروفة مطيعاً لابي عنجة.

أما ذلك المتنبى فانه من أهل دكرور وله معرفة بضروب السيمياء  
والشعوذة حتى انه كان يصنع امام الملائم اشياء من تلك الخزعبلات يخالها  
الرأي حتمية لا ريب فيها

وأصل ذلك الدكتوروري من جيش يونس الديكيم غادر أم درمان معه  
 وكان أحمق طائشا حدثته نفسه بأنه سيبلغ أربه من اتحال دعوي انه  
 عيسى روح الله لما اشتهر من ان نزول المسيح عليه السلام يعقب  
 ظهور المهدي المنتظر فجهر بدعواه وصنع امام الناس خيالات من السيمياء  
 ظنهما دراويش المهدي الاغبياء من أعظم المعجزات فآمنوا بذلك الكذاب  
 وبايعوه علي الطاعة العمياء وبايعه سبعة عشر قائدا من اكبر قواد جيش  
 المهديوية الذين مع يونس ولم يداخلهم ادنى شك في صدق ما ادعاه

ومن العجب ان بين أولئك القواد ابن بقارى وهو فقيه من عائلة بقارى  
 التي لها مدرسة يؤمها طلاب العلم في جزيرة السودان

وعرض السبعة عشر قائدا أمر تلك النبوة على قائدهم العام يونس  
 فرافقهم الي محل الرجل ورأي من خزعلاته ماراج على عقله الذي هو اكثر  
 سخافة من عقول قواده السبعة عشر الا انه خاف عاقبة الاسترسال في هذا الامر

فارسل يبلغ التعايشي بتفصيل المسألة سرا

ولما وصل أبو عنجة الي القلابات ومعه اكثر من أربعين الف مقاتل  
 وكثير من المدافع والسوارخ وبضعة آلاف فارس أحاط بالمعسكر احاطة السوار  
 بالمعصم واستدعي يونس ووضع يده على مخازن الذخيرة واستولي على الجبهه خانه  
 ثم قبض على المتنبى وسأله عن دعواه فقال انه جاء بعد المهدي وان الله أرسله  
 لشد عضد التعايشي فقال له ألسنت فلان بن فلان ولا تزال امرأتك  
 وبنوك بام درمان فاجاب بالسلب فامر بصلبه فصلب ثم قبض على السبعة  
 عشر قائدا الذين صدقوه وقال لهم ها هو صاحبكم مصلوب فقالوا كلاً بل  
 شبه لكم وقرأوا قوله تعالى «وما قتلوه وما صابوه» الآية فامر بهم فصلبوا



وعادت المياه الى مجاريها وتبددت غياهب الفتنة التي كنا نظن انها تأتي بانقلاب  
يكون من ورائه فرج قريب وما ذلك الا لانا كنا كالغريق يتشبث بسعفة  
تقاذفها الامواج

ثم استدعى التعايشي يونس الدكيم الي أم درمان وعنفه على  
ما ظهر من خوره وضعف عزيمته حيال دعوى ذلك الكذاب وسيأتي ذكر  
تعيينه على دنقلا

ولما اتصل بالتعايشي نبأ مهلك ذلك الكذاب خرج ذات يوم وبيده  
منشور فرقي المنبر الذي أعده للخطابة وكان منبر المسجد العام في الخرطوم  
فنقله الي أم درمان وأعده للخطابة وقص على الناس أمر ذلك المتنبئ ثم دفع  
المنشور الي من يقرأه وفيه بعد البسملة والحمدلة مانصه

وبعد فيقول عبدربه خليفة المهدي عليه السلام الخليفة عبد الله بن  
السيد محمد خليفة الصديق وأمير جيش المهدي لما أتى الخبر بصلب الشخص  
المدعى كذبا انه نبي الله عيسى وصاب أعوانه الذين صدقوه داخلتي شفقة شديدة  
على هؤلاء لانهم من أصحاب المهدي عليه السلام الاقدمين فاستغفرت الله لهم  
فانكشف لي حالهم انكشافا روحيا فرائتهم بعيني في طبقات جهنم وابن بقاري  
في الطبقة الاخيرة منها وقد شفعت فيهم فجاء النبي صلي الله عليه وسلم  
والمهدي عليه السلام فقالا لي انهم ماتوا وهم كفار ولا شفاعة فيمن يكفر  
بالرحمن اه ملخصا

على اننا نستدرك هنا تفصيل شيء من الشعوذة التي أثرت على عقول  
أولئك الاغبياء فنقول ان هذا الرجل كان يدعو الاشجار فتسمى اليه واذا  
سأله المطر في غير أوانه جادت السماء بمطر كأفواه القربول لكن لا يتجاوز

دائرة جلوسه وانفخت جثته مرة فماتت غرفة كان فيها وخرجت من نوافذها وأراهم مرة اشباحاً في الفضاء لم يشكوا في انها ملائكة السماء نزلوا لخدمته وموازرتة وبالجملة فان هذا الرجل كان بارعاً في الشموذة متضلعاً من علم السمياء بكيفية لا يدرك كنهها أولئك الاغبياء

### ذكر فتح قندر بالحبيشة

لما استقر حمدان ابو عنجة في القلابات سار الى (قندر) عاصمة مملكة الاحباش القديمة في ألى فارس وألى مساح بنادق رامنجتون فالتقى بنحو عشرة آلاف فارس من الاحباش في ضواحي المدينة ورفعت الحرب اوزارها بضع ساعات ثم انجلى القتال عن هزيمة الاحباش وتمزيق جيشهم شذرمذر وسقط منهم ستة آلاف قتيل في ساحة النزال

ودخل ابو عنجة المدينة ونهبها جنوده وغنم منها شيئاً كثيراً من الذهب والفضة وعدداً ينيف على العشرة آلاف رأس من الخيول والبغال ونحو ثلاثة آلاف نسمة من النساء والغلمان بيعوا أرقاء والنساء بينهن فتيات في منتهى الحسن والجمال ألوانهن تكاد تضارع ألوان المصريات خلافاً لما عرف من ألوان الاحباش الذين كانوا يجلبون فيما مضى من الازمنة الى مصر والسودان ثم دخل الكنيسة وهشم ما فيها من التماثيل وقتل القسوس واحتمل ما فيها من الآنية ذات القيمة واضرم النار في المدينة كلها وقفل راجعاً الى القلابات

وأرسل للتماشي بعدد عظيم من الغلمان والفتيات ونحو الف رأس من البغال وخمسين حماراً وقسم بقية الغنائم على رجاله بعد ان أخذ ما اشتهاه منها

وأرسل مقداراً عظيماً أيضاً من التبر والفضة الى يعقوب اخي التعايشي وبذل أبو عنجة الامان لتجار الاحباش وعاهدكم على ان لا يأخذ منهم غير خمس سلمهم فهرعوا الى القلابات بتجارة البن والعسل والسمن والقمح وغيرها من محصولات بلاد الحبشة فكان يتحصل من هذه الضريبة ما يقرب من نفقات أبي عنجة وحاميته

### وفاة ابي عنجة وولاية الزاكي طمل

في رجب سنة ١٣٠٦ توفي حمدان أبو عنجة على أثر تناوله مسهلاً ودفن بالقلابات وتبادل الناس اشاعة ان احدي محظياته واحبهن اليه دست له السم في ذلك المسهل فاستدعاها التعايشي اليه وكانت ذات جمال باهر فدهش لدى وقوع بصره عليها وتعلم لسانه عن استنطاقها عن الجساية التي اتهمت بها فامر بادخالها الى منزله ولم يجسر بعد على سؤالها عن شيء كيلا يسوءها سماءه ولم يكتف بذلك بل حظر على الناس الكلام في هذا الصدد ولما اتصل بالتعايشي نبأ وفاة أبي عنجة جزع جزعاً شديداً وظهرت عليه علامات الحزن والكآبة فانتدب قاضي الاسلام أحمد علي ومعه أربعة قضاة ليسافروا الى القلابات ويحملوا الاوامر بتولية الزاكي طمل بدل حمدان أبي عنجة والزاكي طمل هذا تعايشي أحد أبويه من عبيد (البنضلة) وكان خادماً في إحدى شركات النخاسة في النيل الابيض وكان جباراً قاسياً ظالماً سفكاً للدماء وسيأتي ذكر خبر قتله

### واقعة القلابات وقتل النجاشي يوحنا

مافتى النجاشي يوحنا منذ واقعة (قندر) يتأهب لاخذ الثار وجلاء

العار وجواسيس التعايشي يرفعون اليه في كل يوم أخبار تأهب النجاشي  
للمبارة على القلابات فلذا صار يوالى ارسال الامداد وأمر بتحصين  
القلابات بزريبة من الشوك حصينة لا يمكن تسورها تبلغ مساحتها عشرة  
آلاف متر تقريبا

وأعلن النجاشي قومه انه زاحف الى القلابات في وقت عينه قبل أو ان  
الزحف بالفعل ببضعة شهور فعلم التعايشي بالامر وقبل حلول الاجل هلك  
حمدان أبو عنجة فارسل التعايشي أحمد على القاضي ومعه أربعة من القضاة حاملين  
أوامر تولية الزاكي طمل وقد أسر اليهم ان يراقبوا الحركات الحربية حيث  
اقترب ميعاد زحف الاحباش على القلابات

ولما وصل أولئك القضاة الى القلابات تلمقاهم الزاكي طمل بالاكرام وانقدق  
عليهم العطاء الوافر من أصناف الرقيق والنقود

وفي شهر شعبان سنة ١٣٠٦ هجرية هجم النجاشي يوحنا على (القلابات)  
في مائتي الف مقاتل تقريبا جلبهم من الفرسان واحاطوا بالقلابات وضربوا  
خيامهم حولها وجلس النجاشي امام خيمته يحيط به خدمه وحشمه ووزاؤه  
وهجمت جيوش الحبشة على القلابات هجمة الاسود على فرانسها واضرموا  
النار في الزريبة فتقهقر الدراويش الى الجنوب واستولى الاحباش على نسايمهم  
وأولادهم ونهبوا دورهم

وبينما كان الاحباش مشتغلين بالنهب وصل الى الدراويش مدد من جهة  
الشمال تحت قيادة فرج الله باشا السوداني الذي كان قومندان نقطة أم درمان  
الذي جعله المهدي قائدا من قواده بعد ان سلم له وقد تقدم ذكر ذلك  
وكان هذا المدد ببضعة آلاف من الجهادية المسلحين بالاسلحة النارية

وهم من جنود الحكومة القدماء فتقدم فرج الله باشا بجنوده وأطلق النار على الاحباش فاصيب النجاشي يوحنا برصاصة وهو جالس امام خيمته فقضت على حياته في الحال وانتشر خبر موته في عسكره فولوا منهزمين وساقوا السبي امامهم فتأثرهم ازاكي طمل حتي ارخى الليل سدوله فالتقوا عصا التسيار انماسا لراحة فداهمهم الزاكي في الغلس على غرة ووضع السيف في رقابهم فانتهبوا من نومهم مذعورين وقتل منهم خلق كثير وفر الباقون واستخلص السبي من أيديهم وأرشدهم أحد الرواد الى تابوت وضعت فيه جثة النجاشي ففتحوه وحزوا رأسه وقبضوا على سائر اسلابه ومن بينها تاج مرصع بالاحجار الكريمة وخاتمه وملابسه وعاد الزاكي الي القلابات مسرورا وغادر أحمد على ومن معه من القضاة (القلابات) يحملون بشرى الانتصار الي التعايشي ومعهم رأس النجاشي وسائر الاسلاب

أما سرور التعايشي بهذا الانتصار فانه مما يعجز القلم عن وصفه حيث مكث أربعين يوما يذبح البدن ويدعو الناس الى تناول الطعام على قصصته المعلومة ولا حديث له غير هذا الانتصار وقد سمعته مرة يقول لمن حوله هسل في الدنيا دولة تضارع الحبشة فيقولون كلاً فيقول ان فتح مصر لا يكلفنا ما تكلفناه في الانتصار على الاحباش فيجيبونه بان حرب أوروبا برمتها أسهل من حرب الاحباش ثم أخذ يقول ان النبي صلى الله عليه وسلم أخبره بهذا الانتصار قبل وقوعه ببضع سنوات ثم قال ان المهدي عليه السلام أخبره بان ترك الحبشة الذي أشير اليه في الحديث الشريف مغني بزمن الخليفة عبد الله المتعايشي

ولما نصبت رأس النجاشي يوحنا في السوق ووضع تاجه وسائر اسلابه

في مقصورة المسجد هرع الناس لرؤيتها وهم يشكون في صحة هذا النبا  
ويقولون ان هذه الاسلاب قد سرقتها بعض الجواسيس من معسكر النجاشي  
وأوصلوها الي التعاشي

هذا وقد كنت أنا وسائر الذين يترقبون الخلاص من نير المهديوية نود  
من صميم افئدتنا انتصار الاحباش وفوزهم على الدراويش في القلابات عساهم  
يتقدمون منها للاستيلاء على بقية السودان ولذا جاءت أخبارهم يمتهم بعكس  
ما كنا نود فسبحان من يؤتي النصر من يشاء

### شان خط الاستواء والمهدويين

أورد تحت هذا العنوان حوادث خط الاستواء مع المهديين فاقول  
ذكرت في أوائل الجزء الاول الاسباب التي حملت الطيب الاثر غردون  
باشا على فصلي عن ولاية أقاليم خط الاستواء وبينت باسهاب المساعي السافلة  
التي بذلها أمين أفندي طيب الحامية وقتئذ لنيل أمنيته من الولاية على أقاليم  
خط الاستواء وكيف دفع السائح (ينكر) على الوشاية بي عند غردون  
باشا حتى عاملني بالمعاملة القاسية التي شرحتها ثم ما كان من أمر ظهور  
براءتي عنده بارشاد الضابطين اللذين كشفنا له حقيقة المسألة

وعلى أثر هاته الحادثة امتلأ غردون باشا غيظاً من أمين أفندي وتبدلت

ثقتة ومحبته فيه بوصمه بالخيانة والكرهية

ثم لما عدت مع غردون الى الخرطوم في المرة الثانية وتحادثنا في شؤون  
كثيرة عن خط الاستواء علمت من حديثه انه حاقد على أمين بك حاكم خط

الاستواء سبي الظن به

ولما استولى كركساوي على أقاليم (بحر الغزال وشكا وحفرة النحاس)  
غزا حدود خط الاستواء وعاد دون ان يظفر بشيء منها

وفي سنة ١٣٠٥ كان بام درمان رجل اسمه عبد الله الطريفي وهو عم  
الحاج الزبير الذي ذكرنا في أول خلافة التعايشي انه أرشده الى سلوك  
الطريق الذي سار عليه وكان عبد الله الطريفي هذا جابياً من قبل المهديوية  
في إقليم القصارف فاغتال منه مالا جزيلا بأتحاده مع ابن أخيه الحاج الزبير  
وفي سنة ١٣٠٤ أرسل التعايشي الى (القصارف) من أوقفه علي خيانة الحاج  
الزبير وعمه عبد الله الطريفي فقبض عليهما واستصفي ما اغتالاه من المال  
وزجهما في السجن وبعد بضعة شهور أطلقهما وجعلهما تحت المراقبة النظرية  
فعمدا الى وسيلة يتقربان بها اليه فدخل الحاج الزبير علي التعايشي وأخبره ان  
عمه عبد الله الطريفي كان نخاسا في جهات خط الاستواء وله معرفة جيدة  
بأخلاق وعوائد أهالي تلك البلاد وأبان له الثمرات التي تعود من فتح خط  
الاستواء من جلب العاج وريش النعام والارقاء من تلك الديار فعول التعايشي  
علي انفاذ عبد الله الطريفي لفتح تلك الاقاليم

وعبد الله الطريفي هذا كان نخاسا وفي بداية ظهور دعوى المهديوية  
قبضت عليه الحكومة وسجنته لاتيانه أصرا من انواع الخيل وذلك انه كتب  
علي بيض الدجاج لفظ الشهادتين وبمدها ذكر اسم المهدي الذي عمدها التزوير  
من كراماته وكان عبد الله الطريفي هذا ذاهاء وحيل ومكر سيء

ولما صمم التعايشي علي انفاذ حملة لفتح خط الاستواء استدعاني الى داره  
فذهبت اليه وانا في وجل شديد من هذه الدعوة فدخات عليه فالفيتة جالسا  
وحده فلما وقع بصره علي هش وبش فقبلت يده وجلست علي الارض

أمامه وقد ذهب روعي لما آنتست من بشاشته فخطبني بما يأتي.

يا ابراهيم فوزي اني عزمت علي انفاذ حملة لفتح اقاليم خط الاستواء  
وبما انك كنت حاكما عليها فاني اود انفاذك اليها لتكون مرشداً صادقاً  
ومستشاراً أميناً لقائد الحملة واني اود ان تكون راضياً بالقيام بهذه المهمة  
التي أعهد اليك القيام بها لانني عالم بانك صرت من اخلص المخلصين لنا.  
فاجبته بأنني أشكر مولاي على ثقته بي واعاھده على القيام بما عھده الي  
بالصدق والوفاء . فسرھ هذا الجواب واعطاني عشرة ريالاً وتناوت معه  
الغداء على قصمة الضيوف وانصرفت الي منزلي مملوء الجوانح بالسرور وقد  
رايت انني استطع النجاة من اسر هؤلاء البرابرة المتوحشين لذي وصولي  
الي خط الاستواء فقضيت ليالي لابزور الكرى جفني لشدة مادخلني من  
السرور الذي تلاه الترح حيث استدعاني التعايشي الي مجلس حافل بالقضاة  
والخلفاء وارباب الشورى وبعد أن شكرني علي قبولي القيام بمهمة الدلالة لقائد  
حملة خط الاستواء عبد الله الطريفي قال لي انني اخشى عليك متاعب السفر  
واود ان تكون قريباً مني ولذا اقبلتك من مأمورية مرافقة عبد الله الطريفي  
ولكن اكلفك بوضع رسم مشفوع بالتعليمات التي يجب العمل بها اذا وجدت  
بواخرنا النهر مسدوداً فوعدهت باحضار الرسم في الغد وبعد خروجي علمت  
ان سبب تاخيري ان عبد الله الطريفي وابن اخيه الحاج الزبير وشيابي عنده  
حيث قال له ان ابراهيم فوزي كان حاكماً لاقاليم خط الاستواء وقد  
شهد وقائع فتحها مع غردون باشا وانه من أعرف الناس باخلاق وعوائد  
أهلها وانا نخشى من مغبة وصوله الي تلك البلاد اذ بذلك يمكنه ان يأتي أي  
عمل يريد من ضروب الاضرار بنا وانه اذا لم يستطع ذلك فانه يستطيع



الفرار الى ماوراء بحيرة فيكتوربا نيازاً فأثرت وشايتها على التعايشي وعدل عن  
انفاذي مع تلك الحملة

هذا وقد اشتغلت ليأتي بعمل الرسم وتدوين التعليمات وفي اليوم التالي  
قصدت دار التعايشي فالقيته جالسا ومعه الذين كانوا معه بالامس وغيرهم من  
الامراء وهو يلقى التعليمات على عبد الله الطريفي قائد الحملة فقدمت له الرسم  
فتناوله كاتبه ووقفه على كل ما فيه فالتفت الى وشكرني وقال انني عزمتم علي  
انفاذ الحملة ووجهتها كيت وكيت فهل عندك نصيحة فقلت نعم يا مولاي وقد  
مالت نفسي للانتقام من عبد الله الطريفي وابن اخيه الحاج الزبير لوشايتها  
التي سدت في وجهي بابا كنت أرجو الخلاص بولوجه

فقال التعايشي هات ما عندك فقلت ان عبد الله الطريفي وسائر الذين  
انتدبتهم لهذه الحملة كانوا نخاسين وقد ذاق أهالي خط الاستواء من مظالمهم  
ما جعلهم يبغضونهم أشد البغض وهم قوم لا خلاق لهم اذ كانوا يقتلون النفس  
التي حرم الله قتلها الا بالحق ليكتسبوا من وراء قتلها دجاجة فلذلك تري  
أهالي تلك البلاد يبغضونهم ويفرون من وجوههم كما يفر الانسان من  
الضواري فاذا ذهب هؤلاء النخاسون الى تلك البلاد جاءت النتيجة بمكس  
رغائبك حيث ياجأ الاهلون الى حاكم خط الاستواء ليكونوا معه على الذين  
ذاقوا مرارة سيطرتهم فيما مضى ورزحوا تحت نيرهم زمنا والاولى عندي ان  
يمهد مولاي قيادة الحملة الى أحد آل بيته ويشد أزره بجيش من الجهادية  
ليكون قادراً على كبح جماح هؤلاء النخاسين الذين بمجرد ان تظاً أقدامهم أرض  
تلك الارحاء يعودون الى أعمالهم السيئة التي تاباها عدالة مولاي وما وصلت  
الى آخر هذه العبارة حتى بدت علامات السرور على وجه التعايشي والنفت الى

وبالغ في الثناء على وشكرني قائلاً إن ما قتلته حل في أبي جرة مملوءة بماء  
الشهيد وعملاً بنصيحتك سأعين أحد آل بيتي لقيادة الحملة وقد أرجأت أمر سفرها  
الذي كنت مزماً انفاذه في الغد ريثما اختار القائد الجديد الذي لا بد من  
إمهاله أيأما ياخذ في خلالها اهبتة للسفر

وكان من جملة الحاضرين عبد الله الطريفي وابن أخيه الحاج الزبير نخرجا  
يتعتران في أذيال الفشل ووجوههما مكفورة والله أعلم بما في قلوبهما من  
الغيظ والاحنة على

ولدي خروجهما قابلاً أحد اصداقائي المصريين وقال له أليق من فلان  
ان يأتي ما أتاه امام الخليفة فقال لهما الجزء من جنس العمل لانكما بدا تما  
بالوشاية عليه فنجحتما في الاضرار به وهكذا يكون جزاؤكما

وعلى أثر هذه المحادثة انتدب التمايشي احد اقاربه المسحى عمر صالح ومعه  
نحو الخمسمائة جهادي وجعله قائداً للحملة وجعل عبدالله الطريفي كدليل له ويبلغ  
مجموع رجال الحملة نحو ستة آلاف رجل جلهم مسلحون بالاسلحة النارية

وفي اواسط سنة ١٣٠٥ غادرت الحملة أم درمان على اربع بوآخر ولما  
وصلت الى اماكن السدود وجدتها متراكمة بها فتعذر عليها متابعة السير الى جهة  
الجنوب فمكثت بقية سنتها تعالج فتتح السدود فهلك من رجالها كثير وهلك  
أيضا عبدالله الطريفي مع من هلك وقوبلت الحملة من أهالي البلاد بنفور عظيم  
وامتنع الاهلون من تقديم الاغذية للرجال الذين انقسموا شطرين أحدهما  
اشتغل بتحصيل القوت بالسلب والنهب من القبائل القريبة من شاطئ النهر  
والآخر اشتغل بفتح السدود

هذا وقد رايت ان اورد هنا شذرة من وصف السدود اتماماً للفائدة التي

ربما تشرف اليها القارىء فاقول

يبتدىء خط السير في النيل الابيض من الخرطوم قبل ان يختلط مع النيل الازرق وهذا النهر هاديء وضفته متراميتان عن بعضهما حتى يتعذر في بعض الامكنة رؤية من بالشاطئ الشرقى الشاطئ الغربى مثلاً ولو بالنظارة المعظمة وذلك من بعد بركة السنيورة فاذا غادرت بحر الغزال متجها الى الجنوب عند حدود الاقاليم الاستوائية كان الامر بمكس ذلك فتشاهد ضفتى النهر متقاربتين والماء مندفع بقوة حتى ان خريه يصم الآذان وتربة تلك البلاد من طينة لزجة تكاد تضارع المواد الغروية الشديدة اللزوجة كالصمغ ونحوه

وينبت علي ضفتى النهر حشيش في طول قصب السكر والناظر اليه لا يشك انه قصب السكر ولكنه مملوء بشوك صغير يتطاير على من يدنو منه وتحدث منه قروح قل ان يبرأ من تعلق به ولشدة اندفاع ماء النهر تقطع من الجزر قطع من الطين عليها اجزاء من هذه الحشيشة التي يطلق عليها اسم ( ابو صوفه ) فتتراكم عند مضيق النهر وتمنع سير السفن وطريقة ازلتها هي ان تقطع اجزاء صغيرة يدفعها التيار الى المتسع من النهر هذا ما كان من امر حملة المهديين واما امين باشا حاكم خط الاستواء فانه غادر ( اللادوه ) عاصمة الاقاليم الاستوائية الى الجهات الجنوبية على اثر ما اصاب جنوده من الفشل منذ عامين امام ( كرم الله كرساوى ) داعية المهدي في ( شكا وبحر الغزال ) وقد تقدم ذكر غارته على حدود خط الاستواء ولما وصل عمر صالح الى ( اللادوه ) ووجدها خالية علم ان الحامية لحقت ( بالرجاف ) جنوب اللادوه فتقدم نحوها وشن عليها الغارة وذبح بمض من بها من

الجنود وفر البعض فاجتمعت الحامية في مكان اسمه ( اللابورية ) وهاجوا  
 الدراويش فدارت الدائرة على الحامية وقتل كثير من جنودها وفر الباقون  
 الي ( الدفليه ) فاعاد الدراويش السكره عليهم واستولوا على خطوط النار عنوة  
 وتقهقرت الجنود ثم كرت على الدراويش وقتلت منهم خلقاً كثيرين واجلتهم  
 عن الدفليه فغادروها منهزمين لا يلوون على شيء ولحقوا بواخرهم في  
 ( اللادوه )

وفي غضون اشتغال الحامية بدفع غارة الدراويش وصل المسترستانلي  
 الرحالة الذي كلفته الحكومة الحديدية بسحب حامية خط الاستواء عن  
 طريق زنجبار

ولما سمعت الجنود بامر هذا الانسحاب وعلمت ان طريقها الي جهة  
 زنجبار مملوءة بالمخاطر والصعوبات ولادواب للحمل في تلك الارحاء واشيع  
 بينهم ان مسافة الطريق تبلغ مسيرة سنة تتمرّد السودانيون منهم على امين باشا  
 وقبضوا عليه وسجنوه وعينوا حاكما وضابطاً من صغار الضباط السود كما قبضوا  
 على سائر الضباط المصريين والموظفين الملكيين وزجّوهم في السجن

ثم نحى الى اولئك الجنود التمردين ان الدراويش متقدمون نحوهم فهيرعوا  
 الي لقائهم في جهات جبال ( الدفليه ) فقام ضابط سوداني يدعي سليم مطر وهجم  
 على السجن واطلق امين باشا وساروا الي جهة قريبة من بحيرة فيكتوريا نيازا  
 وقابلوا المسترستانلي هناك فهدد المسترستانلي الي سليم مطر تسكين نائري  
 الحامية واستماتهم لمرافقته فتوجه الي ( الدفليه ) وحاول اقناع الجنود بوجوب امثال  
 أمر الحديد الذي يحمله ستانلي فلم يفلح ورموه بالخيانة وكادوا يبطشون به وظل  
 المسترستانلي ينتظر عودته نحو شهرين ثم اجتاز النهر وابتدأ مسيره الي زنجبار

ثم لحقته في الطريق كتب من الضابط سليم اغا مطر يخبره فيها بحبوط مسعاه فتابع  
المستترستاني سيره حتى وصل زنجبار بعد مسيرة تسعة شهور هلك فيها اكثر  
من نصف الذين رافقوه من متاعب السفر حيث كانوا يسرون على الاقدام  
ولولا سوء تصرف امين باشا وذبحه الافعال الهندية والثيران المروضة  
لكانت رحلة ستانلي الي زنجبار من ايسر الاسفار اذ الذين رافقوه لا يبلغون  
ألفي نسمة والثيران المروضة التي ذبحها تقرب من ثلاثة آلاف راس عدا  
بضعة افبال

وعلى أثر ذلك صفا الجو للمهديين في خط الاستواء وانطلقت ايديهم  
فيه يجلبون منه العاج والريش وسائر محصولاته ولله الامر من قبل  
ومن بعد



### ذكر عزل محمد الخير من بربر وموته

ذكرنا ما كان من امر محمد الخير وقيامه بدعوة المهدي في بربر واحتلاله  
ذقلة بعد جلاء الحملة الانكليزية عنها

وفي اوائل سنة ١٣٠٤ حين استتب السلطان للتعايشي على البلاد ووجه  
اهتمامه الي عزل الامراء الذين ولاهم المهدي واستبداهم بذوى قرابته او عن  
يعقوب اخو التعايشي الي الحاج علي سعد امير الجميلين الذين يسكنون القرى التي بين  
بربر وام درمان ان يكثر من الشكوى الي التعايشي ويتدمر من أعمال محمد  
الخير ويقبح سيرته فيهم ويرميه بكل منكر وفضيحة وكان محمد الخير قد  
احتكر وظائف الجباية والقضاء لاقاربه واتباعه ووعد يعقوب الحاج علي  
سعد بالولاية بدل محمد الخير فاغتر بوعده واسترسل في الطعن على محمد الخير

ونسب له أموراً هو براء منها وتعالى في تقييح سيرته وتشديد الزكبير عليه  
 فارسى التعاشى يستدعى محمد الخير الى أم درمان فقدم عليه وعند ذلك عقد  
 التعاشى مجلساً عاماً جمع فيه بين محمد الخير والحاج على سعد فسمع هذا الأخير  
 محمد الخير مطاعنه فيه فبكى واتحب ورفع يديه الى السماء قائلاً اللهم انى أشهدك  
 انى برىء من هذا كله وكانت هذه المطاعن مما يتجافى القلم عن ذكره ومن  
 جهاتها روى محمد الخير بارتكابها الزنا وقد ذكرنا انه كتب للمهدى على اثر فتح  
 بربر يقبح له استباحة اعراض المصريين بضروب السبى التى سار عليها من مسا  
 منه الكف عن ذلك فاجاب التماسه وهذه الحسنة ادل دليل على أن الحاج على  
 سعد كاذب في مطاعنه على محمد الخير لانه لو كان فاسقاً كما ادعى لما رغب عن  
 سنة السبى السيئة ولما رأى وجوب الكف عن هتك اعراض المصريين في بربر  
 على أن هذه الاذكايب مدبرة بين التعاشى واخيه يعقوب يقصدان  
 بها ابعاد محمد الخير عن بربر ليخلفه في وظيفته شخص بقارى ولما كان محمد الخير له  
 شهرة بين اهالى السودان رأوا أنه لا يحسن الاقدام على عزله بدون اسناد  
 فظائع اليه مثل التى فاه بها الحاج على سعد

وفي ذلك اليوم أصدر التعاشى أمره بعزل محمد الخير وتواية عثمان الديكىم  
 بدله فسار الى بربر في خمسمائة فارس ونهب القرى التى في طريقه واتلف  
 الزرع قبل ان يحصد وكان هذا العمل من مقدمات القحط الذى ضرب اطنابه  
 فى السودان وسترى تفصيله فيما سياتى

أماعمان الديكىم هذا فهو شقيق يونس الديكىم واعماله واخبار جهالته تفوق  
 الذى ذكرناه عن شقيقه

هذا وقد بقى محمد الخير فى أم درمان بضعة شهور ثم سجن بتهمة انه

فاه بكلام يمس شرق التمايشي ثم أطلق والحق بدقلة كأحد صغار القواد  
وتوفي بها في سنة ١٣٠٧

وحدث أناس من الذين حضروا وفاته انه لما احتضر جزع وقال اني  
كنت اظن أن دعوة المهديّة لله ورسوله فدعوت الناس اليها وأما الآن  
فقد علمت انها دعوة الشيطان اراد بالاسلام والمسلمين شرا بظهورها وان الله  
تعالى سيؤاخذني على ما جنته يداي ان لم يرحمني ويعف عن سيئاتي ثم نطق بالشهادتين  
وفاضت نفسه

النور ابراهيم الجريفاوي وتجار المصريين في بربر  
النور ابراهيم الجريفاوي ذكروري استوطن ابوه أو جده قرية (الجريف)  
التي تبعد عن الخرطوم جهة النيل الازرق ببضعة اميال وكان مشتغلا بصناعة  
اللبن وحررقه وبينه لسكان الخرطوم لتشييد المنازل  
وقد ذكرنا انه اغتال قدرًا من المال دفعته له الحكومة ليورد لها به الغلال  
فسرّب المال الي جيبه وكان اذ ذاك من أعضاء مجلس السودان حائزا للرتبة  
الرابعة ثم لحق بدعاة المهدي

ولما عزل الخليفة التمايشي محمد الخير من بربرولي النور الجريفاوي هذا  
امانة بيت مالها وكان النور هذا مشهورا لدى سكان الخرطوم بازا شتغاله بصناعة  
اللبن بالورع والتدين ودمائة الاخلاق وحسن المعاملة مع الحقير والعظيم  
والصغير والسكبير

ولما دخل في سلك موظفي المهديّة انسلك عن هذه الصفات وانقلبت  
كلها الي ضدها وصرت لا ترى منه غير رجل ظالم غاشم خرب الذمة قد نبذ

الورع والتقوى وراء ظهره شرس الاخلاق سيئ المعاملة لا يقول الا سوا  
والويل ثم الويل لمن كانت له حاجة عنده ألف ويل له ان كان مصريا فانه  
لا يسمع منه غير الشتائم المؤلمة ولا يرى منه الا سائر ضروب الالهانة وحاجته  
لا تقضي ولو كانت على طرف الثمام وبالجملة انه قد صفا له الجو حتي خلتاه شخصا  
غير ذلك الذي كان يبيع اللبن ولاغرو فان العظم كمين في النفوس تظهره القوة  
ويخفيه الضعف

وفي إبان اسناد امانة بيت مال بربر اليه كان يفد اليها ألوف من التجار  
المصريين من أهالي مديرية اصوان ولم يكن غرضهم الحقيقي الاتجار بل كانوا  
ميالين الى دعوة المهديّة وانما تذرّعوا بالتجارة لقضاء ما رهبهم من المباينة وحمل  
تعاليم المهديّة الى بلادهم ونقل اخبار الحكومة للتعايشي فكتب النور الى  
التعايشي يقول له ان هؤلاء التجار رواد للحكومة الحديوية وهم يتسترون  
بالتجارة وعندهم من المال ما يجب ان يكون حقه البيت المال فكتب التعايشي الى النور  
يامره بمصادرة أموال اولئك التجار مع انه لا يجهل أنهم معه على الحكومة  
وليسوا مع الحكومة عليه ولا تكن طمعه في أموالهم ألجأه الى سلبها

وعلى اثر ذلك وثب النور الجريفاوى على تجار المصريين وقبض على بضعة  
آلاف منهم وعذبهم ومزق اجسامهم بالسياط كي يدلوه على أموالهم التي  
بلغت قدرًا طائلا ثم اطلقهم وهم لا يصدقون بالنجاة بعد أن وردوا موارد  
الموت فمادوا الي بلادهم بقلوب مملوءة ببغض المهديين وحب الفرار من دعوتهم

## السودان الشرقي

بعد أن دارت الدائرة على عثمان دقنه في (كوفيت) وفر من وجه الراس



الولا عاد الى كسله ثم استخلف عليها ابن أخيه وغادرها الي (طوكر)  
ولم تمض سنة حتى ثقلت وطأة عثمان دقنه على الاهلين فارتفعت  
أصواتهم بالتذمر من مظلمه الفادحة التي أحسوا بثقل وطأتها عليهم فهرعوا  
الى الخليفة يشكون مالا قوافلم يجدوا منه غير التسوية والمطل والاتهم بالانحراف  
عن جادة الصراط المستقيم فثاروا على عثمان دقنه عدة ثورات  
وفي أواخر سنة ١٣٠٣ كتب التمايشي الى عثمان دقنه يستقدمه وكانت  
أول مرة استقدمه فيها بعد ان قبض على زمام الملك فشنخص من  
(طوكر) الي بربر ومنها الي أم درمان فاستقبله التمايشي بصنوف الاكرام وبعد  
انقضاء أيام عيد الاضحى أعطاه خمسة آلاف مقاتل من البقارة فسار بهم الي  
كسله عن طريق (القضارف) ثم سير خلفه الحاج محمد أبا قرجة في عشرة آلاف  
مقاتل وسلمه أمرا بانه امير شرقي السودان بدل عثمان دقنه الذي عزل من  
الامارة وجعل كواحد من القواد فسار أبو قرجة على طريق القضارف أيضاً  
قاصداً كسله ولدى وصوله اليها أعلن عزل عثمان دقنه وولايته بدله فسكنت  
الاضطرابات وأمنت السبل وفتح طريق الاتجار بين مصوع وكسله . وبعد  
بضعة شهور أصدر التمايشي أمرا الي أبي قرجة بمغادرة كسله الي (طوكر)  
واستخلاف حامد على أحد أقارب التمايشي على كسله فسار أبو قرجة الي  
(طوكر) وعسكر فيها وجرت بينه وبين الحكومة في سواكن مخاضات سلمية  
أوجبت ارتياب التمايشي في الثقة به فعزله عن الامارة وأعادها الي عثمان دقنه  
وفي غضون ولاية أبي قرجة تقدمت جيوش الدراويش الي (هندوب)  
وضيقت الحصار على سواكن فخرجت حاميتها عليهم وفرقت جموعهم فمادوا  
الي (طوكر) وعسكروا فيها

أما أبو قرجة فقد ولاه التعايشي على بربر فكث بها ثلاثة شهور ثم  
 عزله وولى بدله الزاكي عثمان البقاري ولفي أبو قرجة الى خط الاستواء  
 وسنعود الى ذكر هزيمة عثمان دقنه من (طوكر) والقضاء على نفوذه في  
 السودان الشرقي



### ظهور المهدي ابو حمزة في دارفور

لما رسخت قدم عثمان آدم في دارفور أحن في التباثل منها وسلباً وخرب  
 المدن وحمل الالهين نيراً ثقيلاً حتى باتوا ولاهم لهم غير الخلاص من ذلك  
 النير فقام بين ظهرانيهم رجل من المشايخ اسمه محمد كان يجلس تحت شجرة  
 من الجميز حتى كنى باسم (أبي حمزة) وادعى انه المهدي المنتظر وكان مشعوذاً  
 ذا قدرة على عمل خيالات يخالها الناظر حقائق فاتبعه أهل دارفور كلهم  
 وترامت أخباره الى الممالك المجاورة لها فنسل اليه كثير من سكانها ولحقوا به  
 واجتمع حوله جيش كثيف عسكريه في الجهات الغربية وكتب الي عثمان آدم  
 يدعوه الى التسليم فارسل له جيشاً تحت قيادة (الختيم موسى) التعايشي فزمه  
 شرهزيمة وبعد اللتيا والتي وجد القائد الى النجاة سيديلاً

فارسل عثمان آدم الي التعايشي يعلمه يامر أبي حمزة ويطلب منه الامداد  
 فارتاع التعايشي لهذا النبأ وأرسل الامداد الي عثمان آدم الذي أرسل لحرب  
 أبي حمزة جيشاً آخر تحت قيادة (محمد بشاره) التعايشي فلم يكن نصيبه غير  
 نصيب القائد الختيم موسى ثم توالى الحروب بين أبي حمزة وعثمان آدم  
 فكانت الدائرة تدور على دراويش عثمان في جميعها وخضعت بلاد دارفور  
 الغربية كلها لابي حمزة وشمرت معه على حرب عثمان آدم الذي ضاقت الدنيا

في وجهه كما ضاقت في وجه التعاشي الذي أصدر أمرا الي عثمان آدم بالتقهقر من دارفور الي كردفان

وبينما كان عثمان آدم يتأهب للتقهقر زحف عليه أبو حمزة في جيش عرمرم ولكنه في غضون سيره أصيب بمرض الجدري ثم توفي بعد أيام يسيرة فتابع أصحابه مسيرهم قاصدين (الفاشر) محل إقامة عثمان آدم الذي قسم جيشه قسمين جعل أحدهما كميناً وتربص هو مع الآخر فتقدم جيش أبو حمزة حتى اجتازوا موقع الكمين والنقوا مع عثمان آدم نخرج عليهم الكمين من الخلف وصاروا بين نارين فسقط منهم عدد كثير وتمسك الباقيون بأذيال الفرار فأثرهم عثمان آدم وقتل منهم خلقا كثيرين وما زال عثمان آدم متأثرا للمهزمين حتى اجتازوا حدود دارفور ولحقوا بمملكة (أبي ريشه) وحملت الي التعاشي رؤس جماعة من وزراء أبي حمزة وهجر أهلها الي دارفور ديارهم الي ممالك الغرب كي يعتصموا بهامن انتقام الدراويش فتخربت البلاد وصارت بلقعا ليس فيها ساكن ولا مساكن وانقطعت جباية الخراج وأصبح عثمان آدم وجيشه في حاجة عظيمة الي النفقات فوجه اهتمامه الي الغزو في الجبال التي حوالي دارفور ليحصل منها على قوته وقوة حاميته

### شأن التعاشي و قبيلة التعاشية

لما تغلب التعاشي على مناظريه وسلب من أقارب المهدي القوة التي كانت في أيديهم استبد هو بالملك وانفرد بالسلطان على كل بلاد السودان وأضعف نفوذ الخليفين علي حلو ومحمد شريف حتى صارا لا يعبأ بهما خصوصا محمد شريف فقد وصلت حالته الي فقدان الضروري من القوت وانحط شأن

أقارب المهدي حتي صاروا في حالة يرثى لها ولا سيما أولاد المهدي فانهم صاروا يقاسون من شـظف العيش ومرارة الفقر مايجز القلم عن وصفه وفي أواسط سنة ١٣٠٥ اتجهت عزيمة العمايشي الى استنفار قبيلة التعايشة من ديارها في جنوب دارفور ليشد بها عضده ويكون ذا عصبية امام الافوام الخاضعة لجبروته وكان قبل ذلك يتألف قبائل البقارة لينال منهم مزايا العصبية والموازرة اذ لم يكن معه من أقاربه التعايشة الا نحو ثلاثين رجلا احتكر لهم الوظائف وولاهم الاعمال الخطيرة واستوزر أخاه لاييه يعقوب وأشركه في سلطانه حتي صار ذا نفوذ كبير وأصبح يضارع أخاه التعايشي في كل خراص الملك والسلطان وصار يعقوب هذا القائد العام للجيش والمدير المطلق لامور مملكة أخيه

وكتب التعايشي الى عثمان آدم في دارفور يأمره باستنفار قبيلة التعايشة كما كتب الى رؤساء هذه القبيلة يخبرها بأنه صار ملكا عظيما وسلطانا فخما على جميع الاقطار السودانية وانه في حاجة شديدة لمعاضدتهم فانقسمت قبيلة التعايشة الى قسمين أحدهما رأي وجوب المبادرة لتلبية نداء التعايشي والآخر أظهر بفضه قائلا لا يرجي خير من سفلى نال ملكا من طريق المصادفة صعلوك كان متسولا بين ظهرائنا بالامس واليوم نذهب لننزل على حكمه ونضع أنفسنا بين يدي جبروته ثم هجر هؤلاء ديارهم ونزحوا الى مملكة (وداي) مفضلين النأي عن الديار على اللحاق بالتعايشي وانصاع القسم الآخر لمطالب التعايشي ونزحوا من ديارهم الى دارفور ومنها الى أم درمان وكانوا زهاء مائة ألف نسمة أو يزيدون

وقد أنفق التعايشي على استقدامهم أموالا طائلة حتي بلغوا أم درمان فتلقاهم

بالخفاوة والاكرام ووزع عليهم الاقوات والملابس

وكان بين هؤلاء القادمين (الغزالي احمد خووف) زعيم التعايشي وكان حائرا  
لدرجة الثالثة من الحكومة وكان التعايشي يعده بالهيل والهيلمان لدى وصوله  
أم درمان فلم يوف له بوعده وسعود الى ذكر بقية أخبار عثمان آدم وموته  
هذا وقد كانت قبيلة التعايشة تحب السكر والتمر وطريقة تناولهم السكر  
أن يكسروه قطعاً صغيرة ويأكلوه كما يأكلون الخبز

ومن النكات المضحكة ما نوردته عن أحد المصريين الذين يشتغلون في  
مامل الذخيرة للتعايشي وذلك ان الزاكي عثمان الذي كان أمير بربر كلفه بتعبئة  
خرطوش لعدارة صغيرة فأتى المصري العمل وذهب الى منزل الزاكي  
ليدفع له الخرطوش فتلقاه بالاكرام وقدم له طبقاً كبيراً مملواً بقطع السكر  
الصغيرة وجاءه بناء فيه نحو خمسة أرطال من اللبن الحليب فأخذها يأكلان من  
السكر ويشربان من اللبن ثم قال صاحبنا المصري لمضيفه لما اذا لاتضع  
السكر في اللبن فقال وهل يوضع السكر في اللبن فقال نعم وتناول المصري  
السكر وألقاه في اناء اللبن فصاح به مضيفه فداتلت السكر واللبن معاً فقال  
له المصري لاتعجل فسكت الزاكي ثم هز كتفيه ورأسه علامة على  
اليأس فقدم له المصري اناء اللبن وقال له ذقه فقال له والنضب باد على وجهه  
لاذوقه حتى تذوقه قبلي فشرب المصري وناوله الاناء فشرب منه ثم وضع الاناء  
من يده قائلاً (قاتلكم الله يا معشر المصريين انكم خيرون بأقنان كل شيء) أما نحن  
فلا نعرف ان مزج السكر باللبن يصيره حسناً مثل هذا ولم نتعود منذ  
خلقنا الله إذابة السكر في اللبن ثم سأل المصري وهل يكون السكر لذيذاً كهذا اذا  
القينا في الماء فقال نعم فظهر الارتياح ثم دخل الي بيته وعاد منه بسكر وقال

له ألقه في الماء لذوق طعمه فالتقه المصري في الماء وأمره ان يشرب منه  
قبله كما شرب في المرة الاولى ثم عاد فشرب منه واخذ في ابداء الاستغراب  
فساله المصري عن سبب امتناعه عن الشرب قبله فقال اني كنت اظن ان طرح  
السكر في اللبن ربما تولد منه ضرر واخذ المصري يصف له الاطعمة التي يصلحها  
السكر ثم انصرف عنه

ولقد اطلمت على منشور كربه التعايشي الى قبيلة التعايشة يجب اليها  
التقدم عليه وفيه اني ملكت بلاداً فيها جبال من السكر وشجر التمر وان أهالي  
هذه البلاد الذين هم ( الجلابة ) صاروا عبيدي فسارعوا بالتقدم الى لناخذوا  
النصيب الاوفر من جبال السكر وشجر التمر وتقصوا وطركم من نساء  
الجلابة وتركبو الخيول والحمير والهجن

ولما وصلوا الي كردفان كانوا يسألون من لاقاهم عن جبال السكر وشجر  
التمر ومدوا ايديهم ونهبوا سائر قرى كردفان وقتلوا مئات من الاهلين الذين  
رفعوا ظلامتهم الى التعايشي فكان جوابه لهم لا تتأثروا من فعل المهاجرين  
لانهم اخوانكم وشاهدوا ما حل بكم من الله تعالى ولا تنسبوه الي هؤلاء  
المهاجرين اذ الفاعل الحقيقي هو الله

### ذكر ضرر بخانة التعايشي

اسلفنا ذكر ضرر بخانة المهدي وما ضرب فيها من المسكوكات من نوع  
الجنيه المصري والريال الذي نقش عليه ( في الهجيرة ) وفي الطغراء ( باسم المهدي )  
ولما عزل التعايشي أحمد سليمان أمين بيت المال وخلفه ابراهيم عدلان  
كانت مسألة الضرر بخانة من الامور التي احتج بها التعايشي على سوء ادارة

أحمد سليمان وشدد التكرير عليه مدعيان اسم رسول الله صلى الله عليه وسلم لم ينفش في النقود ولا انشئت دار للمسكوكات على عهده صلى الله عليه وسلم فامر بجمع النقود التي ضربت في عهد المهدي فجمعت وانشأ ضرب بخانة لسك النقود من نوع الريال وجعل نصفه من الفضة والآخر من النحاس وضرب على أحد وجهيه (ضرب في أم درمان) وعلى الآخر طغرا مكتوب فيها (مقبول) فسمى الريال المقبول وكان في كل سنة يأمر بتخفيض الجزء الفضي حتى صار الريال كله من النحاس الا الطلاء الذي يغيرون به حمرة النحاس

ولقد هبطت قيمة هذا الريال الى حد أن صار لا يساوي اكثر من ملليم اما المسكوكات الذهبية فقد منع اعادة ضربها كل ذلك ليحتكر لنفسه الذهب والفضة ولا يدع للناس ما يتعاملون به غير النحاس على ان التعميشي لم يكن يجهل ان ضرب المسكوكات وانشاء الضربحانة كان بامر المهدي الذي ذكرنا ان أحمد سليمان كان لا يضع خيطا في خياط الابعد صدور أمره له بوضعه والحاصل ان التعميشي لم يترك شيئا وضعه المهدي الانقضه

### ذكر انشاء دار للخبرة والبارود

لما سقطت الخرطوم جمع المهديون رجالا من المصريين كانوا عمالا في الجبه خانات وجعلوا لهم رواتب طفيفه ليشتغلوا بتعبئة الخرطوش ووضع المواد المفرقة فيه ثم أدرك التعميشي ان البارود والذخيرة التي عنده لا بد من نفادها فاخذ يسعى الى التوصل الى طريقة استخراج البارود فمهد الى يوناني اسمه (ديمتري بردغاجي) استخراج البارود وانشأ دارا لهذا العمل

جعلها تحت نظر أخيه يعقوب وانفق أموالاً طائلة لا تمام هذا العمل ورتب  
 لعماله رواتب كبيرة فنجحت تجارب بردغاجي واستخرج شيئاً من صنف  
 البارود وعرضه على التمايشي الذي سر بهذا النجاح وسجد شكراً لله على  
 ما منحه من النعم ومكث بردغاجي مشتغلاً باستخراج البارود بضع سنوات  
 وبينما كان ذات يوم يباشر عمله اذ التهب جزؤه من البارود وتفرقع فامات  
 بردغاجي وعماله واحرق الدار ونسف جدرانها فاستاء التمايشي وأظهر الحزن  
 وركب الى محل الحادثة وأمر بجمع الاشلاء ودفنها

وكان التمايشي يتغالي في استرضاء بردغاجي ولدى شروعه في عمل  
 البارود منحه خمسمائة ريال ومحظية من محظياته وجواري وغلماً للخدمة  
 وجعل راتبه الشهري مائة ريال عندا رواتب عماله

أما المواد التي يستخرج البارود منها فانها خم شجر الصفصاف وملح  
 البارود وكبريت العامود وكان يستخرج في كل شهر عشرة قناطر من البارود  
 وانشأ دار الاستخراج ملح البارود وكلف أحد الصيادلة المصريين  
 بالعمل فيها

وكذلك انشئت دار لعمل المادة المفرقة التي توضع في الكبسون المسماة  
 (عجينة الكبسون) واسند العمل فيها الى (لبتن بك) مدير بحر الغزال  
 وحسن افندي زكي أحد أطباء الحامية في الخرطوم  
 وانشئت أيضاً دار لعمل الخرطوش وأطلق على الجميع اسم (الورش  
 الحربية) وكان المشرف عليها كلها يعقوب اخو التمايشي  
 وشيدت دار لحفظ الاسلحة وسميت (بيت الامانة) وكانت رواتب رؤساء



العمل مائة ريال شهريا من ريبالات التمايشي لكل واحد منهم و اقل راتب  
لاصغر عامل عشرة ريبالات

ذ ك ر م و ت ل ب ت ن ب ك م د ي ر ب م ر الغ ز ال

ذ ك ر ن ا ا خ ب ا ر ل ب ت ن ب ك و س ج ن ه ق ب ل س ق و ط ا ل خ ر ط و م

و لما س ق ط ت ا ل خ ر ط و م ا م ر الم ه د ي با ط ل ا ق و ه ف ج ر م ن ا ل س ج ن ف ي ح ا ل ة  
ي ر ث ي ل ه ا م ن ا ل ف ق ر و ا ل ح ا ج ة و لما ا ش ت د ت ب ه ا ل م ا ل ق د م ن ف س ه ل ل خ ل ي ف ة ا ل ت م ا ي ش ي و ق ا ل  
ل ه ا ن ن ي ا ع ر ف ص ن ا ع ا ت ج ه ي ز ع ج ي ن ة ا ل ك ب س و ن ف ا ن ن ي ع ل ي ه و ا م ر ل ه ب ج ا ز ة  
و ف ي س ن ة ١٣٠٥ م ر ض ل ب ت ن ب ك و لما ح ض ر ت ه ا ل و ف ا ة ا و ص ي س ل ا ط ي ن  
ب ا ش ا ع ل ي ب ن ت ي ه و ا م ر ا ن ه ا ن ن ي ا ص ل ه ا س و د ا ي ة ت ن ص ر ت ب د ع و ة ل ا ب اء ا ل ك ا ن و ل ي ك  
ث م ز و و ج ت ل ب ت ن ب ك و ر ز ق ت م ن ه ب ن ت ي ن

و ب ع د و ف ا ة ل ب ت ن ب ك ز و ج س ل ا ط ي ن ب ا ش a م ر ا ت ه ب ح س ن ا ف ن د ي ز ك ي

الذي كان يساعد زوجها في عمل عجيبة الكبسون

واعنتى سلاطين باشا بامر البنتين اعثناء عظيميا حتى غادر أم درمان

المقدم عمر الجملي واستخراج الرصاص

لما نفذ ما في مخازن التمايشي من الرصاص جاءه ذات يوم رجل من  
الجمليين اسمه المقدم عمر مشهور بالشعوذة يختلف على مدينة الخرطوم  
ويحتال على ضعفاء العقول ويطلب منهم المال لشراء الادوات كي يحول النحاس  
والرصاص ذهباً

وقد عرفه الناس فصاروا لا يخذعون باكاذيبه فقال للتمايشي انني أقدر

على استخراج الرصاص من احجار ام درمان فاعطاه التعايشي عشرة من  
 المال وامر باعداد مايلزمه من آلات النفخ وعدد العمل ومنحه قدرا من  
 المال فاخذ يوصي اقاربه بشراء الرصاص فاذا اجتمع لديه بضع اقات وضعها في  
 التنور ووضع حولها الحجارة ثم اضرم النار حتى يذوب الرصاص وتحترق الحجارة  
 فيخذل يستدعي يعقوب اخا التعايشي لمشاهدة نتيجة العمل فياتي يعقوب  
 ويرى الرصاص مذابا وسط الحجارة فيعتمده انه تحال من الاحجار فيبلغ اخاه  
 التعايشي فيامر للمقدم عمر بالمطايا من الجوارى والمال

وفي ذات يوم صعد التعايشي المنبر وتكوف الناس حوله فقال لهم ان  
 النبي صلى الله عليه وسلم اخبره بان المقدم عمر الجملي يستخرج له من الحجارة  
 رصاصا يكفيه لفتح الدنيا كلها وان الحضرة عليه السلام اخبره بان وجود الرصاص  
 في جوف الحجارة من كرامات المهدي عليه السلام

ولكن لم تمض بضعة شهور حتى فقد المقدم عمر الرصاص الذي كان  
 يشعوبه عليهم وانقطع عن العمل مدعيا ان ادوات النفخ قد ضعفت فصنعوا  
 له غيرها فلم يات بشيء ثم وكل التعايشي مراقبته الى اثنين من جواسيسه فعلم انه  
 كان يتتبع الرصاص من الخارج لان الناس الذين كانوا يبيعونه له كانوا  
 يلتقطونه من حول متاريس الخرطوم وغيرها من مواقع الحروب ثم يذيه  
 وسط الاحجار فاستدعى التعايشي المقدم عمر وعدد له سياته وما ارتكبه من  
 الفس فاجابه المقدم عمر بان ما قيل عنه من الفس ليس بصحيح ثم قال له  
 اأنت قلت ان النبي صلى الله عليه وسلم والحضرة عليه السلام اخبراك بكيت  
 وكيت مذكراله مافاه به على المنبر وزاد ان قال له اإزدعوى المهدي قامت اركانها  
 بمثل هذه الاخبار فان كذب هذا الخبر فالمهدي كلها كذب في كذب فاعتناظ

التعاشي واستفتى القضاة فافتوا كما أوعز اليهم بقطع يده ورجله من خلاف  
فقطعا في السوق وفي اليوم التالي توفي المقدم عمر وانقضى الامر

ذكر احراق كمال الدين عظام قتلى الخرطوم ونبش القبور  
لما توفي لبتن بك واستمر حسن زكي في عمل عجينة الكبسون ونفدت  
المواد الكيماوية التي تستخرج منها هذه المادة اهتم التعاشي لهذا الامر  
فقام رجل يدعي كمال الدين من الهنود الذين ذكرنا نبأ قدومهم على المهديين  
وقال للتعاشي اني اقدر على استخراج عجينة الكبسون بغير احتياج الى المواد  
الكيماوية التي نفدت فسر التعاشي هذا القول وقال له من أي شئ تستخرجها  
فقال من عظام الاموات فقال له هاهي عظام كفار الخرطوم وأمر باعداد  
مايلزم لانجاز العمل فجمع كمال الدين عظام قتلى الخرطوم واحرقها بالنار ثم  
سحقها في الاهوان ووضعها في أحواض كبيرة وصب عليها الماء ثم نبش  
قبور قدماء أموات الخرطوم وصنع في عظامهم مثل ما صنع في عظام القتلى ثم  
أقفلت الابواب على الاحواض وتركت ستة شهور فتولدت منها الديدان  
وتصاعدت الروائح النتنة منها

وبعد الستة شهور جاء يعقوب شقيق التعاشي ومعه جمع من الامراء  
وفتحوا الابواب فراوا الديدان تولدت والروائح الكريهة تتصاعد منها فسألوا  
كمال الدين فقال ان تولد الديدان وتصاعد الروائح علامتا نجاح العمل فاذا أقفلت  
الابواب ثلاثة شهور اخرى ثم فتحت بعدها وجدت هذه الاحواض مملوءة  
بعجينة الكبسون التي تؤخذ مباشرة لوضعها في الخرطوش فلم يصدقه يعقوب  
وعاد الى ام درمان واخبر اخاه بان كمال الدين كاذب محتمل فاحتمد التعاشي

غيضاً على كمال الدين ولكنه لم يعاقبه بمقوبة

وبلغت نفقات هذا العمل اكثر من اربعة آلاف ريال انفق كمال الدين

جلها في حاجاته الخصوصية عداما اخذه من الجواري والركائب

وبعد وقوف الخليفة على حيلة كمال الدين اصدر امره له وللنوذ

الذين قدموا معه بأخذ الالهة للعودة الى بلادهم وأعطاهم كتباً بالدعوة للمهدية

وخرج لوداعهم فقال له كمال الدين اني أريد منك أن تعطيني شيئاً على سبيل

التذكار فاعطاه التمايشى نعله فأخذ يقبلها ووضعهما في جيبه فطلب منه القاضي

احمد على رد النعل الي صاحبها فلم يفعل حتي أعطاه اربع جوار وحمارا

ثم قال القاضي لمن حوله لو طلب مني كمال الدين كل ما أملكه من حطام

الدنيا لافتديت به نعل الخليفة وقصد القاضي من هذه الاقوال أن يبلغها

الحاضرون للخليفة فترداد ثقته به وسار كمال الدين ورفقاؤه الى سواكن ومنها

الى الاقطار الهندية

## تخريب بلاد الجزيرة

( وحشد أهلها بام درمان )

في أواخر سنة ١٣٠٤ هجرية اصدر التمايشى أمراً عاماً الى جميع سكان

الجزيرة من الخرطوم الى حدود الحبشة والى حدود مديرية بربر من جهة

الشمال وحدود مديرية فشوده من جهة الجنوب بالوفادة الى أم درمان وتوعد

من بقي في داره ولم يهدم منزله بيده ويأت الى أم درمان وضرب لذلك أجلا

هو أواخر شهر رجب من السنة المذكورة ومن لم يصمدع بالامر في ذلك

الاجل عد عاصياً محارباً للمهدوية

وما اقترب الاجيل حتى خربت جميع القرى والمدن التي في الجزيرة  
وقدم سكانها الي أم درمان وتركوا غلالهم وحاصلات أرضهم في البلاد مودعة  
في بطون الارض فمنهم الذين ساروا في البر حتي اجتازوا النهر الي أم درمان  
باجرة باهظة فرضها عليهم أصحاب الزوارق ومن سار في السفن الشرعية  
أدي أجرة لا تقل عن عشرة أضفاف الاجرة الاصلية لركاب السفن الشرعية  
وبعد اجتماع سكان هاته البلاد في أم درمان وهم سكان مديريات الخرطوم  
وسنار وفيزوغلي أنزلهم التعاشي في أم درمان في أما كن متفرقة حيث جعل  
سكان كل قرية أو مدينة وحدهم فهلكت ماشيتهم التي لم تجد مرعى بام  
درمان وانتدب التعاشي سرية من رجاله تحت قيادة (أبو أم فضالي) ليمروا على  
القرى ويقبضوا على من تخلف عن امتثال ما أمر به التعاشي فخرت هذه  
السرية ما بقي من القرى ومدد رجالها أيديهم الي الحاصلات المخبوءة تحت الارض  
فهبوها ولم يبقوا على شيء منها

وكان سكان الجزيرة اكثر أهالي السودان دعة وسكونا وثروة  
وبسبب هذا الانتقال فقدوا ماشيتهم وثورتهم وجاء هذا العمل من اكبر اسباب  
تفشي المجاعة في السودان وهي مجاعة سنتي ١٣٠٦ و ١٣٠٧ اللتان أبادتا النفوس  
وخربتا البلاد

وبعد استقرار هذه الحلائق في تلك المنازل استعرضها التعاشي في أم درمان  
ممرات عديدة ثم بعد مضي بضعة شهور أذن للمزارعين بمغادرة أم درمان لمزاولة  
الزراعة فمادوا وقد عم الدمار بلادهم ولم يجدوا حاصلاتهم التي أودعوها  
في بطن الارض فساءت حالتهم وأقاموا موسم الزراعة ولم يعودوا الي

أم درمان وسنعود الى وصف تلك المجاعة وفشت أمراض الجدري والحُميات بين أهالي الجزيرة وصارت الوفيات في كل يوم تعد بالآلاف والحاصل ان أهالي الجزيرة هلك نحو نصفهم بالأمراض التي تفشت فيهم وذهب الباقون الى مزارعهم بالحالة التي وصفناها

### ذكر تخريب الخرطوم

ذكرنا ما كان من أمر التعاشي مع اسرى الخرطوم يوم جمعنا في المقرن وأمرنا بمغادرة الخرطوم والسكنى بأم درمان وبقي بعض الامراء ساكنين في الخرطوم ولما عزم التعاشي على تخريب مدن الجزيرة أصدر أمراً للدرأويش الذين كانوا ساكنين في الخرطوم بهدم المنازل التي يسكنونها وحمل الاخشاب لتشييد منازل بأم درمان فكانوا يهدمون الدور ويأخذون الانقاض يشيدون بها منازلهم في أم درمان وهكذا تم خراب الخرطوم حتى لم يبق من المنازل غير بضعة دور حوالى (الترسانة) أقيمت لسكنى عمال الترسانة وبقيت الحدائق التي على ضفة النهر عامرة يبيع بيت المال محمولاتها وتجب منها النواكبة والخضراوات الى أم درمان واحتكر التعاشي لنفسه حديقة سراي الحكمدارية وكان المهدي وهب أحمد شرفى احدى حدائق الخرطوم الكبيرة واختص الخليفة شريف بحديقة كنيسة الكاثوليك والحاصل ان الخرطوم صارت خرابا بلقما ومنازلها وقصورها تلالا والدوام لله

### ذكر فرار المؤلف وارجاعه الى أم درمان

في أول سنة ١٣٠٥ هجرية بعث لى صهرى عثمان فهمى باشا مائتي جنيهه

انكليزى مع شخص اسمه الحاج صالح على من قبيلة العباددة فدفعت لى منها  
 مائة جنيه واغتال المائة الثانية فاخذت المائة جنيه ولم أطلع أحدا على أمرها  
 وفي غضون ذلك جاءنى اعرابيان من قبيلة الكبابيش واخبرانى ان محمد  
 ماهر باشا محافظ القاهرة الآن ووكيل محافظة الحدود وقتئذ أوصاهما بمساءدتى  
 على الفرار ووعدهما بمكافأة قدرها مائتا جنيه لدى وصولي الى الحدود المصرية  
 وبعد ان تناولنا في كيفية الفرار قالالى اناسافر من أم درمان على احدى السفن  
 الشراعية قاصدين ( الترعَة الخضراء ) التى تبعد عن أم درمان مسيرة ثمانى  
 مراحل جهة الجنوب على النيل الايض ثم تقصد جهة ( شرقيه ) فى الجنوب  
 الشرقى من إقليم كردفان ثم نمتطي الجمال من هناك ونحترق اقليم كردفان  
 من الجنوب الى الشمال حيث نكون فى جنوب ( صحراء بيوضه ) التى نحترقها  
 الى الشمال وينتهي سيرنا بالوصول الى حلفا

على ان اختراق الصحراء كان يستدعى مسيرة ثلاثين مرحلة بسير الهجن  
 الحثيث عدا مسافة السير من الترعَة الخضراء الى ( شرقيه ) وجهات كردفان  
 الشمالية وقد كانت هذه الرحلة على ما فيها من الشقة كافلة لنجاتى وخلصى من  
 الاسر اذ المسافر فيها يأمن ان يدركه رجال التعاشى الذين لا يعرفون هذه  
 الطريق وغاية ما يفعلونه ان يتأثروا الفارين فى الطريق التى تمر على بربر  
 والصحاري التى حولها

ولما اجعت أسرى على الفرار مع ذينك الاعرابيين اللذين تعهدالى  
 بأنهما لا يأخذان شيئا من النقود قبل ان نصل الى الحدود المصرية تركت  
 لعائلتي خمسين جنيها من المائة جنيه ودفعت نحو عشرين جنيها كنت مدينا  
 بها لبعض التجار ولم أخبر أحدا بامر الفرار وقلت لعائلتي انى ذاهب الى جهة

قرية في البحر الابيض لاعدود منها بشيء من الذرة تقفان به وتزودت  
بشيء من خبز الذرة المجفف وأخذت قليلا من البصل وركبنا السفينة ومعي  
الاعرابيان وقد أوصياني بالابتعاد عنهما والتظاهر بعدم معرفتهما مادامنا  
في السفينة فغادرنا أم درمان وكان الفصل شتاءً وليس معي غير الوعاء  
الذي فيه خبز الذرة وملاءة من الانسجة الخفيفة المسماة (مرمر) ومعي  
ثلاثون جنبها انكيزيا وضعتها في منطقة من الجلد تمنطقت بها تحت الملابس  
وبعد مسيرة أربع ليال رست بنا السفينة في ساحل التربة الخضراء فحملت  
وعاء الزاد ونزلت من السفينة والماء يكاد يبلغ تراقي والشاطئ بعيد عنا بنحو  
خمسائة متر وتبني الاعرابيان كأنهما لا يعرفان من امرى شيئاً فخرجت من  
الماء وقد جمد الدم في عروقي من شدة البرد فوجدنا الى غابة مظلمة  
ترأر فيها الاسد وتتواهب فيها النمرور والذئاب وسائر الضواري فقضينا تلك  
الليلة حول نار أوقدناها للاصطلاء بها واتقاء السباع لأن صاحبي قالالي ان  
السباع تفر ولا تقترب منها وقضينا مدة الليل لم يزر الكرى لنا اجفانا ولم  
نضطجع على الثري

وفي الغداة سرنا نحن الثلاثة على اقدامنا نحترق الغابة متجهين الى جهة  
الجنوب الغربي وقضينا مدة النهار في السير حتى أرخي الليل سدوله فسمعنا  
نباح الكلاب حيث وصلنا الى قرية ( التربة الخضراء ) وهي قرية كبيرة  
سكانها زهاء خمسة آلاف نسمة ثم غادرناها وانتهينا الى الكواخ خربة فدخلت  
انا وواحد منها في أحدها وذهب الآخر الى القرية كي يعود منها بالجمال  
فذهب بعد ما قطع غصنا من الشوك ووضع على باب الكواخ فاضطجعت حتى  
كان الثلث الاخير من الليل جاء صاحبنا الذي ذهب الى القرية بجملين فامتطياهما



واردني أحدهما خلفه وما سرتنا نحو عشرين ميلاً وسط القلاوة ووجهتنا الجنوب  
 الغربي حتى اسفر الفجر وهكذا ظلمنا سائر نهار كله حتى مضى الثلث  
 الاول من الليل حيث بلغنا (شركيله) في حدود كردفان الجنوبية وهناك  
 نزلنا ضيوفاً على اعراب حلفاء لصاحبيّ فقدموا لنا جانبا من اللبن الحامض  
 وخبزاً من الذرة وفي الغد قلت لصاحبي هيا بنا نتابع سيرنا فقالا اننا منتظران  
 شخصين تركناهما في أم درمان ليا تيا باناس فارين مثلك فضقت ذرعاً من هذا الكلام  
 وأخذت في حثهما على السفر وأظهرت تخوفي من افتضاح الامر اذا عثر بنا الدراويش  
 فلم يصغيا لقولي وأقمنا في (شركيله) سبعة أيام ننتظر القادمين من أم درمان فلم يأتيا  
 وفي صبيحة اليوم الثامن جلست أمام الكوخ فاذا انا بشخص راكب على حمار وخلفه  
 عبد فأمعنت النظر فيه فاذا هو قبطي من كتبة جيش يعقوب أخى  
 التعاشي فتقدمت للسلام عليه فترجل عن دابته وحياني وصاحني وعلامات  
 الدهشة بادية على وجهه ثم ابسدرني بالكلام قائلاً ان الخليفة قدك وقد  
 سير الركبان الى كل الجهات في طلبك فقلت له اني قصدت هذه الجهة لان  
 لي بها صديقاً قديماً أرجو أن أنال من رفته درهيمات ثم استحلقتة على أن  
 يكتم خبر رؤيته اياي في ذلك المكان خلف أن لا يذكر شيئاً من هذا الامر ثم  
 انصرفت وتابع هو سيره قاصداً كردفان وعدت الى صاحبي فاخبرتهما بما  
 أنبأني به القبطي وقلت لهما إما أن تسيرا بي في هذه الليلة واما أن ترجعاني الى  
 الترة الخضراء فقالا لا سبيل الي السير ما لم يحىء صاحبانا فألححت عليهما  
 بارجاعى الى الترة الخضراء وقضيت ذلك النهار وفي الاصيل رضيا باعادتي  
 الى الترة الخضراء فركبنا هجينيهما وأردفني أحدهما خلفه وابتدأنا السير من أول  
 النهار وفي الغلس وصلنا الى ضفة النيل الابيض عند المسكان الذي رست فيه

السفينة فأراد صاحبها أن يرجعها على أعقابها فألححت عليهما بالبقاء ريثما يتبجح الصباح ولما بدأت طلائع الصباح وولت جيوش الظلام ودّعاني وعاداني في طريقهما إلى (شركيله) والسباع تزجر حولي خملت وعاء الزاد وسرت على ضفة النهر فوق بصرى على زورق يشبه قوارب الصيادين فدنوت منه عساني أجد عنده أنيسا فلم أجد فقلت في نفسي لا بد لهذا القارب من صاحب يأتي إليه فمكثت نحو ساعتين ولما لم يأت احد وأدركني يأس عظيم هون على حياتي التي ستمتها دخلت في الزورق وقد فتته في لجة البحر ووضعت وعاء الزاد تحت رأسي واضطجعت في الزورق الذي توسط لجة النهر وسار به التيار إلى جهة الشمال وظل هكذا حتى إذا كان الاصيل أبصرت قرية على ضفة النهر الغربية فرسا الزورق عند هذه القرية فوثبت للنزول إلى البر فأمسك بملابسي شخص وقال لي (يا ولد الريف ياسارق) ولطمني على وجهي عدة لطمات فأخذت أنضرع له وكنت أود أن أعطيه جنيتها من الثلاثين التي معي ولكنه مديده وسلب مني ملاءتي وعمامتي ومنطقتي ثم انصرف فدخلت القرية وسألت هل بها مصري فقييل لي ان فيها مصريا اسمه عبد الفتاح فقصدت محله فاذا هو ضابط برتبة ملازم ثان كان بحامية الخرطوم فتلقاني بالاكرام وأخبرني بان رسل الخليفة قصدت جميع الجهات في طلبى فأخرجت بضع جنيات وقلت له أدركني بشراء عشرة أرباب من الذرة لاضعها على ضفة النهر وأجلس بجانبها حتى إذا أدركتني رسل الخليفة وجدتني على هذه الحال فأسرع عبد الفتاح بشراء عشرة أرباب من الذرة ووضعها على شاطئ النهر وجلست بجانبها وفي ضحوة الغد بينما كنت مضطجعا أبصرت راكبين قد أناها هجيزهما بالقرب مني وبصرهما مصوب نحوى فعقلا جملهما وتقدما

نحوى فوقفت لها واصلحتها فجلسا بين يدي بأدب ووقار فقلت لها أنتما قادمان من البقعة المنورة فقالا نعم فقلت لعل خليفة المهدي عليه السلام بخير فقالا نعم بخير وهو يقرأ عليك السلام فوقفت على قدميَّ اجلالاً لذكر الخليفة وقد طار قبلي فرعا من هذا الكلام ثم قال لي ان الخليفة يدعوك للحضور عنده فقلت ولماذا لم تخبراني بذلك قبل التحية لان أوامر الخليفة يجب انفاذها في الحال فساءلاني أين غمامتك ومنطقتك فقلت سرقهما للصمصوم مني في هذا المكان فقالا وما الذي جاء بك الي هذا المكان فقلت قصدت بعض معارفي هنا فاحسنوا عليَّ بهذه الذرة وهما أناء قيم لأجل حراستها ريثما تمر سفينة أحمله عليها وأقصد اذ ذاك أم درمان فقالا اننا نريد إشخاصك معنا الي أم درمان فكيف تقابل الخليفة بلا عمامة ومنطقة فاسلت في طلب عبد الفتاح فاسرع بالحضور وقال للرسولين انه جاء الي هذا المكان بقصد أن يتحصل على شئ من الذرة يناله من أولى البر والاحسان فجمع هذا القدر من الذرة وأخيراً أعطاني عبد الفتاح عمامته ومنطقته وتركت الذرة ودبعة عنده ريثما يجد سفينة يرسلها بها الي بام درمان ثم قنا للسفر فاردفني أحد الرسولين خلفه وغادرنا قرية (ولد الزاكي) قاصدين أم درمان وبعد مسيرة ثلاثة أيام وصلناها قبيل العصر وانحنا الجمال امام باب دار التمايشي الذي خرج علينا فقال له يوسف منصور هاهو عبدك ابراهيم فوزي فالتفت اليّ وقال الي أين ذهبت يا ابراهيم فوزي فقلت يا مولاي اني شخصت الي احدى قري النيل الابيض لانال شيئاً من احسان أولى البر فجمعت عشرة أراذب من الذره فلم أجده سفينة شرعية تحملني فاقمت في حراسة الذرة حتى جاءني هذان الرسولان وهنا قص عليه الرسولان ما راياه من حالتى فسكن جاشه وقال من الذى أذنك بالسفر فقلت أخذت اذنا من المقدم وهو قائد عشرين

مقاتلا في ترتيب جيش الدراويش فقال لي أمثلك يكون اذنه بيد المتقدم فقلت  
 كلا ولكنني اضطررت لهذا السفر بسبب ما لحقني من الجوع وضيق العيش  
 فصاح التعايشي قائلاً أين القاضي أحمد علي نجفي به فقال له أسلم هذا وأشار  
 الى واحد الاعراب المواظبين على الصلاة بالمسجد ليكون رقيقاً عليه فاسلمني  
 القاضي الى بقارى كان أول كلمة سمعتها منه قوله لي (يا ولد الريف لماذا أنت  
 ضخم هكذا) فاحنيت رأسي تذلاً له وقلت (هكذا خلقتني الله) وبعد انقضاء  
 صلاة العصر قال لي (يانوبي) وهي كلمة يقولها البقارة لكل انسان لم يكن  
 بقاريا من جنسهم وهي تدل على ان المنادى بها رقيق الى أين تذهب فقلت  
 الى منزلي فقال أذهب معك لأتمشى معك فقلت لا بأس فذهب معي وتناول  
 الطعام وسأعود الى ذكر بقية أخباري مع هذا البقارى الذي ظلت أربع  
 سنوات في اسره وتحت مراقبته

أما نبأ غيابي فقد وصل الى الخليفة بعد غيابي ببضعة ايام من يوسف  
 منصور الذي كان موكلاً بحراستي منذ سقوط الخرطوم وهو من ضباط  
 الحكومة وقد هال التعايشي امر غيابي حيث أيقن اني فررت الى الديار المصرية  
 وفي مساء يوم وصولي لام درمان أظهر التعايشي من الفرح والسرور  
 ما حمه على أن دعا نفاخي الابواق وعازفي الطبول فقفضوا ثلاث ساعات في  
 الهو والطرب ولم يخرج التعايشي لصلاة العشاء الا بعد منتصف الليل والحاصل  
 أنني أنفقت في بضعة شهور نحو عشرين جنياً من الثلاثين جنياً التي كانت  
 معي في سبيل مداراة الاعرابي الموكل بي ولولا ان الله لطف بي ووصلت الى  
 نقود مرسله من صدوق الحميم محمد ماهر باشا محافظ القاهرة الآن لأوقعن ذلك  
 الرقيب في مهاوى الهلاك وسيأتي ذكر الرسائل والله الموفق

## ذكر حرف المؤلف

ذكرت اني كنت مقياً بجوار منزل يوسف منصور و بجواري ضابط  
 برتبة يوزباشى اسمه على خير الدين كان بحامية سنار  
 وفي ذات يوم زارني أحد معساري من أهالى السودان فأعطاني  
 خمسين ريالاً مجيدياً وأعطى جاري على خير الدين عشرة ريالاً ثم  
 انصرف فقال لى جاري أرى اننا فى حاجة شديدة الى حرفة ترتزق منها فقلت  
 ماهى الحرفة الذى ترى اننا قادران على القيام بها فقال نفتح حانوتاً نبيع فيه  
 (القهوة) فى ساحل الموردة فقلت لا بأس وذهبنا الى ذلك الساحل واشترينا  
 بوصاً وأخشاباً واستأجرنا أناساً عاونونا على تشييد كوخ فرشناه (بالبراش)  
 وهى نوع من الحصر يصنع من الخوص وفى اليوم التالى فتحنا الحانوت وما  
 مضت ساعتان على فتحه حتى جاءنا الحاج خالد العمرابى محتسب ساحل الموردة  
 وقتئذ وأمرنا بهدم الكوخ فأخذنا نتضرع له ونستغطفه فلم يجاوبنا بغير  
 الشتائم القبيحة ومنها يا كفار يا أولاد الريف يا أسرى وأخيراً أمر أعوانه بهدم  
 الكوخ فهدموه ونهبوا أدوات القهوة وأخذوا الحصر والأخشاب ولم يتركوا  
 لنا شيئاً من البوص وكانت نفقات تشييد هذا الكوخ قد بلغت عشرين ريالاً  
 مجيدياً عدا ثمن أدوات القهوة فقلت لصاحبي على خير الدين ماذا نعمل فقال نتبع  
 عن ساحل الموردة ونشيد كوخاً آخر نبيع فيه القهوة أيضاً فقلت ان مابقى  
 لدينا من المال لا يكفي لتشييد كوخ آخر فقال لنفق مابقى عندنا من النقود  
 أما ثمن البن ففقدت مع تاجر مصري يبيع البن على أن نسدان منه  
 ما يكفينا من البن فاتعدنا عن دائرة نفوذ الحاج خالد العمرابى وشيدنا كوخاً

آخر وباشرنا بيع القهوة فيه

ولما أبصر من حولنا من الدراويش حانوتنا صاروا يترددون علينا الشرب  
القهوة واذا طلبنا منهم ثمنها أهانونا وضر بونا وانصرفوا وبعضهم يقول لنا  
اتركوا ثمن القهوة ( في شان الله ) اى لوجه الله فاذا قبلنا لهم لا نتركه يضر بوننا  
ويقولون انكم ما زلتُم كفاراً

ومكثنا نحو شهر نباشر هذه المهنة وقد بلغ ما تدايناه من التاجر عشرين  
ريالا لم تحصل منها على اكثر من ستين قرشا وما بقى ذهب بين ( في شان  
الله ) وبين ديون على بعض دراويش لا تقوي على مطالبتهم بسدادها لاننا  
موقنون اننا لو ذهبنا الي مطالبتهم لقينا ما نذكره وربما رمونا بتهمة  
الكفر وساقونا الي موقف يستحيل عودتنا منه سالمين فهدمنا الكوخ  
وبعنا أخشابه وحصره وأدوات القهوة وذهبنا الي التاجر لنوفيه حقه فتنازل  
عن النصف ودفعنا له النصف الآخر ثم زين لصاحبي عقله أن نحترف بمهنة  
شراء البطيخ من المزارع وبيعه فاستحضرنا ثلاثين ريالاً مجيدياً جعلناها  
رأس مالنا وذهب صاحبي الي قرية ( العيلفون ) واشترى بطيخاً شحن به سركبا  
صغيرة وعاد الي أم درمان في العصر وكان ذلك في شهر رمضان فأخرجنا  
البطيخ من المركب ووضعناه على شاطئ النهر ريثما نبيعه للبيعة وذهبت الي  
منزلي وتركت صاحبي يحرس البطيخ وبيننا كنت عاتداً من المنزل رأيت  
موكب التمايشى ماراً فأبصرت الدراويش الذين خلقه قد اختطفوا البطيخ  
وبعد ان اجتاز الموكب ذهبت الي صاحبي على خير الدين فالفيتة جأياً على  
ركبتيه واضماً يديه على رأسه شاخصاً ببصره الي الارض ووجدت  
عنده بعض بطيخ مهشم فعمظ علي نهب البطيخ وانكفي أخذت في

تسليمته وتهوين المصيبة ومازلت به حتي أخذته وذهبنا الى منازلنا وكان التعالشي ذاهبا بموكبه الي منزل له بالقرب من هذه الجهة وبعد ان أوصلت رفيقي الي منزله ذهبت خلف التعالشي فوجدته جالسا في المسجد فقال له أحد الحاضرين ان ابراهيم فوزي ورفيقيه كانا يبيعان البطيخ فداهمهم الانصار ونهبوا البطيخ فقال ( في شأن الله ) ثم قال مخاطبه من هو ابراهيم فوزي كأنه لا يعرفني فوقفت بين يديه فقال هل البطيخ الذي أخذه الاخوان لك فقلت نعم فقال ومن أين لك رأس المال فقلت تداينته من بعض الناس على شرط ان يكون الربح بيننا فقال وماذا قلت لما أخذه الانصار فقلت لم أقل غير ( في شأن الله وفي حب سيدنا الخليفة ) فتبسم وقال أهكذا قلت مع ان رأس المال دين فقلت لم أقل غير ذلك ثم حان وقت الافطار فدخل التعالشي داره وذهبت الي منزلي للافطار أيضا ثم عدت وأنا لا أشك في انه سيعطيني تمويضا فقضيت الليل حول مقصورته حتي انتهت صلاة القيام ودخل الي منزله وبعد أيام قلائل ارسل لي مع أحد خدامه أربعين ريالاً من الريال المسمى ( مقبل ) الذي تقدر قيمته وقتئذ بخمسة قروش

وفي اليوم التالي قال لي صاحبي على خير الدين ان كثيراً من الذين يتبايعون البقر والغنم يرغبون ان يكتبوا عقوداً بين البائع والمشتري يضمنونها أوصاف البهيمة المشتراة وان أجرة تحرير عقد بيع الراس من المعز أو الضأن قرش ومن البقر قرشان وكذا الابل فذهبت مع صاحبي الي السوق واستأجرنا مظلةً من البوص وجلسنا تحتها وجاء أصحاب الماشية للبيع فاخذنا نكتب العقود فاجتمع لدينا نحو أربعين قرشا قبل ان ينتصف النهار ثم أذن لصلاة الظهر فجاء الدراويش بالسياط وأوسعوني وصاحبي ضربا وأخذوا ما جمعناه

وقالوا اذهبوا الى الصلاة ومن العادة المتبعة عند الدراويش انهم يضربون الباعة  
وأصحاب الحوانيت بالسياط ليذهبوا لاداء الصلاة في المسجد والحقيقة انهم انما  
يفعلون ذلك لينهبوا ما في الحوانيت من السلع فسرنا مع الدراويش الى المسجد  
ونحن نلج في الضراعة ونلتمس الاحسان علينا بشيء من القروش التي أخذت  
مناو بعد اللتيما والتي اعطونا خمسة قروش بعد ان اشترطوا علينا عدم مباشرة هذه  
الحرفة لما فيها من كثرة الايراد وحيث اننا مصريون وكفار بزعمهم فلا يصح  
ان نحصل على شيء يزيد على ثمن الخبز بلا اذام  
هذا وقد استطاع صاحبي على خير الدين الهرب واللاحاق بمصر بعد هذه  
الكوارث بنحو عامين



ذكر عثمان الملقب بشيخ الدين بن عبد الله التعايشي  
لما أفضت خلافة المهديوية الى التعايشي كان سن ابنه عثمان لا يتجاوز  
عشر سنين تقريباً

ولما كان التعايشي ذا طموح لجعل الملك وراثياً في آل بيته مهد كل الصعوبات  
التي تعترض هذا السبيل وحط من قدر انجال المهدي وسائر ذوى قرابته  
وأخذ يعيرهم في مجالسه الخصوصية بانهم دناقله أسافل لا يصلحون لشيء غير  
حراسة الابواب

وفي أواخر سنة ١٣٠٥ دعا ابنه عثمان وعمره لا يتجاوز اذ ذاك ثلاثة  
عشر عاماً وقال على رؤس الملائكة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم انبأه بلقب  
(شيخ الدين) وانه مرشح ليكون خليفة رابعاً ويجلس على كرسي عثمان بن  
عفان عليه سبحانه الرضوان



وبعد ان أعلن التعايشي بين أهله ترشيح ابنه عثمان للخلافة عاد فسكت  
عن هذه المسألة ولم يتكلم عنها بعد لان اخاه يعقوب حذره من ولوج هذا  
الباب وقال له انك ان فتحت باب الكلام في أمر الخلافة أوجبت على نفسك  
السير على حسب ترتيب الخلفاء وإذ ذلك يجب تقديم على حلو خليفة الفاروق على  
ابنك الذي تريد جعله خليفة لعثمان ولا يبعد ان الخليفة على حلو يحول بين الخلافة  
وبين ابنك ويجعلها وراثه لأولاده اذا قدر له ان يخلفك فعدل التعايشي عن تولية  
ابنه الخلافة واخذ في أسباب تناسي الناس ذكرى الخلافة واهمية الخلفاء فجلس  
ذات يوم والناس حوله وقال لهم ان النبي صلى الله عليه وسلم والخضر والمهدي  
اخبروه بان لا خلافة بعده وان الملك والسلطان سيكونان بيد اقرب الناس اليه  
وقال مرة ان النبي صلى الله عليه وسلم اخبره بمباراة مبهمه حيث قال له انت اربعون  
فلم يفهم معنى الاربعين أهى اربعون عاماً أم اربعون شهراً أم اربعون يوماً  
فاخذ من حوله من المتعلمين فى البكاء وكان ابن النجومي حاضراً فقال لماذا  
تبكون فقالوا لقد ساءنا ان سنى حكم سيدنا اربعون سنة فقال لهم التعايشي  
سواء كانت سنو حكمى اربعين سنة أو اربعين شهراً أو اربعين يوماً فانه لا يبق  
بعدي على وجه الارض مؤمن وان الساعة لم يبق عليها غير ما هو باق من أجلى  
وفى هذه السنة أى سنة ١٣٠٥ زوج التعايشي ابنه عثمان بنت عمه  
يعقوب وبالرغم عن التقاليد التي سنها المهدي بتخفيض مهر البكر الى عشر ريات  
والثيب الى خمس ريات وتحذيره من الاحتفالات فى ليالى الاعراس وتوعده  
من خالف هذه القواعد بالعقوبة الصارمة تعالى التعايشي فى إظهار الابهة  
فى الاحتفال بقران ابنه حيث اقيمت الافراح وادبت نحو خمسين مأدبة  
حضر كل واحدة نحو الالفين من المدعوين ومع بساطة الأطعمة فى هذه المآدب

التي كانت قاصرة على اللحوم والتمر وبعض الخضراوات قد بلغت نفقاتها  
قدراً طائلاً من المال

وكان لحمدان أبي عنجة دار كبيرة شيدها بالآجر واللبن الأحمر فاخذها  
التعايشي وأسكن فيها ابنه عثمان ومن ثم ظهر عثمان بن التعايشي بمظهر الامارة  
وحاول أبوه ان يوليه قيادة الجيوش ويستورزه بدل أخيه يعقوب الذي اضمر  
لعثمان الكراهة وأوجس خيفة من ان يشرع أخوه التعايشي في اقصائه عن  
منصبه ويستعيز عنه بابنه عثمان الذي أخذ يجاهر عمه يعقوب بالعداوة ويعيب  
أعماله ويشدد التكبر عليه حتى أفضى ذلك بينهما الى مناظرات شديدة ظهر بها  
للتعايشي ان قبائل الاعراب البقارة سيما التعايشة شديدو التعلق بأخيه يعقوب  
وانهم منقادون له اتقياداً أعمى وكثير من القواد صنائمه وفي الحقيقة ان صفات  
يعقوب هي التي جذبت هؤلاء الاقوام وجمعت قلوبهم على ولائه والاخلاص  
له لانه كان اكرم خلقاً من أخيه التعايشي وألين جانباً منه واشد دهاءه وتفننه  
في أساليب الخداع كان لا يباشر أحداً بسوء أما سياسة أخيه فكانت خرقاء ولذا  
كان لا يظهر بغير مظهر القوة والجرور فامتلات الافئدة برهبتة وفزعت  
من قهره ومالت الى جانب أخيه يعقوب الذي كان قابضاً على زمام عطية الناس  
وبيده ارزاقهم فن أرضاه منهم أمن غائلة أخيه التعايشي وتناول عطاءه وحصل  
على رزقه وان كان من أولى الوظائف فانه يصير آمناً على وظيفته بعد ان يؤدى  
الى يعقوب مايفترضه عليه من المال وسياًتي أن ماكان يتناوله يعقوب من  
رشا الوظائف وغيرها كان يدفعه الى أخيه التعايشي

هكذا وقد ايقن التعايشي ان محاولة اقصاء يعقوب ستكون ذات  
مغبة سيئة وكان يخشى أن يهب لمناواته حيث ان القوة في جانب أخيه

كانت ارجح منها في جانبه فضلاً عما يعلمه من سير ابنه الذي شب ولاهم له غير  
 الهو والتفاني في حضور ليالي الرقص وشرب الخمر مع ان المهديوية منذ ظهورها  
 شددت النكير على الراقصات وسنت العقوبة الشديدة عليهن كجلد بالسياط  
 وحلق الرأس ومصادرة الاموال وفي الحقيقة ان المهديوية بسنها هذه الاحكام  
 أحسنت صنماً لان عادة الرقص سيما في الاعراس من أقبح عوائد السودان  
 وأشدّها مساساً للآداب العمومية ان يجتمع في ليلة الزفاف ععدد كبير من  
 الشبان والفتيات يغنون بانغام مختلفة بين ثقيل ووسط وخفيف ويطنبرون  
 باصوات مزعجة كأنها حشرة الصدور ثم ترقص الفتيات ومن ضمنهن  
 العروس على هذه الانغام ويحنين ظهورهن حتى تكاد رؤسهن تمس الارض  
 واجسامهن عارية ليس عليها غير الخلى وعلى عوراتهن سيور من جلد طولها  
 أقل من عشرين سنتمتر تري من خلالها عورة الراقصة وتسمى هذه  
 السيور ( الرهط ) ويظل الرقص والغناء مستمراً في منزل العروس مدة  
 أربعين ليلة أولاهن ليلة الزفاف

هذا ولنعمد الى ذكر عثمان شيخ الدين الذي طرح الوقار وتهتك في حب  
 الراقصات ووالي السهر في ليالي الرقص وجمع حوله عدداً كبيراً من المغنين المطنبرين  
 وأخذ عمه يعقوب يرفع الى والده التعاشي أخبار ما يقف عليه من قبيح سيره  
 واسترساله في قضاء الشهوات وشرب الخمر ولم يترك باباً من أبواب الفسق الا  
 ولجه وبالجملة انه ظهر في مسرح الخلاعة وضروب الهو ظهور المهتكين وامسى ولاهم  
 له غير اغتصاب كل بنت تعجبه والتمتع بها بضع ليال وجمع حوله عدداً كبيراً  
 من الخنثين وصار الامراء وسائر الناس يخفون اولادهم عنده حيث كان  
 يأخذهم بصفة حراس وخدام له ولم يعمل أبوه لكبح جماحه عملاً

سوى انه كان في بعض الاوقات يقبض على بعض ندمائه ويهدمهم الى جهات  
خط الاستواء

هكذا وقد مد عثمان يده الى الجباة وامراء الجهات فكانوا يدارونه  
بالهدايا اتقاء شره وكانوا في حيرة من أمره لان عمه يعقوب كان يحذرهم  
من إعطائه شيئاً من بيت المال

وجمع التعايشي نحو أربعمائة من غلمان الاحباش الذين أخذوا أسرى في  
حروب الاحباش واركبهم الخيول الكريمة وجعلهم حراساً لابنه

وقد حذا حذو عثمان شيخ الدين في جميع اخلاقه واطواره شبان البقارة  
الذين شبوا في أم درمان وصرت تري دور أمراءهم وقوادهم خاصة بالمغنين  
والمطربين وانعمسوا كلهم في الترف واللهو وشرب الخمر حتى صاروا يتباهون  
بذلك ويفاخر بعضهم بعضاً بهذه المنكرات وسيأتي الكلام على المخنثين وما  
كانوا يعاملون به في ايام المهديين ثم ما صارت اليه حالتهم من الانقلاب  
على عهد عثمان شيخ الدين واضرابه من شبان البقارة

والحاصل ان التعايشي رأى ان لا مناص له من ترك أخيه يعقوب يشاطره  
النفوذ والسلطان في ملكه بالرغم عن طموحه لرفع شان ابنه وترشيحه لنيل  
الملك من بعده ويهد الله كل شيء

### الكلام علي المخرج والجباة والعمال

عقدنا هذا الباب لنأتي فيه على ذكر نظمات المهديين وعوائدهم  
في جباية الخراج وتعيين الجباة والعمال اذ من هذا الباب يقف القارئ على  
نظمات القوم ويعرف أساليب الخراج وتعيين الجباة فنقول

تنقسم البلاد السودانية في كيفية جباية الخراج الى قسمين. القسم الاول  
 أمراء البلاد الذين لهم شبه استقلال في اماراتهم ولاسلطة لأمين بيت  
 المال عليهم وهؤلاء أمراء شرقي السودان كعثمان دقنه وأمير دنقلة عبد الرحمن  
 النجومي والذين خلفوه وأمير جيش الفلابات حمدان أبي تنجة ومن خلفه  
 وأمير دارفور وكردفان عثمان آدم ومحمود أحمد الذي خلفه بعد وفاته وكذلك أمير  
 بربر فهؤلاء الامراء لهم شبه استقلال في أعمالهم بحيث يقتلون وينفون في دائرة  
 نفوذهم لانهم يقودون جيوشا جرارة ويحكمون على عدة أقاليم ولكل واحد  
 من هؤلاء الامراء بيت مال خاص وسجن وشرطي خاص بامارته وهو الذي  
 يعين الجباة من طرفه وينفق ما يجتمع في بيت ماله على الحامية التي تحت إمرته  
 وكانوا في ظاهر الحال غير مكافئين بارسال شيء من خراج بلادهم الى أم درمان  
 ولكن الحقيقة أنهم يؤدون اكثر من نصف ما يجمعونه من الخراج الي يعقوب  
 أخي التعايشي بصفة هدايا واذا صودرت أموال أحد الاغنياء فان القيمة  
 التي صودرت ترسل برمتها للتعايشي وأخيه وابنه وفي جميع الاحوال كان  
 ما يرسل الى الخليفة من نوع الذهب والفضة الخالصة ونوعي الريال  
 المجيدى والنمساوى وان كان الذهب أحب هذه الاصناف الي التعايشي .  
 والقسم الثاني جباة صغار يمينهم أمين بيت مال أم درمان يبلغون عشرة  
 جباة كل جاب لا تتجاوز دائرة نفوذه قسما من أقسام مديرتي الخرطوم  
 وسنار وهذان الاقليمان هما اللذان بقيا تابعين لبيت مال أم درمان  
 اما الخراج الذي يجبي فهو عبارة عن عشر الحبوب وزكاة الماشية من الغنم  
 والبقر والابل حسب الفريضة الشرعية وزكاة الفطر يأخذونها قهراً من كل من  
 صرهم وليس بيده قسيمة بتوقيع أحد العمال تفيد انه أدى زكاة الفطر وزكاة المال

تؤخذ قسراً من التجار ومن يظن انه ذومال

هذه موارد خراج المهديين ومقاديرها ظاهرة ولكن الحقيقة انهم كانوا يأخذون اكثر من ثلث محصول الحبوب وهذا اذا لم يدعوا على المزي انه شرب خمرأ أو استعمل دخاناً ليتوصلوا بذلك الى مصادرة أمواله كلها

ويدفع الجابي قبل تعيينه الى يعقوب الف ريال من العملة القديمة ونحو خمسمائة ريال الى أمين بيت المال ونحو خمسمائة ريال لكتابة يعقوب وبيت المال وحجاب يعقوب فالجملة ثلاثة آلاف ريال ثم تصدر الاوامر من التمايشى بتعيين أولئك الجباة فيغادرون أم درمان في شهر محرم من كل سنة ويعودون اليها في العشر الاولى من شهر ذي الحجة فيؤدي كل جاب اثنى عشر الف ريال الى يعقوب ونحو خمسة آلاف أردب من الغلة عدا الماشية من أنواع البقر والغنم وعدا الركائب الجيدة من الخيول والحمر الاهلية والهجن وعدا هذا وذاك الجوارى الحسان

واذا صادر الجباة أموال أحد الناس أرسلوا المال كله الى يعقوب والوہل ثم الوہل لمن اخفى ولو شيئاً تافها

وجملة القول ان ما يتناوله يعقوب كان يبلغ خمسة وعشرين الف ريال ولا يحيص للجابي عن تقديم مثل هذا القدر الى بيت المال عدا ما يرثى به أمين بيت المال فيكون المجموع نحو ستين الف ريال أما الفسلال فانها لا تدخل تحت حصر لكثرتها ثم ان الجابي وكتبته واعوانه يتناولون من المال ما لا يقل عن نصف هذه القيمة عدا نفقاتهم مدة العمل حيث الأهلون مكفون بتقديم الاغذية لهم والعلف لدوابهم

ولا يفوتن القارى ان ما كان يتناوله يعقوب من الرشوة كان يصل خزائن

التعاشي بحيث لا ينتفع يعقوب منه الا بالظفيف  
وكثير من كبار اصراء البقارة يرسلون المال رأساً الي التعاشي بدون  
وساطة يعقوب وللاسباب التي سردناها تحوات ثروة السودان الي خزائن  
التعاشي وأخيه وابنه وقبيلته وبات الاهلون يقاسون الفقر المدقع ليس  
لديهم من المال غير ما يحرثونه وليت المهديوة كانت تترك لهم من ثمار أرضهم  
ما يقوم بحوائجهم الضرورية ولا حول ولا قوة الا بالله

### ذكر المخنثين

يوجد في بلاد السودان مخنثون يتشبهون بالنساء في ملابسهم وربما  
سدلوا شعورهم مثلن وهم يأوون الي اماكن المومسات ليقوموا بمهنة القيادة  
اليهن ولا تخلو بلد من بلاد السودان من مومسات اكثرهن من الجوارى  
التي يفرض عليهن مواليهن ضريبة يقمن بادائها في كل شهر وقد جاء في كتاب  
(السيف والنار) ذكر أولئك البغايا ومواليهن الذين هم وجوه أهل السودان  
واغنياؤهم ولا عيب عندهم في ارتكاب البغايا هذا الفعل الشنيع لما ان هذه  
العادة قديمة متأصلة عند أهالي السودان ولذا لا يأنفون من أخذ المشاهرة  
من هؤلاء الجوارى

ولما ظهرت المهديوة وأقيمت الحدود الشرعية على الزانى والزانية مد  
المهديون أيديهم الي البغايا فاعتصبوهن من ملاكهن بصفة سبايا وبقى أمر  
المخنثين على ما هو عليه حيث ظلوا قائمين بحرقهم في أمكنة التجور السرية  
وفي سنة ١٣٠٤ قبض التعاشي على مئات منهم وزجهم في ظلمات السجون  
وعذبهم بالإشغال حتى اشرفوا على الهلاك ثم استتابهم وجعل عليهم حراساً

ورقباء وأمرهم بمواظبة الصلوات الخمس في المساجد فتركوا التشبيه بالنساء  
وصاروا في وجل شديد ثم انه قبض على كثيرين منهم أيضا ونفاهم الى خط  
الاستواء فلقوا حتفهم في الطريق قبل أن يبلغوها

ولكن ما لبثنا بضع سنوات حتى رأينا لرقباء والموكلين بالخنثين قد تركوهم  
وشأنهم وصرنا نرى أولئك الخنثين قد عادوا الي ما كانوا فيه من التشبيه بالنساء  
وارخاء الشعور وصار عدد ليس بقليل منهم يسكن دور عثمان شيخ الدين  
واضرابه من شبيبة البقارة ومنهم محمود احمد اسير وقمة اثيره وأخوه ابراهيم  
الخليل فتعلق الناس بالخنثين وبعد ان كانوا لا يسكنون في غير محلات الباغيات  
وأحياء المومسات صار مأواهم دور الأمراء ومنازل القواد ولا غرو فالناس  
على دين ملوكهم وكان محمود احمد قد تغالي في تعلقه بالخنثين الذين جمع منهم  
في منزله اكثر من عشرين واحدا منهم يرافقونه في الشخوص الي دارفور  
ويعودون معه لدى فنقله راجعا الي أم درمان

والبقارة يطلقون على الخنث اسم (عقايط) ومن ثم صار الخنثون أصحاب  
الكلمة النافذة عند عثمان شيخ الدين ومحمود احمد وسائر الأمراء وبالجملة أنهم  
صاروا شفعا لا ترد شفاعتهم عند عثمان وسائر الأمراء حتى صار أولئك الأمراء  
المفتونون يناظرون بعضهم بأولئك الخنثين

وقد بلغ من تقرب عثمان شيخ الدين للخنثين والانتصار لهم ان أحد  
الرقباء الذين كانوا موكلين بمراقبة الخنثين وكان شديد الوطأة عليهم حتى كان  
من أمرهم ما ذكرناه رماه بعضهم عنده بتهمة أنه يود إعادة المراقبة عليهم  
فقبض عليه وسجنه ولم يطلقه إلا بعد عناء شديد

ويزعم أولئك الأمراء أنهم لم يأووا الخنثين في منازلهم الا ليوكلوا اليهم



أمر تطيب نسايتهم وتدريبهن على أساليب الغنيج والدلال لانهن على زعمهم  
أعرف من نسايتهم بهذه الاشياء وهو عذر ان صح نقله عنهم أقبح من الذنب  
لانه لا يبعد أن يتمتع أولئك الخنثون بالنساء ويشاطرون هؤلاء الامراء المغفلين  
الخطوة بهن كما ان العقل يستبعد سلامة أولئك الامراء من التلطيخ باوضار تهمة  
اللواط أعاذنا الله منها

### حوادث دنقلة وقتل ابن النجمي

لم نذكر من حوادث دنقلة غير وصول عبدالرحمن النجمي وهنا نذكر  
بقية حوادثها الي سفره منها ومهاجكه بعد ان اجتاز حلقا فنقول  
لما غادر عبد الرحمن النجمي ام درمان قاصدا بربر ومنها الي دنقلة كان عدد  
مقاتله سبعين ألفا ولكنه لما وصل الي بربر تفرقوا عنه ولحقوا ببلادهم  
ولم يبق معه منهم الا عشرون ألف مقاتل عدا الجهادية الذين يبلغ عددهم نحو  
عشرة آلاف مقاتل وكان قد ارسلهم من بربر الي دنقلة تحت قيادة مصطفى  
جبارة وكيل الجيش وكان قواد أولئك الجهادية آدم كرامة وسرور أبانجة اللذين  
كانا في جنديّة الحكومة في الايام السالفة ولما وطئت أقدامهما أرض دنقلة  
ورأوا أنفسهما قريين من حدود الحكومة اشتد ميلهما الي اللحاق بها  
فتشاورا علي اضرام نار الثورة وشق عصا الطاعة علي المهديين فاجتمعوا بصغار القواد  
المرؤسين بهما وتحالفوا علي أن يباغتوا الدراويش ويأخذوهم علي غرة وعينوا  
آدم كرامة قومنداناً عاما عليهم ولقبوه بآدم (باشا) كرامة ومنحوه رتبة  
أمير اللواء ومنحوا سرور أبانجة رتبة (أمير الأبي) وسموا لواءهم اللواء

الرابع وأحسن أمير اللواء على بقية الضباط بالرتب ومن بينهم واحد اسمه عبد الله محمد كان حائزاً لرتبة ملازم ثان من الحكومة الحديوية منحه رتبة الملازم فاستاء من ذلك وعده إهانة كبرى لشخصه ولكنه لم يخبرهم باستيائه . على انه لو أخبرهم بما داخله من الغيظ لمنجود ما يشتهيه من الرتب ولكنه سكت فخالوا سكوته رضاء

وأجمع آدم كرامة واعوانه على الوثبة على الدراويش في الغلس ورسوموا كيفية الهجوم وانصرفوا الى منازلهم على ان يجتمعوا في وقت عينود ولكن لم يتم لهم ما اردوا فقد ذهب عبد الله محمد الى مصطفى جباره واخبره بما دبره الجهادية فتمص الجد وجمع حوله الفا وخمسة مائة فارس وارسل خمسمائة مقاتل قبضوا على آدم كرامة وسرور أبي عنجة وبعد ان سئلا فانكرا استشهد بعبد الله محمد الذي قال لهما انكما دبرتما كيت وكيت ثم ضربت اعناقهما وأعناق نحو عشرين من القواد الذين معهم وأرسل مصطفى جباره يخبر عبد الرحمن النجمي بهذه الحادثة وكان عبد الرحمن يفضله فاتخذ هذه المسألة ذريعة الى الانتقام منه فكتب الى التعايشي يبري الجهادية مرامهم به مصطفى جباره وادعى انه ماقتلهم الا لقصد سيء فرد التعايشي على عبد الرحمن النجمي قائلاً ان الحضرة النبوية أخبرته بصحة مقاله مصطفى جباره وان ما فعله لم يكن عن سوء قصد كما قال عبد الرحمن النجمي الذي غادر بربر على أثر هذه الحادثة ولحق بدنقلة وتكاملت جيوشه بها

هذا وقد ألمعنا الى ان النجمي كان من حزب الخليفة شريف الذي كان التعايشي يسمي في تلاشي أمره واضمحلاله وقد كان من أمر النجمي انه رغب عن الخليفة شريف واحتقره ومال الى التعايشي الذي قابل مسيله بالفتور وعسده

خيانة توجب الازدراء بمرتكبها وكان ابن النجومي ذا بساطة فطرية مع بله فلم يفتن لهفته هذه وبقي منزلاً للتعايشي

وبعد أن وصل ابن النجومي الي دنقلة انتدب التعايشي مساعد قيودوم البقاري في بضعة آلاف مقاتل كلهم من البقارة وارسله الي دنقلة ليكون وكيلاً لبد الرحمن النجومي

ولما وصل مساعد الي دنقلة زاره النجومي ذات يوم بمنزله فقدم له شرباً من العسل دس له فيه زرنينخا فتناول منه النجومي جانباً فابتدأت فيه اعراض التسمم ولزم داره واشتدت به العلة حتي اشرف على الهلاك وبعد مدة عوفي وزال عنه الخطر واشتد النفور بينه وبين مساعد الذي كان يطالب أمين بيت المال بنفقات باهظة تمدل نفقات الجيش كله فشكا ابن النجومي الي التعايشي الذي كان لا يجاوبه بغير العبارات المهمة مثل أنت قائد الجيش ومساعد انما هو وكيلك والامر مشترك بينكما فاستحکم النفور بين مساعد وابن النجومي حتى خيف انتشار الحرب بينهما وتفرقت كلمتهما وصار كل واحد منهما يستعرض جنوده على حدة

وفي ابان ذلك نمي الي ابن النجومي ان السير غرانفيل باشا سردار الجيش المصري ينوي الهجوم على معسكر الدراويش في جنوب حلغا وهو معسكر ( صرص ) فارسل يبلغ التعايشي الخبر ويستأذنه في التقدم الي صرص فكتب له التعايشي يقول انك لن تزال في دور النقاها فابعث مساعداً بجميع فرسان الجيش وهم زهاء ثلاثة آلاف فارس فانفذ النجومي مساعدا الي صرص فالتقي قبل وصوله اليها بجواسيس المهديوية قادمين من حلغا فاخبروه بان السير غرانفيل معه قوة كبيرة وانه ربما كن لكم في الطريق فارتاع مساعد وكان

جباناً وعديداً ثم تقدم الى صرص فلقية جواسيس أخر اخبروه بمثل ماخبره به الاولون فترك الجيش وعاد الي دنقلة واستخلف أحد أقاربه على الجيش فتابع سيره الي صرص ولم يصادف كيداً في طريقه ثم قفل راجعاً الي دنقلة ولم يلتق بالجيوش المصرية التي قصدت صحراء (المرات) لاكتشاف آبارها

وفي سنة ١٣٠٥ استدعى التمايشي عبدالرحمن النجمي الي أم درمان واكثر من تأنيبه وتحقيره أمام الملائح حتى قال له انك رجل مغفل لا تصلح للولاية على امراتك وأولادك فضلاً عن ولايتك على جيش جرار ولقد ذكرنا فيما مضى ان ابن النجمي كان من أعظم قواد المهدي الذين لهم عنده اكبر منزلة وقد كتب اليه مرات عديدة يقول ان الحضرة النبوية تقرأ عليك السلام وقال له يوم سقوط الخرطوم مفسراً الآية الشريفة (من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلاً) ان الذي قضى نحبه هو عبد الله بن النور الذي ذكرنا خبر قتله في واقعة (الجريف) وان الذي ينتظر هو عبدالرحمن النجمي فانظر كيف كانت منزلة عبد الرحمن بن النجمي عند المهدي وكيف سقطت الي الحضيض عند التمايشي الذي أنبأت أفعاله انه لم يكن مصدقاً بشيء من دعوى المهدي وتخريصاته وانه كان واقفاً على كنهه اكاذيبه بل كان مشاركاً له في وضعها واختلاقها

ثم أعيد ابن النجمي الي دنقلة في أواخر سنة ١٣٠٥ وأمر باخذ الابهة لفتح مصر فدخلت عليه سنة ١٣٠٦ ولم يتقدم اليها بل أخذ في مماطلة التمايشي وود الاستقالة من عمله

وفي أواسط سنة ١٣٠٦ فشت المجاعة في السودان واشتدت وطأتها

على أهل دنقلة فاصدر التمايشي أمراً بمنزل ابن النجومي وتعيين يونس الدكيم التمايشي بدله وأمر يونس المذكور باكره ابن النجومي على مغادرة دنقلة لفتح مصر

هذا وقد كان من الاسباب التي بعثت التمايشي لانفاذ عبد الرحمن النجومي الى فتح مصر أن بعض الجمافة سكان مديرية أصوان كانوا يبعثون الكتب تباعا الى التمايشي يظهر فيها ولاءهم له وانهم ينتظرون بفروغ صبر تقدم جيش المهديوية الي بلادهم وانهم سيلة وونه في عدد عظيم من المقاتلة ويقدمون له ما يحتاجه من الاقوات وتفشى المجاعة في السودان كله مع مآظر له من ان الاهلين يودون الخلاص من ظلمه سيما وقد تفرقت دراويشه من حوله وأمسي وليس معه منهم في أم درمان اكثر من بضعة آلاف فاشار عليه بعضهم بانفاذ جيش ابن النجومي الى حدود مصر ليظهر من الضعف قوة ومن جهة أخرى كان هلاك جيش النجومي مما يسمي اليه التمايشي لانه كما تقدم لنا من القول كان من حزب الخليفة شريف وكان ابن النجومي بعد ان عاد من أم درمان قد عاوده المرض وانتكست صحته فكتب يونس لدكيم الي التمايشي يخبره بان ابن النجومي ملازم للفراش وان حالته منذرة بالخطر فاجابه بان يحملوه على نعش ويسيروا به امام الجيش لان الحضرة النبوية اخبرته بان فتح مصر سيكون على يده فحمل ابن النجومي على نعش سيروه امام الجيش كانه تابوت نبي اسرائيل وشخص من دنقلة ومعه اثنا عشر الف مقاتل وعشرون الفا من النساء والصبيان وأعطى لكل مقاتل من مقاتله كيلتين من الذرة وهو قدر لا يكفيه بضعة أيام ولما اقتربت الدراويش من حدود الحكومة عند مكان اسمه (ارغين)

هاجمته الحامية هجوما عنيفاً فسقط في ساحة القتال نحو نصف مقاتليه الذين

صاروا لشدة فتك المجاعة بهم كغنم تساق الى الذبح

ومن المضحك ان أحد قبيلة الكنوز الذين كانوا مع ابن النجومى أرسل

كتابا الي بمض أقاربه في أم درمان قبل مذبحه ( أرغين ) جاء فيه ما يأتى

انى ذبحت فرسى في هذه الليلة وتعشيت من لحمها أنا ومن معى

وادخرت الباقى للتزود به حيث صرنا على مقربة من حدود الكفار وعمما

قريب يا تيكم نأفتح مصر اه فانظر هذه الغباوة واعجب لسخانة عقل من

تعشى من لحم فرسه وتزود بالباقي كيف يفتح مصر

وبعد واقعة ( ارغين ) سار ابن النجومى بجيشه حتى التقى بالسير غرانقيل

باشا قائد الجيش في ( طوشكى ) حيث قتل ابن النجومى وتمزق جيشه

كل ممزق

ولما كانت هذه الواقعة معلومة عند المصريين وقد وقفوا على تفاصيلها

فلا حاجة ليراد شىء عنها زيادة عن هذا

اما تأثير هذا الحدلان على التعاشى فكان سيئاً ولكنه اظهر عدم

الاكثرات به

### ذكر زواج المؤلف باحدى نساء التعاشي

بعد أن أسلمنى التعاشى للبقارى الذى وكل اليه مراقبتي فى الصلاة

ببضعة شهور جلس فى محراب المسجد بعد اداء صلاة الظهر وأخذ يكلم الناس

بامور زعم انه أخبره بها النبي صلى الله عليه وسلم ومن جملتها انه قال لهم سيظهر

كذاب يدعى انه المسيح عيسى بن مريم صلوات الله وسلامه عليه وان أوصافه

كيت وكيت فقال له من حوله ان ذلك الكذاب مصرى وكنت مصغيا لاقواله  
فسمعتة يقول انه ابيض اللون قصير القامة ضخم الجثة مستدير الوجه فقال  
لى بعض الحضور سرا بمازحني ان هذه الاوصاف تنطبق عليك فداخني  
وجل شديد وقلت في نفسى رب واش ابلغ هذا الطاغية عني انى مزعم  
على ادعاء هذه الاكذوبة وانه قال مقالته هذه ليمهد بها طريقا للقبض على  
والايقاع بي . فتنحيت من موقفي وجلست في المسجد واسندت ظهري  
الى حائط وانا غارق فى بحار الافكار فسمعت مناديا يقول يا فوزى فعلمت  
ان التمايشى يدعوني فذهب عتلى وقت وانا لا أشك فى تحقق ما وقع فى روعى  
وانى مدعو الآن للتنكيل بي فشيت مسرعا حتى بلغت مقصورة التمايشى  
فلما رآنى قام على قدميه وخرج منها وأمسك بيدي ومشينا الى باب داره فقال  
الناس لا ريب ان الذى أمسكه الخليفة هو الذى قال عنه انه سيدعى انه المسيح  
عيسى بن مريم صلوات الله عليه وسلامه

ولما وصلنا عند الباب وقف معي وقال مخاطبا لى يا فوزى فقلت نعم  
يا سيدي خليفة المهدي عليه السلام فقال انى أريد ان أزوجك امرأة مؤدبة  
مهذبة حسنة التربية حسنة الخلق متدينة متورعة وهى احدي نسائي فقلت له  
يا سيدي اننى متزوج فقال أليس لك زوجة واحدة فقلت بلى فقال وما المانع من  
ان يكون لك ثلاث زوجات أو أربع فقلت لا مانع سوى انى فقير مدقع وليس  
لى كسب يعاوننى على القيام بواجبات زوجتين فقال لا تلتفت الى ذلك لان الله  
متكفل بارزاق العباد ثم قال لى ماقولك قلت انا لا أرغب عما يختاره لى مولاي  
فقال بارك الله لك فيها ثم قال لى لا تخبر أحدا بشيء من هذا الحديث ثم  
تركنى ودخل منزله فتكأ الناس على يسألوننى فكنت أصرفهم بالمجاملة

وأقول لهم لم يقل لي الخليفة شيئاً تخشى مغيبته

وبعد بضعة أيام استدعاني التعاشي الى داره فوجدته جالسا ومعه  
القاضي احمد على وقاضيان آخران وبعد ان قبلت يده أمرني بالجلوس  
فجلست على لارض بجانب هؤلاء الثلاثة ثم قال لاحد غلماناه أحضر الطعام  
فجاء بقصعة مملوءة بخبر الذرة ادامها من الطبخ الذي يصنع من البامية  
المحنفة (الويكه) وعلى وجه القصعة خمس قطع من اللحم يبلغ وزن القطعة  
منهارطلا فتناول التعاشي قطعة منها وقال خذ هذه يا فوزي ثم دفع لكل  
واحد من القضاة الثلاثة قطعة واطي لنفسه قطعة فامسكت قطعتي بيدي  
اليمنى ونهشت جزءاً منها فوجدتها غير ناضجة وعلمت انها من لحم الابل  
فامسكتها بيدي اليسرى واخذت آكل بيدي اليمين ولما فرغنا من الاكل وجدت  
ملاسي ملوثة بالطبخ فصاح بي التعاشي ماهذه القطعة التي تحملها يا فوزي  
فقلت له اني اكلت منها كفايتي واريد ان حمل الباقي الى آل بيتي ليتبركوا بقطعة  
اللحم التي صنعت في بيت مولاي وناولني اياها بيده الشريفة فتبسم والتفت الى  
القضاة وقال لهم لاريب ان فوزي صار من خيرة انصار المهدي وانه نبذ  
الرفاهية ولم يلتفت الى شيء من الدنيا والتفت الى وبلغ في الثناء على ثم  
تناول من القضاة ما بايديهم من قطع اللحم وضماها الي قطعتي وناولني الاربعة  
قطع وقال اذهب بها الى آل بيتك فحملتها في جبتي وخرجت من الدار  
حتى اذا صرت في طريق خالية من المارين طرحت اللحم من جبتي على الارض  
وذهبت الى منزلي واخبرتهم بما اتفق لي فاخذوا الجبة وغسلوها ومكثت  
حتى جنت اذ لم يكن لي غيرها ثم لبستها وذهبت الى المسجد  
وكان للتعاشي منزل في الجهة الجنوبية لام درمان عند حصن الحكومة



القديم فركب اليه ذات يوم بعد الظهر واستدعاني بعد وصوله اليه فقال اني  
 ذاهب الي معسكر خارج المدينة وقد أمرت الخليفة على حلو بمباشرة عقد  
 زواجك بالمرأة التي أخبرتك بامرها وقد أمرت الحصيان ان يتنقلوها الى  
 دارك في هذه الليلة فشكرته ودعوت له وبعد غروب الشمس أرسل الخليفة  
 على حلو خصيا الى داخل الحرم ليسأل المرأة عن توكله فمادقائله انت وكيلها  
 وكنت انتظر ان تجري صيغة العقد طبق الشرع فلم يفعل الخليفة على شيئاً غير  
 انه رفع يديه وقرأ فاتحة الكتاب ثم قال لي بارك الله لك فيها وانصرف فدهشت  
 لهذا العقد الذي لم يكن فيه ايجاب ولا قبول ولا ذكر للمهر البتة ثم قال لي احد  
 الحصيان أرسل حمالين لحمل متاع السيدة فاحضرت عشرة حمالين ليحملوا  
 متاعها ولما اخرجوه اذا هو عبارة عن (عنقرب) وحصير من الخوص (برش)  
 وصندوق من الخشب فيه ملاءتان من القماش فمعجبت من هذا المتاع وانصرفت  
 مع حمال واحد حمله وقصدنا منزلي

على اني أقول انني كنت خائفاً من هذه الزوجة حاسبا لها الف حساب اذ  
 كنت اظن انها ستكون عينا للخليفة في بيتي ورقيبا على أعمالي في داخل منزلي  
 ولذا امرت آل منزلي باخراج الدخان الذي أستعمله سرا في منزلي وايداعه بمنزل  
 احد أصدقائي وبعد هنيهة جاءت العروس راكبة على حمار التعاشي يحيط  
 بها خصيان وبعد دخولها في الدار استدعيت اربعة من جيراني المصريين وقدرنا  
 المهر وجددنا عقد النكاح بما يطابق الشرع الشريف سرا

وقد اتفق ان منزلي كان في تلك الليلة خلوا من الطعام فقدم لي احد جيراني  
 المصريين أطباقا مملوءة اداما وخبزاً من الذرة فقدمته للخصيين فامتنعوا من  
 الاكل حيث كانوا يريدان عطية من الدراهم التي لم أكن املك منها شيئاً اعطيها اياه

فقالما وشتماني وقالوا ( ياولد الريف ) ألم ان هذه السيدة كانت حرم خليفة المهدي فافتح عينيك هكذا وحلقا بأصبعيهما الابهام والسبابه اشارة الي الريال فكنت أجابهما بناني عارف بذلك ومقدر هذه النعمة حق قدرها وأخيراً انصرفا غاضبين وبعد نصف الليل دخلت منزلي كاني أساق الي الموت لشدة ما تولاني من الفزع من هذه الزوجة التي مكثت معي بضعة أيام لم أعرف شيئاً من أمرها ومعاملي لها كانت بالحدز الشديد ولم أسألها عن عائلتها ولا عن بلدنا

وفي ذات يوم جلست لتناول الطعام معها وكان رديئاً من خبز الذرة وادامه من ورق اللوبيا فرأيت الدموع تتساقط من عينيها فقلت لها ماذا يبكيك ف اشارت الي الطعام قائلة أما ترى هذا الطعام فقلت لها هذا طعام انصار المهدي فخنقتها العبرة ورفعت صوتها قائلة لعن الله المهدي وخليفته الظالمين الباغين الياسها اللذان هتكا عرضي وقتلوا أهلي وسلبوا نعمتي فاندشت من كلامها ورفعت هي صوتها بالعويل والنحيب اللذين فتتاكبدى فسألتها من هم أهلك وأين كان مقامك فقالت أنا بنت حسن أغا أرناؤد وكان مقامي في الخرطوم فعجبت من ذكرها هذا الاسم لانني اعرف أباه وانه تركي من قواد الاتراك في الخرطوم استوطن بها وصار من وجهائها وكان له ابن اسمه علي كان موظفا معي في خط الاستواء بوظيفة سامية فقلت لها ثم ماذا صار فقالت من يوم سقوط الخرطوم الي هذه الساعة مارأيت أهلي ولا أعلم هل هم أحياء أو أموات فداخلى الريب في أمرها وظننت انها كاذبة في دعواها حيث انني أعرف والدها وأخاها ومالهما من الوجاهة وأعرف ان من أهلها من هم على قيد الحياة ومن حسن الحظ انهم كانوا يسكنون بالقرب

منا فارسلت اليهم في الحال فجاءوا وما وقع نظرهم عليها حتى عانقوها وارتفعت  
أصواتهم بالبكاء والنحيب ثم قصوا عليّ حديثها وأنها أخذت منهم مسبية بعد  
سقوط الخرطوم فلم يقفوا لها على أثر ولم يعلموا الى أين طوحت بها المقادير  
وقد قالت هي انها أخذت الى بيت الطاغية التعايشي وما زالت فيه حتى أراد  
الله خلاصها منه وقد رزقت منها بنت وهي في عصمتي الى الآن

على انني كنت اخاف مستقبلا ربما كان مما يزيد في شقائي ويضاعف على  
أنواع الذل وعذاب الاسر حيث انه كان لي كما تقدم زوجة غيرها وكنت أخشي  
ان يتسع نطاق الخلف بينهما بسبب الغيرة فاقع بينهما في شقاء لا يذكر في  
جانبه ما أنا واقع فيه من شظف العيش وذل الاسر الذي سيأتني وصف كثير من  
ضروبه ولكن الله من فضله كفاني ما كنت اخشاه اذ صارت زوجتي  
كأنهما أختان لا أثر للغيرة عندهما ولا هم لهما غير تخفيف ويلات حزني وتسلية  
خاطري من الاكدار التي تساورني فكانتا تقضيان النهار وشرطاً من الليل  
في خياطة بمض الملابس للدراويش باجرة طفيفه

وقد كانت حالتي المعيشية تنتقل من ردى الى أردأ حتى سجننت ومع  
ذلك بقيتا على ماكانتا عليه من الصفاء والوفاق الى أن من الله عليّ بالخروج من  
السجن الذي سيأتي الكلام عليه في مكانه

## ذكر الميرالاي حسن البهنساوي بك

كان الميرالاي حسن البهنساوي بك ميرالاي اللواء المصري الخامس  
وأصله ضابط مصري قضى من عمره زهاء عشرين سنة في السودان وكان  
لواؤه قائماً بحراسة الخندق الجنوبي جهة المكان الذي دخل منه المدو يوم

سقوط المدينة وقد شرخنا كيفية دخوله وان اللذين اطلعا المهدي على عورات الخندق هما الصنجقان الخائنان عمر ابراهيم والعطا الدود ولم نعلم شيئاً يدعو الى اتهام الميرالاي حسن بك البهنساوى بأنه تواطأ مع المهدي على ادخال دراويشه من جهة الخندق الجنوبي اذ استحيل وقوع مثل ذلك من مثل حسن بك البهنساوى حيث هو من خلاصة من صدقوا في ولاء الحكومة

وبعد سقوط المدينة وقع حسن بك في الاسر وعذب عذاباً شديداً وصوردت امواله وأخذت بنته مسبية وقدمها أمين بيت المال للمهدي وكانت له زوجة هي بنت رجل من مشاهير التجار اسمه عبد السلام أصله من مدينة حلب قدم السودان مشتقلاً بالتجارة فآثرى وكنت أنا متزوجاً باختها فاخذنا مسبيتين وماتت زوجتي غماً بعد ايام قلائل مضت بعد أخذها وقد ذهبت يوماً مع حسن بك البهنساوى الى المهدي وكلمناه في أمر زوجتينا فامر أحد نوابه بردتيك الزوجتين فشكرناه وانصرفنا من حضرته وماكدنا نخرج من باب الدار حتى ابتدرنا جماعة من الدراويش اللذين اغتصبوا هاتين المرأتين بالضرب والاهانة وتوعدونا بما نخشاه اذا عدنا الى الشكوى فانصرفنا واقنعنا النائب باستحالة رد المرأتين ثم ذهب الى المهدي وكله بما جري لنا فلم يكن لكلامه أثر ومكث البهنساوى بك في الاسر زهاء سنة ثم فر الى بلاد الحبشة ماشياً على قدميه وما بلغها الا بعد ان نادى بروحه تزهرق لشدة ما ناله من المشقة ثم غادر بلاد الحبشة ولحق بمصر وعلى أثر وصوله سمعنا خبراً ادهشنا وهو أن الحكومة آهمت حسن بك البهنساوى بالحياة وانه ادخل الدراويش مدينة الخرطوم في حين اننا نعلم الحقيقة دون الكثيرين وقد كان الطيب المذكور غردون باشا الى الساعة الاخيرة من

اجتماعنا يقول ان عورات الخندق لا بد ان يكون المهدي علمها من عمر ابراهيم والعاطا الدود وأنهما هما اللذان اطعاهما في الهجوم على الخرطوم بعد ان كان يتأهب للتقهقر الى كردفان على اثر ما أصاب دراويشه من الهزيمة والانكسار في واقعة (أبوظليح)

وبعد ان سقطت الخرطوم ووقعنا في الاسر تحمقنا من نفس قواد المهدي ومستشاريه انهم كانوا على وشك الزحف الى كردفان لولم يقيض الله عمر ابراهيم والعاطا الدود لاطلاعهم على عورات المدينة. رجلة القول ان حسن بك البهنساوي براء من هذه التهمة براءة الذئب من دم ابن يعقوب وقد ظهرت براءته امام المجلس العسكري العالي الذي عقد لمحاکمته وكفى بذلك حجة على ان الذين رموه بالخيانة كانوا ذوي قصد سيء به

وقد يحار الانسان من اقدام الحكومة على محاكمة البهنساوي بك مع أنها عاملت كثيرا من الخوان الذين لا يختلف اثنان في صحة مانسب اليهم من الخيانة بالاعزاز والاکرام حتى أنها قد اغدقت النماء على عمر ابراهيم ولم تترك وسيلة لاسترضائه الا فعلتها وقد أعجز الناس فهم مقاصدها ولم يفسره كثير من السودانيين الا بأنه من كرامات المهدي الذي تكافىء الحكومة الذين صدقوا في ولائه ولقد قال لي واحد من السودانيين انظر الى عمل حكومتكم كيف تصنع الجميل مع الذين ادوا خدما جليلة للمهدي مما يدل على صدق مهديته وكيف عاملتكم انتم الذين بقيتم على ولائها وناولتم المهدي فأخفني هذا القائل ولم أحر جوابا أقنعه به لانني لم أفقه كنه مقاصدها فلعلها أقصى نظراً مني

على ان الحكومة التي هدمت قبة المهدي لتقضى على الاعتقاد بمهديته

قد أحسنت معاملة جميع الذين والوه ولم تقم ببعض من كل للذين والوها  
وبهذا التصرف الغريب مهدت كرامة جديدة للمهدي يتمسك بها السخفاء  
الذين يقولون ان جثة المهدي رفعت الي السماء من قبره قبل أن ينش بوضع  
سنوات وسيأتي ذكر ذلك في مكانه

### ذكر ما لقيه المؤلف في مقابلته بعض الامراء

من أنواع الذل التي قاسيناها وضروب الاهانة التي كنا نعامل بها من  
أتباع المهدي ما أورده هنا

وذلك اني كنت ذات يوم ماشيا مع يوسف منصور في الخرطوم فررنا بمنزل  
أحد أتباع المهدي المسمى الحاج خالد العمراني الذي أصله من تجار الابيض  
فدعاني يوسف منصور للدخول عليه لاجل زيارته فدخلنا عليه فأفئناه  
جالسا على فروة فقام واقفا على قدميه واستقبل يوسف منصور بكل  
احتراف وفرش له فروة أيضا أجلسه عليها فتقدمت للسلام عليه فانهرنى وقال لي  
اجلس هناك وأشار بيده الى أقصى مكان منه جلست على الارض فجيء  
بالقهوة فقدمها الغلام الى يوسف منصور فقال له قدمها لفوزي فقال له الحاج  
خالد ولماذا تقدمه على نفسك فقال لانه ضابط. عظيم وكان ضابطاً عليّ ولأنه  
عزيز قوم يجب اكرامه فقال كان عزيز قوم كفره وأنت سيده وأفضل منه  
وهو رقيق بل من يخرج من صلبه من الاولاد أرقاء الى يوم القيامة وانه  
كافر يجب على كل مؤمن ومؤمنة اهاتته واحتقاره و اظهار كراهيته فقلت له  
يا سيدي الحاج خالد اذا كنت كافراً فيما مضى من عمرى فقد أسلمت على يد  
المهدي فأجاني بالشم وقال بل لا تزال كافراً يحل بيعك واسترقاقتك أنت

وأولادك فقال له يوسف منصور مهلاً ان هذا الكلام غير لائق بك وان المهدي عليه السلام أوصانا بمراعاة الاسرى وعدم كسر خاطرهم واشتد اللجاج بينهما فقامت من بينهما وانصرفت لسبيلي ومن النوادر المضحكة اني كنت يوماً بحضرة محمد بن البصير الحلواني داعية المهدي في (الخلاوين) وكان معي أيضاً يوسف منصور فقال ابن البصير إن أصحاب المهدي أفضل من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم والدليل على ذلك ان نبي الله الحضر شرب من هذه (الركوة) وهي إناء يصنع من الجلد ولم يشرب من ركوة أحد من صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقمنا الى تلك الركوة وقبلناها وضممنها الى صدورنا ووضعناها على رؤسنا التماساً لبركتها فقلت لاحد الحاضرين هل أنت مصدق بهذه الاكذوبة فالتفت اليّ وقال يزعم التعايشي ان الحضر جاسوس له وهذا يقول انه شرب من ركوته ونحن نقول لهما صدقتهما مادنا لا تقدر على تكذيبهما ثم قال لي وهل نستطيع تكذيبهما لو ادعيا على جبريل أمين الوحي باضعاف ما ادعيا به على الحضر فقلت واني لنا القدرة على تكذيبهما فقال قبل وضم وضع واسكت والسلام

### ذكر نفي عبد القادر بن أم مريوم

ذكرنا ماجري بين عبد القادر بن أم مريوم والمأسوف عليه غردون باشا ولما أفضت خلافة المهديين الي عبد الله التعايشي قرب اليه عبد القادر المذكور وأدخله في عماد النواب الذين يعاونون القاضي في نظر القضايا التي ترفع اليه مع بقاءه في وظيفة قائد لعرب (الكلال كله) الذين هم أقاربه فازداد نفوذه بين أولئك الاعراب حتي صاروا يحكمونه فيما شجر بينهم

وكانوا يقصدون داره زرافات لهذا الغرض ويقدمون له الهدايا وكانت أخباره  
تصل الى التعايشي الذي كان يكره ترف الناس الى غيره فيغض الطرف عنها  
ولا يبدي لعبد القادر شيئاً يكرهه

وفي ذات يوم جاء رجل يحمل البريد للتعايشي من احدي الجهات  
فقال له عبد القادر سلمني المظروف الذي باسم التعايشي لاسلمه له فدفعه له  
فاخذه وذهب الى المسجد ووضعها أمامه مما يلي مقصورة التعايشي حتى اذا  
فرغ من الصلاة ناوله له فتركه وذهب الى منزله بعد ان قضيت الصلاة فعثر  
به احد حراس الخليفة وقرأ عنوانه وسلمه له فاستغرب التعايشي وجود ذلك  
المظروف فاستدعى الذي جاء به فاخبره ان عبد القادر بن أم مريوم استلمه منه  
ليدفعه اليه فاستاء من ذلك ولم يكشف عبد القادر بشيء من أمر المظروف  
ولكنه أعرض عند كل الاعراض واقصاه من قربه فعمد عبد القادر الى طريقة  
يستجلب بها رضي التعايشي فاشار عليه احد اصداقاه بتقديم ابنته هدية للخليفة  
فقدمها له وكانت بارعة في الجمال فنالت حظوة عظيمة عند التعايشي فخرج  
من منزله واستدعى عبد القادر واثى عليه وزاد في تربيته والاحتفاء به بما أدهش  
الناس اذ لم يكونوا عالمين بسبب الجفاء والابعاد الاولين كما انهم كانوا يجهلون  
اسباب هذا التقريب الفجائي ولكن ظهرت الحقيقة بعد ايام قلائل وصار  
عبد القادر بن أم مريوم أقرب مقرب الخليفة الذي آس هو منه شدة الميل الي  
قضاء شهواته من التقيات الحسان فاخبره بوجود فتاة جميلة هي بنت رجل من  
أهالي (الكلاكله) أقاربه فارسله الى ذويها يطلبها منهم فبعثوا بها اليه فراعاه  
جمالها ولكنه لما اقترب منها وجد خفاضها ليس على طريق خفاض النساء  
في السودان فسألها عن سبب ذلك فقالت ان عبد القادر بن أم مريوم أشار



على أهلها ان يعملوا بها هذا العمل فاحتدم التعاشي غيظاً وخرج من غرفته ليلاً وأمر عشرة من رجاله أن يحضروا قطعة من جلد بقر نىء ويقبضوا على عبد القادر ويضعوا قطعة الجلد على عينيه ويتركوها عليها حتى تجف ويغلقوا يديه ويسافروا به الى الابيض عاصمة كردفان واعطاهم أمرا الى عامل كردفان باستلام عبد القادر منهم وزجه في السجن فذهب الرجال الى منزله ليلاً وهجموا عليه بصورة مزعجة وساقوه من بين أهله واولاده وانفذوا ما اشار به التعاشي وسافروا به ليلاً قاصدين كردفان واصبح الخبر شائعا في المدينة والناس لا يعلمون اين ذهب به الذين قبضوا عليه وخرج التعاشي علينا لصلاة الظهر والغضب ظاهر على وجهه والشرر يقدح من عينيه وبعد انقضاء الصلاة عاد فدخل الى منزله ولم يتكلم بشيء يختص بابن أم مريوم ولا بغيره ثم لزم السكوت ولم يتكلم بشيء ما عن هذه المسألة وبعد نحو ثمانية عشر شهرا جاء عبد القادر بن أم مريوم الذي ظل في سجن كردفان وعيناه معصوبتان لا يعرف في أى بلد هو ثم بعد ثمانية أشهر أمر التعاشي بازالة الجلد عن عينيه فازبل ولكنة مكث اياما لا تبصر عيناه شيئا ومكث بعد ذلك نحو عشرة شهور في سجن كردفان ثم اعيد الي ام درمان وأطلق سراحه ولم يعده التعاشي الى سابق قربه

ولما اعاد التعاشي عبد القادر بن ام مريوم اعاده بهيمة مزعجة حيث بلغت اظفاره منتهي الطول وشعر رأسه ولحيته يكاد يستر جسمه وكان مسجوناً في غرفة ليس فيها غير نافذة صغيرة يناولونه الماء والخبز منها ومن أعان ظالماً سلط عليه



## ذكر قصتي المرأتين

المرأتان هما حمادة عبد المولى صابون أمير الجهادية وشقيق حمدان أبي عنجة. وقصة الاولى هي انها كانت امرأة أحد صناجق الشايقية ولها منه بنت ذات جمال بارع أخذها المهديون سبية فاعطاها التعايشى لعبد المولى صابون الذى تغالى فى حبها وأقبل عليها وترك نساءه ولم يلتفت اليهن

وفى سنة ١٣٠٥ أصيب عبد المولى صابون بداء الجذام ولزم الفراش فجزع التعايشى عليه اذ كان يحبه وأخذ يتردد على داره ليعوده فاعتنم نساؤه فرصة وجود التعايشى عنده للايقاع بالمرأة التي حازت منزلة عند سيدها اكثر منهن حيث تركهن كما قلنا ولم يلتفت اليهن فاجتمعن وقلن للتعايشى ان مرض عبد المولى صابون مسبب من كثرة أعمال السحر والشعوذة التي تعملها له المرأة الشايقية للاستئثار بمحبته فصدقهن التعايشى لانه كان يعتقد السحر والشعوذة ويخاف على نفسه كثيراً منهما فسأل المرأة فانكرت وقالت انها لا تخرج من دارها وأنى لها بالدجالين والمشعوذين الذين يعملون هذه الاعمال فلم يصدقها وعزم على القبض عليها فالح عليه زوجها وتضرع له ان يتركها فقبل له ان امها هي التي تذهب الى خارج الدار وتروح الى الدجالين فاستنطقها فانكرت وقالت له اني لم اصنع شيئاً من الاسحار والشعوذة ألبتة فقال لها ولماذا اذا أصيب عبد المولى بهذا المرض اليس ذلك نتيجة أعمالك السحرية وأمر بقطع يدها فقطعت وتوفيت بعد بضع ليال

ولشدة جبن التعايشى خاف على نفسه من مثل ما أصيب به عبد المولى معتمدا ان ذلك المرض لا يحدث الا من الشعوذة والاسحار وكانت له حمادة من

أهل دارفور بنتها من نسائه الأول وقد رزقت منه بولد وكان يمنع أقارب  
 نسائه من رؤيتهن حتى ان المرأة كانت تظل عامين أو ثلاثة لا يؤذن لها بالدخول في  
 بيته لرؤية بنتها وكان خصيان التعايشي يعظون هذه المرأة ويكرمونها نظرا  
 لاحفادها أولاد التعايشي ولذا كانوا يدخلونها خلسة لرؤية بنتها وفي ذات يوم  
 رآها التعايشي لابسة تمائم كألوف عادة نساء السودان اللواتي يلبسن  
 أحجية كبيرة فاصر بالقبض عليها وتمزق أحجبها التي جعل يتأمل فيها كأنه  
 يقرأ ما فيها بادية عليه علامات الدهشة والاستغراب وبعد أن أمر بسجنها  
 نفاها الى خط الاستواء فمات جوعا في الطريق وعاقب الخصيان أشد  
 العقاب وقطع يد الذي اذن لها منهم في الدخول فتأمل



### ذكر رسالة محمد ماهر باشا للمؤلف

كنت قد عرفت محمد ماهر باشا محافظ القاهرة الآن منذ كنا تلاميذين في  
 المدارس واتصلت المحبة بيننا من ذلك العهد  
 ولما وليت على مديريات خط الاستواء كان هو وكيلا لبراون بك  
 الامريكاني الذي كان حاكما على تلك الاقليم قبلي. وفي أوائل سنة ١٣٠٦  
 أمر التعايشي بهدم منزلي ومنازل جيراني لتوسيع موردة أم درمان فوقعت  
 في حيرة شديدة لما كنت فيه من الاعسار وزيادة علي ذلك انني كرهت المقام  
 بجوار يوسف منصور فعزمت على الاقامة بجوار السوق في حي المسلمين  
 واسكنني كنت غير قادر على انفاذ هذا العزم لما كنت فيه من الفقر المدقع  
 وبينما أنا في هذه الشدة طرقت باب داري طارق بعد العشاء فسألته عن اسمه  
 فلم يجابني فداخني الخوف وظننت أنه جاسوس وامتنعت من فتح الباب له

وأخيراً خفض صوته وقال لي انني آت اليك برسالة من مصر فطار عقلي ولم أشك في أنه عين عليّ فانتهرت من داخل الباب وقلت له اذهب أيها الكاذب فاسرع الرجل بالانصراف خوفاً على نفسه أيضاً وبت ليلتي وأنا خائف أترب وفي ضحوة الغد جلست أمام بابي فجاءني رجل بزي التجار المصريين فسلم عليّ وقال لي انني جئتك البارحة لأدفع لك نقوداً وكتاباً من أخ لك في أصوان فقلت له اني أخاف أن تكون عيناً عليّ فان كنت صادقاً فاقسم لي علي المصحف الشريف أنك صادق فيما تقول وانك لست بجاسوس خلف لي علي المصحف فاطمأنت وسكن روعي ثم دفع الي كتاباً ففضضت غلافه فرأيت فيه توقيع محمد ماهر باشا فقرأته فاذا فيه السؤال عن صحتي وانه مرسل اليّ باربعين جنيتها انكليزيا ورجاني أن أخبره عن كل ما يلزمي ثم دفع اليّ الرسول الاربعين جنيتها فأحببت مكافأته باعطائه خمسة جنيهات فلم يقبل وقال لي ان الذي أرجوه منك هو أن تكتب لي كتاباً الي أخيك محمد ماهر محافظ أصوان بانني أسلمت اليك الاربعين جنيتها تامة لتظهر أمانتي عنده نوعده بذلك ثم انصرف وعاد اليّ في المساء بهدية من السكر والصابون والبن والملابس فكتبت له الكتاب بما أراد وأودعته ذكر الهدية التي قدمها لي الرجل من نفسه. فجزى الله عنى الشهم الهمام محمد ماهر باشا خير الجزاء وبلغه مأموله في الدنيا والآخرة آمين

وعلى اثر ذلك ذهبت اليّ حيّ المسلمين وبنيت فيه منزلاً انفتحت عليه اكثر من مائة ريال فذهب يوسف منصور وأخبر الخليفة بانني سكنت في حيّ المسلمين وطلب منه اخلاءه عن المسؤولية اذا فررت فاستدعاني التماشي وأمرني بالعودة الي جوار يوسف منصور فبعت المنزل بربع قيمته

وعدت الى جوار يوسف المذكور

ومن الحوادث التي اتفقت لي بعد عودتي انه كان لي ابن اسمه محمد ولد بعد سقوط الخرطوم ببضعة شهور وكان عمره وقتئذ ثلاث سنوات وكان يرانى اختبئ في قعر بيتي وأدخن السجائر وفي ذات يوم أخذ الورق الذي ألف فيه الدخان وقعد امام المنزل ولف فيه رملا على هيئة السجائر واتفق ان حسن ابن حسين أمير المصريين جاء لزيارتي وكان شديد التعلق بالمهدوية لكنه كان يحب بني جلده المصريين ويغار عليهم ويدفع عنهم كثيراً من المصائب فخرجت للقاءه فرأى ابني محمداً وبين يديه سجائر الرمل فسأله قائلاً ما هذه يا بني فقال له ان أبي يصنع مثل هذه ويشعلها بالنار فيخرج الدخان من انفه وفيه فطن حسن حسين الكلامه وادرك اني أدخن في منزلي فهالني ذلك وانتهرت ابني فقال لي أذهب الى داخل البيت وآتي بالسجائر التي تدخنها فاسكتته حسن حسين والتفت اليّ يحذرنى من وخامة العاقبة اذا شاع عنى ذلك ولم ينلني منه أقل مكروه لانه كان كما قدمنا مصر يا لا يرضى لقومه ان ينالهم سوء من المهدوية بالرغم عن تعلقه بها وبعد انصراف الزائر أمسكت الغلام وأوجعته ضرباً كيلا يعود الى مثلها

ذكر مسألة الشيخ محمد عبد الماجد وصلبه

كان في أحد أحياء أم درمان القريبة من سوقها رجل من اهالي مديرية بربر وكان ذا تدين وورع وكان ناقماً على المهدوية منكر أكل أعمالها وكان الخليفة كما تقدم قد حذر الناس من الاجتماع لجمعة أو جماعة في غير مسجده وكان الشيخ محمد عبد الماجد ملازماً لمنزله منقطعا عن شهود الجمعة مع المهديين

وجماعتهم وكان جيرانه وجلهم مصريون يجتمعون في منزله فيصلي بهم جماعة ثم يعظهم ويبين لهم فساد دعوي المهدوية ومخالفة مدعيها للشريعة المحمدية الفراء حتى أفتى بوجوب قتال هذه الفئة الضالة فمني خبره الى التعاشي الذي أرسل اثنين من خاصته حضرا مجلسه وسمعا مايقوله وعادا اليه فاخبراه به فارسل اليه مائة رجل قبضوا عليه وعلى جارين له احدهما مصري وطرحوه في السجن وكان الوقت ليلا وفي الندم عقد مجلس اجتمع فيه القضاة كلهم برئاسة الخليفة على حلو وقدم الرجل وجاراه للاستنطاق وكان المجلس هائلا اذ كانت القضاة والرئيس محاطين بالوف من الفرسان والمشاة والسيوف مسلولة على رؤسهم فلم يهب الشيخ محمد عبد الماجد هذا المنظر الهائل بل جلس ثابت الجنان ولما سئل اعترف بكل ما اسند اليه من التهم وسردها معززة بالادلة الشرعية وقال لهم هذا هو الحق واتم في ضلال وأنا أدعوكم الى التوبة والعدول عنه أما صاحباها فانكرا انهما يعرفانه وادعيا ان ليس بينهما وبينه علاقة وهما في ذلك صادقان اذ احدهما لم يكن ساكنا في هذا الحي بل جاء لزيارة الثاني الذي هو تاجر مشغول بتجارته لاعلاقة له مع هذا الرجل الذي أخم من في المجلس بادلته حتى احتدم من فيه بالغيظ والحنق عليه فاصروا بالرجل وصاحبيه ان يصلبا فسيقوا يحيط بهم بضعة آلاف رجل حتى قدموا الى المشنقة فصاب الشيخ محمد عبد الماجد الذي كان من أمره انه لما اقترب من المشنقة صعد الى السكركسي ساكن الجاش وفاه بكلام يدل على انه آثر الموت دفاعاً عن الحق وانتصاراً للملة الخيفية فرحمه الله رحمة واسعة واكرمه بكرامة الشهداء أما صاحباها وهما عبد المجيد حسن ومحمد نور فاعيدوا الى السجن وعوقبا من الصلب

## ذكر تشييد قبة المهدي

سردنا كثيراً من أعمال التعاليفي بعد وفاة سلفه المهدي ولما كان بعضها يدل دلالة صريحة على انه انما كان يظهر اعتقاد دعوي المهدي حرسا على سلطانه الذي ورثه من وراء هذه الدعوى وبدل على ذلك انه صادر أموال أقارب المهدي واضطهد أولاده وصار يحقرهم في مجالسه الخصوصية ويميرهم بانهم دنقلون لا يصلحون الا لحراسة الابواب والاشتغال بمهنة ملاحه السفن وتداولت الالسن هذه الاقوال وعدها الناس دليلا ساطعا على انه لم يكن مصدقا بالمهدي وانما كان يراى الناس عزم على تشييد قبة على قبر المهدي ليبرهن للناس على عكس ما خالج صدورهم فكلف مهندسا مصريا اسمه اسماعيل افندي فوضع رسما لهذه القبة ذا أربع زوايا يبلغ طول كل زاوية منها سبعة عشر ذراعا وجعل عرض الاساس اكثر من مترين وبعد رفع البناء نحو خمسة امتار جعلوه مشناتم مستديرا وفي يوم وضع الاساس اقيم احتفال كبير وذبحت البدن والثيران والحرفان وقدمت الاطعمة للالوف من الحاضرين وامسك التعاليفي بيده معولا وبدأ بحفر الاساس

أما الاحجار فانهم كانوا يجلبونها من انقاض منازل الخرطوم التي كانوا يهدونها ومن انقاض ديوان الحكمدارية والمديرية والارصفة التي على ضفة نهر القرن وانقاض ما هدم من الكنيسة الكاثوليكية. وجميع البنائين الذين بنوها مصريون أما الفعلة فهم متطوعون من الدراويش والامراء وكان البنائون يقضون اياما عديدة في العمل ولا يعطون شيئا ما وفي بعض الايام جلس التعاليفي وكلم من حوله قائلا ان الذين يباشرون ببناء قبة المهدي في الحقيقة هم الملائكة اما الذين

تروهم من البنائين والفعلة فلا عمل لهم في الحقيقة بل هم متحركون بإرادة الملائكة فقال المهندس اسماعيل أفندي للبنائين أسمعتم ما قاله الخليفة فقالوا بلى فقال لهم ان الخليفة اعتبركم ملائكة في الحقيقة وهذا الاعتبار هو الذي حال دون اعطائكم شيئاً من الاجرة لان الملائكة في غنى عن الطعام والشراب اللذين من كان منزهاً عنهما لا يعطي شيئاً من أجرته فضحكوا وتعجبوا من وقاحة الخليفة وبعد سنة تم تشييد القبة ووضعت في داخلها المصابيح وفرشت بالابسطة وأحيط القبر بمقصورة من النحاس ووضع عليه تابوت من الخشب صنعه نجارون مصريون ووضع على التابوت كسوة من الجوخ وثريرات من الفضة والذهب وصار الناس يقصدونها للزيارة في كل يوم

### ذكر المجاعة في سنتي ١٣٠٦ و ١٣٠٧

لما كانت هذه المجاعة قد لحقت السودان كله وكانت أسبابها مختلفة رأينا ان نذكر تأثيرها في كل إقليم على حدة مبتدئين بذكرها في أم درمان فنقول

#### المجاعة في أم درمان والجزيرة

من عادة أهل الجزيرة أنهم يخزنون محصولاتهم من الذرة اتقاء شر المجاعات التي تنتاب البلاد بسبب انحباس المطر عنهم وقد ذكرنا ان التعايشي لما أصدر الاوامر لأهل الجزيرة بمغادرتها وسكني أم درمان عادوا الى بلادهم فوجدوا المخزون من محصولاتهم قد نهبه الجهادية وفي سنة ١٣٠٦ لم تجد السماء عليهم بمطر فانتدب التعايشي ابراهيم عدلان أمين بيت المال ومعه عشرة من الامناء ووجههم الى الجزيرة لاغتصاب



ما يدي الاهلين من الحبوب وأخيرا أصدر التعاشي أمره بمصادرة  
 نصفها وترك النصف الآخر لهم فارتفع ثمن الذرة حتى بلغ ثمن الاردب  
 منه أربعين ريالاً مجيداً أي نحو سبع جنيهات إنكليزية واغتال ابراهيم عدلان  
 ومن معه من المندوبين عشرة آلاف أردب تقدر قيمتها بأربعمائة الف ريال  
 وكانت بلاد العبيد الواقعة جنوب الخرطوم قد هطل فيها المطر بكثرة  
 فهرع التجار اليها لطلب الغلال منها فأصدر التعاشي أمراً باخذ نصف جميع  
 الغلال التي تجلب من خارج أم درمان بسعر ست ريات من الريال المسمي المقبول  
 تباع لأقاربه التياشة الذين تقدم لنا ذكر وصولهم لام درمان فارتفعت الاسعار  
 وعز وجود القوت وهالكت أهالي القرى الواقعة جنوب سنار وبادوا حتى  
 صرنا ندخل القرية فلا نجد فيها دياراً والناس أموات على أسرة نومهم  
 ودخل حجراتهم هم وأولادهم ولم تصب كردفان بشيء من هذا القحط اذ كانوا  
 أمطروا بمطر غزير أحى موات الارض وأنبت الزرع فهرع التجار  
 اليها ليجلبوا غلتها كما هرعوا الي بلاد العبيد وكان ثمن الاردب من دخن كردفان  
 لا يتجاوز ريالين ولكن لا توجد جمال للحمل واني توجد وقد قصصنا عليك  
 فيما تقدم ما حاق بالابل والقبائل الرحالة فكانت أجرة حمل الاردب من كردفان  
 الى أم درمان أخذ نصفه ثم كانت النتيجة صعود الاسعار في ( كردفان وفشوده )  
 اللتين هرع الناس اليهما لطلب الاقوات منهما واشتدت وطأة المجاعة وتضاعفت  
 ويلاتهما وزاد الطين بلة تفشي الطاعون البقري في ماشية السودان تفشياً مريعاً  
 حتى هلك جل البقر ولم يبق منه في أنحاء السودان كله الا شيء قليل  
 جداً فارتفعت أسعار اللحوم وساءت الاحوال وفي أواخر السنة هطلت الامطار  
 فتفاهل الناس خيراً وجادت الارض بمحصول وافر ولكن قبل اوان الحصاد

ببضمة أسابيع نزل الجراد على المحصول فاتهمه ولم يبق منه شيئاً  
 ودخلت سنة ١٣٠٧ والمجاعة لا تزال في أم درمان والجزيرة ولكن الاسعار  
 هبطت الى النصف حيث بيع الارب بعشرين ريالاً مجيدياً وليس لذلك من  
 سبب غير فناء الناس ويقول الحبيرون ان الذين هلكوا بالمجاعة لا ينقصون  
 عن ثلاثة ارباع السكان

### المجاعة في اقليم بربر

ذكرنا ما كان من أمر عزل محمد الخير عن بربر وتولية عثمان الدكيم عليها  
 وفي أوائل سنة ١٣٠٦ حين بدأ القحط بام درمان والجزيرة أصدر  
 التعميشي منشوراً بمنع ارسال الاقوات الى بربر وتوعد من حملها اليها بالقتل ووضع  
 حراساً على ضفة النهر لمنع السفن التي تحاول الوصول الى شمال أم درمان  
 ثم أصدر أمراً الى عثمان الدكيم حاكم بربر ببث الرجال في أنحاء البلاد لاتلاف  
 الزرع قبل استوائه فقلع الزرع وطوله نحو شبرين وبعد ذلك أمر بقطع  
 السبل ومنع أهالي بربر من مغادرة ديارهم وخطب على المنبر خطبة عدد  
 فيها سيئات الجمالين سكان ذلك الاقليم ولم يترك وصمة الا نسبها اليهم وقال  
 انهم اغتالوا المال يوم فتح بربر ولما أرسل لهم المهدي المنشورات وأمرهم برد  
 ماغلوله من الغنائم كادوا يثورون على المهدي ويخرجون عن طاعته وكان  
 الانكليز وقتئذ زاحفين على (بربر وابوطليح) ثم أمر أن لا يترك زرع لهؤلاء  
 المنافقين وأن يحجر عليهم ليموتوا جوعاً في بلادهم فنفذت اوامره وهلك  
 الجمليون وماتوا في مضاجع نومهم ولم ينج منهم الا نحو العشر وبلغ ثمن الكيلة  
 من الذرة عشرين ريالاً وفقد القوت بالكيلة

### المجاعة في دنقلة

اما المجاعة في دنقلة فمن أهم أسبابها انخفاض النيل في تلك المديرية لان ري مزروعاتها مثل رى اطيان صعيد مصر يتوقف على زيادة النيل وزد على ذلك ان المهديوية منذ حلولها في دنقلة حافت على النفوس وصادرت الاموال وبلغ ثمن الكيلة من الذرة عشرين ريالاً ولكن ساعد على تخفيف وطأة المجاعة وجود التمر بكثرة في دنقلة من محصولات النخيل

### المجاعة في كسلة

ذكرنا ان التعايشي فصل مديرية كسلة عن سلطة عثمان دقنة وولى عليها قريبه حامدين على الذى حكمها بصرامة وصادر أموال قبائلها وقطع السبل عليهم فهلكت القبائل ونزح اكثرها الى بلاد الحبشة وهلكت قبيلة الهندنوة التي كان عدد نفوسها نحو مليون نسمة . ومما يجب ذكره هنا ان حامدين على أرسل الى التعايشي نحو مائتي ألف ريال عدا الذهب والفضة اللذين سلهما من الاهلين

### المجاعة في القضارف

ذكرنا القضارف وخصوبة تربتها وكثرة حاصلاتها ولما تفشت المجاعة في السودان في أوائل سنة ١٣٠٦ لم تكن وطأة القحط شديدة على تلك الجهة وفي بداية سنة ١٣٠٧ زحف الزاكي عامل من القلابات بعد ان ترك بها حامية لا تتجاوز ألف مقاتل الى القضارف ووزع جنده في القرى فأنهبوا ما بيدي الناس من الللال وجمعها في بيت المال وأمر أن لا يباع الا ردب منها الا بمائتي ريال

فهلك الناس واكلوا الميتة والجلود واكل بعضهم اولادهم وقد حكى لى من كان بالقضارف وقتئذ ان احدى نساء الامراء توفيت بفتة وكانت ضخمة الجثة فتآمر أناس ممن عرفوها ونبشوا قبرها فى الليل وقطعوا لحمها وانضجوه فى القدور واكلوه قبل ان يسفر الفجر وفى الغد وجد القبر منبوشا ففتشوا المنازل فوجدوا فيها لحوم الآدميين وعظامهم مما يدل على ان أهالى القضارف كانوا يقتاتون بلحوم بعضهم ولذلك لم يعرف من نبش قبر تلك المرأة

ولم ينج من مخالب المجاعة فى القضارف غير أولى اليسار واقصد رأيت فى ام درمان رجلا من اهل القضارف متسولا وقد كان راس مال تجارته لا يقل عن مائة الف ريال وكان له نحو النى مملوك يشتغلون بحراثة أراضيه الواسعة فذهب رأس ماله وأراضيه ومما ليكه فى شراء الغلة حتى خرج من تلك السنة لا يملك شروى نقيير. والحاصل ان القضارف لم يبق فيها من السكان اكثر من بضعة آلاف نسمة وهلكت قبيلة (الضباينة) ايضا وهى قبيلة رحالة كبيرة تفوق قبيلة الشكرية التى تقدم ذكر فنائها ماشية ونفوسا

وأما كردفان فقد قلنا ان المطر هطل فيها بكثرة فرويت ارضها ونجت حاصلاتها من الجراد وبالرغم عن ذلك كاه وقعت فى المجاعة لان التعاشي جمع اكثر من عشرة آلاف فارس من أقاربه وانفذهم اليها فنزلوا القرى ونهبوا ما يابدي سكانها من الحبوب وذبحوا ماشيتهم فارتفعت أسمار الحبوب وفشت المجاعة فى البلاد حتى تجاوز ثمن الارذب عشرين ريالا أما مظالم المهديوية فى كردفان فحدث عنها ولا حرج اذ قد تجاوزت حد المعقول وبعد ان كان أهاليها اغني أهالى السودان لان الصمغ وريش النعام من اكثر محصولات بلادهم صاروا فى نهاية الفقر المدقع وخربت قري عديدة

وهجرها سكانها ولحقوا بالجبال التي حوالى كردفان وسكنوا بها ليعبدوا عن  
المهدويين وظلمهم الفاحش

وأما دارفور فقد اجتاحت الحروب بلادها وفشى القحط فى أرجائها  
وخربت بلادها ونزح اكثر سكانها الى الجهات الغربية واستوطنوها ومنهم  
من اعتصم بالجبال ولحق بها. والحلاصة ان البلاد السودانية كلها قد عصت  
بناب القحط وحل الخراب والدمار محل العمار حتى صارت تلك البلاد كلها  
ينطبق عليها قول الشاعر

أُمتت خلاء وأمسى أهلها احتملوا      أخنى عليها الذي أخنى على لبد

وليس لذلك من سبب سوى قصد التعايشى حلول هذه المصائب بأهالى  
تلك البلاد ليضعفهم ويأمن عاقبة ثورتهم عليه فانه لو لم يرسل الجهادية  
ويوعز اليهم بنهب محصولات الجزيرة لما وصل حال المجاعة الى الدرجة التي  
وصفناها لان أهالى السودان يخزنون الغلال بكثرة حتى ان الواحد منهم ليخزن  
فى السنة غلة تقوم بقوته عدة سنوات اتقاء شر المجاعات التي تنتابهم فى  
اكثر السنين وقد علمت ان مجاعة الجزيرة لم تصل الى الحد الذى تقدم لنا  
ذكره الا بعد ان صودرت غلات أهلها ومجاعات بربر لم يقصد بها التعايشى  
غير هلاك أهلها وكذلك مجاعات كسلة والقضارف قد علمت أسبابهما وكل  
ذلك لم يقصد به التعايشى الا اضعاف الاهلين فانه لما أحس بامتعضهم منه  
وخشى عاقبة ثورتهم عليه لم يغير سياسته العوجاء التي أوجبت امتعضهم  
منه بل عمد الى اهلاكهم وفنائهم ليصبح آمناً على مركزه ويبيت مطمئناً على  
ملكه فصار مثله مثل اليوم يسر بالخراب اكثر من العمران

ونقل لى ثقة أن احد مقربى التعايشى قال له يوماً ان الكلاب اذا جاع

لزم سيده فقال له التعايشي ان قتل الكلب ومحو اثره من الارض خير من اجاعته وكان قصد ذلك المقرب من كلامه أن يصادر التعايشي غلات رعاياه فتكون نتيجة ذلك الجوع فاجابه بان موتهم خير من هذه الطريقة أما ما صاب المؤلف من هذه المجاعة فإنه يفوق الوصف فن ذلك أني ذهبت يوما الى دور البقارة لالتقاط الحبوب المبعثرة حول اسطبلات الخيول وبمد ان جمعت نحو مدين منها جاءني اعرابي فاخذته مني فيشت من الحياة وكدت أهلك انا واولادي لو لم تصل اليّ نقود رسالة من صديقي الوفي محمد ماهر باشا محافظ مصر الآن اذ بها امكنتي أن اتخلص من مخالب المجاعة الاولى حتى دخلت سنة ١٣٠٧ وهبطت أسعار القوت الى النصف والذين استطاعوا الخروج من هذه السنة من أولي اليسار لم يخرجوا الا فقراء لا يملكون شروى نقيرا أما الفقراء فقد ماتوا رحمة الله عليهم

وقد ملك التعايشي كثيرا من اقاربه البقارة الاراضى التي مات اهلها في سنتي المجاعة فانطلقت ايديهم في البلاد بالسلب والنهب وما بقي في ايدي الاهلين من مواد الحياة اصبح عرضة لعبث البقارة ومع ذلك كله كانوا ناقلين عليه غير راضين باحكامه حتى أنهم كانوا يحنون الى ديارهم ويودون العودة اليها

### ذكر فرار الغزالي وقتله

الغزالي بن احمد خوف زعيم قبيلة التمايشه وكان ذا ثروة واسعة من الماشية ونفوذ عظيم في قبيلته وكان فارسا صنديدا تهابه القبائل وتتي بأسه الاعداء

ولما استقدم التعايشي قبيلة التعايشة ليشد بها عضده وعد زعيمها  
الغزالي بان يجمله وزيره وبذلك تمكن من استمالته  
وكان الغزالي بعد وصوله أم درمان يستنجر التعايشي الوعد فلا يجد منه  
غير المماطلة والتسويق وكان من سياسة التعايشي ان يسند الوظائف الى  
ضعفاء البقارة وزعانفهم ممن تؤمن غائلته لا الى من يكون فارسا قوى الشكيمة  
مثل الغزالي خوفا من استمالته الناس بقوته وحزمه

ولما نيس الغزالي من نيل ما توتق نفسه اليه من الرئاسة وشاهد مظالم  
التعايشي وسوء تصرفه وطعن عزمه على الفرار من أم درمان واللاحاق ببلاد  
التعايشة في دارفور حيث يلحق بالذين تخلفوا عن مرافقته الي أم درمان من  
قبيلته وكان يظن ان اكثر قومه الذين جاؤا معه يرافقونه ولا يتقاعدون عنه  
ولكن خاب ظنه ولم يتبعه الا أحد مواليه وابن أخته فغادر الثلاثة أم درمان في  
أول الليل وساروا متجهين الى جهة الغرب وفي الغد نبي خبرهم الي عبد الله  
التعايشي فامر نحو سبعمائة رجل ان يتأثروهم وبعد مسيرة بضعة ليال ادركوهم في  
الطريق وقد بلغوا جهة يقال لها ( كجمر ) بالقرب من بلاد كردفان الشمالية  
فوقف الغزالي وقفة من لا يحسب لهوت حسابا وأطلق على رجال التعايشي  
النيران من بندقيته حتى طرأ عليها خلل أوقف متابعة الاطلاق فامتشق  
حسامه حتى أحاطت به الخيل وقتلوه وحملوا رأسه الي التعايشي اما رفيقاه  
فقد وقعا أسيرين وقفل القوم راجعين الى أم درمان ، وقد ساء وقع هذه  
الفاجمة في قلوب التعايشة واشتد حنهم على عبد الله التعايشي وسيأتي ذكر  
شيء من نتائج هذه المسألة

هذا وقد تقدم لنا ان نحو النصف من قبيلة التعايشة كرهوا ان يرجعوا

الي أم درمان فسادروا ديارهم ولحقوا ببلاد (وداي) ولولم يفتخر الغزالي بسراب وعود التعايشي ويجب دعوته لما جاء الى أم درمان أحد من قبيلة التعايشي التي كان مجيئها شؤماً وويل على البلاد وعلى كل حال فان الغزالي ذهب كما ذهب غيره من الذين ساعدوا المهديوية وعاونوا المهدي وخليفته على المظالم ولا غرو فن أعان ظالماً سلط عليه

وكان يعقوب شقيق التعايشي يضمر السوء للغزالي ويخاف على مركزه منه لزعامة على قبيلة التعايشة ولذا سعى بينه وبين أخيه التعايشي حتي أوقع النفرة بينهما لينام مطمئناً في منصبه الذي كان حريصاً على بقاءه فيه

### ذكر صلب ابراهيم عدلان امين بيت المال

ذكرنا ما كان من أمر عزل أحمد سليمان أمين بيت المال واسناد منصبه الى

ابراهيم عدلان الذي كان صنيعته وأحد اعوانه في بيت المال

ولمات المهدي وظهر ما يضمره التعايشي لأحمد سليمان مال ابراهيم

عدلان عنه وصار يشي به عند التعايشي حتي بواه منصبه وقربه منه وصيره

من ذوى شوره فاستخدم هذا المنصب وجمع بسببه أموالاً طائلة وقد أشرنا

الى ما اغتاله من الغلال في سنة المجاعة الاولى والحاصل انه أصبح ذا ثروة

كبيرة تمد بمئات الالوف وتمكن الفرور منه حتى صار ينازع يعقوب

في النفوذ ويسمى به عند أخيه التعايشي الذي كان يندهش من جرأته

ويخفي تأثره من وقاحته التي دفمته الى منازعة أخيه وقد رأيت ابراهيم المذكور

جالساً بحضرة يعقوب غير مكترث به ولا جاث على ركبتيه كما يفعله



وصار ابراهيم المذكور ذانفوذ عظيم وشاد لنفسه داراً واسعة ملائها بالمخيمات من الفتيات الحسان وجمع حوله عدداً كبيراً من الغلمان وتغالي في اظهار الابهة وتمادي في الفرور حتى حسده القربى والبعيدوا كثروا من السعاية به عند التعايشى وان يعقوب في طليعة أولئك الواشين

وفي أواخر سنة ١٣٠٥ قبض عليه التعايشى وزجه في السجن وصادر ماظهر من أمواله حيث لم يبتد الى جميعها ثم اطلقه وأعاده الى منصبه

وفي جمادى الثانية سنة ١٣٠٦ نفذت الاقوات التى كان ابراهيم عدلان صادرها من أهالى الجزيرة كما ذكرناه فيما تقدم ثم دخلت سنة ١٣٠٧ وقد التهم الجراد محصولات البلاد قبل زمن الحصاد وقل ورود الغلة الى أم درمان حيث لم يجد الجبابة محصولاً جديداً يأخذونه لبيت المال وهلك الناس من مجاعة السنة الماضية ولم يبق غير أولي الثروة الذين نفذ معظم ثروتهم ولم يبق لديهم من المحصول غير قليل من الذرة استبقوه لقوتهم وأصبح التعايشى عاجزاً عن تقديم الاقوات الى أقاربه بالبصرة فعزم على مصادرة ثلاثة ارباع مابقى من الغلال في ايدي أهل الجزيرة فاستدعى ابراهيم عدلان وعرض عليه انفاذ هذا الامر فامتنع من قبوله وقال للتعايشى ان مابقى بايدي الاهلين لا يقوم بحاجتهم وان مصادرة هذا القدر منهم ضربة قاضية على من في الجزيرة من السكان فاجابه هكذا أمرت وعليك ان تسافر بنفسك لانفاذ هذا الامر فامتنع وغادر أم درمان وأقام بالجزيرة زهاء ثلاثة أشهر فتكت في خلالها المجاعة فتكا ذريماً بالبصرة وظل التعايشى ينتظر من وقت لآخر مجيء الاقوات من ابراهيم عدلان الذي لم يوافه بشيء ما وأخيراً عاد الى أم درمان وطنق يخبر التعايشى بما استعقب المجاعة من تدمير البلاد وهلاك

السكان ظنا منه ان هذه الاقوال تكون اعظم شنيع له لدي التعايشى الذى كان لا يجهل صدق قوله ولكنه لما كان يقصد خراب البلاد وهلاك سكانها أظهر تكذيبه واستدعى القضاة فاستنطقوا ابراهيم عدلان عن سبب عدم ارساله الغلال من الجزيرة فاعتذر لهم بما تقدم فاستدعى التعايشى رجلا اسمه ( أحمد السنى ) من عمال بيت المال فتمهد له باحضار الغلال من الجزيرة فزوده بالادواصر وذهب اليها وبعد ايام قلائل أرسل له السفن مملوءة بالغلال ويحىء فيما بعد ذكر بقية أخبار أحمد السنى وما آل اليه أمره من الرئاسة على الجزيرة كلها ولا يعزب عن القارىء انه قام بانفاذ رغبة التعايشى حيث صادر مابقى بيد الاهلين من اسباب الحياة . على ان امتناع ابراهيم عدلان من انفاذ ماأراده التعايشى عاد بفائدة هى قرب موسم الزراعة حيث كان ما بيد الناس من الغلال يقوم ببعض ضرورياتهم ريثما يجيئ زمن هطول الامطار ثم ان التعايشى قبض على ابراهيم وكبله بالحديد وفى أثناء شكل مجلسا لمحاكمته تحت رئاسة الخليفة على حلوه فحكم عليه بالاعدام شنقا ونفذ ذلك الحكم بعد ساعتين من صدوره

وابراهيم عدلان هذا أصله من قبيلة حقيرة فى الجزيرة اسمها ( الحوالدة ) وأمه من قبيلة تسكن ( ولد مدنى ) يقال لها ( المدينين ) وكان يتجر فى كردفان بأموال بعض تجار الاسرائيليين المصريين ثم لحق بالمهدى حينما حاصر الابيض ومن ثم اصطنعه احمد سليمان أمين بيت المال ووكل اليه بيع الارقاء والماشية التى لبيت المال ثم جوزى كما جوزى سنار وسيأتى ان أحمد السنى سعى بابراهيم عدلان عند التعايشى فكان من أمره ما كان

ذكر بقية اخبار ابراهيم عدلان ومسألة مصادرة العاج  
لما أتى التعايشي القبض على ابراهيم عدلان انتدب الزاكي عثمان  
البقارى واحمد دى أحد كتبتة لمرجعة دفاتر بيت المال وابداء رأيهم في أعماله  
فقبضوا على كاتب أسرار ابراهيم عدلان وأودعوه السجن وقتشوا بيته فوجدوا  
ضمن أوراقه وريقة فيها رسم من نوع الرسوم التي يسميها جماعة المشعوذين  
( الاوافق ) أو ( الخواتم ) مكتوبا فيها « الملك عبد الله ) أي التعايشي  
وفيه أيضا اسم ابراهيم عدلان فاستنتجوا من ذلك ان تلك الورقة صنعت  
لاستماله قلب التعايشي لمحبة ابراهيم عدلان فعرضت تلك الورقة ضمن  
أوجه الاتهام التي اتهم بها ابراهيم المذكور فقال قضاة الجهل والظلم ما يأتي  
« ان تسمية الخليفة بالملك تدل على ان فاعلها غير مصدق بالمهدوية ومن كان كذلك  
فهو كافر ودمه هدر وماله وأولاده غنيمه للمسلمين »

ومنذ استوات المهدوية على أقاليم بحر الغزال وخط الاستواء صار عملها  
يجلبون لها العاج وفي آخر عهد ابراهيم عدلان جاءت ارسالية من العاج  
فاصدر التعايشي أمراً ببيعها من التجار الذين أذن لهم بحملها الي سواكن  
ليبيعها هناك فتسلاعب ابراهيم عدلان في تقدير قيمتها حتي انه كان يبيعها  
للتجار بنصفها ويشركهم في الربح وأثبت كاتب أسراره انه أعطى أحد أولئك  
التجار أربعة آلاف ريال وكتب صكاً بينهما على أن يكون رأس المال ديناً  
على التاجر والارباح مناصفة بينهما فاشترى التاجر بالاربعة آلاف ريال عاجا  
من بيت المال تقدر قيمته الحقيقية بثمانية آلاف ريال فعقد التعايشي مجلسا  
من القضاة وقال لهم انه لم يأذن لابراهيم عدلان في بيع العاج وقد باعوا وأنفق

ثمنه في مصارف بيت المال العامة مع ان العاج فيء والفيء من نصيبه الخاص به واستدعى أعوان بيت المال ووجههم على ما فعله رئيسهم ابراهيم عدلان فلم يكن منهم غير الاستغفار والتضرع بطلب الففو وهم لا يجهلون ان الأمر ببيع العاج هو التعايشي وفي بيت المال الامر الصادر منه ببيعه ثم أفتى القضاة بابطال بيع العاج وجواز مصادرتة من التجار فأرسل مندوبين خلفهم الى سواكن أخذوا ما بأيدي التجار من العاج قبل أن يتصرفوا فيه وكتب التعايشي بدفع العاج المصادر الى تاجر سواكني اسمه (عمر كشه) ليبيعه بمعرفته وليشتري منه بعض أدوات كياوية تحتاج لها معامل الخرطوش

وبلغت قيمة ما صودر من العاج أربعمائة ألف ريال مجيدي وقدأكثر من أربعمائة تاجر رأس مالهم وصاروا في حالة يرثى لها ولم يبق لديهم نفقة عودتهم من سواكن الى أوطانهم

وأكثر التعايشي من البحث والتنقيب على ثروة ابراهيم عدلان فلم يعثر على شيء منها والمرجح انه غيب أمواله في جوف الارض ولا يعرف موضعها غيره وستكون نصيب من يخدمه الحظ فيفتنم تلك الحبيثة التي تقدر بمئات الالوف من الذهب

وخلف ابراهيم عدلان في وظيفة أمانة بيت المال النور ابراهيم الجريفواوي الذي كان أمين بيت مال بربر وقد ذكرنا فيما مضى طرفا من سيرته وأعماله

### ذكر حادثة العباددة وإبعادهم

العباددة قبيلة تسكن حوالي مدينة أصوان وهي تنقسم الى بطنين (العشاباب) و (المليكاب) وهؤلاء أقل عددا من الاولين وقوام معيشتهم

الماشية كسائر الاعراب ولكن بسبب عدم خصب البلاد التي يسكنونها لا تقوم الماشية بميشتهم قياما يصرف وجهتهم عن غيرها من سبل الارتزاق

ولما افتتح المغفور له محمد على باشا السودان اشتغل رجال قبيلة العبابدة بمهنة تسيير القوافل التجارية والحربية في طريق الصحراء بين (كروسكو وأبو حمد) وبالرغم عن قلة عدد المليكاب وكثرة سواد المشاباب استأثر المليكاب بالزعامة على القوافل التي تسيير بين مصر والسودان وبالعكس ونبع منهم رجال احرزوا الشهرة والنباهة في الازمان التي تقدمت ولاية ساكن الجنان محمد على باشا على الديار المصرية

ولما قامت ثورة المهديوية في السودان كان حسن ابو خليفة بن اخي حسين باشا خليفة قابضا على رئاسة تسيير القوافل بين مصر والسودان فانضم الى المهديين وكتب له المهدي أمرا بالرئاسة على قبيلة العبابدة والدعوة له حوالى مديرية اصوان وشهد بمض الوقائع التي انهزم فيها دعاة المهدي في اقليم دنقلة وبسبب استبداد المليكاب بالرئاسة على القوافل دون المشاباب تولدت بينهم العداوة واستحكمت الاحنة في صدورهم ونالوا من دماء بعضهم ما زاد الطين بلة والظنور نعمة واستقرت العداوة بين تينك البطنين وتوارثها الخلف عن السلف

وقبض كثير من المشاباب على وظائف بريد التعاشي وبعض وظائف بيت المال فاشتدت المناظرة بينهم وبين المليكاب الذين ولي التعاشي رئيسهم حسن أبا خليفة الامارة عليهم ووكل اليهم رئاسة القوافل أيضا وجعلهم مرابطين في (آبار المرات) بين كروسكو وأبو حمد

واستخدمت الحرية أيضا عدداً ليس بقليل من رجال العبادة ليجولوا في الصحاري وناطت بعضهم مهنة التجسس للحكومة وصار آخرون منهم تجسسوا لتعايشي فاستحکم النفور بين المليكاب والعشباب وصار جواسيس الحكومة من العشباب يسمون عند الحكومة بجواسيس المهديوية ويلحقون بهم المصائب اذا كانوا من المليكاب أما اذا كانوا من العشباب فلا يتعرضون لهم وربما اعانواهم على قضاء أوطارهم وبمثل هذه المعاملة يعامل المليكاب جواسيس المهديوية فينكفون بالعشباب ويتركون أقاربهم

ولبت العشباب والمليكاب يحاربون بعضهم في دائرتي نفوذ الحكومة والتعايشي وينكفون بعضهم أشد النكال وفي سنة ١٣٠٦ قويت حظوة محمد بشير كرار أحد العشباب عند التعايشي حتى جعله قائداً لدابته يأخذ بخطامها في المواكب واتفق ان الحكومة ارسلت صالح بن حسين خليفة الى ابن عمه حسن خليفة للمخابرة فنزل عليه ضيفاً في (آبار المرات) ثم قفل راجعاً الى اصوان فتمى خبره الى التعايشي فاستشاز غيظاً وكانت وشايات قائداً دابته قد تمكنت من قلبه وكتب جمع من الامراء الذين في بربر والمرابطين في أبو حمد الى التعايشي يهمون حسن خليفة بالحيانة والميل لجانب الحكومة فاستقدمه التعايشي الى أم درمان فلما قدمها قبض عليه فيها وسجنه وأصدر أيضاً أمراً بالقبض على سائر أفراد قبيلة المليكاب من ذكر واثي وكان معظمهم يسكن حوالى بربر فقبض عليهم وصودرت أموالهم وسيقوا الى أم درمان يرسفون في القيود والاغلال وسبيت نساؤهم وهم يبلغون بضعة آلاف

وتوفى محمد خليفة والد حسن خليفة غماً مما أصاب ابنه وقومه وكان

شيخا كبيرا وفي أوائل سنة ١٣٠٧ حملوا الى منقاهم في خط الاستواء على السفن الشرعية بغير زاد فمات النساء والاطفال جوعا واهلكت الرجال أيضاً وعلى أثر ذلك خلا الجو للعشباب واستأثروا بمنافع دولة التعايشي وانقموا من اعدائهم شر انتقام وقطع دابر المليكات من السودان فسبحان من يغير ولا يتغير

ذكر غارة العبابدة على ابو حمد وقتل سليمان نعمان قمر  
ذكرنا ما كان من أمر الحجاة التي فشت في السودان وقد خلت الحدود من المرابطين فيها وقتل وجود المقاتلة حتى صار عدد الموجودين بام درمان من المقاتلة لا يزيد على ثلاثة آلاف مقاتل وبات التعايشي خائفاً يترقب تقدم الجنود المصرية لمناجزته حيث لا يجدون من يدافع عن البلاد أقل دفاع

وزيادة على ذلك ان التعايشي اتقن بانحراف الناس عنه وميلهم لجانب الحكومة على أثر ما أرهقهم به من المظالم والمغارم قلنا ان الحكومة وكلت حراسة (آبار المرات) الى صالح بن حسين خليفة الذي هاله ما أتاه الخليفة مع ابن عمه حسن أبي خليفة وقومه المليكات فجمع نحو مائتي راكب من قبيلته وأغار بهم على معسكر (أبو حمد) وانتشبت الحرب بينه وبين من فيه من الدراويش ومعهم سليمان بن نعمان قر قاتل الكولونيل ستيوارت فاقتحم سليمان صفوف العبابدة وقاتل حتى سقط قتيلاً بينهم فزوأ رأسه واحتملوا  
وكانت الحكومة نشرت نشرة فخاها ان من يأتيها برأس

سليمان هذا فله جائزة عظيمة ثم اني امر هذه الجائزة قبل قتله ورجع  
المغيرون من العبادة بعد ان قتل منهم وقتل من اعدائهم فكوفي صالح  
خليفة رئيسهم على قتل سليمان نعمان براتب خمسين جنيها شهر ياقود كان  
اثر هذه الحادثة على التمايشي سيئا حيث وقع في روعه ان الحكومة تنوي  
التقدم لفتح السودان واستبدل الناس على ذلك بانه خرج بعد ان قرأ  
بريد (أبو محمد) فصلى بالناس صلاة العصر ست ركعات ثم سجد للسهو فعرف  
الناس ارتبائه اذ كانت عادته ان يسهى في الصلاة اذا فوجيء بنسأ يفزعه  
ثم هدأ روعه بعد ايام حيث علم انها غارة بسيطة ليس وراءها فتح

### ذكر موت الحاج علي سعد

الحاج علي سعد من قبيلة الجمليين وكان وضيعاً خامل الذكر ذامهنة دينية  
ولما دخلت دعوة المهدي في بربر رفع محمد الخير منزلته حتى صيره أميراً  
على سكان القرى الواقعة جنوب نهر (ابره) ثم كان من أمره مع محمد الخير  
أمير بربر ما تقدم لنا ذكر طرف منه حيث سعى بمحمد الخير عند التمايشي  
على أمل أن يخلفه في اماره بربر وقد وعدته التمايشي بالوصول الى غايته  
وقضاء لبائته فبالغ في توجيه المطاعن الى محمد الخير فعزله التمايشي وولي  
بدله أحد اقاربه البقارة وقاب ظهر الحجن لعل سعد ثم أمره باحصاء عدد المقاتلة  
الذين تحت امرته فبلغوا سبعة آلاف مقاتل فأمره بأن يصحبهم الى دنقلة  
في أوائل سنة ١٣٠٦ لينضموا مع ابن النجومي فغادر علي سعد بربر ولحق  
بابن النجومي في دنقلة فأحصى من معه من المقاتلة فاذا هم ستمائة مقاتل فقط  
فكتب ابن النجومي الى التمايشي يخبره بأن مقاتلة علي سعد ستمائة رجل فقط



لا سبعة آلاف كما قال فاستاء التعاشي وأضرر السوء لعل سعد الذي يس من  
 نيل أمانة بربر وامتمعض من التعاشي واخيه يعقوب الذي خدعه  
 وأغراه علي الطمن في محمد الخير توصلا الي عزله واقصانه عن الامارة وأطمعه  
 في تبوي ذلك المنصب ثم لم ير منه وفاء بل قلب له ظهر المجن

وفي أوائل سنة ١٣٠٧ استقدم التعاشي علي سعد من دنقلة وقدم  
 له غذاء وضع فيه مادة سمية فما كاد يفرغ من تناوله حتى أحس  
 بانحراف شديد فلزم داره وتوفي بعد ليال قليلة بعد أن ظهرت عليه  
 اعراض التسم

وخلقه في وظيفته أخوه عبدالله سعد الذي خرج على التعاشي قبل فتح  
 أم درمان فقتله الامير محمود في من قتله ويجيء ذكر ذلك فيما يلي والله الامر  
 من قبل ومن بعد

### ذكر موت عثمان آدم وتولية محمود أحمد بدله

ذكرنا ما كان من أمر عثمان آدم أمير دارفور وكيف جمع جيشاً جراراً  
 هاجم به دارفور واستولي عليها بعد ثورة اهل سلطنتها القديمة ثم ما كان من أمر  
 ظهوره على (أبو جيزه)

ولما فرغ عثمان من أمر أبو جيزه عم الدمار بلاد دارفور حيث اباد  
 القحط البمض والبعض الآخر هجروا بلادهم ولحقوا بالبلاد التي في الغرب  
 وكانت لم تخضع للمهدبين مثل بلاد (أبو ريشه) وبلاد (وداي) وغيرها  
 وأخذ عثمان يوالي الغارة على سكان الجبال ليتحصل على نفقات جنده حيث  
 صارت البلاد خراباً لا تقوم ببعض نفقات واقوات أولئك المقاتلة فتحصل

على شيء كثير من الاقوات والماشية ثم وجه عزمته الى بلاد الغرب لفتح بلاد (مسلات) وبلاد (أبوريشه) وهامما كنانا واقمتان بين (برقو ودارفور) فظفر ببعض قرى في تخوم تلك البلاد وقصد التوغل لفتح البلاد كلها حتى يقف عند حدود (برقو) فاصيب بحمي خبيثة وقضى نحبه بعد ثلاث ليال فاحتمله جنده وتقهقروا به راجعين الى دارفور وأخفوا وفاته على العامة واقاموا وكيله محمد بشاره مقامه وارسلوا بنعيه الى التعايشي الذي وقع عليه هذا الخبر وقع الصاعقة وسالت الدموع من عينيه لانه كان يحبه ويعتقد فيه الكفاءة في دفع الملمات ومقدراً نجاحه في دارفور حتى قدره

وبعد ايام يسيرة من وصول نعي عثمان آدم أعلن التعايشي نبأ تعيين ابن عمه محمود أحمد بدله

وعلى ذكر محمود هذا نأتى هنا على ترجمته تيميا للفائدة فنقول. انه ابن أحمد دى عم التعايشي وكان مولده ببلاد التعايشة بجهة (الكلكه) وقد رأيناه بعد سقوط الخرطوم مع والده وكان عمره اذ ذلك لا يتجاوز خمسة عشر عاما ووجهه مشوه بأثار الجدري والمتربة ظاهرة على اطماره البالية لا يأنف من مديد السؤال الى أولى اليسار من الامراء والوجوه حتى وصلت خلافة المهديين الى ابن عمه التعايشي. والحاصل أن المترجم كان مثل سائر أقاربه في الغاية القصوى من النفاقة وشظف العيش وأهالي السودان الاوسط يحتقرون سائر البقارة الذين هم في الدرجة القصوى من الهمجية والبدادة الوحشية ولنتهم مع كونها شبه عربية تكاد تكون غير مفهومة. وبالجملة ان المترجم كان بقاريا في جميع أخلاقه وأطواره ولكننه مالبث بعد ان صار قريبه التعايشي ذا سلطان على السودان حتى غير أخلاقه وعوائده وتشبه بأهل السودان

الايوسط واسترسل كعثمان ابن التعايشي في الدعارة وانهمك في حضور ليالي الرقص والغناء التي ذكرنا بعض اوصافها وتغالي في حب المومسات وجمع حوله عددا ليس بقليل من الخنثين المتشبهين بالنساء وله أخ اسمه ابراهيم الخليل هذا حذوه وسار على وتيرته

وقبيل توليته توفى والده وكان فيما يزعمون بارعا في معرفة علم الرمل ومعرفة البخت مثل ابن أخيه عبد الله التعايشي الذي كان خيرا بهذا الفن والحاصل ان ترجمة محمود أحمد لا تختلف كثيرا عن ترجمة عثمان ابن التعايشي وفي أوائل سنة ١٣٠٨ خرج التعايشي لتشيع محمود وسار معه أيضا مندوبون من القضاة ليعلموا أمر توليته ويأمروا القواد بطاعته

ولما وصل الي دارفور امتعض القواد منه لانهما كه في الشهوات وعكوفه على المعاصي والدنات وظهر لمؤسسه الفرق بينه وبين سلفه الذي كان على نهج كبار المهديين

والحاصل انه قبض على زمام دارفور وبقي بها حتى شغب الدنقلون أقارب المهدي على التعايشي وتحفز الاهلون كلهم للثورة عليه فاستدعاه من دارفور الي أم درمان بجيشه وسيأتي ذكر ذلك في مكانه

### ذكر صفة معيشة التعايشي

كان التعايشي قبل ان يفضى اليه الملك مثل سائر بني جلده البقارة في الدرجة القصوى من الخشونة والبداوة لا يعرف شيأ من ضروب التنم في الاحوال المعيشية على طريقة المترفين من أهالي السودان الاوسط التي هي وان كانت عوائد بربرية غير مألوفة الا أنها تمد مدينة بالنسبة لخشونة البقارة

الذين لا يعرفون من أنواع الاطعمة غير المصيدة وادام (المندية) الذي سبق لنا تعريفه ولحوم الصيد

وقد كان التمايشي عريقاً في هذه العوائد وكان يتطيب بكبريت الامود ذى الرائحة الكريهة التى تنقبض النفس من شهها وكان احسن الطيب عنده وهذا بخلاف اهالي السودان الاوسط فانهم يتطيون بعمور الصندل والمحب وغيرها من انواع الطيب التي يتبذها المصريون وينفرون من رائحتها والحاصل أن عوائد التمايشى وقومه تباين عوائد اهالى السودان الاوسط وتختلف عنها اختلافاً كبيراً وهى كما قلنا في منتهى الحشونة والبداوة

وكان قبل افشاء الخلافة اليه نحيف الجسم مقوس الظهر كانه شيخ هرم طويل الوجه غائر الصدغين المنتشر بهما آثار الجدري وكان يلبس مرقعة بالية ممزقة يظهر جسمه من خلال خروقها ويتمم على قلنسوة من (الدمور)

ولم يلبث بعد ذلك حتى نبذ عوائده كلها ولبس المرقعات النظيفة وتشبه بالمهدى في ملابسه واخذ يتطيب بعطر المحلب والصندل وصار يأكل الاطعمة المصرية التى كان يقوم باتقانها نسوة مصريات من أهل الخرطوم وجمع عنده نحو مائة وعشرين امرأة من أجمل نساء السودان وضخمت جثته وتغيرت سحنة وجهه حتى انه يخيل للناظر اليه انه شخص آخر غير التمايشى ولكن لم تمض عليه ثلاث سنوات حتى تنفص عيشه بما اعتراه من ضعف أعضاء تناسله وخمود شهوته فاستدعى طبيباً مصرياً اسمه حسن زكي من أطباء الحكومة السابقين وناجرين اسم أحدهما محمد طه الشامى واسم الثانى بندليه اليونانى وشكاهم ما انتابه من الضعف وفقدان الشهوة وسألهم ان

يبحثوا له عن الاشياء التي تقوي الباه وأكد عليهم في الكتمان فذهبوا وبعد  
 المداولة قر رأيهم على ان يحضروا له شيأ من العنبر مضافا على نوع الحشيشة  
 المطبوخة المسماة (قراوش) فقصداوا محل رجل كان يبيع الحشيشة سرا اسمه  
 بكتاش أغا وعادوا بالقدر الكافي ثم طبخوه مع العنبر ووضعوه في حق  
 وذهبوا الى دار النعاليشي الذي فغتمه رائحة العنبر فأمرهم ان يأكلوا منه  
 بحضرتة خشية ان يكونوا قد دسوا له فيه السم فاكلوا منه فشكروهم واجاز  
 كل واحد منهم بمئزر ريات وأكثر من أكل هذا النوع حتى نفذ فأمرهم  
 بتجهيز غيره وصار ذلك عادة له لا يقدر على تركها

### ذكر حادثة البطاحين

البطاحين قبيلة بدوية تسكن شرق النيل الازرق غرب صحراء (بره)  
 وماشيتها من الغنم والبقر وبيض الابل ورجالها مشهورون بالشجاعة والاقدام  
 مع قلة عددهم وكلهم لصوص وقطاع طرق ولا توجد عصاة سطو أو جمعية  
 سلب في سائر انحاء السودان الا من البطاحين وقد أمسكت الحكومة  
 كثيرا منهم قبل المهديونية وعاقبتهم على ما كانوا يأتونه من قتل النفوس  
 ونهب الاموال

ولما ظهرت دعوة المهديونية كانت قبيلة البطاحين في مقدمة القبائل  
 التي مالت اليها طمعا في النهب والسلب اللذين هما دينها. ولحق بالمهدي  
 في جبال (قدير) أحد رجال هذه القبيلة المدعو عثمان بن أحمد وكان  
 من حفظة القرآن وهو كقومه البطاحين الذين جبلوا على الفساد وسفك

الدماء وكان ذا دهاء تمكن به من الظهور بمظهر الزهادة والتفاني في حب المهديوية والاخلاص لها فجعله المهدي نائبا من النواب الموكل اليهم النظر في القضايا السكوية فاستخدم هذه الوظيفة في سبيل اطلاق يد قومه البطاحين في النهب والسلب ووقف وظيفته لدرأ كل عقوبة يراد عقابهم بها على ما يرتكبونه من جنایات السطو والقتل وقطع الطرق فانطلقت ايديهم في النهب والسلب بلا خوف من طائلة عقاب حيث صار قريتهم نائبا من نواب المهديوية ومقربا من مقربي التعايشي وارتفعت الشكوى منهم الى التعايشي الذي كان مع ظلمه لا يرضي بجولان يد في العبث والفساد غير يده وايدي قومه البقارة فكتب الى قبيلة البطاحين يأمرها بمغادرة ديارها واللحاق بابن النجمي في دنقلة وذلك في سنة ١٣٠٥ فسافر منهم نحو ائف رجل واختفى الباقون في قفار بلادهم وصحاريها حتى كانت سنة ١٣٠٦ وفشت المجاعة في السودان

وفي أواخر هذه السنة ازدادت مفسد البطاحين وانتشروا في بلاد شرق النيل وقطعوا الطرق على القوافل التجارية والسابلة التي تجتاز الصحراء بين النيل الازرق ونهر (اتبره) وحدود الحبشة وأبادوا عدة قوافل بعد ما نهبوا وسطوا على أكثر القبائل النازلة في انحاء تلك الصحراء وكلما رفع المجنى عليهم شكواهم وأحيلوا على القضاء الذي من اكبر رجاله قريتهم عثمان السالف الذكر خرجوا ظافرين بريئين

وفي ذات يوم جلس التعايشي في محرابه وحوله القضاة والنواب فقال لهم لقد طني البطاحون وزادت شرورهم ومفسدهم فأجابه عثمان النائب بقوله يامولاي انهم تركوا السطو وقطع الطرق منذ بايعوا المهدي ونصروا دعوته

فقال له التعايشي كلاً بل أخبرني الحضر عليه السلام انهم لم يتركوا شيئاً مما كانوا فيه بل زادوا جرأة واقداماً على السطو وقطع الطرق فسكت عثمان واذعن لقول التعايشي

وفي أوائل سنة ١٣٠٧ انفذ اليهم التعايشي رسولا اسمه ابن جابر النبي فذهب الي حبيهم وقرأ عليهم أمراً من التعايشي بمغادرة بلادهم والحقا برباط دنقله فقابلوا الرسول بالضرب والاهانة وهموا بقتله وألقوا به وبمن معه جروحاً خفيفة ففر من وجوههم وقفل راجعاً الى أم درمان فلقى التعايشي خارجاً من داره لصلاة المغرب فأخبره بما أصابه فأمر في الحال بأعداد نحو عشرة آلاف مقاتل بين فرسان وجهادية مسلحين بالبنادق وان يغادروا أم درمان بعد صلاة العشاء تحت قيادة قريبه عبد الباقي عبد الوكيل

وبعد صلاة العشاء ركب التعايشي والابواق حوله قاصدا ضفة النهر لتوديع الجيش وتزويد القائد بالوصايا التي يعمل بها وما انتصف الليل حتي اجتاز الجيش كله النيل على البواخر والسفن وتابع مسيره في الصحراء الى المساء وبعد ثلاث ليال داهم حى البطاحين في الغلس وأمطرهم النيران الحامية فسقط منهم نحو ألفي قتيل وسبق الباقون أسرى بنسائهم وأطفالهم ونهبت ماشيتهم كلها وجيء بنحو ثلاثة آلاف أسير منهم الى أم درمان عدا الصبيان والنساء فاقتار التعايشي مائة وخمسين رجلاً من أعيانهم ومشايخهم وأصدر أمراً بجلب خمسين منهم في ميدان السوق وضرب أعناق خمسين أيضاً وقطع أيدي وأرجل الخمسين الآخرين

وركب التعايشي في ظهر ثاني يوم ووصلهم الى ميدان السوق وشهد انفاذ هذه الاحكام القظيمة ومات أكثر الذين قطعت أيديهم وأرجلهم ونجا

الذين أدركتهم غيرة أولي الشفقة فصبوا على جراحهم الزيت المحمي بالنار  
 لقطع نزيف الدم وقد قال التعاشي وقتئذ لمن حوله اني لم أفعل ذلك الا باذن  
 من النبي صلى الله عليه وسلم والحضر والمهدي فانهم أمروني بالامس بهذا  
 العمل فقال رجل من الدناقلة وهو نوتي ان صدقنا انهم أمروا بالصلب وضرب  
 الاعناق وقطع الايدي والارجل فهل نصدق أنهم أمروا باخذ النساء الحسن  
 ونكاحهن كموطآت بملك اليمين نسمعه بمض الحاضرين وأبلغ التعاشي مقاتله  
 فأمر باحاطه على المحاكمة حيث ادعى عليه أنه لعن أبا المهدي فحكم القضاة بضرب  
 عنقه فضربت في اليوم التالي في محل استعراض الجيش

وأخذت نساء البطاحين مسيات ووزعن على البقارة والقواد وامتلأت  
 أم درمان بالمتسولين منهم وكانوا كما قدمنا من أشد القبائل تشيماً للبهديوية ومن  
 شدوا أزرها فانتقم الله منهم بيدها ومن أعان ظالماً سلط عليه  
 وبيعت ماشيتهم التي جلهما من الضأن والبقر في أم درمان فهبطت اثمان  
 المشية حتى بلغ ثمن الرأس من الضأن نصف ريال

### شان محمد خالد زقل بعد ذلك

ذكرنا ما كان من حوادث محمد خالد زقل في دارفور وما وقع له مع  
 حمدان أبي عنجه الي سجنه بام درمان بضعة شهور وخروجه من السجن حيث  
 أمره التعاشي بملازمة الصلوات الخمس في المسجد معه وكان زقل هذا ذا دهاء  
 شديد فأخذ يتظاهر بولاء التعاشي ومحبته حتى خدعه ما يتظاهر به الي أن  
 دخلت سنة ١٣٠٦ وكثرت الاختلافات بين عثمان دقنه وأبي قرجة الذي  
 تولى على شرق السودان بدله



ولما استنفحت تلك الاختلافات انفذ التمايشي الشيخ الطاهر بن الجندوب  
ومعه محمد خالد زقل الى السودان الشرقي ليفصلا بين المختلفين فتوفى الشيخ  
الطاهر في (طوكر) وقفل محمد خالد زقل راجعا الى ام درمان ومعه عثمان دقنة  
ثم عزل التمايشي أبا قرجة واعاد عثمان دقنة الى الامارة ثم ولي محمد خالد  
زقل على دنقلة زهاء سنة حتى دس له يعقوب أخو التمايشي الدسائس  
وكان في دنقلة أميران من البقارة هما مساعد قيديم الذي تقدم لنا ذكره  
مع ابن النجمي وكان قائد المقاتلة من البقارة وعربي دفع الله وكان قائد الجهادية  
المسلحين بالبنادق

وعربي هذا كان خادما عند محمد خالد زقل تربى في منزله بدارفور  
ولما عين زقل أميراً على دنقلة وصار عربي تحت إمرته حفظ لزقل  
حق التربية فكان يتواضع أمامه ويجلس متأدبا بمحضرتة ولم يكن  
في الحسبان أن ينقلب حالهما ويتبدل صفاؤها بالعداوة لولا مادسه يعقوب  
أخو التمايشي لعربي حتى دفعه الى السبي بزقل عند التمايشي . وفي ذات يوم  
جمع عربي رجاله وكانوا زهاء ألفين وأحاط بهم منزل زقل ومنعه  
من الخروج فانقسم جيش دنقلة فريقين فريقاً ينتصر لزقل والآخر  
يظهر عربي عليه وهذا مؤلف من الجهادية والبقارة وذلك من  
الداقلة والجميلين وكان قد وصل في غضون هذه الحوادث أحد أعداد  
جريدة مصرية فيه نبأ يشير الى أن زقل أمير دنقلة اتفق مع الحكومة  
على ان يسلمها دنقلة بنير مقاومة وأن الحكومة الحديدية وعدته  
بالمكافأة الحسنه فلم يبق ريب لدي التمايشي في صحة الخبر وخشى ان يكون  
زقل قد قرر ذلك مع من معه من القواد فانفذ اليه يونس الديكم ومعه أمر

بانه عينه خادما يحمل نعل محمد خالد زقل فادرك سر المسألة وكتب الى التعايشي  
 يستأذنه في القدوم عليه ويسأله ان يعين من ينوب عنه في دنقلة فاجابه بتعيين  
 يونس نائبا عنه وأمره بالقدوم عليه فاستقبله بالاكرام وبعد أيام يسيرة عقد  
 مجلساً لمحاكمته لما جاء في الجريدة المصرية فحكم المجلس باعدامه ولكن  
 التعايشي أوقف التنفيذ وأمر بسجنه ومصادرة أمواله ووضع في رجليه من  
 القيود ما أثقله حتى عجز عن المشي ونهبت أمواله وبقي في السجن بضع سنوات  
 ثم نفي الى خط الاستواء في مستهل سنة ١٣١١

وكان زقل شديد البغض للمصريين مع انه كان موظفاً أميرياً بدارفور  
 كما قدمنا وحازراً للرتبة الثالثة ولما استولى على دارفور ارسل الى المغفور له الخديو  
 توفيق باشا كتاباً ينصحه فيه بالتسليم للمهدوية واستهل كتابه بمقدمة مملوءة  
 بالوقاحة والسفاهة والمطاعن الشخصية التي يتجافى اليراع عن رقتها. ولما ولى على  
 دنقلة أرسل له كتاباً آخر لا يختلف عن الكتاب الاول مملواً بالمثالب والمطاعن  
 وقد اتصل بنا ونحن نبض هذه السطور ان محمد خالد زقل فر من منفاه بخط  
 الاستواء بمد هزيمة التعايشي بأمد درمان ولحق بمملكة (برقو) فأمسكه سلطانها  
 كأسير ولم يفلته حتى الآن ويقول العارفون بمادات تلك البلاد انهم  
 لا يسمعون لغريب ذهب الى ديارهم أن يعود من حيث جاء مخافة أن يكون جاسوساً  
 يجوس خلال الديار ويعود منها مزوداً بالاسرار ومهما يكن من الحال فان زقل  
 لم يتمتع بلذة الحكم على بلاد دارفور التي استخلصها من جنود الحكومة بالصفة  
 التي تقدم لنا ذكرها الا زهاء سنتين كانت مغبتها السجن ونهب ما جمعه من  
 الاموال في خلالها ولا غرابة في ذلك فهكذا كانت معاملة المهدوية لكل من  
 أعلنها والله الامر من قبل ومن بعد

## ذكر استخراج الرصاص والنحاس

والكحل من معادن حفرة النحاس

تقدم لنا ان الطيب الذكر غردون باشا افتتح جهة ( حفرة النحاس ) المملوءة بمعادن النحاس وشرع في استخراج النحاس منها ثم أهمل خلفه أمر هذه الحفرة ولم يحفل باستخراج النحاس منها حتى دخلت بلاد دارفور في حوزة المهدوية

وفي سنة ١٣٠٧ أنفذ التعماشي أناسا الى تلك الجهة فاستخرجوا شيئا كثيرا من الرصاص والنحاس والكحل فاستخدم الرصاص في تعبئة الخرطوش بعد ان حبطت مساعيه التي بذلها في استخراج هذا الصنف بسبب الفش الذي قطعت يد ورجل المقدم عمر الجعلي من أجله وصنع من النحاس ظروف الخرطوش ثم لم يعد لاستخراج شيء من هذه الأصناف بعد أن حصل على كفايته منها

## ذكر بنات الجعليين

الجعليين اسم قبيلة تقدم لنا تعريفها في حوادث بربر وفي أوائل سنة ١٣٠٨ أنفذ التعماشي رجلا اسمه محمد وهي بن حسين اداى المشهور بالرئيس وكان من موظفي الحكومه في بربر الى قرى الجعليين الواقعة بين بربر وأم درمان على احدى البواخر ليأخذ كل حسان من بنات الجعليين ويحملها على الباخرة ويأتيه بها فيمكث بضعة شهور متجولا في شواطئ تلك القرى بباخرته ثم عاد بها وهي مكتظة بالنساء الحسان وجلهن عذارى وسمعت من أحدها ان التعماشي كان يأمر بنزع ثيابهن عنهن لدى وصولهن

اليه فكانت الواحدة منهن تدخل عليه في حجرته وهي عارية كيوم ولدتها أمها  
وبعد ان ينعم نظره فيها وهي مقبلة يأمرها ان تدبر ثم يدينها منه فاذا أعجبته  
أبقاها في داره موطوءة بملك اليمين وان لم تعجبه أمر باخراجها واهدائها  
لاحد أقاربه البقارة

أما دخول النساء عليه وهن عاريات فكان لا يقصد به التمتع بالنظر اليهن فقط  
بل كان يخاف ان يحملن تحت ثيابهن سلاحاً أو مادة سامة وهو يعامل كل نسائه  
بهذه المعاملة الا من يثق بامانتها وقل ان ياتمن واحدة منهن

### ذكر انسحاب الجيش من القلابات

تقدم لنا ذكر ما كان من أمر محاربة الدراويش والاحباش الي قتل  
النجاشي يوحنا

ويقولون ان النجاشي منليك الذي خاف يوحنا في سلطنة الحبشة  
عقد مهادنة مع الدراويش على ان يكفوا عن حربه والتعدي على حدوده  
لانه لم ينب عنه ان المملكة الحبشية مشغولة بدفع غارة الايطاليين عليها من جهات  
(أسمره) وفتحها بابا للحرب مع الدراويش يضاعف مشغوليتها ويزيد خسارتها  
فداهن الدراويش بل صافاهم على انه كان موقنًا بان سوء تصرفات سلفه  
هي التي فتحت على المملكة هذا الباب الذي كانت في غنى عنه لكي تنفرغ  
للقوف امام المغيرين على بلادها من الفاتحين الايطاليين

والتعاشي لم ينشر شيئاً يدل على وقوع هذه المهادنة الا ان قرائن الاحوال  
تدل عليها لان بعض مصادر الاخبار تؤكد ان غارة الدراويش على الاحباش  
لا تخلو من يد للايطاليين في تدبيرها . وفي نفس الوقت الذي كان منليك

يستمد فيها المناجزة الايطاليين في الواقعة الاخيرة بينهما كانت جيوش  
ال دراويش أيضاً تحف من جهة أخرى لمهاجمة مراكز الايطاليين مما يدل على ان  
ال دراويش كانوا أولاً على وفاق مع الايطاليين ضد الاحباش ثم انعكس الحال  
فصاروا مع هؤلاء على أولئك

والحاصل ان التعاشي بعد أن ملأ القلابات خيلاً ورجالاً ونال جنده  
من الاحباش ما نالوه من الظفر حصن القلابات بسور من الحجارة وأصدر  
أمراً الى الزاكي طمل قائد الجيش ان يترك القلابات ويوكل حراستها الى الف  
رجل تحت إمرة أحمد على البقاري فصعد الزاكي بالامر وغادر القلابات  
وعسكر في القضارف وارهب أهلها نهياً وصادر غلاتهم بالكيفية التي ذكرناها  
في الكلام على القحط الواقع في القضارف

وفي أواخر سنة ١٣٠٧ قدم الزاكي طمل على التعاشي ودفع له مائة  
وثمانين الف ريال وقناطر مقنطرة من الذهب والفضة فأمره بالعودة  
الى القضارف وأخذ الالهبة لاخترق الجزيرة والغارة على بلاد (الشلك)  
باقليم فشودة

### ذكر غارة الزاكي طمل على الشلك

الشلك اسم لقبيلة من العبدتسكن اقليم فشودة وهم حفاة عراة يلبس  
الاغنياء والعظماء منهم قطعة من خرقة تستر أنصاف أخذاهم فاذا جلس احدهم  
طوي الخرقة ووضعها على كتفيه وبقيت عورته بلاستر  
أما النساء فيأترن بفروة من الجلد اذا كن متزوجات أما اللاتي لم  
يتزوجن فهن عاريات كيوم ولدتهن أمهاتهن وهؤلاء النسوة يحلقن شعر

رؤسهن مما يزيد في تقييح مناظرهن وتشويه خلقهن والرجال يسمون شعورهم ويدهنونها بالمواد الغروية كالصمغ ويمسحون منها شكلا يخاله الرائي من بعد قبع الافرنج

وهم غلف لا يعرفون الختان ويزعمون ان الختان هو كسر أربعة أسنان من اسنان الرجل أو المرأة من الفك الاسفل ليتمكن احدهم من اخراج اللسان بغير أن يقف شيء في طريقه

ويزين الرجال نحورهم وأذرعهم بكثير من الحرز وأجراس النحاس الصغيرة وقطع العاج وزينة المرأة شيء من الودع والحرز على خصرها وعلى كل حال تربو زينة الرجل وخليته على زينة المرأة وحليها والرجال مع استئثارهم بالنصيب الاكبر من الزينة على ما ذكرنا تراهم مع سواد بشرتهم طوال القامات حسان الوجوه مفتولى السواعد يبدو على وجوههم العجب والزهو ويحملون بأيديهم الاسلحة من المزاريق والحراب ولا يعرفون هم ولا نساءهم لبس نمل أو حذاء

وديانهم وثنية همجية لهم صنم من الحشب اسمه (النيكامه) بتعطيش النون وأما (الكجور) فهو كعالم ديني يرجعون الى مشورته في أمور الدنيا والدين والطب وهو إن صح مانسمه من قومه عنه لا يخلو من معرفة شيء من علم النجوم والانواء علما نظريا لانه كثيراً ما يخبرهم بأخبار المطر وغيره قبل الحصول

ومما يدل على ذلك ان وظيفة الكجور لا تكون الا وراثية من الاسلاف للاعتقاد وبالجملة ان الكجور عند الشك أشبه شيء بالكاهن والعراف في عهد الجاهلية

وأغذيتهم من لحوم الصيد ولبن المساشية والبوطة المسكرة وما شيتهم من  
الذئب والبقرة كثيرة جداً وهم يقدسون الفحل من البقر ويلقون على قرنيه  
الاجراس والحرز وسائر أنواع الزينة ويسمونه (مجوك) ويخرجونه في الحفلات  
والمواسم حيث يكون موضع احترام الجميع

وإذا خرجوا يستسقون المطر يخرجون الفحل أمامهم متوسلين به  
والحاصل أن (مجوك) عند الشلك يشبه العجل (أليس) عند قدماء المصريين  
وعادة الزواج عندهم أن الرجل يتزوج بما شاء من النساء بمعنى أنه يتزوج  
ما شاء من النساء بغير قيد ولا حد

ومهر الزواج لا يقل عن ستين رأساً من البقر للمتوسطة من النساء ومائة  
لاهل الطبقة العالية ولا يجيزون أن يكون المهر أقل من أربعين رأساً من البقر  
والمهر حق لا قاب الزوجة يأخذ أبواها القسم الأكبر منه ويوزع الباقي على  
أقاربها من جهة الأب والام وهو لا ينالهم أكثر مما ينال أولئك

وإذا توفي الزوج خلفه أكبر أنجاله على جميع نساؤه عدا أمه والأولاد الذين  
يولدون له ممن يعتبرهم أخوته لأنه يرى نفسه نائباً عن والده واسم (مريم)  
علم جنس النساء كما أن اسم (ثور) علم جنس الرجال كلهم وتخضع قبيلة الشلك  
كلها إلى ملك يسمونه (الملك) وحكمه نافذ فيهم وطاعتهم له عمياء وهم يعتبرونه  
متدسا يستمد سلطته من معبودهم (النيكامه) كما كان قدماء المصريين  
يعتقدون شبه هذا الاعتقاد في فراعنتهم

وهذا الملك عاري الجسم مثلهم ولا يدنو منه أحد إلا بعد أن ينحي  
ويزحف على ركبتيه ولا يرفع أحد عينه إليه بل يظلون جلوساً كأن الطير على  
رؤسهم ويجلس حواليه الشيوخ والكجور فإذا عقدت جلسة لمحاكمة جلس

الملك وبين يديه أنواع السلاح كلها وإنما يعاقبون بالقتل وعند نهاية الجلسة يتناول الملك نوعاً من السلاح الذي بين يديه يوماً به نحو الجاني وينصرف فينفذ الحاضرون العقوبة عليه بنوع السلاح الذي أوأبه

ومن دأبهم مع ما هم فيه من التوحش والهمجية حيث لا فرق بينهم وبين الانعام المحافظة على الآداب حتى يظن الانسان انهم في نهاية التمدن فلا توجد بينهم فاحشة البتة والزاني والزانية لا عقاب لهما الا القتل

ومما زاد في إعجابي بأولئك الاقوام ان المرأة منهم في نهاية الحرية تختلط مع الرجال وتجالسهم وهي محترمة عندهم كاحترامها عند الافرنج ومن عوائدهم ان الرجل اذا انتصب ذكره وهو جالس مع غيره عوقب بالقتل في الحال مع انهم يجلسون عراة والنساء معهم

ومنازلهم اكواخ مستديرة واعاليها مستطيلة كالقبة والنظافة متوفرة فيها حتى ان أرض منازلهم مرصوفة بشيء من الحجارة يخالها الناظر لأول نظرة رخاماً وفي كل قرية مكان كبير يحرقون فيه روث البقر حتى يصير رماداً ينامون عليه ويتمرغون فيه

ويغسلون وجوههم ببول البقر ويتضمضون به ويضعونه في اللبن والسمن وياكلون الميتة والدم ولا يذبحون الماشية الا اذا اشرفت على الهلاك فحينئذ يذبحونها بقصد الحصول على الدم اذ هو احسن غذاء عندهم وفي بعض الاحياء يجرحون البقر في شرايينها ويتزفون الدم في آنية ثم يضمدون الجرح ويربطونه حتى يندمل

ولهم مهارة غريبة في اقتناص الضواري كالفيل والسبع والنمر وبقر الوحش والزرافة وسائر أنواع الوحوش . ولندكر هنا طريقة صيد



القبيل وبقر الوحش وهي ان يجتمع اثنا عشر رجلا منهم بيد كل واحد منهم  
 حربة طويلة يقتربون من القبيل أو بقر الوحش ثم ينفرد واحد منهم دون  
 رفاقه فيطعم ما يريدون صيده في افتراسه ويتجه نحو مطاردته فيثب عليه الباقيون  
 ويطعنونه بجراهم في دبره قبل ان يتمكن من افتراس رفيقهم لان الطعن  
 لا يؤثر في بقية جسمه للملاسة جلده وصلابته. أما صيد بقية الوحوش فانه دون  
 هذا في العناء وللملك نصيب من كل ما يصطاده الافراد فاذا كان من نوع القبيل  
 فله العاج وأطياب اللحم أما الفزان فانهم يقدمون له أحسن نصيب من لحمها  
 ومهارتهم في صيد دواب الماء تكاد تفوق تفننهم في صيد وحوش القلاة  
 وذلك انه يوجد في بلادهم فرس البحر بكثرة والتساح والاسماك الكبيرة التي  
 يزيد طولها عن مترين ولحم زوارق صغيرة مصنوعة من الخشب ومن  
 العجب انهم يربطونها بالخيوط فقط اذ لا مسامير من الحديد عندهم والزوارق  
 المذكورة محكمة الصنع متساوية الاطراف يركبونها ويحملون بايديهم  
 مزاريق صغيرة رؤسها كالصنارة يقذفون بها الاسماك في عمق الماء فلا تعود  
 بغير مصيد ويندر أن يخطئ المزارق وصيد التساح يقرب من هذه  
 الطريقة. أما طريقة صيد فرس البحر فهي انهم يربطون حبلًا متينًا في أسفل  
 حربة رأسها كالصنارة وفي آخر الحبل حزمة من نوع خشب اسمه (العبيج)  
 يشبهه (الفلين) في خفته وطفوه على وجه الماء وتربصون على ضفاف النهر  
 بعد غروب الشمس حتي تخرج فرس البحر لتأكل الحشائش التي تنبت على  
 الضفة فيرمونها بالحربة في دبرها فتولى عنهم وتعود الى اليم وقد  
 غاصت الحربة في دبرها والحبل والعبيج خلفها وبعد أيام قليلة يتفنن الجرح  
 فيجتمع الصيادون في زوارقهم الصغيرة ويمسكون الحبل ويطاردون الفرس

التي تظهر على وجه الماء بعد جذب الحبل فيرشقونها بالسهم حتى يقضى عليها  
فيقتسمون لحمها بعد اخراج اطياها للملك ويجففون جلدها الذي يصنع منه  
السياط المعروفة في مصر

وهم يسكنون الضفة الغربية للنهر ويسكن الضفة الشرقية أمة اسمها  
(الدينكة) لا تختلف في شيء من العادات عن الشلك الا انهم لم يحرزوا  
صفات الشجاعة التي للشلك ولا يعرفون صيد البر والبحر مثل الشلك  
ولا ملك عندهم بل لسكل قرية رئيس مطلق ولذلك يضطهدهم الشلك  
ويغيرون عليهم وينهبون ماشيتهم حتى ان الواحد من الشلك يطارد عشرة من  
الدينكة الذين لهم صنم من خشب كصنم الشلك يسمونه (دينديت) وعدد  
نفوس الدينكة يبلغ أضعاف الشلك بسبب فرقة الدينكة صاروا عرضة لغارة  
جيرانهم الشلك الذين هم مع ما هم فيه من القوة والعزة تراهم ذلاء امام جيران  
لهم في الجنوب وهم أمة اسمها (نوير) حيث يوالون الغارة على الشلك وينهبون  
ماشيتهم مع ان عدد نفوس الشلك يبلغ أربعة أضعاف عدد نوير والحاصل  
ان نوير آفة الشلك كما ان الشلك آفة الدينكة

وعوائد نوير واخلاقهم مشابهة لعوائد الشلك الا انهم اكثر ثباتا من الشلك  
واجرا وقيامتهم أطول منهم

وأرض الشلك والدينكة ونوير خصبة التربة وريها بالامطار التي تهطل غزيرة  
جدا عندهم غير انهم كسالي لا يحرثون من الارض الا شيئا قليلا يقوم  
بضرورياتهم

وحاصلاتهم الذرة الرفيعة والسمسم والدخان الذي يستعمله رجالهم ونساؤهم  
صغارهم وكبارهم ويمتاز الدينكة عن الشلك بزيادة الحاصلات وكثرة الحرثة

ولما دخلت السودان تحت حوزة مصر لم يلتفت الحكام والولاة الى تنظيم حكومة للجهات الجنوبية على النيل الابيض التي منها فشودة بل كان الشلك وغيرهم من سكان البلاد عرضة لغارة عصابات النخاسين الذين يجلبونهم ارقاء ونيبون حاصلاتهم وماشيتهم

وفي سنة ١٢٨١ اعتنى المرحوم موسى باشا حمدي حاكم دار السودان بامر الجهات الجنوبية ونظم حكومة لها فكانت فشودة أول مديرية أسسها وولى عليها القائم مقام حلمي بك الذي طرد النخاسين عنها ولكن الشلك قابله بالجفاء ونفروا منه وشهروا عليه الحرب حتى اضطر الى ان تحصن منهم في نقطة فشودة الواقعة في وسط الاقليم واختارها عاصمة لمديريته وبعد ذلك هادنوه فقدم لهم كثيراً من الهدايا والملابس التي كان يفرغ جهده في اقتناعهم بضرورة لبسها فلم يفلح بل كان كبراً وهم يلبسون بعضها عند قدمهم الى مركز الحكومة فاذا عادوا الى قراهم خلعوها وبقوا عمارة كما كانوا

ولما ولي المرحوم جعفر مظهر باشا حاكم دار السودان اهتم بشأن مديرية فشودة وبذلت الحكومة الجهد في استئلافهم حتى صاروا يأدون لها بعض ضرائب لا تقوم بعشر معشار نفقات الحماية والادارة

ولدى تولية الطيب الذكر غردون باشا على جهات النيل الابيض أنشأ في فشودة عدة مراكز وشاد معاقبل في الجهات الشمالية والجنوبية وكان اذ ذلك ملك الشلك من عائلة اسمها (كيكون) فاخذ ذلك الملك في أسباب التمرد وصار يلبس الثياب ويأكل على الموائد . وقد اهدى له غردون باشا عدة هدايا ومنحه لقب (بك) فزاد اخلاصاً للحكومة الا ان قومه امتعضوا منه وذموا مخالفته لعوائدهم وتشبهه بالترك واضمروا له الشر فثاروا على الحكومة عدة

ثورات قتل في احداها يوسف بك حسن المشهور بكرده مدير فشوده  
وتقدمت تلك المديرية في مدته تقدما عظيما. ولما ظهر المهدي على جند الحكومة  
في جزيرة (آبا) ولحق بجبال (قدير) وحمل عليه راشد ايمن بك مدير فشوده  
وكان من امره ما تقدم لنا ايراده في مكانه كان (كيكون بك) ملك الشلك معه  
وقتل مع من قتل فقام أحد رؤساء الشلك وأخذ معه وفداً شخص  
به الي المهدي في جبال قدیر فنكتب له المهدي بالامارة على الشلك وسماه  
(عمر) واعطاء ابواقا من التي غنمها من الحكومة فماد الى الشلك وأخبرهم  
بان المهدي اله وانه أخو مبعودهم (النيكامه) وانه ولاء ملاك عليهم فاتبعوه  
لانهم كانوا يعرفون المهدي مذكان شيخا في جزيرة (آبا) فجمع عمر قومه  
وشرع في مناوأة الحكومة وامتنع عن تأدية الضرائب وتوطد نفوذه بينهم  
وحافظ على عواندهم التي تقموا على كيكون بك ملكهم السابق من أجل نبذها  
ولما فك المهدي بحملة الجنرال هيكس وقررت الحكومة جلاء  
حاميتها عن فشوده لتعزير حامية الخرطوم خلا الجو لعمر ملك الشلك واستقل  
بالتصرف في البلاد كلها

ولما توفي المهدي أعلن عمر أن المهدي استخلفه على العبيد واستخلف  
الحامية على العرب وهم يسمون العرب (بون) بتمطيش النون واستمر  
في بلاده مستبداً بالحكم فيها حتى دخلت سنة ١٣٠٦ هجرية ونشا القحط في  
السودان ونسل الناس من جميع النجاج الي فشوده جلب القلة فارسل التعالشي  
باخرتين تقلالن الف مقاتل احتلوا فشوده وكتب الي الملك عمر يأمره بتأدية  
عشر محصولات بلاده منذ عودته من جبل قدیر أي نحو ثمانى سنوات  
وأرسل له هدية من الجوارى الحسان والسكر ولبعض الابس فسألهم عن ثمره

السكر فاذا قوه طعمه فقال انه لذيد. ثم قال ان الجواري اللاتي أهداهن الي الخليفة يعني من قبولهن أنهن متمدئات يلبسن الثياب وكان يمكنني قبولهن لو كنت أجد هن في بلادي ثياباً مثل التي يلبسها وأخشى ان يصبن بضرر اذا أزمتهن بان يظللن عاريات مثل نسائي وأما الملابس فلا أستحسن أخذها حيث اني لم أعود لبسها والاولى ان اردتها الي الخليفة ليهديها الي من يلبسها وأما السكر فان في بلادي عسل النحل بكثرة ويمكنني أن استعويض به عنه واني وان وجدته لذيداً واشتيت نفسي تناوله ولكنني أمنمها عنه لانه غير موجود في بلادي اذا أخشى أن تعلق نفسي به في وقت لأجده فيه

واما الاعشار التي يطلب الخليفة مني تاديتها له فلا أدفعها اذ لست خاضعاً له لانني مولى من قبل المهدي الذي هو مثل (النيكامه) والخليفة ملك العرب وأنا ملك الشلك وانا مثله فلا تلزمني طاعته ولا تلزمه طاعتي غير انني أدفع له أني اردب من الغلال على سبيل الهدية ومكافأة له على هديته التي رفضت قبولها لمدم صلاحيتها لي

وكتب الملك عمر كتاباً الي التمايشي ضمنه هذا المعنى وأنفذه مع رسولين من قبله فقدا على التمايشي بام درمان فعجب من وجود من يحسن الكتابة عند الشلك وأخيراً علم أن الكاتب غلام ابوه مصري وأمه من الشلك وكان مع والده في الخرطوم حتي قتل يوم سقوطها ففر مع امه ولحق ببلاد الشلك اخواله وأمه قريبة احد رؤساء الشلك الكبار فجعله الملك كاتباً له

وحدث في بعض الايام ان أحد الدراويش أراد نهب جدي من ماشية لرجل من الشلك فلم تكدر تصل يد التمهدي الي لمس الجدي حتى

طعنه صاحبه بجرته جندته في الحال وثار الشلك كلهم ورفعوا رايات الحرب التي من عادتهم رفعها بالليل بكيفية يفهم منها اخذ الالهة للحرب وهي ان ياخذوا قناة يدهنونها بالزيت ويشملون النار فيها فيراها أهل القرية القريبة منها فيرفعون مثلها لأهل القرية التي تليها وهكذا حتى يعلم أهل البلاد كلها بالحرب في ليلة واحدة ويحتشدوا في أسرع ما يمكن ويرسلوا وفودهم لتلقى الأوامر بالحرب

وبعد عناء شديد وأخذ ورد بين قائد الدراويش وملك الشلك تاب التآرون إلى السكينة وعاد الأمن إلى مجراه

وكان مع الدراويش شلكي من رؤساء القرى التي في الشمال ولكنه بالنسبة لقربه من بلاد العرب تشبه بهم وصار يلبس الثياب فأخذه قائد الدراويش معه بصفة دليل واسمه (ايك) بن (غري) وهو من أقارب عائلة (كيكون) التي منها الملك كيكون بك. وحدثني أحد الحاضرين ان الملك عمر أرسل خمسين مقاتلا معهم عشرة من الشيوخ والكجور إلى منزل (ايك) وكان بجوار معسكر الدراويش تجلس العشرة معه ووقف الخسوس على بدهم واخذوا يوبخونه على مخالفتهم هواند الشلك وتشبهه بالعرب وانه جاء مع العرب بصفة دليل وعدوا ذلك خيانة للملك يعاقب عليها ثم نبوا عليه وضربوا عنقه وحمّلوا راسه إلى الملك فلم يجسر أحد من الدراويش على مقاومتهم أو الذب عنه واخيراً استاء التعاشي من عصيان الشلك وخطرت سلة ملكهم فجهز إليهم في سنة ١٣٠٨ الزاكي طمّل أمير جيش القلابات في نحو عشرين ألف مقاتل جلهم فرسان ومسلحون بأسلحة رامجتون فسار الزاكي من القصارف ثم اجتاز النيل واخترق الجزيرة حتى وصل إلى أطراف فشوده

وهناك وجد البواخر التي انفذها له التمايشي وحشد الملك عمر جيشه للذود عن بلاده فهاجمهم الدراويش هجوما عنيفا وقتل الملك عمرو حملت رأسه الى التمايشي

ومكث الزاكي نحو ثلاث سنوات في فشوده يعمل في الشكك السيف والنار فخربت القرى التي على ضفة النهر وسالت الدماء كالانهر وصادر ماشيتهم وارسلها الى الخليفة فكان يختار منها ما هو صالح للنتاج ويؤلف منه قطعانا ينتفع بتاجها ويبيع الباقي بواسطة بيت المال هذا عدا الارقاء الذين جلبهم منهم حتى هبط ثمن الجارية الى بضع ريالات وثمان الرأس من البقر الى ريالين وبالجملة ان الزاكي طمل خرب بلاد الشكك كلها ودمرها ووجب منها اهلها ارقاء اختار التمايشي نحو خمسة آلاف من غلمانهم جعلهم من ضمن الجهادية حراسا له وسيأتي ذكر بقية اخبار الزاكي وقتله

### ذكر بقية اخبار عثمان دقنه

قلنا في ما تقدم ان التمايشي استدعى عثمان دقنه الى ام درمان وعزز قوته بعشرة آلاف مقاتل مع أبي قرجة على اثر ما علمه من انحراف القبائل في السودان الشرقي ونفورهم عنه

ولما غادر عثمان دقنه طوكر افارت عليها القبائل الخارجة عليه بمساعدة بعض جنود الحكومة ثم عادت عنها بغير جدوى اذ لا مقاتلة فيها ولا جنود تدفع غارتهم عنها

وفي منتصف سنة ١٣٠٤ وصل عثمان دقنه الى سواكن معززا بقوة ابي قرجه الذي ولاه التمايشي على السودان الشرقي بدله اتقاء لثورة الاهلين ونفورهم

عن عثمان دقنه الذي شق عليه العزل ومكث في كسلة هو وابو قرجة الذي سار في الناس سيرة حسنة فثاب اكثر الثائرين على عثمان دقنه الي الطاعة وأمن أبو قرجة السبل واعاد الصلات التجارية بين مصوع وكسلة واخذ في مخابرة القبائل التي حوالي طوكر وسواكن بلهجة سلمية وقصد بذلك ارجاعها الي الطاعة فلم تفلح مخابراته لان انصار عثمان دقنه كانوا يذيمون في الناس أن ولاية ابي قرجة اسم بلا مسخي وأن الفرض منها تسكين الثوار حتى يعودوا الي الطاعة فاذا عادوا صاروا تحت سلطة عثمان دقنه الذي هو الأمر الناهي لابي قرجة في باطن الامر فقشلت مساعي ابي قرجة وذهبت ادراج الرياح على اثر اذاعة انصار عثمان دقنه هذه الاقوال التي لا تخلو عن الصحة

وأنفذ ابو قرجة حملات متتابعة الي بعض القبائل التي تسكن في المنطقة القريبة من حدود الاحباش حوالي جبلي (الهيكوت والمناع) وأكثرها القبائل مجوس لادين لهم وهم من قبائل الزنوج القديمة واشهرها قبيلتا ( الباريه والبازه ) وقوام معيشة هذه القبائل لحوم الماشية والصيد والالبان ويندر بينهم من يعرف الخبز وهم مثل سائر اهالي شرقي السودان من حيث العادات حيث لا يرفون اكل الخبز والخضراوات التي يمتبرونها غذاء الانعام يترفع عن اكلها الآدميون ويسكن معظم تلك القبائل فوق قمم الجبال الشاهقة وفي سفوحها وكهوفها التي يتخذونها معاقل اذا دهمهم عدو وهي متسعة بأوون اليها بماشيتهم التي هي الغنم والابل والبقر ورجال الباريه والبازه فرسان لا يشق لهم غبار ولا يصطلى لهم بنار يقطعون السبل ويمترضون القوافل للساب والنهب



ولهم عادات ومراسم تقرب مما نسمعه عن طوائف اليزيدية والدروز  
هذا وقد أثنى أبو قرجة في هذه القبائل وأغار عليها إغارات كثيرة  
ونهب شيئاً لا يحصي من ماشيتها

وبعد سنة زحف إلى طوكرو واحتل ( هندوب ) وهي موقع يبعد من  
سواكن ببضعة أميال وأغار على القبائل التي خلت الطاعة فظفر ببعضها وفر  
أكثرها ولجأ إلى الجبال واعتصم بالكهوف

وحصلت جملة مناوشات بين عثمان دقنة والاعراب الموالية للحكومة وبينه  
وبين الحكومة من جهة أخرى وقد جرح كتشنر باشا جرحاً خفيفاً في إحدى  
المناوشات وكان وقتئذ قرمندان حامية سواكن وكانت الحامية في غضون هذه  
المناوشات مشغولة ببناء الحصون وتشديد الأسوار على سواكن

ثم حصلت بعد ذلك واقعة بين عثمان دقنة وحامية سواكن قتل فيها  
ضابط إنكليزي اسمه السكاين تاب

وفي شهر رجب سنة ١٣٠٥ شفي كتشنر باشا وعاد إلى سواكن. وفيه  
هاجم عثمان دقنة مقلبي ( ردوت والجزه ) وأمد أبو قرجة عثمان دقنة  
بسبعة آلاف مقاتل وتمززت قوة الدراويش في هندوب ولكن خرق  
الخلاف اتسع بين عثمان دقنة وأبي قرجه فهذا يرى ان لا فائدة في مناوشة  
سواكن والمرابطة في هندوب وذلك يخالفه وتيممه بالجن وعدم الاقدام بل  
بالحيانة والميل لجانب الحكومة واذاع عثمان دقنة ان أبا قرجة كان يجتمع  
مع قواد الحكومة ليلا فاستدعى التعالشي أبا قرجة على أثر ما علمه من عثمان  
دقنة الذي أعيد للإمارة وخلالها الجو في السودان الشرقي

وفي شهر ذي الحجة من سنة ١٣٠٥ اشتدت مضايقة عثمان دقنة لسواكن حتى

اقتربت متاريسه من الاسوار وصارت على بعد خمسمائة ( رده ) فقط  
وعين عثمان دقنه رجلا دنقليا اسمه عثمان النائب قائداً للمقاتلة الذين  
في المتاريس الامائية ووالوا اطلاق النيران على سواكن حتى خيف سقوطها  
في أيديهم لولم تدركها حماية السفن الانكليزية في البحر وأحرق حصن شانه  
الذي كان من الشوك وضويقت سواكن وافتقرت حمايتها الى النجدة وكانت  
الحكومة ترى وقتئذ اجلاء الحامية وترك المدينة للدراويش وبعد مداوات  
قررت حفظها

ثم دخلت سنة ١٣٠٦ وسواكن في حالة ضيق شديد وطم العدو اكثر  
الآبار التي تستقي الحامية منها اذ كانت خارج الاسوار  
وفي أوائل شهر صفر من السنة المذكورة وضع عثمان دقنه المدافع على  
حصونه وصار يطلقها على حصون الحكومة فاندش القواد من انتظام  
مقدوفاتها واصابها المرمي

وفي ربيع الثاني من السنة المذكورة وصل الى سواكن الجنرال غرانفيل  
باشا سردار الجيش المصري وقتئذ فارسل اليه عثمان دقنه كتابا يخبره فيه بان  
أمين باشا حاكم أقاليم خط الاستواء والمستر ستانلي السائح الانكليزي المبعوث  
لاتخاذ حامية خط الاستواء قد وقعا في أسر المهذوبة وكان مقصده من ذلك  
الارهاب والتضليل

وبعد أيام قلائل هاجم الجنرال غرانفيل معاقل عثمان دقنه بعدة طوابير  
من الجيش المصري فدصرها وقتل من فيها من المدافعين وكانوا لايزيدون  
عن سبعمائة مقاتل ولكنهم بلوا بلاء حسناً ودافعوا عن موقعهم دفاع الأبطال  
وكانت هذه الواقعة في أواخر شهر ربيع الثاني عام ١٣٠٦ هجرية

وعقب واقعة المتاريس تقهقر عثمان دقنة الى طوكر وعسكر بها وكانت  
 الحجة وقتئذ ضاربةً اطنابها في انحاء السودان كله خلا طوكر فان الاقوات كانت  
 تجلب اليها من سواكن ومكث عثمان دقنة في طوكر بقية سنة ١٣٠٦ يوالى  
 الغارة على الاعراب الذين انحازوا الى الحكومة وشقوا عصا الطاعة  
 عليه لاشتداد وطأته عليهم حيث زاد المكوس زيادة فاحشة وصار  
 يقتل منهم في كل يوم عشرات فكانوا يهرعون الى الخليفة متظلمين منه فلا  
 يجدون لديه مايشفى غليلهم وكثيراً ماأمسك المتظلمين وجلدهم بالسياط  
 حتى أنه جلد واحداً منهم الفا وخسمائة جلدة بسياط قد وضعت فيها حلقات  
 من الاسلاك الحديدية حتى مات

ولما علم الاهلون ان لانصاف من عثمان دقنة ولا راحة من مظالمه  
 قلبوا للمهدوية ظهر المجن ووالوا الحكومة وحالفوها على حربه فوزعت  
 عليهم الاسلحة النارية ومن ثم اشتغل عثمان دقنة بالغارة عليهم وكان في اكثرها  
 يرجع مدحوراً متكبداً خسراً حمة

وفي أوائل سنة ١٣٠٧ استقدمه التمايشى الى ام درمان عن طريق بربر  
 ثم اذن له في العودة عن طريق القضارف فكسلة فطوكر واعطاه أمراً الى  
 جميع الامراء ان لايعترضوا من رغب من الناس في مصاحبته

ولما وصل القضارف تبعه أناس كثيرون من أهلها فارين من الحجة  
 التي أناخت عليهم بكالكها ومنهم كثير من اسري المصريين الذين كانوا في كسلة  
 ثم لما وصل الى كسلة تبعه كثير من المصريين أيضاً ولحقوا بطوكر فرارا من  
 الحجة أيضاً كمن تقدمهم

ووصل عثمان دقنة الى طوكر وجعل همه الغارة على الاعراب

الموالين للحكومة وسنعود الى ذكر بقية أخباره وهزيمته في طوكر

ذكر هزيمة الدراويش من هندوب وأخباراً ماراً  
أماراً اسم لقبيلة في ارباض سواكن وهي قبيلة رحالة ماشيتها من الابل  
والنعم ولنتها أعجمية مثل سائر سكان السودان الشرقي وكانت هاته القبيلة  
أول من خلع طاعة الحكومة وظاهر عثمان دقنة عليها وزعيمها أحمد بن محمود  
كان اكبر انصار المهديوية في أوائل الدعوة اليها ولم يكن لذلك من سبب سوي  
انه كان من صريدي الشيخ الطاهر المجذوب استاذ عثمان دقنة

ثم مالبث طويلًا حتى مج عثمان دقنة وبعضه بسبب ما رهنق به (أماراً)  
قبيلته من المظالم والمغارم واشتد الخصام بينهما فتحفز عثمان دقنة للوثبة على  
على احمد محمود شيخ أماراً والبطش به ففر ولجأ الى حكومة سواكن ثم فر منها  
ولحق بالتعايشي بام درمان وقدم مالا طائلاً الى يعقوب اخي التعايشي وسأله  
ان يكون وسيطاً له عند اخيه ليكتب له بالامارة على قومه على أن لا تلزمه  
طاعة عثمان دقنة فأجاب التعايشي طلبه وكتب له بالامارة على قومه وان  
يجعل معسكره في هندوب وفوض اليه أخذ العشور من التجار الذين  
يخرجون ببضائعهم من سواكن فعادر أحمد محمود أم درمان آياً الى سواكن  
في أواخر سنة ١٣٠٧ فتوفي في أحد المناهل التي بين بربر وسواكن وكتب  
التعايشي الى أحد اخوته بان ينوب عنه في عمله

وفي أوائل شهر رجب سنة ١٣٠٨ ارسل أحد جواسيس التعايشي في أصوان  
عدداً من اخدي الجرائد المصرية فيه أن عدة طواير من الجيش المصري  
ستبحر من السويس الى سواكن لتأليف قوة حربية تهجم معسكر الدراويش

في هندوب ثم تعود تلك القوة الى سواكن حيث تجر منها الى ثغر ( ترينكيتات )  
ومنه الى طوكر براً

وبعد ليلتين مضتا على وصول هذا النبا جاء الى التعايشي خبر من هندوب ان  
ثلاثة طوابير زحفت من سواكن على هندوب فباغت الدراويش عند شروق  
الشمس وكان شيخ ( أمارار ) ومن معه من قومه كانوا على علم بهذه المباغثة  
فامتطوا دوابهم ولم يبدوا أقل مقاومة وولوا مدبرين من وجه الحماية  
المصرية التي كانت سائرة الى المعسكر بسكينة وانتظام كأنها داخلة الى  
احدي ثكناتها العسكرية ونجا رجال ( أمارار ) ووقع في أسر الحكومة بعض  
اعراب من الذين يجهلون ما بين الحكومة وشيخ أمارار الذي قيل إن مآاته  
أخوه احمد محمود كان بايعاز من حكومة سواكن وان ما قدمه ليعقوب أخى  
التعايشي من المال كان من مصروفاتها السرية

ويدل على ذلك أنهم بعد هزيمتهم من هندوب عادوا الى سواكن من  
طريق آخر فقبولوا بالاكرام واجريت عليهم المراتب وبلغني أن موت أحمد  
محمود لم يكن الامن سم دسه له التعايشي في الدسم  
والحاصل ان قبائل السودان الشرقي التي كانت موالية لعثمان دقنة  
على الحكومة رجعت بالعداء عليه وصارت مع الحكومة عليه

### ذكر هزيمة عثمان دقنة من طوكر

ان من يتأمل في الحالة الاولى التي كان عليها عثمان دقنة في اوائل دعوته  
للمهدوية وما كان يصادفه في خطواته كلها من النجاح والظفر ثم ما آل اليه  
أمره من الفشل والهزيمة يرى انه قضى على نفوذه بنفس السلاح الذي كان

يضرب به هام رجال الحكومة

وذلك انك ترى فيما كتبناه عنه في ما تقدم من هذا الكتاب أنه أحرز شهرة تكاد تضارع شهرة المهدي نفسه لأنه قام بدعوة قبائل السودان الشرقي بالصفة التي تقدم ايرادها وكان في بداية أمره يتذرع بنفوذ استاذه الطاهر المجذوب ولكنه مع هذا النفوذ أظهر سياسة تكلفت بالثغاف القبائل حوله واستيلائه على قلوبهم حتى بلغ من أمره انه لو قال لهم خوضوا البحر الأحمر حتى تبلغوا الهند لبوا الى ذلك مسرعين

وتوجد مشابهة بين المهدي وعثمان دقنة وذلك أن المهدي عرف كيف يتمكن من التأثير على أهالي السودان بما يفتره من الدعاوي الطويلة العريضة وهي مهارة لا يتردد أحد في ان متوخها عرف ان لا سبيل للتأثير على الامم الا من الجهة التي تميل اليها

وكان عثمان دقنة يتأثر المهدي الذي كان ذا طلاقة في اللسان وتصرف في البيان يقدر معه على التعبير عما يكنه فؤاده بجمل عامية يفهمها الجهلاء ويمثلون بخمرة بلاغتها من حيث تأديتها المعنى المقصود بالفاظ عامية توافق أذواق السامعين سيما أهالي السودان الشرقي الذين لا يتكلمون باللغة العربية بل لغتهم أعجمية همجية وكان من المحال ان يبلغ المهدي غايته من التأثير عليهم فقام فيهم عثمان مقام المهدي وعرف طريقة استمالهم بما أوتي من البراعة في لغتهم حتى انه كان اذا قام فيهم واعظا أو خطيباً يؤثر عليهم تأثيراً يجعلهم له أطوع من بنائه

وكان يقرأ عليهم آيات القرآن الشريف ويعقبها بتفسير ممانها . على ان أهالي السودان الشرقي كانوا لا يعرفون من الاسلام الا اسمه وكانوا في

حالة بدواة تكاد تكون قريبة من حالة الشملك التي تقدم لنا وصفها  
 فاجتذب عثمان بمذوبة الفاظه وبلاغة كلامه أفئدتهم للإسلام حتى تمكن  
 الأيمان من قلوبهم وحكى لنا أكثر من واحد أنه جمع ذات ليلة نساء  
 (المهندوه) ووعظهن حائلهن على الصدقة وانفاق المال في سبيل الله فما  
 منهن واحدة الا ونزعت ما عليها من حلئ ومصاغ وألقته بين يديه فاجتمع  
 من هذه الصدقات مقدار وافر من الذهب والفضة وبلغ من حماس أولئك النسوة  
 انهن كن يرافقن أزواجهن في النزوات يحملن الماء والزاد لخدمة المقاتلين  
 ويجهزن على الجرحين بما يحملنه في أيديهن من السلاح حتى صرن يمثلن  
 باشلاء القتلى تمثيلاً شنيعاً وقد تقدم لنا ذكر ذلك

والحاصل ان عثمان دقنة نال حظوة في السودان الشرقي كانت كافلة له  
 أن يسبق بمد موت المهدي في مركزه ولو كره ذلك التمايشي الذي كان  
 يمجز عن مناواته ولكنه ما لبث أن انفض الناس من حوله وجاهره  
 بالعداوة ولا غر وفان الظلم مرتعه وخيم

هذا وقد أمد التمايشي عثمان دقنه بالجيوش الجرارة بقصد ارغام الاهالي  
 على الطاعة فلم تقرن أعماله بالنجاح ولو فرض أنه نجح في اخضاع الناس فلا  
 يكون خضوعهم الا مداراة حيث كانت القلوب منصرفة عنه كما بات التمايشي  
 في أخريات أيامه تداريه الالسننة والقلوب تتربص به الدوائر لتتخلص  
 من وطأة ظلمه الذي أرهقهم به

وأصبح عثمان دقنه أثر ذلك فريداً لا أنصار له من أهالي البلاد وكان جنده  
 عبارة عن المقاتلة التي أمدته التمايشي بهم وجلهم من مقاتلة أبي قرجة الذين  
 بنضوه ونفروا عنه لما كان بينه وبين قائدهم أبي قرجة من المنافسة التي تقدم لنا

الاماع اليها وفر أكثر هؤلاء المقاتلة ولحقوا بديارهم في الحرطوم لانه كان لا يعطيهم ما يقوم بحوائجهم الضرورية

ويظن كثير من الناس ان عثمان دقنه قد ندم في أخريات أيامه على ما فرط منه من متابعة المهدوية لما شاهده من أعمال التعاشي التي تخالف أعمال المهدي على خط مستقيم ولكنه كان لا يأمن جانب الحكومة بعد ان أتى ما أتاه معها

ولقد حكى لي أحد القواد الذين كانوا معه انه سامر في خلوة وقال له ان الحكومة تدعوني الى الطاعة وتعدني بكل خير ان أنا خضعت لها فماذا تظنها تفعل بي اذا أسلمت نفسي لها فقال القائد وقد ظنه يحتبر ما يضره لاتأمن جانب الكفار فاني أرى انهم اذا تمكنوا منك سجنوك وجعلوا غذاءك القلة تمضغها كما تمضغ الخيل الملوقة وربما فتقوا عينيك وتركوك في قعر السجن فاربداً وجه عثمان وقال له ما قلت الا حقاً

وحكي آخر ما يفهم منه ان عثمان دقنه أدرك خشونة مركبه وانه صار بلا سند في السودان الشرقى ولذا أصبح في حاجة للاستمرار على ولاء التعاشي الذي كان يبغضه في السر وينسب الى سوء ادارته ومظالمه خراب السودان وأنه قال يوماً لبعض خاصته ما يأتي

أحلف بكتاب الله هذا ( ووضعه يده على المصحف الشريف ) أتى لأخاف الا من ثلاثة فقال جليسه ومن هؤلاء الثلاثة فقال هم الخالق عز وجل والمجذوب بن أستاذي الشيخ الطاهر والخليفة التعاشي فقال له لم أفهم قصدك وأرجو أن تفصح لي عن مرادك فأجابه عثمان اني أخشي الله تعالى لانه قادر على خذلاني في الدنيا وعذابي في الآخرة وأما خوفي من المجذوب فلانه رجل



قليل الأدب يضيق صدرى من وقاحتها وأخشي أن تفرط مني كلمة تغير  
 خاطره ولو تغيراً خفيفاً فإكون قد أسأت والده أستاذى الشيخ الطاهر  
 الذى أجله وأحبه أكثر من حبي لنفسى وأفديه بأبويّ وانه كما علمت أهدي  
 الى الامارة وبوانى منصبها وانى أطلب من الله أن أخرج من الدنيا  
 وتكون حياتى ومالى فداء لشرائك نعل اى أحد من عتره أستاذى الشيخ  
 الطاهر رحمة الله عليه. وأما خوفى من الخليفة التعايشى (وعندئذ تنهد عثمان  
 وخنقته العبرة وقال يضيق صدرى ولا ينطلق لسانى) فانى أخاف ان أنا  
 خالفته ان يقبض عليّ وينفينى الى خط الاستواء (ثم سكت طويلاً) فقال  
 واقسم لك على كتاب الله انى لأهَاب الموت ولست جباناً وليكنى أتقى  
 شهادة الأعداء

ومن هذا الحديث يفهم القاريء ما وصلت اليه حالة عثمان دقنه من  
 الارتباك فى أيامه الاخيرة

ولما دخلت سنة ١٣٠٨ منعت الحكومة خروج الاقوات من سواكن  
 فتصاعدت الاسمار ثم عز وجود المؤنة فى معسكر طوكرفقر من المعسكر  
 كل من قدر على الفرار من المقاتلة وتجهز عثمان فيمن بقى معه منهم للغزوي  
 يحصلوا من النهب ما يقوم بحاجتهم من القوت فاوغل فى وسط الجبال ونازل  
 الاعراب الموالين للحكومة ففاجأه نبأ احتلال الجنود المصرية هندوب فاسرع  
 الوجة الى طوكر فبلغها قبل ان تهاجها الجنود ببضع ليال

وفى أواخر شهر رجب سنة ١٣٠٨ هاجم هو لدسميث باشا طوكر  
 ببضعة طواير من الجيش المصرى فخرج عثمان دقنه للقائه فى بضعة آلاف  
 مقاتل وانتشبت الحرب بين الفريقين وحاول الدراويش اقتحام المربع

فصدتهم المقدوفات وولوا منهزمين لابلون على شيء وكان عثمان واقفاً وراء مقاتلتهم بعيداً عنهم بمسافة ألفي متر  
وبعد الهزيمة احتملوا ماخف من امتعتهم ونساءهم وقصدوا كسلة وتخلف عن مرافقتهم عدد كبير من المصريين ولم تقدم القوة الي طوكر وخاف المصريون ان يكر عليهم عثمان في الليل فخلوا الاسلحة واستهدوا لدفعه عنهم حتي تبليج الصباح وسار أحد أسرى المصريين الي معسكر الجنود المصرية واخبر القائد بفرار عثمان دقته وتخلف المصريين عن مرافقته وانه ودر او يشه حملوا متاعهم ونساءهم وغادروا طوكر قاصدين كسلة منذ صباح أمس ولم يبق في طوكر غير المصريين الذين كانوا مأسورين فتقدمت الحامية واحتلت طوكر ومن العجب ان الجنود مدوا أيديهم وسلبوا ممتلكات المصريين وعاثوا في أعراضهم فلا حول ولا قوة الا بالله .

### شان عثمان دقنة بعد ذلك

لما انهزم عثمان دقنة من طوكر سار فيمن بقي معه من المقاتلة خائفين مذعورين يتبعون عن الفجاج التي تقرب من العمران ويختفون في الغابات خشية أن تشمر بهم قبائل الاعراب النازلة بين تلك الغابات والجمال وجعلوا وجهة سيرهم كسلة فهلكت دوابهم ومات اكثر الضمفاء من الاطفال والنساء ونفذت أقواتهم حتى صاروا يقتاتون بورق الشجر وكان سيرهم بطيئاً لما هم فيه من الجوع وفقدان الدواب والخوف من الاعداء ولما وصلت أنباء هزيمتهم الي التعايشي أظهر غضبه على عثمان دقنة ونسب اليه سوء التصرف في الاءور وان أنصاره ما انفضوا من حوله وتركوه

وحيداً إلا بسبب فظاظته وسوء سيره

وكان عثمان دقنه مدركاً لما أحرق به من الخطر بسبب غضب التمايشي الذي لا يطفؤه غير الرشا التي تدفع لآخيه يعقوب ويحسن أن أورد هنا قصة تحققت ثقة راويها وهي أن عثمان دقنة كان قد خبأ قدرًا عظيمًا من المال في أحد الجبال القريبة من كسلة فخرج في سيره إلى كسلة على ذلك الجبل وأخذ نحو مائتي ألف ريال وزرع منها خمسين ألفاً على من كان معه من الأعوان وحمل الباقي معه إلى أم درمان حيث بلغها في أواخر شهر ذي القعدة فدفع منه مائة ألف ريال ليعقوب أخى التمايشي الذي توسط له عند أخيه فصنع عنه. وفي أواخر شهر ذي الحجة أمر التمايشي عثمان دقنة أن يذهب إلى جهة ( دارامه ) على نهر أتبه بين بربر وكسلة وأن يجتهد هو وجنوده في زراعة الذرة ليحصلوا على قوتهم منها ودفع لهم نحو مائة رأس من البقر والغنم ليقتاتوا من نتاجها فمادر عثمان دقنة أم درمان وعسكر في ( دارامه ) وأخذ ينير على أطراف سواكن للسلب والنهب ولم تعد له أهمية تذكر

### حالة السودان بعد ذلك على الأجمال

ظهر لك مما تقدم كيف استبد التمايشي بالملك وكيف قدر على التغلب على من ناوأه وكيف أرهق البلاد بمظالم تنوء بحملها الجبال وقد ذكرنا ما حاق ببعض القبائل الكبيرة من الهلاك والدمار ولا يظن القاريء أن القبائل الصغيرة والعشائر التي تسكن القرى قد سلمت من ضرر هذا السيل الجارف فأنها نالت نصيباً من الحيف لا يقل عما نالته القبائل الكبيرة

عدا المجاعة التي عمت السودان كله

ونحن لم نذكر تفاصيل ما أصاب القبائل الصغيرة والعشائر التي تسكن القرى لعلنا ان ذلك يستغرق مجلدين ضخمين لا يقل حجمهما عن حجم كتابنا هذا ولكن الذي لا يدرك كله لا يترك جله. وهانحن موردون لك نرأمن تلك المظالم ليكون لك دليلا على ما أصاب السودان ونبدأ بذكر حادثة « قري وادي شعير » فنقول

هذه القرى واقعة في جنوب شرقي الخرطوم بمسيرة بضع مراحل وتبعد عن النيل الازرق بنحو عشرة أميال وأرضها خصبة توجد بمحاصيل وافرة من الذرة والقطن ذهب اليها جماعة من الدراويش لجباية الضرائب ثم دخلوا احدى القرى ومدوا أيديهم الى الماشية فذبحوا منها ما زاد على كفايتهم ثم نهبوا الاغذية من داخل البيوت فلم يعترضهم السكان ولا حركوا ساكناً لمنعهم بل تركوهم وشأنهم فدوا بعد ذلك أيديهم الى النساء وعبثوا بهن فهبّ الاهلون حينئذ ووقفوا في وجوههم وقفمة المدافع عن عرضه الذاب عن حريمه فلم يثن الدراويش عن الاعتداء ولجوا في الطغيان وضربوا الاهلين بالاسلحة فسقط منهم قتلى وجرح منهم كثيرون ونشبت الحرب بين الفريقين وسالت الدماء واستصرخ أهالي القري بعضهم وتألّبوا على قتال الدراويش الذين فروا أمامهم مدحورين حتى بلغوا ضفة النهر وهناك بمثوا يخبرون التعاشي فأرسل خمسة من النواب توجهوا الي محل الواقعة وعادوا فاخبروه بما وقفوا عليه فأصدر أمره بمصادرة أموال سكان تلك القرى وأخذ نساءهم مسبيات لانهم كفار حاربوا دراويش المهدي ولم يرضخوا لكل ما أتونه من المنكرات

هذا ما وقع لاهالي ( قري وادي شعير ) ولم توجد في بلاد السودان  
كلها قرية لم يقع لها مثل ما وقع لهاته القري وانما آوردنا جادتها مثالا يقاس  
عليه ما حاق ببقية القري لضيق المقام عن استيعابه

وكان من العوائد المألوفة عند الدراويش انهم اذا سافروا من بلد الى خري  
لا يحملون زاداً ولا ميرة بل يذبحون ما يصادفهم في طريقهم من الماشية  
ويدخلون منازل السكان يأخذون ما يجدونه فيها من الاغذية يأخذون  
الحبوب لعلف دوابهم وينزل القواد في منازل الاكابر فيقدمون لهم الاغذية  
الفاخرة وليتهم يقفون عند ذلك بل لا بد من دفع الرشا لهم فاذا تناولوا المال  
وأكلوا ماشاؤا من الاطعمة ورحلوا عن القرية أو البلد بدون أن ينتحلوا لها  
أسبابا يستحلون بها أخذ المال وسبب النساء عند ذلك من أكبر النعم على أهل  
تلك القرية وفي غالب الاحوال تكون نجاتهم هذه لاسباب منها ان لا تكون نساؤهم  
جميلات وأن لا تكون أموا لهم الا قدر ما يقوم ببعض ضرورياتهم أما اذا كانت  
النساء حسانا والمال زائدا عن الضروريات فلا بد لهم من يوم يذوقون فيه  
العذاب الاليم

ونقل اليّ واحد من المصريين سافر مع احدى السرايا الى جهة النيل  
الابيض وكان الدراويش زهاء أثنى مقاتل أنهم بعد ان غادروا أم درمان بمائة  
ميل ذبحوا مائة وخمسين رأسا من البقر ومائتي رأس من الغنم وهكذا كان  
فعلهم بالماشية التي تقابلهم في الطريق أما الغلال فكانوا لا يأخذون منها غير كفايتهم  
وفي ذات يوم وصلوا الى أحد الاسواق وفيه أجران النملة فهبوها وكانت  
نحو ثلاثة آلاف أردب

وجملة القول ان بلاد السودان في أوائل سنة ١٣٠٨ أصبحت بسبب

المجاعة فاقدة تسعة اعشار سكانها وأصبحت البلاد قاعا صفصفا وكان التعاشي انما رضى بتلك النتيجة لانه بها أمسي آمنة على ملكه من ثورة الاهالي عليه وأخذ في توزيع أقاربه البقارة واسكانهم في المقاطعات الحصيبة

أما بلاد كردفان فانها لم تصب بالمجاعة في السنتين الماضيتين لان الامطار هطلت فيها فيها غزيرة ولكن التعاشي أرسل لها نحو اثني عشر ألف فارس انتشروا في البلاد انتشار الجراد فالتهموا محصولاتها في أشهر قليلة وما جاء آخر سنة ١٣٠٧ حتى تصاعدت أسعار الاقوات ودخلت سنة ١٣٠٨ والمجاعة فاشية في إقليم كردفان وانحبس المطر عنها وهلك من هلك من السكان وفر باقيهم ورجؤا الى الجبال

ويرى الذين وقفوا على الحوادث السودانية منذ بدايتها ان المهذوية تلاشى أمرها منذ سنة ١٣٠٦ ولم تقم لها قائمة بعد ذلك وانهزمت جيوشها في أكثر الجهات ففي سنة ١٣٠٦ قتل ابن النجومى في حدود مصر وسيأتى ان الايطاليين هزموا الدراويش شر هزيمة قبل أن يحتلوا كسلة في واقعة (غردت) ثم أخذت في التلاشى والهبوط

ومن الحقائق التي لامراء فيها ان الحكومة المصرية لو قصدت فتح السودان في سنة ١٣٠٦ أو ما بعدها لقدرت على الاستيلاء عليه بغير عناء يذكر بالنسبة لما صادفته في طريق فتحه فقد أرسل اليها في سنة ١٣٠٦ أكثر الامراء المرابطين في دنقلة يرضون خضوعهم لها ويسألونها العفو عن جرائمهم

أما التعاشي وقومه البقارة فقد انغمسوا في الترف وتنعموا بالملاذوب ذلك فقدوا ما كان فيهم من صفات الشجاعة والبدادة ومع ذلك فقد كان لا يوجد بين الاهلين خمسة في المائة يخلصون لهم الولاء بل كان الكل يتنون

من ثقل وطأة مظالمهم ويتأففون من سوء سيرهم ولكن بقيت في قلوب  
 الاهلين بقية من الاعتقاد بمهدوية المهدي وكانوا يلقون تبعه المظالم كلها على عاتق  
 التعاشي ويسمون في الخلاص من ظلمه بمبايعه أحد الخليفتين على حلوه ومحمد  
 شريف الا أن آمالهم في هذا الأخير كانت أوثق منها في ذلك نظراً لقربته من  
 المهدي ولان ذلك كان له بعض حظ في دولة التعاشي

ومن المضحكات ان الناس لفرط ما أصابهم من ظلم التعاشي قام كثير  
 منهم وكل يزعم أنه المسيح عيسى بن مريم صلوات الله وسلامه عليه يرومون  
 بذلك الوصول الي سلب الملك من التعاشي اذ ظهور المسيح يعقب المهدي فكان  
 لا يمر يوم الا ويظهر فيه كثير منهم عدا الذي ذكرنا خبره في (القلابات)  
 ولقد قام رجل مصري من أهالي الخرطوم اسمه ( خليل جامع ) مدعياً  
 ان النبي صلى الله عليه وسلم أخبره بأنه خليفة عثمان بن عفان عليه  
 سبحانه الرضوان وأمره بتوزيع مافي بيت المال من الاموال فقبض عليه  
 وسيق الى التعاشي الذي كان يعرفه حيث كان متزوجاً بنت عمه فقال له  
 يا خليل ماهذا الذي تدعيه فأنهره وقال له هذا أمر جاءني من الله ورسوله  
 وأنت لا تجهله فقال التعاشي انه مجنون وان الجني الذي مسه ساكن في بيت  
 المال فاذهبوا به الى سجن بيت المال فكث فيه بضع سنوات ثم أطلق سبيله  
 واستمر على حالة جنونه

وكان بجوار بيت المال قبطي اسمه ( محروس ) يسكن مع قريبة له  
 اسمها ( مصطفية ) وكلاهما من أهالي الخرطوم أصيب ذلك الرجل بجنحة فصمد  
 علي رابية عالية وخطب في الناس قائلاً انه ( ماري جرجس ) فدنت منه  
 قريته المذكورة وقالت له يا محروس انك بدعواك هذه تلتصق بنا تهمة أننا

لا تزال نصاري فأرجوك أن تترك هذه الدعوى وتدعي غيرها كما يدعي المسلمون فاتهرها وقال لها اذهبي فقالت له انتظر الموت لان أصحاب الدعاوي الملائمة لاذواق المسلمين يقتلون ويسجنون فكيف بمن يدعي مثل دعوائك التي تدل على انه نصراني ثم هرع أقاربه اليه وحملوه الى داره فمات بعد أيام يسيرة

والحاصل ان اهل البلاد صاروا في حالة غريبة وجل الناس تغيرت عقيدتهم في المهديوية وتبدلت أميالهم نحوها بالنفور عنها ولم يعد التعايشي يثق بأحد من الاهالي غير أقاربه البقارة ولذا جمع الوفا من العبيد (الجهادية) وسلحهم بالاسلحة النارية

وقد نفي الى خيبر حادثة لأري بأسا بايرادها وان كنت لأجزم بصحتها وهي أن رجلا من التعايشة أقارب الغزالي الذي تقدم لنا ذكر قتله استأذن على التعايشي فأذن له ولمن معه وكانوا زهاء عشرين رجلا وبعدان أخذ الحراس مامعهم من السلاح دخلوا عليه وأجمعوه ضربا (ولم يشعر بذلك غلمانه لبعدهم عن غرفة جلوسه التي لا يؤذن لهم في الدنومنها الا اذا استدعي واحدا منهم) حتى أغشي عليه ثم تركوه وانصرفوا وكانت هذه النادرة في شهر ذي القعدة سنة ١٣٠٨ وفي الغد قبض على الرجل والذين كانوا معه ونفوا الى خط الاستواء واشتد مرض التعايشي حتي أرجف الناس بموته ومكث مريضا الى العشر الاولي من شهر ذي الحجة . وقد تضاربت أقوال الناس في اسباب نفي أولئك الرجال فمنهم من يرى ان السبب فيه هذه الحادثة ومنهم من يقول ان التعايشي أسر اليهم كلاما فافشوه في ليلتهم فقبض عليهم في الغد والذين رووا الحكاية الاولي يخالفونهم ويؤيدون قولهم بمرض



التعاشي والله أعلم بالحقيقة

وقد حدث في خلال السبع سنوات التي مضت على ولاية التعاشي كثير من الحوادث التي لو اوردناها لضاق بنا المقام وأخصها مصادرة أموال كثير من الاغنياء لاسباب تافهة ان لم نقل انها مختلفة يقصد بها الحصول على أموال الناس

وقد حور التعاشي اكثر الاحكام التي وضعها المهدي في الحدود منها أن المهدي لما كان في جبال قدير أصدر منشوراً بشأن الدخان قال فيه ما يأتي « من استعمل الدخان مضغاً في الفم أو حرقاً بالنار أو وضعا في الانف يجلد سبعا وعشرين جلدة بالسياط »

ثم بعد استيلائه على كردفان أصدر منشوراً آخر جعل فيه العقوبة ثمانين جلدة وحبس سبع ليال وبمثل هذه العقوبة يعاقب شارب الخمر. ولما ولي التعاشي قال للناس وهو على منبر الخطابة (من وجد في بيته ربع درهم من الدخان يجلد ثمانين جلدة ويؤخذ جميع ماله غنيمية للمسلمين) وذلك مخالف لما قاله المهدي وليست مخالفته من جهة العقوبة فقط بل ومن جهة ان المهدي اشترط ثبوت استعماله بالاوجه التي اوردناها وامتلات البلاد بالجواسيس الذين يتجمعون على المنازل لضبط الدخان مع أنهم يحملونه معهم ويدعون أنهم ضبطوه في المنزل ليتندرتوا الي مصادرة أموال أولى اليسار ولهم في ذلك حكايات يطول شرحها

ونقل لي ثقة مارايت ايراده تفكهاة للآقارى، وذلك ان أحد أهل العلم من أهالي الخرطوم فقد كل ما يملكه وقتل كثير من ذوى قرابته فصار في حالة تقرب من حالة الجنون. ومن نكاته المضحكة انه كان يتشامم من يوم الاثنين الذي كان فيه سقوط الخرطوم فكان يمتكف في داره لا يخرج

منها منذ عصر يوم الاحد ويصبح منقطعاً عن كل عمل كما يفعل اليهود في السبت  
ومكث على ذلك زهاء سنة ثم انه ذهب يوم الثلاثاء الى النهر للاستحمام فاختطفته  
الامواج وكان لا يحسن السباحة فأنشل بعد أن أشرف على الهلاك فخرج  
من النهر وهو يقول اللهم لا اعتراض على حكمك في يوم الاثنين عذبتنا بالقتل  
والنهب وفي يوم الثلاثاء عذبتنا بالفرق فتشاءم من يوم الثلاثاء أيضاً وصار يمتكف  
من عصر الاحد فلا يخرج الا صبيحة الاربعاء وبعد أشهر مضت وهو على  
هذه الحال دخل عليه في داره جماعة من الدراويش وأوسعوه ضرباً بدعوي انه  
يستعمل الدخان وبعد اللتيا والتي خلص منهم فقال اللهم ارفع غضبك عنا في  
يوم الاثنين عذبتنا بكذا وفي يوم الثلاثاء بكذا وفي يوم الاربعاء بالضرب  
بالسياط وتشاءم أيضاً من يوم الاربعاء وصار لا يخرج من داره الا في صبيحة  
يوم الخميس ثم توفى بعد ذلك رحمة الله عليه

هذا وقد أهتمك التعايشي وبطائه في الترف اكثر من ذى قبل  
وصار في حالة من السمن بحيث يكاد الذي رآه حين افضاء الملك اليه  
أن لا يعرفه وقد تقدم لنا انه كان نحيف الجسم مشوه الحلقة بآثار الجدري  
التي تركت في وجهه كهوفا صغيرة زادت في شناعة منظره أما في سنة ١٣٠٨  
فقد محيت آثار تلك الكهوف من وجهه فصار مستديراً بعد ان كان قبيحاً  
مستطيلاً وصارت عيناه كأنهما عينا لث يظهما الرأى مصابتين برمد لشدة  
احمرار بياضهما

وقد فعل التعايشي أشياء كثيرة تخالف ما كان المهدي ينهي عنه ويحذر من  
استعماله بل كان يرمي مستعملها بالمروق من جادة الحق وآداب الدين  
فقد كان المهدي يلبس حذاءً شرقياً ويلبس نعلاً عربياً سبق لنا تعريفها

وأما التمايشي فلا يوجد في بلاده الا النعال العربية فكان في بداية أمره لا يلبس غيرها وقد رأيت بعيني شقوق قدميه التي تكاد تخفى الحشرات الصغيرة فيها كل هذا ذهب وأصبح في خيبر كان وصار يلبس الاحذية الشرقية والحف

وكان المهدي قد حذر من سكني القصور وبالغ في ذلك حتى أزم الذين يشيدون المنازل بالابن النبيء ان لا يتجاوزوا في ارتفاعها أكثر من ذراع أو ذراعين وكان التمايشي شديد البغض لمن يرى داره مرتفعة عن هذا الحد وكثيراً ما أمر بهدم بعض المنازل التي يزيد ارتفاعها عن ذلك

هذا ما يعامل به الناس أما هو فقد شاد داراً واسعة شرقي الجامع واحاطها بسور من اللبن المحروق ورفع بناءها حتى كانت يخالها الانسان حصناً أو معقلاً وشاد قصرًا فيما يلي جدار المسجد وجعل نوافذه مطلة عليه وعلى ساحة الاستعراض « العرضة » الواقعة غربي المسجد ومنع الناس ان يقولوا انه « قصر » وكان القضاة يمزرون من يقول ذلك وقال التمايشي للناس انه ما شيده ليسكن فيه بل ليصعد عليه في كل غداة جمعة لينظر الى ساحة استعراض المقاتلة وأطلق عليه اسم « كشافة العرضة » مع ان نوافذ القصر كما قلنا مطلة على المسجد والناس يرون باعينهم المصاييح فيه وروائح العطر تفوح من نوافذه ولا يجسر أحد على القول بان التمايشي ساكن في ذلك القصر وهدم حمام سراي الحكمدارية ونقل انقاضه وأدواته من الخرطوم الى أم درمان وشاد بها حماما في داره يستحم فيه ونقل منبر مسجد الخرطوم ووضع في مسجد أم درمان وشاد فونه بناء شاهقاً واحاطه بمقصورة من قضبان الحديد وخصه بالخطابة

في غير الجمعة فاذا صعد عليه احتشد الناس حوله فيبدأهم بقوله « السلام عليكم يا أصحاب المهدي » فيردون تحيته ثم يكلمهم بما شاء ويأمرهم بما يريد ويعظمهم ويحثهم على مواظبة الصلوات الخمس في المسجد  
وجملة القول ان التعايشي تغيرت عليه قلوب الناس وتبدل ولاؤهم له  
بنضاً وسرت روح الثورة في جميع أنحاء البلاد وبتنا نتظر انقلاباً نرجو  
من ورائه فرجاً

ذكر تعيين المؤلف وجماعة من المصريين امرأ  
قلت اني لما رجعت من قرية ( ولد الزاكي ) في البحر الابيض اثر  
هرابي الى ( شركيله ) ورجوعي منها أسلمني التعايشي الى بقارى يقوم  
بحراستي في المسجد وقد ظلت خمس سنوات في اسره وسيأتي بيان ما قاسيته  
في تلك السنوات حتى دخلت سنة ١٣٠٩ هجرية وحالة السودان على الصفة  
التي بناها

وفي عصر أحد الايام سمعنا منادياً يقول ان الخليفة يدعو جميع اولاد  
الريف ( المصريين ) الى الاجتماع ضحوة الغد في ساحة دار أخيه يمقوب فقزعنا  
من هذا الخبر وبتنا بلبلة طويلة نتوقع في غداتها سوا يصيبنا وذلك ان التعايشي  
عودنا انه لا يدعونا الا لامر نكرهه وتقدم بيان بعض دعوائه فيما مضى  
وفي ضحوة الغد اجتمعنا في منزل أخيه يمقوب وكنت جالسا خلف  
المحتشدين من المصريين وكانوا زهاء خمسة آلاف رجل وبعده هنيئة جاء  
التعايشي فوقفنا اجلالاً له ورفعنا أصواتنا بكلمتي الشهادة فسلم على يوسف  
منصور رئيس الطوبجية المهديوية والسيد جمعه الذي كان مدير الناشر ثم صار

طوبجيا مع يوسف منصور وأتت عليهما وامتدح اخلاصهما للمهدوية وقال  
ياحبذا لو صار المصريون كلهم مثلها في الاخلاص للمهدوية ثم التفت الى  
يمينه ويساره وقال مالي لأرى ابراهيم فوزي فأسرعت بتلبية ندائه وخرجت  
من الصفوف فقال لي يافوزي أما ترى الاخوين الصادقين المخلصين لنا يوسف  
منصور والسيد جمعه فهلا اقتديت بهما وفات فعلهما ألم ترها يقضيان أكثر  
الوقت في بابي ولا تترتاح نفوسهم الى غير رؤيتي فقلت يا مولاي اني أشد اخلاصا  
منهما ولكنك لا تقربني منك كما قربتهما فسكت وقال لقد أزممتي الحجة ثم  
جلسنا وقد موالنا أربع زكائب مملوءة تمرا وثروها أمامنا على الارض  
فصرنا نأخذ التمر من التراب ونأكله فقلت له يا سيدي أريد أن أحمل جزءا  
من التمر تبركا لآل بيتي فضحك وقال لي حمل كل منكم ما شاء

وبعد الاكل استدعاني أنا واسكندر بك وأعطاني راية لا كون أميراً على  
جميع المصريين الذين كانوا من جند الحكومة النظاميين وودفع الى اسكندر بك  
راية وجعله أميراً على جماعة ( الحلبة ) أي الرعاع الذين يقضون حياتهم رحالة  
وبحتر فون بالنسول بعضهم بالقردة وبعضهم بالدفوف ويتغنون على  
نغماتها ويضحكون الناس وهم المعروفون في مصر باسم ( غجر الشام ) ودفع  
الى رجل كردي الاصل اسمه ( حسن قره شولي ) راية وجعله أميراً على  
الذين كانوا من جند الحكومة الغير نظاميين ( باش-بوزق ) وكان أيضا  
للمصريين أميراً آخر اسمه ( حسن حسين ) مصري الاصل كردفاني المولد  
والنشأة عنه المهدي أميراً على جميع ( المواليد ) وهم المصريون الذين ولدوا في  
انحاء السودان وكان حسن حسين هذا تقياً ورعاً صالحاً يتظاهر بالاخلاص  
للمهدوية ذا منزلة عالية عند المهدي والتعاليشي وسائر الامراء وموظفي المهديوية

وكان مع ما هو فيه من شدة التمسك بالمهدوية ذاتوية حسنة لقومه المصريين فكان يدافع عنهم عند التمايشي الذي كان لا يرد له قولا وكثيراً مادافع عنهم الضرر وبالجملة انه كان يريد منهم أن يتظاهروا بولاء المهدوية ليمكنوا من داخلتها ويقبضوا على كثير من وظائفها التي لا يمكن لغيرهم القبض عليها وقد ذكرت فيما تقدم انه رأى ابني محمد اي مثل تدخين السجارة فسأله عن ذلك فأجاب بقوله هكذا يفعل أبي وأخيراً حذرني من اطلاع هذا الصبي على مثل هذا العمل ولم يصنع معي شيئاً يكدرني مع ان مثل هذه المسألة لو وقف عليها غيره جلبت علي ضرراً بليغاً

وعلى ذكر المصريين نذكر هنا حالتهم اني كانوا عليها في اسر المهدوية وهي لا تقل عن الحالة التي قاسيتها الا أن بعضهم نالوا وظائف كتابية في بيت المال وعند عمال الحراج ونال بعضهم وظائف صناعة البارود وتعبئة الخرطوش وسائر الادوات الحربية وقد أشرنا الى ذلك فيما تقدم وفريق منهم وأكثرهم من الضباط وذوي المراتب السامية قبل الاسر احترقوا بهم نأفة وفتح كثير منهم حوانيت للاطعمة والخبز ومع ذلك كانوا كلهم في حالة الاضطهاد والتحقير من جميع السودانيين ولم يكن لذلك من سبب سوى بياض بشرتهم الذي يدل على جنسيتهم

ومن الغرائب المضحكة ان رجلاً كان جاوياً من مصر ياتم صار يبيع « الترمس » وكان يرفع صوته في السوق ويقول ( تفرج ) فأمسكه حاكم السوق وقال له انك تقصد بكلمة « تفرج » عبادة حكم الترك وزوال المهدوية فتصل من هذا التأويل وحلف انه لا يقصده فأمر بجلده فجد مائة جلدة وفي أثناء الجلد كان يصيح بقوله « لا تفرج » لا تفرج ثم إنه ترك

كلمة تفرح في ندائه على بيع الترمس واستبدالها بقوله «خليها على الله» فأمسكوه  
ثانياً وجلدوه بعد ان قالوا له انك تقصد بهذه الجملة مقصدك الاول ومثل  
هذه العبارة كثير يعد بالالوف ومنها ان امام أحد المساجد في الجزيرة قال في  
خطبة الجمعة « اللهم حولّ حالنا الى أحسن منه » فجلدوه وعزلوه وقالوا له انك  
تقصد عودة الحكومة السابقة فقال لهم ماذا أقول فقالوا قبل ( اللهم أدم علينا  
هذا الحال » فالتزم ذلك

على ان كثيراً من المصريين تقدموا عند المهديين ونالوا وظائف كتابية  
وصناعية جمّة كانوا بواسطتها في رغد من العيش الا انهم كانوا عرضة للسخرية  
والازدراء من العامة حيث كانت ألوان بشرتهم بيضاء وكانوا ممنوعين من السفر  
الى الجهات الشمالية كيلا يفرّوا الى مصر حتى ان التعايشي كتب منشوراً بأهدار  
دم أي مصري وجد في جهة ( خورشنبات ) شمالى بلدة أم درمان بسبعة  
أميال تقريباً

هذا وقد فاتني ان اذكر ان التعايشي لما مثلت بين يديه في هذه المقابلة  
قال يافوزي ان النصارى كتبوا لنا في شأنك وهم على ما ظنن يوجبونك فقطعت  
عليه الكلام وقلت هم يوجبونني لانني خدمتهم باخلاص فيما مضى وانني أقسم  
بالله اني أخدمك باخلاص أشد مما خدمتهم به لانني اذا كنت خدمتهم  
بصدق وهم كفار فكيف لا أخدمك وأنت خليفة المهدي عليه السلام الذي  
هو خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم فضحك وتمايل طرباً من هذا  
المدح وقال لي جزاك الله خيراً وبارك فيك أيها الرجل الصادق

هذا وقد فرحت بالامارة لانني رجوت بها خلاصاً من ربقة الموكلين  
بحراستي في المسجد الذين سيحجّء ذكر ما قاسيته من عذابهم بضع مدة سنوات

## ذكر ملازمتي الصلوات في المسجد

قد تقدمتني لما فررت في أوائل سنة ١٣٠٥ عدت الى أم درمان بالكيفية التي مرّ الكلام عليها

وفي يوم عودتي الى أم درمان اسلمني التعاشي الى بقاري يقوم بحراستي في الصفوف التي خلف مقصورته ولما رأي ذلك البقاري قال (يا ولد الريف) لماذا أنت ضخم الجثة ولماذا وجهك أبيض مع أنك كافر فقلت هكذا خلقني الخالق فقال احمل سلاحي وسر خلفي خملت سلاحه وذهب معي الى منزلي وتناول طعام العشاء معي

وفي اليوم التالي بدأت بأداء الصلوات بجانب ذلك البقاري الذي انضم اليه آخر ليكونا معاً في حراستي فكانا ينعمانى من الخروج من المسجد ولو لقضاء حاجة الوضوء كما ينعمانى من أخذ الراحة فلا أجلس الا جأياً على ركبتي كما يجلس المصلى وقال لي يوماً (يا ولد الريف) اعلم أنك كافر وان الخليفة اسلمك الينا لنعلمك الصلاة والصوم وضيقاً على حيث صرت لا أقدر على التخلف عن الصلاة بالمسجد وكان منزلي يبعد عن المسجد جهة الجنوب بنحو أربعة أميال فكنت أخرج من منزلي قبل طلوع الفجر بنحو ساعتين وبعد أداء الصلاة أجلس لقراءة (راتب المهدي) حتى ترتفع الشمس ثم أعود لصلاة الظهر قبل نهاية الساعة الثامنة من النهار على الحساب العربي لانهم انما يصلون الظهر في بداية الساعة التاسعة وبعد نحو ساعتين يصلون العصر وفي بعض الاحيان لا يصلون العصر الا قبل الغروب بنحو ساعة وصلاة المغرب في الغالب تكون بعد غروب الشمس بنحو ثلثي ساعة وبعد ذلك اذهب



الى منزلي الذي كنت لا أدرك فيه راحة اكثر من بضع ساعات حتى صرت في حالة يرثي لها من العذاب الاليم والحاجة الى الراحة فانفقت مع البقاريين الحارسين على ان أدفع لهما ريالين عن كل وقت أتخلف فيه عن حضور الصلاة فقبلا بعمد رجاء شديد وعدا ذلك أنهما كانا يذهبان معي الى منزلي ويتناولان معي الطعام ويكافئاني بشراء ملابس لهما ولاولادهما ونساءهما بعد كل شهرين أو ثلاثة وفي بعض الاحيان يأخذني احدهما الى الحلي الذي تقيم فيه عشيرتهم فيجتمع حولي منهم نحو مائتي شخص أظل نهاري كله اكتب لهم الخطابات الى ذويهم في جهات مختلفة واقرا لهم الخطابات التي تأتيهم منهم وكلهم يدعونني (النوبي الذي دفعه الخليفة رقيقاً لهم)

وتصنع نساؤهم آنية من سعف (الدوم) محكمة الاطراف الى درجة ان الماء لا يقطر منها كانها من الاجسام الصلبة وتتخذها الناس آنية يشربون فيها الماء فكانا يأتياني ببضع اواني منها في الاسبوع ويكافئاني ببيعها والويل ثم الويل لي اذا لم أجد من يشتريها فكنت أحملها واذهب الى معارفي واكفهم بشرائها وأعود بثمنها اليهما .

وفي ذات يوم قضيت نحو نصف النهار ولم أجد من يشتري تلك الآنية فعدت بها اليهما فانتماظا وقال لي انك لا تزال كافراً يا منحوس وسنخبر الخليفة بذلك نجهد الدم في عروق واسرعت الى حانوت أحد أصدقائي التجار وكان أوروبيا والدمع يسيل على خدي فاخبرته الخبر فاسرع باعطائي ثمن الاواني وأخذها لنفسه فعدت اليهما ودفعته لهما فقال لي الآن اسلمت .

وصرت بعد ذلك الح عليهما واكثر الاعتذار حتى صارا يقبلان ريالاً واحداً عن كل وقت من أوقات الصلاة أتخلف عن حضورى فيه ثم بعد بضعة شهور

أعدت الرجاء عليهما حتى رضيا بثلاثة ارباع الريال ثم بنصفه وهكذا حتى صرت ادفع عن كل وقت قرشين

ولما اشتدت المجاعة في سنتي ١٣٠٦ و ١٣٠٧ كانا يقولان لي يظهر لنا انك في سعة من العيش فكنت أحلف لهم اني في نهاية الضنك وفقدان القوت وكنت في ذات يوم تناولت غذاء من اللحم وجئت المسجد فتجشيت فصاح بي هل تغذيت بلحم فقلت كلا فغضبا وشماني وقال لي انك لا تزال مصرا على الكفر وكلما اعتقدنا فيك حسن الاسلام يبدو منك ما يغير هذا الاعتقاد لانك تاكل اللحم وحدك فاجتهدت في نفي هذه التهمة عني وزدت لهما الراتب وبعد عناء شديد تحصلت على رضاها وصرت أمانع التجشي وانا جالس معهما

ومما يشبه هذه النادرة ان أحدهما قال لي يوما ان بنته مريضة وهي تشتهي السكر فقلت له اني ما ذقته منذ خرجت من الخرطوم لان المهدي أوصاني بالزهد في الدنيا والسكر ذو طعم حلو لا يليق بالزهاد تناوله فتمجبا من قولي وقال لي لا بد من احضار (عجل سكر) هكذا يسمون القمع من السكر فقلت لهما ان ثمنه مرتفع جداً ولا يمكنني دفعه وبعد اللتيا والتي تمكنت من إقناعهما بتركه وقلت في نفسي يكفيني تقديم الملابس لهما ومعلوم الاوقات فاذا فتحت باب السكر واللحم اكون قد جنيت على نفسي جناية ربما كانت مغبتها سيئة على

ومكثت على مثل هذه الاحوال من سنة ١٣٠٥ هجرية الي أوائل سنة ١٢٠٩ حيث تعينت اميراً كما مر

ولما تعينت اميراً امتنعت من حضور الصلاة بجانب دينك البقاريين

فاعلمنا التعايشي فاستدعاني وهو جالس في مقصوره بالمسجد وقال لما  
 ذا امتنعت من حضور الصلاة مع رفيقك قلت له يا مولاي انك عينتني  
 اميراً ولا ريب انك رايت في أهلية لان اكون مرشداً لمن وليتني عليهم فانا  
 أقوم اليوم بتربيتهم وحضور الصلاة معهم فضحك وقال لذيالك البقاريين  
 ارتكاه وبذلك خلصت من ربة ذلها وبت أماناً من وشايتها في اكثر أوقاتي  
 والله الحمد من قبل ومن بعد

ويوجد مئات من الناس قضوا اكثر ايام المهديونية في مثل هذا الحال الذي  
 وصفناه وكثير منهم فقدوا ثروة طائلة في سبيل استرضاء الموكلين  
 بحراستهم بمثل الطريقة التي تقدم الكلام عليها مما يدل على ان المقصود الحقيقي  
 من وضع الناس تحت المراقبة في الصلاة هو تسريب مافي جيوبهم من المال  
 الى جيوب ضعماء البقارة وكذلك أمر السجن فان السجنان واعوانه يتناولون  
 من المسجونين أموالاً طائلة حتي أصبح السجنانون ارباب أموال كثيرة

### ذكر انتفاض الخليفة شريف واولاد المهدي

الخليفة شريف ابن عم المهدي وثالث الخلفاء كما مر الالماع الى ذلك وهو  
 الذي لقب ( بخليفة الكرار ) وكان قبل وفاة المهدي صاحب الخطوة عنده  
 بالرغم عن تقدم التعايشي عليه

وقد ذكرنا انتفاضه على التعايشي بعد وفاة المهدي وكان للمهدي ثلاثة  
 اولادهم الفاضل ومحمد والبشري وكانوا في سن الطفولية لما توفي أبوه  
 وفي أوائل سنة ١٣٠٧ زوج التعايشي محمد بن المهدي بنته واسكنه  
 معه في داره فكان يظهر لها الكراهة والنفور لان التعايشي اضطهد اخوته

وأقاربه ومنع عنهم العطاء من بيت المال منذ وفاة المهدي فكان الخليفة شريف يعطى مرتباً شهرياً يبلغ مائتي ريان وهو قدر زهيد بالنسبة لما كان يتناوله في أيام المهدي وليتهم كانوا ينقدونه اياه في كل شهر اذ الحقيقة انه كان لا يقبضه الا مرتين أو ثلاثاً على الاكثر في السنة كلها وزد على ذلك أن التمايشي انتزع راياته من يده ووزع جيوشه التي اهمها الجيش الذي هلك مع ابن النجومي في الحدود المصرية

وكان للخليفة شريف حراس من ذوي قرابته يطلق عليهم اسم (الملازمية) يركبون الحيول الكريمة ويحملون الحراب الطويلة ويحيطون به كلما خرج من داره فانزعهم التمايشي منه والحقهم بثمان دقنة في السودان الشرقي وبالجملة أصبح الخليفة شريف مجرداً عن كل مميزات الخلافة التي كان حائزاً أو فر نصيب منها في أيام قريبه المهدي وكذلك أولاد المهدي الذين ذكرناهم فانهم صاروا في نهاية الاضطهاد الا محمداً الذي تزوج بنت التمايشي فانه كان معتمنيا بشؤونها ويقدم الطعام لها ولصهره فقط

وكان للمهدي أولاد غير هؤلاء في سن الطفولية ونساء يزيد عددن على المائة وكان الكل في نهاية الضنك يتضورون جوعاً ولما فشت المجاعة في سنتي ١٣٠٦ و ١٣٠٧ كادوا يهلكون من الجوع لولم يتداركهم ذووم

ولما دخلت سنة ١٣٠٩ وصارت حالة السودان الى ماأشرنا اليه وتغيرت قلوب الاهلين وتحفزوا للوثبة على التمايشي اغتم الخليفة شريف وأولاد المهدي والمضطهدون من أقاربهم هذه الفرصة وارسلوا الدعاة سرا الى بلاد الجزيرة يدعون الاهلين للانتفاض على التمايشي ومبايعة الخليفة شريف

وضربوا لذلك اجلا يجتمعون فيه بام درمان وهو السابع والعشرون من شهر رجب سنة ١٣٠٩ ودخل في هذه البيعة كثير من الوجوه والقواد واكثرهم من حزب التعايشى الذى لم يكن عالما مما دبروه حتى اذا كانت ليلة الثانى والعشرين من شهر ربيع الثانى دخل عليه أحد الجواسيس وأوقفه على المسألة فاستدعى رجلا من أهالي كردفان وهو دنقلى الاصل اسمه السيد المكي بن اسماعيل الولي وكان أول انسان بايعه يوم توفى سلفه المهدي وقال له اذهب الى الخليفة شريف وبايعه بما يريد على شرط ان تقف على مادبره وتخبرني به فاطاعه وذهب الى شريف وعاهده على المصحف الشريف وعلم منه كل ما يريد التعايشى الوقوف عليه ثم عاد اليه واخبره به فجمع التعايشى أخاه يعقوب وذوي قرابته ليتداولوا في الامر فقر رأيهم على ان يهجم رجال التعايشى على الخليفة شريف وأولاد المهدي ويقبضوا عليهم قبل ان يحل الاجل المضروب وكان فوزى وأحمدى ابنا محمود باريه الدنقليان كاتين للتعايشى فاعلما الخليفة شريفا بما أجمع عليه رأى للتعايشى لانهما كانا ممن عاهدوه على اتمام أمره

وفى اليوم الثالث والعشرين من شهر ربيع الثانى فشا الخبر بين الناس فاصدر التعايشى أمرا الى الجهادية بالزحف من ممسكرهم الى داره فخرجت الجهادية مارة على (الموردة) وما حولها من السوق فهبوا كل ماصادفهم فى طريقهم حتى وصلوا الى دار التعايشى

واجتمع حول منزل الخليفة شريف نحو عشرة آلاف مقاتل جلهم من الدناقلة وأهالى القرى التي حول أم درمان وكان منزل التعايشى لا يبعد عن منزل الخليفة شريف باكثر من مائة متر واحتشد فى المسجد اكثر السكان الذين يظن التعايشى أنهم مع عدوه فاصر الجهادية بالوقوف على أبواب المسجد ومنع من به

من الخروج حتى لا ينضموا الى الخليفة شريف وحولت الازقة التي بين منزل الخليفة شريف ومنزل التعايشي الى متاريس وخطوط نار

وكان التعايشي وقتئذ في بيته فلم يخرج حتى وثق من ان مقدوفات المنتقضين لا تصل اليه وأقيمت عدة متاريس على جدار منزل المهدي الملاصق لمنزل الخليفة شريف ووقع الرعب في قلوب البقارة وفر ثلاثمائة فارس منهم قاصدين كردفان وبلغ الحماس مبلغا عظيما من المنتقضين حتى ان النساء تسلحن مع الرجال وفي اصيل النهار هجمت مائة امرأة منهم على نحو خمسين فارسا من البقارة كانوا يستقون خيولهم على ضفة النهر فاسعوم ضربا بالاصحى ففروا وتركوا خيولهم غنيمة للنساء المتحمسات

وبات الناس ليلتهم يحترس بعضهم من بعض والتعايشي يرسل الرسل الى الخليفة شريف ويبلغ له الكلام

وفي منتصف الليل هجمت رجال الخليفة شريف على صفوف التعايشي حتى زحزحوهم عن مواقيهم ونهبوا بعض أمتعتهم

وانضم الى الخليفة شريف أحمد سليمان الذي كان أمينا لبيت مال المهدي وسعيد محمد فرج من رؤساء القبائل في دنقلة وكان قد وفد على التعايشي في أم درمان متظلم من يونس الديكم أمير دنقلة وانضم اليه أيضا شايب بن أحمد أحد أمراء الدناقلة المشهورين وكان مع عثمان دنقنة وأخبار فروسيته وإقدامه معروفة يتحدث بها أهل سواكن

أما موقف الخليفة على حلو الملقب (بخليفة الفاروق) في هذا الانتقاض فكان موقف خديعة للخليفة شريف ومباطنة للتعايشي لانه كان يظهر للخليفة شريف انه معه ويقال انه هو الذي أخذ به التعايشي بأمر انتقاض الخليفة

شريف عليه

وقد جمع الخليفة على حلو مقاتلته وكانوا زهاء خمسة آلاف فارس ونحو عشرة آلاف من الرجال وكلهم من عشيرته (دغيم وكثانة) وهم الذين مرلنا الكلام على انهم اول من بايع المهدي يوم اجتاز النهر من جزيرة آبا الى الضفة الغربية وهم الذين نصره في جبال (قدير)

وفي غداة اليوم التالي فرق التعايشي مقاتلته فأحاطوا بمنزل الخليفة شريف من جميع الجهات وابتدأ إطلاق النيران من الفريقين واستمر نحو ساعتين لم تظهر في خلالهما نتيجة غلبة أحدهما وهجم شايب احمد شاهرا سيفه على مائتين من جهادية التعايشي فولوا مذعورين

وفي ساعة وقوع القتال كان الخليفة على حلو مع الخليفة شريف يعرض عليه شروط الصلح وهي كما يأتي

أولا تعاد للخليفة شريف راياته

ثانياً يدفع له مرتب ٢٠٠٠ ريال في كل شهر

ثالثاً يدفع لكل واحد من اولاد المهدي مرتب يكفيه

رابعاً يمفو التعايشي عن كل الذين بايعوا شريف على الانتقاض

خامساً يتعهد الخليفة على حلو بانفاذ هذه الشروط

سادساً يعزل يعقوب أخو التعايشي عن وزارة أخيه لانه مرتش

ولانه سبب جميع المظالم التي أخرجت البلاد

سابعاً يعزل قاضي الاسلام أحمد على

ثامناً لا يقطع التعايشي أمراً دون مشاورة الخليفة شريف

تاسعاً يطلق سراح محمد خالد زقل (الذي تقدم لنا ذكر سجنه)

وقد تم الاتفاق شفاهياً على هذه الاوجه وحلف الخليفة على حلوه على المصحف الشريف أن يكون ظهيراً للخليفة شريف ان لم تنفذ هذه الشروط ثم اصطحب الخليفة شريفاً معه الى منزل التمايشي الذي قابله بالتجلة والاكرام وأخذ يبكي ويعانق الخليفة شريفاً ويقول له ان المهدي جاءه في الحضرة وأمره باجابة مطالب الخليفة شريف وان النبي صلى الله عليه وسلم أوصاه به وحلف التمايشي على المصحف أنه لا يبدل شرطاً من الشروط التي اشترطها عليه الخليفة شريف وانصرف الخليفة شريف الى داره وارسل له التمايشي ثلاثة آلاف ريال وأمر الناس بالكف عن الحرب وأمر الرؤساء بالذهاب الى تجديد بيعة التمايشي فوقع ذلك على الجميع موقع الصاعقة وعلّموا ان ذلك خدعة وان التمايشي سيقنعن منهم فلاموا الخليفة شريفاً على تسرعه في ابرام الصلح بدون مشورتهم فاخذ يؤكدهم استمالة اقدام التمايشي على الانتقام منهم فمزوا بقوله ولكنهم لم يجدوا سبيلاً عن الكف عن الحرب والتوجه لمبايعة التمايشي الذي قابلهم بالبشاسة والاكرام وعفا عنهم وحلف لهم على الوفاء بما جاء في الشروط التي أوردناه انهم يصدقوه وايقنوا ان العاقبة وخيمة

ويقال ان الخليفة شريفاً عمداً الى المصالحة مضمراً انه قد رحيث كان موعد الاجتماع عليه في أواخر شهر رجب فصالح على ان يقوم بأمره عند حلول ذلك الاجل حيث يجتمع عليه الناس ولكن ساء فانه واتخذ التمايشي الحيلة لاجباط ذلك كله

وفي اليوم التالي ركب التمايشي في نحو ستة آلاف فارس واجتاز الاحياء التي يسكن فيها المنتقون مع الخليفة شريف وأمر الفرسان بنهب ما في المنازل



من المناع فعملوا وكانوا يجردون النساء من ملابسهن حتى المآزر  
وانفذ السرايا الى الجزيرة فقبضوا على رؤساء الذين بايعوا الخليفة شريفا  
ونهبوا أموالهم

على ان اكثر الناس كانوا مشايخين للخليفة شريف وكانوا على يقين بان  
قيامه سيأتي بفائدة الخلاص من نير البقارة وأنه لو لم يصالح على الشروط المتقدمة  
وشهر الحرب لظهر على التمايشي الذي لا قوة عنده غير الجهادية الذين اكثرهم  
يظاهرونه على التمايشي

والحاصل ان ثورة الخليفة شريف جاءت مغتبا سيئة عليه وعلى كثير من  
الذين مالوا اليه اذ يبلغ عدد من ذهبت دماؤهم هدرآ بسببها بضعة آلاف شخص  
كلهم ماتوا في المنى وقتلوا بسيف انتقام التمايشي كما سيأتي ذكر ذلك كله في  
مكانه فلا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم

ذكر القبض على كبار حزب الخليفة شريف وقتلهم  
تقدم لنا الكلام على المعاهدة التي انحسرت بها ثورة الخليفة شريف  
وقد مضت على هذه المعاهدة اثنان وعشرون ليلة يبدى التمايشي في كل يوم  
منها من دلائل الاحترام للخليفة شريف ما جعله له أطوع من بنانه حتى  
أسلمه جميع الاسلحة النارية التي كانت عنده وكانت تبلغ زهاء الفى بنديقة من طرز  
وامنجنون وكان التمايشي يركب في كل يوم والى جانبه الخليفة شريف الذي هممه  
بكثره عطايا حتى وردت عليه انباء من انفذهم للقبض على رؤساء القبائل الذين  
لهم ضلع مع الخليفة شريف وجمى بهم مقرنين في الاصفاة فقلب له ظهر  
الحجن وأرسل في اليوم الثالث والعشرين لتقرير المعاهدة من قبل على أحمد

سليمان امين بيت مال المهدي وفوزي واحمدي ابني محمود باريه واخويهما  
 وسعيد محمد فرج من رؤساء قبائل دنقلة وادريس وريدي احد قضاة  
 بيت المال وهو قريب فوزي واخوته وخمسة عشر رجلا من اقارب  
 المهدي وبني عمومته وكلهم من الذين أسسوا دعوي المهديوية وجمي  
 بهم الى منزل التعايشي وكان جالسا ومعه القضاة والخليفتان على حلوه ومحمد  
 شريف فلما مثلوا بين يديه رحب بهم وهش وبش في وجوههم كأنهم  
 مدعوون لولية عنده وأمرهم بالجلوس وبالغ في اكرامهم ثم قال لهم  
 يا اخواني ان النبي صلى الله عليه وسلم أمرني في الحضرة ان ازجكم في  
 السجن اياما قلائل ريثما يأمرني باطلاقكم فما قولكم فاجابه الخليفة  
 شريف بقوله لا يمكن سجنهم لان ذلك مخالف لما تعاهدنا عليه فسكت التعايشي  
 وأجاب الخليفة على حلوه الخليفة شريفا بحدة وغضب قائلا أنت تعارض  
 في أمر النبي صلى الله عليه وسلم ووثب رجل من قواد (دغيم) اسمه  
 ابن أبي بلال وانهر الخليفة شريفا وقال له كان المهدي قريبا يحكم في  
 الخلق باصر الحضرة ولا يستطيع احد ان ينكر عليه فلماذا أنتم اليوم تحرمون  
 على غيركم ما كان لكم حلالا بالامس فسكت الخليفة شريف وعلم ان  
 الخدعة تمت عليه وترك الكلام في أمر معارضته في حبس رؤساء حزبه  
 وأخذ يحتج على ما كان من اهانة ابن أبي بلال له مع ان ذلك لم يحصل  
 منذ قامت دعوة المهديوية لانه لا عقاب لمن يتجارى على مخاطبة  
 أحد الخلفاء اقل شيء تشبه منه رائحة الاهانة غير القتل فقير التعايشي الكلام  
 وخطب أحمد سليمان بمبارات المحبة والتبجيل وذكر قربه من المهدي  
 وحظوته عنده ثم قال يا اخواني طبوا نفسا ولا تظنوا سوا قوموا واذهبوا

الى السجن الذي أمر النبي صلى الله عليه وسلم بادخالكم فيه وقال للخبراء الذين يحيطون بهم سروا السجن ان لا يضع في رجلى كل واحد منهم غير قيد صغير لانهم من أجل أصحاب المهدي عليه السلام وذوى قرابته ثم قال لهم هيا اذهبوا على بركة الله فودعوه وخرجوا من الباب فاحاط بهم نحو خمسمائة بقارى وضربوهم الضرب الذي يسمونه (مطر دصبت) وكيفية ان يجتمع مائة نفر فاكثر ويضربوا بالعصى شخصاً واحداً أو عدة أشخاص

ثم سيقوا الى السجن وعاد الخبراء واخبروا التعاشى بانهم قد اودعواهم السجن فامر الناس بالانصراف الا واحداً من أقاربه فلما انصرفوا قال لاحد الخبراء عد الى السجن وقل له ضع في كل واحد عشرة قيود وزن كل قيد عشرون رطلا من الحديد ثم قال لقريبه اعلم انى منذ ست وعشرين ليلة مازار اليوم اجفاني أى من يوم سمعت بامر الخليفة شريف الذي لم يكن في ظني ان مساعى تقرن في مسألته بالنجاح وتأتى بمثل هذه النتيجة المرضية ومنذ حبست أحمد سليمان ومن معه شعرت براحة في نفسى وهجم النوم على جفنى فاستودعك الله لاننى ذاهب الى حجرة نومي فودعوه وانصرف ودخل التعاشى الى حجرة نومه فلم يستيقظ الا بعد ظهر اليوم التالي ومكث أحمد سليمان ومن معه ثلاثين ليلة في السجن ثم حملوا الى فشوده على إحدى البواخر النيلية وأرسل معهم التعاشى كتابا الى الزاكي طمل وكان معسكراً وقتئذ في فشوده لقتال (الشلك) كما قدمنا

ولما وصلوا اليه استدعاهم في مجالس خاص بقواده وخاطبهم لماذا يامعشر الدناقلة تحاربون خليفة المهدي فردوا عليه أقبح رد وقالوا له ان المهدي الذي أورثكم الملك دنقلى منا وانتم بقارة ارقاء فساءه ذلك وقال لهم لا قتلنكم كما قتل

الكلاب وأمر أن يضرب كل واحد منهم عشرة أشخاص بالعصى انغليظة حتى يموت فكثروا على هذه الحالة بضع ساعات حتى تهشمت رؤسهم وسحقت سحقاً

ولما شرعوا في ضربهم قال أحمد سليمان لفوزي نحن الآن على شفا الموت ولا مطمع لنا في الحياة فانا أناشدك الله هل المنشور الذي يتلى كل يوم في المسجد وفيه ان التعاشي أوتي الحكمة وفصل الخطاب مطابق للاصل الذي صدر من المهدي فقال فوزي اللهم لا بل التعاشي هو الذي أمرني بوضع الزيادة التي زيدت فيه فقال أحمد سليمان اعلموا ان المهدي كان ينوي الفتك بعبد الله التعاشي ولم يستخلفه الا لانه كان مظلماً على كثير من اسراره وكان يظن انه ترك قوة عظيمة في يد الخليفة شريف نقدر على كبح جماح التعاشي متى أراد الخروج عن طوره ولكن بالأسف ان الخليفة شريف خدع في بداية الامر وأسلم رايته للتعاشي وأصبح بلا قوة ثم خدع في هذه المرة وسيلاتي ماجنته يداه فالتفت اليهما سعيد محمد فرح وقال لهما كفا عن هذا الهديان واعلم يا أحمد بن سليمان ان مهديكم كاذب ظالم وعقله اسخف من عقل قريبه الخليفة شريف والدليل على ذلك انه لم يختر من جميع الناس الذين تبعوه ممن هو أهل لخلافته غير بقارى أجهل من الحمار وليته كان بقاريا ذا حيثية في قومه بل هو كما يعلم الكل ذكرورى من أوباش البقارة ثم طرأ عليهم كلهم مامنهم عن الكلام فأتوا وألقيت اسلاؤهم للكلاب والذئاب وكانوا كلهم عدا سعيد محمد فرح من اكبر انصار المهدي ومن خيرة اعوانه وقد تقدم لنا كلام عن أحمد سليمان ومنزلته عند المهدي فلا حاجة لاعادته هنا وقد ذكرت أيضا ما لحقني من تمذيبه لى

أما فوزي واخوته فأنهم كما قلنا دنقلون كان أبوهم قاضيا في أحد مراكز  
 كردفان فلحق فوزي بكتابة التعاشي حتى صار رئيسهم  
 وقد صودرت أهوالهم وأخذت نساؤهم مسيات وهدمت منازلهم  
 وأصبحوا عبرة لمن يعتبر والي الله مصير كل شيء

### ذكر القبض علي الخليفة شريف وحبسه

لما قبض التعاشي على احمد سليمان ومن معه لزم الخليفة شريف منزله  
 وامتنع من الذهاب الى منزل التعاشي الذي أمر بالقبض على نحو ألفي رجل  
 من حزب الخليفة شريف ونفاهم الى النيل الاعلى وقتل اكثرهم في الطريق  
 وشاع بين الناس ان التعاشي ظفر بالقائمة التي فيها أسماء من بايعوا  
 الخليفة شريفا وجلهم من الامراء ووجوه البلاد فخافوا العاقبة وأرسلوا  
 للخليفة شريف سرا يدعونه للفرار من أم درمان والحق بالجزيرة  
 ليظروا مبايعته ويقوموا بأمره وحينئذ يكون أحد الامرين إما الموت  
 أو الظفر وهذا قريب من الصحة لما قدمناه من انحراف الناس عن التعاشي  
 وسميهم في الخلاص من يده

ولما كان الخليفة شريف هذا بليدا لم يلتفت لما أشار به أنصاره ولم يعبا بما  
 عرضوه عليه من الآراء الخازمة وظل مقيدا في داره حتى شاع بين الناس  
 ان التعاشي أوشك أن يقبض عليه فذهب واحد من خواصه وأخبره  
 بذلك فسخر منه وقال له ان ذلك لا يمكن أبدا لاني ثالث الخلقاء وان  
 المهدي أخبرني في أحد منشوراته بان المهدي لا تقوم قائمتها بغيري  
 وعلى ذكر المنشور نقول انه يوجد منشور منسوب للمهدي ولكنه لم يدرج

ضمن كتاب المنشورات التي تقدم لنا ايراد بعضها لان التعاشي منع من طبعه  
وفي المنشور مميزات وألغاز كالتالي يستعملها بعض المتصوفة ومنها كلمتا (دهودي  
بهمودي) وفيه أيضا عبارة تشبه اللغز وهي ( انه لن يصح انتقال من الدنيا  
حقيقية مادام الخليفة شريف موجوداً بها )

على ان بعض الناس ينكرون صدور هذا المنشور من المهدي والحاصل  
ان الخليفة شريف كان آمناً على نفسه اعتماداً على هذه الخزعبلات ولذلك لم  
يبدأ بمشورة الذين حثوه على الفرار

وتوجد مسألة خلاف ندية بين التعاشي والخليفة شريف وهي ان  
المهدي زعم في أوائل دعواه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم أهده سيفا  
قال له هذا سيف النصر وخاصيته أنه لا ينصر أحد على من كان حاملاً له وقد  
جعل له من ضمن الكرامات التي خص بها وقد تقدم ذلك في كثير من  
المنشورات التي تقدم ايرادها

ولما توفي المهدي أمسك الخليفة شريف هذا السيف وامتنع من تسليمه  
للتعاشي الذي كان يلج في طلبه من الخليفة شريف لالاعتقاد بما يقال عنه  
بل لانه كان يرى ان بقاء هذا السيف في يد غيره يخفض من شأنه قليلاً في  
حقوق الخلافة اذ العامة من الدراويش تحدث بشيء كثير عن كرامات هذا  
السيف فيقول بعضهم انه يضطرب ويسمع له صوت كقصف الرعد اذا  
اقترب العدو من مدينة المهدي. ومنهم من يقول انه اذا اقترب منه الجنب  
ضرب عنقه بغير ضارب ولا يستطيع أحد حمله غير صاحبه المهدي الى غير  
ذلك من أقوال البسطاء. ونقل لي مصري كان مقرباً من المهدي انه سيف  
مثل سائر السيوف وليس فيه خاصية مما تحدث به العامة ويصدق البسطاء

وشعراء المهديونية ينظمون فيه الموشحات ويذكرونه كثيرا في قصائدهم  
وكان الخليفة شريف متقاده في غضون ثورته

وفي اليوم الثالث من شهر رجب سنة ١٣٠٩ جمع التمايشي القضاة  
والامراء وطلب منهم ان يكتبوا محضرا يقولون فيه ان الخليفة شريفا  
اعتزل الجمعة والجماعة واصر على العصيان ولزم منزله فكتبوا ذلك ثم قال لهم اذهبوا  
مع الخليفة نبي حلو وادعوه الى الحضور في داخل قبة المهدي ثم اقبضوا  
عليه فذهبوا وارسل اليه الخليفة على حلو يدعوه الى الحضور فامسكه محمد أحد  
أولاد المهدي وقال له لا تذهب واعتذر بانك مريض فاذا أرخى الليل سدوله  
فاهرب الى الجزيرة فقال له لا تخف فانهم لا يستطيعون اىصال الاذي الى  
فذهب معهم وما كاد يستقر به المجلس حتي وثب عليه من حوله وقبضوا عليه  
واخذوا سيف النصر من يده وأوسعوه ضربا وساقوه الى باب التمايشي  
وأسلموه للحراس الذين أخذوا يلطمونه ويهينونه ودخل الخليفة على حلو  
والقضاة على التمايشي واخبروه بما صنعوا. ويقال ان التمايشي طلب منهم ان  
يوافقوه على صلبه وأخيراً أمر به فسيق الى السجن وما وصله الا بعد أن بلغت  
روحه التراقي لكثرة ما لحقه من الضرب وهناك وضعوا في رجليه عشرة  
قيود من الحديد ووضعوا في عنقه جنزيراً وزنه خمسون رطلا وسنعود الي  
ذكر بقية أخباره

ذكر القبض علي عبد القادر ساتي علي

ومحمد عبد الكريم وقتلها

عبد القادر ساتي علي ابن عم المهدي ومحمد بن عبد الكريم

ابن أخى عبد القادر ساني على وكان الاول فقيها شاعراً أديباً ولد في الخرطوم  
 وتربى فيها ولحق بقريبه المهدي في كردفان فاکرم وفادته وعرف منزلته  
 وصار مبعجلاً عنده وعهد اليه برئاسة الامناء الذين ينوبون عنه في نظر المسائل  
 العمومية وجعله أميناً على خاتمه

وكان عبد القادر ساني على شديد البغض للتعايشي يعيبه بالجهل ويرميه  
 بالظلم وكثيراً ما طلب من المهدي اقصاءه عن منصب الخلافة وكان يمانه في  
 انفاذ كثير من مآربه ويزدرية ويحقره ولا يجلس بين يديه جاثياً على ركبته  
 كما هي عادة الدراويش في آداب الجلوس عنده

ولما توفي المهدي كان أول عمل أتاه التعايشي عزل عبد القادر عن منصبه  
 ثم بعد بضع سنوات صادر أمواله وحبس به بضعة شهور. وكان لعبد القادر معرفة  
 بالطب فاشتغل بهذه المهنة ليحصل منها على قوته حتى اتصل بالتعايشي ان  
 عبد القادر أصبح ذا ثروة عظيمة من مهنة التطبيب فاستدعاه الى مجلس حافل  
 بالقضاة وقال له لا يليق بك وأنت عم الامام المهدي عليه السلام ان تشتغل  
 بمهنة ذنينة كالتطبيب فقال له (نعم يليق بعم المهدي ان يموت جوعاً) فقال له  
 اياك ثم اياك والتطبيب واعلم أنك ان لم تنته عن هذه الصناعة تكن قد  
 عصيت أمرى وأنت عالم بعقوبة من يعصيني فذهب الى منزله وامتنع من  
 التطبيب خوفاً على حياته حتى صار في حالة يرثى لها من الفقر وفقدان القوت  
 وأما محمد عبد الكريم فانه ابن عم المهدي وكان من اكبر قواده وهو  
 الذي فتح سنار واغتال منها قناطر مقلطرة من الذهب كما سبق الكلام على ذلك  
 وكانت طريقته في الازدراء بالتعايشي لا تختلف عن طريقة عمه عبد القادر  
 وقد صادر التعايشي أمواله أيضاً جملة مرات



ولما انتقض الخليفة شريف كان محمد عبد الكريم معه أما عمه عبد القادر فكان ملتزماً بجانب الحيات

وبعد ان قبض التمايشي على الخليفة شريف وسجنه قبض على عبد القادر ساتي وابن أخيه محمد عبد الكريم وأرسلهما الى الزاكي طمل في فشوده فقتلها ما ضربا بالعصى كما قتل احمد سليمان ومن معه

وقد جرت بينهما وبين الزاكي طمل مكالمة تشبه التي جرت بينه وبين احمد سليمان ورفقائه وقد أظهر عبد القادر ساتي عليّ جلدًا وشجاعة بخلاف ابن أخيه محمد عبد الكريم فإنه جبن وخارت عزيمته وطمع في الحياة بالتزلف للزاكي الذي كان لامندوحة له عن انفاذ ما أمر به التمايشي

هذا وقد جئنا بذكر قتل هذين لشهرتهما بين أقارب المهدي الذين يقدر عدد من قتل منهم ومن اقاربهم بسبب هذه الحادثة بنحو ثلاثة آلاف رجل عدا الشيبان الذين كانوا حراسا للخليفة شريف فقد طرح عدد كبير منهم طعمة لاسماك النيل

وكان لمحمد عبد الكريم محظيات في نهاية الحسن والجمال فكان التمايشي يرسل الي الواحد منهن ويجلبها الي منزله فاذا قضي منها وطره أخرجها وأعادها الي منزلها

### ذكر شأن نساء المهدي مع التمايشي

ذكرنا ان المهدي مات عن نيف ومائة امرأة اكثرهن قد استحل وطأهن بملك اليمين على الطريقة التي تقدم الكلام عليها فلاحاجة لاعادتها ولما مات المهدي وأتمت النسوة عدة الموت جمع التمايشي الخلفاء

والقضاة وعرض عليهم سبيل كل امرأة لم ترزق ولداً من المهدي  
لأن كثيراً منهم لم يقترب منهم فعارض الخليفة شريف في هذا الأمر وقال  
إن نساء المهدي كنساء النبي صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله وهن أمهات  
المؤمنين اللواتي أمرهن الله بعدم الخروج من بيوتهن وأورد الآيات التي  
نزلت في نساء النبي صلى الله عليه وسلم كأنها نزلت في نساء المهدي فقبل  
الحاضرون قوله وأعرضوا عما أشار به التعاشي

ومكث أولئك النسوة في داخل بيت يسكن كل خمس منهن في كوخ  
من البوص واجري التعاشي على كل واحدة منهن راتباً شهرياً قدره خمس  
ريالات يتناولنه في السنة كلها مرتين أو ثلاثة ووكّل حراستهم إلى نحو خمسين  
من الحصيان الذين كانوا ملوكاً لوجوه وأعيان المصريين في سائر مدن السودان  
وصارت حالة النساء والحصيان تنتقل من سيء إلى أسوأ. وبالجملة لولم  
يكن لهاته النسوة أقارب يتداركوهن ببعض القوت لمتن من الجوع  
وكذلك الحصيان كان قوام معيشتهم من التسول ومد ايدي السؤال للإمراء  
واعيان البلاد

وفي سنتي المجاعة مات كثير من النساء اللواتي لم يكن لهن أقارب ومات  
كثير من أطفالهن أولاد المهدي

وكن كلما شكون إلى التعاشي ماهن فيه من شظف العيش يبكي وينتحب  
ويقول لهن إنكن آل بيت المهدي لا نصيب لكن في الدنيا وليس لكن غير الآخرة  
حتى إذا كانت سنة ١٣٠٩ وانتقض الخليفة شريف على التعاشي قام نساء  
المهدي بمظاهرة ولاء للخليفة شريف فاغتاز التعاشي وأمر بإحاطة منزل  
المهدي بسور من الحجارة ليفصله عن ملاصقة منزل الخليفة شريف وبعد أن

قبض على الخليفة شريف جاء التعاشي الى منزل المهدي ومعه ألف مقاتل  
 مسلحون بالاسلحة النارية فاحاطوا بنساء المهدي وهن داخل ستر وضع لهن  
 وقال لهن ( انكن عصيتن الله ورسوله ومهديه وكفرتن بهم وقد حكم القضاء  
 باعدنكم رميا بالرصاص ) فرفعن رؤسهن فوجدن أفواه البنادق موجهة  
 اليهن نصرخن ولطن وجوههن ومنهن من هربن لتساق الجدران التي  
 كانت تناطح السحاب ومنهن من القت نفسها في بئر وبالجملة ان أولئك النساء  
 روعن روعا شديداً فضلاً عما هن واقعات فيه من شظف العيش وسوء الحال  
 ولما رأي التعاشي ما صارت اليه حالتهن وأن بعضهن ثبتن وقلن له انا  
 لا نرهب الموت المحدي تهـمدنا به لانك انما تقتل نسوة لا يشرفك قتلهن  
 ومع ذلك فان قتلنا شيء لا يذكر في جانب كفرانك بنعمة المهدي الذي أجاسك  
 على الملك فاذا كنت تنادي كل يوم ويلة على رؤس الاشهاد بان المهدي  
 دنقلي فان قتلنا لا يذكر في جانب هذه الشتائم

ويقال ان زينب اكبر بنات المهدي امرة الخليفة شريف أغلظت  
 له القول واهاته بالشتائم فانصرف وقال لنساء المهدي اني عفوت عنكن وانما  
 قصدت بفعل هذا ارهاب اللواتي تظاهرن منكن بولاء الخليفة شريف  
 والحاصل ان نساء المهدي وخصميانه كثروا في الذل والهوان يقاسون  
 من شظف العيش أشده حتى فتحت أم درمان وانقشع ظلم دولة الدراويش  
 عن السودان

### ذكر سجن اولاد المهدي

لم يكتف التعاشي بما فعله بالخليفة شريف والذين بايعوه حتى أمسك اولاد

المهدي الثلاثة وهم الفاضل ومحمد والبشرى وسجنهم في منزل جدهم لامهم أحمد شرفي ومنعهم من الخروج منه وكان محمد متزوجا بنت التعايشي فسلمها منه ومكث الثلاثة في الحبس ولم يخرجوا منه الا بعد استيلاء الجيش المصري على دنقة

على ان اولاد المهدي لم يكونوا طامعين في الخلافة وانما كانوا متدمرين مما اصاب ذوي قرابتهم من الظلم والاضطهاد ثم القتل والنفي وكان محمد كما قبلنا متزوجا بنت التعايشي وكان يبغضها ويسب اباها بحضرتها ويذكر كفرانه بنعمة ابيه وعدم وفائه بعهده فكانت تخبر اباها بذلك كله حتى آل الامر لطلاقها منه

وعلى ذكر اولاد المهدي نذكر الشيخ الحسين زهرا الذي اوردنا قصيدته الحمزية التي امتدح بها المهدي ونصحته خبسه التعايشي ثم انه بعد وفاة المهدي قدم للتعايشي قصيدة ملامها بالنصح ومن ضمنها قوله له ان استخفافك باولاد المهدي واضطهادك لاقاربه يحملان الناس على الاعتقاد بانك غير مصدق بمهديته فغضب عليه التعايشي وسجنه وبعد ايام اطلقه وامره ان يسكن في قربه في جهات (المسلمية) على بعد ثمان مراحل من أم درمان جهة الجنوب والحاصل ان جميع اقارب المهدي أصبحوا بين قتلى ومسجونين وكذلك الامراء والقواد الذين أسسوا دعوة المهديوية معه فقد فعل بهم التعايشي ما فعله باقارب المهدي وأولاده ولا غرو فان المهدي سبب كل هذه المصائب التي حاقت باقاربه وقواده حيث استخلف التعايشي عليهم وهو لا يدري ان عدوا عاقلا خير من صديق جاهل

## ذكر مؤامرة عبد المولى صابون علي قتل التعايشي

عبد المولى صابون اخو حمدان أبي عنجة فاتح بلاد الحبشة الذي تقدم لنا ذكره وكان عبد المولى هذا قائدا للجهادية في أم درمان وفي سنة ١٣٠٥ أصيب بمرض الجذام وقد مر لنا الكلام على ان التعايشي كان يحبه وانه قد نفى أم زوجته بعد ان قطع يدها لما قيل له ان مرض عبد المولى ناتج من كثرة ما تصنعه له من الشعوذة والاسحار اللتين تقصد بهما استمالته لمحبة بنتها ولما توفي حمدان أبو عنجة في الانقلابات كان أخوه عبد المولى يتوق لنيل منصبه فلم يفلح وولى التعايشي الزاكي طمل بدل أبي عنجة وعزل عبد المولى أخاه من قيادة الجهادية وولى بدله أحد أقاربه البقارة فاغتاظ عبد المولى من التعايشي وأضر له السوء وحالف الخليفة شريفا عليه ولكنه لم يظهر مخالفته له وانضم اليه نفر من التعايشة أقارب الغزالي الذي تقدم لنا ان التعايشي قتله لما فر من أم درمان وتأسروا على قتل التعايشي غرة بين منزله ومنزل أخيه يعقوب حيث تعود التعايشي ان يسير بينهما بحراس قبايلين وكن المتأسرون في الطربق قبل الوقت الذي يخرج فيه التعايشي من داره الى دار أخيه يعقوب بنحو ساعة من الزمن ليفتكوا به اذ ذاك

وبدنا كان التعايشي يتأهب للخروج استأذن عليه أحد المتأسرين فاذن له ولدي دخوله عليه ترامي عليه مظهرات توبته واخبره بما دبره له عبد المولى ومن معه فارسل التعايشي من قبض عليهم وأودعهم السجن ثم نفوا الى خط الاستواء وهناك لقوا حتفهم

وكان عبد المولى هذا ذافظاظة وكبر ونال من الرفعة والثروة في أيام التعايشي

ماله خطر مع انه عبد اسود من عبيد (البنضلة) لمجاورين للتمعايشة كما انه أخذ من حرار النساء نحو خمسين امرأة من بنات الاعيان كلهن موطوات بملك اليمين

وبعد سقوط الخرطوم بامين كان لي عبد قد أبق ولحق بجهادية أم درمان الذين يقودهم عبد المولى هذا فذهبت اليه أسأله ان يعطيني ذلك العبد أو ثمنه فكان أول كلمة كلني بها أن قال لماذا أنت ضخم يا ولد الريف أعندك مال مخبأ تخرج منه ما تنفقته على نفسك فطار لي من هذا الكلام وقلت له لا يا سيدي بل أنا رجل فقير أعيش من هبات سادتي الامراء امثالك فقال وهل هبات الامراء تسمنك الى هذا الحد فقلت نعم وان مولاي خليفة المهدي عليه السلام يتعاهدني باحسانه في كثير من الاوقات فانكسرت شوكة حدته وقال لي ماذا تطلب الآن فقلت أطلب عبدي فقال أنت عبده فقلت له نعم انني عبده لانه صار عبداً فشفع لي عنده أحد الحاضرين فقال اني سمحت لك باخذ العبد اكراما لحاظ من شفيع فيك واحذر من ان تعود الي بمثل هذا الطلب فاني اذ ذك أضرب عنقك هذا المملوء لهما فاخذت العبد وانصرفت به الى النخاس وبمته باول ثمن عرضه على فيه

### ذكر قدوم محمود احمد من دارفور

مر لنا الكلام على موت عثمان آدم أمير دارفور وتولية محمود أحمد ابن عم التعماشي بدله وذلك في سنة ١٣٠٧ وقد سار محمود هذا سيرة عوجاء أوجبت انحراف القواد عنه ونفور الجنود عن ولأته واشتدت الحالة في إبان ثورة الخليفة شريف فتخوف التعماشي من هذه الحركة وكتب الى محمود

ليستقدمه الى أم درمان بمن معه من المقاتلة وقصد بذلك ان يهرب أهالي الجزيرة الذين مالوا للخليفة شريف ويربهم قوة التي في دارفور وأن يوفق بين محمود والذين نعموا عليه من جنوده ومقاتلته فقاد محمود أحمد الفاشر عاصمة دارفور ومعه نحو أربعين الف مقاتل منهم بضعة آلاف من الجهادية ومثلهم من الفرسان والبقية من المشاة

وبعد ان وصلوا الى جهة (الزود) وهي أول بلاد كردفان مما يلي دارفور ثار عليه قواد الجهادية واطلقوا عليه الرصاص وكادوا يقتلونه وكانت عدة اثوار خمسة عشرة قائدا يقود كل واحد منهم مائة مقاتل كلهم مسلحون بالاسلحة النارية من طرز (رامنجتون) وانفصل الثوار عن المعسكر وابتعدوا عنه فإرسل اليهم محمود قاضي المعسكر يدعوهم الى الطاعة ويعدمهم بلعنوا عن جريمتهم ثم دفع لكل واحد منهم الف ريال فآخذوا المال ولم يقبل العودة الى الطاعة غير ثلاثة منهم وأصر الباقون على عصيانهم وابتعدوا عن المعسكر ولحقوا بجبال (اب جنوب) وهي جبال واقعة في الجنوب الغربي لكردفان وسكنها من العبيد (النوبة) الذين تقدم لنا الكلام عنهم فلا حاجة لتكراره هنا ووصل محمود الى أم درمان في منتصف ذي القعدة سنة ١٣٠٧ أي بعد ان زالت مخاوف التمايشي من الخليفة شريف والذين بايعوه فخرج لاستقباله خارج البلدة وظهر سروراً عظيماً بمقدمه وبالغ في اكرامه الى درجة انه أمر بعمل ألعاب نارية اجريت امام محمود وجنوده وهي أول مرة صنعت فيها تلك الألعاب في ايام المهديوية

وارتفعت أسعار الاقوات على أثر قدوم محمود أحمد ومقاتلته الذين قدموا بنحو مائة الف نسمة من الارقاء باعواها في أم درمان كما تباع البهائم

وقدم محمود هذا، والاطائلة للتمايشي وأخيه يعقوب

ثم انه تزوج براقصة شهيرة اسمها بنت بدوى كان الشعراء يتغزلون  
ببراعتها في الرقص وجاهر في حفلات الزواج بشرب الخمر وأحيى ايامه  
الرقص بما يخالف آداب المهذوبة وصادر كثيراً من الجوارى المومسات  
وأشهرهن جارية اسمها « السكات » وجمع حوله كثيراً من الخمشين والمغنين  
الذين تقدم لنا الكلام عليهم وسيأتي ذكر الجارية السكات وانها اباحت قرية  
( الجمباب ) للجهادية فهبوا وألحقوا بها العار

وأقام محمود بام درمان بضعة شهور ثم قفل راجعاً بجنوده الى دارفور  
وستجيء بقية أخباره

## ذكر القبض على امرأ الجميلين ونفيهم

ذكرنا ان جل تجار كردفان من قبيلة (الجميلين) التي تسكن بربر وقد سبق  
لنا شرح احوالهم فلاحاجة لاعادته هنا وقد استوطنوا كردفان منذ زمن مديد  
وكان من أمرهم انهم أعانوا المهدي على الاستيلاء على الابيض عاصمة كردفان  
وكان الياس باشا أم بربر في مقدمة أولئك التجار الذين تقدم لنا الكلام عليهم  
وقبيل ثورة الخليفة شريف باشا جمع التمايشي نحو أربعين من أمراء  
الجميلين ودفع لكل واحد منهم راية وكان من بينهم عمر بن الياس باشا لذي  
ذكرنا بمض مآثاته في دارفور لما ذهب اليها مع محمد خالد زقل

وعين التمايشي قائداً عاماً على الاربعين أميراً اسمه البدوى بن العريف  
كان أخوه محمد بن العريف سر تجار الابيض عاصمة كردفان ومن أكبر الذين



ساعدوا المهدي على الاستيلاء عليها

ولما ثار الخليفة شريف كان هؤلاء الامراء في جملة من بايعوه من الناس فوشى بهم الى النعاشي أحد خصميه المسمى « شكر الله » ثم ذهب أولئك الامراء وأخبروا النعاشي بانهم ما فعلوا ذلك الا ليقفوا على سر المسألة كي يوففوه عليه فشكرهم وأظهر لهم عظيم الميل والانعطاف وبعد حبس الخليفة شريف بأيام دعاهم الي مجلسه وأخبرهم ان رباط كسله ذو أهمية لا تخفي وان الايطاليين يطعمون في التقدم الى كسله وان أميرها مساعد قيودوم البقاري ضعيف الرأي وانه ينوي انفاذهم الى كسله ليقوموا بحفظ الرباط فشكروه وانصرفوا به ان تعهدوا له بأن يجهزوا أنفسهم ومقاتلتهم من مالهم الخاص

وبعد أيام غادروا أم درمان وخرج النعاشي لوداعهم وساروا الى قرية ( رفاة ) التي تبعد عن الخرطوم بست مراحل في النيل الازرق ليضموا اليهم المتفرقين من مقاتلتهم في قري الجزيرة وأقاموا فيها نحو شهر وبدلا من أن يجمعوا الرجال ويسيروا الى وجهتهم ضربوا على كل مقاتل ضربة يقدمها كفدية ليتركوه فجمعوا من ذلك أموالا طائلة والنعاشي يكتب لهم في كل يوم يحثهم على مغادرة رفاة واللاحاق بكسله وهم يقدمون له الاعذار في كل مرة وفي ذات يوم أرسل لهم مندوبين قبضوا عليهم في رفاة ونهبوا أمتعتهم وما جمعوه من ضريبة الفدية ووجيء بهم الى أم درمان يرسفون في القيود والاغلال ونهبت دورهم التي بأمر درمان

ولما أدخلوا السجن ناداهم الخليفة شريف قائلا « ان خيانتكم لم تدفع عنكم مكرها » ومكثوا في السجن نحو شهر ثم نفوا الى خط الاستواء

وقد رأيتهم وقت خروجهم من السجن يحيط بهم الحراس والاغلال في  
 أعناقهم والقيود في أرجلهم فكان الحراس يحملون الواحد كما يحمل المتاع ويرمونهم  
 في عنبر السفينة كما ترمي الامتعة وهكذا ساروا الى خط الاستواء وكان  
 ذلك في أواخر سنة ١٣٠٩ هجرية

### ذكر نفي الامير ابي قرجة

ختمت سنة ١٣٠٩ وحوادث السودان فيها تحاكي ما جري على الخليفة  
 شريف وحزبه وأقارب المهدي رذلت سنة ١٣١٠ ولم يبق من الامراء أو  
 أصحاب المقامات من الذين تجمعهم مع الخليفة شريف جامعة التجزب أو  
 الجنسية غير أبي قرجة الذي تقدم لنا كلام كثير عنه حيث هو من أكبر أمراء  
 المهدي الذين حاصروا الخرطوم وولى القيادة العامة على جيش السودان الشرقي  
 بدل عثمان دقنه كما مر ذلك

ولما عزل أبو قرجه عن بربر أعيد الى السودان الشرقي ولما نار الخليفة  
 شريف كان هو غائباً لم يحضر تلك الحوادث فالتدعاء التعايشي في أوائل سنة  
 ١٣١٠ وأظهر له رغبته في توليته الامارة العامة على خط الاستواء لسابق  
 خبرته بتلك الانحاء فجمع نحو ثلاثمائة مقاتل سافر بهم الى خط الاستواء  
 على احدى البواخر وسافر معه قائد من قواد البقارة يحمل كتاباً من التعايشي  
 فحواه القبض على أبي قرجة ومن معه وزجهم في السجن حينما يلفون خط  
 الاستواء ودفع التعايشي الى أبي قرجة أمراً مضموناً انه أمير عام على سائر انحاء  
 خط الاستواء

والحاصل ان أبا قرجة سافر من أم درمان أميراً على خط الاستواء ولكنه

كان موقفنا بأنه ساع الى حتفه بظلمه لانه كان ذا ذكاء وعقل  
ولما وصل خط الاستواء أودع السجن هو ومن معه وقد بلغنا ونحن نهيء  
هنا الكتاب للطبع انه قد فر من سجن خط الاستواء ولحق باحد  
معسكرات بلجيكا التي في جهات بحر الزل ثم لحق بمكة « برقو » فآكرم  
وفادته سلطاتها وانزله على الرحب والسعة لكنه لم يسمح له بالعودة الى بلاده  
على ما لوف عادة اهل تلك البلاد خشية ان يكون رائداً يجرس خلال الديار  
هذا وان أبقرجة وان كان عاملاً مهتماً من عمال دعوة المهديا لكنه كان أقلمهم  
شراً وأكثرهم خيراً واقربهم الى العدل والاحسان  
واني بسبب ما ذكرته عنه واحسانه الي في يوم كنت أساق فيه لادوث  
لا يسعني الا ان اتني له نوال الخير في غربته والخلص من رتبة أسره

### عود الي ذكر بيت المال

ذكرنا آنفاً ما كان من صلب ابراهيم عدلان أمين بيت المال السابق  
وتولية النور الجريفاوي بدله  
وقد كان النور هذا ذا ثروة عظيمة جمعها مما نهبه من تجار المصريين  
في بربر كما صر ذلك وقد تناول سبعة عشرة ألف ريال من الحكومة ليشتري  
بها غلال فاعتالما وفر بها ولحق بالمهديين وبعد ان مضى عليه عامان في  
بيت المال زادت في خلالها ثروته زيادة عظيمة أخذ يفكر في وسيلة يتمكن  
بها من ترك وظيفة امانة بيت المال ليتاح له الانزواء بعيداً عن نظر التعاشي  
الذي كان يطمع الي ثروته فمتظاهراً في أواخر سنة ١٣٠٩ بالجنون على أثر وقوته  
من جواده وأخذ يخلط في الكلام بحضرة التعاشي

وفد روى لي ثقة ان النور هذا كان سائراً من المسجد الى منزله في ايلة  
 حالكة الظلام منفرداً وكان الراوي متأثره وهو لا يراه فسمعه يحدث نفسه  
 ويقول « أحلف بالطلاق ان التعاشي سيصليني كما صلب ابراهيم عدلان  
 ليحصل على ثروتي والاجدر بي ان أسلمه هذه الثروة واحفظ حياتي لانفرد  
 بنفسى واحترف بادنى حرمة يتعيش منها اظفالى » ثم يعود فيقول « كلا اذا  
 دفعت له أموالى فانه يظن اننى خبأت معظمها ولم أظهر له غير جزء يسير  
 منها واذا ذاك تحرك اطعاه ويمدبني لاسأله الباقى ولاشك فى اننى أموت  
 بسبب العذاب وحينئذ اكون قد جنيت على نفسى » ثم يقول « أحلف  
 بالطلاق الثلاث ان المسألة معقدة لا يقدر أحد على حلها والاولى بي أن أظاهر  
 بالجنون والله تعالى يفعل بي ما يريد »

ثم انه أظاهر بالجنون مدة حتى بداله أن يتضرع الى التعاشي ليقبله من  
 أمانة بيت المال فأجابته التعاشي الى ذلك على شرط ان يجزىء اختصاص بيت المال  
 الى ثلاثة اجزاء احدها أمين بيت مال يختص بمعامل الذخيرة ( الورش  
 الحربية ) والثاني يختص بمال النبيء الذي يزعم التعاشي انه خاص به والثالث  
 هو بيت المال العام وأن يكون النور الجريفاوى اميناً لبيت المال الاول وان  
 يكون محمد بشير كزار العبادي قائد دابة التعاشي اميناً للثاني وأن يكون العوض  
 المرضى اميناً للثالث

وعلى ذلك صار اختصاص أمانة بيت مال ( الورش الحربية ) منوطاً بالنور  
 الجريفاوى وعليه ان يتفق مع التجار الذين يفدون الى الديار المصرية ليجابوا  
 المقاقير اللازمة لتلك المعامل ويهربونها حتى لا تظفر بها الحكومة ولهذه  
 المسألة كلام خاص بها سنورده فى غير هذا المحل

أما اختصاص بيت مال الفيء فهو عبارة عن جميع موارد الإيرادات المهمة وذلك مثل خمس سلع النجار المصريين وعشر بضائع التجار السودانيين وخمس واردات بلاد الحبشة وغيرها من البلاد الأجنبية وعشر الصادرات التي تخرج من البلاد السودانية إلى البلاد الخارجية كالصمغ والعاج وريش النعام وكذلك عشر واردات التجارة التي ترد على أم درمان من داخلية السودان وأهمها الحبوب والملح والباج والخص الذي يصنع منه الحصر المسماة (إراش) وكذلك إيرادات السنين الشرعية التي تنقل الحاصلات من جميع الجهات التي اغتصبها التعميشي كاهلها ملء كاهله وكذلك عوائد النزام (التعمدية) في جميع الجهات وكل هذه الإيرادات مضبوطة بدفاتر وحسابات جارية لا يصرف منها فلس واحد في غير لوازم التعميشي على يد رئيس خصيانه (عبد القيوم)

وأما اختصاص بيت المال الثالث فإنه قاصر على الإيرادات التي تجلب بواسطة الجباة التي تقدم لنا الكلام عنهم وله اختصاص آخر هو مصادرة أموال الأغنياء وطلب القروض المالية من التجار حيث لا ترد لهم أبدأ ومن امتنع صودر ماله كله وتنفق هذه الإيرادات على أقارب التعميشي فقط والحاصل أن التعميشي استأثر بجميع إيرادات البلاد حتى أصبحت في نهاية الفقر المدقع وأخذ يتفنن في أساليب زيادة الخراج ومضاعفة المكوس التي صارت التجارة معها كاسدة لا ترح شيئاً وبالجملة فإن الحالة كانت نتقل من سيء إلى أسوأ وبمد الله كل شيء

## ذکر سورام در مان

قبل الكلام على السورناني بتحديد في تخطيط مدينة أم درمان ومواقع  
احياؤها ليكون القاريء على بينة من ذلك فنقول

من الاصطلاحات التي جرى عليها المهديون أن يسموا كل جهة سكن  
فيها المهدي باسم (بقعة) وقد يضاف هذا الاسم الي اسم المدينة الاصلية  
أو الجهة التي سكنها المهدي فيقال (بقعة الابيض) مثلاً لان المهدي كان  
ساكناً فيها أو (بقعة الرهد) وهو منهل جنوب الابيض لانه كان نازلاً فيه  
كما تقدم لنا ذكر ذلك

ولما زحف المهدي على الخرطوم كان أول معسكر اتخذته في جنوب أم  
درمان على بعد عشرين ميلاً عند مكان اسمه (الفتيح) بعيداً عن شاطئ  
النهر اتقاء لمقذوفات البواخر التي كانت تحاربه في الخرطوم ولم يجسر على الدنو  
من شاطئ النهر الا بعد سقوط الخرطوم في قبضته

وقد أشرنا فيما تقدم أنه عمدة مجلساً للمداولة في أمر سكنه فلم يوافق على  
ذلك الامراء لانهم قالوا ان نقطة أم درمان يمكن أن نغادرها بسهولة الي  
کردفان اذا حدث ما يضطرنا الي التقهقر فنزل المهدي بها واختط المسجد  
وداره بعيداً عن ضفة النهر نحو ميل واحد ونزل التمايشي جنوب بيت  
المهدي نحو مائة متر في الجنوب الشرقي للمسجد حذاء منزل المهدي المقابل  
لنقطة الوسط من قبلة المسجد وكان بين منزل التمايشي ومنزل المهدي ميدان  
فسميح ونزل الاعراب والبقارة الذين أصلهم من جهات كردفان ودارفور  
وهم التابعون لرايات التمايشي جنوب منزله وامتدت مساكنهم الي الجنوب

الغربي والجنوب الشرقي الي قرب المعسكر الذي كانت به جنود الحكومة  
وهو (خندق أم درمان) ويبعد عن المسجد جهة الجنوب ببضعة اميال  
وقد اتخذ هذا الخندق معسكراً للجهادية الذين يقيمون بأم درمان  
وسمى معسكر أبي عنجه

ونزل جماعة من المصريين الذين كانوا بكردفان شمال هذا المعسكر  
عند نقطة (المواردة) وأمير هؤلاء المصريين هو حسن حسين الذي تقدم  
لنا الكلام عنه

ونزل يوسف منصور رئيس الطوبجية ومن معه من المصريين شمال  
معسكر أبي عنجه

ونزل الخليفة على حلو في الشمال الشرقي من منزل المهدي ونزل آتباعه  
(دغيم وكثانة) في الشمال الغربي من المسجد مما يلي السوق الذي نزل فيه  
جماعة من التجار وجاهلهم من اليونانيين واليهود والسوريين وأطلق على حيزهم  
اسم (حارة المسلمين) ونزل الخليفة شريف شرقي منزل المهدي ونزل  
أقارب المهدي وسائر آتباع الخليفة شريف الذين جاهاهم من أهالي السودان  
الايوسط في الجهة الشرقية من منزله وامتدوا الي الشمال حتى اتصلت  
منازلهم بصفة النهر وحد المدينة يومئذ تقف في جهة الشمال عند معسكر  
ابن النجومي الواقع في شمال المسجد بنحو ميلين فقط ولما أمر التماسي  
بتخريب مدن الجزيرة في سنة ١٣٠٤ وحشد سكانها في أم درمان نزل سكانها في  
الجهة الشمالية لمعسكر ابن النجومي وصاروا يسمون أحياءهم بأسماء بلادهم الاصلية  
فيقال (حي المسلمية) و (حي رفاعة) وغيرها من بلاد الجزيرة حتى وصل امتداد  
حدود المدينة الي جهة (خور شبوات) التي تبعد عن المسجد بسنة أمال

وعقب افضاء الخلافة للتمايشي وسع منزله حتى ادخل فيه الميـدان  
الذي كان بين منزله ومنزل المهدي

ولما نار الخليفة شريف وأقاربه وصارت مقذوفات جماعة الخليفة  
شريف تقع في وسط دار التمايشي خاف التمايشي عاقبة اختلاط المنازل  
فامر باخراج جميع اقارب المهدي واتباع الخليفة شريف من منازلهم التي  
هدم جملها وأسكن أقاربه البقارة فيما بقي منها ليكون منزله محاطا من جميع  
الجهات بمن يأمنهم على حياته

وأسكن من أخرجوا من منازلهم في الجهة الواقعة شمال معسكر ابن  
النجومي الذي صار لا يسكن جنوبه غير البقارة وقد قاسى الناس أهوالا  
شديدة من جراء اخراجهم من منازلهم وصاروا في حالة تفتت الكبد اذ  
صاروا بينما يكونون في منازلهم يدخل عليهم البقارة فيأمر ونهم بالخروج  
منها بغير ان يتمكنوا من حمل امتعتهم التي يأخذ البقارة جملها فيخرجون  
وليس عليهم غير ثيابهم وما خف حملهم من ثافة متاعهم فيتضون على هذه  
الحالة التعمية زمناً لا يستطيعون في خلاله تشييد مساكن الا ان كانوا من أولى  
اليسار وقليل ما هم وظل الفقراء في هذا الشقاء حيناً وقد كان نصيبى من  
هذه اللصبة عظيماً وسيأتى تفصيله بعد حيث اخرج المصريون الساكنون  
بالقرب من معسكر أبي عنجه من منازلهم وكنت أنا من جملتهم

على أن بناء سور أم درمان يدل على ماخامر التمايشي من الخوف على  
حياته من ثورة الخليفة شريف

وفي ذات يوم رقى التمايشي منبر الخطابة وقال ان النبي صلى الله عليه وسلم  
أمره باخراج من أخرجهم من منازلهم وأمره ببناء سور من الأحجار يتبدىء



من ضفة النهر حتى يبلغ منزله ثم يتجه الى الشمال حيث يصير شرقي المسجد  
وغربي منزله ثم ينتهي الى ضفة النهر أيضا وانه صلى الله عليه وسلم أمره أن  
لا يأذن في السكنى داخل هذا السور لغير البقارة والجهادية ووضع أساس السور  
وجعل عرضه أربعة أمتار ووزع حصصاً على القبائل ومن جملة المصريين  
الذين كإصر الكلام كنت أحد أمرأهم فكانا نذهب الى شاطئ النهر فنستخرج  
منه الحجارة ونحملها الى محل العمل ومكثنا على هذه الحالة نحو سنتين ثم في  
خلالها تشييد السور بسخرة الناس وبلغ ارتفاعه فوق خمسة أمتار

### ذكر قدوم الزاكي طمل من فشودة الى أم درمان

لما فرغ الزاكي طمل من قتال الشلك وأخضعهم لسلطة المهديوية حيث  
قتل ملكهم (عمر) الذي قيل عنه أنفا انه مولى من قبل المهدي وحمل رأسه  
الى التمايشي الذي أمره بمهادنة الشلك وإبرام معاهدة معهم وتولية ملك  
عليهم يكون من اعداء عائلة الملك السابق فأقام رجلاً من أطراف الشعب  
سماه (عبد الفضيل) ملكاً عليهم غادر فشوده بجيشه قاصداً أم درمان وذلك  
في أوائل سنة ١٣١٠

ولما بلغ أم درمان استقبله التمايشي بالخفاوة والاكرام وقدم له الاغذية  
ثم قدم الزاكي للتمايشي مقدارا عظيماً من المال الذي غنمه من الشلك وكثيراً  
من الماشية وأمره بأخذ الاهبة والاستعداد لمغادرة أم درمان الى بلدة  
أبو حراز

## الزراكي في أبو حراز

أبو حراز قرية في الضفة الشرقية للنيل الأزرق تبعد عن أم درمان مسيرة سبع مراحل وهي بفتح الطربق الموصل الي القضارف عن طريق الصحراء المسماة ( عقبة المندنبالية ) وهي موطن لقبيلة صغيرة اسمها ( العركين ) ومن هذه القبيلة نبغ رجال في القرون الماضية اشتهروا بالصلاح وحازوا منزلة عالية في مشيخة الطريقة القادرية وأشهر هؤلاء التابغين ( الشيخ الطربقي ) وكان مباحراً على ما يروونه للشيخ تاج الدين الفاكهاني من مشاهير رجال الطريقة القادرية ببغداد وقد صحبه الشيخ الطربقي وأقام معه في بغداد زهاء عشرين عاماً عاد الى قرية أبو حراز وانتشر نفوذه الديني في سائر أنحاء السودان حتى اكرمه ماوك السودان واقطعوه الاراضي الواسعة وخنقه عدد كبير من اولاده كانوا على قدمه في الشهرة واعتقاد الناس وماتوا كلهم ولهم قبور شيدت عليها قباب

ومن نسلهم الشيخ حمد النيل العركي وكان ذا نفوذ كبير في السودان وكتب له المهدي كتاباً تقدم لنا ايراده يتوعده هو وعضو الكريم بن أبي سن زعيم قبائل الشكرية لانهما ساعدا الحكومة على قتل داعيته الشريف احمد طه الذي تقدم ذكر قتله

ولما ولي الخديوي محمد المهدي صادراً مول الشيخ حمد النيل وقتله صبراً في سجن أم درمان

ولنعمد الى ذكر الزاكي طمل فنقول انه لما وصل الى أبو حراز عكروها وأباحها لجنوده فأرهبوا سكانها سلباً ونهباً وأمر بقباب المشايخ فهدمت وشاد بانقاضها

داراً لسكناء وأطلق العنان لمقاتلته فانتشروا في مدن الجزيرة كلها ونهبوا أموال  
الاهالي وحملوهم من المظالم والمغارم ما شؤ به مجمله الجبال حتي كان آخر سنة ١٣١٠  
أصدر التعايشي أمره الى الزاكي طمل بمناذرة أبو حراز واللاحاق بالقضارف وهي  
البلاد التي ذكرنا فيما مضى أنه خربها وحمل أموالها الى التعايشي ثم من القضايف الى  
كسله التي اتخذها معسكراً له بقصد شن الغارة على حدود الايطاليين في مصوع

### علائق التعايشي ومنليك

يدل نتبع الحوادث التي جرت بين المهديين والاحباش على أن منليك  
نجاشي الحبشة الذي خلف النجاشي يوحنا الذي مات قتيلا بيد الدراويش  
في واقعة القلابات التي مر الكلام عليها وعلى ما تقدمها من حروب الدراويش  
والاحباش على هزيمة هؤلاء وظهور الاولين

وأول هاته الأدلة أن الاحباش لما نهزموا من القلابات وقتل ملكهم  
يوحنا كان المنتظر أن يعيدوا الكرة لاخذ الثار وجلاء العار فلم يفعلوا  
وعلم من ذلك أن منليك الذي خلف يوحنا أيقن أن مصلحة مملكته تقضى  
بالكف عن مناوأة الدراويش لينتفرغ لصد الفاتحين من الايطاليين الذين اغاروا  
على الحبشة من جهة مصوع وانتقصوا المملكة من أطرافها وهم طامعون في  
الاستيلاء عليها والقضاء على استقلالها

وقد أشرنا فيما تقدم الي أن سبب الحرب بين المهديين والاحباش أن  
النجاشي يوحنا خاف من انتشار دعوة المهدي بين مسلمي الاحباش فشرع  
في اضطهادهم واجبارهم على اعتناق النصرانية ديننا فساء عمله اقبال الحبشة  
واستهجنوه وخافوا تفرق كلمة الاحباش الذي لا تحمد عاقبته وكان منليك

قيل (التيقره) وقتئذ أول مستهجن لهذه السياسة الخرقاء وقد نصح النجاشي بالعدول عنها فلم يلتفت لنصائحهم

ولما قتل يوحنا النجاشي السابق وخلفه منليك أعاد الحرية الدينية إلى حالتها الأولى ومن ثم أزمّت جنود الحبشة حدودها وامتنعت من الاعتداء على تخوم الدراويش وبه سنة سحب التعاشي جيشه من القلابات كما تقدم ولم يترك لحراستها أكثر من ألف مقاتل

وقد ذكرنا أنه وجه جيش القلابات لاختضاع أشلك في فشوده ثم وجهه إلى القصارف ومنها إلى كسله لمهاجمة تخوم الإيطاليين من جهة مصوع وكان هذا الاستعداد في وقت كان الإيطاليون يستعدون فيه للربّة على الاحباش في (لاريتره) مما يدل على أن تقدم الزاكي إلى كسله متفق عليه بن التعاشي ومنليك وسيجيء أن التعاشي لما أحس بدنو الحملة الانكليزية المصرية من أم درمان أنفذ سفيراً يستصرخ منليك لمعاونته

ولا مندوحة لنا عن الإشارة هنا إلى أن الإيطاليين كانوا حلفاء للدراويش على الحبشة وقد تمت هذه المحالفة بمساعدة بعض رؤساء الحبشة الذين كانوا على رأي البعض معاضدين لانكتر التي كانت ترمي بهذا الغرض لأشغال المهديين بمحاربة الحبشة عند حدود مصر حيث تجبني انكترا وإيطاليا من وراء تلك الحروب أضعاف ما يجني الدراويش والاحباش مما لتقضي إيطاليا لمباتها من هؤلاء وتذكر انكترا غايتها من أولئك

على أن ذلك كله مأخوذ من قرائن الاحوال ومن روايات بعض الذين لهم اطلاع على سياسة التعاشي الذي لم يصرح بشيء من أمر المحالفتين مما يدل على أنهما سريتان والحاصل أن منليك أذاع في سياسته التي نهجها إذ جني

من عاقبتها اراحة الحبشة من حرب دينية كحرب الدراويش ومن جهة أخرى انه تمكن من اشغال قسم من حامية ايطاليا بدفع الدراويش عن حدود بلادهم ثم كان من وراء ذلك انتصاره الباهر في واقعة (الاريتره) التي لا يجملها القراء وهو ما يجعلنا في غني عن التصدي لايرادها وتدوين تفاصيلها

### ذكر سجن الزاكي طمل وقتله بام درمان

الزاكي طمل هو الذي خلف القائد ابا عنجه في قيادة جيش القلابات كما بسطنا ذلك في مكانه وفي بداية ولايته انهزمت جيوش الحبشة في القلابات وقتل النجاشي يوحنا ثم وجهه التعاشي لاختضاع الشلك في فشوده فقتل زعيمها عمر وأتى فيها ما سبقت الاشارة اليه وأهله من قبيلة اسمها (البنضله) وهي التي منها أبو عنجه سلفه وهي قبيلة من العبيد المتوحشين في جنوب دارفور تسكن قبيلة (التعايشة) وقد تقدم تعريفها بأوفى من هذا فلا حاجة لتكراره هنا وكان الزاكي هذا في بداية أمره جنديا مع النخاسين الذين يعمثون الفسء في بلاد العبيدوم المعروفون باسم (البجارة) وفي أيام المهديوة صار قائداً من قواد جيش أبي عنجه حتى صار وكيله

ولما خلف ابا عنجه في الامارة خالفه في كثير من أحواله وصار فظاً غليظاً يسفك الدماء ويقتل مرؤسيه لاقل هفوة وأخذ يتظاهر بالانفاس في الترف وشاد له كنهان القصور في القلابات حتى أنه شاد قصرًا زوج فيه ابنه وشرع في نقشه وزخرفته بصفار بيض الدجاج وفرض على الاهالي تقديم البيض ومن تأخر عن الميعاد المضروب له عاقبه عقابا صار ما فارتفع ثمن البيضة الواحدة الي بضعة قروش ورحل الناس من المضارف على ظهور الهجن الي

بلاد الجزيرة لجلب البيض حتى تم النقش والتبييض  
ولما اتصل بالتمايشي خبر هذا القصر أرسل الى الزاكي يأمره بهدمه فهدم  
الدور الاعلى وترك الدور الاسفل وكان قد جلب له البنائين والنجارين من  
الخرطوم وكلهم مصريون

وبعد هدم القصر أمر التمايشي الزاكي بمفادرة القضارف والحقاق بكسله  
لاخذ الاهبة للغارة على الايطاليين فغادر القضارف وعسكر في كسله

وكان الزاكي في جميع أحوال ولايته حكما مطلقا يفعل كل ما يراه واذ  
قدم أم درمان يستقبل بالحفاوة والاكرام ويخرج أنى سار في موكب يحيط به  
خمسون حارسا مسلحون وكان بما احرزته من الانتصارات على الاحباش والشلك  
وما كان يقدمه للتمايشي من الاموال الطائلة يرى نفسه ذامنة على  
التمايشي حتى أخذ يتفوه في حديثه بأنه قادر على سلب الملك من يد التمايشي  
ولولاه لم تقم له قائمة فسمى به الى التمايشي وبعد وصوله القضارف عظمت فيه  
السماية وارتاب التمايشي في أمره ونمي اليه انه طامح للاستقلال فإرسل  
اليه يستقدمه فقدم اليه وخرج للقاءه وبالغ في الاحتفاء به حتى انه تنازل  
الي معانقته وهي حفاوة لم يسبق من التمايشي مثلها وبعد بضعة أيام اجتمع في  
منزل يعقوب جماعة من مشيريه أحدهم القاضى أحمد بن على وأنفقوا على  
طريقة القبض على الزاكي فاستدعوه من منزله وجلس يعقوب داخل ثلاثة  
أبواب فلما دخل الزاكي الباب الاول حجبوا عنه الحراس فدخل بالحراس  
ثم قابله القاضى أحمد وجلس معه داخل الباب الثانى ثم فارقه حيث ولج الباب  
الثالث الذى فى داخله يعقوب فجاء اليه جماعة بصفة رجال من حراس يعقوب وجثوا  
على ركبهم امام الزاكي ومد أحدهم يده مسلما عليه فدفع له يده ليقبلها فأسكها

ووثب الآخرون وأمسكوا سيفه ثم صرعوه وغلوا يديه فأخذ يصبح مستغيثا  
 يعقوب الذي أمر بإرساله إلى السجن فوضعهوا في رجلية عشرة قيود  
 وجزيرا كبيرا ومكث ثلاث ليال مع سائر المسجونين ثم عزل إلى غرفة في  
 السجن تسمى (غرفة الأعداء) فأجلسوه في وسطها وشجوه بالأغلال  
 حتى كان لا يتمكن من التزحزح عن مقعده بمنة أو يسرة وربطوا الكمام ملابسه  
 وصار إنسان من السجنائين يذهب إلى الخربات ويلتقطان المقارب ويدخلانها  
 داخل ملابسه وقد منع عنه الغذاء والماء فمكث أربع ليال يصبح صياحا يفتت  
 الجمادات حتى ضعفت قوته ومات في منتصف الليلة الخامسة وحملت  
 جثته وألقيت خارج البلد غذاء للطيور والكلاب وعين أحمد علي التماشي  
 قائدا للجيش بدله ولحق بكسلا بعد أن تلقى أوامر التماشي بالهجوم على  
 الإيطاليين وسيأتي ذكر هزيمة الدراويش من وجه الإيطاليين

### ذكر قتل صالح حسين خليفه

تقدم لنا إيراد شيء عن قبيلة (العبادة) والمناظرات الشديدة التي بين  
 (المشاباب) و(المليكاب) وقد أوردنا أن المشاباب نالوا إربهم من المليكاب  
 في دولة التماشي وتمكنوا من الإيقاع بحسن أبي خليفه الذي كان معسكرا  
 في نقطة آبار (المرات) بجيش من قبل التماشي

ولما قبض التماشي على حسن أبي خليفه ونفاه إلى خط الاستواء كما مر  
 ذلك احتل ابن عمه صالح بن حسين خليفه تلك النقطة برجال من قبيلته  
 (المليكاب) الذين كانت الحكومة المصرية تدفع لكل رجل منهم رواتب  
 من جنيه لاثني فآخذوا يفرون على حدود المهديين وقد ذكرنا فيما مضى

إغارتهم على (أبو حمد) وقتلهم ابن نيمان قاتل الكولونل ستيوارت قبل  
سقوط الخرطوم

وفي أوائل سنة ١٣١٠ هجرت شرذمة من الدراويش على ضابط انكليزي  
برتبة بكباشي وآخرين في جهة وادي حلفا وقتلوهم غرة وحملاورؤسهم الى التعاشي  
وقعد صالح خليفة ومن معه بالسبل وقبضوا على كثير من جواسيس  
المهدوية الذين هم من مناظرهم (المشاباب) ومن بينهم رجل اسمه كرار  
ابن بشير كرار رئيس حملة يريد التعاشي وأسلموه للحكومة فأودعته  
سجن اسوان ولم تطلقه الا بعد ان كلمها في شأنه بشير ابو جبران شيخ قبيلة  
المشاباب فماد الرجل الى أم درمان وأخبر التعاشي بما يقاسيه جواسيسه من  
تضييق صالح خليفة عليهم وقطعه السبل عليهم فسأله التعاشي عن عدد المقاتلة  
الذين معه فأجابهم لاي تجاوزون لما تين فارسى التعاشي الى يونس الدكيم  
أمير دنقله يأمره بانفاذ خمسمائة راكب من (المرات) تحت قيادة عثمان ازرق  
للحجوم على صالح خليفة فانفذهم وفي صباح بعض الايام هجموا عليه ونشبت  
الحرب بينهم فقتل صالح خليفة وحمات أسلابه الي التعاشي الذي خطب  
في الناس بأن الله تعالى قد أهلك صالح بن خليفة وقتله بيد أنصار المهدوية  
شر قتلة

ذ كر واقعة (غوردت) بين الايطاليين والمهديين

لما وصل أحمد على الذي خلف الزاكي طمل في القيادة الى كسله سار  
بجيشه وكان نحو عشرين الف مقاتل وانغار على حدود الايطاليين وأنخن  
في القبائل الموالية للحكومة الايطالية واستولى على أحد الحصون وفر من



وجبه الايطاليون خدعة ثم كروا عليه وهاجموه على غرة فسقط أكثر من  
اثنى عشر البقتيل بن الدراويش وقتل أحمد على ومن معه من القواد  
ولم ينج غير النوراء قرء أحد القواد ومعه نحو ستة آلاف مقاتل ولوامدعورين  
حتى وصلوا الى كسلة وأرسلوا يخبرون التمايشي بأمر الهزيمة التي ساء وقعها  
عنده وجزع جزعا شديدا حيث لم يبق عنده جيش يعول عليه غير جيش  
محمود الذي هزم في واقعة أتبره

### ذكر احتلال الايطاليين كسلة

ذكرنا ما كان من أمر كسلة وسقوطها في قبضة المهديين الذين التفت  
القبائل حولهم في بادي الأمر عندما القبائل التي كانت قاطنة بالزرب من  
نجر مصوع فانها بقيت على ولاء الحكومة حتى احتل الايطاليون نجر مصوع  
وأشهرهاته القبائل قبيلتنا ( بنى عامر والهاباب )

وكانت كسلة تابعة لامارة عمان دقنة الذي لم يرض على سقوط للمدينة  
في قبضته الاعام واحد نفرت في خلاله القبائل عنه واشتدت وطأته عليهم  
فلجأ إليها الى ارباض مصوع واحتموا بالايطاليين  
وكان الحاكم على كسلة من قبل عثمان دقنة محمد بن علي دقنة وهو ابن  
اخي عثمان دقنة وفي أيامه نارت قبيلة الهدندوه عليه لانه سجن زعيمها  
وهجمت على السجن وأطلقتها من اعتقاله

وعقب ذلك ولي التمايشي اباقرجة وعزل عثمان دقنة عن منصب الامارة  
كما سر ثم عزل اباقرجة أيضا وفصل حكومة كسلة عن إمارة السودان  
الشرقي وولى عليها حامد بن علي احد أقاربه البقارة فعمرها الظلم والدمار

وهلكت قبيلة الهدندوه التي كان عدد نفوسها تروبع على مليون نسمة كما هلك غيرها من القبائل التي لا يقل مجموع نفوسها عن مليوني نسمة وحمل حامد بن علي القناطر المنظرة من الذهب وانفضت الى التعاشي وأخيه يعقوب

وفي سنة ١٣٠٩ عزل التعاشي حامد بن علي وولي عليها مساعد بن قيدوم الذي كان في دنقلة مع ابن النجومي وقد ذكرنا بعض أخباره ضمن حوادثها التي تقدم إيرادها

ثم تلا ذلك الواقعة التي قتل فيها أحمد بن علي وهلك معه اثنا عشر ألفاً من الدراويش

وكان مع مساعد في حامية كسله عبد الرحمن بن بان النقا الذي كان مع الجنرال هيكس وقد ذكرنا بعض أخباره هناك وأنه أصابه ضربة سيف فقتل عينه فأخبر عبد الرحمن هذا مساعد بأن الايطاليين اقتربوا من المدينة فهزأ بقوله ولم يأخذ لنفسه حيلة حتى ارتفعت الشمس فاذا الايطاليون زاحفون على المدينة بانتظام حيث كانت القوة مشككة من قلب وجناحين فاندعر مساعد ومن معه من الدراويش وأسرعوا بالفرار وتركوا نساءهم في المعسكر الذي دخله الايطاليون ووضعوا السيف في رقاب من فيه وأحرقوا الاكواخ بالبترول والنار

وتخلف عن الدراويش كثير من أسرى المصريين وكذلك تخلف في المعسكر عبد الرحمن بن بان النقا الآنف الذكر فاصابته رصاصة أودت بحياته ويقال انه كان يرسل الايطاليين ويطلعهم على عورات الدراويش هذا ما كان من أمر الايطاليين أما مساعد ومن معه من الفارين فانهم لحقوا بمكان اسمه (اصوري) في الضفة الاخرى من نهر اتره وعلى

بعد نحو ست مراحل من كسله وهناك أرسلوا يلبفون التمايشي الذي كاد يفقد صوابه لشدة التزع ماجرى فأرسل الى بان النقا والد عبد الرحمن يخبره أن ابنه مات كافراً لأن مساعدا لم يجد عذراً يمتد به عند التمايشي غير اخباره بان عبد الرحمن كان يطلع العدو على عورات المعسكر ويرفع اليه أخباره واخيراً قدم مساعدا الى أم درمان فتعوبل من البقارة والتمايشي بالازدراء والاحتقار لفراره من وجه العدو ولاكن التمايشي أصدر منشوراً قال فيه ان المهدي أخبره بامر هذه الواقعة وان مساعدا شجاع وليس جبناً ونهى الناس عن تحقيره وتعميره

وقد استولى الخوف والرعب على قلب التمايشي وخاف تقدم الايطاليين الى جهات القضارف فامر باقامة معسكر في جهة (اصوبري) على الضفة نهر ابره

ذكر معسكر اصوبري واخبار حامد علي واحمد فضيل (اصوبري) اسم لمكان على نهر ابره لم يكن حوله عمران ولا بلاد وغاية الامر انه علم على جهة صحراء (ريره) التي كانت قبيلة الشكرية البائدة ضاربة أطناها في ارجائها وهي صحراء واقعة بين النيل الازرق ونهر ابره ولما خلت الصحراء من أعراب الشكرية بات اصوبري وغيرها قفرا بلقما ليس فيها دار ولا ديار غير وخوش الفلاة وحيوانات القفار ولما انهزم الدراويش وأجلموا عن كسله لحق الفارون بجمعة اصوبري حيث اجتازوا النهر وصاروا آمنين غارة الايطاليين الذين كانت طلائعهم تصل الى الضفة الشرقية من نهر ابره الذي صار حداً فاصلاً بين الفتين

وبعد ان جاءت اخبار الايطاليين الى أم درمان بايام جمع التعاشي رؤساء قبيلتي (الجمليين) والدنقليين وجمعهم من التجار وأولى اليسار وخطبهم في المسجد «قائلا انكم انصار الدين واصحاب المهدي الاقدمون وقد توفي المهدي وهو عنكم راض وقد علمتم امر الايطاليين وأنهم قد أخذوا كسله منا ونحن نود منكم ان تكفونا ما اهتمنا من أمرهم وقد جعلت لكم ميزة على غيركم وذلك اني تركت لسكم الخيار في من ترضونه أن يكون قائداً عاماً عليكم وانكم لا تجهلون ما فيه بيت المال من العسر وأنتم بحمد الله موسرون فعليكم أيضاً أن تقوموا بنفقة سفركم من خاصة أموالكم» وأعقب ذلك بكلام طويل في مدح المجاهدين بأموالهم وأنفسهم واستشهد بالآيات الشريفة الآمرة بالمادحة للمجاهدين بأموالهم وأنفسهم فقام جماعة منهم وقالوا لا نرى أهلاً لهذا المنصب غير حامد بن علي الذي كان أميراً على كسله وهو أخو أحمد بن علي الذي مات قتيلاً في واقعة اتره فاندھشنا من كلام هؤلاء الذين لم يروا أهلاً للرئاسة عليهم غير بقاري وليكننا ما لبثنا أن علمنا انهم موعز اليهم بهذا الاختيار لانه لا يمكن أن يولي الرئاسة في دولة التعاشي غير البقارة . فاستدعي حامد بن علي وصدر نطق التعاشي الذي كانوا يسمونه ابان دولته باسم (النطق الشريف) كما كانوا يسمون بابه باسم (الباب العالي) بتعيين حامد على قائداً على الجمليين والدنقليين ومرابطاً في معسكر أصوري

هذا وقد كنا نظن أن التعاشي يروم أن يري الايطاليين من هذا الجيش العرمرم بما لا قبل لهم به ولم يكن يدور في خلدنا أن غايته الاستفادة من ثروة الجمليين والدنقليين وجمعهم كما قلنا من التجار وأولى اليسار فقد أصدر أمراً فخواه التفويض لحامد بن علي في إشخاص من يري إشخاصه وترك من يري تركه

من الرؤساء والمرؤسين من الاجناد والمقاتلة فأقبل الناس الى داره يقدمون له الرشا على تركهم فكانت الرشوة عن كل شخص خمسمائة ريال فصاعداً كل بحسب ثروته وما يملكه من المال فأغنم حامد بن علي القناطير المقنطرة من الذهب والفضة وقد كان للتعاشي وأخيه يعقوب النصيب الاوفر من هذه الغنيمة

وبعد أن فرغ حامد بن علي من أخذ الرشا سار في بضمة آلاف الى أصوبري وجعل معسكره على ضفة نهر (تبره) وأقام الناس وهم في حالة ضنك شديد لان ما حوالى تبره لم يكن مأهولاً بغير الاعراب الرحالة الذين بادوا وختل الديار منهم منذ أعوام وكذلك كان من في المم-كر في شظف من العيش تجلب لهم الجوب من القضارف التي تبعد عنهم بمسيرة عشر مراحل ودواب النقل قليلة جداً وليس في المعسكر شيء من الخضر وقس على ذلك سائر حاجيات الافرات وشاد حامد داراً واسعة لسكناه وقصر همه على مصادرة أموال من معه من المقاتلة واغتصاب نساءهم حتى جمع في داره من الخفيات النواتي تضرب الامثال بجاهلن اكثر من عشرين محظية ونحو أربع مائة غلام لا تتجاوز أعمارهم خمسة عشر عاماً فاشند البلاء على الذين معه من القواد وعيل صبرهم وأخذوا في رفع الشكاوى تباعاً الى التعاشي يوضحون بها سوء سلوك حامد المذكور ويخبرونه بأن معسكرهم لا أهمية له وأن الايطاليين لا يتقدمون خارج كسله

وكان في القضارف أحمد بن فضيل البقاري ابن عمه التعاشي أميراً من قبله عليها فكتب اليه يأمره بالشخص من القضارف الى معسكر أصوبري لتحقيق شكاوى الامراء من حامد بن علي فشخص الى أصوبري وقدم له

الامراء أموالا طائلة ليدني في خلاصهم من ظلم حامد بن علي أولا ومن  
معسكر أصوبري ثانياً فأمرهم بتدوين مطالبهم في عريضة يقدمونها له ففعلوا  
وكتب الى التمايشي يسأله اجابة التماسهم فاصدر أمره الى أحمد بن فضيل بمصادرة  
أموال حامد بن علي والغناء معسكر أصوبري واطانة مقاتلته على القصارف  
فتناول أحمد بن فضيل أموالا طائلة من حامد وأرسلها الى التمايشي وقفل  
راجعاً الى القصارف ومن يومئذ أني معسكر أصوبري

### اجمال حال السودان بعد ذلك

رأيت من مفصلات ما سردناه أن حالة المهديوية تبدلت تبديلاً عظيماً  
وتوالى عليها الفشل في أماكن متعددة وبالجملة فإنها لم تقم لها قائمة منذ سنة  
١٣٠٦ ولم تجني ثمرة انتصار في ميدان قتال بعد نصرتها على أبي حمزة في  
دارفور ونجاشي الحبشة يوحنا في (القلابات) وكلا الانتصارين كانا في سنة ١٣٠٦  
ثم تلت ذلك الفتن الداخلية والاضطرابات الاهلية كانتقاض الخليفة  
الشريف وغيره ممن بينا لك حوادثهم واستقصينا فيما تقدم اخبارهم  
وقد أضربنا عن ذكر كثير من سفاسف الامور فراراً من التطويل  
ولانها كثيرة تحتاج الى مجلدات ومنها اخبار الذين حاولوا قتل التمايشي الذي  
صار لاهم له غير المحافظة على حياته ودفع من يريدون به السوء ولذلك زاد  
في عداد حراسه حتى بلغوا ثلاثين ألف مقاتل فكان اذا خرج من منزله الى  
المسجد أحاط به عشرون ألفاً مدججون بالسلاح ثم يحيطون بالمقصورة بعد  
دخوله فيها فلا يستطيع أحد الدنو منها  
أما هو فقد انغمس في ملاذة أكبر من ذي قبل وضخم جسمه حتى

صار أضعاف ما كان عليه قبل ذلك

أما الأهلون فقد فقدوا كل شيء ولم يبق بأيديهم من وسائل الحياة سوى بعض الأراضى التى يستغلون منها الحاصلات التى يأخذ بيت المال نحو ثلاثة أرباعها

وكثير النفي والقتل فى الأعيان لاسباب غير انتقاص الخليفة شريف ومن الذين نفوا وقتلوا فى منفاهم اسماعيل بن عبد القادر ابن أخت الشيخ المكي وكان فقيها أزهريا اجتمع بالمهدي فى الأبيض واشتغل عدة سنوات بكتابة سيرة المهدي وتدوين وقائع المهديوية وفى أخريات أيامه صار من عقري التمايشى فوشي به حساده بأنه يعقد اجتماعا سرى ضد المهديوية فنفي الى خط الاستواء وقتل فى منفاه

وأصدر التمايشى أمرا قال فيه ان كل رجلين اجتمعا بعد صلاة العشاء خارج المسجد يعد اجتماعهما لغاية هى الانتقاص كما أصدر أمرا بإبطال المنتديات العمومية (القهاوى) لان أكثر الذين يديرونها صريخون ولان الذين يجلسون فيها لشرب القهوة يتكلمون فى أشياء تمس المهديوية وهذا كله كما لا يخفى خوف من الاجتماعات التى ربما اتفق المجتعمون فيها على خلع طاعة التمايشى وقد تغيرت حالة العمال والجبلة الذين سبق لنا الكلام عنهم حيث عين التمايشى أحمد السنى جابجا عاما على أقسام الجزيرة وألزمه بتقديم مائتى ألف ريال الى أخيه يعقوب وثمانين ألف أردب من الذرة ومائة ألف ثوب من خرقة (الدمور) وهندا عدا الهدايا والتحف والجوارى الحسان والحیول

وعلى ذكر أحمد السنى نورد هنا ترجمته فنقول هو من عشيرة صغيرة تنسب

الى رجل اسمه مدنى السنى وأصله من عشيرة ( البصيلية ) فى جنوب مقاطعة  
قنا سكن هذا الرجل فى قرية بين الخرطوم وسنار يطلق عليها اسم ( ودمدى )  
ثم مصرتها الحكومة ابان الفتح الاول وجعلتها قاعدة حكومة السودان وكان  
المترجم من رعاى وأوغاد هذه العشيرة وكان يرعى غنم المرحوم الشيخ محمد  
بخت الجمل سر تجار تلك المدينة

ولما خضع السودان للمهدوية وصار ابراهيم عدلان الذى تقدم لنا  
ذكر تربيته أمينا لبيت مالها وكانت أمه من هذه العشيرة لحق به المترجم فلم  
يزال ابراهيم يرفعه رعاية لحقوق القرابة حتى صار رئيسا لقلم مبيعات بيت  
المال فكان جزاء ابراهيم أن أحمد السنى هذا صار من ألد أعدائه الذين وشوا  
به عند التمايشى وكانوا السبب الأقوى فى الايقاع به كما ألمعنا الى ذلك فيما  
تقدم من هذا الكتاب

وبسبب وشاية هذا الوضع بمن أحسن اليه ورفعته من حضيض  
الخنول الى ذروة العلى التى صار بها ذا حيثية فى الوجود رفعه التمايشى حيث  
آنس منه لؤما ودناءة هو فى حاجة الى استخدامهما للنهب والسلب وأكل  
أموال الناس بالباطل فولاه على الجزيرة كلها فارهق أهلها ظلما يمجزع  
وصفه القلم وسلب مابقى فى يد الاهالى من الثروة ووسائل الحياة وجمع  
لنفسه أموالا طائلة تقدر بمئات الالوف

والحاصل أن حالة السودان فى هذه السنة أى سنة ١٣١١ هجرية  
كانت نقتت الاكباد وتنذر بسوء المصير ولاغرابة فان الظلم مدمر لكل عمران





## ذكر قراءة الناس بالالواح

كان التعالشي أميا يجمل الكتابة والقراءة وكان إذا أم الناس في الصلاة الجهرية يسر في القراءة حتى لا يسمع من وراءه قراءته التي يرجح الاكثرون انها لم تكن قرآنا لانه فضلا عن جمله المركب كان بليد الفهم حتى قيل ان الذي أقرأه فاتحة الكتاب نضي معه مدة في سبيل تلقيه اياها وفي سنة ١٣١١ شرع في قراءة السور الصغيرة من القرآن الشريف وخطب في الناس قائلا يجب على كل فرد من أفرادكم صميرا كان أو كيرا أن يحضر بعد ثلاث ليال لوحا من الخشب ويبتديء في كتابة القرآن كما يفعل صبية المكاتب فاجابه أحدهم بأن كثيرا من الناس يحفظون القرآن عن ظهر قلبهم ومنهم العلماء والفقهاء فالاولى أن تكون القراءة الزامية بالنسبة للاميين والذين لا يحفظون القرآن فاجابه التعالشي بان حفظه القرآن والعلماء والفقهاء لا تنفعهم معرفتهم ولا تغني عنهم تمثيلا الا اذا امثلوا ما أشرت به عليهم فاجابوا بالسمع والطاعة وانصرفوا الى حوانيت النجارين لصناعة الالواح فارتفعت أثمان الالواح وكان الفائز من يحصل على لوحه قبل الميعاد المضروب لكي لا يصبح تحت طائلة العقوبة

وبعد ثلاثة أيام أحضر جل الناس الالواح فلما رآهم رقى منبر الخطابة وقال لهم هيا ابدأوا بقراءة القرآن من اوله وعلى كل أمير أن يجمع آباعه في المسجد بعد غروب الشمس ويوقد نارا من الحطب يحيط بها الناس ويقرؤون الواحهم على ضوءها حيث يصير الامير كفقيره يعلم الصبيان فينتهر هذا ويزجر ذاك وهكذا ثم يمر التعالشي متفقدًا تلك الخلفات كأستاذ أكبر ويقف على كل حلقة

ويبدي ما يمين له من الانتقاد فانظروا الى هذه السخافة فكان هذا الطاغية  
 الغشوم لم يكنف بما صار له من الساطان على الناس يحكم فيهم - كيف شاء  
 حتي أراد ان يجعل نفسه معلم صبيان ويجعل شعبة كاطفال يتعلمون  
 على أنه ربما كان الباعث له على هذا الامر هو أن والده ( التعايشي ) كان  
 يعلم الصبية القرآن وقد كانت نفسه قبل نيله الملك تتوق لان يكون معلم  
 صبيان كاليه وكان بينه وبين تلك الامنية صموبة تعامه القراءة والكتابة فلما قدر  
 له أن يكون ملكا رأي أن يقضي وطره من تلك الامنية التي كان دون وصوله  
 اليها خبط القناد هذا ما يمكنني ان ابرر به سخافة ذلك الظالم ان كان ثم ما يبرر  
 السخافة والا فالناس كلهم كانوا في حيرة لا يهتدون معها الي الباعث له الي  
 هذا الامر

والحاصل أن الناس ظلوا أكثر من عامين عاكفين على القراءة في المسجد  
 والتعايشي بتلذذ بالتبختر حولهم وتفقد حلقاتهم التي كانوا يتكوفون فيها  
 ويرفون أصواتهم بالقراءة

ولسنا ندري بمد ذلك هل زالت عنه بلادة الفهم ووفق الي حفظ بضع سور  
 من القرآن الشريف فانه استمر على القراءة سرا سواء كانت الصلاة مما يسرفي  
 قراءتها أو يجهر فيها وكان يحمل لوحا مثل بقية الناس يخرج به من منزله ويعود  
 به وكان من جملة ما أمر به أن يحمل أرباب الحوانيت من التجار والصناع الواحا  
 تكون معهم مدة العمل وبعد غروب الشمس يحملونها الي المسجد لينضموا  
 الي الحلقات التابعة لها حتي ارتفعت أصوات الناس بالندم والشكوى وبعد  
 أكثر من عامين أصدر أمره بمعاقتهم من اقراءة فتركوها وهم فرحون

## ذكر بقية اخبار سلاطين باشا وفرار

وعدت بذكر بقية اخبار سلاطين باشا التي وفتت فيها عند ذكر سجنه لما وتمت عليه تهمة مخارة المأسوف عليه غردون باشا واقول الآن انه ظل مسجوناً الى ما بعد سقوط الخرطوم حيث أطلقه التمايشي من السجن وأمره بالازمة بابه مع شذوة من حراسه يطاق عليهم اسم (اللازمة) فظل مقبياً هكذا وشاد لنفسه داراً بالقرب من منزل يعقوب أخي التمايشي وكان يقضي معظم ليله ونهاره في باب التمايشي رافعاً صوته بالتهليل وكان صوته أشبه بنغمة الافرنج وكان عنده من الخيل حصان يركبه كلما ركب التمايشي وكان في بيته جوارخدمته أهداهن له التمايشي وهن رقيات عليه وكان يلبس الملابس الرثة اظهاراً لازهد وتمويها على اجتناب الرفاهية وكان يمشي في أكبر الاحيان حافياً وكان له حذاء من نوع النعل الذي يقال له (شقبانه) واذا ركب جواده في موكب التمايشي تعمم بعمامة حمراء وتمنطق بمنطقة حمراء مثل سائر الفرسان وفي بعض

الاقوات يحمل بندقية من طرز رانغيتون من النوع المخصص للفرسان

وكان شديد الحذر والتميقظ فلا يظهر ما تكنه نفسه من المقاصد وله اصدقاء كثيرون منهم من لا يصدق بدعوى المهذوية أصلاً وهو لاء لا يحترس من التصريح لهم بما يوافق مشربهم وله اصدقاء أيضاً من الذين يصدقون بدعوى المهذوية لكنهم ينقمون على التمايشي ويودون أن يكون سيره مطابقاً للمدلة التي تكفل عمران البلاد وتنظيم الحالة وهو لاء يظهر لهم انه من الذين من الله عليهم بالهداية الى الاسلام وانه يود من صميم قواده ان تصبح دولة المهذوية من أرقى دول الارض ويخفهم بكثير من اخبار تقدم الممالك وما

يلزم له من ضمانه العدالة والمساواة اللتين هما اس العمران وله اصداقاء  
غير هؤلاء واولئك وهم البقارة والذين معه في ملازمة باب التمايشي وهؤلاء  
يظهر لهم في كل لحظة وحين انه من اخاص المحاصرين للتمايشي وربما اتى عليهم  
من المواعظ ما يزيدهم تمسكا بولاء التمايشي حيث يقول لهم ان لاسلامه  
للانسان في الدنيا والاخرة بغير ان يكون طائعا لخليفة المهدي في كل  
ما يامر به

والخلاصة انه صار ذا صداقة مع جل الناس ومع ذلك كله لا تجرد منهم  
من لا يحترمه ويشهد له بالعقل والدماء  
وأما علاقته مع قلم المخبرات في مصر فبالطبع انه كان يكتمها كل  
الكتمان ولكن يظهر انه كان ذا علاقات كثيرة معه اذ كان يوافيه ببعض الانباء  
مع حذر وتيقظ

هكذا يجمل حال سـلاطين باشا وفي اواخر سنة ١٣٠٣ كان التمايشي  
انفذه بمأمورية الي يونس الديكيم لما كان ممسكرا في (ود العباس) فعاد منها  
ويقال انه قدم للتمايشي نصائح عديدة كان البعض يظن وقوعها موقع القبول  
عند التمايشي نخبات ظنونهم

وأما فراره فقد تم الاتفاق عليه بين قلم المخبرات وشخص يدعى  
(احمد الفحل) احد أفراد قبيلة الجميلين وكان علي مابغنى جاسوسا لقلم المخبرات  
براتب قدره عشر جنيهات وكان يتستر بالتجارة في ذهابه وايابه الي مصر  
وكذلك يوجد شخص آخر اسمه (الصادق بن عثمان) كان يعاون أحمد الفحل  
لانجاز هذه المهمة قدم الشخصان أم درمان وخبياآ الجمال وادلاء الطريق خارج  
ام درمان واخبراه بالامر فلم يربدا من الفرار لانه أصبح في خطر من

التماشي بسبب ان بعض التجار جاء باعداد من احدي الجرائد المصرية وفيها من الاخبار ان الحكومة باذلة جهدها لانقاذ سلاطين باشا وان الجائزة التي كانت مجعولة لمن ينقذه ضوعف مقدارها فاشترى سلاطين باشا احدي تلك النسخ بمبلغ من الريالات ثم علم بوجود غيرها وانه لا سبيل الى شرائها بغير مبالغ عظيمة وذلك من جملة الاسباب التي جرته على المخاطرة بحياته في سبيل الفرار كما قيل

اذا لم يكن غير الاسنة مركبا فلا يسع المضطر الا ركوبها  
 وكان التماسي وقتئذ ملازما داره لانحراف طرأ على صحته فاعتنم سلاطين باشا الفرصة وغادر ام درمان فارا الى اصوان حتى بلغها بعد جهد جهيد وبعد ما عين الهلاك بعينه ولا فائدة لنا بعد ذلك في سرد مآلقاته في الطريق من الصعوبات وما قاساه من فادح الاخطار لانه والحق يقال شجاع من الذين لا يبالون بالاخطار وذو ذكاء تضرب بحذقه الامثال على انه اذا كان الفضل لكتشنر باشا فيما أبداه من الحنكة والتدريب في فتح السودان وونجت باشا في ادارة المخبرات التي تتوقف عليها أسباب النجاح فان سلاطين باشا لا يصح أن يغفل ذكره كلما ذكر هذان القائدان اذ هو صاحب المعلومات التي كان الاثنان في حاجة لها في جميع أطوار الحملة. والخلاصة انه من الذين كانوا السبب الاكبر في انقاذ بلاد السودان من ربقة الظلم والاستبداد وسيذكر ما ذكر هذا الفتح الحميد والى الله عافية كل شيء

وأما التماسي فلم يتصل به نبأ فرار سلاطين باشا الا بعد اليقين مضنا على فراره فاحتدم غيظا واركب خلفه الركبان الذين رجعوا بغير أن يدركوا غباره وقد كان من شدة غضب التماسي انه أمر بسجنى خوفا من فرارى كما سيحيى

ذكر لك مفصلاً فيما يأتي وكما سيحجى ذكر القبض على اللذين دبراً له الفرار  
وهما أحمد الفحل والصادق عثمان

ذكر نفي أحمد الفحل والذين ساعدوه علي فرار سلاطين باشا  
قلت ان أحمد بن الفحل كان جاسوساً لقلم الخبارات المصرية يتناول  
راتباً قدره عشرة جنيهات ورفيقه الصادق بن عثمان كان كذلك لكنني لا أعرف  
مقدار الراتب الذي كان يتناوله على الجاسوسية

وأحمد الفحل هذا من قبيلة صغيرة من الجميلين تسكن قرية اسمها  
(الغلاب) في الضفة الغربية لانيل وعلى بعد بضعة أميال جنوب بربر وأما  
الصادق عثمان فانه كان من أهالي بربر وكان من جنود الحكومة (الباشبوزق)  
ثم ترك الجندية وصار يتجر بالسلع ظاهراً وبالجاسوسية باطناً

ولما عقدا الاتفاق مع قلم الخبارات الذي لا بد أن يكون نقدهما شيئاً من  
المال يستعينان به على ابتياع الجمال وشراء الدواب واستئجار الادلاء غادرا  
القاهرة ولاحقاً بربر ويظهر أنهما كانا ذير مبالغين بعاقبة ما عقدا النية على انفاذه  
حيث أخذنا في شراء الجمال بنفسهما ومعهما الادلاء وهما في بربر وقد كنت في  
حيرة عسر على الاهتداء معها الى الاسباب التي ملات قلبيهما جرأة حتى  
صارا في حركة كانت سببا في وقوعهما في بران التمايشي حتى نقل الي بعضهم  
أن أحمد الفحل قدم رشوة من المال الي الزاكي عثمان أمير بربر يومئذ وأطلعه  
على ما ينويه فوعده بالكف عن عمرقائه حتى صار يباشر شراء الجمال غير خائف  
ولا متهمب حتى أن التمايشي لم يستبدل علي اللذين هربوا سلاطين باشا الامن  
احد أهالي بربر كما تراه مبسوطاً في هذا الباب ويظهر جلياً للمتأمل صحة هذا

القول ولو لم يكن كذلك لما خفي على الزاكي ما محاوله أحمد الفحل ولا استطاع أن يقبض على سلاطين باشا قبل مغادرتهم قرية الفحل ولا نقل إلى مخبري أيضاً أن أحد الجواسيس أخبره بأن سلاطين باشا لما بلغ قرية الفحل ذهب وأخبر الزاكي بمكمنه فأمر بإيداعه السجن لكيلا يذاع الخبر وبعد بضعة ليال أطلقه بعد أن أمره بكتمان هذا الأمر

والخلاصة اني أرجح اشتراك الزاكي في مسألة هرب سلاطين باشا وأنه تناول رشوة اذ كان أحمد الفحل صديقاً حميماً له ومقرباً عنده. والحاصل أن أحمد الفحل ورفيقه لما غادرا بربر ولحقاً بأمر درمان وأوعزا الي سلاطين بالهرب وظل التعماشي في حيرة لا يعرف معها من ساعده علي الهرب قدم عليه عبد الماجد بن الحاج محمد وهو ابن أخي محمد الخير الذي كان داعية المهدي في بربر فأخبره أنه رأي أحمد الفحل ورفيقه الصادق عثمان ومعهما دليل يتعاون الجمال في بربر فأرسل التعماشي العوض المرضي أمين بيت المال الى أحمد الفحل فاستدعاه اليه وقال له اننا نريد منك أن تجلب لنا موسيقي من القاهرة فقال لهم نعم أتعهد لكم باحضارها وبينما هو في الكلام اذ هجم عليه العبيد وقبضوا عليه وأوثقوه كتافهم زوجوه في السجن وكذلك قبض على رفيقه الصادق عثمان وعلى شخص آخر يدعي ابن أبي بشر اتهم بأنه كان يمينهما ثم أرسل التعماشي الي بربر فقبضوا على الدليل الذي رآه معهم وهو عبد الماجد الآنف الذكر ولما أوقف الدليل بين يدي التعماشي خاطبه قائلاً اذا صدقتني الخبر فانت آمن علي نفسك ومالك فاجابه قائلاً ان أحمد بن الفحل والصادق عثمان استأجراني من بربر وجاء بي مع الجمال التي اشتريها منها وتركاني في سفح جبل (كردي) ثم أتاني في يوم كذا بنصراني مبتور الاصبع الوسطى وقالوا

لى أوصله قرية ( الفجلاب ) وسلمه الى أخوة أحدها أحمد الفجل فذهبت  
وأوصاته لهم ثم لا أعلم ماذا صار فامر به الى السجن وبعد أيام أطلقه ولم  
يصبه بسوء فتحقق صدقه ثم أرسل لقبض علي أخوة أحمد بن الفجل  
الثلاثة وأودعوا السجن وبعد أن مضى عليهم شهران في السجن سجت في  
خلالها معهم كما ذكر ذلك في مكانه فاشعرت الاونحو خمسين عبداً من حراس  
يعقوب دخلوا السجن وبايديهم السياط فاخرجوا أحمد الفجل والصادق عثمان  
وابن أبي بشر وأخوة أحمد الفجل الثلاثة ونزعوا ثيابهم عنهم وقرنوهم في  
الاصفاد وأخذوا يضربونهم بالسياط حتى تمزقت جلودهم وسالت الدماء منهم  
وكانت إحدى البواخر راسية على ضفة النهر فسيقوا اليها وهي على وشك  
السفر الى خط الاستواء ولما وصل هؤلاء المسجونون الى ضفة النهر أغمى  
عليهم من شدة الضرب فكان الحراس يحملونهم كما يحمل المتاع ويلقونهم  
في عنابر الباخرة فكنت تسمع مصادمة اجسامهم مع جسم قاع الباخرة  
كانهم من نوع المتاع ثم اقلعت بهم الباخرة الى خط الاستواء وهناك لقوا حتفهم  
فهؤلاء هم الذين ذهبوا ضحية سلاطين باشا وانا سابعهم لكنني ولله الحمد  
نجوت بعد عذاب قاسيته خمس سنوات في السجن كما سيأتى ذكر ذلك

### ذكر سجن ابراهيم حمزة وجماعة من اعيان بربر

ابراهيم حمزة عميد قبيلة في بربر اسمها ( الانقرياب ) ولما وصلت دعوة  
المهدي الى بربر نفر عنها ابراهيم وقومه وبقى على ولاء الحكومة حتى اكره على  
الخروج لأمهدوية وهو كريم جواد ذو أيد بيضاء على جل اسرى المصريين  
وذو سعة وسيجيء في اخبار سجن المؤان ذكر كثير من شمائله الغراء



ولما فر سلاطين باشا كما تقدم وبلغ قرية ( الفجلاب ) ذهب مخبر الى ابراهيم حمزة هنا وأعلمه بمكمن سلاطين فامتنع من القبض عليه وبعث اليه من حذره وامره بسرعة الرحيل وأوصي يومه بعدم التعرض له وتظاهر بعدم العلم بامرهم فاتصل ذلك بالتماشي فارسلي يستقدم ابراهيم وبعض أقاربه ومنهم ابن عمه محمد الشايقي وكذلك استقدم منصوراً ومحمداً ابني العجمي وهما عميدا عشيرة في بربر أيضاً

ولما قدم ابراهيم جلس التماشي مع القضاة واهل الشورى وادخل عليه فسأله قائلاً لماذا تركت سلاطين اجتاز بلادك فاجابه يا مولاي اني لم اعلم بامرهم وانه شيطان قدر على انفرار من بابك وفتت من ايدي الالوف من حراسك فكيف لا يقدر على اجتياز بلادتي التي هي فلاة مملوءة بالادغال والغابات فاطرق التماشي ثم امر بسجنه وابن عمه وكذلك ابني العجمي ووضع في رقبة كل منهم جنزيراً من الحديد وجملة من القيود فكثروا في السجن خمس سنوات حتي اتقدم اللورد كتشتر يوم فتح ام درمان وسنذكر بقية اخبارهم في السجن وما كان من احتفالهم بي فيه اذ لولا ما كان يبذلها ابراهيم حمزة من المال في سبيل دفع اذي السجنانيين عنى لهاكت جزاء الله عنى أحسن الجزاء

تمهيد في ذكر السجن ونظاماته واطلاق اسم

السائر على كل سجن

تعلمت مما تقدم كيف هرب سلاطين باشا الذي لم ألبث بعد فراره الا أياماً قليلاً صار سجنى تبعها حيث ظلت في السجن خمس سنوات ثم أطلق

اعتقالي منه اللورد كيتشنر يوم دخل أم درمان  
ولما كان جل ما يحىء ذكره في أخريات هذا الجزء من أخبار السجن  
التي قاسيتها رأيت أن أقدم هذا التمهيد في ذكر نظمات السجن وترجمة السجن  
المسمى (الساير) ادريس الذي اطلق اسم الساير على كل سجن من سجون  
المهدوية وفي الانحاء الخاضعة له الا لاجله فاقول أما ترجمة الساير المذكور فانه أعرابي  
من قبيلة (الجمع) التي تسكن شرقي كردفان وقد تقدم لنا ذكر شيء من  
عوائدها التي من جملتها ان الفتاة لا تتزوج الا بعد ان تلد بضعة أولاد من الزنا  
ليدينوا اخاها ويطلق عليهم اسم (عينة خالهم) وكان الساير هذا من أكبر أشقياء  
تلك القبيلة وكان رئيس عصبة تقطع الطرق بالهيب والسلب

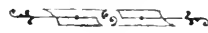
ولما ظهرت دعوة المهدوية في جبال قدير لحق بها الساير فقلده المهدى  
وظيفة سجان ومن ثم اطلق على السجن اسم الساير  
وأما أوصافه فانه كان ربة في الطول بدين الجسم ولونه نحاسي غامق ووجهه  
عبوس وكان عيذه شعلة نار

وكان التمايش لا يدفع له مرتبا ولكنه ذو روعة عظيمة تقدر بمئات الالوف  
جمعها من الذين أوقفهم نكد الطالع بين يديه وسترى فيما يأتي أمثلة من ضروب  
ابتزازه اموال المسجونين

وأما معاونهم كثيرون وجلبهم من التبيد (الجهادية) ورؤساؤهم من ذوى  
قربته من قبيلة الجمع

وأما السجن نفسه فانه عبارة عن سور من اللبن الاخضر على أكمة  
مرتفعة عند ضفة النهر وفي داخل السور العام عدة اسوار ومبان اسكنى  
الخبراء وجاوس السجنان

وأما غرف المسجونين فهي كثيرة منها ماهو مشيد بالحجارة وجلها ليس له نوافذ لتبديل الهواء ويوجد من الغرف ما يطلق عليهما اسم (الاعدام) وعلى كل حال فان السجن نوعان خفيف وثقيل أما الخفيف فهو عبارة عما يعامل به الذين يسجنهم القضاة بسبب الديون أو الحدود وغيرها وأما الثقيل فخصوص بالذين يسجنهم التعاشي وهم في الغالب ذوو الجرائم السياسية وما يباحق بها وسترى فيما يأتي ذكر كثير من أخبار السجن وغرائبه والله الموفق



### ذ كر سجن المؤلف

لما فر سلاطين باشا استدعى التعاشي القضاة وكثيراً من أهل شوراه وجلس معهم وعدد لهم ما أتاه مع سلاطين باشا من أنواع الاكرام وما غمره به من الاحسان ومع ذلك فقد كفر تلك النعماء وارعد عن الاسلام ولحق ببلاد الكفار فأجابوه بالاستغراب وقال له أحدهم انه لا أمان لمن كان وجهه أبيض خصوصاً اذا كان ذا وظيفة في الحكومة وقال له آخر ان سلاطين قد كان مضمراً للكفر مظهرراً للاسلام والدليل على ذلك انه كان صديقاً حميماً لبراهيم فوزى (المؤلف) وكانا يجتمعان في منزلهما ويشربان الخمر ويدخانان التنباك ولا بد أن يكون ابراهيم فوزى ذا ضلع في مسألة فراره فقام ثالث وقال للتعاشي انك اذا لم تأمر بسجن ابراهيم فوزى فر ولحق بسلاطين لان سلاطين أصغر منزلة في الحكومة من ابراهيم فوزى اذ هو حائز رتبة (باشا) أما سلاطين فلم يكن حائزاً الا على رتبة (بك) فصادفت هذه الاقوال أذنا صاغية من التعاشي فأرسل أحد حراسه لاحضاري

وبينما أنا في غفلة من هذا اذ فاجأني الطلب فارتعت له وأدركت ان  
 المصير سيء فحاولت اخفاء ما ألم بي فلم أفلح وذهبت وكأنتي أودع الحياة  
 على أن ما قاله مشيرو السوء لم يكن له نصيب من الصحة اذ كنت  
 لا أجتمع بسلاطين باشا الا نادراً وليس بيني وبينه غير مودة سطحية لانه  
 كان يخاف علي من تهمة كهذه ولكن لا يغني حذر من قدر

ولما دخلت على التعايشي ألفيته جالسا على عنقريب ( سرير ) وحوله  
 القضاة والمشيرون جاثين على الارض كعادتهم وسيفه موضوع علي فخذه  
 ممسكا بيمينه علي قبضته كانه يريد أن يستله والغضب باد علي وجهه فخاطبني  
 قائلاً يا ابراهيم فوزي فقلت ليك يا خليفة المهدي عليه السلام فقال أين سلاطين  
 صاحبك فقلت لا أعلم ياسيدي وأظن انه في منزله فانتهرني بصوت جهوري  
 قائلاً اذهب اليه وأحضره لي فمشيت بضع خطوات نحو الباب فقال لي  
 يا ابراهيم فوزي فعدت اليه فقال ألم يكن عندك خبر بهروب سلاطين فقلت  
 كلا فقال لي انه هرب فقلت باندهاش (أهرب أهرب) فقال لي ماذا تقول  
 في أمر هربه فقلت يا خليفة المهدي عليه السلام ان سلاطين نصراني ارتد  
 عن الاسلام وعاد الي دينه النصرانية وقد أبعد الله عن التمتع بمشاهدة أنوار  
 خليفة المهدي عليه السلام في الدنيا والآخرة ومع ذلك فانه لحق بمصر التي  
 ينوي مولانا الزحف عليها في هذا العام ولا بد من وقوعه في قبضة المهدي  
 ويدوق جزاء خيائته وفراره فأطرق التعايشي الي الارض هنيهة ثم رفع رأسه  
 وألقى علي الاسئلة الآتية

س - هل كان سلاطين يدخن التبناك - ج - لا أعلم شيئاً من هذا -

س - هل كان سلاطين يشرب الخمر - ج - أستغفر الله يا خليفة المهدي عليه

السلام أنا أعتقد أن مدينتك طاهرة مطهرة من كل رجس وليس فيها خمر أو محرّم - س - هل كان سلاطين تاركا للصلوات الخمس - ج - ان سلاطين كان ملازما لخليفة المهدي عليه السلام في أوقات الصلوات الخمس وبدا لا يكون تاركا للصلاة وهذا ما نراه نحن بأعيننا أما البواطن وما تخفي الصدور فان عليها عند خليفة المهدي عليه السلام

وعند نهاية هذه الكلمة التفت التعالشي لمن حوله وقال خذوا هذا (وأشار الي) الى السجن وكان ذلك آخر عهدى بمحادثته ورؤية وجهه فاجتذبنى أربعة من الحراس الى خارج الباب وهناك اجتمع على نحو خمسين منهم فاخذوا يضربونى حتى سال الدم من أنفى وجسمى ثم نزعوا عمامتى وشدوا بها وثاقى وساروا بى الى السجن والسياط تمزق جسمى فلم أقدر أن أمشى الابعض خطوات ثم سقطت على وجهى وقد أنعمى على فأمسكونى وأسندنى بعضهم والبعض الآخر يضربنى بالسياط حتى بلغت باب السجن فتلقانى حراسه بالضرب بالسياط أيضا ووضعوا فى رجلي ستة قيود يربو وزنها على أربعين رطلا ووضعوا فى رقبتي غلا كبيرا (جنزيرا) وامسك الحراس عن ضربى بالسياط فالتفت اليهم وقلت اسقونى ماء فكان جوابهم الضرب بالسياط وقالوا الى مثلك لا يستحق شربة ماء ياعدو خليفة المهدي عليه السلام ثم أدخلونى السجن

### أول ليلة فى السجن واخبار اثنين يدعيان النبوة

كان وصولى الى دائرة السجن فى أصيل النهار وبعد وضع الحديد فى رجلي ادخلت الى أودة يطلق عليها اسم (أودة الحجر) لانها مشيدة

بالاحجار وليس فيها نوافذ غير الباب الذى يدخل منه وهى مظلمة جدا  
 فدخلت وليس على جسمى من الملابس غير السراويل فوجدت فيها نحو مائتى  
 مسجون وهى لاتسع أكثر من ربع هذا العدد فرأيت بينهم ثلاثة رجال  
 بيض الوجوه يكادون لفرط ما هم فيه من العذاب مع طول مدة السجن أن يكونوا  
 أشباحا بلا أرواح فدنوت منهم وجلست بجانبهم فاذا أحدهم الموسيو شارل  
 نيوفيلد الذى تقدم لنا ذكر خبره والآخر صيدلى مصرى اسمه خليل أفندى  
 بسيم والثالث رجل من تجار اليهود فى أم درمان جلست بينهم وأنا اتقلب  
 فى الام الجروح والضرب اللذين ذكرتهما قبل فاطهر والى من المواساة  
 والتوجع لمصابى ما كاد يعزىبنى واخذت أجيل نظرى فى الغرفة فاذا الذين  
 فيها جلهم مرضى مصابون بالاسهال واذا بجانب كل واحد حفرة يتغوط  
 فيها ولضيق الغرفة كان الناس مترامكين على بعضهم ومنهم من هو واقف  
 على نخذغيره ومنهم من يصيح وطئت على رقبتي كل ذلك ولا منفذ يستنشق  
 منه الهواء غير الشقوق التى فى الباب

ولم يمض على أكثر من ساعة حتى أغمى على وفقدت الشعور ولم أفق  
 الا على صوت الموسيو نيوفيلد الذى كان يصيح من داخل الباب لخفير  
 السجن قائلاً ( ان الرجل الذى جثم به قد مات ) لانهم أيقنوا بموتى فلم يعبأ  
 الخفير ولا السجنانون بكلامه ولما رفعت رأسى سمعت أصحابى الثلاثة  
 يقولون ظنناك فارقت الحياة فالحمد لله على سلامتكم وكان عند كل واحد  
 قطعة من الخرق بالية يروح بها على نفسه من شدة الحرق فكان  
 الثلاثة يروحون على بخرقهم وقد نسوا أنفسهم فجزاهم الله عنى  
 أحسن الجزاء

وقبيل الصباح دخل علينا السجانون فأوسعوني واصحابي ضربا بالسياط  
 فائلين لنا لماذا يا أولاد الريف يا كفار تجلسون مع بعضكم ثم وضعوا كل  
 واحد منا في أودة مع أناس من المسجونين فجلست بجانب عبد أسود تظهر  
 عليه علامة المرض فبدأته بالحديث مستفهما عن جريمته فرفع رأسه وقال لي  
 أما تعرفني فقلت كلا فقال أنا عيسى بن مريم نبي الله ورسوله فظننته مازحا  
 فقلت له أصحيح ما تقوله فالتفت اليّ وقال لي ستري مصداق ذلك قريبا فقلت  
 له ان عيسى صلوات الله وسلامه عليه أبيض اللون وانت عبد أسود فأجابني  
 بثبات جاش ان جميع الالوان بيدي ولو شئت جعلت لوني أبيض ولكنني اخترت  
 سواد اللون تواضعا لله تعالى ثم رأيت بجانب رجل آخر ذا ملابس نظيفة  
 وهيئة مهيبة فقلت له هل سمعت ما يقوله هذا الذي يزعم انه عيسى بن مريم  
 عليه السلام فلم يرد عليّ فظننت انه مستغرب هذا الخبر وأخذت أكله  
 وقلت له حقا ان هذا الامر غريب جدا وهل يظن مثل هذا الكذاب  
 ان دعواه تقابل بالتصديق ولو من البسطاء فلم يرد عليّ بشيء بل أعرض  
 عني وبينما أنا متعجب اذ التفت الى خافي فرأيت احمد الفحل ورفيقه  
 الصادق بن عثمان اللذين سبق لنا الكلام عنهما وانهما هربا سلاطين باشا  
 يضحكان فلم أفهم لماذا يضحكان فدنوت منهما وسألتهما عن سبب  
 ضحكهما فقالا لي ان الرجل الذي تكلمه وتشكوه له أمر المتنبى يدعى هو ايضا  
 انه عيسى بن مريم عليه السلام فازددت تعجبا ودخل ساعتئذ أحد  
 السجانين واسمه (ابولباده) وقال لي يا ابن الريف لماذا حبسوك فقلت  
 لا أدري فقال لي انكم معشر أولاد الريف لا تتركون كفركم وانكازكم على  
 المهدي وخليفته فدنوت منه وأخذت أترامى على اقدامه ورجوته أن ينقلني

من هذه الغرفة التي فيها متنبئان فقال لي على شرط أن تنقذني ريالاً فقلت له  
 أنقذك الريال مع اني لا أملك قرشاً واحداً ولا في بيتي درهم ولا دينار  
 فأخرجني من تلك الغرفة الى غرفه أخرى فيها أكثر من مائة مسجون فقضيت  
 بقية الليل واقفا على قدمي والناس يضحون من شدة الحر والازدحام  
 وتوفي اثنان منهم في تلك الليلة

ولما لاح الصباح أخرجونا من الاوذة فسمعت السجناء يقولون ان  
 (الاوذة كرمت) اي أنها ضحت هذين الرجلين ثم جروا الرجلين من  
 أرجلهما وألقوهما في النهر

هذه أخبار الليلة الاولى في السجن أوردتها بإيجاز كثير وسأعود الى  
 ذكر بقية الاخبار في محالها والله الهادي الى سواء السبيل

### انذار المورث بالاعدام

وبعد خروجي من الأوذة جلست مع المسجونين في حوش السجن  
 وبعد بضع ساعات كنت أستنشق الهواء في خلالها جاءني أحد السجناء  
 يدعوني للخروج الى أوذة أمير السجن فخرجت أرسف في قيودي فوجدت  
 بها اثنين من القضاة أحدهما سليمان بن الحجاز والثاني احمد بن حمدان  
 فقالا لي ان خليفة المهدي عليه السلام بلغه عنك انك كنت تصنع أشياء  
 مخالفة لمنشورات المهدي عليه السلام وانه رأى وجوب قتلك فقلت ان خليفة  
 المهدي عليه السلام أوتي الحكمة وفصل الخطاب وان المهدي عليه السلام  
 أخبر بانه من اهل الكشف فاذا كان هذا القول من عندياته فهو  
 صادق والافان لي أعداء يرومون التشكيل بي من قبل زمن المهديتهم



كذابون وعلى كل حال فأنا لا اطلب لديناي أو آخرتي غير رضا خليفة المهدي  
 فاذا عزم على قتلي فأنا راض بأمره واسأله أن يرضى عني وان شاء استحيائي  
 فاني لا أرغب في الحياة الا اذا كانت مصحوبة برضاه فذهب القاضيان له  
 وأخبراه بما قلته وبعد ساعتين عادا الى وقالوا لي ان خليفة المهدي عفا عنك  
 واستبدل قتلك بسجنك مؤبداً فوجدت بين يديهما شاكراً لله تعالى ثم  
 رفعت رأسي وقلت لهما أبلغا تحيتي لمولاي خليفة المهدي عليه السلام وقولا  
 له ان عبدك طامع في عفوك ومتوسل اليك بحمدك وحنانك فذهبا ولم يعودا  
 الا بعد سنتين وسيجيء ذكر ذلك في مكانه

### ذكر قتل القاضي احمد بن علي

القاضي احمد بن علي أصله من عشيرة اسمها ( بنى هلبه ) تسكن جنوب  
 دارفور وكان يحفظ القرآن الشريف ويعرف قليلا من الفقه على مذهب  
 الامام مالك وولى القضاء في أحد مراكز مديرية (شكا) إحدى مديريات  
 دارفور ولما ظهرت دعوة المهدي في جبال قدير فر احمد المذكور ولحق بها  
 وشهد مع المهدي واقعة يوسف باشا الشلالى وقدم معه الى الابيض عاصمة  
 كردفان حتى كانت وقعة يوم الجمعة التي قتل فيها احمد بن جباره الذي كان  
 قاضيا للمهدوية كما مر ذكر ذلك بأسهاب في الجزء الاول

وكان احمد هذا ميالا لجانب عبد الله التعايشي الذي جعله قائدا صغيرا  
 على عشيرته ( بنى هلبه ) وأعطاه راية صيرها تابعة لرايته الزرقاء فتكلم  
 مع المهدي في شأنه وسأله أن يوليه القضاء بدل احمد جباره فولاه  
 ولقبه بلقب ( قاضي الاسلام ) ولكن وظيفته هذه صارت اسما بلا مسمى

وذلك لان المهدي أقام نوابا للفصل في القضايا المهمة ونصب أمناء ينوبون عنه في نظر ما يرفع اليه من المسائل وقد تقدم ذكر ذلك فيما مر من الكتاب

وقد ذكرنا ان لكل من القاضي والنواب والامناء اختصاصا في وظيفته ولكن النواب والامناء تجاوزوا حدود اختصاصهم ولم يتركوا للقاضي اختصاصا ينظر فيه حتى صارت وظيفته اسما بلا مسمى الى أن هلك المهدي واستبد التعالشي بالملك فالغى وظيفته الامناء ثم النواب وجعل المحكمة واحدة تحت رئاسة أحمد بن علي تنظر في كل ما يرفع اليها من الدعاوى والخصومات وقد أشرنا فيما مضى الى الغرض الذي كان يرمى اليه التعالشي من وراء هذا الانقلاب الذي يتوخى به الاضرار بأقارب المهدي واضطهادهم. وحاصل القول ان أحمد بن علي أصبح ذا مركز سام ونفوذ عظيم ولم تقف حظوته عند القضاء فان التعالشي وأخاه يعقوب كانا لا يقطعان أمرا دون مشاورته فاستفحل أمره وتلاعب بالقضاء أيّ تلاعب وانضم الى رايته أغنياء البلاد وسراتها في سائر أنحاء السودان وصار يكتب الى الجباة بمعافاة المتيمين اليه من أهالي البلاد من الضريبة والخراج التي صاروا يؤدونها له واقتنى عدداً كبيراً من السفن الشراعية وامتلك كثيراً من قطع الاراضي الخصبة أما الرشوة فقد كان دخله اليومي منها يقدر بالالوف من الريالات وشاد لنفسه داراً واسعةً بالقرب من ضفة النهر ملاًها بالنساء الحسان من السودانيات والمصريات وجلبن قبليات من سكان الخرطوم اللاتي استباحهن المهديون وامتلات الفياقي وأماكن المرعى بقطعان ماشيته من الابل والبقر والغنم وبالجملة فقد أصبح ذا ثروة طائلة

ومن غرائب شعورته في القضاء وخراب ذمته وميله الى الارتشاء ما أورد منه هذه النكتة ليقاس عليها بقية أعماله وذلك انه في احدى السنين تشاجر جاب اسمه حسيب مع احدى قبائل البحر الابيض لاسباب طفيفة كان الحق فيها مع رجال تلك القبيلة فأمر مقاتلته باطلاق الرصاص على الحى فقتل من الرجال نحو ثلاثين رجلا عدا الجرحى فرفعت الحادثة للتعاشى فأكبرها وغضب على الجابى وأحال محاكمته على القضاء فعقدت الجلسة الاولى ثم ارجئت الى الغد وفي تلك الليلة حمل الجابى الى القاضى أحمد بن على ثلاثة آلاف ريال فأمر فى الغد بايداع المتظلمين من تلك القبيلة السجن وأفهم التعاشى انهم شهروا حربا على المهدي وخليفته وبعد عناء شديد اخرجوا من السجن وذهبت دماء المقتولين هدرًا ومثل هذا كثير لا يسع المقام ايراده وانما أوردنا هذا مثالا تقاس عليه حالة ذلك القاضى

وفي أواخر سنة ١٣١١ كتب التعاشى سرا الى الجباة يأمرهم بارسال الكتب التى ترد اليهم من القاضى احمد بن على يأمرهم فيها بمعافة المنتمين لرايته من الضرائب والخراج فاجتمع عنده شىء كثير منها فجلس ذات يوم ومعه القضاة واستدعى القاضى أحمد وقال للحاضرين ما يأتى

أيها القضاة أخبركم اننى اجتمعت برسول الله صلى الله عليه وسلم والخضر والمهدي عليهما السلام وبينما كنت معهم اذ رأيت شخصا معذبا بين السماء والارض فسألت عنه فأجابنى المهدي بانه القاضى احمد بن على فدهشت لذلك فقال لى الخضر عليه السلام انه نقض عهدك وجمع الاموال وظلم العباد فلهذا أنا أمر القاضى احمد بالتوبة والاستغفار كما أمره بالتخلى عن الرايات التى يقودها والانقطاع الى القضاء فقط اه

فقام القاضى وقبل يد التعاشى وبكى وانتحب وتاب واستغفر وخرج مع زملائه يرجوهم أن لا يذكروا شيئاً مما جرى في هذه الحضرة لاحد من الناس وبعد مضى بضعة أسابيع على هذه الحادثة ضبط محتسب السوق شخصين يدعى أحدهما عبد المجيد عبد الله الدقلى ويدعى الآخر عبد الله سايان يزيفان المسكوكات من نوع ريبالات المهديوية وأحضرهما امام التعاشى الذى سألهما عن جنابيهما فقالا له لم نزيّف بل نضرب العملة لك فتمعّب من هذه الجرأة وسألهما الايضاح فقالا ان القاضى احمد بن على هو الذى أمرهما بسك هذه النقود وأفهمهما انه مأمور من قبل التعاشى وكانا يؤديان له كل ما يصنعاة منها ثم أبرزنا كتابا من القاضى بخطه متضمنا هذا المعنى فأمسك التعاشى الكتاب واطلع من حوله عليه فأكدوا صحة صدوره من القاضى احمد بن على فاستدعاه وسأله قائلاً ألم يكفك ما اغتلته من الاموال حتى صرت زريف النقود فأنكر ذلك فأبرز له التعاشى الكتاب المذيل بتوقيعه ثم عاد الى الاعتراف فاحتدم التعاشى غضباً وقام من مجلسه ودخل الى أودة جلوسه واستدعى القضاة فجلسوا ولم يكلمهم بشيء بل أمر باحضار القاضى احمد ابن على فلما حضر بين يديه أمر الحراس بايداعه فى السجن فسيق اليه ثم قال لمن حوله من القضاة سأقوم فيكم خطيباً بعد صلاة المغرب فعليكم أن تسمعوا ما أقوله لكم ومروا الناس بانتظارى لسماع ما أقوله فخرجوا من عنده وبعد صلاة المغرب صعد منبر الخطابة وقال ما يأتى

ان احمد الاسود (لانه كان أسود اللون) أصله مولى قبيلة بنى هلبه ولم يكن منها وقد أفسد وظلم العباد واغتال أموال المسلمين فلذلك أرى ان موته خير من حياته فرد عليه الحاضرون بلسان واحد حسناً تفعل

ومن هذه الخطبة أيقن الناس ان القاضي احمد سيقتل  
 وفي اليوم التالى ذهب يعقوب أخو التعايشى الى السجن وانفرد بالقاضى  
 احمد وخذعه بانه سيسعى فى خلاصه من السجن فانخدع له ثم سأله عن  
 أمواله فأوضحها له وكانت شياً كثيراً من الذهب والفضة فضبطت كلها  
 وصودرت لجانب بيت المال  
 وبعد استتفاء أمواله طرح منفرداً فى احدى غرف السجن ومنع عنه  
 الطعام والشراب حتى توفى بعد بضعة ليال وكان طويل القامة بدين الجسم  
 شديد سواد اللون وكان غير مصدق بدعوى المهديّة وكثيراً ما رأيت  
 منه محاباة لجانبى فى أمور اُحليت محاكمتى فيها عليه بسبب فلتات من اللسان  
 عقوبتها الجلد بالسياط عند الدراويش

### ذكر تولية الشيخ الحسين الزهراء (القضاء وقتله صبراً)

تقدم لنا فى الجزء الاول من هذا الكتاب شىء من أخبار الشيخ  
 الحسين بن الزهراء وما كان من أمر قصيدته الهمزية التى نصح بها المهدي  
 وقد نشرناها برمتها وأن المهدي أنقذه الى كسلا وقد كان التعايشى  
 حاقداً عليه بسبب النصيحة المذكورة اما هو فقد رجع على نفسه باللائمة  
 لما فرط منه من الميل الى دعوى المهديّة التى انكر كل اعمالها وجاهر  
 المهدي بانكاره والمهدي يفضى عن عقابه رعاية لجلالة قدره وتقواه حتى  
 توفى المهدي وخلفه التعايشى الذى كان ذاميل شديد للانتقام من الشيخ  
 الحسين المذكور

وقد كان التعايشى استقدم الشيخ الحسين من بلده في الجزيرة وعهد  
اليه بالقاء دروس في علمي الحديث والمواريث في المسجد ولما قبض على القاضي  
احمد بن علي ولاة القضاء بدله

ولما ولى القضاء قال لخواصه اني لا أريد المحاباة بل أريد الوقوف عند  
حد الشرع وكل أمر يعرض علي لا أقول فيه غير الحق وأنا لا أجهل ان  
عاقبة ذلك ستكون الموت

وبعد أن تولى القضاء عرضت عليه مسألة وهي ( ان رجلاً من الموسرين  
اسمه عوض الكريم من أهالي قرية ( المئمة ) بمقاطعة بربر هجر دياره  
فراراً من ظلم المهدوية ولحق بالحرمين الشريفين وتوفي هناك فافتى القضاة  
بكفره ووجوب مصادرة أمواله ) فقال الشيخ الحسين لم يكفر هذا الرجل ولا  
تجوز مصادرة أمواله أبداً فحقد التعايشى عليه وأضمر له سوء

وفي ذات يوم دعاه ومعه قاضيان هما حسين جزو ومحمد حمدان وكلاهما من  
أهالي السودان الغربي لا يعرفان شيئاً من الاحكام الشرعية ولكنهما يحفظان  
الفاظ القرآن وكانا من اكبر قضاة الجهل والظلم ومعهما أمين بيت المال ولما  
استقر بهم الجلوس بين يدي التعايشى خاطبهم قائلاً « أيها القضاة ان بيت  
المال ليس فيه نقود وان الانصار يطلبون أعطيتهم فماذا نضع » فاجابه محمد  
حمدان بما يأتي

اننى سمعت المهدي عليه السلام يقول ان الناس بايعوني على ان  
اتصرف في رقابهم واموالهم تصرف المالك فيما يملك لاننى خليفة رسول الله  
صلى الله عليه وسلم وعليه فيجوز لامين بيت المال ان يكره ذوى اليسار على  
ان يقرضوه ما يطلبه منهم وليس بيت المال ملازماً بالسداد ولكن يعد الدائنين

بالوفاء تطيبها لخواطرم فاحتدم الشيخ الحسين غضبا وضرب بيده محمد  
حمدان قائلا

استغفر الله مماقلته فان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقرض ويوفي  
دائنيه ولا يجوز ابدا اخذ اموال الناس بالطريقة التي قلمها فساء ذلك التعايشي  
واحتدم غضبا وقال مخاطبا الشيخ الحسين

لقد كذبت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فانه لم يكن ملزما بتأدية  
ما يقرضه وقد اباح الله اخذ اموال الناس ثم أمرهم بالانصراف وقال  
للقاضيين الضالين حسين جزو ومحمد حمدان احكما بكفره لانكما قاضيان  
يجب انفاذ ما تحكما به فاخذاه وذهبا به الى السجن وامرا بوضع ثلاثة  
قيود في رجله وغل في عنقه ثم ذهب الى منزل يعقوب اخي التعايشي  
ليتداولا في الامر ثم رفا الى التعايشي حكما فخواه ان الشيخ الحسين كفر  
وان عقوبته احدى ثلاث اما ان ينفي واما ان تقطع يده ورجله من خلاف  
واما ان يسجن مؤبداً فاختر التعايشي هذه ظاهرا واضمر قتله فاعزز الى  
السجان بوضعه في احدى غرف الاعدام ومنع الاغذية عنه فنقله اليها بعد ان  
وضع في رجله اثني عشر قيذا وجزيرين ومنعوا عنه الماء فكان يستغيث من  
الظما وفي ذات ليلة رفع صوته بالاستغاثة طالبا شربة ماء ليستعين بها على معالجة  
سكرات الموت فلم يعطوه شيئا وكانت ليلة شديدة الحر فلم يشعر الا بالمطر قد  
هطل على السجن كافواه القرب مع اننا في فصل لا تمطر السماء فيه في السودان  
ابدا وتداعى ركن من اركان الغرفة المسجون بها فامتلات بماء المطر فشرب  
الشيخ واغتسل وتوضأ وملا ابريقه وفاض الماء حتى تجاوز ركبته  
وفي الغد دخل عليه السجنانون واوسعوه ضربا قائلين انك ساحر فقال

لهم لست بساحر ولكن الله سقاني الماء لما طلبته منه فآخذوا منه الابريق  
واصلحوا ما تدعى من ركن الغرفة وبعد ليلتين دخلوا عليه فألقوه في سكرات  
الموت بثبات جاش غريب ولما توفي أمر التعاشي بعدم غسل جثته وتكفينها ودفنها  
وصرح بان تلقى على وجه الارض لانه كافر بزعمه وأمر بكتمان أمر وفاته عن  
ذويه الذين ظلوا يروحون ويفدون الى السجن حاملين له الاطعمة والملابس  
فكان السجنانون يأخذونها منهم ويعودون لهم قائلين ان الشيخ يأمركم  
باحضار كذا وكذا من الاطعمة والملابس فيسرعون باجابتهم وهم لا يعلمون  
ان الشيخ مضت على مفارقتها الحياة بضعة أسابيع وجثته قدمت غداء للنسور  
وظلوا على هذا الحال زهاء شهر من الزمان حتى أمر التعاشي عقبيها بمصادرة  
امواله وأخذ نسائه فعلم ذووه انه فارق الحياة

أما وفاته فقد كان لها تأثير سيء عند الاهلين واطهر المسجونون حزنهم  
عليه وكان له تلامذة عديدون اختلفوا وخافوا الايقاع بهم. ولا بأس بايراد لمة  
من ترجمته اتماماً للفائدة فنقول. هو من قبيلة صغيرة في الجزيرة قدم القاهرة  
صغيراً وتلقى العلوم بالازهر الشريف وبرع في العلوم العقلية وكان ذا ذكاء  
عظيم ودين متين حتى قال أحد مشايخه الازهريين انه لم ير سودانياً مثله ذكاً  
ولما نقل راجعاً الى دياره وهبت ثورة المهديوة صادفت هوى في قلبه  
لانه كان ناظراً اليها من الوجهة السياسية وقد تقدم أنه لما قابل المهدي  
ونصحه بقصيدهته التي أودعها مغامر كثيرة ندم ولم يعد قادراً على احتمال  
معاشرة المهديوة فكان يقضى اكثر أوقاته في قرينته بالجزيرة راضياً بالحمول  
والبعد عن المهديوة وشروها حتى استدعاه التعاشي وكلفه قراءة درسين  
في الحديث والمواريث وكان قصده من ذلك الحجر عليه بام درمان تمهيداً



لما حل به من القضاء المحتوم

وعلى ذكر الشيخ الحسين نقول ان من الوشايات التي كان التعاشي يقبلها ويبطش بالموشى به ان يقال له ان فلانا من أهل العلم لانه يوقن اذ ذلك بان من كان عالماً لا بد ان يكون غير راض بالمهدوية وفي ذات يوم قال ان العلماء مفسدون في الارض ولا أمان لنا من مفسدهم التي يفرسونها في افئدة الناس الا بقتلهم ومثل العالم في البلاد كمثل شجرة في وسط مزرعة تأوى العصافير اليها وتقتات ثمار المزرعة وهكذا العالم يأوى اليه الناس ثم يبت فيه معارفه التي تأكل ايمانهم وتصديقتهم بالمهدوية كما تأكل العصافير ثمار المزرعة فكما انه لا سبيل لحفظ المزرعة من عبث العصافير الا بقطع الشجرة كذلك لا سبيل لحفظ عقائد الناس في المهدوية بغير قتل العلماء

وخلاصة القول ان الشيخ الحسين كان اعلم أهل السودان ومن اكبر الذين شايعوا المهدوية في بدايتها وقد رأيت ما حل به من الانتقام مثل كثير من الذين ساعدوا المهدي وأعانوه على دعوته ومن اعان ظالماً سلط عليه

### خفراء السجين

كل خفراء السجين والسجانين من أقارب السائر السجان أى من قبيلة الجوامعة التي عرفناها فيما تقدم من هذا الكتاب وجلهم من أبناء السفاح الذين يقال لهم ( عينة خاله ) فاذا سألت واحداً منهم عن اسم أبيه يجيبك بقوله « أنا ابن أخت فلان » ولم اسمع بواحد منهم اسمه من الاسماء المألوفة والاعلام المعروفة كمحمد واحمد وغيرهما بل لهم اعلام هي في الحقيقة صفاتهم مثال ذلك ان احدهم اسمه ( شقيب ) ومعنى هذا الاسم « الصارع اى انه

يصرع كل من صارعه وآخر اسمه « كبه كاه » ومعناه ان خلاله كلها مما  
 يعجه الانسان ولا يقبله احد وقس على هذين العلمين سائر اسماء الخفراء  
 والسجانين

وهؤلاء لا يدفع لهم التعاشى مرتبا ولا يجرى عليهم رزقا فاذا ذهبوا  
 الى بيت المال طالين اعطية قابلهم موظفوه بالاستغراب قائين كيف تطلبون  
 عطاءً من بيت المال وعندكم من الناس المسجونين من يمكنكم ابتزاز المال  
 منهم وضرب الضرائب عليهم وهم مرغمون على اجابة مطالبكم فكان امير  
 السجن يفرض الضرائب على كل مسجون بما يزيد عن طاقته وكان ابراهيم  
 حمزة عميد قبيلة (الانقرياب) الذى ذكرت امر سجنه كثيراً ما يؤدى تلك  
 الضريبة عنى اذ لم اكن املك درهما منها وكنا فى ايام الاعياد والمواسم نؤدى  
 ضريبة فوق العادة عدا الضريبة الشهرية التى لامناص من دفعها وعدا  
 ماندفعه كل يوم وليلة للسجانين الذين كثير اما كانوا يأخذون ملا بسنا بدل الرشوة  
 ومن نظامات السجن ادخال المسجونين فى الغرف التى لا منفذ فيها  
 ليقضوا الليل فى فصلى الصيف والربيع فى الحر الشديد أما فى فصلى الخريف  
 والشتاء فينامون تحت السماء مقرنين فى الاغلال فراشهم الارض وغطاؤهم  
 السماء يحيط بهم السجانون بايديهم السياط ويأمرونهم بالاضطجاع على جنب  
 واحد فاذا تحرك احدهم حركة ولو خفيفة اوسعوه ضربا بالسياط

### الايام الاولى فى السجن

لما ادخلونى السجن ضاعفوا قيودى حتى بلغت ستة قيود ثم  
 انتدبونى مع آخرين لحفر بئر فى منزل امير السجن المجاور للسجن فكان

اثنان يحفران بداخل وأنا أجذب الاناء الذي يضعان فيه التراب وكان هذا الاناء من الحديد وورنه لا يقل عن خمسين رطلا والحبل الذي أجذبه به جنزير من حديد فتورمت ككفاى بسبب ذلك وسالت الدماء منهما والسجانون حولي يضربوننى بالسياط فددت يدى لهم با كيا مسترحما من ألم الجروح التى بهما فما كان منهم الا ان ضربونى بالسياط عليهما فوقعت مغشيا على فاخذوا يضربوننى ضربا مبرحا

### شارل نيوفيلد

والمؤلف مقرونان فى القيود

ذكرت اننى فى الليلة الاولى التى سجت فيها كنت مع شارل نيوفيلد ثم فرقوا بيننا وكان كثيرا ما يجتمع بى كلما لاحت له فرصة فى غفلة السجانين الذين كانوا قد تلقوا عن التعايشى تعليمات سرية بالحيلولة بيننا خشية ان نتفق على الهرب

وفى ذات يوم كان السجان الاكبر مارا فوق نظره علينا فامر بجعلنا فى قيد واحد زيادة فى تعذيبنا وبعد بضعة أيام أصبت بحمى شديدة كادت تودى بحياتى وأصيب شارل نيوفيلد باسهال شديد يضطره الى الذهاب الى المرحاض كل خمس دقائق وأنا بسبب شدة الحمى لا أقدر على القيام من مضجعى وكان الفصل صيفا شديدا الحرق فثقب ثقبا فى الارض بجوار مضجعنا لقضاء حاجته فكنت على ما بى من الم الحمى فى أشد حالة من تنن رائحة المرحاض الذى بجانبى وظللنا على هذه الحالة السيئة مدة خمس ليال

ثم مرت بنا ذات يوم أم احدي نساء أمير السجن وكانت مصرية من أهل

الخرطوم فوقفت وسلمت علينا وهي باكية متحسرة وسألتنا لماذا قرتما في قيد واحد فقلنا لها هكذا أمر أمير السجن فذهبت متشفعة ومسترحمة لنا فقبل شفاعتها وأمر بوضع كل واحد منا في قيود على حدته

### أمير السجن في منزله ونسائه

لامير السجن دار بالقرب من المسجد لم ينفق في تشييدها قرشا بل كان يشغل المسجونين في بنائها

وكان عنده من النساء خمس عشرة امرأة منهن واحدة مصرية من اللواتي أخذن مسبيات من الخرطوم والبقية من أجناس مختلفة من السودانيات وكان له حارس اسمه طنبل الشايقي يجلس على باب المنزل وله سلطة كبيرة في السجن اذ لا يؤذن بادخال طعام الى أحد المسجونين الا اذا رآه طنبل فاذا كان جيدا أمر بادخاله الى منزل أمير السجن واذا كان متوسطا دعا بقية الخفراء الى الاكل منه وقل ان يتركوا صاحبه ربهه وقد أطلق المسجونون على طنبل لقب ( شنقل منقل ) ومعناه المنشار يأكل صاعدا ونازلاً

هذا وقد ذكرت الضريبة الشهرية التي كنا نؤديها الى أمير السجن وعدا ذلك فانه كان يجمع المسجونين كلما أراد ان يشتري محظية أو يتزوج امرأة جديدة أو يولد له ولد ويخاطبهم قائلاً انكم لا تجهلون اني لست تاجرا ولازارعا بل انتم زراعتي وتجارتي فعليكم ان تجمعوا الى مائة ريال لانني أريد الزواج أو ولدي ولد نم يضرب لهم موعدا للدفع فاذا تأخروا أمر السجنانين بتعذيب المسجونين فاذا كان الفصل شتاء يكون التعذيب بصب الماء البارد

على اجسامهم ليلا مع الضرب بالسياط واذا كان الوقت صيفا وضعوا الاغلال في اعناقهم وجردوهم من ملابسهم واجلسوهم في الشمس مع الضرب بالسياط أيضا كل ذلك عدا ما تؤديه الى السجنائين والخبراء فلكل واحد الحق في طلب ما يريده من المسجونين مثل مطالب اميرهم التي هي الضريبة الشهرية وضريبة المواسم والاعیاد وضريبة الزواج وضريبة الاولاد وعدد الخبراء يبلغ المائة ورؤسائهم اربعة لكل واحد منهم نوبة يوم وليلة يتصرف في خلالها التصرف المطلق بدون ادنى معارضة من امير السجن

### صلاة المسجونين

من نظامات السجن ان المسجونين يصلون الصلوات الخمس جماعة ولهم امام منهم وفي كثير من الاحيان تكون وقوفا في الصلاة فيهجم علينا الخبراء بالسياط ويضربوننا بحجة اننا لم نحسن الصلاة فنفرع وتترك الصلاة ونهرب مذعورين

وفي احدى ليالى الصيف قمتنا الصلاة المغرب التي بعد انتهائها يدخلوننا الى الغرف التي تقدم لنا وصفها فرجوننا الامام ان يطيل القيام والسجود لتتمكن من استنشاق النسيم في خلالها ففعل وكان الخبراء ادركوا ذلك فوثبوا علينا بالسياط واوسعونا والامام ضربا ففترقتنا شذر مندر واسرعنا الدخول الى الغرف

### ضريبة ريال كل يوم على المؤلف

قلت ان المسجونين يدخلون الغرف في ليالى الصيف وفي كل ليلة

يموت بعضهم اختناقاً وفي إحدى الليالي اتفقت مع أمير السجن على أن ادفع له في كل ليلة ريالاً وهو في نظير ذلك يأمر بتركي جالساً عند باب الغرفة لاستنشق الهواء من شقوق الباب

ولقد كنت لأملك قرشاً من هذا الريال ولكنني أقدمت على الاتفاق معه رجاء تركي تلك الليلة فمضى الخبر إلى أحد معارفه وهو يوناني اسمه الخواجه مانولى ديا كويني كان تاجراً في الخرطوم وله في معي صداقة قديمة ومعاملات مذكنت حاكماً على أقاليم خط الاستواء وبعد سقوط الخرطوم وقع أسيراً في قبضة المهديوية فاستعمله التعاشي في صناعة الصابون فأرسل إلى أمير السجن وتعهد له بتأدية الريال في كل يوم وإن لا يطبني به بل يدفعه هو في نظير مطالب قديمة كانت لي في ذمته وبذلك تمكنت من الجلوس خلف الباب كل ليلة واستمر الخواجه مانولى يؤدي عني ضريبة الريال حتى من الله عليّ بالخلاص لما دخل اللورد كتشنر أم درمان فاتحاً

### النادرة العباسية في السجن

رأيت أن أعنون هذه النادرة بهذا العنوان لما تراه فيها من الخبر الغريب الذي أقصه عليك وقد كنت ذكرت أن التعاشي زوجني امرأة من نساء الخرطوم اللاتي كن عنده وكانت لها أخت متزوجة بسوداني اسمه «عباس» وفي ذات يوم دخل عليّ بضعة أشخاص من البقارة وكنت وقتئذ جالساً بالقرب من عبد متهم بقتل واسمه (عاكش) فخطبني أولئك الأشخاص قائلين يا فوزي فقلت نعم فقالوا أصدقنا ما هي قرابتك من عباس فقلت إنه عديلي فقالوا كلا بل هو ابن أختك فقلت كلا كيف يكون ذلك وأنا

مصرى وهو سودانى فقالوا وضح لنا الحقيقة فقلت لهم ان خليفة المهدي عليه السلام زوجنى امرأة عباس هذا زوج أختها فقالوا يظهر انك لم تفهم كلامنا لانا نسألك عن (عباس خديوى مصر) وفي غضون ذلك كان شارل نيوفيلد قد وقف بجانبنا فالتفت اليه وقلت ان الفرق بينى وبين عباس خديوى مصر كالفرق بين خليفةكم وبين «عاكيش» هذا وأشرت الى العبد السالف الذكر فقالوا كذبت فقد علمنا انك خاله ثم انصرفوا عنى وذهبوا الى امير السجن فقصوا عليه ما دار بينى وبينهم من الكلام فغضب وامر الخفراء باحضارى فساقونى اليه بعد ان اوسعونى ضربا ولما وقفت بين يديه امر الخفراء بضربى حتى صرت استغيث فلا اغاث وبعد ان مزقوا جسمى امرهم بالسكف عنى وقال لى يا كافر انت شاك فى خليفة المهدي عليه السلام فقلت ياسيدى ما الدليل على ذلك فقال انك قلت للذين كانوا يحادثونك «خليفةكم» ولم تقل خليفة المهدي عليه السلام وهذا يدل على كفرك فانكرت انى قت هذه الكلمة واستشهدت بشارل نيوفيلد فاحضره بحالة تشبه الحالة التى احضرونى بها وبعد ان اوسعوه ضربا سألود فانكر انه سمع هذه اللفظة منى وأصر على الانكار فقال له انت تشهد لابن عمك وامر امير السجن بجلد شارل نيوفيلد خمسين جلدة وضاعفوا قيوده

اما انا فقد ضعفت قيودى واغلالى وغلت يداى الى عنقى وامر بوضعى فى الغرفة المعدة لمن يراد قتله وهى التى اعدم فيها القاضيان احمد بن على والحسين بن الزهراء اللذان تقدم لنا ذكرهما وهم امير السجن بالذهاب الى منزل التعايشى لاستصدار امر باعدامى وفى الحقيقة لو ابغى القصة لامره بذلك فترامى المسجونون على اقدامه يرجونه الصفيح عنى فقال لهم لا بد من

ان يحضر عشرين ريالاً فدخل على صديقاي ابراهيم حمزه ومحمد الشافعي عميدا بربر اللذان سجننا من أجل تهمة الاشتراك في تهريب سلاطين باشا وقالوا ان أمير السجن وعدنا بالصفح عنك على ان تدفع له عشرين ريالاً فقلت لهما كيف ذلك واتما لا تجهلان اني لا املك قرشا من العشرين ريالاً وليس عندي متاع ولا أرقاء غير عبدي المسمى «لدوم» وهو لا يبلغ ثمنه عشرين ريالاً مع ان قيمته الادبية عند توازي الآلاف من الريالات لانه كما تعلمان يطوف على منازل اصدقائي واخواني المصريين يجمع منهم ما تجود به مروءتهم لغدائي وغذاء زوجتي وولدي فاذا كان لا يعفني فاني اختار الموت لارتاح ويبقى عبدي «لدوم» ليقوم بحمل تغذية عائلتي الشقية اذ هو ينفق كسبه عليها زيادة على ما تبرع به المصريون لي فرقالي ورثيا لحالي ودفعا العشرين ريالاً من مالهما وخلصاني من هذه الورطة التي لارتاب ان التعايشي يأمر باعدامي لو وصلت اليه هذه القصة فجزاهما الله خيرا الجزاء وعوضهما عن ثروتهما وما خسراه من الاموال الطائلة التي اتفقاها في السجن خيراً أما مثار القصة فان احد اعدائي وشي بي عند اقارب التعايشي وافهمهم اني خال مولانا الخديوي عباس حلمي باشا وقصده من ذلك زيادة تعذيبي او اعدامي لان انتسابا كهذا مما يضر ضرراً يبلغا بل يكون سبباً للهلاك فتأمل في غباوة هؤلاء المهديين وظلمهم

### ذكر ابطال القهوة

من غرائب احكام التعايشي انه امر بابطال الاماكن العمومية التي تباع فيها القهوة ويجلس الناس فيها للسمر واصحابها في الغالب من المصريين وهي عبارة



عن الكواخ من الخوص فيها كراسى من الخشب والجلد تشبه (العنقريب) وفي بداية الامر اصدر امرا بابطال المقاعد وان لا يجلس شاربو القهوة الا على الارض فاستعاض اصحاب القهاوى عن المقاعد بالحصر السودانية التي تسمى (برشا) ثم وشي له واش بأن الذين يتسامرون فى القهاوى جلهم من المصريين وانهم اذا جلسوا فى تلك الاماكن يخوضون ويتحدثون فى شأنك وهم يطلقون عليك اسم (الزر) فاذا جلسوا تحدثوا مع بعضهم ماذا فعل الزر فيحيون بعضهم فعل كيت وكيت فاصدر امرا بابطال القهاوي وجرت فى ذلك محادثات ومداولات كثيرة وكان التعايشي ميالا الى وضع قانون يحرم به القهوة كتحریم الدخان الا انه عاد الى الصواب وقال لولا انى رأيت المهدي يشربها حرمتها ولاغرابة فى ذلك فان اعراب السودان الغربى الذين منهم التعايشي لا يعرفون القهوة ولا البن ولما قدموا الى الخرطوم ورأوا الكثيرين من الاهلين يشربونها كانوا يجاهرون بانكار ذلك ويعدونه من دلائل قلة العقل وفقدان الرشد فيقولون ماهى الفائدة من شرب شىء شديد الحرارة مر الطعم أسود اللون وبعضهم يسميها «القطران» ومن الشتائم التي يشتمون بها الاهالى (ياشاربى القطران) ولهم نوادر كثيرة فى القهوة لا باس من ايراد بعضها لما فيها من التفككة. منها ان اعرابيا قدم له «فنجال قهوة» ففتح فاه فلما وصل جوفه كان سببا فى موته ومنها أنه نزل اضياف من أهالى السودان على أحد امراء البقارة فقال لهم اتم اضيافى وانا ابذل الجهد فى اكرامكم اكراما حقيقيا اقدم لكم فيه الاغذية من الخبز واللحم واللبن والعسل اما الشىء القبيح الاسود فانه يدل على قلة عقل من يستعمله فلذلك لا اقدمه لكم ابدا فضحكوا وقالوا نحن لانكفك ذلك بل نصنعه بايدينا وتتناوله فقال لهم لولم

يكن قدركم معظما عندي لما سمعت لكم باستعمال هذه الدنيا في منزلي  
وقس على ذلك وقد ذكرنا ان التعاشي كان يريد ان يجرمها لولم يعارضه الناس  
ويخبرونه بان تجارة البن منبع ثروة عظيمة لبيت المال وانه هو رأى المهدي يشربها  
ولولا ذلك لحمل الناس على تركها فتأمل

## ذكر ختان المسيحيين واجبارهم

على تعدد الزوجات

كان في السودان تاجر من اهل حلب الشهباء مسيحي اسمه «جورج  
اسلامبوليه» يتردد بالتجارة بين الخطوم وكردفان حتى ادركته الثورة  
المهدية في مدينة الابيض فغادرها واسلم نفسه للمهدي صيانة لامواله وجاهر  
باعتراف دين الاسلام ولكنه مالبث طويلا حتى نكب وصادرت امواله  
واتهم بانه يبطن النصرانية ويقلد اطفاله الصلبان من داخل الملابس وانه  
يراسل الحكومة في الخرطوم فضبط كتاب منه باحدي اللغات الاجنبية  
فطلب التعاشي مترجما يترجم له الكتاب فتصدي للترجمة يهودي اسمه  
(داود منديل) مع انه لا يعرف لغة اجنبية وتوعد جورج بانه اذا لم يدفع له  
خمسمائة ريال ترجم الكتاب بما يوجب قتله فاسرع جورج باجابة ماطلبه  
اليهودي الذي ترجم الكتاب بان جورج يدعو الحكومة للتسليم للمهدوية  
ويحذرهما مغبة عدم التسليم فسجن الرجل وصادرت امواله ثم اطلق سبيله  
وقدم الخرطوم مع المهدي وهناك اجتمع برجل آخر حلبي ايضا  
اسمه (نعوم العجبي) وتصاهرا بزواج اولادهما وكان نعوم مدعيا انه يعلم  
بعض العلوم الكيماوية فذهبا الى التعاشي ذات يوم وقالوا انهما يعرفان

بصناعة صك النقود وانهما قادران على تحسين حالة المعاملة فقبول طلبهما من التعاشي بالاستحسان فكتب الى أمين بيت المال يأمره بمساعدتهما على جلب ما يطلبانه من القوال بواسطة الترسانة فاخذ ما طلبها ويعدهما من يوم لاخر حتى يدبر حيلة للايقاع بهما تخلصا من استيلائهما على دار الضرب الذي يتسرب من ايرادها شيء كثير الى جيب النور الجريفاوي امين بيت المال واقاربه القابضين على منابع تلك الايرادات. وبالجملة فانه اخذ يغرر بهما حتى انفق نحو مائة جنيه من مالهما في سبيل تهية القوال واعداد المعدات

ولما ينسا وايقنا انهما خدعهما النور الجريفاوي ذهبا متظلمين الى الطاغية التعاشي الذي استدعى النور وعنفه على ما ارتكبه فاخذ يعتذر بان ابدال المسكوكات يوقع بيت المال في أزمة مالية شديدة اذ تكون النقود القديمة بأيدي الناس ثم يطلبونها مما ضرب حديثا ثم ذيل اعتذاره بأن ذينك الرجلين لا يزالان نصرانيين فسأله التعاشي كيف يكونان كذلك وما هو الدليل على صدق هذا القول فقال الجريفاوي انهما وسائر الذين أسلموا على يد المهديوية لا يزالون غلفا لم يختنوا حتى الآن وهناك دليل آخر وذلك انهم لا يزالون يحافظون على توحيد الزوجة فغضب التعاشي وأرغى وأزبد واستدعى القضاة وسائر المسيحيين الذين تظاهروا باعتناق الاسلام وفي مقدمتهم جورج ونعوم فسألوهم هل أتم غلف فاعترفوا بذلك فدخل القضاة على التعاشي وأخبروه بهذا الاعتراف فخرج علي عادته متسربلا سربال القهر وخاطبهم بعبارات التعنيف ولم يسكن غضبه حتى بالغوا في الاعتذار بانهم لم يمنعهم من الاختتان غير الخوف من ألم الجروح فقال لهم اذهبوا واختنوا على يدمتطب اسمه شعبان فذهبوا وهم لا يصدقون بالنجاة

وشرعوا في الاختتان وكانت عدتهم نحو أربعائة فكان الرجل يختن مع ابنه وأخيه ومنهم من قاسوا آلاما شديدة من الجروح ومكثوا نحو شهرين طريحى الفراش

ثم بعد ذلك ذهبوا الى التعايشي اليه متظلمين من عدم مقدرتهم على نفقات اكثر من زوجة لما هم فيه من شظف العيش والفقر المدقع فلم يقبل منهم بل توعدهم فعادوا وشرعوا يعتقدون الجوارى ويتزوجون بهن لان المسلمين لا يرضون بمصاهرتهم وعلى ذكر ختان هؤلاء نورد هنا قصة مصرى مكث عدة سنوات لا عيش له ولا كسب الا من تهديد جماعة المسيحيين بأنه سيعرض على التعايشي أنهم غلف فكانوا يدارونه ويؤدون له ماشاء من المال حتى جاءت حادثة جورج ونعوم بما لا يستطيعون دفعه فكانوا يتذمرون منهما ويسخطون عليهما زيادة على ما أصابهما من ضياع مالهما ومقاساتهما آلام الجروح وزد على ذلك اضطراهما الي تعدد الزوجات التي لم يجدوا منه مفرًا

م

## ذكر سجن ابن المؤلف

مر الكلام على ان زوجتى كانت على وشك الوضع لما سقطت مدينة الخرطوم وفي شهر ذى القعدة سنة ١٣٠٢ سكنت بالخرطوم ابتغاء الحصول على قابلة مصرية لتساعدنا على الوضع وقد تقدم انى بسبب ذلك وشى بى للتعايشي واتهمت باننى انما قدمت الخرطوم لتدبير مكيدة ضد المهدوية ولذلك أمرت أنا وسائر المصريين بمغادرة الخرطوم وسكنى أم درمان التي بعد ان وصلت اليها بايام قلائل وضعت زوجتى غلاما سميت (محمد فوزى) ولما أن سجنتم كان عمره زهاء عشر سنوات فووقت عائلتى في

الشقاء الاليم ولما مضى عليّ ثلاث سنوات ونصف في السجن كان سن ابني هذا عشر سنوات وشهورا فذهب في أحد الايام الى التعايشي باصكيا مسترحما يسأله ان يطلق سراحي ففرق له وقال له اذهب الى أهلك وأخبرهم اني ساطلق عقال أبيك في الغد فاقضوا ليلتكم هذه بفرح وسرور فذهب الولد واخبر اخوته بذلك فقضوا تلك الليلة بفرح وسرور

وفي الغد ذهب الولد مستنجزا للوعد فأعرض عنه التعايشي فصار يتعرض له حتى التئمت اليه غاضبا وقال لمن حوله « هل يلد الثعبان الا ثعبانا » فقالوا نعم فقال « وهل يحسن بالانسان ان يربي ابن الثعبان » فقالوا كلا فقال أليس هذا الولد ابن المنافق ابراهيم فوزى فقالوا بلى فقال لا بد من الحاقه بابيه فاستدعى كاتب أخيه يعقوب المسمى « بان النقاموسى » وقال له خذ هذا الولد الى بيتك وضع في رجليه القيود ووكل به غلمانك يجرسونه ويشغلونه بسياسة خيلك ودوابك

فأخذته بان النقا ووضع في رجليه القيود ومع كونه كان يراعيه ويرأف به في السر فانه كان يلاقى من عبيده وخدمه المذلة وسوء المعاملة

والسبب في اخلاف التعايشي ما وعد به وعدوله الى حبسه انه في نفس اليوم كانت جواسيسه قبضت على واحد من جواسيس اللورد كتشتر جاء أم درمان من قبل سلاطين باشا الارسال مكاتيب الى بعض الناس وكان ذلك الجاسوس يسأل بعض الناس هل ابراهيم فوزى حي يرزق وهل شارل نيوفيلد على قيد الحياة وسأل عن بقية المسجونين بتهمة تهريب سلاطين باشا كبراهيم حمزة وغيره من الذين مر ذكرهم فقبض علي ذلك الجاسوس وكانت الحملة المصرية وقتئذ في دنقلا

والخلاصة ان الولد بقى محجورا في منزل بان النقا الى يوم دخول اللورد  
 كتشنر أم درمان ظافرا حيث أصيب بان النقا بجروح بليغة كانت من أقوى  
 الاسباب على نجاة الولد لانه لما انهزم التعايشي وركن الى الفرار انقذ الى بان  
 النقا يأمره باللاحاق به مستصجبا الولد فلم يستطيع مغادرة فراشه بسبب الجراح  
 ولما دخل كثير من اخواني الضباط المصريين منزل بان النقا ورأوا  
 الولد فيه وضعوا الحراس علي المنزل فحفظ من عبث بعض الاعراب  
 الموالية للحكومة وهم الذين عملوا النهب والسلب على أثر دخول الجنود المدينة  
 أماتأثير حبس ابني علي فكان سيئاً جداً حيث فقدت الرشد ولقد أخبرني  
 من كانوا حولي أنه لما فاجأني ذلك الخبر قطعت سبجتي وقلت وأنا ذاهل يا الله  
 رضيت ببلائك في نفسي ولزمت طاعتك شاكر ا على السراء والضراء فابتليتني  
 بحبس ابني لا تركن الصلاة وسائر العبادات  
 ولما عدت الى صوابي واخبروني بما قلت أسرعت بالتوبة والاستغفار وعدت  
 الى ما اتفاهيه من ملازمة الفكر والانقطاع الى الذكر ولم أعلم أن رحمة الله تعالى  
 ستدركني وابني الذي صار حبسه سببا لصيانة من حبس عنده فالحمد لله  
 الذي انقذني وابني وجعل لنا بعد الضيق فرجا وبعد الخوف أمنا ونجاة

### التعايشي قبل حملة دنقلة

لما تمكن التعايشي من قهر أقارب المهديّ وسجن مناظره الخليفة  
 شريفا كما تقدم اطلق لا قاربه البقارة العنان في البلاد يظلمون وينهبون  
 وعكف على شبهواته وصار يركب العربية التي ذكرنا في اخبار فتوحات خط  
 الاستواء ان الطيب الذكركر غردون باشا جلبها من القاهرة ليقدمها هدية الى

الملك « امتيسه » صاحب أوغنده وقتئذ

على ان هاته العربة لم تكن مقصورة على ركوبه بل كانت تسير في شوارع المدينة ليلا فيها الخصيان ليقبضوا على النساء البارعات في الجمال ويمضوا بهن الى دار التعاشي فيلبث بها حتى اذا قضى وطره منهن أعادوهن الى بيوتهن وقد كانت بداية عملهم هذا اثر القبض على الخليفة شريف وسائر أقارب المهدي الذين نوا وقتلوا في زمن تلك الحوادث المريعة ولا فرق بين امرأة ذات بعل أو أيم أما ذات البعل فان الخصيان يفهمون بعلها أن خليفة المهدي يريد اسماعها مواعظه التي يسمونها (المذاكرة) وأما التي لا بعل لها فيلسوا في حاجة الا الى أخذها وادخالها العربة

ومن اللواتي أخذن بهذه الصورة زهراء بنت محمد شقيق المهدي الذي تقدم انه قتل يوم الهجوم على الابيض عاصمة كردفان وكانت تحت أحد أقاربها الذين تفاهم التعاشي الى خط الاستواء وكذلك فعل بنات حامد شقيق المهدي وفد مر أنه قتل في احدي وقائع جبال قدير

وقد كان التعاشي متزوجا بأ م كلثوم بنت المهدي وأولدها بضعة أولاد ثم طلقها لغير ذنب جنته غير انه أراد الاقتران باختها مريم لجمالها المفرط حيث تزوجها ودخل بها بعد وقوع الطلاق بيوم وليلة

أما المظالم فقد تضاعفت ويئس الناس من الخلاص بشورة داخلية حيث تمكن الطاغية من القضاء على كل قوة يتوقع منها القيام للخلاص من ظامه

وبالجملة فان حلقات المصائب قد استحكمت ولم يبق للناس صبر على الخطوب المتوالية والمصائب النازلة على رؤسهم حتى أنهم كانوا ينقطعون في

الخلوات يضرعون الى الله أن يخلصهم من هذا البلاء واذا سمعوا بشيء من أخبار الحملة ظهرت عليهم علامات الفرح والسرور وبذلوا الصدقات للفقراء والمعوزين شكرا لله تعالى وقد كان التعايشي أول من أنبأ بتقدم الحملة علي دنقلة قبل تقدمها ببضعة شهور وسيأتي ذكر ذلك

### جواسيس المهديوية

قلنا فيما مر ان أهالي مديرية الحدود كانوا ميالين الى دعوة المهديوية في بداية امرها وخصوصا (البرابرة) الذين يسكنون بين أسوان وحلغا وقد أشرنا الى العذاب الممين الذي أرهقتهم به النورالجريفاوى في بربر اذ كانت مغبته نفورهم عن المهديوية وانحراف جلهم عن موالاتها وقبل ذلك كان جلهم يتقربون الى المهديوية بابلاغها أخبار الحكومة بفساد فاحش في اسناد العيوب اليها ونسبة الوهن الى حامياتها في الحدود وبقي كثير منهم على الولاء حتى قتن عبد الرحمن النجومى حيث كانوا يستعدون لمعاونته والانضواء الى لوائه بالرغم عن فظائع النورالجريفاوى التي عامل بها تجارهم لولا الحيلة التي اتخذها السير غرانفيل باشا سردار الجيش المصري وقتئذ ويقال ان الاسباب التي دعت هؤلاء الى التمسك بولاء المهديوية والانحراف عن الحكومة هي تحرير الارقاء وابطال النخاسة واذا ذلك أى في بداية دعوة المهديوية كان كبراء مديرية الحدود كما قلنا يرسلون أمراء المهديوية بالاخبار ويتطوعون لهم بالتجسس وفي كثير من الاحيان كانت أخبار سواكن وما يقع فيها من الحوادث تبلغ التعايشي قبل وصول برید سواكن اليه فكانوا اذا حملها البرق من سواكن يتلقاها الروادفي



الحدود فيذهبون بها على ظهور الهجن الى بربر وقد اتهمت الحكومة  
كثيرين من هؤلاء الكبراء وحاكمتهم أمام المجالس العسكرية ولكنها لم تتمكن  
من قطع دابر جاسوسية التعايشى التي لم تعد بفائدة عليه

وفي الايام الاخيرة صار للمهدوية جواسيس بعضهم يتجسسون ليونس  
الديكيم أمير دنقلة وبعضهم للتعايشى وآخرون لازاكي أمير بربر  
وكان من أشهر جواسيس التعايشى رجل يدعى ولد الحسين وأصله سوداني  
وآخر يدعى أباشعبان وهو مصرى من سكان مديرية الحدود وللأول منهما  
نادرة مع سلاطين باشا وهي أنه وشى به الى التعايشى بانه على أهبة الفرار حتى  
خيف من التعايشى علي سلاطين باشا الذي تمكن من استمالة القضاة الى  
جانبه حتى وشوا بولد الحسين الجاسوس عند التعايشى فحبسه وارتاب في  
صدق ما رفعه اليه من الانباء

أما أبو شعبان فكان التعايشى ذاتقة عظيمة به وكان يتردد على  
الحدود المصرية ومع شهرته التي لا يجملها جواسيس قلم المخابرات كان يعود  
دون أن يصيبه مكروه حتى ذهب بعض الناس الى انه مأجور لقلم المخابرات  
ومتواطىء معه علي ان لا يبلغ التعايشى خبرا الا بموافقة

والحاصل انه كان للتعايشى جواسيس ولكنهم قلما يرفعون اليه  
ما يستفيد منه العلم بشيء قبل وقوعه

علي ان جواسيسه رفعوا اليه قبل حملة دنقلة ببضعة شهور ان الحكومة  
مصممة على الزحف الى دنقلة واستدلوا على ذلك بانها جمعت الملاحين الذين لهم  
خبرة بالشلالات الواقعة جنوب وادى حلفا ولما اتصل به هذا النبأ أمر باخراج  
تجار المصريين من البلاد وضرب لهم موعداً يخرجون فيه ومن تخلف منهم

صودرت أمواله ونفي الى أعالي النيل

هذا ما فعله حينما اتصل به الخبر وهو يدل علي ما مر من عدم حصول

فائدة للتعايشي من هذا التجسس

ويقولون ان أعاب جواسيسه متفقون مع الحكومة عليه ومنها يتلقون

ما يرفعونه اليه ولا ينافي ذلك ما قلناه من ابلاغهم اياه أمر الحملة قبل حركتها

ببضعة شهور اذ يحتمل انهم موعز اليهم بهذا الامر ليرى الموعزون ما يكون

من وراء ذلك

والخلاصة ان رواد التعايشي كان جاههم من أهالي مديرية الحدود وأخبارهم

ملفقة مبالغ فيها كقولهم للتعايشي ان حكومة مصر في رعب شديد وكلما طرق

آذان رجالها ذكرك ارتبكوا وكذلك أهلها فانهم يصرعون خوفا وحبنا كلما

سمعوا بذكرك فيتمائل طربا ويظن أن ما قالوه حق

علي انه يوجد في البلاد رواد ولكنهم قاصرون في ارتيادهم علي ضبط

السكيرين وصناع البوطة والمدخنين والذين يتاجرون بالدخان

وفي كثير من الاحوال يتناولون الرشاش منهم ويتركونهم ويلفقون

الدعاوى الكاذبة علي من كانوا مظنة المال ليتوصل بيت المال الى مصادرة

أموالهم بمجرد اتهامهم بوجود دخان أو بوطة في منازلهم وقد خطب التعايشي

يوما فقال ان القدر الذي يوجب مصادرة المال من الدخان هو ربع درهم

ومن البوطة ربع رطل وربما دفع المتهمون الالوف من المال بغية النجاة

من الضرب والتعذيب والاهانة ومصادرة المال

## ذكر جلب الماء من مصر

ومن أنواع جواسيس التعايشى ناس يجلبون له «المنوعات» من مصر وهي الذخائر الحربية التي منعت الحكومة ارسالها الى السودان ولذلك أطلقوا عليها اسم «المنوعات»

وقد تقدم ان التعايشى أنشأ معامل لتعبئة الخرطوش وغيره من ذخائر

الحروب

وقد مر الكلام على الرصاص في قصة الايقاع بالمقدم عمر الجملى وكذلك ما أتاه المسمى كمال الدين الهندي الذي أحرق رفات قتلى الخرطوم ومثل باشلائهم أبشع تمثيل مدعيا أنه يستطيع اخراج صنف البارود من تلك العظام وقد ذكرنا فشل جميع هؤلاء الدجالين ماعدا اليونانى برديقاجى فانه وفق لاستخراج صنف البارود ثم احترق هو وواعوانه لما انفجرت عليهم آنية البارود

وقد كان نجاح هذا اليونانى متوقفا على ايجاد شيء كثير من العقاقير الكيماوية التي لا توجد في السودان لاتمام تجهيز «عجينة الكبسون» (وملح البارود) وغيرهما من المواد القابلة للانفجار التي على محورها يدور عمل المعامل الحربية ولا سبيل الى ذلك الا بجلبها من القاهرة فاهتم التعايشى بهذا الامر واستقدم اليه النور الجريفاوى وكان يومئذ أمينا لبيت مال بربر وفاوضه في ذلك الامر فأشار عليه بالاتفاق مع جماعة من تجار بربر وأم درمان للاستعانة بهم على التحايل على تهريب تلك «المنوعات» وهؤلاء التجار هم (عمر كشه) وأصله من أهالى سواكن او على محمود الضوى) وأصله مصري من مديرية الحدود

استوطن أبوه بربر (وعبدالرحمن منصور) من أهالي أم درمان وصهر النور الجريفاوى فصار هؤلاء التجار ينفذون أعوانهم الى مصر فيبتاعون المنوعات ويحتالون على تهريبها بوضعها في أكياس الارز ومن العجيب ان الحكومة لم توفق لاحباط أعمالهم حتى استدرخوا على ذلك عدة أعوام وجابوا مقادير عظيمة من الرصاص وغيره من العقاقير وتمكن أعوان على محمود الضوى من استحضار ذخيرة من خرطوش مدفع « المترليوز » الانكليزي الذي غنمته المهدوية من حملة الجنرال هيكس وكان التعايشى يؤدي لهم الاثمان مضاعفة ويتجاوز لهم عن مكوس سلعم التي يصدرونها الى مصر أو يجلبونها منها تنشيطا لهم فكانوا يجلبون هذه الاشياء دفعتين في العام وفي بعض المرات بلغ ما جلبوه مقدارا عظيما من الرصاص وارتقت همة على محمود الضوى الى انه ابتاع نحو ألف وعاء من الاوعية التي يسدونها « شنته » وضع في كل واحدة خمسين خرطوشة جلبها من مصوع ويقال ان الحكومة لم توفق الى معرفة حيلهم واحباط أعمالهم الا في الايام الاخيرة والحاصل ان هؤلاء التجار كانوا من أقوى الاسباب في تقوية المهدوية وامتدادها بالذخيرة التي لولاها ما استطاعت محاربة الاحباش في القلابات والشلك في فشوده وغيرهما من الحروب الاهلية التي شبت نيرانها في دارفور وأكثر انحاء السودان وكان أبو شعبان الجاسوس الآنف الذكر ممن يجلبون المنوعات أيضا

### ذکر غارة الدراويش علي الواحات

لما افلح عثمان ازرق في الغارة على (آبار المرات) وقتل صالح بك خليفة

كما مر وكان يونس الدكيم أميراً على دنقلة وقتئذ من قبل التعايشي وعثمان  
 ازرق قائد الدراويش المعسكرين في الجهات الشمالية بالقرب من ضواحي حلفا  
 وكان عثمان هذا لا يبتعد عن الغارة على الجهات الواقعة شمال حلفا طمعا  
 في السلب والنهب وكان يونس الدكيم يرسل الكتب تباعا الى التعايشي  
 مفعمة بالثناء على عثمان ازرق واقدمه وما حازه من النصر المتتابع في  
 وقائعهم وسطواته التي أضرت بنا صنفا عن جباها ولم نذكر الا القليل منها اذ هي  
 أشبه بما يجري من عصابات السطو واللصوصية

وفي أوائل سنة ١٣١١ هجرية كتب التعايشي الى يونس الدكيم كتابا  
 يأمره بانفذ عثمان ازرق في الف راكب علي ظهور الابل للغارة على الواحات  
 وكان ذلك اجابة لالتماس يونس الذي كان يشحن كتبه الى التعايشي بذكر  
 الواحات وما فيها من المال الذي سيفنمه اذا أغار عليها فتجركت اطماع  
 التعايشي وأمره بالغارة عليها وأوصاه أن يفاجئها تحت ظلام الليل

فسار الالف راكب يقودهم عثمان ازرق وبعد ان مضى عليهم بضع ليال في  
 السير واقتربوا من الواحات أنفذ عثمان العيون ليأتوه بالخبر فقضوا الليلة  
 وعادوا في الغد وأبلغوه ان أعراب الواحات كثيرون جدا وأن أطنابهم  
 متدانية من بعضها وعندهم الاسلحة النارية وليس بينهم حامية للحكومة بل  
 هناك ضابط للشرطة ومهندس لحفر الآبار فخاف عثمان ازرق مغبة محاربة  
 أهل الواحات فعول على خديعتهم حيث زحف في مقاتلته حتى بات قريبا  
 من احيائهم ثم تقدم اليهم في الغد بصفة سلمية وأفهمهم ان يونس الدكيم  
 أمير دنقلة نازل على مسافة مرحلة من حيهم وانه قادم لفتح مصر عن طريق  
 الواحات وانه جاء من قبله لبذل الامان لهم فأنخدع الاعراب وراجت

عليهم حيلته ثم قال لخمسة عشر عميدا من رؤساء القبائل وللمهندس اذهبوا  
معي لمقابلة الامير فامتطوا الحمر وذهبوا معه وهو يخدعهم بقوله هو نازل وراء  
هذه الربوة أو الغابة حتى مضى النهار كله وحينذاك ايقنوا بانهم خدعوا وان  
القصد من ذلك ايصالهم الى دنقله التي بلغوها بعد بضع ليال

ولما وصلوا دنقله استقبلهم يونس الديكيم وأطلق واحدا وعشرين  
مدفعا علامة الانتصار وكانوا في حالة سيئة من شدة مانالهم من وعشاء السفر  
الفجائي ثم لم يلبثوا في دنقله الا ليلة وبعض يوم ثم أرسلوا الى أم درمان  
تحت الحفظ

ولما مثلوا بين يدي التعايشى عاتبهم وألان لهم القول فائلا نحن واياكم  
اعراب وكلنا نبغض الترك الكفار وننفر منهم فلماذا لم تنضووا الى لواء  
المهدوية وتحاربوا الترك الكفار الذين نبذوا الشريعة وتمسكوا بالبدع  
وأصروا على الكفر

فأجابوه بقولهم نحن نتوب الى الله مما سلف ونحمد الله الذي قدر لنا  
الخلاص من ربة الكفار ومن علينا برؤية وجه خليفة المهدي عليه  
السلام فأمرهم بمبايعته فبايعوه ثم استدعى أحد التجار وأمرهم بالاقامة في  
داره وخصص لهم مرتبات من بيت المال فقام التاجر بكل لوازمهم بجد  
وسخاء أما بيت المال فانه كان اذا نقدهم مرتب شهر ما طلبهم ثلاثة شهور  
وهذا التاجر اسمه (البلال الاسيده) وهو رجل سخي مشهور بالرافة بالمصريين  
الاسرى وخصوصا المؤلف وقد مكثوا على هذا الحال زهاء عامين كانت  
حالتهم فيها تتنقل من سيء الى أسوأ

وفي ذات يوم استدعاهم التعايشى الى منزله بحضرة القضاة وأهل

الشورى وقال لهم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم عليه وسلم أخبره بان  
سرايرهم قد ملئت بالاخلاص للمهدوية وانه عليه الصلاة والسلام امره ان  
يعيدهم الى اوطانهم دعاة للمهدوية وأمرهم على عشائريهم ليصدقوا في الواحات  
بدعوة المهدي ويناوؤون الحكومة المصرية فرقصت افئدتهم طربا لما لاحت  
لهم بارقة النجاة ولكنهم بكوا وانتحبوا وأظهرا كراهة ان يكونوا بعيدين عن  
خليفة المهدي الذي كان يكثر الاحاح عليهم بوجوب الامتثال لما اشار به الرسول  
صلى الله عليه وسلم وهم يتأسفون وينتجبون وما زال بهم حتى تابوا  
الى الطاعة وكتبت لهم صكوك الامارة وتلقوا التعليمات ونقدم بيت المال  
تفقات السفر وشدد عليهم في موافاته بالضرائب التي يجلبونها من أعمالهم  
فغادروا أم درمان وهم وجلون لا يصدقون بالنجاة حتى بلغوا الحدود المصرية  
وهناك مزقوا المرقعات ودفعوا للحكومة صكوك الامارة ومنشورات  
الدعوة واعلموها بما وقفوا عليه من ضعف المهدوية وانحراف الناس  
عن طاغيتها وكانت نجاتهم في الزمن القريب من حملة دنقلة

### دنقلة قبل الحملة عليها

انتهينا في الكلام عن دنقلة فيما مضى من الكتاب الى ذكر المجاعة التي فشت  
فيها سنة ١٣٠٦ والى ذكر عزل عبد الرحمن النجومي عن امارتها وولاية  
يونس بن الديكيم

وهنا نشرع في الكلام على مدة يونس التي ابتدأت من ذلك العهد  
تبينا للمظالم التي دمرتها فنقول

لما تفشت المجاعة في دنقلة وغادرها عبد الرحمن النجومي الى حيث لاقى حتفه  
 في ( طوشكي ) ضعف أمر الاحزاب التي كانت متشعبة له وهجر أهالي  
 دنقلة الشمالية أو طانهم فارين من وجه الظلم حيث لحقوا ببلاد مديرية الحدود  
 وكان يونس قد عزل كل الجباة الذين أصلهم من أهالي السودان الاوسط  
 أي الذين لم يكونوا من البقارة وعين نحو سبعين جايبا من عبيده بدلهم  
 أما طريقة جباية الخراج فقد ذكرنا فيما مر من هذا الكتاب أن الضريبة  
 في دنقلة منذ دخول السودان تحت طاعة مصر كانت عقارية ولما كانت بلاد  
 دنقلة خصبة ومن حاصلاتها القمح والذرة واللوييا التي هي متعددة الاصناف  
 عدا التمورريها بالآلات كالسواقي والشواذيف فقد اخترع يونس لجباية  
 ضريبة الجبوب طريقة سماها ( التخريص ) وهي ان الجابي يذهب الى المزرعة  
 ويقدر ان محصولها يبلغ كذا فيلزم الزارع بتأدية نصف التخريص الذي  
 لا يقل عن ثلثي المحصول ثم يلزم صاحب الزرع بتأدية ريال مجيدي عن كل  
 أردب من المطلوب تأديته وهذه الضريبة ليست لبيت المال بل هي للجابي  
 ويسمونها ( ضيافة العامل ) وزد على ذلك أنهم كانوا يطالبون من كل زراعة تبلغ  
 مساحتها فدانين فأقل نحو عشرة ريالات قيمة ثمن التبن اذا كان المحصول  
 قححا وقيمة ثمن البوص اذا كان من الذرة أو الجذور اذا كان من اللويياء  
 وهناك ضريبة أخرى تجبي لغذاء الامير يونس الدكيم وتتجدد كل  
 شهرين أو ثلاثة وهي ضريبة المسلي والاعنাম وهي لا تقل عن عشرة ارطال  
 وخروفين عن كل مزرعة فيرسل السبعون جايبا الامير ما يجتمع عندهم وأقل  
 ما يتحصل من ذلك عشرون قطارا من السمين ومائة راس من الاعنাম  
 أما الضرائب التي لا تدخل تحت قيد فكثيرة منها ما سببه اعسار بيت المال



الذى يضرب بسببه على كل شخص قدر من المال يؤدي له وتفقات البعوث  
والسرايا وهى أجل من أن تدخل تحت حصر

وإذا سافر جيش أو سرية من الدراويش من مكان لا خرفانهم لا يحملون  
ميرة ولا علفا لدوابهم بل ينهبون ويأكلون وينجسون قطعان الماشية في  
الطرق ولا يستطيع أحد من الاهلين منعهم أو الحيلولة بينهم وبين ما يريدون  
وعلى أثر ذلك استأثر يونس ومواليه بخيرات البلاد وانطلقت أيديهم  
في أموال الناس وبات الاهلون تحت ائقال هذا الظلم يئنون

وقد مدّ موالى يونس أيديهم الى الاعراض واستحلوا نكاح الحرائر  
المسلّمات بمالك اليمين فكنت تجد عند الواحد منهم أكثر من أربع حرائر  
وكانوا يبعثون بالنساء الحسان الى التعايشي وأخيه يعقوب وابنه شيخ الدين  
وجميع كبراء البقارة

ومكث يونس علي هذه الحالة ثلاث سنوات ثم عزله التعايشي وولى  
بدله محمد خالد زقل الذى كان أميرا علي دارفور وقد ذكرنا شيئا كثيرا  
من سيرته فشرع في تخفيف الوطأة عن الدنقايين لانه دنقلى منهم ولكن  
مدته لم تطل حيث عزل بعد سنة وسجن ثم نفى الي خط الاستواء

وقد أعيد يونس الى الولاية وعادت كل المظالم التى ابتدعها ومكث كذلك  
الى ما قبل الحملة عليها ببضعة شهور

ويونس هذا أصله من قبيلة (التعايشة) التى منها التعايشي وكان  
زوجا لام التعايشي وكان قصير القامة جدا وجسمه ضئيلا نحيفا  
وكان أميا لا يعرف الكتابة والقراءة يأتيه الناس فيقولون له انك شجاع  
وان الاسود فى آجامها تفرع منك وان ملامح وجهك ترعب من ينظر اليها

وانه اذا ذكر اسمك في مصر ولوندرديموت الناس فزعا فينتفخ من هذا الثناء الكاذب ويلتفت لمن حوله من الرجال والمشيرين فيقول لهم أما سمعتم ما يقول هذا الرجل فيقولون سمعنا فيقول وهل صدق الرجل فيقولون على أقدامهم ويرفعون أصواتهم قائلين ياسيدنا الامير اطلب منا دليلاً على الشمس والى متى تنكر صفاتك التي لا يجملها أحد وانت فوق الاسود شجاعة وعزيمة ويخفون انهم في حالة وجل وروع شديدين من رؤية وجهه والدنومنه فيطير سروراً ويأمر في الحال بضرب الطبول ودعوة المقاتلين للاستعراض ثم ينعم بالمال على الرجل الذي اثنى وعلي الذين ايدوا أقواله

هذا مع انه جبان لم يذكر بمنقبة في حرب وقد ظهر جنبه في سنة ١٣٠٣ لما أنفذه التعايشي لقتال عساكر بن كلام زعيم قبيلة (الجمع) شرقي كردفان لما خلع طاعة المهديوية وكان عساكر هذا فارساً مقداماً يشق صفوف الرجال ويزحزح الابطال وكان كلما حمل ليبارز يونس يحتفي منه ويقول لمن حوله اياكم ان تتركوني ابارز هذا الشقي ثم يتظاهر بانه سيهجم عليه فيتعلق الناس بدابته فيرجع قائلاً أما لو تركتموني لمبارزته لجندلته لكم علي الارض بغير سلاح بل كنت اختطفه من قربوس سرجه واجلد به الارض وكان هذا حاله طول الايام التي نشبت فيها الحرب بين الجمع حيث انتهت بقتل عساكر وعودة قومه الى الطاعة

أما قسوته وغلظته فحدث عنهما ولا حرج فانه كان اذا أمر بحبس واحد أمر خمسين من عبيده بالاحاطة به وضربه بالعصي والسياط حتى يبلغ السجن وهم يسمون هذه العادة (الفرقة) أي المسافة ما بين منزل الامير والسجن وهي لا تقل عن ميلين وقد لا يصل المسجون حيا بل يقضي عليه وهو في الطريق

ونقل لى أحد الثقات ان يونس أمر بسجن على بن الامين أحد صغار القواد  
وابن الشيخ محمد الامين رئيس علماء السودان الذى ذكرناه مرارا فى هذا  
الكتاب فاحدق به مائة وخمسون عبدا وأخذوا يضربونه (الفرقة) حتى بلغوا  
به السجن مغشيا عليه ومكث يوما وليلة لا يعي شياً فيئسوا من حياته وبعد  
أيام أمر بالنقل أيضا الى السجن لذنب طفيف فاسرع الى الاقتراب منه ووقع  
على الارض وانكنا على بطنه وقال له ياسيدى الامير اتوسل اليك ان  
تأمر بضربى (الفرقة) أمامك ثم تحظر على الحراس أن يضربوني فى  
الطريق فضحك وقال أنت خائف من الفرقة فقال كيف لا أخاف فقال  
له أتتوب فقال تبت الى الله والرسول والمهدى وخليفة المهدي ومولاي  
يونس فقال قد عفوت عنك فانهض ولا تخف .

هذا قليل من كثير من أخبار يونس التى لاتسعى المجلدات الضخمة  
أوردناه للدلالة على ما كان يقاسيه الدنقيون من حيفه وسوء معاملته  
وقد هلك نحو ثلاثة أرباع السكان وأمست أراضيهم فقرا بلقعا. وكانت  
وفودهم تشخص تباعا الى التعايشى متظلمة من جور عماله فلا تجديهم الشكوى  
ولا ينفعهم لتظام وكثيرا ما كان يسجن الشاكين ويتكل بالمتظلمين واخلاصة  
لهم انقطعوا عن الشكوي وصبروا على مر البلوى حتى أراد الله تعالى انقاذهم  
فخملت الحكومة على دنقلة وأجلت الدراويش عنها فخرجوا منها مذمومين  
مدحورين كما سيأتى ذكر ذلك فى مكانه والله الهادى الى سواء السبيل

### ذكر مسألة العقرب مع التعايشى

يوجد بام درمان الحشرات السامة بكثرة فوق التصور وخصوصا نوع

العقارب لانها كانت قبل اتخاذها عاصمة للمهدوية بريبة ليس فيها زرع ولا ضرع وأرضها مكسوة بالحجارة ويستحيل نجاته من لسعته عقرب الا اذا كانت صغيرة وكثيرا مارأيت عقربا يبلغ طول ما بين رأسها وذيلها عشرين سنتمترا

وفي ذات يوم وقف التعالشي اصلاة المغرب فابصر بعد تكبيرة الاحرام وقراءة أم الكتاب عقربا تدب نحوه فارتاع وصار يكرر قراءة الفاتحة ويشير بيده الى من خلفه من المصلين فلم يفهموا قصده بل ظلوا وقوفافي الصلاة ولكنهم ادركوا انه لم يكرر قراءة الفاتحة الا لسبب توى من الاسباب فقطع المدعو ( الحاج الزبير ) أحد حراسه الصلاة ولحقه في حالة الاضطراب والفرع الشديد من العقرب ووقف بازائه فإشار بيده الى العقرب فقتلها ثم ان التعالشي خرج من الصلاة بتسليمه وهو في خجل شديد من اعتماد الناس جبينه الى هذا الحد فجلس مضطربا وقد بلل العرق جبينه وبعد ان تاب اليه رشده قليلا عزم على التخلص من ذلك بوضع اكدوبة في غاية الغرابة حيث جلس وألقى على الناس خطبة هذا نصها.

اعلموا يا أصحاب المهدي عليه السلام ان هاته العقرب لم تجسر على الدخول في هذه المقصورة الا لان ساعة انتضاء حياتي كانت وشيكة غير ان رسول الله صلى الله عليه وسلم والمهدي واخضر عليهم السلام حضروا في هذه اللحظة واخبروني انهم رأوا الله عز وجل تأخير منيتي لان الامة في حاجة شديدة الى هذا التأخير وقد أمروني بقتل هذه العقرب . أما الدهشة التي ظهرت علاماتها على فانها نتيجة أسرار لا يمكن اخباركم بها كانوا يخبروني بها حتى ودعوني وانصرفوا فاشرت اليكم فلم تنفخوا اشارتي حتى ألهم الله الحاج الزبير فهمها فهو من الشهداء

الكبار ومن خيرة أصحاب المهدي جعلكم الله مثله ومكث نحو ساعتين يقرر هذه الخرافة ولم يصل المغرب الا في آخر الساعة الاولى من الليل

أما الحاج الزبير هذا فانه رجل كثير التملق والاحتيال وقد ذكرنا فيما مضى ان التعاشي كان يشاوره في بداية خلافته ويستمد منه الآراء ولكنه مدته لم تطل حيث نكبه وصادر أمواله بعد خلافته بعامين اظهور خيانتة مع عمه عبد الله الطريفي الذي كان عاملاً للمهدوية على القضارف وقد نكب عبد الله المذكور وسائر اقاربه أيضا وحبسوا وعذبوا ليظهروا خبايا أموالهم

وقد ذكرت ان عبد الله الطريفي هذا وشى بي عند التعاشي لما كان ينوي انفاذي مع دراويشه الى خط الاستواء وقد كافأته علي هذا حيث نصحت التعاشي أن لا يولي غير اقاربه البقارة

ومكث الحاج الزبير مسجوناً نحو عام ثم اطلق سراحه ولكنه لم يعد الى منزلته الاولى

وكان اذا ناداه التعاشي يرفع صوته قائلاً (لييك يا خليفة المهدي عليه السلام) ثم يظهر التغير في صوته والاضطراب في جسمه كأن هيمية خليفة المهدي ونور محياه هما اللذان نشأ عنهما ما اعتراه وقد مكث بعد اطلاقه من السجن محفوا من التعاشي الذي لم يعده الى منزلته الاولى الا بعد حادثة العقرب التي شرحناها في هذا الباب وأخيراً توفي حتف انه قبيل فتح أم درمان وكان أبوه عبد الرحيم الطريفي أمينا من قبل التعاشي على احدى الورش الحربية التي تصنع بها الذخيرة والمعدات الحربية

وبالجملة فان الحاج الزبير هذا هو الذي قوى عزم التعايشي علي البقاء  
بام درمان وثنائه عما كان عازما عليه في بداية خلافته من ان يأخذ نصيبا  
من الاسلحة ويغادر أم درمان ويؤسس دولته بغرب السودان

﴿ انتهى الجزء الثاني من كتاب السودان بين يدي كتشنر وغردون ﴾

« ويليه الجزء الثالث وأوله البدء بحملة دنقلة »

( كل نسخة من هذا الكتاب تكون محتومة

بختم المؤلف الذي هو هذا )



